



العدد الأول - يوليو ٢٠٢٠ - السنة الأولى مجلة علمية فصلية محكمة

المجلة الأمريكية الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

American International Journal of Humanities and Social Sciences

تصدر عن الأكاديمية الأمريكية الدولية
للتعليم العالي والتدريب

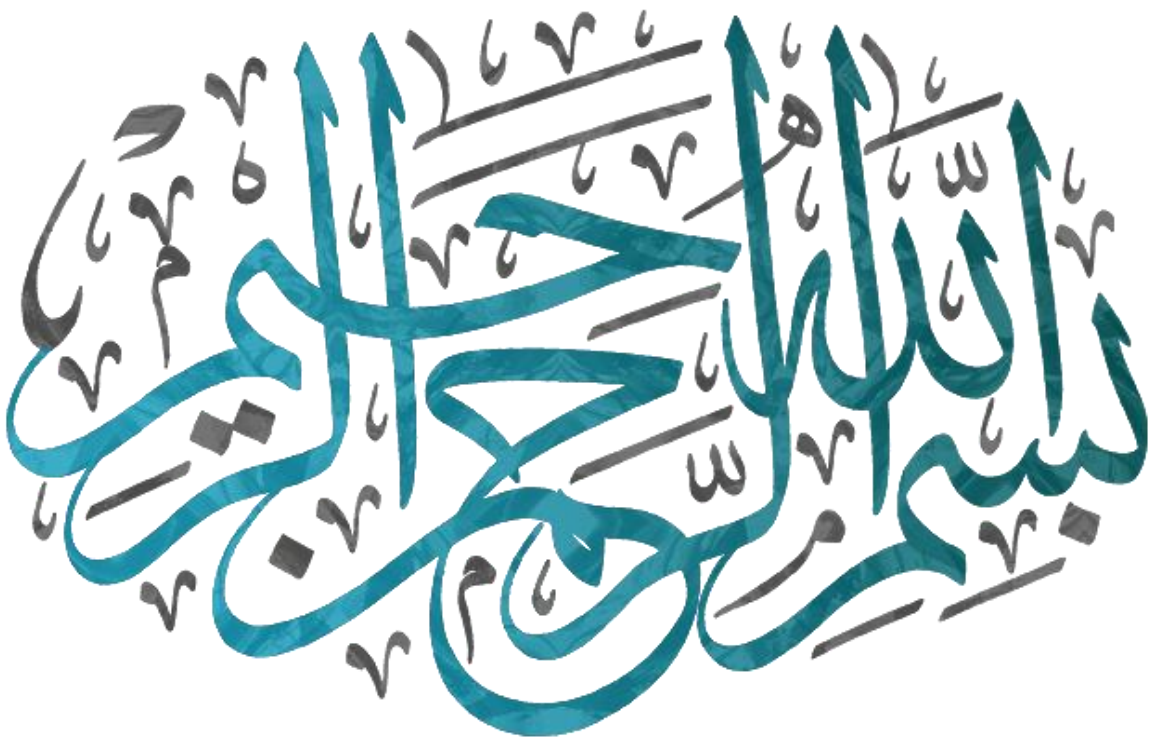
ISSUED BY AMERICAN INTERNATIONAL ACADEMY
OF HIGHER EDUCATION AND TRAINING



أ.د. حاتم جاسم الحسون
رئيس الأكاديمية
رئيس التحرير

في حوار خاص حول أهم المنجزات العلمية والفنية والإنسانية
التي قدمتها الأكاديمية منذ التأسيس وإلى أن صدر العدد الأول من المجلة

عدد خاص ببحوث المؤتمر
العلمي الدولي الأول
للاكاديمية





رئيس التحرير- أ.د. حاتم جاسم الحسون، رئيس الاكاديمية الامريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.
 مدير التحرير- أ.د. حسام الدين جاد الرب، أستاذ ورئيس قسم الجغرافيا. كلية الآداب. جامعة أسيوط،
 جمهورية مصر العربية.
 نائب مدير التحرير. أ.د. نادية حسين العفون، كلية التربية للعلوم الصرفة. ابن الهيثم- جامعة بغداد،
 الجمهورية العراقية.

سكرتارية التحرير

١. أ / ألياس درويش. الشؤون الإدارية. الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.
٢. أسكينة ابراهيم الصبري. الشؤون الإدارية. الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.

أعضاء هيئة التحرير

١. أ.د. هند عباس على الحمادي- أستاذ بقسم اللغة العربية وعلومها- كلية التربية للبنات- جامعة بغداد، الجمهورية العراقية.
٢. أ.م.د. خالد ستار القيسي. عميد كلية الاعلام. الاكاديمية الامريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.
٣. أ. مجدي عبد الله الجايح- كلية اللغات والعلوم الانسانية. الاكاديمية الامريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.
٤. أ. خالد الانصاري- كلية علوم التربية. جامعة محمد الخامس. الرباط، المملكة المغربية.

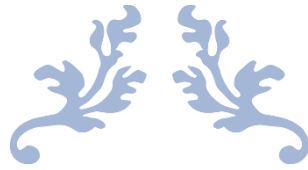
أعضاء الهيئة العلمية

١. أ.د. ابكر عبد البنات آدم- مدير جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم - السودان.
٢. أ.د. الهام شهرزاد رواج- محاضرة في كلية الحقوق والعلوم الانسانية – جامعة البليدة ٢ - الجمهورية الجزائرية.
٣. أ.د. أمال العرباوي- رئيس قسم التربية المقارنة بكلية التربية - جامعة بورسعيد، جمهورية مصر العربية.
٤. أ.د. أمل مهدي جبر- رئيس قسم العلوم التربوية والنفسية – كلية التربية بنات – جامعة البصرة، الجمهورية العراقية.
٥. أ.د. إيمان عباس على حسن الخفاف- عميد كلية التربية الأساسية- الجامعة المستنصرية- بغداد، الجمهورية العراقية.
٦. أ.د. سندس عزيز فارس الفارس- خبير تربوي- عميد كلية الدراسات العليا والبحث العلمي في الاكاديمية الأمريكية – الجمهورية العراقية.
٧. أ.د. غادة غازي عبد المجيد- أستاذ في كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ديالى – الجمهورية العراقية.
٨. أ.د. ماجدولين النهبي- كلية علوم التربية . جامعة محمد الخامس . الرباط، المملكة المغربية.
٩. أ.د. نبيل محمد صالح العبيدي- عميد كلية الدراسات العليا – الجامعة اليمنية – الجمهورية اليمنية.
١٠. أ.د. ناهض فالح سليمان- أستاذ مساعد كلية التربية للعلوم الانسانية – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة ديالى- الجمهورية العراقية.
١١. أ.د. هاله خالد نجم- رئيسة قسم الترجمة – كلية الآداب- جامعة الموصل – الجمهورية العراقية.
١٢. أ.د. وسن عبد المنعم ياسين- أستاذة الأدب العربي – كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ديالى – الجمهورية العراقية.
١٣. أ.د. خليفة صحراوي . رئيس قسم اللغة العربية وادابها . كلية الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية . جامعة باجي مختار عنابة . الجمهورية الجزائرية.
١٤. أ.د. راشد صبري محمود القصبي- استاذ التخطيط التربوي واقتصاديات التعليم بكلية التربية . جامعة بورسعيد . جمهورية مصر العربية.
١٥. أ.د. ماهر إسماعيل صبري محمد يوسف- أستاذ ورئيس قسم المناهج وطرق التدريس وتكنولوجيا التعليم – كلية التربية – جامعة بنها – جمهورية مصر العربية.

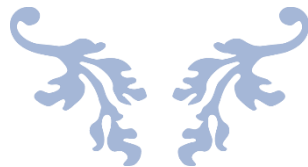
١٦. أ.د. ماهر مبدر عبد الكريم العباسي- نائب عميد كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ديالى- الجمهورية العراقية.
١٧. أ.د. نزهة الصبري- عميد الشؤون الاكاديمية – الأكاديمية الامريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب- المملكة المغربية.
١٨. أ.د. نصيف جاسم أسود سالم الأحبابي- كلية التربية للعلوم الانسانية – قسم الجغرافيا- جامعة تكريت – الجمهورية العراقية.
١٩. أ.د. نورة مستغفر- أستاذ التعليم العالي مؤهل، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، الرباط، المملكة المغربية.
٢٠. أ.د. برزان ميسر حامد احمد الحميد- جامعة الموصل .كلية التربية للعلوم الإنسانية- الجمهورية العراقية.
٢١. أ.م.د. محمد ماهر محمود الحنفي- رئيس قسم اصول التربية .كلية التربية . جامعة بور سعيد . جمهورية مصر العربية.
٢٢. م.د. تارا عمر احمد- كلية العلوم السياسية. جامعة السليمانية . الجمهورية العراقية.
٢٣. م.د. عبد الرزاق عامر عدنان- كلية شط العرب الجامعة .الجمهورية العراقية.
٢٤. م.د. سوزان صباح عبد الأمير- مدرسة إدارة الاعمال . جامعة اوتاوا الماليزية.
٢٥. م.د. يوسف مناضل إبراهيم .مقرر قسم إدارة الاعمال . جامعة اوتاوا الماليزية.

أعضاء الهيئة الاستشارية

١. أ.د. جميلة غريّب- قسم اللغة العربيّة و آدابها - جامعة باجي مختار-عنابة- الجمهورية الجزائرية.
٢. أ.د. حورية ومان- أستاذ التاريخ المعاصر – جامعة محمد خيضر-بسكرة الجمهورية الجزائرية.
٣. أ.د. خالد عبد القادر التومي- باحث في المركز القومي للبحوث والدراسات العلمية - ليبيا.
٤. أ.د. رائد بني ياسين- عميد كلية الأعمال – قسم نظم المعلومات – الجامعة الأردنية- فرع العقبة- المملكة الأردنية الهاشمية.
٥. -أ.د. كامل علي الويبة- رئيس جامعة بنغازي الحديثة – ليبيا.
٦. أ.د. علي سموم الفرطوسي كلية التربية الأساسية-الجامعة المستنصرية – بغداد، الجمهورية العراقية.
٧. أ.د. قرقور حدة- كلية الحقوق – جامعة محمد بوضياف- المسيلة – الجمهورية الجزائرية.
٨. أ.د. مازن خلف ناصر. كلية القانون جامعة بغداد- الجمهورية العراقية.
٩. أ.م.د. رضا قجة- أستاذ مساعد بقسم علم الاجتماع – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجمهورية الجزائرية.
١٠. أ.م.د. آرام نامق توفيق – أستاذ مساعد – كلية العلوم – جامعة السليمانية - الجمهورية العراقية.
١١. أ.م.د. محمد عبدالفتاح زهري- رئيس قسم الدراسات الفندقية- كلية السياحة والفنادق – جامعة المنصورة- جمهورية مصر العربية.
- أ.م.د. هلال قاسم احمد المريسي- عميد الشؤون الأكاديمية – جامعة العلوم الحديثة – الجمهورية اليمنية.
١٢. أ.م.د. رشيدة الزاوي- استاذة التعليم العالي. المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين. الرباط. المملكة المغربية.
١٣. م. د. بلال داوود- أستاذ بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين – مدير المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث- المملكة المغربية.
١٤. م.د. صفاء محمد هادي هاشم- معاون عميد الشؤون الادارية والطلبة . كلية التقنية الادارية . الجمهورية العراقية.
١٧. د. محمد عبد السريحي- مستشار وعضو مؤسس لجمعية البيئة السعودية – المملكة العربية السعودية
١٥. م.د. محمد مولود امنكور. كلية العلوم الادارية والمالية والاقتصادية. الاكاديمية الامريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.
١٦. م.د. مروة ابراهيم زيد التميمي. كلية الكنوز. الجامعة الأهلية. الجمهورية العراقية.



كلمة سعادة البروفيسور الدكتور حاتم جاسم الحسون رئيس
تحرير مجلة الأكاديمية الأمريكية الرونية للعلوم الإنسانية
والاجتماعية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

يسهم النشر العلمي في تطور العلم والمعرفة ورفع مستوى الباحثين والقراء، وزيادة الثقافة من خلال الاطلاع على الأبحاث والدراسات المنشورة، ويساعد على عرض نتائجهم الفكرية وإبداعاتهم، بهدف تحويلها إلى مشاريع خلاقة، ونشر الدراسات والاكتشافات الجديدة التي تسهم في خدمة المجتمع، وتعمل على إصلاح المشكلات التي تعترضه.

ويحث على تنشيط الدراسات العلمية السابقة والتعريف بالتطورات التي طرأت عليها وتحديثاتها، وزيادة نطاق المعرفة والتعريف بالباحثين والمهتمين بالبحث العلمي من أنحاء العالم كافة، مما يحقق الانفتاح العلمي العالمي، وتعميق التفكير العلمي والخلق الإبداعي، ورفع كفاءة الأبحاث المدروسة، وفتح آفاق جديدة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، التي لا ينكر دورها في إعادة صياغة الأسس التي يقوم عليها بناء الدول والمجتمعات، وإعادة النظر في قضايا متعددة، وبناء قاعدة اجتماعية للتعرف على العلماء الأكاديميين، للإفادة من خبراتهم النظرية والتطبيقية في ميدان البحث العلمي.

إن صدور المجلة الأكاديمية الأمريكية الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جاءت لتحمل رؤية وتطلعات علماء هذا التخصص، ونأمل في أن تجد رسالتها آفاقها الدولية بين الأكاديميين والباحثين من مختلف دول العالم.

وهذه المناسبة أهنئكم بإصدار العدد الأول من مجلة الأكاديمية الأمريكية الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، إذ تسهم المجلة في المعرفة والتطوير وتحقيق الموثوقية من خلال ضمان جودة ونوعية الأبحاث ودقة المعلومات والبيانات، والالتزام بخصائص البحث العلمي وتتمثل بالموضوعية والمنهجية والقبالية على الإثبات والمنطقية والتعميم والقدرة التنبؤية على استشراف المستقبل، بما يضمن خدمة المجتمع ودعم النتاج الإنساني الفكري. وهي مجلة يشرف على إصدارها هيئة استشارية دولية من كبار أساتذة الجامعات العربية والعالمية، وتعنى بكل ما هو أصيل وجديد في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

إذ تخضع جميع الأبحاث والأعمال التي تنشر الى عملية التحكيم الدقيق من لدن لجنة من المحكمين المختصين الذين يتقدمون بقبول أو رفض النشر وفقا لمعايير النشر في المجلة وشروطها، والالتزام بالنزاهة والأمانة العلمية.

وإنني لأتقدم بالشكر للأستاذ الدكتور/ حسام الدين جاد الرب، مدير التحرير، على الجهود الكبيرة المضنية في سبيل إخراج العدد الأول، وكذلك شكري لجميع أعضاء هيئة التحرير و الاعضاء أجمعهم. ومن الله التوفيق

حوار مع الدكتور حاتم جاسم الحسون

قامت عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي في الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب أ.د. سندس عزيز الفارس بإجراء لقاء مع رئيس الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب أ.د. حاتم جاسم الحسون بمناسبة صدور العدد الأول، تحاوره بمناسبة هذا الحدث العلمي الذي يفتح آفاقا كبيرة لطلبة الدراسات العليا في الأكاديمية ولبقية الباحثين المنتشرين في أرجاء الوطن العربي. وبعد الترحيب به وتمنئته بإصدار العدد الأول توجهت إليه بالأسئلة الآتية :

١/ هل للمجلة تصنيف دولي؟

من المتعارف عليه عند إصدار المجلات العلمية أنها لا تحمل أي تصنيف دولي أو رقم تسلسلي. ويتم الحصول على هذه التصنيفات بعد إصدار العدد الأول أو الثاني، فمن شروط الحصول عليها هو صدور العدد الأول أو الثاني والبعض من هذه المنظمات المختصة يمنح التوثيق الدولي عند إصدار حتى العدد الثالث من أجل منح ذلك التصنيف. وإن شاء الله حال إصدار هذا العدد سنحصل على توثيق (ISSN) الذي يُعدّ من التوثيقات العالمية المهمة في مجال البحوث المنشورة فضلا عن الحصول على بعض التوثيقات العالمية المهمة.

س٢/ ما أهم عوامل رفض البحث؟

إذا ما راجعنا أسباب الرفض التي تتبعها (Scopus or ISI) للعديد من البحوث، نجد هنالك العديد من الأسباب وهنا سنستعرض أهم هذه الأسباب:

يكون البحث فاشلا من الناحية العملية والتقنية إذا أحتوى على ما يأتي :

1. يحتوي البحث على نسخ نصي وانتحال من بحوث اخرى، (Plagiarism) أو تم تقديم البحث لأكثر من مجلة في الوقت نفسه .
2. يحتوي البحث على نقص متعدد في محتوياته ، وأخطاء في العنوان ، أو في المصادر ، أو في جداوله
3. اللغة الانكليزية المستعملة في البحث غير جيدة وغير مناسبة للمجلة، إذ إن جميع المجلات الرصينة تطلب عمل التدقيق اللغوي المكثف للبحث قبل التقديم.
4. قلة المصادر وقدمها.
5. لا يتوافق البحث مع توجهات وأهداف المجلة.

٦. البحث غير مكتمل علمياً.

٧. البحث يحتوي على ملاحظات علمية غير مكتملة، أو قد نجد البحث يركز على الإيجابيات ويترك السلبيات في النتائج وهو ما يمثل (انحيازاً معرفياً ذاتياً)

وهناك الكثير من الأسباب الأخرى، التي لا يمكن أن نحصيها كلها هنا.

س٣/ ما خطوات النشر وإجراء اتكم بعد التقييم؟

بعد استلام البحث وملخصه من لدن الباحث عن طريق سكرتارية المجلة يتم إرساله إلى المحكمين كل بحسب تخصصه. وعند الانتهاء من تحكيمه يقوم المحكمون بإعادة البحث يرفق معه استمارة تقييم البحث والذي تدرج فيه ملاحظاتهم إما بالموافقة على النشر أو الموافقة على النشر بعد إجراء التعديلات عليه، وهناك نوعين من التعديلات إما شكلية أو جوهرية، وهنا يتم إعادة البحث إلى الباحث من أجل إجراء التعديل عليه ثم يقوم بإعادة الإرسال، وبدورنا نقوم بإعادة البحث إلى المحكمين أنفسهم من أجل التأكد من إجراء التعديلات التي تم ذكرها. وفي حالة إجراء ذلك يتم إرسال البحث إلى المدقق اللغوي للتأكد من سلامته لغوياً وبعدها تكون الخطوة الأخيرة وهي إعلام الباحث بقبول بحثه للنشر، من خلال إرسال اشعار القبول له.

س٤/ ما ميزات مجلتكم؟ وهل هناك تفاصيل أخرى؟

من أهم مميزات مجلتنا أنها صادرة من جهة أكاديمية دولية موثقة ومسجلة في ولاية ديلاوير الأمريكية وتحت رقم تسجيل دولي منشور في غلاف المجلة، هذا من جانب، والآخر أن المجلة تحتوي على أعضاء في جميع لجانها سواء العلمية أو الاستشارية ذو مؤهلات أكاديمية متقدمة ولهم باع طويل في مجال التحكيم منتقنين من جامعات حكومية وخاصة عربية لها سمعة جيدة في دولهم.

وفي الختام نهيى بجميع الباحثين المتخصصين في العلوم الإنسانية والاجتماعية لإرسال بحوثهم إلى المجلة من أجل نشرها، بسبب تمتع المجلة بالمكانة العلمية المرموقة بين المجالات الأخرى والتي انتشرت كثيراً في الوقت الحاضر ولا تنتهي إلى أي مؤسسة أكاديمية.

فهرس الموضوعات

- الكوارث الطبيعية و أثرها في التحقيب التاريخي حتى أواخر العصر الوسيط رؤية تاريخية جديدة
 د. إسماعيل حامد إسماعيل علي ١٢
- التدابير الوقائية الشرعية لمكافحة عدوى الأمراض الوبائية (كوفيد 19)
 د.أوان عبد الله محمود الفيضي ٣٠
- مدى تأثير جائحة كورونا وتدابير الاغلاق على عقود الإيجار-دراسة مقارنة
 إيناس مكي عبد نصار الجنابي ٤٥
- تأثير فيروس كورونا على الاقتصاد العالمي: الواقع والتحديات- حالة الدول العربية – ط.د.
 بوزانة أيمن / دة.حمدوش وفاء ٥٦
- التعليم الإلكتروني، نحو رؤية مستقبلية للمنظومة التربوية ما بعد كوفيد ١٩
 خالد الأنصاري ٧٥
- مستقبل الديمقراطية في عالم ما بعد كوفيد 19
 م. درائد حمدان عاجب المالكي ٨٩
- اثار الإغفال التشريعي على فعالية الادارة في مواجهة فيروس (كورونا)- دراسة في القانون العراقي
 د. سري حارث عبد الكريم الشاوي ١٠٣
- التعليم الالكتروني حل لمعالجة مشكلة اضطراب التعليم في ظل جائحة كورونا
 دة.سليمة ناصر حسين ١٢٤
- رؤية مستقبلية للتعلم المدمج لمرحلة ما بعد كورونا فايروس COVID-19
 د. سندس عزيزفارس الفارس ١٤٠
- تأثير كوفيد -١٩ على جودة خدمات التجارة الالكترونية
 د. سيداعمر زينب/ كوثر بكر اوي ١٥٧
- التعليم الالكتروني في ظل وباء (كورونا)- نماذج عربية مختارة
 لى كريم خضير/ الأستاذ الدكتور طه حميد حسن العنبيكي ١٦٥
- مستقبل تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في ضوء مستجدات كوفيد ١٩
 عبد الإله لخزاز ١٨٢
- الأوبئة والأمراض وأثارها على المجتمع الاندلسي (من عصر الطوائف وحتى سقوط سلطنة غرناطة
 ٤٢٢-٨٩٧هـ/١٠٣١-١٤٩٢م) أ. د. عبد الرحمن ابراهيم حمد الغنطوسي/ أ. د. برزان ميسر الحامد
 ١٩٧

- اطباء وطبيبات عصر الرسالة – دراسة تاريخية
 أ.م.د. غصون عبد صالح الزهيري ٢١٤
- ملاح النظام العالمي بعد انحسار جائحة كورونا
 أ.م.د. ماهر جاسب حاتم الفهد ٢٢٥
- جودة خدمات التعليم عن بعد المقدمة من الجامعات الفلسطينية في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩ -
 الجامعة الإسلامية نموذجاً- محمد حسن أبو رحمة/محمد عبد الكريم القطبي ٢٤٢
- المتغيرات الاقليمية والدولية في ظل الحرب على وباء كورونا
 م.د. هيفاء رشيد حسن خشان ٢٦٢
- شرعية الجزاءات الإدارية الجنائية المترتبة على مخالفة الحظر الصحي الوقائي في ظل وباء COVID -
 19 أ.م.د. مازن خلف ناصر ٢٩٥
- تحديد مهارات مدرسي الفيزياء في التعلم الإلكتروني خلال جائحة كورونا COVID-19
 نهلة عزيز فارس الفارس ٣١٩
- المسؤولية القانونية عن حوادث التعليم عن بعد في زمن جائحة كوفيد ١٩
 يونس الانصاري ٣٣٩
- CORONAVIRUS PANDEMIC: A NEW CHALLENGE TO THE FIELD OF EDUCATION**
DR. ALINE EL JURDI..... 348
- TEACHING THE PRAGMATIC PERCEPTION OF REQUEST FOR EFL STUDENTS AFTER**
CORONAVIRUS PANDEMIC LECT. MUTHANA MOHAMMED BADIE (M.A.)..... 357

الكوارث الطبيعية وأثرها في التحقيب التاريخي حتى آواخر العصر الوسيط رؤية تاريخية جديدة

د. إسماعيل حامد إسماعيل علي

باحث في التاريخ الوسيط

عضو هيئة التدريس بالمعهد العالي للسياحة والفنادق (القاهرة)

ملخص الورقة

ترصد هذه الورقة دور "الكوارث الطبيعية" مثل: الزلازل، والبراكين، والأوبئة، وكذلك الجفاف، والمجاعات... وغير ذلك في حركة التاريخ البشري، ومن ثم تأثيرها فيما يُعرف بين العلماء حديثاً بمصطلح "التحقيب التاريخي" وذلك حتى نهايات العصر الوسيط. وهو ما يعني أن بعض "الأحداث الطبيعية"، قد تغير بشكلٍ واضح مجرى الأحداث التاريخية، ولعل من ذلك أن بعض الظواهر قد تؤدي لاندثار بعض المدن أو اختفائها من الوجود، أو حتى الشعوب، وربما يؤدي بعضها إلى انخيار حضارات كبرى كانت مزدهرة، وغير ذلك من الأحداث التاريخية المهمة.

الكلمات المفتاحية: (الكوارث الطبيعية، التحقيب التاريخي، العصر الوسيط الزلازل، البراكين، الأوبئة، المجاعات.. الخ).

Abstract of the Paper

This Paper is dealing with the impact of the Natural Disasters such as Earthquakes, Volcanoes, Plagues, Drought, Famines..etc., on the History of the Man, therefor to show it influence on what is called Historical Periodization till the end of the Medieval Age. That would mean that some Natural Events could change the itinerary of Human History, so that some of these Events could vanish some Cities from existence, also hide some Peoples from the Historical Scene, on the same time some Natural Events could cause to put an end of some grand Civilizations...

Key Words; Natural Disasters, Historical Periodization, Medieval Age Earthquakes, Volcanoes, Drought, Famines ...

المقدمة:

تهدف الورقة لدراسة تأثير "الكوارث الطبيعية" على تاريخ الإنسان، ودورها في توجيه مسار الحدث التاريخي، ولاريب أن الأحداث المأساوية التي يمرُّ بها العالم الآن تستدعي من دارسي التاريخ ذوي الفطنة والحذق، نظرةً مُختلفة الأبعاد، تتماهى مع تقلبات الأحداث التي نعاصرها، بعد حقبة "كوفيد-١٩". ويمكن لتلك الرؤية التاريخية أن تُسهم بشكلٍ أو بآخر في خدمة باقي البقية من العلوم الإنسانية في ذات الآن، إذ إن تلك العلوم في حاجةٍ ماسةٍ لرؤية المؤرخين في خضم تلك المرحلة التاريخية الفاصلة. ومن المعلوم أن "الحدث التاريخي" يتكون من عناصر الزمان، والمكان، والرابطُ بينهما "الإنسان"، فهو صانعُ الحدث، ويشكل العامل المؤثر في مجريات الأحداث بصفةٍ عامة. غير أن "الطبيعة" قد يكون لها دورٌ لا يقلُّ أهميةً عنه، وربما تتفوق عليه أحياناً في صناعة أحداث ربما يقف الإنسان أمامها حائراً، بل وعاجزاً أحياناً أخرى. ولاريب أن بعض "الكوارث الطبيعية" كالزلازل، والبراكين، والأوبئة، والمجاعات.. الخ ربما تتسبب في إسقاط حضاراتٍ، أو إضعافٍ أخرى، أو أفول أمم كانت مُزدهرةً، ولم يكن مُتصوراً أن تختفي بين عشيةٍ وضحاها، وهو ما يُؤثر بالطبع في مسار "التحقيب التاريخي". فالعديد من الأحداث وقعت على هذا النحو بسبب كوارث الطبيعة، ولعل منها اختفاء شعب "الأطلانتس" بسبب أحد الزلازل، كما واختفى الكثير من تراث "البحر المتوسط" بسبب زلزال آخر، واختفت مدنٌ بسبب البراكين، وضعفت إمبراطوريات ودول بسبب الأوبئة والطواعين.. الخ. ولعل أهمية هذه الورقة ترجع لنوعية الفكرة التي تطرحها، ولقلة الدراسات التي تناولت دور "الكوارث الطبيعية" في مسار "الأحداث التاريخية"، ومن ثم أثرها فيما يُعرف بـ"التحقيب التاريخي".

أولاً- مفهوم التحقيب التاريخي ودلالته الاصطلاحية واللغوية:

تعد "الكوارث الطبيعية" من أبرز الأحداث التي قد تُؤثر في التاريخ الإنساني بشتى صورها، وأماطها، وتلك الأحداث الاستثنائية لها أثرها في سيورة "الحركة التاريخية"، وهو ما يُعرف بين الدارسين المحدثين بـ"التحقيب التاريخي". ومُصطلح "التحقيب" يُشير بصفة عامة لمحاولة تقسيم مراحل تاريخ الإنسان على هذه الأرض لـ"حقب" زمنية مُتعاقة، حقباً تلو الأخرى، وهو "تحقيب" قد يختلف بالطبع من مؤرخٍ لآخر، وكذا من منطقة إلى أخرى. ومن الناحية اللغوية: فإن جمع كلمة "حقب": "حقب"، و"الحقبة" يُعني بها "المرحلة" أو "الفترة" من الزمن. ويجدُر بنا أن نستخدم بعض طرائق علماء "الفيلولوجيا" لتفكيك بعض الألفاظ اللغوية والمصطلحات المرتبطة بتلك الفكرة التي نحن بصددنا لاسيما لفظ "التحقيب"، وهو مُشتق من الأصل اللغوي أو الجذر اللغوي: (حَقَب)، ومنه لفظ: "الحقْب"، ومفردها: "حُقبة" (بالضم وسكون القاف)، ويُقصد بها في الغالب فيما تذكر معاجم اللغة: "ثمانون" سنة، وقيل أيضاً: إن مدة الحقبة الزمنية قد تمتد لأكثر من ذلك^١. أما جمع "الحقبة" (بكسر الحاء): حَقَاب، والحَقَب: يُعني بها فيما يُقال: "السُنون"، و"الحُقْب" (أي باستخدام ضمتين): يُقصد بها "الدهر"، والجمع: "أحقاب"^٢. وتذكر بعض المعاجم أن ما يُطلق عليها "الحقبة من الدهر": هي مدة لا وقت لها، وقد قيل أيضاً في ذات الشأن إن الحقبة بالكسر يُقصد بها السنة، والجمع: حَقَب. وكل هذا يُشير إلى ثراء لغة الضاد بأصل لفظ "التحقيب"، وهو اللفظ الذي يُشكل محور هذه الورقة. وأما لفظ "التحقيب التاريخي"، وهو المصطلح الأهم في دراسة تلك الإشكالية، فمن المؤكد أنه مصطلحٌ يختلف من بلدٍ لآخر، لأن "الحقب التاريخية" في حياة أي من الشعوب، أو الأمم، بصفة عامة تختلف عن مثيلاتها لدى الأمم والشُعوب الأخرى، وعلى هذا فـ"التحقيب" يبدو متبايناً بين الشعوب، وهذا دون ريب في الإطار الإقليمي فيما يخص ما يُقال له "التاريخ المحلي" لأي بلدٍ من البلدان، فـ"التحقيب التاريخي" في مصر على سبيل المثال ليس كمثلها في بلاد العراق، رغم أن حضارتيهما كانتا الأعرق والأقدم عبر التاريخ. ورغم ذلك البون الواضح... فيما يُمكن أن يُطلق عليه "التحقيب المحلي"، يحاول العلماء وضع تحقيبٍ تاريخي جامع قدر الإمكان، يمكنه أن يجمع المراحل، أو "الحقب" التاريخية، لأكثر الشعوب في ذات الآن.

وعلى هذا نخلص لوجود نوعين رئيسيين من "التحقيب التاريخي"، أولهما: "التحقيب المحلي"، أو "التاريخ الإقليمي"، وهو ذلك "التحقيب" الذي يرتبط ببلدٍ من البلدان، وثانيهما: "التحقيب العالمي"، أو "التحقيب العام"، وهو الذي يرتبط ببلاد العالم كافة، أو أكثرها من ناحية أخرى. ويرى الباحث أنه رغم توافق أكثر الدارسين حول مُجمل "التحقيب التاريخي" لوجود الإنسان، وحضاراته على الأرض، وذلك على اختلاف إسهامات كل أمة من الأمم عبر العصور، ومن ثم اختلاف دورها، وكذلك تأثيرها الحضاري في التراث الإنساني. غير أن ذلك لم يمنع في ذات الوقت من ظهور بعض الرؤى والفرضيات المتباينة تجاه ذلك "التحقيب العام" الذي قد يميل إليه أكثر المتخصصين، والباحثين، وهو أمرٌ يتفق على أية حال مع طبيعة "علم التاريخ" **History** بصفة خاصة، وكذا

١ للمزيد عن مصطلح "حقب" و"الحقب" في المعاجم اللغوية (مادة حقب)، انظر أوبكر الرازي: مختار الصحاح، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٢٥م، ص١٤٦، وللمزيد انظر أيضاً ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤م، ص١٧٤.

٢ علم الفيلولوجيا: هو مصطلح غربي مشتق في الأصل من لفظي (فيلو- لوجو)، ويشير هذا المصطلح إلى ما يعرف بـ"علم اللغة"، أو ما يُعرف بـ"فقه اللغة" (وللمزيد عن ذات المصطلح، ومودولاته، انظر أحمد السعيد: الفيلولوجيا.. من فقه اللغة إلى تحقيقي التراث، مجلة الفيصل، عدد ٤، سبتمبر ٢٠١٨م).

٣ الرازي: مختار الصحاح، ص١٤٦.

٤ المصدر نفسه، ص١٤٦.

٥ ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص١٧٤.

باقي "العلوم الإنسانية" **Human Sciences** بصفة عامة^١، إذ من المعلوم أن الحقيقة تبدو نسبية في دراسة العلوم الإنسانية، ولا تبدو فيها ما يمكن أن يُقال له "الحقيقة المطلقة" على غرار العلوم الطبيعية.

ثانياً- أثر الكوارث الطبيعية في التحقيب التاريخي حتى القرن ٤م:

شهد تاريخ الإنسان على الأرض، وبمرور الحقب المتعاقبة العديد من الأحداث، أو بمعنى أدق "الكوارث الطبيعية" التي أصابت الأرض، وقاطنيها، ومن ثم أثرت بشكلٍ فاعل في حياة الإنسان، وغيرت من طرق معيشتهم ومن البيئة التي يسكن فيها، وقد اختلف تأثير كلٍ منها حسب قوة الكارثة الطبيعية، وكذلك امتداد أثرها الجغرافي، والزمني. ومن أفضل ما قيل حول أثر "الكوارث الطبيعية" في حياة الإنسان، يقول البروفيسور "مانفريد كلاوس": "تلعب الكوارث الطبيعية دوراً ذي خصوصية في خضم ذاكرة البشر.. والانطباع المؤثر عن هذه الكوارث فيما مضى أكثر عمقاً، حيث لم تكن هناك تفسيرات علمية في متناول اليد، بل كانت أية ظاهرة طبيعية تخرج عن مسارها الطبيعي، تُفسر على أنها هجوم من الآلهة..^٢. ولعل هذا يُشير بشكلٍ واضح لطغيان ما يُعرف بـ"التفسير الديني"، أو "اللاهوتي" (الكهنوتي)، لحدوث "الكوارث الطبيعية" في الماضي، وهو أمرٌ معروف لا يمكن إنكاره. وعلى أية حال كان لبعض الكوارث تأثيرٌ كبير على مجريات الأحداث، ولعب بعضها دوراً فيما يُعرف بـ"التحقيب التاريخي"، وكذلك "التحقيب الجيولوجي"^٣ لاسيما إبان العصور الغابرة، وذلك من خلال تأثير "الكارثة الطبيعية" الفاعل على أي من الأمم أو الشعوب، وكذا مدى تأثيرها على الحضارات الأخرى التي كانت معاصرة لوقوعها. ومن المعلوم أن "التحقيب الجيولوجي" أقدم من زمنياً من "التحقيب التاريخي"، لأن "التحقيب الأول" يرتبط بالأحداث الجيولوجية المبكرة من عمر الأرض، وتشكيلها الجيولوجي، وكان ذلك بالطبع منذ حقب زمنية بعيدة جداً قبل أن يعيش الإنسان على هذه الأرض، أما "التحقيب التاريخي" فإنه مرتبطٌ بالإنسان، وتاريخه، والأحداث التي قام بها. ويرى البعض أن "الظواهر الطبيعية" كالزلازل والبراكين، وكذلك السيول، والفيضانات.. الخ، وغيرها إذا

^١ من المهم في هذا الصدد تعريف معنى كلمة أو مصطلح "التاريخ"، حيث يذكر البعض أنه يعني في رأي البعض اللغة: "الإعلام بالوقت وقال آخرون: "التاريخ تعريف الوقت والتورخ، ويقال: أرخت، وورخت (انظر السخاوي: الإعلام بالتورخ لمن ذم التاريخ، ص٦). وفي ذات الشأن يشير اللغوي العربي المعروف "الأصمعي" إلى دلالة ومفهوم لفظ التاريخ: "فقال بنو تميم: يقولون ورخت الكتاب تورخاً، وقيس تقول: أرخته تاريخاً..". (السخاوي: المصدر السابق، ص٦).

^٢ مانفريد كلاوس: الإسكندرية أعظم عواصم العالم القديم، ترجمة: أشرف نادي محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٢٩٨-٢٩٩.

^٣ التحقيب الجيولوجي: يُقصد بهذا المصطلح تقسيم الحياة على الأرض عبر تاريخها الجيولوجي إلى مراحل، وما ارتبط بها من تغيرات جيولوجية وقعت، وساهمت في تغير شكل الأرض عبر التاريخ (وللمزيد عن ذلك، انظر ياسين صالح كريم: الجيولوجيا التاريخية، طبعة جامعة تكريت، د.ت، ص٢-٣).



خريطة توضح كيف كانت قارة جندوانا القديمة قبل انفصال آسيا وأفريقيا

انظر كولين ماكيدي: أطلس التاريخ الأفريقي، ص ١٦.

تسببت في وقوع ضحايا من البشر، فإنها بذلك قد تحولت من مجرد "ظاهرة طبيعية" إلى "كارثة" طبيعية وذلك بسبب تأثيرها المدمر على الإنسان، وتهديدها لحياته. ولاريب أنه امتد تأثير بعض "الكوارث الطبيعية" فيما يُعرف بـ"التحقيب الجيولوجي" ذاته، وما يرتبط بـ"الحقب الجيولوجية" التي مرت بها الأرض خلال تكوينها المبكر عبر ملايين السنين^١. وعلى أية حال فقد أثرت بعض "الأحداث الجيولوجية" في التحقيب الخاص بالأرض قبل وجود الإنسان، أي أننا نتحدث عن حقب زمنية بعيدة جداً، ربما تبلغ عشرات الملايين من السنين الغابرة. ولعل من بين ذلك حدوث ما يُعرف بـ"الانشقاق الكبير" في "القارة الأم" القديمة المعروفة بقارة "جندوانا"، أو "جندوانا". وهذا الانشقاق الجيولوجي القديم كان عبارة عن حدوث شق طبيعي في الأرض، وهو ما تسبب في انفصال قارتي آسيا وأفريقيا عن بعضهما البعض، ويقال إن ذلك الانشقاق كان قد وقع منذ قرابة أربعين مليون سنة. إذ كانت هاتان القارتان قبل ذلك الزمن تُشكلان كتلة واحدة، وقد أدى ذلك الانشقاق لظهور "البحر الأحمر"، حيث لم يكن يوجد سوى "البحر المتوسط" القديم، وهو المعروف باسم: "بحر تيثيس"^٢. أما هذا الانشقاق، وما نتج عنه من تداعيات، وامتداده جغرافياً صوب الشمال، وبلوغ تأثيره الجغرافي حتى بلاد الشام، وهو ما يُعرف بـ"الأخدود الأفريقي" **African Rift**. وفي ذات الشأن يُشير بعضُ الدارسين المحدثين

^١ ياسين صالح كريم: الجيولوجية التاريخية، ص ٣.

^٢ بحر تيثيس: هو الاسم القديم للبحر المتوسط منذ أقدم العصور الجيولوجية، وقبل ظهور البحر الأحمر. واسم تيثيس يوناني الأصل، وهو في الغالب يقصد بما إحدى المعبودات اليونانية القديمة، وهي التي تذكرها بعض المصادر اليونانية باسم: "الأم تيثيس"، يقول المؤرخ اليوناني المعروف "ديودور الصقلي" (وهو الذي عاش خلال القرن الأول الميلادي): "أوقيانوس مصدر الآلهة مع الأم تيثيس، ذلك لأن المصريين يعتقدون أن أوقيانوس هو نحر النيل عندهم، وأن الآلهة نشأت على حافته، ومصر هي البلد الوحيد في العالم كله الذي توجد فيه مدن كثيرة أنشأها الآلهة القدماء..". (انظر، ديودور: ديودور الصقلي في مصر، ترجمة من اليونانية: وهيب كامل، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٣٥).

لفكرة الربط بين انهيار بعض الحضارات من جانب، ووقوع "الكوارث الطبيعية" الكبرى من جانب آخر، أو ما يُطلق عليه البعض "فقدان شعوب تلك الحضارات السيطرة على بيئتها المادية".^١

ويرى الباحث أن فقدان السيطرة على "البيئة المادية" يُشير بوضوح لوقوع "الكوارث الطبيعية" التي قد تُصيب بعض الشعوب منذ القدم، وربما يكون بعض تلك "الكوارث" في حدتها خارجةً عن سيطرة الإنسان، لدرجة أنه لم يستطع التعامل معها. وكان من أبرز "الكوارث الطبيعية" التي حدثت خلال "الحقب الجيولوجية" القديمة تلك التي تسببت في اختفاء "الديناصورات" **Dinosaurs**^٢ من على الأرض، ويُطلق البعض على ذلك "العصر العتيق" الذي اندثرت فيه "الديناصورات" تسمية عصر "الحنة والفناء"^٣. وتُصنف "الديناصورات" بأنها من مجموعة "الزواحف" القديمة التي عاشت على الأرض مدةً تقارب "١٤٠" مليون سنة^٤. وقد عاشت "الديناصورات" خلال العصور الجيولوجية السحيقة، وتحديدًا منذ حقبة "العصر الترياسي" المتأخر **Late Triassic Period**، وحتى أواخر "العصر الكريتاسي" **Cretaceous Period**، وكان يعيش على الأرض آنذاك فيما يقال أكثر من ٨٠٠ نوعاً منها^٥. وعلى أية حال فقد اندثرت "الديناصورات"، واختفت من على الأرض منذ قرابة ٦٤ مليون سنة^٦.

ولارباب أن ذلك وقع بسبب إحدى "الكوارث الطبيعية"، ويُرجح البعض سبب ذلك على وجه التحديد لوقوع بعض التغيرات والانقلابات المناخية الهائلة التي أدت بدورها لإبادة أكثر الزواحف التي كانت تعيش على الأرض في ذلك الوقت، وكان من أبرزها "الديناصورات"^٧. بينما يذهب آخرون إلى أن اختفاء "الديناصورات" كان بسبب سقوط قذائف من السماء على الأرض، ويُقصد بها أنواع من الشهب والنيازك، وكانت فيما يقال هائلة الحجم، ومن ثم تسبب في حدوث ارتفاعات كبيرة في درجات الحرارة بسبب ارتطامها الشديد بالأرض، ثم احتراقها على أديم الأرض، وهو ما تسبب في هلاك "الديناصورات"^٨. ولارباب أن اختفاء "الديناصورات" يُعد من الأحداث الكبرى في تاريخ الحياة على الأرض، وهو ما يُعرف بـ"التحقيب الجيولوجي" قبل وجود الإنسان على الأرض بملايين السنين.

وفي ذات الشأن كان من الأحداث المهمة إبان العصور القديمة، ربما منذ بضع آلاف من السنين قبل الميلاد ما يذكره البعض عن اندثار "قارة الأطلانتس" (ويكتب الاسم أيضاً: "أطلنتيس") **Atlantis**^٩، ومن ثم اختفاء الشعب الذي سكن تلك البلاد، وكان يحمل ذات الاسم، وكذلك اندثار الحضارة التي أقامها هذا الشعب. وكان الكهنة المصريون بمعبد "سايس" بالدلتا هم أول من تحدثوا عن شعب "الأطلانتس"، ثم تحدث العالم الإغريقي "صولون" (سولون) **Solon** (ت: ٥٦٠ ق.م) عن قصة اختفاء هذا الشعب الغامض، ويذكر "صولون" أنه سمع تلك القصة من الكهان المصريين خلال إقامته بمصر، ثم نقل "صولون" قصة هذا الشعب بعد ذلك إلى بلاد اليونان، ثم تحدث عن ذات القصة بعد "صولون" بحوالي قرنين الفيلسوف اليوناني "أفلاطون" **Plato** (ت: ٣٤٧

^١ أرنولد توينبي: مختصر دراسة للتاريخ، ج١، ترجمة: فؤاد محمد شبل، مراجعة: شفيق محمد غربال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥م، ص٤٢٨.

^٢ الديناصورات: للمزيد عن الديناصورات، وأصلها، وخصائصها، انظر جي. إتش. ويلز: معالم تاريخ الإنسانية، ج١، ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٨م، ص٤٩-٤٧.

^٣ ويلز: معالم تاريخ البشرية، ج١، ص٤٩.

^٤ The Cambridge Paperback Encyclopedia, Edited by: David Crystal, Cambridge University Press, 2000, P. 253.

^٥ Ibid, P. 25

^٦ Ibid, P. 253.

^٧ ويلز: معالم تاريخ البشرية، ج١، ص٥١.

^٨ المرجع نفسه، ص٥١.

^٩ للمزيد عن شعب الأطلنتس (أطلانتيس)، واصله، انظر ويلز: معالم تاريخ الإنسانية، ص١٧٨-١٧٩.

ق.م).^١ ويعتقد البعض أن شعب "الأطلانتيس" كان ذا مدنية متقدمة منذ أكثر من ٣٠٠٠ عام، أو أكثر، وكانوا يسكنون فيما يقال في منطقة ما تقع بـ"البحر الأطلنطي"، ويشير البعض إلى أن هذا الشعب ربما عاش في منطقة ليست بعيدة عن مضيق "جبل طارق"، وحسب بعض الروايات التاريخية اشتهرت بلاد "الأطلانتس" بحداثتها المعروفة باسم: "حداثق هيسبرديس"^٢. بينما يصف البعض من جانب آخر حضارة "الأطلانتس" بأنها أقرب إلى "الأسطورة" أكثر من كونها قصة شعب حقيقي عاش على الأرض، وعلى هذا يُطلق البعض على تلك البلاد اسم: "القارة المفقودة"، أو "أطلانتس المفقودة"^٣. وعلى أية حال لاتزال قصة شعب "الأطلانتس"، وحضارته، يحيط بها من الغموض حتى يومنا.

ومن جانب آخر أدت أنماط من "الكوارث الطبيعية"، لاسيما ما يرتبط بوقوع "الجفاف" و"المجاعات" وما شابه من الأحداث الطبيعية لهجرات بشرية واسعة من بعض المناطق إلى أقاليم أخرى أكثر استقرارًا، وهو ما ساهم في إحداث "تحقيب تاريخي" جديد، ولعل منها على سبيل المثال تلك التغيرات المناخية الشديدة التي وقعت في نطاق "الصحراء الكبرى" منذ آلاف السنين، وهو ما أدى لنزوح أعداد كبيرة من السكان^٤. ويُحدد البعض الحقبة التي حدثت فيها تلك الهجرات البشرية لما قبل القرن "العاشر" قبل الميلاد^٥. وأدت تلك الموجة من الجفاف، وربما المجاعات، لهجرات عددٍ من القبائل والبطون البربرية من شمال أفريقيا صوب الشرق وتحديدًا إلى أرض مصر، ثم استقرت تلك الجماعات في بعض الأقاليم غرب مصر. وقد برزت من بين تلك الجماعات "أسرة بربرية" خرج منها شخصٌ نال أهمية كبيرة في التاريخ، وهو الملك "ششنق الأول" (Shoshenq) (٩٤٥-٩٢٥ ق.م)^٦، ويكتب البعض اسمه: "شاشانق"^٧، وهو الذي ارتقى عرش مصر في حوالي منتصف القرن ١٠ ق.م، ومن ثم أسس "أسرة ملكية" جديدة، ولكنها

Oliver D. Smith: The Atlantis Story an Authentic Oral Tradition, Shima Journal, Vol. 10. No. 2, 2016, PP. 8-9.

Tom Gravey: Plato's Atlantis Story, A prose Hymn to Athena, Greek, Roman & Byzantine Studies, No. 48, 2008, P. 382.

^٢ ويلز: معالم تاريخ الإنسانية، ص ١٧٨. ومن الواضح أن اسم هيسبرديس يغلب عليه الأصل اليوناني، ويتضح فيه لفظ براديس (أو برديس) التي تعني الجنة في أكثر اللغات الأوروبية.

^٣ المرجع نفسه، ص ١٧٨.

^٤ ترجع التغيرات المناخية التي حدثت في نطاق "الصحراء الكبرى" لحقب عديدة لما قبل القرن ١٠ ق.م، وكذلك خلال القرن ٧ ق.م وكذلك بعده، وقد أدت بدورها للعديد من الهجرات البشرية من هذه المنطقة، وللمزيد عن ذلك الأمر تفصيلاً، انظر رولاند أوليفر: موجز تاريخ إفريقية، ترجمة: دولت أحمد صادق، سلسلة دراسات إفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٢٦، وانظر أيضاً جرابية محمد رشدي: الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتورة (قسنطينة)، الجزائر، ٢٠٠٨م، ص ٣٠.

^٥ Toby Wilkinson: Dictionary of Ancient Egypt, Thames & Hudson World of Art, London, 2005, P. 228.

^٦ ششنق: ملكٌ من أصولٍ بربرية، وتحديدًا من قبائل "الماشواش" القديمة فيما يقال، وتذكر إحدى اللوحات الأثرية التي أقامها أحد الكهنة في أهناسيا بصعيد مصر الأوسط، ثم وضعت في "السيرايوم" أن "ششنق الأول" كان من أسرة ليبية استقرت وقتاً ما في إحدى الواحات بصحراء مصر الغربية، ويرجح البعض أنها الواحات البحرية. ثم رحلت هذه الأسرة إلى أهناسيا، واستقرت بها منذ ستة أجيال، وهي تنحدر في الأصل لشخص اسمه: "بويو-واوا"، وقيل: كان اسمه: "بيواوا" Buyuwawa (فيما يذكر برستد) وكان معاصراً لآخر "عصر الرعامسة" (الأسرة العشرين)، وكانت هذه "العائلة البربرية" قد بدأت تمصرها في منطقة الواحات، وتأثروا بالعقائد المصرية آنذاك، ولهذا صار موسن بن بوبواوا كاهنًا لمعبود أهناسيا (حري شف)، ثم زاد ثراء هذه الأسرة، وزاد نفوذها بمرور الوقت. ثم صار ابنه ششنق رئيس الحامية الليبية في المنطقة، وجمع في يده السلطتين الدينية والحربية، ثم خلفه ابن نمرون ثم جاء ششنق المعروف الذي كان طموحًا، ومد نفوذه في الدلتان وجعل تل بسطة مركزاً له، وصار قائداً للجيش. ولم يبق ششنق بثورة ضد الملك بسوسنس، بل انتظر حتى مات الملك، وأحسن الملك ششنق الأول لعائلة الملك السابق، كما أنه زوج ابنه أوسركون من ابنة الملك السابق "بسوسنس" (للمزيد، انظر ج. ه. برستد: فجر الضمير، ص ٣٥٦-٣٥٧، انظر كذلك أحمد فخري: مصر الفرعونية، ص ٤١٦-٤١٧).

^٧ أحمد فخري: مصر الفرعونية، ص ٤١٧.

كانت من أصول "غير مصرية"، وهي الأسرة "الثانية والعشرون". ويرى البعض أن الملك "ششلق الأول" كان في الأصل من قبائل "المشواش البربرية، وقيل أيضًا إن أجداده الأوائل كانوا من قبائل "التحنو"، ومن المعلوم أنهم من قبائل البربر القدامى، وكانوا من قاطني شمال أفريقيا في الأصل. وكان جد "ششلق" يُدعى بذات الاسم، وكان يلقب بـ"رئيس المشواش العظيم"^٢. ولعل هذا يُشير لوجود هجرات كبيرة من بطون "البربر" آنذاك، ولهذا فمن المعتقد أن أعدادهم كانت كبيرة، وكان لهذه الجماعات رئيس يتولى أمرهم. وصار "ششلق الأول" قائدًا للجيش المصري خلال حكم الملك "بسوسنس"، ثم ارتقى "ششلق" عرش مصر من بعده، وجدير بالذكر أن البعض يُطلق على هذه الأسرة اسم "الأسرة الليبية"^٣. وعلى أية حال يُعتبر ذلك الحدث بداية مرحلة "تحقيب تاريخي" مهمة في تاريخ مصر القديمة، وقد نتج ذلك التحقيب التاريخي الجديد بسبب التغيرات الطبيعية والمناخية التي حدثت في شمال أفريقيا، والتي أدت بدورها لهجرات بشرية من جانب جماعات من البربر صوب الغرب، ثم صار أحد هؤلاء من الأجيال اللاحقة ملوكًا على مصر، وهو ما يؤكد ذات الفكرة التي تقوم على أن أحداث الطبيعة لها تأثير كبير في تاريخ الإنسان، وظهور تحقيقات تاريخية جديدة. وكان من بين الأحداث الأخرى الغامضة إبان العصور القديمة التي وقعت بسبب "الكوارث الطبيعية"، ما تذكره بعض المصادر عن اختفاء جيش الملك الفارسي "قمبيز" (٥٣٠-٥٢٢ ق.م)، أو هلاك هذا الجيش في صحراء مصر الغربية حوالي سنة ٥٢٥ ق.م، ومن الراجح أن ذلك كان بسبب هبوب رياحٍ عاتية على الجنود الفرس، ومن ثم أهلكتهم هذه الرياح^٤. ويُشير البعض إلى أن "قمبيز" لما استولى على مصر أراد أن يهدم "معبد أمون" في واحة سيوة المعروف بـ"معبد الوحي"، وكانت له شهرة واسعة في العالم القديم، لأنه علم أن كهنة أمون زعموا بأن مصيره سوف يكون الهلاك، ومن ثم أراد أن ينتقم منهم، وأن يثبت أن نبؤاتهم ليست حقيقية^٥. ثم أرسل "قمبيز" جيشًا كبيرًا من طيبة (الأقصر حاليًا) غربًا عبر الصحراء، ثم وصل الجنود الفرس إلى "الواحات الخارجة" بعد ٧ أيام منذ بدء مسيرهم، ثم اتجهوا بعد ذلك نحو طريق "واحة سيوة"، ويُعتقد أن هذا الجيش هلك كله قبل أن يصل "سيوة" بسبب العواصف والرياح الرملية الشديدة قادمةً من غرب الصحراء. وقد أهلكت هذه العواصف الجنود الفرس عن بكرتهم، ولم ينته الأمر عند ذلك، إذ إن الرياح من شدتها طمرت هؤلاء الجنود تحت الرمال، ولم يعد لهم أثر بعد ذلك^٦. ويذكر "هيرودوت" Herodotus (عاش حوالي سنة ٤٤٥ ق.م) في روايته أن قوام الجيش الفارسي الذي هلك في الصحراء كان يبلغ حوالي ٥٠ ألف جندي^٧.

وعن هلاك تلك الحملة بواسطة إحدى "الكوارث الطبيعية"، يقول "هيرودوت": "هناك على أية حال قصةٌ يحكيها الأيونيون (سكان واحة سيوة)، وغيرهم ممن سمعوا منهم، فحواها أنه بعد أن ترك الرجال (أي الجنود الفرس) الواحة، وبينما كانوا يتناولون طعام الغداء، هبت ريح جنوبية بالغة العنف، فأهالت الرمال أكوامًا عليهم، وهكذا هلكوا إلى الأبد..."^٨. ويرى البعض أن سبب هلاك هذا

^١ وللمزيد عن أجداد "ششلق الأول"، انظر برستد: فجر الضمير، ص ٣٥٦. ويرى برستد أن هذه الأسرة ذات الأصل البربري صار لها نفوذ كبير في الدلتا أيام الأسرة ٢١، وكانت لهم كلمة مسموعة مع ملوك هذه الأسرة. وعن ارتقاء ششلق العرش، يقول برستد: "وفي عام ٩٤٥ ق.م تمكن رئيس هذه الأسرة من الاستيلاء على عرش مصر، والترع فيه بمدينة تل بسطة شرق الدلتا. ويعتبر هذا التغير الملكي إما نتيجة ضعف آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين، وإما نتيجة وفاته، وانقراض ذريته...". (برستد: فجر الضمير، ص ٣٥٦).

^٢ ج. ه. برستد: المرجع السابق، ص ٣٥٦.

^٣ Toby Wilkinson: Dictionary of Ancient Egypt, P. 228.

^٤ وللمزيد عن الملك قمبيز، انظر ول ديورانت: قصة الحضارة، المجلد الأول (٢/١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ٤٠٥. وانظر أيضًا عن هذه الحملة، أحمد فخري: واحات مصر، ج ١ (واحة سيوة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ١١٠.

^٥ أحمد فخري: مصر الفرعونية، ص ٤٥٩.

^٦ المرجع نفسه، ص ٤٥٩.

^٧ أحمد فخري: واحات مصر، ص ١١٠.

^٨ هيرودوت يتحدث عن مصر: ص ٥٥، وانظر أيضًا أحمد فخري: واحات مصر، ص ١١٠.

الجيش، وخسائر قميبيز الأخرى جعلت ملك فارس يُصاب بالجنون، ويقال إنه مات منتحراً بعد ذلك^١. بينما يذكر "هيروdot" أن "قمبيز" كان قد أُصيب بلوثة وجنون شديد بسبب هلال جيشه في الصحراء الكبرى، وأنه مات وهو في طريق العودة من مصر إلى بلاد فارس^٢، هكذا كان تأثير "الكوارث الطبيعية" في تاريخ الإنسان، وحدثت حركة تحقيب تاريخي جديدة، ولاسيما بعد تسببها في خروج الفرس من مصر.

ومن بين الأحداث الأخرى التي كان للطبيعة وظواهرها تأثيرٌ فيها أنه في حوالي سنة ٢٢٤ ق.م وقع زلزالٌ عنيف في بعض المناطق بالبحر المتوسط، وتحديدًا بالقرب من "جزيرة رودس" **Rhodes**، وهي واحدة من الجزر اليونانية^٣. وقد أدى هذا الزلزال إلى تدمير "عملاق رودس" **Colossus of Rhodes** المعروف الذي كان قد أُقيم خلال الفترة (٣٠٠-٢٨٠ ق.م)^٤. وكان هذا التمثال الضخم أحد عجائب العالم القديم، وكان ارتفاعه حوالي ١٠٠ قدم، أو ما يعادل ٣٠م^٥. وكان هذا التمثال الضخم يقف عند مدخل ميناء جزيرة "رودس"، وكان يصور "أبوللو" (أو هليوس)، وهو معبود الشمس عند الإغريق، وكان قد صممه فنانٌ يدعى "كاريس" **Chares**، وعلى أية حال لم يبق هذا التمثال سوى قرابة ٥٠ سنة في موضعه، ثم سقط بعد ذلك بسبب هذا الزلزال^٦. وعلى هذا فقد صار هذا الأثر الذي كان من العجائب في زمانه أثرًا بعد عين بسبب إحدى "الكوارث الطبيعية" التي تسببت في تدميره.

وفي ذات الصدد وخلال حقبة القرن الميلادي الأول اختفت إحدى المدن الإيطالية، واسمها "بومبي" **Pompeii**، وكان ذلك الاختفاء المفاجيء بسبب إحدى "الكوارث الطبيعية" والتي كانت نادرًا ما يكون لها تأثير في مجرى الأحداث التاريخية، ولعل ذلك بسبب قلة ما ورد عن تأثير هذه الظاهرة الطبيعية في ثنايا المصادر، وهي "البركان" **Volcano**. وتقع مدينة "بومبي" في مواجهة "خليج نابولي" **Bay of Naples**، وكانت المدينة مكانًا للترفيه في تلك البلاد، غير أنه في أغسطس سنة ٧٩م، نشط بركان "فيزوف" **Volcano Vesuvius** القريب من تلك المدينة، وكان بركانًا خامدًا لمدة من الزمن، وفجأة نشط البركان، وكانت ثورته عنيفة، فألقى بـ"اللافا" على السكان القاطنين في المناطق القريبة له^٧. واستمر نشاط "بركان فيزوف" قرابة يومين، وكان نشاطه بمثابة كارثة لا يمكن تصورها على سكان المناطق القريبة منه لاسيما مدينة بومبي، وهو ما أدى لاختفاء المدينة بالكامل بسبب تلك الكارثة^٨. وتم الكشف عن تلك المدينة المفقودة التي طواها النسيان سنة ١٧١٠م، ولما رفعت أنقاض البركان، وعوادم الزمن، ظهرت مدينة "بومبي" كما كانت في زمانها منذ حوالي ١٩ قرنًا مرت على اختفاء هذه المدينة تحت بقايا بركان "فيزوف"^٩. ولعل هذا الحدث المهم يؤكد ذات الفكرة التي نطرحها، وهي أن "الكوارث الطبيعية" قد تكون حاسمة في حركة "التحقيب التاريخي"، وفي مسارها،

^١ ول ديورانت: قصة الحضارة، المجلد الأول (٢/١)، ص ٤٠٦.

^٢ هيروdot يتحدث عن مصر: ص ٥٥.

^٣ Lynne Sable & Philip Steele: 1000 Great Events, Hamlyn Publishing Group, London, 1977, P. 33.

^٤ Ibid, P. 33.

^٥ ليونارد كوتريل (وآخرون): الموسوعة الأثرية العالمية، ترجمة: محمد عبدالقادر محمد، وزكي اسكندر، مراجعة: عبدالمنعم أبوبكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٧م، ص ٢٩٣.

^٦ Lynne Sable & Philip Steele: 1000 Great Events, PP.33.

^٧ Ibid, P. 51-52.

^٨ Ibid, P. 51.

^٩ Ibid, P. 51.

لاسيما من خلال دور تلك الكوارث في اختفاء بعض المدن، أو الحضارات، أو حتى اندثار بعض الشعوب القديمة، وعلى هذا صارت "بومبي" في طي النسيان، وأضحى مدينة مفقودة مدة طويلة، حتى تم الكشف عنها منذ أقل من عقدين من الزمان.

ثالثاً- أثر الكوارث الطبيعية في التحقيب منذ القرن ٤م حتى آواخر العصر الوسيط:

تنوعت أنماط "الكوارث الطبيعية"، وأشكالها، ومدى تأثيرها على النطاق الإقليمي الذي وقعت فيه خلال حقبة القرون الأولى للميلاد، وما بعدها حتى نهاية "العصر الوسيط"، أي حوالي القرن ١٥م. وقد تباينت أشكال تلك الكوارث ما بين الزلازل، والطواعين، والأوبئة، وكذلك وقوع الجفاف، والمجاعات، وكان لكل منها أسباب تختلف عن الأخرى. ومن أهم الأحداث خلال تلك المرحلة اختفاء الكثير من معالم "حضارة كريت" القديمة بسبب أحد الزلازل الذي وقع إبان القرن الرابع الميلادي (حوالي سنة ٦٥م)، وهو ذات الزلزال الشهير الذي تسبب أيضاً في اختفاء أجزاء كبيرة من تراث البحر المتوسط، وأدى لاندثار بعض المدن، أو أجزاء منها^١. ونظراً لشدة وقوة هذا الزلزال يصفه بعض المؤرخين بأنه "تسونامي كريت"^٢. كما يطلق عليه "مانفريد كلاوس" بأنه "تسونامي سنة ٣٦٥م"، وعن ذلك يقول: "ويعتقد العلماء أن تسونامي عام ٣٦٥م يرجع إلى زلزال مدمر للغاية بالقرب من شواطئ كريت، لدرجة أنه جعل قاع البحر يرتفع عند الشواطئ المصرية، ويتحول إلى أرض زادت عليها طبيعة الدلتا المتغيرة..."^٣. وفيما يعتقد أنه كان من أبرز تأثيرات هذا الزلزال أيضاً اختفاء أجزاء كبيرة من مدينة "الاسكندرية" القديمة تحت مياه البحر المتوسط، ويصف "مانفريد كلاوس" تأثير هذا الزلزال على مدينة الإسكندرية بأنه بمثابة "يوم الفرع" على سكان هذه المدينة العتيقة ذات التاريخ^٤. وكانت تلك المنطقة المعروفة بـ "حي هيراكليون" من الأحياء القديمة بالإسكندرية، وقد عثرت عليه إحدى البعثات منذ نحو عقدين بقيادة عالم الآثار الفرنسي "جان إيف أمبرور"^٥. وتم رفع بعض الآثار من قاع البحر، غير أنه بقيت أكثر الآثار مُتناثرة في قاع البحر نظراً لضخامة بعضها، وصعوبة رفعها. وحتى الآن لاتزال كتل منارة الإسكندرية التي سقطت أجزاء كبيرة منها في البحر بسبب زلازل وقع بالإسكندرية في القرن ١٤م، ثم بنيت على أنقاضها "قلعة قايتباي"^٦. ويصف أحد المؤرخين القدامى ما وقع من تأثيرات مدمرة بسبب هذا "التسونامي": "إن الأمواج العاتية حطمت مدناً كثيرة في فلسطين، وفي كل ليبيا، وكل مدن صقلية تحولت إلى حطام، كما حطمت الأمواج كل جزر اليونان ما عدا جزيرة نيكايا..."^٧. وهذا يؤكد أن الزلازل قد يكون لها تأثير كبير في الأحداث التاريخية، ومن ثم في حركة التحقيب في مناطق البحر المتوسط، وغيرها.

١ Vera verner: Traces of the Late Bronze Age Santorini and AD 365 Tsunami events in the Sedimentary Record of Crete, Reconstruction of the regional Tectonic geomorphology, mainz, 2019, P.1-2.

٢ Ibid, P.1-2.

٣ مانفريد كلاوس: الإسكندرية أعظم عواصم العالم القديم، ص ٣٠٠.

٤ المرجع نفسه، ص ٢٩٨.

٥ وعن إعادة اكتشاف تراث الإسكندرية القديم، انظر جان إيف أمبرور (وآخرين): الإسكندرية ملكة الحضارات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ١٨٣. وللمزيد عن ذات الأمر، انظر مانفريد كلاوس: الإسكندرية، ص ٣٠٢.

٦ جان إيف أمبرور: الإسكندرية ملكة الحضارات، ص ١٩٥. وكان هذا الزلزال قد وقع في سنة ١٣٠٢م، وتسبب في سقوط جزء كبير من منارة الإسكندرية، وللمزيد عن ذلك، انظر:

Yousrya Abdel-Aziz Hosni: Le Guide Historique et Archeologique d'Alexandrie, Le Conseil Supreme des Antiquites, le Caire, 2009, PP. 26-27.

٧ مانفريد كلاوس: الإسكندرية، ص ٣٠١.

ومن جانب آخر ضعفت العديد من "الأسرات الملكية" بسبب وقوع الأوبئة والطواعين خلال "العصر الوسيط"، وقد ارتبطت هذه الحقبة التاريخية بالكثير من الأحداث المهمة، لاسيما ما يرتبط بوقوع أنماط من "الكوارث الطبيعية" التي كانت قد ضربت العديد من شعوب العالم في ذلك الوقت. ويُعتبر المقرئزي (ت: ٥٨٤٥هـ) من أهم مؤرخي "العصر الوسيط" الذين تناولوا وقوع "الكوارث الطبيعية" في ذلك الوقت لاسيما في كتاب "إغاثة الأمة بكشف الغمة"^١. حيث تحدث عن الأوبئة والطواعين التي ضربت مصر، وغيرها من بلاد العالم الإسلامي عبر التاريخ ابتداءً بـ"طاعون عمواس" الشهير الذي وقع سنة ٥١٨هـ، إبان خلافة "عمر بن الخطاب" (١٣-٥٢٣هـ)، وتسبب هذا "الطاعون" الذي ضرب بلاد الشام في هلاك عدد ليس بالقليل من الصحابة رضي الله عنهم^٢. كما تحدث "المقرئزي" بإفاضة عن الأوبئة والطواعين التي أصابت بلاد المسلمين لاسيما أيام المماليك (٦٨٤-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، ولعله يكون أفضل من تحدث في هذا الشأن، لأنه من أبرز مؤرخي حقبة المماليك، وكان قريباً من أحداثها، والكوارث الطبيعية التي أصابت الناس في ذلك الوقت، وكانت الأوبئة والطواعين العديدة التي أصابت المسلمين آنذاك قد أرهقت دولة المماليك، وكذلك البلاد التي كانت حكمهم^٣. ومن ثم فلم يكن من المستغرب أن يُشير بعض المؤرخين المحدثين إلى أن الأوبئة والطواعين كانت من أهم العوامل التي أدت لضعف دولة المماليك، ثم سقوط هذه الدولة في نهاية المطاف^٤. كما أن وقوع بعض "الكوارث الطبيعية" على غرار الطاعون، والجفاف، والقحط.. الخ، كانت سبباً في إضعاف بعض السلاطين، ومن ثم انهيار حكمهم، ومن ذلك ما وقع أيام السلطان "العادل كتبغا" (٦٩٤-٦٩٦هـ)^٥. وحسب رواية المقرئزي (ت: ٥٨٤٥هـ) وقع في مصر وبعض بلاد المشرق الجفاف والمجاعات في حوالي سنة ٥٦٩٥هـ، ومن ثم وقعت الأوبئة والأمراض بعد ذلك، وهو ما أدى لهلاك أعداد كبيرة من الناس^٦. بل إنه في ذات الرواية التي أوردها "المقرئزي" يذكر أنه كان من أسباب الطاعون هبوب ريح جاءت من تخوم "برقة"، وأدت هذه الريح لهلاك الزرع، وفساده، وانتشرت بسببها الأمراض والأوبئة^٧. وعن هذا الطاعون، يقول "ابن كثير" (ت: ٥٧٧٤هـ): "وفي مستهل هذه السنة (أي سنة ٥٦٩٥هـ) كان الغلاء والفناء بديار مصر شديداً جداً، وقد تفانى الناس إلا القليل.."^٨. وفي رواية، يصف "النويري" (ت: ٥٧٣٣هـ) هذا الطاعون بـ"الفناء العظيم"^٩ في إشارة لما تسبب فيه الطاعون في إفناء وهلاك أعداد هائلة من الناس. ويرى البعض أن أشد الأزمات التي عانى منها سلاطين المماليك كانت تحدث بسبب انخفاض منسوب نهر النيل، وكانت الأمور سوءاً إذا أصابت الناس صنوفٌ من الأوبئة والأمراض في ذات الآن^{١٠}. بينما يذكر النويري: "واستهلت سنة خمس وتسعين

^١ المقرئزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٦٣-٦٤.

^٢ طاعون عمواس: طاعون وقع بالشام في خلافة عمر بن الخطاب، وتسبب في موت عدد من الصحابة (تاريخ الطبري، ج١، اختصار: علي الجندي، هيئة الكتاب، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٧٢، وانظر أيضاً ابن الأثير: أسد الغابة (المختصر)، اختصار: محمد إبراهيم عوض، هيئة الكتاب، القاهرة، ٢٠١٨م).

^٣ المقرئزي: إغاثة الأمة، ص ٦٣-٦٤.

^٤ ستانلي لينبول: سيرة القاهرة، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٨٣.

^٥ المرجع نفسه، ص ١٨٣.

^٦ المقرئزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ٦٤.

^٧ المصدر نفسه، ص ٦٤.

^٨ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، تحقيق: أحمد أبوالمحم، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص ٣٦٣.

^٩ النويري: نهاية الأرب، ج٣١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٢٩٣.

^{١٠} سعيد عبدالفتاح عاشور: مصر في عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك، مصر عبر العصور (تاريخ مصر الإسلامية)، تاريخ المصريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٤٣٧. وعن أهم أسباب الأزمات أيام المماليك، يقول سعيد عبدالفتاح عاشور: "وعلى الرغم من المتاعب والأزمات التي تعرض لها الناس أحيانا في عصر سلاطين المماليك بسبب انخفاض النيل، وانتشار الأوبئة، أو بسبب الفتق بين طوائف المماليك، أو عسف بعض الحكام.. (مصر في عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك، ص ٤٣٧).

وستماتة، في هذه السنة اشتد الغلاء بالديار المصرية، وكثر الوباء...^١. وربما يُفهم من هذه الرواية أنه وقعت المجاعة أولاً، ثم تبعها "الطاعون"، وهو ما يبدو واضحاً في أكثر الروايات، مثل المقرئزي، وغيره. وعن وقوع الطاعون وما ارتبط به من الجوع والغلاء، يقول "ابن تغري بردي" (ت: ٨٧٤هـ): "السنة الثانية من ولاية الملك العادل كتبغا على مصر، وهي سنة خمس وتسعين وستماتة، فيها كان الغلاء العظيم بسائر البلاد، ولاسيما مصر والشام، وكان بمصر مع الغلاء وباء عظيماً أيضاً، وقاسى الناس شدائد في هذه السنة...^٢. ويذكر "المقرئزي" أنه في سنة ٦٩٥هـ وقع بالناس غلاءً شديداً، واشتدت الأمور على الناس، ورغم ذلك كانوا ينتظرون فرجاً قريباً، وكان الناس يُمنون أنفسهم بمجيء موسم الغلال لتنضب الأمور في بلادهم^٣. ولما أدرك الناس وقت الحصاد، وصاروا أقرب ما يكون منه، وقع البلاء^٤.

وثمة روايات تشير إلى أن أصل هذا "الطاعون"، ومبدأه الأول، أنه هبت ريحٌ عاصفة قادمة من الثخوم الغربية، وكانت العاصفة تحمل تراباً يميل للصفرة، ثم غطت تلك الأتربة الهائلة الحقول والزراعات، مما تسبب في إفساد المزروعات والمحاصيل، وهو ما أدى لوقوع الجفاف والقحط الشديد بمصر. ولعل هذا يشير لشدة البلاء الذي وقع بالناس آنذاك، وأن الأمراض انتشرت بهم، وكان أبرزها ما يرتبط بمرض "الحُمى"، وهو المرض الذي يرتبط بشدة ب"الطاعون" أكثر من غيره من الأمراض. ولعل إشارة المقرئزي في هذا الصدد بأن المرض والحُميات أصابت سائر الناس يبين بوضوح أن الأمراض والحُمى كانت قد عمت كثيرين من الناس آنذاك. ثم تكمل "رواية المقرئزي" تلك الصورة القائمة، والمأساوية بعد أن وقع هذا الخطب، حيث اختفت من الأسواق الأدوية والأعشاب التي كان يحتاجها المرضى للتداوي من الأمراض التي أصابتهم، ومن ثم ارتفعت الأسعار ارتفاعات هائلة في ذلك الوقت^٥. ويرى الباحث أن تلك الرياح التي تذكرها المصادر يُقصد بها في الغالب "رياح الخماسين" المعروفة^٦، وهي رياح تهب على أرض مصر منذ أواخر الشتاء، وبدايات الصيف، وتأتي هذه الرياح من المناطق الصحراوية في الغرب^٧. ومن المعلوم أن رياح "الخماسين" هي نوعٌ من الرياح الموسمية الشديدة، والتي تتسم بسمات خاصة بها، حيث إنها رياح مُثيرة للرمال والأتربة، وفي الغالب يصحب هذه الرياح انتشار بعض الأمراض، مثل: "الحصبة"، و"الأنفلونزا"، وأمراض العيون^٨. وكانت كل هذه الأحداث والكوارث الطبيعية العديد التي أصابت مصر،

^١ النويري: نهاية الأرب، ج٣١، ص٢٩٣.

^٢ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٧٨-٧٩.

^٣ النويري: ج٣١، ص٢٩٣.

^٤ وعن ذلك الذي حدث، يذكر المقرئزي: "وكان قرب أوانها، فعند إدراك الغلال، هبت ريحٌ سوداء مُظلمة، من نحو بلاد برقة هبوباً عاصفاً، وحملت تراباً أصفر كسا رُوع البلاد، فهافت كُلُّها (أي ذبلت)، ولم يكن بها إذ ذاك إلا زرع قليل، ففسدت بأجمعها، وعمت تلك الرياح والتراب إقليم البحيرة، وإقليم الشرقية، ومرت إلى الصعيد الأعلى، فهافت الزرع، وفسد الصيفي من الزرع، كالأرز، والسَّمسم، والقَلقاس، وقصب السكر، وسائر ما يزرع على السواقي، فتزايدت الأسعار... (المقرئزي: إغاثة الأمة، ص٦٣).

^٥ ولعل من هذه السلع المهمة: العسل والسكر، كما انعدمت الفواكه، وصار سعر الفروج بثلاثين درهماً، وبيعت البطيخة الواحدة بأربعين درهماً، وكان الرطل من البطيخ يباع بدرهم واحد، وأضحى سعر السفرجل الثلاث حبات بدرهم، وكان سعر البيض كل ثلاث منها بدرهم، ومن ثم ارتفعت الأسعار إرتفاعات حادة بما لم يعتاده الناس في ذلك الوقت. كما يقول المقرئزي: "وتزايد القمح إلى مائة وتسعين الأردب، والشعير إلى مائة وعشرين، والفول والعدس إلى مائة وعشر دراهم الأردب... (إغاثة الأمة، ص٦٣).

^٦ رياح الخماسين: رياح جنوبية حارة، يتكرر هبوبها بتولد أو غزو الانخفاضات الجوية الصحراوية لمصر منذ أواخر الشتاء وبدايات الصيف، وهذه الرياح تنشط مثيرة للرمال والأتربة، ثم يصفو الجو بعدها لدى دخول الهواء البارد نسبياً قادماً من البحر المتوسط، وربما يمتد تأثير هذه الرياح حتى أوروبا. وخلال هبوب رياح الخماسين تكثر الحرائق في القرى والريف المصري بسبب التغيرات الفجائية في اتجاه هذه الرياح، وسرعتها، ومن المعلوم انه يرافق هبوب هذه الرياح انتشار بعض الأمراض. ويعني مصطلح الخماسين أي الخمسون يوماً التالية لعيد شم النسيم (الموسوعة الثقافية، دار المعرفة) بالتعاون مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر)، مطابع دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٤٢٩).

^٧ الموسوعة الثقافية: المرجع السابق، ص٤٢٩.

^٨ المرجع نفسه، ص٤٢٩.

وغيرها من بلاد المشرق الإسلامي أيام السلطان كنبغا أدت لوجود قناعة لدى الشعب بأن حكم هذا السلطان نذير شؤم على الناس، وأنه لابد من الخلاص منه^١. كل تلك الأمور تؤكد فكرة الارتباط الوثيق بين "الكوارث الطبيعية" و"التحقيب التاريخي"، ولاسيما كون تلك الكوارث عاملاً مؤثراً في إضعاف بعض الدول والإمبراطوريات عبر التاريخ، وكذا دورها في اختيار حكم أحد الملوك.

رابعاً- الإنسان وقدرته على التكيف مع بعض الكوارث الطبيعية:

نُورِدُ في هذا المبحث جانباً من قدرة الإنسان والتي ربما يكون من الإنصاف أن ننعته بأنها كانت محدودة للغاية في التعامل مع بعض نماذج الظواهر الطبيعية التي وقعت عبر التاريخ، ومحاوله احتوائها، لاسيما خلال "العصر الوسيط"، ولعل من أبرزها "الرياح الموسمية" **Seasonal Winds**، وهي نوعٌ من الرياح العاتية تهب على المحيط الهندي، أو بحر الهند حسب مصادر العصر الوسيط^٢. ولعل قدرة الإنسان في ذلك الوقت على التعامل مع تلك الظاهرة الطبيعية هو ما أدخلها في إطار الظواهر وليس الكوارث، لكنها كانت في وقت ما تُشكل أحد أنماط "الكوارث الطبيعية" على التُّجار والبحارة. وكانت هذه الرياح تهب مرتين في العام، مرة صوب سواحل شرق أفريقيا، والأخرى قادمة من الغرب في إتجاه جنوب شرق آسيا، وجزر المحيط الهندي^٣. وأدت هذه "الرياح" لهلاك أعداد كبيرة من السفن، بمن كان عليها من البحارة، والتُّجار، وغيرهم من صُنوف المسافرين^٤. ورغم ذلك إلا أن التُّجار والبحارة الذين كانوا يقومون بالرحلات التجارية عبر المحيط حاولوا قدر استطاعتهم التكيف مع تلك الظاهرة، وأخذوا يحسبون وقت هبوب الرياح في كل إتجاه، ومدى قوتها، ومن ثم بدأوا يستغلون هبوبها في رحلاتهم سواء في إتجاه سواحل شرق أفريقيا، أم في الإتجاه الآخر صوب جنوب شرق آسيا^٥.

ومن اللافت أن تلك الرياح لعبت دوراً في التواصل التجاري بين سواحل شرق أفريقيا، والتي يُقصد بها سواحل "بلاد الزنج" في المصادر الوسيطة^٦ من ناحية، والأسواق في مناطق جنوب شرق آسيا من ناحية أخرى، هذا رغم الصعوبات والمخاطر التي كانت تُشكلها هذه الرياح الموسمية، إلا أن سكان هذه البلاد تعلموا من خلال تجاربهم العديدة عبر السنين الطوال في الإبحار بين أمواج "المحيط الهندي" الهادرة خلال أكثر أوقاتها، وأنهم أدركوا كيفية الاستفادة من هبوب هذه الرياح، وأن يُطوعوها لخدمة تجارتهم، لاسيما وأن "التجارة" عبر "المحيط الهندي" لسكان هذه البلاد تُعد المورد الاقتصادي الذي لا غنى عنه بالنسبة لهم، وكان ذلك التعامل مع الرياح بحيث لا تُسبب لهم عائقاً للتواصل بين الموانئ والمرافئ الواقعة في أقصى الشرق من جانب، وأندادها الواقعة في أقصى الغرب

^١ ستانلي لينبول: سيرة القاهرة، ص ١٨٣.

^٢ المسعودي: مروج الذهب، ج١، تحقيق: مصطفى السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ص ٨٨.

^٣ وللمزيد عن "الرياح الموسمية"، انظر المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص ٨٨، جوردون تشايلد: ماذا حدث في التاريخ، ترجمة: جورج حداد، تقديم: حسين مؤنس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٨م، ص ٢٧٣-٢٧٤، ف. هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج٢، ترجمة: أحمد رضا محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٨١-٨٤. وانظر ريتشارد هول: امبراطورية الرياح الموسمية، ترجمة: كامل يوسف حسين، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ١٩٩٠م، شوقي عبدالقوي عثمان: تجارة المحيط الهندي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠م، ص ٢٦٢.

^٤ المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص ٨٤.

^٥ سليمان عبدالغني المالكي: دور العرب وتأثيرهم في شرق أفريقيا، ندوة مؤتمر العرب في أفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر، كلية الآداب، جامعة القاهرة، دار الثقافة العربية، ١٩٨٧م، ص ١٢٣.

^٦ بلاد الزنج: يقصد بها البلاد التي تقع على ساحل شرق أفريقيا، وتمتد من مقدشو شمالاً وحتى ميناء سفالة (موزمبيق حالياً) جنوباً (مروج الذهب، ج١، ص ٨٤، هول: الرياح الموسمية، ص ٥٩. وانظر:

Basil Davidson: The African Past Chronicles, Penguin African Library, London, 1966, PP. 114-

من جانب آخر^١. ومن المعلوم أنه تُطل على هذا البحر (أي المحيط الهندي) سواحل العديد من البلدان، ومنها: الصين، وبلاد الهند، والسند، وكذا عُمان، وعدن، وبلاد الزنج. وغيرها^٢. ويُوصف "المحيط الهندي" بأنه بحر ذو أمواج عظيمة، وكأنها "الجبال الشواحق"، كما توصف الأمواج في هذا البحر بأنها "أمواج عمياء"، ويُقصد بذلك أن البحارة كانوا إذا توسطوا "بحر الهند"، ودخلوا بين أمواجه، فإن هذه الأمواج كانت تبدو عاتيةً، وكانت قوية الحركة، وشديدة الاندفاع، وكانوا لا يرون ما حولهم، كما كان الموج في داخل المحيط الهندي يرتفع بشكلٍ مُفاجيء أمام السفن التجارية مثل ارتفاع الجبال السامقة، ثم كان هذا الموج ينخفض مرة أخرى كأدنى ما يكون من "الأودية"، ومع ذلك لم تكن تنكسر أمواج هذا البحر، ثم يُضيف المسعودي في وصفه: "ولا يظهر من ذلك الزبد..."^٣. ولعل هذا يؤكد خطورة أمواج "المحيط الهندي"، وحدتها في ذلك الوقت، ولاريب أنه كانت تزداد خطورة الإبحار داخل مياه هذا المحيط لاسيما مع هبوب هذه الرياح الموسمية آتفة الذكر، وعلى هذا كان على البحارة أن يتعاملوا مع هذه الرياح بأية وسيلة.

وتذكر المصادر التاريخية أن البحارة في هذه البلاد كانوا يعرفون آوان هذه الرياح، ووقت هبوبها بحكم التجربة، والعادة، وأنهم كانوا يتوارثون معرفة ذلك فيما بينهم، ولهم في هذه المعارف بأوقات "الرياح الموسمية" علامات وإشارات كانوا يعملون بها إبان^٤. وقد كانت الرحلة تستغرق فيما بين سواحل "البحر الأحمر" وسواحل الهند حوالي ٦ شهور، وربما أقل من ذلك^٥. بينما يقال إن الرحلة من بلاد الصين إلى سواحل وموانئ عُمان ذهاباً وإياباً كانت تستغرق قرابة العام^٦. ويذكر المسعودي في روايته: "ولكل من يركب هذه البحار من الناس يعرفونها في أوقات تكون منها مهاجماً قد علم ذلك بالعادات، وطول التجارب، يتوارثون علم ذلك قولاً، وعملاً، ولهم فيها دلائل وعلامات يعملون بها إبان هيجانه، وأحوال ركوده، وثوراته. هذا فيما سمينا من "البحر الحبشي" والروم والمسافرون في البحر الرومي سبيلهم، وكذلك من يركب بحر الخزر إلى بلاد جرجان، وطبرستان، والديلم..."^٧. وقد أفاضت المصادر التاريخية في وصف "المحيط الهندي" حيث تذكر أنه يمتد امتداداً واسعاً من الغرب إلى الشرق، وتحديدًا من أقصى "بلاد الحبش" (شرق أفريقيا)، أو بلاد الزنج، لأقصى تخوم الصين والهند^٨. ويُطلق مؤرخو العصر الوسيط على "المحيط الهندي" اسم "البحر الهندي"، كما يُعرف بـ "البحر الأخضر"، و"البحر الكبير"، و"البحر المحيط"^٩. وكان التجار العثمانيون بصفة خاصة أكثر من غيرهم خبرةً بهذا البحر، وبأسراره،

^١ المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٨٨، وللمزيد عن هبوب الرياح الموسمية ودورها في تجارة المحيط الهندي، انظر سليمان عبدالغني المالكي: دور العرب وتأثيرهم في شرق أفريقيا، ص١٢١-١٢٥.

^٢ بلاد السند: يُقصد بها الأرض التي تشغلها حالياً أراضي باكستان، وانظر ابن حوقل (ت: ٣٥٠هـ/٩٦١م): صورة الأرض، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢٩٤ وما بعدها.

^٣ ابن حوقل: المصدر نفسه، ص١٤٩.

^٤ المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٨٤.

^٥ المسعودي: ج١، ص٨٨، وللمزيد عن الرحلات البحرية والرياح الموسمية، انظر:

www.chinatoday.com.cn

^٦ جوردون تشايلد: ماذا حدث في التاريخ، ص٢٧٤.

^٧ فوه ين ده: تاريخ العلاقات الصينية العربية، ترجمة: تشانج جيا مين، انظر موقع الصين اليوم، وللمزيد في ذات الشأن انظر أيضاً: www.chinatoday.com.cn

^٨ المسعودي: المصدر نفسه، ص٨٨، وانظر أيضاً عطية القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص٢٣.

^٩ مروج الذهب: ج١، ص٨٤. ويطلق ابن سعيد على هذا البحر أيضاً في مواضع أخرى "بحر الهند" (ابن سعيد: كتاب الجغرافية، تحقيق: إسماعيل المغربي، سلسلة ذخائر التراث العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠، ص٨٣، وانظر الغمري: مسالك الأبصار، ج١، ص١٠٥).

^{١٠} ابن البلخي: فارس نامه، تحقيق: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م، ص١٤٩.

وكانوا أعرف أهل هذا الزمان بالتجارة في مياهه، وكانوا يعلمون أحوال الرياح، وأسرارها، وأوقات هبوبها، ومن ثم كانوا أكثر الناس درايةً بالأوقات التي يُؤثّرُ الإبحار خلالها سواء شرقاً، أي في إتجاه الصين، أم غرباً في إتجاه سواحل شرق أفريقيا^١. وعلى هذا فقد أدرك التجار والبحارة العرب، وكذلك تجار بلاد جنوب شرق آسيا أسرار "الرياح الموسمية"، وأنها كانت تهب مرتين في السنة، وهو ما مكنتهم من استغلال تلك الظاهرة، والقيام برحلتين من شرق آسيا صوب سواحل شرق أفريقيا. وكانت "الرحلة الأولى" تتم في موسم "الخريف" وهي المعروفة بـ"رحلة الشتاء"، حيث كانت الرياح تدفع السفن في إتجاه جنوب غرب إلى ساحل شرق أفريقيا^٢. بينما في موسم الربيع (رحلة الصيف)، كانت الرياح تهب على سواحل المحيط الهندي، ومن ثم كانت الرياح تدفع السفن إلى شمال شرق، وبذلك كانت السفن قرب ساحل شرق أفريقيا تتمكن من العودة لقواعدها مرة أخرى إلى الساحل الآسيوي^٣. وعلى أية حال فيمكن القول بأن "الرياح الموسمية" شكلت ما يُمكن أن يكون سرّاً من الأسرار التي احتفظ بها البحارة والتجار العرب أكثر من غيرهم من أندادهم، وهو ما جعلهم قادرين على السيطرة على محطات التجارة البحرية عبر سواحل المحيط الهندي^٤.

الخاتمة:

وبعد هذه "الإطلاقة" عبر مراحل وحقب تاريخية عديدة من عمر الإنسان على هذه الأرض، وما وقع فيها من أنماط عديدة من الكوارث الطبيعية أثرت بشكلٍ لاجدال في حركة "التحقيب التاريخي"، يمكننا الخروج ببعض الاستنتاجات المهمة، ولعل منها:

- أشارت هذه الدراسة إلى أن الظواهر الطبيعية إذا تسببت في حدوث تدمير ووقوع ضحايا من البشر، فإنها تتحول من كونها ظاهرة طبيعية إلى ما يُعرف بـ"الكارثة الطبيعية".

- أكدت الدراسة وجود نوعين رئيسيين من التحقيب التاريخي، وهما "التحقيب المحلي" الذي يرتبط بتاريخ أمة من الأمم، أو إقليم من الأقاليم، والثاني: "التحقيب العالمي"، أو التحقيب العام الذي يراد به وضع "تحقيب تاريخي" عام يجمع أكثر الشعوب مع بعضها في ذات الآن.

- كما أشارت هذه الدراسة إلى أن "الكوارث الطبيعية" كان لها تأثير واضح في الحياة على الأرض وحتى قبل ظهور الإنسان، وخلال ما يُعرف بـ"التحقيب الجيولوجي".

- بينت الدراسة أنه مع ظهور الإنسان برز دور "الكوارث الطبيعية" مثل: الزلازل، والبراكين، والفيضانات، والجفاف، والمجاعات، والأوبئة، والطواعين.. وغيرها، وكان لها تأثير واضح في العديد من المراحل والحقب التاريخية. وتتنوع تلك الظواهر حسب طبيعتها، وحسب أسبابها، وكذلك حسب ما ينتج عنها من نتائج، سواء كان ذلك في ذات الآن الذي تقع فيه "الكارثة الطبيعية"، أم تكون بعض النتائج متأخرة زمنياً عن وقوع تلك الكارثة.

- أكدت الدراسة أن الإنسان تمكن أحياناً من التكيف مع بعض الظواهر، ورغم أنها قد تحدث بعض الضحايا، لكن بسبب وجودها بشكل موسمي، وديمومتها في حياته، تمكن من التكيف معها، وتطويعها لصالحه، ومن أبرز تلك النماذج "الرياح الموسمية" التي كانت تهب على سواحل المحيط الهندي (أو بحر الهند). وعلى هذا حاول الإنسان التكيف بشكلٍ أو بآخر مع بعض أنماط "الكوارث الطبيعية" لاسيما في هذه الحالة (أي الرياح الموسمية)، ولاريد أن تعامل الإنسان مع هذه الرياح العاتية يشير لقدرة أحياناً، وإن لم تكن في كل الظروف، على استغلال بعض "الظواهر الطبيعية" رغم قسوتها، وحدتها.

^١ المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٨٤.

^٢ سليمان عبدالغني المالكي: دور العرب وتأثيرهم في شرق أفريقيا، ندوة مؤتمر العرب في أفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر، كلية الآداب، جامعة القاهرة، دار الثقافة العربية، ١٩٨٧م، ص١٢٣.

^٣ المرجع السابق، ص١٢٣.

^٤ كرم الصاوي باز: التبادل التجاري بين شرق أفريقيا وآسيا كما يصورها البلدان العربيين، ندوة مؤتمر التعاون العربي الأفريقي، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٥.

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر العربية:

- ١- ابن الأثير: أسد الغابة (المختصر)، اختصار: محمد إبراهيم عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٨م.
 - ٢- ابن البلخي: فارس نامة، تحقيق: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.
 - ٣- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م.
 - ٤- ابن حوقل: صورة الأرض، شركة نوايغ الفكر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.
 - ٥- ديودور الصقلي: ديودور الصقلي في مصر، ترجمة من اليونانية: وهيب كامل، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٣م.
 - ٦- الرازي: مختار الصحاح، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٢٥م.
 - ٧- السخاوي: الإعلام بالتبويب لمن ذم التاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٨م.
 - ٨- ابن سعيد: كتاب الجغرافية، تحقيق: إسماعيل المغربي، سلسلة ذخائر التراث العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠م.
 - ٩- الطبري: تاريخ الطبري، ج١، اختصار: علي الجندي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤م.
 - ١٠- العمري: مسالك الأبصار، ج١، اختصار: الدكتور عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م.
 - ١١- ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، تحقيق: الدكتور أحمد أبوالمحم (وآخرين)، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
 - ١٢- المسعودي: مروج الذهب، ج١، تحقيق: مصطفى السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ت.
 - ١٣- المقرئزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.
 - ١٤- ابن منظور: لسان العرب، ج٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤م.
 - ١٥- النويري: نهاية الأرب، ج٣١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.
 - ١٦- هيرودوت: هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة: محمد صقر خفاجة، دارالقلم، ١٩٦٦م.
- ثانياً- المراجع العربية والمعربة:
- ١٧- أحمد السعيد: الفيلولوجيا من فقه اللغة إلى تحقيق التراث، مجلة الفيصل، عدد٤، ٢٠١٨م.
 - ١٨- أحمد فخري: واحات مصر، ج١ (واحة سيوة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.
 - ١٩- أرنولد توينبي: مختصر دراسة للتاريخ، ج١، ترجمة: فؤاد محمد شبل، مراجعة: شفيق محمد غريال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥م.
 - ٢٠- جراية محمد رشدي: الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتورة (قسنطينة)، الجزائر، ٢٠٠٨م.
 - ٢١- جي. إتش. ويلز: معالم تاريخ الإنسانية، ج١، ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٨م.
 - ٢٢- جان إيف أمبرور (وآخرين): الإسكندرية ملكة الحضارات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
 - ٢٣- جوردون تشايلد: ماذا حدث في التاريخ، ترجمة: جورج حداد، تقديم: حسين مؤنس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٨م.
 - ٢٤- رولاند أوليفر: موجر تاريخ إفريقية، ترجمة: دولت أحمد صادق، سلسلة دراسات إفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م.

- ٢٥- ريتشارد هول: امبراطورية الرياح الموسمية، ترجمة: كامل يوسف حسين، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ١٩٩٠م.
- ٢٦- ستانلي لينبول: سيرة القاهرة، ترجمة: الدكتور حسن إبراهيم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ٢٧- سعيد عبدالفتاح عاشور: مصر في عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك، مصر عبر العصور (تاريخ مصر الإسلامية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
- ٢٨- شوقي عبدالقوي عثمان: تجارة المحيط الهندي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠م.
- ٢٩- سليمان عبدالغني المالكي: دور العرب وتأثيرهم في شرق أفريقيا، ندوة العرب في أفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر، كلية الآداب، جامعة القاهرة، دار الثقافة العربية، ١٩٨٧م.
- ٣٠- عطية القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت.
- ٣١- ف. هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج٢، ترجمة: أحمد رضا محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م.
- ٣٢- كرم الصاوي باز: التبادل التجاري بين شرق أفريقيا وآسيا كما يصورها البلدانون العرب في الفترة من (٦٥٦-٩٠٤هـ/١٢٥٨-١٤٩٨م)، ندوة مؤتمر التعاون العربي الأفريقي، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م.
- ٣٣- ليونارد كوتريل (وآخرون): الموسوعة الأثرية العالمية، ترجمة: محمد عبدالقادر محمد، وزكي إسكندر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م.
- ٣٤- مانفريد كلاوس: الإسكندرية أعظم عواصم العالم القديم، ترجمة: أشرف نادي محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- ٣٥- الموسوعة الثقافية، دار المعرفة (بالتعاون مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر)، مطابع دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٢م.
- ٣٦- ول ديورانت: قصة الحضارة، المجلد الأول (٢/١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.

ثالثاً- المواقع الإلكترونية:

www.chinatoday.com.cn37-

رابعاً- المراجع الأجنبية:

- 38- **Basil Davidson**: The African Past Chronicles, Penguin African Library, London, 1966.
- 39- **Lynne Sable & Philip Steele**: 1000 Great Events, Hamlyn Publishing Group, London, 1977.
- 40- **Oliver D. Smith**: The Atlantis Story an Authentic Oral Tradition, Shima Journal, Vol. 10. No. 2, 2016.
- 41- **Toby Wilkinson**: Dictionary of Ancient Egypt, Thames & Hudson World of Art, London, 2005.

- 42- **The Cambridge Paperback Encyclopedia**, Edited by: David Crystal, Cambridge University Press, 2000.
- 43- **Tom Gravey**: Plato's Atlantis Story, A prose Hymn to Athena, Greek, Roman & Byzantine Studies, No. 48, 2008.
- 44- **Vera Werner**: Traces of the Late Bronze Age Santorini and AD 365 Tsunami events in the sedimentary record of crete, , Reconstruction of the regional Tectonic geomorphology mainz university, X111, 145 Blatter, 2019.
- 45- **Yousrya Abdel-Aziz Hosni**: Le Guide Historique et Archeologique d'Alexandrie, Le Conseil Supreme des Antiquites, le Caire, 2009.

التدابير الوقائية الشرعية لمكافحة عدوى الأمراض الوبائية (كوفيد 19)

د. أوان عبد الله محمود الفيضي

دكتوراه في القانون الخاص - قانون الاثبات والمرافعات المدنية.

الاستاذ المساعد الدكتور في كلية الحقوق - جامعة الموصل - العراق.

البريد الإلكتروني: wan.alfaihy@gmail.com

المستخلص

الاهمية:- تكتسب دراستنا أهمية خاصة لأن الحق في الحياة يعد الحق الأول للخلق الذي به تبدأ سائر الحقوق فحفظ النفس يعد من اهم الضروريات بعد حفظ الدين لذا اهتمت الشريعة الإسلامية بالتدابير الاحترازية الوقائية لمكافحة انتشار العدوى والوقاية من التلوث وانتقال الامراض المعدية، فجاءت الآيات والمعجزة النبوية مبينة اتباع منهج سليم وقائي في اسلوب الحياة ومنهجه يحد من عدوى الامراض وهو ما اكده الطب الحديث بالتجارب العملية .

الاهداف:- لهذه الاهمية التي بينها واستكمالاً للموضوع ولأن حفظ النفس من المقاصد الشرعية بل يعد من الضروريات والاصوليات الاساسية الجوهرية الخمسة سواء بالشريعة الاسلامية ام بالشرائع السماوية السابقة ولأنها تتعلق بوجود الشخص وقوام الحياة، لذا وجب علينا اتباع منهاج الشريعة الاسلامية والالتزام بها من اجل ان تحصننا من الامراض الوبائية، كما اوضحت التدابير الاحترازية الوقائية مسؤولية تضامنية تقع على عاتق الفرد من عدم التعرض لأسباب انتقال المرض المعدي، كما تقع المسؤولية ايضا على عاتق الدولة بما يجب عليها من وضع التدابير الوقائية كفرض الوقاية الصحية ونحوها، وقد جاء الفقه الإسلامي ليؤكد على الحذر من انتشار العدوى وانتقال الجراثيم المسببة للأمراض المعدية الوبائية بأنواعها المختلفة كأنتفونزا الطيور والخنزير وحمى الملاريا وفيروس الايبولا وكورونا (كوفيد- 19) وغيرها .

المشكلة والمنهجية:- لذا تهدف الدراسة إلى إزالة الإشكاليات والإجابة عن تساؤلات، مصدرها مجموعة فرضيات أبرزها: هل تعد التدابير الاحترازية لمكافحة عدوى الأمراض الوبائية واجب يقع على عاتق جميع الافراد ، وهل هناك مسؤولية تضامنية سواء على الفرد ام الدولة للإخلال بهذه الوقاية وما تسببه من انتشار الوباء بالمجتمع والعالم ، وما المقصود بالتدابير الوقائية المستقبلية لمكافحة عدوى الأمراض الوبائية، وماهي المقاصد الشرعية وما علاقتها بالتدابير الوقائية المستقبلية؟... معتمدين في ذلك على المنهج التحليلي الاستنباطي الوصفي كونه مناسب لمثل هذا النوع من الدراسات والذي يقوم على تحليل الآراء أو مناقشتها وترجيح السديد منها.

الهيكلية:- لذا فقد قسم البحث على مبحثين: الأول :-التعريف بالمدلولات الاصطلاحية. والثاني:- التعريف بصور التدابير الوقائية. وهناك خاتمة: اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية:- (التدابير ،الوقائية، مكافحة، عدوى، الامراض، الوبائية) .

Abstract

Importance: - Our study acquires special significance because the right to life is the first right to the creation in which all other rights begin. Self-preservation is one of the most important necessities after the preservation of religion. Therefore, Islamic Sharia took care of preventive precautionary measures to combat the spread of infection and prevent pollution and the transmission of infectious diseases, so the verses and miracle of the Prophet came Indicating a sound and preventive approach to lifestyle and methodology that reduces disease infection, as confirmed by modern medicine with practical experiences.

Objectives: – For this importance that we have indicated and as a complement to the topic and because preserving oneself is one of the purposes of the law, it is considered one of the five fundamental essential necessities and fundamentalities, whether in Islamic law or previous divine laws and because it relates to the existence of the person and the strength of life, so we must follow the approach of the Islamic law and adhere to it in order to protect us Of epidemiological diseases, as preventive precautionary measures have become a joint liability of the individual against non-exposure to the causes of transmission of infectious disease, as well as the responsibility of the state with what it must put in place preventive measures such as imposing health protection and Towards it, Islamic jurisprudence has come to emphasize caution against the spread of infection and the transmission of germs that cause infectious diseases of various kinds, such as bird flu, swine, malaria fever, Ebola virus and Corona (Covid-19) and others.

The problem and methodology: – Therefore, the study aims to eliminate the problems and answer questions, the source of which is a set of hypotheses, the most prominent of them: Are the precautionary measures to combat epidemic diseases a duty that falls on all individuals, and is there a joint responsibility, whether on the individual or the state, to violate this prevention and the causes that it causes? The epidemic of society and the world, and what is meant by future preventive measures to combat epidemic diseases, and what are the legitimate purposes and what is their relationship to future preventive measures? ... Depending on that descriptive analytical and descriptive approach being appropriate for such a type of study Which is based on an analysis of the views or discussion and the likelihood of good ones.

Structure: – Therefore, the research section was divided into two topics:-

The first: – Definition of conventional terms.

The second: – Introducing the forms of preventive measures.

And there is a conclusion: it includes the most important findings and recommendations.

Key words: – (measures, preventive, control, infection, diseases ,epidemiology).

مقدمة

الحمد لله ذي الفضل والإنعام الذي شرع لنا تدابيرا احترازية مستقبلية تقينا من شر العدوى بالأوبئة والأسقام ، وهادانا لتعاليم وأنوار الإسلام ، أحمده على جزيل الإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجلال والإكرام، وأشهد أن محمدا عبده ، ورسوله خاتم الرسل الكرام... وبعد:-

اهتمت الشريعة الإسلامية بعلاج الأمراض المعدية الوبائية قبل حدوثها لأن الوقاية خير من العلاج ويقصد بالوقاية تحصين أفراد المجتمع بما يمنع انتشار العدوى والابئة والأمراض بينهم، سواء كانت معدية أم وبائية، وتقع المسؤولية في هذا الأمر على الفرد نفسه بما يجب عليه من عدم التعرض لأسباب انتقال المرض، وتقع المسؤولية أيضا على الدولة بما يجب عليها من وضع التدابير الوقائية كفرض الوقاية الصحية ونحوها، والأمراض المعدية والوبائية لا يمكن حصرها فهي تختلف في مدى خطورتها على صحة الإنسان وحياته وتختلف حسب نوع المرض في درجة خطورته من إنسان إلى آخر حسب الصحة الجسمانية للمصاب، ومدى قدرته على مقاومة المرض بالمناعة التي يمتلكها، وخطورة المرض تكمن في كونه ينتقل بالعدوى من الشخص المصاب إلى الصحيح ، وهذا بدوره يؤدي إلى خلق نوع من الرعب والخوف والقلق من احتمال انتقاله وانتشاره بسرعة والذي يخفف منابع

الخوف هو إمكانية القضاء عليه بمعرفة أسبابه وطرق انتقاله ومدى القدرة على علاجه، فالوقاية من الأمراض المعدية والوبائية يعد من أهم أسباب حفظ النفس البشرية الذي تقتضيه الضرورة الشرعية وتعد من ضمن الضروريات الخمس سواء بالشرعية الإسلامية ام بالشرائع السماوية الاخر.

لهذه الأهمية للموضوع التي تنبع من أن حفظ النفس يعد من المقاصد الشرعية ويندرج تحت الضروريات والأصوليات الأساسية الخمسة، التي تسعى الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية السابقة للحفاظ عليها فقد اخترنا دراسة هذا الموضوع والبحث في اعماقه ، فوجدنا أن الفقه الإسلامي جاء أيضا ليؤكد على الحذر من انتشار العدوى وانتقال الجراثيم المسببة للأمراض الوبائية كالإنفلونزا بأنواعها المختلفة كإنفلونزا الطيور والخنزير وحمى الملاريا وفيروس الايبولا وكورونا وغيرها .

لذا تهدف الدراسة إلى إزالة الإشكاليات والإجابة عن تساؤلات مصدرها مجموعة فرضيات أبرزها: هل تعد التدابير الاحترازية لمكافحة عدوى الأمراض الوبائية واجب يقع على عاتق جميع الافراد ، وهل هناك مسؤولية تضامنية سواء على الفرد ام الدولة للإخلال بهذه الوقاية وما تسببه من انتشار الوباء بالمجتمع والعالم ، وما المقصود بالتدابير الوقائية لمكافحة عدوى الأمراض الوبائية، وماهي المقاصد الشرعية وما علاقتها بالتدابير الوقائية؟... معتمدين في ذلك على المنهج التحليلي الاستنباطي الوصفي كونه مناسب لمثل هذا النوع من الدراسات والذي يقوم على تحليل الآراء أو مناقشتها وترجيح السديد منها.

الفوائد العامة التي تترتب على هذه التدابير الوقائية أفضل بكثير من المحاذير والمخاطر التي تترتب على عدم الأخذ بها ، علما بأن قواعد الشريعة الإسلامية وأحكامها العامة توجب نفي الضرر، وأن هذه الأمراض إذا لم يتم وضع تدابير وقائية تمنع تعديها وانتشارها فسيؤدي ذلك حتما إلى كوارث وبائية تلتصق بالأجيال وتدمر حياة الأمم الصحية والاقتصادية والاجتماعية، ولما كان واجب على الباحثين في الشريعة الإسلامية أن يبينوا للناس أمور دينهم وديانهم، ولذلك فقد قمت بفضل الله تعالى وهدايته باختيار هذا الموضوع الذي يعد من الموضوعات الهامة وقمت بمعالجته من منظور الفقه الإسلامي وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مبحثين على النحو الآتي:-

المبحث الأول: التعريف بالمدلولات الاصطلاحية ، وبه سبعة مطالب: الاول / مدلول التدبير والثاني/مدلول الوقاية. والثالث/مدلول مكافحة. والرابع/مدلول المرض. والخامس/مدلول العدوى. والسادس/ مدلول الوباء. والسابع / مدلول المقاصد الشرعية. **المبحث الثاني:** التعريف بصور التدابير، وبه سبعة مطالب: الاول/ مكافحة العدوى الجرثومية بكرهية التنفس في الإناء أو النفخ فيه. والثاني/ مكافحة العدوى الجرثومية بمنع البصاق على الأرض في الأماكن العامة. والثالث/ مكافحة العدوى بمنع التلوث بلعاب الكلب والمبالغة في غسله. والرابع/ مكافحة العدوى من خلال النهي عن التبول والتبرز في الموارد العامة. والخامس/ مكافحة العدوى من خلال نهي المستيقظ من النوم عن وضع يده في الإناء قبل غسلها. والسادس/ مكافحة العدوى بتغطية آنية الطعام والشراب. والسابع/ مكافحة العدوى بتحريم بعض الاطعمة الضارة، وهناك خاتمة : اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول/ التعريف بالمدلولات الاصطلاحية

لقد أصبح الأمر البديهي في البحث العلمي عموما أن يتم تسليط الضوء على مفردات موضوع البحث حتى يتضح للقارئ المراد من الموضوع فتتم الفائدة ويعم النفع، وقد قمنا بتحديد مدلولات بعض المصطلحات التي نرغب في بيان معانيها في اللغة والاصطلاح وذلك ضمن سبعة مطالب على النحو الآتي:- **المطلب الاول/ مدلول التدبير. المطلب الثاني / مدلول الوقاية. المطلب الثالث / مدلول مكافحة. المطلب الرابع / مدلول المرض. المطلب الخامس / مدلول العدوى. المطلب السادس / مدلول الوباء. المطلب السابع / مدلول المقاصد الشرعية.**

المطلب الأول/ مدلول التدبير

سنتناول تحديد مدلول التدبير لغة ومن ثم اصطلاحا كما يأتي:-

أولاً : مدلول التدبير في اللغة: - والتدبير يعني " ودَبَّرَ الأَمْرَ وَتَدَبَّرَهُ: نَظَرَ فِي عَاقِبَتِهِ، وَاسْتَدَبَّرَهُ: رَأَى فِي عَاقِبَتِهِ مَا لَمْ يَرِ فِي صَدْرِهِ؛ وَعَرَفَ الأَمْرَ تَدَبُّراً أَيْ بِأَحْرَةٍ؛ قَالَ جَرِيرٌ: وَلَا تَتَّفَعُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَكُمْ، ... وَلَا تَعْرِفُونَ الأَمْرَ إِلَّا تَدَبُّراً وَالتَّدْبِيرُ فِي الأَمْرِ: أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَا تَقُولُ إِلَيْهِ عَاقِبَتُهُ، وَالتَّدْبُرُ: التَّفَكُّرُ فِيهِ" (١).

ثانياً : مدلول التدبير في الاصطلاح: - " التدبير: النظر في العواقب بمعرفة الخير، وقيل: التدبير: إجراء الأمور على علم العواقب، وهي الله تعالى حقيقة، وللعبد مجازاً" ، التدبير: عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكير، إلا أن التفكير تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبير تصرفه بالنظر في العواقب" (٢).

فالتدبير إذن ما هي الا وسائل للحصول على نتيجة محددة وقائية تتخذ لوقاية حق أو شيء معين، وبهذا يتضح لنا مما تقدم أن التدابير عبارة عن الاجراءات والاحتياطات التي تتخذ لمنع العواقب وتعين على اجتناب المواقف بالبعد عن أسبابها.

المطلب الثاني / مدلول الوقائية

سنتناول تحديد مدلول الوقائية لغة ومن ثم اصطلاحاً كما يأتي:-

أولاً : مدلول الوقائية في اللغة: - الوقائية تعني " وَقَى: وَقَاهُ اللهُ وَقِيّاً وَوَقَايَةً وَوَقِيَةً: صَانَهُ؛...؛ وَقَيْتُ الشَّيْءَ أَقْبَهُ إِذَا صُنَّتْهُ وَسَتَرْتَهُ عَنِ الأَذَى" (٣) ، ومنه قوله تعالى: (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا) (٤).

من هذا يتضح أن الوقائية في اللغة تعني الصون والستر عن الأذى ، أي حفظ الشيء من التلف أو الآفات الضارة وحمايته منها فهو الحفظ والصيانة والحذر والدفع وتجنب المكروه.

ثانياً: مدلول الوقائية في الاصطلاح: - وهي مجموعة الاجراءات والخدمات المقصودة والمنظمة التي تهدف إلى الحيلولة دون الخطر أو الإقلال من حدوث الخلل أو القصور (٥).

فالوقائية عبارة عن حماية مأمور بما للدفاع عن مصالح أساسية، والوقائي بخلاف الردعي وهو ما ينزع إلى الوقاية من الإجمام أو منعه أو تقليصه سلفاً بمكافحة أسبابه (٦).

المطلب الثالث / مدلول المكافحة

سنتناول تحديد مدلول المكافحة لغة ومن ثم اصطلاحاً كما يأتي:-

أولاً : مدلول المكافحة في اللغة: - المكافحة تعني " كَفَحَ: المِكَافَحَةُ: مُصَادَفَةُ الوَجْهِ بِالْوَجْهِ مَفْاجَأَةً. كَفَحَهُ كَفْحاً وَكَافَحَهُ مُكَافَحَةً وَكَفَاحاً: لَقِيَهُ مُوَاجَهَةً. وَلَقِيَهُ كَفْحاً وَمُكَافَحَةً وَكَفَاحاً أَيْ مُوَاجَهَةً، جَاءَ المَصْدَرُ فِيهِ عَلَى غَيْرِ لَفْظِ الفِعْلِ... والمِكَافَحَةُ فِي الحَرْبِ:

(١) جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، لسان العرب، ط ٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤، ج ٤، ص ٢٧٣ (باب فصل الدال المهملة).

(٢) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط ١، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ص ٥٤ (باب التاء).

(٣) ابن منظور، مرجع سابق، ج ١٥، ص ٤٠١ (باب فصل الواو).

(٤) سورة الانسان / ١١.

(٥) ينظر: د. أحمد أحمد صالح الطويلي، التدابير الوقائية للحماية من الجريمة في الشريعة الإسلامية دراسة مقارنة، اطروحة دكتوراه من جامعة صنعاء باليمن وتم إقرار الرسالة عام ٢٠٠٥ م ، ص ٥.

(٦) ينظر: د. أحمد محمد أبو طه، التدابير الوقائية من الوقوع في جريمة العرض الفعلية ، بحث منشور بمجلة كلية الشريعة والقانون بتفهننا الأشراف دقهلية ، ع / ١٤ ، ج ٢ ، ١٤٣٣ / ٢٠١٢ ، ص ١٠٧٥.

الْمُضَارَبَةُ تَلْقَاءُ الْوُجُوهِ. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ لِحَسَّانَ: لَا تَزَالُ مُؤَيَّدًا بِرُوحِ الْقُدْسِ مَا كَافَحْتَ عَن رَسُولِ اللَّهِ؛ الْمَكَافَحَةُ: الْمُضَارَبَةُ وَالْمُدَافَعَةُ تَلْقَاءُ الْوُجُوهِ" (١).

من هذا يتضح أن المعنى المراد من المكافحة في البحث هو المواجهة والمدافعة.

ثانياً: مدلول المكافحة في الاصطلاح: - لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، ويكاد يتطابق المعنيان، فهو لا يعدو أن يكون المواجهة والمدافعة.

المطلب الرابع / مدلول المرض

سنتناول تحديد مدلول المرض لغة ومن ثم اصطلاحاً كما يأتي:-

أولاً: مدلول المرض في اللغة: - "مرض: الْمَرِيضُ: مَعْرُوفٌ. وَالْمَرَضُ: السُّقْمُ نَقِيضُ الصِّحَّةِ، يَكُونُ لِلإِنْسَانِ وَالْبَعِيرِ، وَهُوَ اسْمٌ لِلْجِنْسِ... وَمَرَضٌ فُلَانٌ مَرَضًا وَمَرَضًا، فَهُوَ مَارِضٌ وَمَرَضٌ وَمَرِيضٌ، وَالْأُنْثَى مَرِيضَةٌ... وَيُقَالُ: أَتَيْتَ فُلَانًا فَأَمْرَضْتَهُ أَيَّ وَجَدْتُهُ مَرِيضًا. وَالْمَرِضُ: الرَّجُلُ الْمِسْتَقَامُ، وَالتَّمَارُضُ: أَنْ يُرَى مِنْ نَفْسِهِ الْمَرَضَ وَلَيْسَ بِهِ" (٢).

ثانياً: مدلول المرض في الاصطلاح: - المرض: عبارة عن ضعف في القوى عموماً سواء الجسمية أم العقلية، فيترتب عليه خلل في الأفعال وهو ضريان: جسمي وروحاني: وهو عبارة عن الرذائل كجهل وجبن ونفاق وغيرها وسميت به لمنعها عن إدراك الفضائل كمنع المرض للبدن عن التصرف الكامل أو لمنعها عن تحصيل الحياة الأخرية أو لميل النفس به إلى الاعتقادات الردية كما يميل المريض إلى الأشياء المضرة (٣).

ويتطابق هذا المفهوم مع مفهوم المرض المعدي في الطب الحديث إذ عرف الأطباء الأمراض المعدية هي التي ينتقل فيها مسبب المرض من المريض إلى السليم فتصيبه العدوى فيصاب بنفس المرض (٤).

المطلب الرابع / مدلول العدوى

سنتناول تحديد مدلول العدوى لغة ومن ثم اصطلاحاً كما يأتي:-

أولاً: مدلول العدوى لغة: - العدوى " وَهُوَ اسْمٌ مِنَ الإِعْدَاءِ كَالرَّعْوَى وَالتَّبْقَوَى مِنَ الإِزْعَاءِ وَالِإِتْقَاءِ. وَالْعَدْوَى: أَنْ يَكُونَ بِبَعْضِ جَرْبٍ مَثَلًا فَتَنْتَقِي مُحَالَطَتُهُ بِإِبْلِ أُخْرَى حِذَارٌ أَنْ يَتَعَدَّى مَا بِهِ مِنَ الْجَرْبِ إِلَيْهَا فَيَصِيبُهَا مَا أَصَابَهُ... وَالْعَدْوَى: اسْمٌ مِنْ أَعْدَى يُعْذِي، فَهُوَ مُعَدٍ، وَمَعْنَى أَعْدَى أَيَّ أَجَازَ الْجَرْبَ الَّذِي بِهِ إِلَى غَيْرِهِ، أَوْ أَجَازَ جَرْبًا بِغَيْرِهِ إِلَيْهِ، وَأَصْلُهُ مِنْ عَدَا يَعْدُو إِذَا جَاوَزَ الْحَدَّ. وَتَعَادَى الْقَوْمُ أَيَّ أَصَابَ هَذَا مِثْلُ ذَا هَذَا. وَالْعَدْوَى: طَلَبُكَ إِلَى الْوَالِدِ لِتُعِيدَكَ عَلَيَّ مِنْ ظَلَمَكَ أَيَّ يَنْتَقِمُ مِنْهُ. قَالَ ابْنُ سَيِّدَةَ: الْعَدْوَى النَّصْرَةُ وَالْمُعُونَةُ" (٥).

(١) ابن منظور، مرجع سابق، ج٢، ص٥٧٣ (باب فصل الكاف).

(٢) المرجع السابق، ج٧، ص٢٣١ (باب فصل الميم).

(٣) ينظر: محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف علي مهمات التعاريف للمناوي، تحقيق د. محمد رضوان الجداية، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠، ج١، ص٦٤٩.

(٤) ينظر: د. أحمد شوقي إبراهيم، المحرمات وصحة الإنسان والطب الوقائي موسوعة المعارف الطبية في ضوء القرآن والسنة، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٣ / ٢٠٠٢، ص١٢٢.

(٥) ابن منظور، مرجع سابق، ج١٥، ص٣٩ (باب فصل العين المهملة).

ثانيا : مدلول العدوى اصطلاحاً - لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي ، ويكاد يتطابق المعنيان ، أذ عرفها الحميدي ، فقال : هي أن يكون بغير جرب أو بإنسان برص أو جذام فتتقى مخالطته ومؤاكلته مخافة أن يتعدى ما به إلى من يقاربه فيصيبه ما أصابه^(١)، كما عرف الأطباء العدوى فقالوا : هي انتقال مسبب المرض من فيروس أو بكتريا أو طفيل من مريض إلى سليم فيحدث فيه نفس المرض^(٢).

المطلب الخامس / مدلول الوباء

سنتناول تحديد مدلول الوباء لغة ومن ثم اصطلاحاً كما يأتي:-

أولاً : مدلول الوباء لغة :- فالوباء من " وَبَأَ: الْوَبَاءُ: الطَّاعُونُ بِالْفَصْرِ وَالْمَدِّ وَالْهَمْزِ. وَقِيلَ هُوَ كُلُّ مَرَضٍ عَاطٍ، وَفِي الْحَدِيثِ: إِنَّ هَذَا الْوَبَاءَ رَجَزٌ. وَجَمْعُ الْمَمْدُودِ أَوْبِيَّةٌ وَجَمْعُ الْمَقْصُورِ أَوْبَاءٌ، وَقَدْ وَبَتِ الْأَرْضُ تَوْبًا وَبَاءً. وَوُبُوتٌ وَبَاءٌ وَوَبَاءَةٌ وَإِبَاءَةٌ عَلَى الْبَدَلِ، وَأَوْبَأَتْ إِبْيَاءً وَوُبَّتْ تَبِيًّا وَبَاءً، وَأَرْضٌ وَبِيئَةٌ عَلَى فَعْلَةٍ وَوَبِيئَةٌ عَلَى فَعْلَةٍ وَمَوْبُوءَةٌ وَمَوْبِيئَةٌ: كَثِيرَةُ الْوَبَاءِ. الْأَسْمُ الْبِيئَةُ إِذَا كَثُرَ مَرَضُهَا. وَاسْتَوْبَأَتْ الْبَلَدَ وَالْمَاءَ"^(٣).

ثانيا : مدلول الوباء اصطلاحاً :- ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي ، ويكاد يتفق المعنيان ، فقد عرف المناوي الوباء فقال : فساد يعرض لجوهر الهواء لأسباب سماوية وأرضية^(٤).

المطلب السادس / مدلول المقاصد الشرعية

سنتناول تحديد مدلول المقاصد لغة ومن ثم اصطلاحاً كما يأتي:-

أولاً : مدلول المقاصد لغة :- والمقاصد جمع مقصد، والقصد والمقصد مشتقان من الفعل (قصد)، والمقصد والقصد " الْقَصْدُ فِي الشَّيْءِ: خِلَافُ الْإِفْرَاطِ وَهُوَ مَا بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالتَّقْتِيرِ. وَالْقَصْدُ فِي الْمَعِيشَةِ: أَنْ لَا يُسْرِفَ وَلَا يُقْتِرَ. يُقَالُ: فُلَانٌ مُقْتَصِدٌ فِي النَّفَقَةِ وَقَدْ أَقْتَصَدَ. وَأَقْتَصَدَ فُلَانٌ فِي أَمْرِهِ أَيِ اسْتَقَامَ. وَقَوْلُهُ: وَمَنْهُمْ مُقْتَصِدٌ؛ بَيْنَ الظَّالِمِ وَالسَّابِقِ. وَفِي الْحَدِيثِ: مَا عَالَ مُقْتَصِدٌ وَلَا يَعِيلُ أَيِ مَا أَقْتَرَّ مَنْ لَا يُسْرِفُ فِي الْإِنْفَاقِ وَلَا يُقْتِرُ"^(٥).

ولا شك أن المقصد العام في جميع الرسائل السماوية بما فيها الاسلام اخرها هو العبادة كما دل على ذلك قوله تعالى:(وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)^(٦).

فمقاصد الشريعة منها ما هو من الضروريات كحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال ومنها ما هو من الحاجيات ومنها ما هو من التحسينات أي الكماليات وتتفق كل الشرائع السماوية على الضروريات والاصوليات الاساسية الجوهرية الخمسة سواء بالشرعية الاسلامية ام بالشرائع السماوية السابقة ، وقد استعمل القرآن الكريم مصطلح بتعبير شرعة لما يقابل الدين في الشرائع الالهية فقال تعالى:(...لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا...)^(٧)وقال تعالى في مقابلها : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي

(١) ينظر: محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي الحميدي ، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق : د. زبيدة محمد سعيد، ط١،

مكتبة السنة ،القاهرة ، ١٤١٥ / ١٩٩٥م، ج١، ص٩٠.

(٢) ينظر: د. أحمد شوقي إبراهيم، مرجع سابق، ص١٢٢.

(٣) ابن منظور، مرجع سابق، ج١، ص١٨٩(باب فصل الواو).

(٤) ينظر : محمد عبد الرؤوف المناوي، مرجع سابق، ج١، ص٧١٧.

(٥) ابن منظور، مرجع سابق، ج٣، ص٣٥٤(باب فصل القاف).

(٦) سورة الذاريات/٥٦.

(٧) سورة المائدة/٤٨.

أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب (١).

فالأديان السماوية نزلت وتناولت الجانب الفردي والجانب الاجتماعي فنظمت الأديان الفردية علاقة الانسان بنفسه وبخالقه ودعت الى التحلي بالأخلاق الحميدة والمثل العليا من الصدق والامانة وغيرهما كدين سيدنا المسيح عليه السلام، اما الأديان الجماعية فإنها تجاوزت تنظيم علاقة الفرد بنفسه وبخالقه ووضعت قواعد تنظيمية نظمت بها علاقة المجتمع تنظيميا قانونيا كالدين الاسلامي الحنيف وبناء على ذلك فان الأديان السماوية مما اختلفت في نطاقها وطبيعة تنظيمها تكون موحدة في اهدافها ومقاصدها الاجتماعية والاصلاحية والانسانية لتحقيق مقاصد المجتمع البشري من الناحيتين الروحية والمادية، وهذا ما نجده ونلمسه بصورة واضحة في الشريعة الاسلامية أكثر من الشرائع الأخرى السابقة لان مهمة الرسل السابقين كانت دينية روحية أكثر من ان تكون سياسية واجتماعية حيث لم تكن احوال الامم والشعوب الغابرة تستدعي اقامة نظام سياسي كامل فأقام الاسلام شرعة جمعت بين الجوانب الروحية والمادية وجاءت بأسس سمحاء هي في غاية النضج والكمال فلم تترك جانبا من جوانب الحياة الا احتوته ووضعت العلاج الشافي للحياة الفوضوية التي كانت تسود العالم وحددت طبيعة حقوق وواجبات الانسان وكانت نزعتها ازدواجية تجمع بين النزعة الفردية والجماعية دون ان تربي احدى النزعتين على حساب الأخرى، وهكذا فإن منظومة المقاصد الشرعية التي تسعى إلى دفع المفاسد عن العباد، وجلب المصالح إليهم وهي منظومة شاملة كاملة، فالشريعة جاءت لحفظ مقاصد رئيسية شرعية ذات أهمية بالغة وجليه للعلوم الشرعية وفقهاها، فمقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة.

والملاحظ حقيقة ان هناك رابط بين المعنى الاصطلاحي للمقاصد والمعنى اللغوي السابق ذكره، وهو المقاصد بمعنى الأم وإتيان الشيء والتوجه إليه.

ثانيا: مدلول المقاصد اصطلاحا :- عرف علماء الأصول مقاصد الشريعة بتعريفات متعددة، ومن أبرزها بأنها " الغايات والاهداف والنتائج والمعاني التي اتت بها الشريعة واثبتتها في الاحكام وسعت الى تحقيقها وإيجادها والوصول اليها في كل زمان ومكان" (٢).

وهكذا فان مصطلح المقاصد الشرعية تستعمل بمعنى أهداف الدين عموما أو أهداف الأحكام العملية المنصوص عليها في الكتاب والسنة خصوصا، وكثرة استعمال الفقهاء لهذا المصطلح جعل المعنى الثاني هو المتبادر الى الأذهان عند استعماله، ومع مرور الزمن صار هذا المصطلح يفيد المقصود من الأحكام الشرعية الفقهية سواء ثبتت هذه الاحكام عن طريق النصوص او الاجتهاد، ويفيد الباحثون في موضوع المقاصد ان المقصد النهائي للأحكام الشرعية هو تحقيق مصالح الناس ودفع الضرر عنهم وان هذا الاساس متفق عليه بين علماء الاسلام، فقد توصل العلماء بعد دراسة جميع الأدلة المتعلقة بالموضوع عن طريق الاستقراء ان الاحكام الشرعية تستهدف قطعا تحقيق مصالح معينة، تمثيلا لقوله تعالى: (واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) (٣)، ونحو ذلك من الآيات القرآنية الكريمة وفي قول النبي(صلى الله عليه وسلم) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(رضي الله عنه) عَنْ النَّبِيِّ(صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّجَى) (٤)، وقوله(صلى الله عليه وسلم)عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(صلى الله عليه وسلم): (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)

(١) سورة الشورى/١٣.

(٢) ينظر: د. محمد الزحيلي، مقاصد الشريعة اساس لحقوق الانسان، كتاب الامة، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، ع/٨٧، ص٧٠.

(٣) سورة البقرة / ٢٠٥.

(٤) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، ج١، ص١٦ (باب الدين يسر، رقم الحديث ٣٩).

(١)، وامثال ذلك من الاحاديث الشريفة التي تبين ان الهدف الأساسي للأحكام والتعاليم الدينية هو اعتبار مصالح الناس ودفع الضرر عنهم ، وفي هذا السياق فان كلمة المصلحة تستعمل بمعنى يشمل مصلحة الانسان الدنيوية والأخروية ، من هذه الناحية فانه توجد علاقة مباشرة بين المقاصد والمصالح ولشمول المقاصد للمصالح فان كلا المفهومين يستعمل احدهما مكان الاخر، وتعد المقاصد العامة الاخرى التي يذكرها علماء الاسلام داخلة في محتوى مفهوم المصلحة وتعد وسيلة لتحقيقها^(٢).

فالشريعة الإسلامية شريعة متوازنة متكاملة جاءت لتنظم شؤون الدنيا والآخرة وتعنى بحياة الفرد والمجتمع، كما أولت في بنائها لصحة الإنسان وسلامته وعافيته عناية فائقة واعتبرت ذلك مقصداً من مقاصدها^(٣)، وقد تعددت مظاهر اعتنائها به ومن ذلك الاعتناء بالطهارة والنظافة، فقد اعتبر الإسلام الطهارة شعار المسلم ومنهاجه في حياته وسلوكه اليومي الذي لا يجيد عنه، والطهارة في الإسلام تشمل طهارة البدن وطهارة الثوب وطهارة المكان وطهارة القلب، ولكل قسم من أقسامها أحكام تضبطها وأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بغسل اليدين بعد القيام من النوم قبل أن توضع في آنية الوضوء، حفاظاً منه على طهارة اليدين من الأوساخ والنجاسات، وحفاظاً منه كذلك على عدم تلويث الماء حتى لا تتأذى صحة الإنسان.

المبحث الثاني/التعريف بصور التدابير

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بتطبيقات مختلفة للتدابير الوقائية وذلك لمكافحة انتشار العدوى للأمراض المعدية بإيجاد افضل السبل للوقاية من التلوث وانتقال الجراثيم والفايروسات الحاملة للأمراض البوائية^(٤)، ومن هذه التدابير الوقائية الشرعية التي مصدرها السنة النبوية كراهة النفخ في الإناء أو التنفس فيه وكراهة البصاق على الأرض في الأماكن العامة وغسل الكفين ثلاثاً قبل إدخالهما الإناء ومنع التلوث بلعاب الكلب والنهي عن التبول والتبرز في موارد المياه العامة وتغطية آنية الطعام والشراب والنهي عن الشرب من في السقاء وغير ذلك ويمكن بيان ذلك بإيجاز من غير اسهاب ضمن سبعة مطالب وذلك على النحو الآتي :-

المطلب الاول/ مكافحة العدوى الجرثومية بكراهة التنفس في الإناء أو النفخ فيه.

المطلب الثاني/ مكافحة العدوى الجرثومية بمنع البصاق على الأرض في الأماكن العامة.

(١) أخرجه ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ، ج٢، ص٧٨٤ باب من بنى في حقه ما يضر بجاره ، رقم الحديث (٢٣٤١).

(٢) ينظر: د. علي باردق اوغلو ، مقاصد الشريعة الاسلامية وتوظيفها لحل المشاكل المعاصرة ، متاح على الموقع الالكتروني الاتي بتاريخ ٢٠٢٠/٣/١٥ :-
www.imtithal.com.

(٣) تنظر: صحيفة الاتحاد ، صحة وسلامة الانسان اهم مقاصد الشريعة الاسلامية الغراء ، متاح على الموقع الالكتروني الاتي بتاريخ ٢٠٢٠/٣/١٥ :-
www.alittihad.ae.

(٤) الجدير بالذكر ان الجرائم في اللغة تعني " جرم: الجرثومة: الأصل؛ وجرثومة كُلِّ شَيْءٍ أَصْلُهُ وَمُجْتَمَعُهُ، وَقِيلَ: الجرثومة ما اجتمع من التراب في أصول الشجر؛ عن اللحياني. وجرثومة النمل: قرته. اللَّيْثُ: الجرثومة أصل شجرة يجتمع إليها التراب. والجرثومة: التراب الذي تسفيه الريح، وهي أيضاً ما يجتمع النمل من التراب. وفي حديث ابن الزبير: لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَهْدِمَ الكَعْبَةَ وَبَنِيهَا كَانَتْ فِي المَسْجِدِ جراثيمٌ " ينظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج١٢، ص٩٥ (باب فصل العين المهملة) ، اما معنى الجراثيم في علم الاصطلاح : فهي عبارة عن اسم عام يطلق على الكائنات الحية الدقيقة المسببة للأمراض ، كالحوانات الأولية (الپروتوزوا) والبكتيريا والفطر المرضية والفيروسات، وهنا نجد من الضروري ان نعرج سريعاً على معنى الفايروسات فالفيروسات : فهي كائنات صغيرة الحجم جدا ، لا ترى إلا بالميكروسكوب العلمي ، إلا أنها ترى بالميكروسكوب الإلكتروني الذي يكبر الصورة آلاف المرات وهي آلاف الأنواع وهي ليست خلايا بها أنوية وتتكاثر بطريقة عجيبة وهي أنها تدخل في الخلايا الحية وتتكاثر داخلها بالعشرات والمئات فتموت الخلية الحية وتنطلق منها الفيروسات بالعشرات والمئات لتدخل كل منها خلية حية أخرى وهكذا وتختلف الفيروسات عن جميع الكائنات الحية في كل شيء فهي مكونة من حامض نووي واحد، بينما خلايا جميع الكائنات الحية بها حامض نوويان ، اما المقصود بفايروسات كورونا (COVID-19) فهي مجموعة كبيرة من الفيروسات التي يمكن ان تصيب الحيوانات والبشر على حد سواء حيث تسبب امراض الجهاز التنفسي سواء التي تكون خفيفة مثل نزلات البرد او الشديدة مثل الالتهاب الرئوي.

- المطلب الثالث/ مكافحة العدوى بمنع التلوث بلعاب الكلب والمبالغة في غسله.
- المطلب الرابع/ مكافحة العدوى من خلال النهي عن التبول والتبرز في الموارد العامة.
- المطلب الخامس/ مكافحة العدوى من خلال نهي المستيقظ من النوم عن وضع يده في الإناء قبل غسلها.
- المطلب السادس/ مكافحة العدوى الجرثومية بتغطية آنية الطعام والشراب.
- المطلب السابع/ مكافحة العدوى الجرثومية بتحريم بعض الاطعمة الضارة.
- المطلب الاول/ مكافحة العدوى الجرثومية بكرهه التنفس في الإناء أو النفخ فيه

لقد ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية إلى أنه يكره التنفس في إناء الشرب أو النفخ فيه، وقد ثبت علمياً من خلال التجربة العملية والطب الحديث أنه قد يتسبب في تلوته بهذه الطريقة^(١)، ويؤدي إلى انتقال بعض الجراثيم المسببة للأمراض البوائية الفتاكة مثل الأنفلونزا بأنواعها المختلفة كإنفلونزا الطيور والخنزير وحمى الملاريا وفيروس الأيبولا وفيروس كورونا (كوفيد19)، ومن هنا نفهم العلة والمعجزة النبوية الخالدة بنهي النبي (صلى الله عليه وسلم) عن تبريد الطعام أو الشراب بالنفخ فيه وقاية للإنسان من مخاطر المرض ومن ذلك ما رواه عن ابن عباس (رضي الله عنه): أن النبي (صلى الله عليه وسلم) (نهي أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه)^(٢)، ومن حكمة النهي عن النفخ في الإناء والنهي عن النفخ في الشراب حملاً لأمنته على مكارم الأخلاق وأنه من باب النظافة، لأن النافخ في آنية الماء يجوز أن يقع من ريقه فيها شيء مع النفخ، فيتقذره الناظر ويفسده عليه، وقال الشوكاني: النهي عن التنفس في الإناء الذي يشرب منه لئلا يخرج من الفم بزاق يستقذره من شرب بعده منه، أو تحصل فيه رائحة كريهة تتعلق بالماء أو بالإناء^(٣).

وفي هذا الصدد ينبغي ان نشير الى ان المرض البوائي الذي احتل وسيطر وقهر العالم في هذا العام بالتحديد (٢٠١٩-٢٠٢٠) فهو اصغر مخلوق وجد من جنود رب العالمين الذي لا يرى بالعين المجردة، وهو ما يعرف ب(فيروس كورونا المستجد -كوفيد19) من سلالة كورونا، والذي تم التعرف عليه لأول مرة في عدد من المصابين بأعراض الالتهاب الرئوي في مدينة ووهان بمقاطعة هوبي، حيث ان معظم الحالات مرتبطة بسوق المأكولات البحرية والحيوانية، وعادة ما تنتشر سلالات فيروس كورونا الأخرى من شخص مصاب لآخر سليم عبر الرذاذ الملوث من خلال السعال أو العطس أو الأيدي الملوثة وكذلك ينتقل هذا الفيروس عن طريق ملامسة الأسطح الملوثة، ويجب مكافحة العدوى الجرثومية به بأخذ التدابير الوقائية الشرعية التي مصدرها السنة النبوية ومنها كراهة النفخ في الإناء أو التنفس فيه^(٤).

المطلب الثاني/مكافحة العدوى الجرثومية بمنع البصاق على الأرض في الأماكن العامة

من المعلوم أن البصاق: يعني اللعاب الخارج من الفم والذي يحمل الكثير من الجراثيم والميكروبات، ولذلك يعتمد الأطباء في كثير من الأحيان إلى تحليله لتشخيص نوع المرض مثل مرض السل فإن من طرق تشخيصه تحليل بصاق المريض المصاب، وكذلك

(١) ينظر: ابن عبد البر، الاستئكار، ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠، ج٨، ص٣٥٣؛ الشوكاني، نيل الاوطار، دار الجليل، بيروت، ١٩٧٣، ج٩، ص٦٥؛ ابن حزم الظاهري، دار الافاق الجديدة، بيروت، ج٧، ص٥٢.

(٢) أخرجه الترمذي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني: حديث صحيح، ينظر: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤، ص٣٠٤ (باب كراهة النفخ في الشراب رقم الحديث ١٨٨٨).

(٣) ينظر: الشوكاني، مرجع سابق، ج٩، ص٦٥.

(٤) ينظر: فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩)، ص١، متاح على الموقع الإلكتروني الاتي بتاريخ ١٥ / ٣ / ٢٠٢٠:-

بعض الأمراض الصدرية الاخرى^(١)، ويستهين بعض الناس بالبصاق فلا يباليون بأن يبصقوا على الأرض أو على الجدران في أي مكان حتى في المسجد مكان الصلاة والطهارة ، وإذا كان البصاق على الأرض في الطرقات أذى وإضراراً للغير ومجافاة لأداب السلوك وبخاصة بعد انتشار المناديل الورقية وغيرها فإن فعله في المسجد أكثر إيذاء حتى عدده الرسول (صلى الله عليه وسلم) خطيئة^(٢) ، لهذا جاء النهي الوارد في الحديث الشريف عن البصاق في الأماكن التي يتخللها الناس إذ ورد عَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (الْبُصَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا)^(٣).

فالرذاذ المنتشر من البصاق والسعال والعطاس يساهم في نشر الفيروسات مثل مرض الأنفلونزا بأنواعها وفيروس كورونا وغيرها، ومن الأفضل استخدام باطن الكوع أو الساعد في حال عدم توفر المنديل لأنه لا يوجد اتصال بينهما وبين ملامسة الأشياء التي نستخدمها واخذ التدابير الوقائية الشرعية ومنها مكافحة العدوى الجرثومية بمنع البصاق على الأرض في الأماكن العامة^(٤)، فمرض فيروس كورونا ينتقل عبر الاتصال المباشر بالرذاذ التنفسي الصادر عن شخص مصاب والذي ينشأ عن السعال أو العطس أو البصاق أو ملامسة الأسطح الملوثة بالفيروس، ويمكن لهذا الفيروس أن يعيش على الأسطح لعدة ساعات، ولكن يمكن القضاء عليه بمسح الأسطح بالمطهرات البسيطة، وبغسل اليدين بصفة متكررة أو استخدام مطهر يحتوي على كحول بتركيز 60% على الأقل، والالتزام بممارسات النظافة الصحية الجيدة واستخدام مناديل ورقية عند السعال أو العطس أو البصاق والتخلص منها فوراً، وتجنب الاختلاط عن قرب مع أي شخص يسعل أو يعطس وتنظيف المقعد الذي يستخدمه والمفاتيح ومقابض الأبواب وأية أدوات أخرى يستعملها باستخدام مناديل مطهرة^(٥).

المطلب الثالث/ مكافحة العدوى بمنع التلوث بلعاب الكلب والمبالغة في غسله

مما لا شك فيه أن الكلب في الغالب يتغذى على النجاسات والميتة والقذارة، ولذلك فإن لعابه وهو الريق الذي يسيل من الفم يحمل غالباً جراثيم ضارة تنقل الأمراض للإنسان ، لهذا جاء الإرشاد النبوي بتنظيف الوعاء الذي يلغ فيه الكلب بغسله سبع مرات إحداهن بالتراب وذهب فقهاء الشافعية والحنابلة^(٦) إلى وجوب استعمال التراب مع الماء في التطهير من نجاسة الكلب والخنزير وما تولد منهما لقوله (صلى الله عليه وسلم) (إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي الْإِنَاءِ فَاعْسَلُوهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَعَقِّرُوهُ الثَّامِنَةَ فِي التُّرَابِ)^(٧).

(١) الجدير بالذكر ان حقيقة البصاق في اللغة : هو بصق: البصاق: لُغَةٌ فِي الْبُرَاقِ، بَصَقَ يَبْصُقُ بَصْقًا. : هو ما يلقيه الإنسان من فيه من الماء والرطوبة التي تتحل منه، ولا يسمى بصاقاً إلا إذا ألقى من الفم، فأما إذا كان فيه فيسمى الريق . والعامة تقول: البزاق بالزاي، ويطلق البصاق أيضاً على الأخطا التي تفرزها مسالك التنفس عند المرض، ينظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج١٠، ص٢٠ (باب فصل الباء).

(٢) ينظر: محمد بن علي العرفج، المشروع والممنوع في المسجد، الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، ط١، ١٤١٩ هـ، ج١، ص٢٩.

(٣) أخرجه النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد الخراساني النسائي، المجتبى من السنن السنن الصغرى للنسائي ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦ / ١٩٨٦، ج٢، ص٥٠ (باب البصاق في المسجد، رم الحديث ٧٢٣).

(٤) ينظر: فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩) ، مرجع سابق، ص١٠.

(٥) ينظر: مرض الفيروس التاجي [فيروس كورونا] (كوفيد-١٩)، متاح على الموقع الإلكتروني الاتي بتاريخ ١٥ / ٣ / ٢٠٢٠ :- <https://www.unicef.org>.

(٦) ينظر: الشريبي، مغني المحتاج، دار الفكر، بيروت، ج١، ص٨٣؛ ابن قدامة المقدسي، المغني، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥، ج١، ص٥٢؛ الصنعاني، سبل السلام، ط٤، دار احياء التراث العربي، ١٣٧٩، ج١، ص٢٥.

(٧) أخرجه الإمام مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١، ص٢٣٥ (كتاب الطهارة باب حكم ولوغ الكلب رقم الحديث ٢٨٠).

في حين ذهب الحنفية والمالكية ، إلى أنه لا يجب استعمال التراب في ذلك^(١)، إلا ان الطب الحديث أثبت أن الجراثيم والميكروبات التي يحملها لعاب الكلب تعد ممرضة ولا يمكن التخلص منها إلا بالتراب مهما وضع من المطهرات الحديثة ، وهذا يؤيد الى ما ذهب اليه فقهاء الشافعية والحنابلة وهو الاصح والله تعالى اعلى واعلم^(٢).

المطلب الرابع/مكافحة العدوى من خلال النهي عن التبول والتبرز في الموارد العامة

مما هو مسلم به أن التبول والتغوط في الموارد العامة يعد من أخطر وأشد العوامل المسببة لتلوث الماء حيث ينقل كثير من الأمراض المعدية ويسبب كذلك بنقل مرض الكوليرا وحمى التيفوئيد وشلل الأطفال والتهاب الكبد والتهاب الأمعاء والبلهارسيا وغيرها من الأمراض المعدية، ولذلك فإن الوقاية دائما تكون أفضل من العلاج ، وفي هذا يقول رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَتَوَلَّى: (اتَّقُوا الْمَلَأَيْنِ الثَّلَاثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَالظَّلَى، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ)^(٣).

ويؤكد الأطباء أن التبول والتغوط في الموارد العامة يعدان من أخطر مسببات التلوث ونقل الأمراض السالفة الذكر وخاصة الالتهاب الكبدي وتنتشر البلهارسيا عند التبول في الماء حيث تنتقل طفيليات هذا المرض وتنتشر في الماء وخاصة الماء الراكد الذي لا يجري حيث تكتمل أطوارها حتى تصبح يرقة ذات ذنب تسبح في الماء حتى تجد جسما فتخترقه وبمرور أربع وعشرين ساعة تكون قد وصلت إلى الدم منهية دورتها في الكبد حيث تبدأ حياتها وتتراوح ثم تنتقل إلى المثانة أو الأمعاء فتبيض وتخرج مرة أخرى عن طريق البول متهيئة للانتقال إلى شخص آخر^(٤).

المطلب الخامس/مكافحة العدوى من خلال نهي المستيقظ من النوم عن وضع يده في الإناء قبل غسلها

ان من طرق وقاية الماء من التلوث هو نهي المستيقظ من وضع يده في الإناء إلا بعد غسلها ثلاثا ، ولذلك جاء النهي النبوي الوارد في الاثر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ فِي أَنْفِهِ، ثُمَّ لِيَنْثُرْ، وَمَنْ اسْتَجَمَرَ فَلْيُوتِرْ، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي أَيُّنَ بَاتَتْ يَدُهُ)^(٥)، وهذا النهي النبوي يعد إجراء وقائي في منع اليد التي تلتوث بمجرد ملامستها لعضو من أعضاء الجسم أثناء النوم أو ملامستها للشرج فتسبب نقل الجراثيم.

ومما يؤكد ذلك ما جاء من توصيات وقائية لمنع انتشار ما يعرف بوباء جائحة كورونا الذي اصاب العالم فاكدوا على ان غسل اليدين يكون بعد ملامسة الحيوانات أو النفايات وعند اتساخ يديك وبعد استخدام المراض وبعد السعال أو العطس وعند رعاية المرضى وبعد الاستيقاظ من النوم وقبل الأكل وبعد الأكل واستخدام مطهر الأيدي إذا لم يتوفر الصابون والماء وتعقيم الأسطح باستمرار وتغطية الفم والأنف بمنديل عند السعال أو العطس^(٦).

المطلب السادس/مكافحة العدوى الجرثومية بتغطية آنية الطعام والشراب

(١) ينظر: الكاساني، بدائع الصنائع، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢، ج١، ص٦٣؛ ابن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي، دار الفكر، بيروت، ج١، ص٤٩.

(٢) ينظر: د.علي بن جابر الشبيبي، الوقاية الصحية في الاسلام، بحث منشور بمجلة البحوث الاسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة، ع/ ٧١، ص٣٧٢.

(٣) أخرجه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، ج١، ص١١٩ (باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق، رقم الحديث ٣٢٨).

(٤) ينظر: د. علي بن جابر وادع الشبيبي، مرجع سابق، ص٣٥٨.

(٥) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج١، ص٤٣ (باب الاستجمار وترا، رقم الحديث ١٦٢).

(٦) ينظر: فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩)، مرجع سابق، ص١.

لقد حث الإسلام على تغطية آنية الطعام والشراب حفظا على صحة وسلامة الإنسان من التلوث بالجراثيم ومن هنا جاء التحذير النبوي بالحث على تغطية الأنية فقد ورد عن جابر بن عبد الله، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ، يَقُولُ: (عَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يُمْرُ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ) (١).

وعن جابر أيضا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ: (عَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، وَأَعْلِفُوا الْبَابَ، وَأَطْفِئُوا السِّرَاحَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَجُلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدَكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْزُضَ عَلَى إِنَائِهِ غُدًّا، وَيَذْكَرَ اسْمَ اللَّهِ، فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ) (٢).

المطلب السابع/مكافحة العدوى الجرثومية بتحريم بعض الاطعمة الضارة

لقد جاء التحريم الرباني في قوله تعالى: (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتريفة والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالاذلام ذلكم فسق اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم) (٣).

فالتحريم ورد عن أكل الميتة والدم ولحم الخنزير- هي الحيوانات أو الطيور مأكولة اللحم التي أغلب أكلها النجاسات فيحرم أكلها- والمنخنقة والموقوذة - هي التي ضربت إلى أن ماتت، يقال: وقدها وأوقدها ، إذا ضربها إلى أن ماتت- والمتريفة- هي الساقطة من العالي من الشيء العالي من جبل، تدرجت من الجبل حتى ماتت او سقطت من جدار- والنطيحة- هي المنطوحة التي نطحها أختها - وما اكل السبع وغيرها، وهذا يدل على حرص الاسلام على سلامة صحة الانسان ومن اجل مصلحته فالأوامر الالهية من الاحكام الشرعية كلها جاءت من اجل مصلحة العباد فكلها تدور في فلك واحد وتدور معه وجودا وعدما- أي تدور مع مصلحة العباد - من اجل تحقيق مقاصد الشريعة الاسلامية في حفظ النفس وهذا ما توصل اليه الطب الحديث ايضا واکده من اضرار تلك المحرمات وخطورتها على الصحة (٤)، وهذا ايضا ما توصلت اليه الاختبارات الطبية المخبرية وخاصة فيما يتعلق بالمرض المعدي الوبائي فايروس كورونا حيث اكدت الدراسات الاخيرة انه يجب تجنب اكل لحوم الحيوانات (غير المطهية سواء كانت حية ام ميتة) اذ شاع اكل انواع من المأكولات الصينية بلد منشأ الفايروس كالحنفايش.. الخ (٥).

وفي هذا الصدد فقد جاء في الشريعة الاسلامية ايضا ما يقتضي بوجوب الخروج من الأرض الموبوءة اذ جاء في الحديث الشريف الوارد عن يحيى بن عبد الله بن جابر، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ فَرُوهَ بْنَ مُسَيْكٍ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْضٌ عِنْدَنَا يُقَالُ لَهَا أَرْضُ أُبَيِّنَ هِيَ أَرْضُ رَيْفَنَا، وَمِيرَتَنَا، وَإِنَّهَا وَبِيئةٌ، أَوْ قَالَ وَبَاؤها شَدِيدٌ فَقَالَ النَّبِيُّ: (دَعَهَا عَنكَ، فَإِنَّ مِنَ الْقَرْفِ التَّلْفَ) (٦)، فالقرف: ملابسة الداء ومدانة المرض ، والتلف: الهلاك وليس هذا من باب العدوى ، وإنما هو من باب الطب فإن استصلاح الهواء من أعون الأشياء على صحة الأبدان وفساد الهواء من أسرع الأشياء إلى الاسقام، كذلك الوقاية بمنع قدوم المريض مرضا معديا أو وبائيا على الأصحاء

(١) أخرجه الإمام مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج٣، ص١٥٩٦ (باب الامر بتغطية الاناء وايكاء، رقم الحديث ٩٩).

(٢) أخرجه الإمام مسلم، المرجع السابق، ج٣، ص١٥٩٤ (باب الامر بتغطية الاناء وايكاء، رقم الحديث ٩٦).

(٣) سورة المائدة/٣.

(٤) ينظر: د.علي بن جابر وادع الثبيتي، مرجع سابق، ص٣٦٢.

(٥) ينظر: فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩)، مرجع سابق، ص١.

(٦) أخرجه الإمام أبو داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ج٤، ص١٩ (باب في الطيرة، رقم الحديث ٣٩٢٣).

فقد جاء في الشريعة الإسلامية ما يقتضى منع قدوم المريض مرضا معديا على الصحيح ، فمن البديهي أن قدوم المريض على الأصحاء سبب لنقل المرض إذا شاء الله ذلك، اذ ورد في الحديث الشريف الوارد في الاثر عن ابن شهاب، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) يُحَدِّثُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (لَا عَدْوَى) وَيُحَدِّثُ مَعَ ذَلِكَ (لَا يُورِدُ الْمُتَمَرِّضُ عَلَى الْمُصْحِحِّ) ^(١)، وبهذا فقد نهى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن الخروج من الارض التي وقع بها الطاعون أو الدخول فيها، لما في ذلك من التعرض للبلاء، وحتى يمكن حصر المرض في دائرة محددة ومنعا لانتشار الوباء، وهو ما يعبر عنه بالحجر الصحي ومن هنا نعلم أن الإسلام حافظ على صحة الإنسان ، اذ ورد في الاثر ان عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَعَبِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي مِنْ هَذَا عَلَمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: (إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ) ^(٢).

الخاتمة

أولاً: النتائج:-

- ١- اتضح ان لمقاصد الشريعة الإسلامية أهمية بالغة لمعالجة كل ما استجد من المسائل التي لم يرد فيه حكم فقهي قاطع وتوظيفها لحل المشاكل المعاصرة ، اذ أصبحت اليوم من المفاهيم التي تدور على السنة الباحثين من اجل تجديد واحياء الفقه الاسلامي حتى يأخذ دوره في الحياة الاجتماعية للمسلمين وهذا يشير إلى صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان.
- ٢- توضح عظمة التشريع الإسلامي وإعجازه وسبقه على كل الاكتشافات العلمية الحديثة في بيان التدابير الوقائية الشرعية المستقبلية التي تقي الإنسان الإصابة بالأمراض المعدية التي يفرض العديد منها إلى الموت.
- ٣- تبين كثرة التدابير الوقائية المستقبلية وتنوعها في الشريعة الإسلامية فهناك تدابير في مجال الاطعمة والأشربة تقي الفرد من العدوى ، وخلصنا الى ان الواجب الشرعي اولا هو التوكل على الله والثقة به ومن ثم يجب عليه الحذر والأخذ بأسباب الوقاية من المهالك فضلا عن انه اذا كان مصابا بمرض معد ان يتقي نقل المرض لغيره حتى يمكننا حصر المرض والتغلب عليه.
- ٤- استنتجنا ان مقاصد الشريعة لها أهمية كبرى في عملية الاجتهاد فلا بد من مراعاة المقاصد المعتمدة في النصوص عند فهم وتفسير الكتاب والسنة كما ان مبدأ مراعاة المقاصد قد كان اساس عملية الاجتهاد في عهد الصحابة والتابعين ومن بعدهم ولاقى قبولا عاما لدى المذاهب الفقهية الا ان الفقهاء لم يميزوا الحكم على وفق مقاصد الشارع من دون مراعاة النصوص والادلة الخاصة بالمسائل الجزئية.

ثانياً: التوصيات:-

- ١- نوصي بضرورة الاعتماد على المنهج النبوي الشريف وعده منهج حياة متكاملة لأن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى .
- ٢- نوصي باتباع المنهج النبوي الشريف الخاص بالتدابير الاحترازية الوقائية لمكافحة انتشار العدوى والوقاية من التلوث وانتقال الامراض المعدية لان الاحاديث النبوية تعد معجزة نبوية جاءت بمنهج سليم وقائي فهي اسلوب حياة تحم مستقبلنا من انتشار الامراض والعدوى كما اثبت الطب الحديث ذلك واكدوه بالتجارب العملية .
- ٣- نقترح اصدار قوانين داخلية وطنية وخارجية دولية تلزم اتخاذ التدابير الاحترازية الوقائية وتعددها مسؤولية تضامنية تقع على عاتق الافراد من عدم التعرض لأسباب انتقال المرض المعدى، كما تقع المسؤولية ايضا على الدولة والمجتمع الدولي بما يجب عليها من وضع

(١) أخرجه الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج٤، ص١٧٤٤ (باب لا عدوى ، ولا طيرة ولا، رقم الحديث ١٠٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم، المرجع السابق، ج٤، ص١٧٤٠ (باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، رقم الحديث ٩٨).

التدابير الوقائية كفرض الوقاية الصحية ونحوها، ووفقا لما جاء به الفقه الإسلامي من الحذر من انتشار العدوى وانتقال الجراثيم المسببة للأمراض البائية .

٤- نوصي بضرورة العناية بدراسة مقاصد الشريعة الإسلامية لما لها من اثر كبير في توجيه احكام العبادات والعادات للأفراد والمجتمع ، حيث انها شريعة ربانية علمية متوازنة، فضلا عن ان معرفة مقاصد الشريعة تعد طريق لرد المشتبهات من المسائل المستجدة وهي التي تظهر بكثرة في زماننا الحاضر.

مراجع ومصادر البحث

القرآن الكريم

اولا/ كتب الحديث الشريف والآثار:-

- ١- الشوكاني، نيل الاوطار، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣، ج٩.
- ٢- الصنعاني، سبل السلام، ط٤، دار احياء التراث العربي، ١٣٧٩، ج١.
- ٣- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ج٤.
- ٤- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد الخراساني، المحتجى من السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦ / ١٩٨٦، ج٢.
- ٥- القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ج١.
- ٦- الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: د. زبيدة محمد سعيد، ط١، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٥ / ١٩٩٥م، ج١.
- ٧- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، ج١.
- ٨- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤.
- ٩- النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١، ج٣، ج٤.

ثانياً/ كتب الفقه الإسلامي:-

كتب الفقه الحنفي:-

- ١- الكاساني، بدائع الصنائع، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢، ج١.
- ##### كتب الفقه المالكي:-
- ١- ابن عبد البر، الاستذكار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠، ج٨.
 - ٢- الدسوقي، ابن عرفة، حاشية الدسوقي، دار الفكر، بيروت، ج١.

كتب الفقه الشافعي:-

- ١- الشربيني، مغني المحتاج، دار الفكر، بيروت، ج١.

كتب الفقه الحنبلي:-

- ١- المقدسي، ابن قدامة، المغني، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥، ج١.

مدى تأثير جائحة كورونا وتدابير الاغلاق على عقود الإيجار-دراسة مقارنة

إيناس مكي عبد نصار الجنابي

تخصص قانون مدني

- جامعة بابل - كلية القانون - فرع القانون الخاص - محافظة بابل - العراق

law.enas.maki@uobabylon.edu.iq

enassmekee@gmail.com

ملخص الدراسة :

كما معروف أن عقود الإيجار تعد من أكثر العقود شيوعاً وتداولاً في حياتنا العملية نظراً للحاجة إليها ويتميز هذا العقد بأهميته الاقتصادية باعتباره وسيلة من وسائل استثمار الأموال كما انه يعد اداة من الناحية الاجتماعية لتنظيم العلاقة المستمرة بين المؤجر والمستأجر .

لأهمية هذه العقود نظمها غالبية التشريعات بنصوص صريحة ومنها قانونا المدني العراقي والقوانين المدنية المقارنة ، فضلا عن ذلك أن المشرع أراد أن يواكب التغيرات الاقتصادية التي حدثت بالمجتمع فقد شرع قوانين خاصة تنظم العلاقة التجارية بين المؤجر والمستأجر فقد شرع قانون إيجار العقار العراقي رقم ٨٧ لسنة ١٩٧٩ المعدل بالقانون رقم ٥٦ لسنة ٢٠٠٠ لذا فان القوانين التي نظمت عقد الإيجار تعد من القوانين المهمة التي يرجع اليها الناس لزيادة الدعاوى التي ترفع امام المحاكم فيقتضي وضع نصوص قانونية ملائمة لتلك النزاعات التي تحدث بين المتعاقدين .

لكن بعد طرء جائحة "كورونا" جعل العالم يعيش أحداثاً صعبة وقلقة للغاية بسبب ارتفاع حصيلة الخسائر البشرية والاقتصادية، فضلا عن شل الحركة تماما والتنقل ، الأمر الذي جعل منظمة الصحة العالمية تصدر تصريحاً باعتبار هذه الجائحة وباءاً علمياً. ومنذ ذلك الحين لا بد من دراسة الاثار القانونية التي تترتب على هذه الجائحة وفيما يتعلق على وجه الخصوص بعقود الإيجار باعتبارها من أكثر العقود تأثراً بالجائحة لانها من العقود المستمرة الذي يلعب فيها الزمن عنصراً جوهرياً فتأثرت وفق لهذه الظروف دفع الاجرة وكيفية تحديدها ، كما تأثرت مدة الإيجار فضلا عن حدث هناك اختلال في العلاقة التجارية فبدأ القاضي يبحث عن التوازن بين مصلحة المؤجر والمستأجر لتحقيق العدالة بينهما قدر الامكان .

الامر الذي أدى بحث هذا الموضوع بشكل تفصيلي والولوج في جوانبه التي تأثرت بجائحة كورونا لذا اثنا ان يكون بحثنا بعنوان " مدى تأثير جائحة كورونا وتدابير الاغلاق على عقود الإيجار-دراسة مقارنة" الكلمات المفتاحية : جائحة - كورونا - الاغلاق - عقود - الإيجار .

Abstract

It is also known that lease contracts are considered one of the most common and traded contracts in our practical life due to the need for them. This contract is characterized by its economic importance as a means of investing money and it is also a social tool to regulate the continuous relationship between the lessor and the tenant.

The importance of these contracts was regulated by most legislations with express texts, including the Iraqi Civil Law and the comparative civil laws, in addition to that the legislator wanted to keep pace with the economic changes that took place in society, he enacted special laws that regulate the rental relationship between the lessor and the tenant, the Iraqi Real Estate Tenancy Law No. 87 of 1979 amended Law No. 56 of 2000, therefore, the laws that regulated

the lease contract are among the important laws that people refer to in order to increase lawsuits brought before the courts, so it is necessary to develop appropriate legal texts for these disputes that occur between the contractors.

But after the emergence of the Corona pandemic, the world was made to experience difficult and extremely worrisome events due to the high toll of human and economic losses, in addition to completely paralyzing movement and mobility, which caused the World Health Organization to issue a permit to consider this pandemic as a global epidemic.

Since then, the legal effects of this pandemic must be studied, and in particular with regard to lease contracts, as one of the contracts most affected by the pandemic, because it is one of the continuous contracts in which time plays an essential element. There was an imbalance in the rental relationship, and the judge began looking for a balance between the interest of the lessor and the lessee to achieve justice between them as much as possible.

Which led to a detailed study of this topic and access to its aspects affected by the Corona pandemic, so we opted for our research to be entitled "The extent of the impact of the Corona pandemic and closure measures on lease contracts – a comparative study

Key words: pandemic – corona – closure – contracts – rent

المقدمة :-

أولاً : مدخل تعريفى لموضوع البحث :

منذ تاريخ ١١/ آذار / ٢٠٢٠ حينما أعلنت منظمة الصحة العالمية ان مرض كورونا - كوفيد -١٩ الناتج عنه قد بلغ هذا الوباء مستوى الجائحة على المستوى العالمي .ومنذ ذلك الحين خلق أحداثاً صعبة وقلقة للغاية بسبب ارتفاع حصيلة الخسائر البشرية والاقتصادية، فضلاً عن شل الحركة تماماً والتنقل .

بناء على ذلك قامت العديد من الدول باتخاذ تدابير احترازية، ومنها العراق في مواجهة هذا الوباء، حيث صدرت هناك قرارات من خلية الازمة بالأمر الديواني رقم ٥٥ لسنة ٢٠٢٠ والتي أكدت على فرض حظر التجوال في جميع أنحاء العراق لمنع الاختلاط بين الناس تجنباً لتفشي الوباء ومن ضمن التدابير كذلك إغلاق المحلات والمطاعم والمقاهي، مما أدى الى خسائر كبيرة للمستأجرين و الملاك المؤجرين لأن شل الحركة والتنقل يؤدي الى عدم قدرة بعض العمال والكسبة الحصول على رزقهم من البيع والشراء ومن ثم من الصعب عليهم الوفاء باجرة المحال التي استأجرت من قبلهم لمالكها ، كذلك البعض قد استأجر محل للسكن وما أثر على الوفاء بالاجرة الخاصة بمحال سكنهم.

ثانياً :هدف الدراسة

سوف يقوم البحث ببيان أثر تلك الاجراءات التي اتخذتها الدولة وكذلك منظمة الصحة العالمية على عقود الإيجار، من حيث دفع الاجرة لانها تدفع مقابل الانتفاع بالمأجور ، فهل تبقى كما حددت في عقد الايجار الاصلي ، أم يجب تخفيضها لأن المستأجر يقوم بسداد الأجرة دون الانتفاع بالمأجور؟

ثالثاً: أهمية البحث : تتلخص أهمية البحث لأجل الوصول الى حلول قانونية لتنفيذ الالتزامات العقدية وخاصة تلك التي يعد الزمن في تنفيذها عنصراً جوهرياً كعقد الايجار والمقاوله والتوريد وطرات جائحة كورونا أثناء سريان تنفيذها .

رابعاً: منهجية البحث : سوف نتبع في بحثنا المنهج القانوني التحليلي المقارن للنصوص القانونية التي تتعلق بموضوع الالتزامات العقدية وتكون المقارنة بين القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ المعدل ، والقانون المدني المصري رقم ١٣١ لسنة ١٩٤٨ المعدل ، والقانون المدني الفرنسي الصادر سنة ١٨٠٤ المعدل .

خامساً: هيكلية البحث :

للإلمام بكل ماتقدم سوف يتم تقسيم الدراسة على ثلاثة مطالب سنبحث في المطلب الاول لمحة تعريفية لجائحة كورونا وعقد الايجار والمطلب الثاني سوف نخصه لاثر جائحة كورونا على الاجرة في الايجار ، والمطلب الثالث نبحت فيه اثر جائحة كورونا على انتهاء عقد الايجار واذا انتهينا من كل ذلك سنصل البحث بخاتمة ندرج فيها أهم النتائج والمقترحات .

المطلب الاول

لمحة تعريفية لجائحة كورونا وعقد الايجار

إن الولوج في متن هذا المطلب يقتضي البحث الوقوف على معنى جائحة كورونا ،ومن ثم التطرق إلى بيان معنى عقد الايجار لذا سوف يتم تقسيم هذا المطلب على فرعين سنبحث في الفرع الأول تعريف جائحة كورونا وفي الفرع الثاني تحديد معنى عقد الايجار وكالاتي : -

الفرع الأول

تعريف جائحة كورونا

تعرف الجائحة لغة : بأنها الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المأل من سنة أو فتنة وكل ما استأصله فقد جاحه واجتأحه. وجاح الله ماله وأجاحه، بمعنى أي أهلكه بالجائحة^(١)، ويقال جاحتهم الجائحة أي اجتاحتهم^(٢).

في المعنى الاصطلاحي تعني الجائحة بأنها من الأمراض الوبائية الذي اجتاحت العالم بأسره وهو من الفيروسات التي تصيب الإنسان ، وأن هذا الفيروس يعد ذات خطورة عالية ، فقد أعلنت منظمة الصحة العالمية أنه مرض وبائي ينبغي التحرز منه . يشير البعض إلى أن مصطلح "الجائحة" يعني أيضا أن المرض يتحدى السيطرة، وهذا يفسر انتشاره دوليا وعدم انحصاره في دولة واحدة^(٣).

يجدر أن هذا الوباء لا يمكننا رؤيته بالعين المجردة إلا من خلال استخدام أجهزة متطورة كجهاز المايكروسوب الالكتروني إذ إن المايكروسوب الضوئي العادي لا يمكننا من الرؤية بشكل جيد لصغر حجم الفيروس فهو يحتوي على حامض نووي مغلف بغلاف بروتيني يتضاعف ويعطي جزئيات فيروسية تسبب المرض عن طريق الآليات الاستقبالية للعائل المضيف إذ تُعدّ الفيروسات مصدرا للأمراض التي تصيب الانسان والحيوان معا .وقد تؤدي أحيانا إلى الوفاة لعدم وجود دواء فعال أو لقاح لحد هذه اللحظة^(٤).

قد تبين أن فيروسات كورونا تسبب لدى البشر أمراض عدة منها أمراض تنفسية تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس) والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (سارس)، ويسبب فيروس كورونا المكتشف مؤخراً مرض كوفيد-١٩ .

وإن طرق انتقال تكون باختلاط الناس مع الآخرين المصابين، أو بملامسة أي جزء أو شيء خاص بالمريض نفسه ، من الطرق:

(١) ابن منظور - الانصاري - لسان العرب - ط٣ - بيروت - دار احياء التراث العربي - ٢٠٠٣ - ص ٤٢٠ .

(٢) ابو بكر - الرازي - مختار الصحاح - ط٣ - بيروت - دار المعرفة - ٢٠٠٨ - ص ٣١٣

(٣) د. أحمد - كنعان - الموسوعة الطبية الفقهية - ط٣ - عمان - دار الفانس - ٢٠٠٠ - ص ٣٢١

(٤) يوسف صلاح الدين - يوسف - الآثار المترتبة على الاصابة بالأمراض المعدية - ط١ - الاسكندرية - دار الفكر الإسكندرية - ٢٠٠٨ ص ١٢٠

انتقال المرض بالاختلاط: هي عبارة عن نقل العدوى من مريضٍ إلى آخر بالعطس أو الكحة والاختلاط به مباشرة بالمصافحة، أو بملامسة الأيدي، أو من خلال تقديم العلاج للمريض بالكشف أو الفحوصات. العدوى المكتسبة: هي نقل الفيروسات والميكروبات من البيئة المحيطة بالشخص من الغبار، أو بانتقال العدوى عن طريق المفروشات، أو استخدام الآلات غير النظيفة، أو تناول أدوية ملوثة.

الفرع الثاني

تعريف عقد الإيجار

عرفت المادة (٧٢٢) من القانون المدني العراقي الإيجار بأنه: (تمليك منفعة معلومة يعوض معلوم لمدة معلومة، وبه يلتزم المؤجر أن يمكن المستأجر من الانتفاع بالمأجور)، تقابلها نص المادة (٥٥٨) من القانون المدني المصري . يتضح من هذا التعريف أن عقد الإيجار يكون بين طرفين المؤجر والمستأجر يلتزم الأول بجعل الآخر ينتفع بالمأجور ويكون لمدة معينة في مقابل أجر معلوم .

فمحل عقد الإيجار هو الانتفاع بالشيء وهو المأجور ولمدة محددة هي مدة عقد الإيجار ، في حين أن محل عقد الملكية هو تملك كامل السلطات على الشيء المبيع دونما التقيد بزمن معين^(١) .

هناك من الفقه يقول إن المشرع العراقي بتعريفه للإيجار جاء متأثراً بالشرعية الإسلامية وتعريفاتها لعقد للإيجار، وهذا ما نصت عليه المادة (٥٧٧) من مرشد الحيران . التي بينت ان المؤجر لا يلتزم بجعل المستأجر ينتفع بالمأجور بل هو يلتزم بتمليك المنفعة للمستأجر وتركه ينتفع بالمأجور لكن المشرع العراقي حول التزام المؤجر من التزام سلمي الى التزام ايجابي كما هو الحال في القوانين المدنية حينما نص في الشق الثاني من التعريف على تمكين المستأجر من الانتفاع بالمأجور^(٢) .

وعلى أية حال فقد يقال إن الإيجار عقد يقصد به تملك المنافع للمستأجر والمنافع المعقود عليها في الإيجار معدومة عند العقد ، والاصل ان يرد العقد على محل موجود لكن انتقد هذا الرأي بالقول ان منافع الإيجار وان كانت معدومة حال الاتفاق على الإيجار فهي مستوفاة في الغالب بعد ذلك اذن لا بد من العقد عليها قبل وجودها ولهذا اجاز المشرع عقد الإيجار^(١) .

من الجدير بالذكر أن التزام المؤجر بتمكين المستأجر من الانتفاع، أو ترك المستأجر ينتفع وهذا الالتزام يراه بعض الفقه بكونه لا يعد التزاماً بالمعنى الدقيق حتى يمكن وصفه بأنه ايجابي ، أو سلمي بل هو محل العقد أو بتعبير أدق هو عملية قانونية يهدف المتعاقد إلى تحقيقها فاذا انعقد العقد إنشأ القانون في ذمة المؤجر عدة التزامات ترمي في مجموعها إلى تمكين المستأجر من الانتفاع من الانتفاع وهذه الإلتزامات هي التي توصف بكونها التزامات ايجابية أو سلبية^(٢) .

لذا فان تعريف الإيجار يختلف عن الوعد بالإيجار لان هذا الوعد يدخل ضمن طائفة العقود غير المسماة باعتباره يقتصر فقط على التزام الواعد بابرام عقد الإيجار اذا ما طلب منه الطرف الآخر خلال مدة زمنية معينة فإنه لا يترتب في ذمة الواعد أو الموعود له أياً من الإلتزامات التبادلية بين المؤجر والمستأجر التي تترتب على عقد الإيجار^(٣) .

اما في الفقه الاسلامي فيعرف الإيجار بأنه تمليك المؤجر للمستأجر منفعة مقصودة من العين المؤجرة في الشرع ونظر العقلاء بعوض يصلح أجره . فيقول بعض الفقه ان معنى الاجارة معناها بيع المنفعة لغة ولهذا اسماها اهل اللغة بيعة وارادوا بها بيع المنفعة .

(١) د. طارق عبد الرؤوف صالح - رزق - التنظيم القانوني للإيجار في التشريع الكويتي - ط ١ - القاهرة - دار النهضة العربية - ٢٠١٠ - ص ٤٨٠ .

(٢) د. جعفر - الفضلي - الوجيز في العقود المدنية - البيع - الإيجار - المقابلة دراسة في ضوء التطور القانوني ومعززة بالقرارات القضائية - ط ٢ - بغداد - المكتبة القانونية - ١٩٩٢ - ص ٢١٧ .

(٣) د. عبد الناصر توفيق - العطار - شرح احكام الإيجار - ط ١ - القاهرة - الحديثة للطباعة - ١٩٧٠ - ص ٤٢٣ .

(٢) د. عصمت عبد الحميد - بكر - الوجيز في العقود المدنية المسماة - البيع - الإيجار - ط ١ - لبنان - منشورات زين الحقوقية - ٢٠١٥ - ص ٥٥٥ .

(٣) د. رمضان - ابو السعود العقود المسماة - عقد الإيجار - الاحكام العامة في الإيجار - ط ٢ - الاسكندرية - منشأة المعارف - ١٩٩٦ - ص ٤٢٢ .

ويجدر بالذكر ان احكام الایجار وردت في المواد (٤٠٤-٦١١) من مجلة الاحكام العدلية وفي المواد (٤٧٠-٦٣٣) من مرشد الحيران .

وتطبيقاً لذا وحسب ماتم ذكره فان عقد الایجار يرتب التزامات على عاتق طرفيه المؤجر والمستأجر فيقع على المؤجر التزام بتسليم المأجور وتمكين المستأجر من الانتفاع بالمأجور وصيانة المأجور ورد التعرض والاستحقاق عن المستأجر وفي المقابل يقع على المستأجر التزامات هي دفع الأجرة والمحافظة على المأجور ورد المأجور بعد نهاية مدة الایجار فالقانون العراقي حاول ان يجمع بين الفكرة الایجابية والفكرة السلبية في تعريفه للایجار وبيان التزامات كلا من الطرفين^(١) .

المطلب الثاني

أثر جائحة كورونا على الأجرة في عقد الإيجار

يعد عقد الإيجار من عقود المعاوضة، فالمؤجر يستوفي الأجرة من المستأجر مقابل انتفاع هذا الأخير بالمأجور ، فالأجرة عي المال الذي يلتمز المستأجر باعطائه للمؤجر في مقابل الانتفاع بالمأجور فإن أنتفت الأجرة رفعت صفة الإيجار عن العقد^(٢). وإذا كان الأصل العام هو أن العقد شريعة المتعاقدين فلا يجوز نقضه ولا تعديله إلا باتفاق أطراف العقد أو للأسباب التي يقرها القانون وهذا ما قضت به المادة (١٤٦/١) من القانون المدني العراقي والتي نصت على انه : " اذا نفذ العقد كان لازماً ولا يجوز لأحد العاقدين الرجوع عنه ولا تعديله الا بمقتضى نص في القانون أو بالتراضي "^(٣).

تطبيقاً لذا لا بد أن يتفق المؤجر والمستأجر على القيمة الایجابية للمأجور ويلزم ان تكون الاجرة موجودة ومشروعة ومعينة او قابلة للتعيين^(٤) ، وبمعنى أن تكون الأجرة متفق عليها بين الطرفين ومعلومة في العقد، فإذا كانت من النقود يكفي في تعيينها ذكر المقدار وإذا كان بدل الإيجار تقديم عمل يجب تقويمه وتقديره في العقد.

وأذا كان للمتعاقدين حرية في تحديد مقدار الأجرة في القانون المدني لكن قد تطرأ هناك ظرف عامة يصاب بها الجميع لذا فان هناك استثناء للقاعدة المذكورة آنفاً في تحديد الأجرة من قبل المتعاقدين ، مضمونه إذا ظهرت حوادث استثنائية عامة لم يكن في الوسع توقعها وترتب على حدوثها جعل تنفيذ الالتزام مرهقاً يجاوز سعة المدین، ويهدده بخسارة فادحة، جاز عرض الأمر على المحكمة ليتدخل القاضي موازناً بين مصلحة الطرفين، وله سلطة تقديرية لرد الإلتزام المرهق للحد المعقول، متى اقتضت العدالة ذلك وشروط نظرية الظروف الطارئة هي :

- ١- أن توجد بعد عقد الأیجار حوادث طارئة كمثال فيروس "كورونا" ويُعدّ ظرفاً استثنائياً، عاماً، وغير متوقع الحدوث وقت التعاقد.
- ٢- أن يكون العقد من العقود المستمرة التنفيذ وهذا ما ينطبق على عقد الإيجار .
- ٣- أن يلحق المدین ضرر جسيم وإرهاق كبير من جراء تنفيذ العقد.

فاذا تحققت هذه الشروط الأمر الذي يجوز فيه للقاضي أن يتدخل لتحقيق التوازن بأن يرد الألتزام إلى الحد المعقول مراعيّاً مصلحة الطرفين، كأن يخفض القيمة الایجابية بنسبة تتفق مع ظروفهما ومن ذلك فان جائحة كورونا صدرت في ظلها الكثير من القرارات من الجهات المختصة في الدولة ، ومن هذه القرارات قراراً بإغلاق المجمعات والانشطة التجارية كافة باستثناء محلات التسوق الغذائي والصيديات، ومما لا شك فيه أن عدداً من هذه القرارات أثر في وفاء المستأجرين بالالتزام المنصوص عليها بعقد الإيجار كما أثر

(١) د.حسن حنتوش-رشيد - الموجز في العقود المسماة - البيع - الإيجار - المقابلة - مجموعة محاضرات القيت على طلبة البكالوريوس في جامعة أهل البيت عليهم السلام - العراق - ص ١١٩ .

(٢) د.سليمان - مرقس - عقد الإيجار - ط ٢ - القاهرة - منشأة المعارف - ١٩٦٨ - ص ٣٣٠ .

(٣) تقابلها نص المادة (١٤٧) من القانون المدني المصري .

(٤) د.عباس حسن - الصراف - شرح عقدي البيع والإيجار في القانون المدني العراقي - ط ١ - بغداد - مطبعة الاهالي - ١٩٥٦ - ص ٣٢٧ .

في انتفاعهم من العين محل عقد الإيجار، فهذا الإغلاق التام أثر بشكل مباشر على عدد من الشركات التي نشاطها ضمن الأنشطة الموقوفة مثل بيع الملبوسات ونحو ذلك، التي تتخذ من تلك المحال مقراً لممارسة نشاطها من خلاله. فهذه الجائحة قد تُعدّ طرفاً طارئاً فهنا أثر هذه الحالة من الطوارئ أثرت على التزام المستأجر بدفع الأجرة للعقارات المؤجرة بشكل جزئي أو كلي وذلك لان عقد الإيجار من العقود المستمرة وقد تؤثر فيه هذه الظروف فيه الأجرة تقابل المنفعة للعقار وأن الفقه القانوني يوجب تمكين المستأجر من الانتفاع بالعقار ولزوم الأجرة مرتبط بالافتقار على استيفاء منفعة المأجور إذ نصت المادة (٧٦٦) من القانون المدني العراقي على أنه "إذا اشترط تعجيل الأجرة لزم المستأجر دفعها وقت العقد، وللمؤجر أن يمتنع عن تسليم المأجور للمستأجر حتى يستوفي الأجرة وله ان يطلب فسخ الإيجار عند عدم الإيفاء من المستأجر" تقابلها نص المادة (٥٦٢) من القانون المدني المصري .

من خلال هذا النص أن على المستأجر الوفاء بالأجرة وقت انعقاد عقد الإيجار كذلك اعطى المشرع الحق للمؤجر في الامتناع من تسليم المأجور لحين استيفاء الأجرة ولكن هذا النص ينطبق في الظروف الاعتيادية قبل جائحة كورونا ، لكن بعد تفشي هذا الجائحة وقد اتخذت الادارة قرارات فيما يتعلق بغلق المحلات الايجارية كما ذكرنا ، وأن الفقه القانوني يكاد يجمع أن ما تتخذه الإدارة من قرارات كمثال ما اتخذته خلية الازمة فانها تؤثر على الانتفاع بالعقارات المؤجرة بحيث يحرم المستأجر من الانتفاع بالعقار أو يحصل نقص كبير بالانتفاع بالعقار يميز للمستأجر طلب إنقاص الأجرة بما يعادل ما انتقص من المنفعة أو طلب الفسخ لعقد الإيجار سواء في ظل وجود نص صريح بذلك في القانون المدني أم ما يجد سنداً له في القواعد العامة للقانون بحيث تُعدّ أعمال الإدارة من باب القوة القاهرة وبهذا الصدد فإن الفقه يجمع أن من حق المستأجر أيضاً الرجوع بالضرر على جهة الإدارة فيما إذا كانت إجراءاتها خارج إطار المشروعية وهو أمر لا ينطبق برأيي على الحالة الراهنة. لأن الإدارة حينما اتخذت هذا القرار كان قراراً مشروعاً لمنع تفشي هذا المرض بين أفراد المجتمع .

على ضوء النصوص الواضحة للدلالة في القوانين المدنية ومنها قانوننا المدني العراقي وحيث إنه لا اجتهاد في مورد النص وعلى ضوء الطبيعة القانونية لعقد الإيجار والشروحات الفقهية لحدود المسؤولية في حالات الطوارئ والظروف الاستثنائية، فإن الأجرة تسقط بمقدار ما فات من انتفاع بنتيجة حالة الطوارئ الناجمة عن انتشار فيروس كورونا وما صاحبه من إغلاق للمحال التجارية ووقف للأنشطة الاقتصادية.

وفي ظروف اخرى تعد جائحة كورونا قوة القاهرة وقد أشارت إلى ذلك في نص المادة (٤٢٥) من القانون المدني التي جاء فيها "ينقضي الإلتزام إذا اثبت المدين أن الوفاء به اصبح مستحيلاً لسبب اجنبي لا يد له فيه"^(١) .

كذلك مانصت عليه المادة (٢١١) من القانون المدني العراقي التي نصت على أنه: "إذا اثبت الشخص ان الضرر قد نشأ عن سبب اجنبي لا يد له فيه كافة سماوية أو حادث فجائي أو قوة القاهرة أو فعل الغير أو خطأ المتضرر كان غير ملزم بالضمان ما لم يوجد نص او اتفاق على غير ذلك"^(٢) .

لذا قبل الخوض في تفسير هذين النصين لابد من تسليط الضوء على بيان معنى القوة القاهرة فقد عرفها بعض الفقهاء بانها "واقعة مجهولة لا يمكن توقعها ولا دفعها"^(٣) وثمة تعريف آخر قال إنها "الحادث الخارجي عن إرادة الأطراف المتعاقدة وغير المتوقع والذي يستحيل دفعه ويؤدي الى استحالة تنفيذ الالتزامات التعاقدية"^(٤)، يتأسس على ما ذكر أن القوة القاهرة هي أمر غير متوقع

(١) تقابلها نص المادة (٣٧٣) من القانون المدني المصري والمادة (١٢١٨) من القانون المدني الفرنسي .

(٢) تقابلها نص المادة (١٦٥) من القانون المدني المصري والمادة (١١٤٧) من القانون المدني الفرنسي .

(٣) عقيل كريم- زغير - المسؤولية المدنية للمستثمر الاجنبي - دراسة مقارنة - ط١- المنصورة - دار الفكر والقانون للنشر والتوزيع - ٢٠١٥-٣١٦ .

(٤) د.محمود جمال الدين - زكي - عقد العمل الفردي في القانون المدني المصري - ط٢- القاهرة - دار النهضة العربية - ١٩٨٢-ص٢٥٤ .

الحصول ولا يمكن دفعه يقع فيكون السبب في حصول الضرر ، وأثر القوة القاهرة تعفي المدين من الوفاء بالتزامه وهذا الاعفاء أما ان يكون نهائياً وذلك اذا أصبح تنفيذ الإلتزام مستحيلًا استحالة مطلقة ، أو قد يكون الأعفاء مؤقتًا إذا أصبح الوفاء غير ممكن مدة زمنية معينة . وتعرف القوة القاهرة بأنها صورة من صور السبب الأجنبي الذي ينفي علاقة السببية بين فعل المدعى عليه وبين الضرر الذي لحق بالمدعى، كما تعرف على أنها كل حادث خارجي عن الشيء، لا يمكن توقعه، ولا يمكن دفعه مطلقاً.

على الرغم مما تقدم، ومنعاً لأي لبس أو إشكاليات قانونية ومنعاً للتضارب في الآراء والأحكام والاجتهادات، فإنه قد يكون من المستحسن قيام الحكومة باستخدام صلاحيتها بإصدار قانون يحدد آلية دفع أجور المحال التجارية سواء بالتأكيد على الإعفاء منها خلال فترة الطوارئ للأنشطة المغلقة بالكامل وفقاً لنصوص القانون كما بيننا أم بتحديد دفع جزء من الإيجارات وفقاً لحدود الانتفاع وعدم ترك المسألة مفتوحة على مصراعها لتفاسير مختلفة ونزاعات ستتقل السلطة القضائية وتعدد في وجهات النظر لما يتعرض له المستأجرين من خطر وخسارات إضافة لما يتحملوه من أضرار اقتصادية عديدة ، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن عقود الإيجار لغايات السكن لم تطلها حالة من عدم القدرة على استيفاء المنفعة، وبالتالي فإن بدلات الإيجار الخاصة بها مستحقة وواجبة الدفع والسؤال المطروح هنا ألسنا بحاجة إلى تدخل تشريعي أيضاً لتنظيم إليه دفع هذه الأجور على ضوء انقطاع دخل شريحة واسعة من المجتمع خلال هذه الفترة بحيث يتم توزيع بدل الإيجار المستحق على أشهر تلي انتهاء الأزمة وعودة الحياة إلى مجراها الطبيعي .

من هنا لا بد من البحث في مدى تطابق مواصفات القوة القاهرة مع جائحة كورونا من ناحية الشروط والأثر القانوني وعليه فإن الشروط التي من اللازم توافرها في القوة القاهرة هي كالآتي :-

١- أن يكون الحادث غير متوقع: فيجب ان يكون الحدث الذي أدى إلى عدم تنفيذ الإلتزام غير متوقع الحصول، إذا كان الحادث متوقعاً فلا يعدّ قوة القاهرة، ومعيار عدم التوقع هنا هو معيار موضوعي يتطلب أن يكون عدم التوقع مطلقاً. فلا يكفي فيه أن يكون غير ممكن التوقع من جانب المدين، وإنما أيضاً يجب أن يكون غير ممكن التوقع من جانب أكثر الناس حيطة وحذراً وتبصراً.

٢- أن يكون الحادث يستحيل دفعه: لذا لا يكفي لقيام القوة القاهرة توافر شرط عدم إمكانية توقع الحادث، وإنما يجب إضافة إلى ذلك أن يستحيل دفعه. ومعنى ذلك أن الحادث يجب أن يؤدي إلى استحالة تنفيذ الإلتزام استحالة مطلقة، لا من قبل المدين وحده وإنما من قبل أي شخص يكون في موقف المدين ووضعه. فإذا استطاع المدين دفع الحادث ولم يفعل، فلا يعفي هذا الحادث من المسؤولية حتى لو كان غير ممكن التوقع . ويعود أمر تقدير الاستحالة إلى قاضي الموضوع المختص وهذا الشرط هو تطبيق للقاعدة القائلة "لا التزام بمستحيل" (١) .

٣- أن يكون الحادث خارجياً: كذلك قد يكون الحادث قوة القاهرة لا بد ان يكون الحادث حدث خارجي عن ارادة المدين فإذا تسبب المدين بوقوع الحادث أو ساعد على وقوعه، فلا يعدّ الحادث قوة القاهرة حتى لو توافر فيه الشرطان السابقان، ومن ثم لا يعفي من المسؤولية .

من خلال ما ذكر في أعلاه من شروط للقوة القاهرة ومدى توافرها في جائحة كورونا فنلاحظ أن معيار عدم التوقع قد يتوافر فيها فإن هذه الجائحة لم يكن لاحد ان يتوقعها ان تفتك بالعالم من الناحية الصحية وتؤثر على الاقتصاد وتشل حركته ومن ثم تترك آثار على كيفية الوفاء بالإلتزام والعقود ، كذلك من باب أولى يستحيل دفع هذه الجائحة وان كان من الممكن مثلاً بعد اتخاذ الاجراءات والتدابير اللازمة كالعزل الصحي والحظر للتجوال يعد كعقبة يجد بدوره من طريقة تنفيذ العقد ، كما أن هذه الجائحة هي حادث خارجي عن ارادة المدين غير صادرة بخطأ منه .

المطلب الثالث

(١) د.حسن علي الذنون - الذنون- شرح القانون المدني (أصول الإلتزام) — ط١-بغداد- مطبعة المعارف -١٩٧٠-ص٤٤٠.

أثر جائحة كورونا على انتهاء عقد الإيجار

في بادئ الأمر لابد من القول إن زوال العقد بالانقضاء وهو السبب المعروف لإنهاء عقد الإيجار أو بالإلحلال ويكون باتفاق الطرفين ويسمى بالتقاييل أو لأسباب أخرى يقررها القانون وأهمها الفسخ لذا فإن انتهاء عقد الإيجار بانتهاء مدته يعد الأصل لأن المدة من الأمور الجوهرية في الإيجار فالمدة من مستلزمات هذا العقد لكي يستوفي العقد أركانه لا بد أن تكون هناك مدة ينتهي العقد بانتهائها.

تبرز وظيفة المدة في عقد الإيجار من حيث أنها تمكن المستاجر من استيفاء المنفعة من المأجور وهذا الحق لا يمكن أن يمارس إلا على وجه الاستمرار ، وأنها تعطي للمؤجر الحق في قبض الأجرة فعقد الإيجار يعد عقد مدة سواء من ناحية التزام المؤجر أم من ناحية إلتزام مستأجر^(١)، لذا لما عقد الإيجار من عقود المدة فإنه أي ظروف أو أزمات إذا طرأت فأثما قد تؤثر عليه لأن المنفعة تقاس بمقياس زمني بحيث لا يمكن تحديد مدى الأنتفاع للمستأجر إلا بالمدة التي ينتفع بها بالمأجور ومدة العقد ينبغي أن تحدد في وفقا للاتفاق في بادئ الأمر وإذا لم يوجد يمكن اللجوء إلى القانون لتحديد ذلك .

لكن ما يهمننا في هذا البحث ماهو أثر جائحة كورونا على مدة الأيجار لأنه هناك منعطفات قد تؤثر على مدة الأيجار بوجود كورونا فينتهي بعد ذلك عقد الأيجار ومن هذه الأمور التي أفرتها جائحة كورونا أنه لو افترض أن المستاجر قد أصيب بكورونا وأدى إلى وفاته ، فهنا ينتهي الإيجار إذا كان الإيجار فيه شخصية المستاجر محل اعتبار في التعاقد لأن الإيجار أبرم بسبب حرفة المستاجر كمثال إذا كان المأجور مكتباً محامياً وكان المستاجر محامياً فهنا يجوز للورثة أو للمؤجر أن يطلبوا فسخ العقد وهذا مانصت عليه المادة (٧٨٤) من القانون المدني العراقي التي جاء فيها " إذا لم يعقد الإيجار إلا بسبب حرفة المستاجر أو لاعتبارات أخرى تتعلق بشخصه ثم مات، جاز لورثته أو للمؤثر أن يطلبوا فسخ العقد" يتضح من هذه المادة ان الإيجار يفسخ ومن ثم فهو ينتهي إذا مات المستاجر وإن كان أحد الورثة يحترف حرفة المستاجر نفسها ، لأن هناك اعتبارات أخرى روعيت في المستاجر أخذها المؤجر بنظر الاعتبار^(٢) .

وينتهي عقد الإيجار كذلك وفقاً للقواعد العامة قبل أنتهاء مدته إذا ماواجه أحد المتعاقدين ظرفاً من شأنها أن تجعل تنفيذ الإيجار من مبدئه أو في أثناء سريانه مرهقاً على أن يراعي من يطلب الفسخ مواعيد للتنبيه بالإخلاء.

على الرغم من اختلاف الشروط التي تناولتها التشريعات المختلفة من حيث إنهاء الإيجار للعدر الطارئ، فقد اشترط القانون المدني المصري أن تكون الظروف خطيرة وغير متوقعة^(٣)، بينما اكتفى المشرع في القانون المدني العراقي إن تكون الظروف من شأنها أن تعجل تنفيذ الإيجار مرهقاً، وأن انهاء الإيجار للعدر الطارئ ماهو التطبيق لنظرية الظروف الطارئة .

كذلك الحال قد يفسخ الإيجار ومن ثم ينتهي بسبب إعسار المستاجر والمقصود بالإعسار بشكل عام هو عدم وجود مال ظاهر للمدين وهو المستاجر يكفي للوفاء بجميع ديونه وهي الأجرة والتعويض مثلاً للمؤجر^(٤). وهذا مانصت عليه المادة (٧٨٥) من القانون المدني العراقي بقولها " ١ - لا يترتب على إعسار المستاجر أن تحل أجرة لم تستحق. ٢ - ومع ذلك يجوز للمؤجر أن يطلب فسخ الإيجار إذا لم تقدم له في ميعاد مناسب تأمينات تكفل الوفاء بالأجرة التي لم تحل، وكذلك يجوز للمستاجر الذي لم يرخص له في الإيجار أو التنازل عنه، أن يطلب الفسخ على أن يدفع تعويضاً عادلاً" .

(١) د.عبد الحي -حجازي- عقد المدة- رسالة دكتوراه - القاهرة - كلية الحقوق - ١٩٥٠ - ص٥٦٤ .

(٢) سعيد مبارك وصاحب الفتلاوي وطه - الملا حويش -الوجيز في العقود المسماة - ط١- بغداد المكتبة القانونية - ١٩٩٢ - ص٤٣٢ .

(٣) د.عبد الرزاق -السنهوري- الوسيط في القانون المدني الجديد- ط٦- الاسكندرية - مطبعة نضمة مصر - ٢٠١١ - ص٦٥٧ .

(٤) د.عبد المجيد- الحكيم - الموجز في شرح القانون المدني احكام الالتزام - ط٦- بغداد- المكتبة القانونية - ٢٠٠٩ - ص٣٨٠ .

يتضح من هذا النص أن أسعار المؤجر لا يميز له ولا للمستأجر طلب فسخ الإيجار، في حين أن أسعار المستأجر يميز للمؤجر وللمستأجر طلب الفسخ ويبد وقد تعلق الأمر ببحثا في جائحة كورونا أن المستأجر قد يصيبه الأسعار بسبب توقف العمل والاعطال الكلي أو الجزئي ، و أن الفقرة الثانية كما اشارت قد يوجد له منع من المؤجر بعدم الإيجار من الباطن فعليه أن يفسخ العقد مع دفع تعويض عادل للمؤجر .

والغاية من المشروع حينما أباح للمستأجر طلب فسخ الإيجار اراد أن يعالج التوازن الاقتصادي الذي أختل بالأسعار ولكي لا يتفاقم ويزداد الاختلال سواء خاصة وأن المستأجر حاول تفادي هذا الاختلال بطلب من المؤجر السماح له بتأجير العقار من الباطن أو بالتنازل عن الإيجار .

الخاتمة :-

في نهاية بحثنا الموسوم بـ "مدى تأثير جائحة كورونا وتدبير الاغلاق على عقود الإيجار دراسة مقارنة" ندرج أهم النتائج والمقترحات التي أستخلصت من هذا البحث.

أولاً :- النتائج

١- إن عقود الإيجار من العقود المستمرة ويكون بين طرفين المؤجر والمستأجر يلتزم الأول بجعل الآخر ينتفع بالمأجور ويكون لمدة معينة في مقابل أجر معلوم .

٢- إن عقد الإيجار باعتباره من العقود المستمرة يتأثر بالظروف الطارئة التي تجعل التزام المستأجر مرهقاً ويتدخل القاضي ليحقق التوازن بين مصلحة الطرفين المتعاقدين وله سلطة تقديرية واسعة في هذا الجانب .

٣- لأهمية عقد الإيجار من الناحية الاقتصادية واستثمار الأموال فقد اهتمت به التشريعات المحلية والعالمية بسن قوانين تلائم حاجة المجتمع في ابرام عقود الإيجار من من حيث التنظيم وترتيب الآثار فضلا عن تطبيق نصوص القواعد العامة في الفروض التي لا يوجد بها نص في عقد الإيجار .

٤- إن جائحة كورونا تؤثر على سريان عقد الإيجار فتؤدي إلى إنهاء العقد نتيجة فسخه حينما يتعذر أحد الطرفين الوفاء بالتزامه كممثل المؤجر حينما لا يستطيع أن يمكن المستأجر من الإنتفاع بالمأجور وكذلك ينتهي الإيجار نتيجة إعساره وعدم وفائه الأجرة المستحقة .

٥- في بعض الظروف وحسب مدى انتشار الجائحة في المدن والأحياء قد يكون هناك تفاقم المرض بشكل قليل، أو قد يتراوح بحسب المدة الزمنية فقد يكون الالتزام في فترة انتشار المرض والجائحة لا يمكن القيام به ، وفي أوقات اخرى ممكن التنفيذ مما يجعل تنفيذ الالتزام بتوقف حين زوال هذه الجائحة وحسب المكان المطلوب من المدين تنفيذ التزامه .

ثانياً : المقترحات

١- أن تكون دراسة هناك موضوعية لتكييف جائحة كورونا بكونها قوة قاهرة، أم ظرفا طارئا وذلك لأثرها البالغ على كل الألتزامات التعاقدية وخاصة المستمرة منها وان يصدر من قبل السلطة التشريعية أو من قبل مجلس القضاء الاعلى .

٢- انتخاب قضاء مختار (تحكيم) بين المؤجر والمستأجر يقوم بحل النزاع بشأن الأجرة مثلا عند حالة حصول حوادث طارئة كجائحة كورونا مثلا ، وهذا القضاء يكون أما متفق عليه ابتداء قبل إبرام العقد ، أو بموجب شرط لاحق على العقد .

٣- تعديل القانون المدني العراقي على ضوء جائحة كورونا في نصه للمادة (٧٩٠) والتي نصت على انه : ((من استأجر حانوتا ثم عرض للبيع والشراء كساد، فليس له ان يفسخ العقد او ان يمتنع عن دفع الأجرة))، لتصبح بالشكل التالي : ((من استأجر حانوتا ثم عرض للبيع والشراء كساد، فيجوز له أن يفسخ العقد او ان يمتنع عن دفع الأجرة)) .

٤- نأمل من مشرعنا المدني العراقي أن يورد نص يعالج فيه أحكام ضمان التعرض الصادر من جهة حكومية بنص صريح ، وذلك لصدور قرارات عدة من الجهة الحكومية على المستوى المحلي، والمركزي أثناء سريان جائحة كورونا وهذا مما أثر على انتفاع المستأجر للمأجور بصورة كبيرة.

المصادر :-

أولاً: الكتب

- ١- أبو السعود -د.رمضان أبو السعود- العقود المسماة -عقد الإيجار - الأحكام العامة في الإيجار ط٢-الاسكندرية - منشأة المعارف -١٩٩٦
- ٢-الرازي -أبو بكر -مختار الصحاح - ط٣- بيروت- دار المعرفة - ٢٠٠٨
- ٣- الذنون- د.حسن علي الذنون -شرح القانون المدني (أصول الالتزام) — ط١-بغداد- مطبعة المعارف -١٩٧٠
- ٤-الحكيم - د.عبد المجيد -الموجز في شرح القانون المدني احكام الألتزام-ط٦-بغداد- المكتبة القانونية -٢٠٠٩
- ٥-السنهوري- د.عبد الرزاق- الوسيط في القانون المدني الجديد-ط٦-الاسكندرية - مطبعة نهضة مصر- ٢٠١١
- ٦-الصراف - د.عباس حسن شرح عقدي البيع والإيجار في القانون المدني العراقي - ط١-بغداد - مطبعة الاهالي - ١٩٥٦
- ٧- العطار -د.عبد الناصر توفيق -شرح أحكام الايجار — ط١- القاهرة- الحديثة للطباعة -١٩٧٠ .
- ٨- الفضلي - د.جعفر -الوجيز في العقود المدنية -البيع -الإيجار - المقابلة دراسة في ضوء التطور القانوني ومعززة بالقرارات القضائية-ط٢- بغداد -المكتبة القانونية -١٩٩٢
- ٩- الأنصاري - ابن منظور -لسان العرب- ط٣- بيروت- دار احياء التراث العربي - ٢٠٠٣.
- ١٠- بكر- د.عصمت عبد المجيد الوجيز في العقود المدنية المسماة -البيع والايجار — ط١-لبنان- منشورات زين الحقوقية - ٢٠١٥،
- ١١- رشيد - د.حسن حنتوش -الموجز في العقود المسماة -البيع - الايجار - المقابلة- مجموعة محاضرات القيمت على طلبة البكالوريوس في جامعة أهل البيت عليهم السلام —العراق .
- ١٢-رزق - د.طارق عبد الرؤوف صالح - التنظيم القانوني للإيجار في التشريع الكويتي - ط١ - القاهرة -دار النهضة العربية - ٢٠١٠،
- ١٣- زغير -عقيل كريم -المسؤولية المدنية للمستثمر الأجنبي - دراسة مقارنة- ط١-المنصورة - دار الفكر والقانون للنشر والتوزيع - ٢٠١٥، -
- ١٤ - زكي - د.محمود جمال الدين -عقد العمل الفردي في القانون المدني المصري -ط٢-القاهرة -دار النهضة العربية -١٩٨٢
- ١٥- كنعان - د. أحمد -الموسوعة الطبية الفقهية-٣-عمان - دار النفائس - ٢٠٠٠
- ١٦ -مرقس -د.سليمان -عقد الإيجار - ط٢-القاهرة -منشأة المعارف -١٩٦٨
- ١٧- ملا حويش - سعيد مبارك وصاحب الفتلاوي وطه -الوجيز في العقود المسماة- -ط١-بغداد المكتبة القانونية - ١٩٩٢
- ١٨- يوسف - يوسف صلاح الدين -الآثار المترتبة على الاصابة بالأمراض المعدية - - ط١- الاسكندرية -دار الفكر - ٢٠٠٨ .

ثانياً: القوانين

١- القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ المعدل.

١- القانون المدني المصري رقم ١٣١ لسنة ١٩٤٨ المعدل.

٣- القانون المدني الفرنسي الصادر سنة ١٨٠٤ المعدل.

ثالثا : المقالات

- ١-٥. حسن حنتوش رشيد - الموجز في العقود المسماة - البيع - الإيجار - المناولة - مجموعة محاضرات القيت على طلبة البكالوريوس في جامعة أهل البيت عليهم السلام - كلية القانون - العراق.
- ٢-٥. عبد الحي حجازي - عقد المدة - رسالة دكتوراه - القاهرة - ١٩٥٠.

تأثير فيروس كورونا على الاقتصاد العالمي: الواقع والتحديات - حالة الدول العربية -

ط.د. بوزانة أيمن . د. حمدوش وفاء

Impact corona virus on the Global Economy: Reality and Challenges

The case of Arab countries

Bouzana Aimen /Hamdouche Wafa

مخبر البحث: المالية الدولية ودراسة الحوكمة والنهوض الاقتصادي، جامعة باجي مختار - عنابة - الجزائر

bouzanaaimen@gmail.com

hamdouche_wafa@yahoo.fr

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى مناقشة أبرز الآثار الاقتصادية لفيروس كورونا على الاقتصاد العالمي ومدى انعكاس ذلك على مستوى الاقتصادات العربية، من خلال دراسة واقع تحديات مواجهة الآثار السلبية لفيروس كورونا covid-19 على الاقتصاد العالمي والعربي وأبرز الحزم التحفيزية المالية لمواجهة تداعياته في مختلف القطاعات الاقتصادية من خلال دراسة حالة الدول العربية. لتحقيق هدف الدراسة ركزنا على طبيعة أزمة كورونا covid-19 وتأثيرها على توقعات النمو الاقتصادي العالمي التي كانت محتملة قبل الأزمة من قبل المؤسسات الدولية، وعرض وتحليل الأثر الاقتصادي قبل - أثناء/بعد انتشار فيروس كورونا على مستوى مختلف القطاعات الاقتصادية في الدول العربية، تعرفنا على أهم العوامل المشجعة لمواجهة الآثار السلبية لفيروس كورونا من خلال عرض أبرز التحديات والمتطلبات لمواجهة الآثار السلبية لفيروس كورونا على مستوى اقتصادات الدول العربية. وقد خلصت الدراسة إلى أن الأثر الاقتصادي أثناء/بعد انتشار فيروس كورونا على مستوى الدول العربية كان سلبيا بدرجة مرتفعة في العديد من القطاعات الاقتصادية أهمها؛ قطاع النفط بالنسبة للدول التي يعتمد اقتصادها على العائدات النفطية، وقطاع السياحة في الدول العربية التي يعتمد اقتصادها على السياحة إذ أن حالات الإغلاق الكبير على مستوى قطاع الطيران قد أثر على النقل والتجارة السلعية، وصحبت قوة التأثير السلبية لفيروس كورونا تأثير مختلف القطاعات الاقتصادية الأخرى؛ القطاع المصرفي وأسواق المال، وقطاع المالية العامة، وعلى الرغم من الحزم المالية التحفيزية المقدمة من قبل الدول العربية لهذه القطاعات الاقتصادية إلا أن الجهود تبقى متواضعة من حيث التخطيط الجيد. توصي الدراسة بضرورة وضع تدابير وتكثيف الجهود والسياسات المتبناة، كأفق مستقبلية لمواجهة التغييرات في الاقتصادات العربية والتوجه نحو الاقتصاد الرقمي الذي يعتمد على العولمة الرقمية، وضمان توازن سوق النفط خاصة بالنسبة للدول العربية المصدرة للنفط والمنتمة إلى منظمة دول الأوبك، مع تأهب الدول العربية غير المصدرة للنفط التي تعتمد على السياحة لمواجهة الأزمة بالاستثمار في الأراضي الزراعية والسياحة الافتراضية.

الكلمات المفتاحية: أزمة اقتصادية، إغلاق كبير، اقتصاد عالمي، اقتصاد عربي، عرض/طلب، فيروس كورونا covid-19.

Abstract:

This study aims to discuss the most prominent economic effects of the Corona virus on the global economy and the extent of its reflection at the level of Arab economies, by studying the reality of the challenges of facing the negative effects of the covid-19 virus on the global and Arab economy and the most prominent financial incentive packages to face its repercussions in various economic sectors through studying The case of Arab countries. To achieve the aim of the study, we focused on the nature of the covid-19 Corona crisis and its impact on the expectations of global economic growth that were possible before the crisis by international institutions, and the

presentation and analysis of the economic impact before - during / after the spread of the Corona virus at the level of various economic sectors in the Arab countries, we got to know the most important Encouraging factors to confront the negative effects of the Corona virus by presenting the most important challenges and requirements to face the negative effects of the Corona virus on the level of Arab economies. The study concluded that the economic impact during / after the spread of the Corona virus at the level of Arab countries was highly negative in many economic sectors, the most important of them; The oil sector for countries whose economy depends on oil revenues, and the tourism sector in Arab countries whose economy depends on tourism as the major closures at the level of the aviation sector have affected transportation and merchandise trade, and the negative impact strength of the Corona virus has been accompanied by the impact of various other economic sectors; The banking sector, financial markets, and the public financial sector, and despite the incentive financial packages provided by Arab countries to these economic sectors, the efforts remain modest in terms of good planning. The study recommends the necessity of setting measures and intensifying the efforts and policies adopted as a future horizon to confront the changes in the Arab economies and the orientation towards the digital economy that depends on digital globalization, and to ensure the balance of the oil market, especially for the Arab oil-exporting countries belonging to the Organization of Petroleum Exporting Countries, with the alert of non-oil-exporting Arab countries Which depends on tourism to face the crisis by investing in agricultural lands and virtual tourism.

Keywords: Economic Crisis, Great Lockdown, World Economy, Arab economy, supply/demand, Corana virus Covid-19.

مقدمة:

نتج عن انتشار فيروس كورونا المستجد آثار اقتصادية عديدة وعميقة على المستوى العالمي، إذ أنه من المتوقع أن يؤدي ذلك إلى تراجع معدلات نمو الاقتصاد العالمي نتيجة لانتقال الفيروس عبر الحدود - تفشي الفيروس -، يختلف فيروس كورونا عن باقي الأوبئة والأمراض التي أصابت العالم على مر التاريخ، التي انحصرت تفشيها في نطاق جغرافي محدود حول العالم أو دولة بعينها مثل وباء سارس ٢٠٠٣ في الصين، ووباء إيبولا في غرب أفريقيا، والإنفلونزا الإسبانية، وإنفلونزا الخنازير، لم تترك هذه الأمراض والأوبئة الأثر نفسه الذي نتج عن فيروس كورونا خلال فترة قصيرة. وكنتيجة لذلك ظهرت آثار سلبية اقتصادية تمثلت في تعطل الإنتاج في الدول الصناعية الكبرى - جانب العرض -؛ وكذلك تراجع معدلات الطلب العالمية وخصوصًا في قطاع السياحة. وستتأثر اقتصادات الدول العربية سلبًا من خلال تراجع معدلات نمو الاقتصاد العالمي؛ فالدول العربية منفتحة اقتصاديًا، ومتصلةً بالاقتصاد العالمي من خلال العديد من القنوات، أهمها عائدات النفط والسياحة. من هنا يحق لنا أن نطرح الإشكالية الآتية:

- ما مدى تأثير فيروس كورونا على الاقتصاد العالمي وما انعكاس ذلك على اقتصادات الدول العربية؟

معالجة هذه الإشكالية تتطلب الإجابة على مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي:

- ما طبيعة أزمة كورونا كوفيد-١٩ وتأثيراتها على الاقتصاديات الكبرى في العالم؟

- ما الأثر الاقتصادي قبل - أثناء/بعد انتشار فيروس كورونا على مستوى الدول العربية؟

- ما أبرز التحديات والمتطلبات لمواجهة الآثار السلبية لفيروس كورونا على مستوى الدول العربية؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تعالج موضوعاً حيويًا مرتبطاً بالمستجدات والتغيرات التي أحدثتها فيروس كورونا على مستوى الاقتصاد العالمي والعربي وهو من المواضيع الحديثة التي تستمد حداثتها من كون فيروس كورونا من مواضيع الساعة، وتستمد هذه الدراسة أهميتها بعرض واقع والتحديات التي تواجه الدول العربية للحد من الآثار السلبية لفيروس كورونا على قطاعها الاقتصادية المختلفة وفقاً لإحصائيات مخرية.

أهداف الدراسة:

سعت هذه الدراسة إلى إبراز تأثير فيروس كورونا على الاقتصاد العالمي، من خلال دراسة واقع هذا التأثير، وأهم التحديات لمجابهة التغييرات السلبية على اقتصادات الدول العربية، انطلاقاً من التدابير والسياسات المتبناة على مستوى الدول العربية، وتوجهها إلى تبني مبادئ الاقتصاد الرقمي والحكومة الالكترونية لحكومة وضبط مواردها الاقتصادية الحالية، في ظل الضرورة الملحة لتجاوز هذه الأزمة من أجل تنويع الاقتصاد المحلي، وتحسين معدلات الاكتفاء الذاتي في العديد من القطاعات الاقتصادية.

المنهج المتبع:

حسب طبيعة الموضوع المطروح للدراسة، تم الاعتماد على المنهج الوصفي والتحليلي المقارن الأكثر ملاءمة لوصف وتحليل المشكلة المطروحة، والإحصائي لتحليل مجموعة البيانات والمعلومات التي وردت في الدراسة.

تقسيم الدراسة:

قسمت هذه الدراسة على ثلاثة محاور رئيسة على النحو الآتي:

المحور الأول: طبيعة أزمة كورونا كوفيد-١٩ وتأثيراتها على الاقتصاديات الكبرى في العالم.

المحور الثاني: الأثر الاقتصادي قبل - في/بعد انتشار فيروس كورونا على مستوى الدول العربية.

المحور الثالث: تحديات ومتطلبات مواجهة الآثار السلبية لفيروس كوفيد-١٩ على مستوى الدول العربية.

المحور الأول: طبيعة أزمة كورونا - كوفيد-١٩ وتأثيراتها على الاقتصاديات الكبرى في العالم

في هذا المحور سوف نتعرف على أزمة فيروس كورونا المستجد على المستوى العالمي وتأثيراتها على كبرى الاقتصاديات العالمية، التي واجهت حالة الإغلاق الكبير في العديد من القطاعات الحيوية التي لوحظ فيها انخفاض كبير في مستوياتها، والوقوف على مؤثر النمو الاقتصادي المتوقع الذي كان مسطراً قبل ظهور فيروس كورونا من قبل المؤسسات الدولية.

أولاً: أزمة كورونا - كوفيد-١٩ وأثرها على معدل النمو الاقتصادي والناتج المحلي عالمياً:

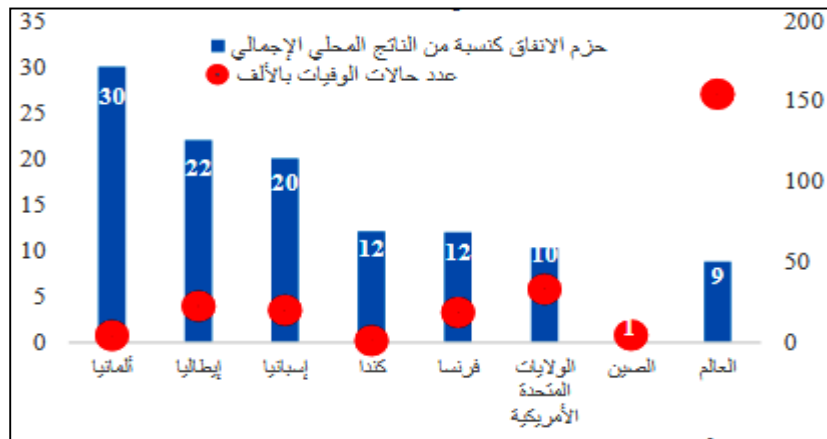
في الواقع فإن الأزمة الراهنة وعلى خلاف سابقاتها هي أزمة مستوردة من القطاع الصحي ظهرت تجلياتها نظراً لتدابير الحجر والعزل وكذا الأعباء المالية المترتبة عنها بالنسبة للحكومات والموجهة للرعاية الصحية، لكن مثل هذه الحالات كانت مرتقبة بالنظر إلى الأوبئة السابقة H1N1 و H5N1 أنفلونزا الخنازير وسابقتها أنفلونزا الطيور وما ترتب عنها من آثار اقتصادية رغم عدم ارتقائها إلى درجة جائحة، وذلك بعد تعليق جزئي للرحلات الجوية من أجل عزل الوباء، و تبعت هذه الأزميتين دراسات عدة تحاول نمذجة وتوقع الآثار الاقتصادية المدمرة في حالة وباء آخر أكثر عدوانية، إذ أكدت أن احتمال الضرر سيكون مرتفعاً عند العائلات والمؤسسات وسوق العمل والأسواق المالية فضلاً عن الحكومات. لهذا وجب اتخاذ احتياطات من جانب السلطات الصحية في العالم من أجل التحضير للاحتواء المبكر للأوبئة المحتملة بما في ذلك مراجعة سياسات الرعاية الصحية في العالم^(١)، وهذا ما جرى في سياق انتشار فيروس كورونا على مستوى العالم بعد إعلان منظمة الصحة العالمية الفيروس جائحة عالمية.

^١ معمر بنوار، "التداعيات الاقتصادية الناتجة عن جائحة COVID-19: الخلفيات المالية والحلول المقترحة"، مجلة بحوث الإدارة والاقتصاد، العدد ٢، ٢٠٢٠، ص ٦٧.

١- بداية أزمة COVID-19 وانتشارها:

بدأت الأزمة منذ أن أبلغت الصين منظمة الصحة العالمية في ديسمبر ٢٠١٩ عن مجموعة حالات إصابة بالتهاب رئوي في ووهان، مقاطعة هوبي، تم تشخيصها في ما بعد بأنها فيروس كورونا المستجد كوفيد-١٩، وفي يوم 11 مارس 2020 تم الإعلان من منظمة الصحة العالمية أنه وباء عالمي، وقد أخذ الفيروس بالانتشار السريع، الأمر الذي أدى إلى تقييد حركة السفر، التجارة، السياحة، النقل والخدمات اللوجستية بين الدول، وزيادة الإنفاق على الإجراءات الاحترازية للحد من انتشاره. وقد انعكست الآثار السلبية لانتشار الفيروس على النمو الاقتصادي العالمي بشكل عام، و أثرت على سلاسل الإمداد العالمية التي تستحوذ على جزء كبير من التجارة العالمية والتي تعطلت نتيجة توقف المصانع وتأخر استئناف التشغيل^(١). الشكل الموالي يوضح التحفيز المالي وعدد حالات الوفيات جراء فيروس كورونا المستجد -بالآلاف- في بعض دول العالم حتى ١٨ أبريل ٢٠٢٠، تجدر الإشارة إلى أن جائحة covid-19 مازالت إلى غاية- كتابة هذه الورقة البحثية- مستمرة في الانتشار وفي تسجيل آثار سلبية على الاقتصاد العالمي نتيجة الإغلاق الكبير الذي حصل في العديد من القطاعات الاقتصادية للوقاية من فيروس.

شكل رقم (١): التحفيز المالي وعدد حالات الوفيات جراء فيروس كورونا المستجد بالآلاف في بعض دول العالم



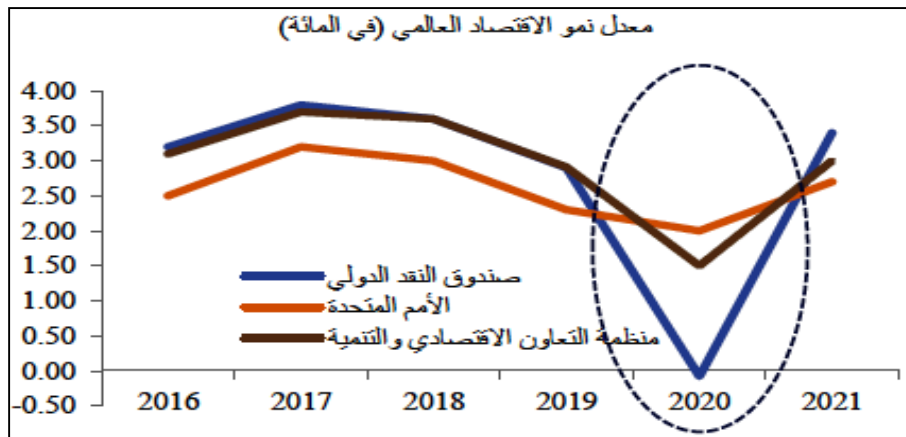
المصدر: هبة عبد المنعم، الوليد طلحة، حزم التحفيز المتبناة في مواجهة تداعيات فيروس كورونا المستجد في الدول العربية، موجز السياسات: العدد الثاني عشر، صندوق النقد العربي، ص ٣.

٢- زيادة الاهتمام بواقع معدلات النمو الاقتصادي والناتج المحلي الإجمالي العالمي:

بادر كلٌّ من المجتمع الدولي والحكومات الدولية والمؤسسات الدولية باتخاذ خطوات صارمة لاحتواء الأزمة العالمية بشتى الطرق تضمنت خطط الإنقاذ الاقتصادية وعددا من التدابير والقرارات التي استهدفت دعم الشركات والقطاعات المتضررة، واهتمت المؤسسات الدولية بواقع معدلات النمو الاقتصادي الذي انخفض إلى ٢% في عام ٢٠٢٠. على نحو ما يوضحه الشكل رقم (٢) - أنظر الصفحة الموالية-.

شكل رقم (٢): توقعات المؤسسات الدولية لمعدل نمو الاقتصاد العالمي قبل-في/ بعد COVID-19

^١ مركز البحوث والدراسات، "تداعيات التدابير الاحترازية على القطاع الخاص من جائحة كورونا المستجد (كوفيد-١٩)"، ص ٧، وثيقة أترنت متوفرة على الموقع: <https://www.jcci.org.sa/Arabic/about/DocLib/coronavirusawareness.pdf> ، تاريخ الإطلاع: ٢٨-٠٦-٢٠٢٠.



المصدر: صندوق النقد العربي، تقرير آفاق الاقتصاد العربي، الإصدار الحادي عشر، ص ١٣، ٢٠٢٠.

٣- تأثير أزمة كوفيد-١٩ بشكل مباشر على الناتج المحلي الإجمالي العالمي:

بلغ معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي العالمي ٢,٩% في عام ٢٠١٩، ومن المتوقع انخفاض نمو الناتج المحلي الإجمالي العالمي في عام 2020 إلى 2.4% بسبب تداعيات جائحة كورونا، بينما كان من المتوقع نموه إلى 3.3% في عام 2020 قبل وقوع الجائحة^(١)، تتوقع منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية انخفاض في معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي لمجموعة G20، إلى 2.7% عام 2020 ويتوقع ارتفاعه في عام 2021 إلى 3.5%^(٢).

٤- المستويات المتوقعة للنمو الاقتصادي للاقتصادات الكبرى قبل وبعد تفشي فيروس كورونا:

وفقاً لتقديرات منظمة التعاون الاقتصادي وصندوق النقد الدولي فإن معدل النمو الاقتصادي العالمي في إطار تقرير آفاق الاقتصاد العالمي، يُعزي انخفاض النمو الاقتصادي العالمي تم تعديل توقعات نمو الاقتصاد الأمريكي في عام ٢٠٢٠ نتيجة لتفشي الفيروس من 2.3% إلى سالب ٦% تقريباً بسبب تراجع الاستهلاك العام والخاص، وعدم اليقين حول أسعار الأصول ويتوقع أن يرتفع معدل النمو الاقتصادي إلى ٤,٤% تقريباً سنة ٢٠٢١، أما في منطقة اليورو "الاتحاد الأوروبي" فمن المتوقع تسجيل نسبة انخفاض بسالب ٧,١% بسبب انخفاض الصادرات وتباطؤ الاستهلاك، كذلك تم تعديل توقعات معدلات نمو الاقتصاد الياباني من سالب 0.7% إلى سالب 0.2% عام 2020، و تم تعديل توقعات معدلات نمو الاقتصاد الصيني حيث إذ من المتوقع أن ينكمش أثناء فيروس كورونا بحوالي ٥,٩% - أنظر الشكل رقم (٣) -، ولا تزال هناك مخاطر سلبية أخرى على الاقتصاد العالمي بالنظر إلى حالة عدم اليقين التي تسود العالم في هذه الفترة.^(٣)

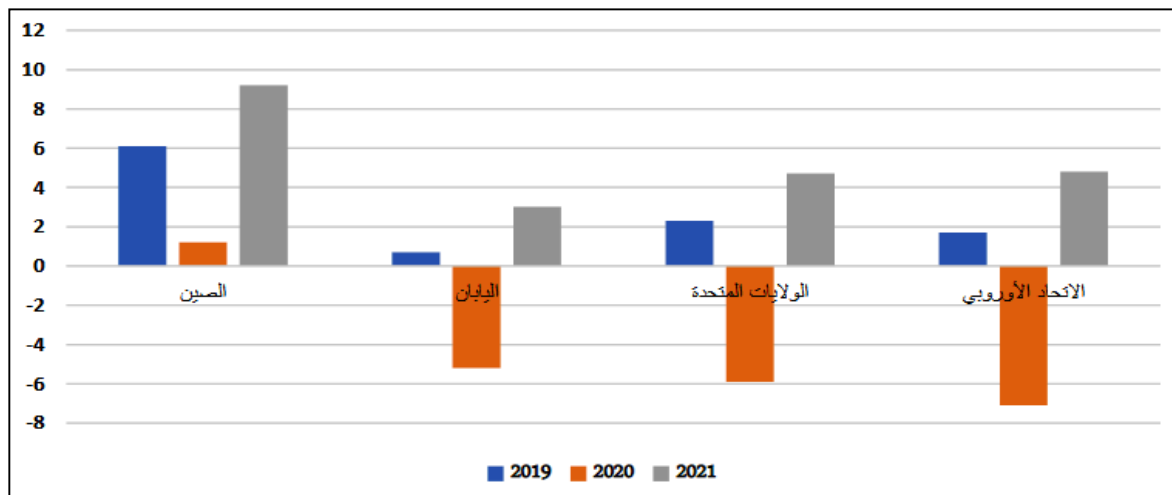
^١ وثيقة انترنت متوفرة على الموقع: <https://www.imf.org/en/Publications/WEO/Issues/20/01/2020/weo-update-january2020>

٢٣-٢٠٦-٢٠٢٠، تاريخ الإطلاع

^٢ OECD (2020), "OECD Interim Economic Assessment Coronavirus: The world economy at risk", March 2020.

^٣ الوليد أحمد طلحة، التداعيات الاقتصادية لفيروس كورونا المستجد على الدول العربية، صندوق النقد العربي، ٢٠٢٠، ص ٢٦ -ص ٢٧.

شكل رقم (٣): تعديلات توقعات النمو الاقتصادي للاقتصادات الكبرى قبل - في/ بعد تفشي فيروس كورونا (%)



المصدر: الوليد أحمد طلحة، التداعيات الاقتصادية لفيروس كورونا المستجد على الدول العربية، صندوق النقد العربي، ٢٠٢٠، ص

.٨

ومن أهم القطاعات الاقتصادية المتأثرة عالمياً بتداعيات فيروس كورونا كوفيد-١٩، ما يوضحه الاطار التالي:



المصدر: مركز البحوث والدراسات، "تداعيات التدابير الاحترازية على القطاع الخاص من جائحة كورونا المستجد (كوفيد-١٩)"،

ص ١٠. وثيقة أنترنت متوفرة على الموقع:

<https://www.jcci.org.sa/Arabic/about/DocLib/coronavirusawareness.pdf>

من الشكل أعلاه، نلاحظ أن أهم القطاعات المستفيدة تتمثل فيما يأتي :

أ- تعددين الذهب:

حيث أدت حالة الملع بالأسواق وسواد حالة من عدم اليقين إلى ارتفاع أسعار الذهب لمستويات غير مسبوقة، فقد أثرت حالة عدم الثقة بالعملات والخشية من انخفاضها أو انهيارها مع امتداد الأزمة وتعاضمها، ومع رغبة الأفراد الاحتفاظ بقيمة مدخراتهم أدى ذلك إلى زيادة الطلب على الذهب إذ يلجأ إليه الناس عادة في أجواء عدم اليقين وعدم الاستقرار كمخزن ثابت نسبي للقيم وملاذ آمن عند الأزمات بعكس العملات الورقية التي سرعان ما تتأثر بالأحداث السياسية والاقتصادية والاضطرابات التي تمر بها المجتمعات. إذ قام المستثمرون حول العالم بالتحوط وذلك بشراء المزيد من الأصول الذهبية مع تفشي فيروس كورونا والإقبال على المخاطرة، وقد وصل سعر الذهب في منتصف نيسان ٢٠٢٠ لأعلى مستوياته في ٧ سنوات، بسبب مخاوف تبعات فيروس كورونا المدمرة على الاقتصاد العالمي.

ب- السلع الإستراتيجية الغذائية:

قد صاحب الطلب الكبير على المستلزمات الطبية طلباً على السلع الإستراتيجية الغذائية فقد أدت حالة عدم اليقين والخوف من الجهول الذي اجتاحت الأسواق بسبب تضاعف حالات الإصابات إلى قيام المستهلكين بتخزين سلع أساسية سكر والأرز والطحين خشية اختفائها من السوق، وأن الإعلان الدول عن الحظر المتواصل ساهم في لجوء الناس إلى سياسة التخزين خشية انقطاعها من الأسواق وقامت حكومات بتصدير السلع أو اشتراط الحصول على موافقات من الجهات المختصة قبل تصدير بعض المواد الغذائية باعتبارها جزءاً من الأمن الغذائي.^(١)

ج- التجارة الالكترونية:

شهدت التجارة الالكترونية في ظل فيروس كورونا (كوفيد-١٩)، زيادة مضاعفة في إيراداتها وقاعدة عملائها خلال هذا الوباء، و اتجه الأفراد نحو استخدام التطبيقات والمنصات عبر الانترنت لطلب وسد الرغبات والاحتياجات من منتجات البقالة والإمدادات الطبية وغيرها من المنتجات التي تحتاجها، وكانت توقعات التجارة الالكترونية لعام ٢٠٢٠ أن تزيد المبيعات عالمياً لتصل نحو ٤,٢ ترليون دولار، لاسيما مع النمو المتسارع لشركة "Amazon" التي استحوذت على نحو ٣٧,٧% من مبيعات أمريكا عبر الانترنت في عام ٢٠١٩. وبحسب مؤشر التسوق العالمي للربع الأول من عام ٢٠٢٠ الذي يبحث بيانات وأنشطة ما يزيد عن مليار متسوق حول العالم- عن تغيرات سلوكيات الشراء حول العالم-، وذلك تأثراً بانتشار جائحة فيروس كورونا كوفيد-١٩ وإقدام العملاء على شراء المنتجات خلال التزامهم بالبقاء في المنازل.^(٢)

فضلا عن خدمات الاتصالات والتحويلات الرقمية وخدمات الانترنت في العديد من المجالات التي شهدت نقلة نوعية نحو الاقتصاد الرقمي والذكاء الاصطناعي، التي تشهد تطوراً مستمرا إلى غاية اللحظة لإفادة الدول من التسهيلات الرقمية التي تشجع مبدأ التباعد الاجتماعي ووقاية من فيروس كورونا COVID-19.

ثانيا: تأثير فيروس كورونا على كبرى الاقتصادات العالمية: الصين والولايات المتحدة الأمريكية

١ أحمد فايز الهرش، "أزمة الإغلاق الكبير: الاثار الاقتصادية لفيروس كورونا كوفيد-١٩"، مجلة بحوث الإدارة والاقتصاد، العدد ٢، ٢٠٢٠، ص ١٢٢.
٢ بسمة محرم حداد، تمال عبد العاطي الخواص، التجارة الالكترونية في ظل تداعيات جائحة كورونا، سلسلة أوراق السياسات حول: التداعيات المحتملة لأزمة كورونا على الاقتصاد المصري، معهد التخطيط القومي، ص ٢١.

سوف تفضي هذه الأزمة الصحية إلى انتشار تداعيات اقتصادية كبيرة، انعكاسات لصدمات تلحق بالعرض والطلب تختلف عن الأزمات السابقة جراء وقف حركة المواطنين والسفر وإغلاق المحلات التجارية وغيرها، وعليه فإنه يتعين وضع سياسات جوهرية تُوجه لمساعدة الاقتصادات على تجاوز مدة انتشار هذا الوباء، مع الحفاظ على سلامة شبكة العلاقات الاقتصادية والمالية بين العاملين ومؤسسات الأعمال، والمقرضين والمقترضين، والموردين والمستخدمين النهائيين لكي يتعافى النشاط متى توارث هذه الفاشية. والهدف هو منع أزمة مؤقتة كهذه من إلحاق ضرر دائم بالأفراد والشركات من خلال فقدان الوظائف وحالات الإفلاس. أصبح التأثير الاقتصادي واضحاً بالفعل في البلدان الأشد تأثراً بتفشي هذا المرض. على سبيل المثال، الولايات المتحدة الأمريكية والصين، إذ تراجع نشاط قطاعي الصناعة التحويلية والخدمات في الصين بشكل حاد في شهر فبراير. وبينما كان هبوط النشاط في قطاع الصناعة التحويلية يضاهي مستواه في بداية الأزمة المالية العالمية، يبدو أن تراجع الخدمات أكبر هذه المرة وذلك بسبب التأثير الكبير الناجم عن التباعد الاجتماعي^(١). الجدول رقم (١) يوضح تأثير فيروس كورونا على الاقتصاد الصيني و الولايات المتحدة الأمريكية.

جدول رقم (١): تأثير فيروس كورونا covid-19 على كبرى الاقتصادات العالمية: الصين والولايات المتحدة الأمريكية

تأثير فيروس كورونا على الاقتصاد الأمريكي	تأثير فيروس كورونا على الاقتصاد الصيني
<p>وفقاً لوزارة الخزانة الأمريكية بلغ عجز الميزانية الاتحادية للسنة المالية 2019 حتى شهر سبتمبر/أيلول، نحو 984 مليار دولار، أي ما يوازي 4.6% من إجمالي الناتج الداخلي، يُعد هذا العجز الأكبر منذ عام 2012 عندما بلغ العجز 1100 مليار دولار، حينما كان أول اقتصاد في العالم يخرج من الأزمة المالية ومن الانكماش الكبير. وعلى الرغم من أن سياسة الرسوم الجمركية العقابية التي فرضت على السلع الصينية في إطار المواجهة التجارية مع إدارة بيجين، قد حققت عائدات قياسية بلغت ثلاثين مليار دولار، بزيادة نسبتها 70% عن الأحوال العادية، ارتفع العجز إلى 205 مليارات دولار إضافية عن 2018. إذ سجلت الواردات ارتفاعاً نسبته 4%، وبلغت 3462 مليار دولار، وهو مبلغ قياسي، لكن وتيرة زيادة النفقات كانت ضعف ذلك، أي 8%، لتبلغ 4447 مليار دولار، وهو رقم يعد قياسياً أيضاً. ونسبت الخزانة الأمريكية السبب في ارتفاع النفقات إلى شيخوخة السكان وارتفاع رواتب التقاعد 6%، ونفقات التأمين الصحي 8% للأكثر فقراً والأكبر سناً. (**)</p>	<p>فيما يتعلق بالصين، فإن حجم الصين الهائل إلى جانب الدور الذي تلعبه باعتبارها محركاً للنمو الاقتصادي ولأعباء مهيمنة على أسواق السلع، يعني أن الضربة التي تلقتها سيكون لها تداعيات كبيرة في جميع أنحاء العالم، ولقد تراجعت أسعار النفط، بسبب ضعف توقعات نمو الاقتصاد الصيني، وتراجع معدل السفر الدولي، خاصة في الصين واليابان. (*) وعلى الرغم من مسارعة الصين لتطبيق إجراءات صارمة من أجل الحد من تفشي الوباء، فإنها لم تتمكن من مواجهة الأضرار الاقتصادية الناجمة عن تطبيق تلك الإجراءات، إذ تضررت قطاعات اقتصادية هامة، أبرزها قطاع السياحة والطيران، ونظراً لارتباطها بأسواق عالمية في التصنيع والتصدير، أثر انتشار الفيروس وحالة فرض وقف الاستيراد والتصدير منها في نموها الاقتصادي بشكل كبير. هنا تشير كثير من التقارير إلى أن انتشار فيروس كورونا سيكون له تأثيرات كبيرة في الاقتصاد العالمي (**)، وعلى هذا الأساس خفضت الوكالة والمؤسسات الدولية توقعاتها المتعلقة بنمو الاقتصاد الصيني كما ذكر أنفاً أنظر الشكل رقم (3).</p>

المصدر: من إعداد الباحثان، اعتماداً على المصادر الآتية :

^١ إدارة السياسات التجارية والمنظمات الدولية، "أثر وباء فيروس كورونا على التجارة العالمية الصادر عن " الاونكتاد"، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٢٠، ص ٣. وثيقة انترنت متوفرة على الموقع: <https://www.economy.gov.ae/EconomicalReports> ، تاريخ الإطلاع: ٢٢-٠٦-٢٠٢٠.

(*) - مرام تيسير الفراء، "تأثيرات فيروس كورونا على أداء الاقتصاد العالمي وعلى أداء مؤسسات ضمان الودائع حول العالم"، دراسة بحثية، المركز الديمقراطي العربي، برلين ألمانيا، ٢٠٢٠، وثيقة انترنت متوفرة على الموقع: https://democraticac.de/?p=66152#_ftn5، تاريخ الإطلاع: ٢٠٢٠-٧-١.

(**) - مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، "تأثيرات كورونا على التنافس الاقتصادي بين الصين وأمريكا"، وحدة الرصد والتحليل، ٢٠٢٠، ص ٦، وثيقة انترنت متوفرة على الموقع: <https://fikercenter.com/assets/uploads/> كورونا-في-ظل-الصراع-الاقتصادي-بين-الصين-وامريكا، تاريخ الإطلاع: ٢٠٢٠-٧-٤.

المحور الثاني: الأثر الاقتصادي قبل - أثناء/بعد انتشار فيروس كورونا على مستوى الدول العربية

لا يمكن دراسة صدمات العرض والطلب على قطاع الاقتصاد العربي بمعزل عما يحدث في العالم، لذلك كان من الضروري في هذا المحور متابعة ما طرأ على مختلف القطاعات الاقتصادية العالمية ومدى تأثيرها على الاقتصادات العربية في مختلف المجالات الاقتصادية، قبل - أثناء/ بعد انتشار فيروس كورونا عالمياً.

أولاً: أهم العوامل التي ساهمت في هبوطه أسعار النفط العالمية والإنتاج النفطي في الدول العربية:

يُعدّ النفط المكون الرئيس لصادرات العديد من الدول العربية، وخصوصاً دول الخليج العربي. وفي ظل تراجع معدلات الطلب العالمية، خصوصاً من الصين، وكذلك فشل مجموعة أوبك في الإلتزام بقرار خفض إنتاج النفط، في محاولة لضبط اسواق النفط العالمية، وإيقاف انزلاق سعر النفط لمستويات متدنية، فإنه يُستبعد تعافي أسعار البترول في الفترة القادمة، خصوصاً بعد إعلان السعودية عزمها على زيادة إنتاجها النفطي خلال الشهرين القادمين إلى 10 ملايين برميل يوميًا، وعليه فإن المنطقة التي تعتمد على عائدات البترول فأيّ انخفاض سعر البترول سيؤدي إلى انخفاض العائدات الحكومية، وهو ما يُؤثر بشكل مباشر على المساحة المالية المتاحة لهذه الحكومات في حال الدخول في كساد اقتصادي.^(١)

وعليه فمن المتوقع أن يكون تراجع أسعار المنتجات المتصلة بالبترول أيضاً؛ أبرز القنوات لانتقال تأثيرات فيروس covid-19 إلى البلدان العربية. ومُنذ بداية عام 2020، هوت أسعار النفط العالمية بشدة. تراجع سعر نفط برنت من ٦٨,٩٠ دولار للبرميل في ١ يناير^(٢)، إلى ما بين ٣٨ - ٤٠ دولار أمريكي في شهر مارس^(٣)، وتوقع وكالة الطاقة الدولية أن ينخفض الطلب العالمي على النفط بمقدار ٤٣٥ ألف برميل يوميا بمعدل سنوي في الربع الأول من عام ٢٠٢٠، وهو أول انكماش فصلي منذ أكثر من عشر سنوات. ومن المتوقع أيضاً أن ينخفض الطلب العالمي على النفط في نهاية عام ٢٠٢٠ بمقدار ٣٦٥ ألف برميل يوميا، وهو أسوأ أداء للطلب منذ عام ٢٠١١^(٤). الشكل رقم (٤) يوضح السعر الفوري وتوقعات أسعار خام برنت عالمياً قبل/ أثناء فيروس كورونا.

^١ هاني عبد الطيف، "أثار كورونا الاقتصادية: خسائر فادحة ومكاسب ضئيلة ومؤقتة"، مركز الجزيرة للدراسات، وثيقة انترنت متوفرة على الموقع: <https://studies.aljazeera.net/en/node/4613>، تاريخ الإطلاع: ٢٠٢٠-٣-٢٢.

^٢ رباح أرزقي، هانغوين، "التأثيرات المحتملة لفيروس كورونا على بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا"، ٢٠٢٠، وثيقة انترنت متوفرة على الموقع: <https://blogs.worldbank.org/ar/arabvoices/coronavirus-potential-effects-middle-east-and-north-africa>

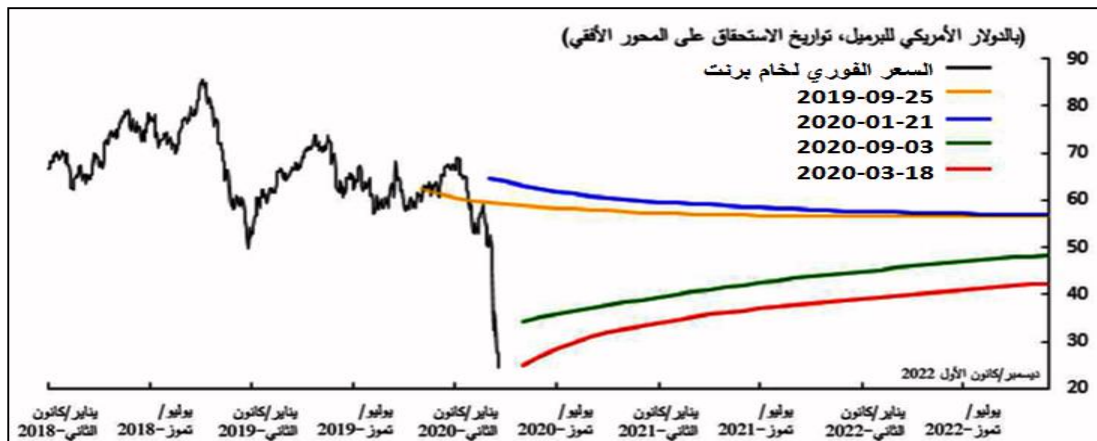
تاريخ الإطلاع، ٢٠٢٠-٣-٢٠.

^٣ عثمان الحياني، "الجزائر تتوقع ارتفاع اسعار النفط الى ٤٠ دولارا للبرميل، الجديد العربي"، ٢٠٢٠، وثيقة انترنت متوفرة على الموقع: الجزائر-تتوقع-ارتفاع-اسعار-النفط-إلى-٤٠-دولارا-للبرميل / <https://www.alaraby.co.uk>، تاريخ الإطلاع: ٢٠٢٠-٠٣-٢٦.

^٤ جريدة العرب الدولية، "التقلص الفصلي لطلب النفط منذ الأزمة العالمية، الشرق الأوسط"، ٢٠٢٠، وثيقة انترنت متوفرة على الموقع وكالة-الطاقة-تتوقع-أول-تقلص-فصلي-لطلب-النفط-منذ-الأزمة-العالمية / <https://aawsat.com/home/article/2130596>، تاريخ الإطلاع:

٢٠٢٠-٠٣-٢٨.

شكل رقم (٤): السعر الفوري والمتوقع لسعر خام برنت عالمياً قبل/ في فيروس كورونا



المصدر: البنك الدولي، <https://www.albankaldawli.org/ar/region/mena/brief/coping-with-a-dual-shock-coronavirus-covid-19-and-oil-prices>

تشكل احتياطات الدول العربية من النفط الخام حوالي ٥٧,١% من الاحتياطات العالمية، حيث فقد شهد الإنتاج النفطي في الدول العربية انخفاضاً بلغ ٠,٢% ليصل إلى ٧٢١,٣ مليار برميل في عام ٢٠١٨. من ناحية أخرى، يمثل احتياطي الدول العربية من الغاز الطبيعي حوالي ٢٧,١% من إجمالي احتياطات الغاز العالمي حيث وصل إلى ٥٤,٦ تريليون متر مكعب في عام ٢٠١٨ بزيادة قدرها ٠,٦%. من ناحية أخرى، بلغ إنتاج أوبك من النفط الخام حوالي ٢٧,٨ مليون برميل يومياً في فبراير ٢٠٢٠، بانخفاض ٥١٠ برميل يومياً وفقاً لبيانات يناير ٢٠٢٠. يُعتبر هذا المستوى أقل مستوى للإنتاج النفطي خلال الخمس سنوات السابقة. ويعود ذلك إلى توقف إمدادات النفط من ليبيا بسبب الأوضاع الداخلية وإغلاق الموانئ وحقول إنتاج النفط بسبب تفشي فيروس كورونا. (١)

١- أهم العوامل التي ساهمت في هبوط أسعار النفط العالمية:

بالرغم من وجود عوامل أخرى أسهمت في هذا الهبوط، إلا أن فيروس كورونا كان على الأرجح أكثر العوامل تأثيراً وسيتوقف تعافي أسعار النفط على نجاح الصين والبلدان الأخرى في السيطرة على انتشار الفيروس، لذلك يحق لنا أن نربط هذا الهبوط بعاملين أساسيين هما: (٢)

أ- العامل الأول: الانخفاض الكبير في الطلب من الصين إذ أغلقت السلطات منشآت الإنتاج في إطار جهودها لاحتواء انتشار الفيروس. ووفقاً لتقرير سوق النفط لشهر فبراير الصادر عن وكالة الطاقة الدولية، تبلغ نسبة الطلب على النفط في الصين حالياً ١٤% من الطلب العالمي، ويشكل معدل نمو الطلب على النفط في الصين حالياً أكثر من 75% من النمو في الطلب العالمي.

ب- العامل الثاني: الأهمية المتزايدة لدور الصين في الاقتصاد العالمي، فإن أي انتكاسات للاقتصاد الصيني من المتوقع أن تكون لها تأثيرات سلبية غير مباشرة على الاقتصاد العالمي. ومن المرجح أن تتضرر القرارات الاستثمارية في الصين وفي البلدان الأخرى بسبب حالة عدم اليقين التي أثارها انتشار الفيروس على الصعيد العالمي، وهو ما قد يؤدي إلى مزيد من التراجع لأسعار النفط.

ثانياً: واقع الأسواق المالية العربية

^١ حسين البطراوي، "كورونا وانخفاض أسعار النفط العالمي... مخاوف من تزايد الدين العام، وخسائر فادحة في التجارة، المجلة، ٢٠٢٠، وثيقة انترنت متوفرة على الموقع: «كورونا»-انخفاض-أسعار-النفط-العالمي / <https://arb.majalla.com/node/86601>، تاريخ الإطلاع: ٢٦-٠٧-٢٠٢٠.

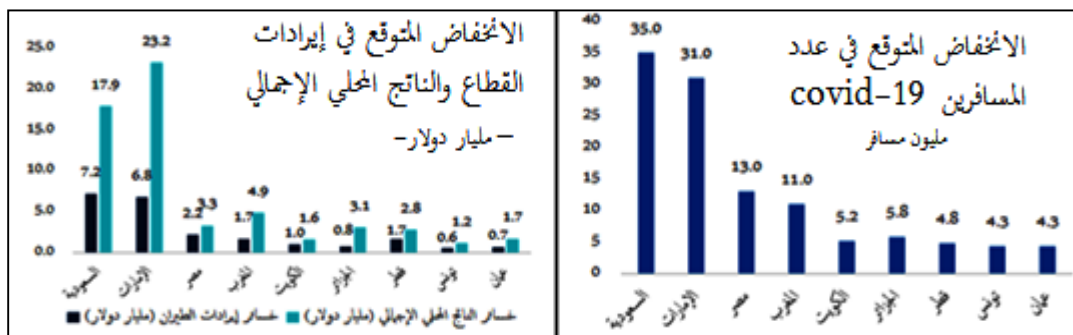
^٢ رباح أرزقي، هانغوين، مرجع سبق ذكره.

١- تداعيات فيروس كورونا على قطاع الطيران وتأثيره على النقل والسياحة والتجارة السلعية:

يبلغ ناتج قطاع الطيران العالمي نحو ٢,٧ ترليون دولار، بما يوازي ٣,٦% من الناتج العالمي الإجمالي، تُساهم صناعة الطيران العالمية في توفير ٦٥,٥ مليون وظيفة حول العالم سواء بصورة مباشرة أم غير مباشرة. فبخلاف الوظائف المباشرة التي توفرها صناعة النقل الجوي ذاتها، يدعم القطاع توفير الملايين من الوظائف غير المباشرة في سلاسل التوريد العالمية التي تخدم الصناعة. كما يساهم في توفير الملايين من الوظائف في قطاع السياحة بما يقدر بنحو ٣٦,٥ مليون فرصة عمل^(١)، الذي يُعدّ من أكثر القطاعات تأثراً بتداعيات فيروس كورونا لاسيما أن 80% من القطاع في الدول العربية يتكون من الشركات الصغيرة والمتوسطة. نظراً للجهود الدولية للحد من تفشي فيروس كورونا، والقيود التي فُرضت على حركة السفر والسياحة بين الدول، تأثر قطاع السياحة بصورة مباشرة لاسيما في الدول العربية التي تعتمد عليه كأحد مصادر الإيرادات الهامة للموازنات العامة وكذلك موازين المدفوعات.

من جانب آخر، يدعم قطاع الطيران حركة التجارة الدولية، حيث ينقل بضائع تقدر قيمتها بنحو ٦,٠ ترليون دولار سنوياً. إذ تُعدّ الصين ثاني أكبر شريك تجاري للدول العربية حتى عام ٢٠١٨، بوزن نسبي بلغ 13% وذلك بعد الاتحاد الأوروبي الذي احتل المرتبة الأولى في حركة التجارة السلعية مع الدول العربية بوزن نسبي بلغ ٢٠% من إجمالي تجارة الدول العربية مع العالم. شهد عجز الميزان التجاري تحسناً في الفترة الأخيرة وبالأخص مع الصين حيث تحول العجز البالغ 38 مليار دولار في عام 2017 إلى فائضا قدره مليار دولار عام 2018، في حين سجل موقف الميزان التجاري مع الاتحاد الأوروبي عجزاً قدره 48 مليار دولار مقابل 117 مليار دولار في عام 2017. ومن المتوقع أن يؤثر انتشار الفيروس على موقف التجارة الخارجية للدول العربية مع أبرز شركائها التجاريين.^(٢)

شكل رقم (٦): تأثير فيروس covid-19 على قطاع الطيران في الدول العربية



المصدر: هبة عبد المنعم، محمد إسماعيل، تداعيات أزمة فيروس كورونا المستجد على قطاع الطيران في الدول العربية، وسياسات دعم التعافي، موجز سياسات: العدد الثالث عشر، صندوق النقد العربي، ٢٠٢٠، ص ٦.

رابعا: واقع القطاع المالي والمصرفي

في هذا الصدد؛ يلاحظ أن غالبية حكومات العالم قد لجأت إلى أدوات السياسة النقدية في مواجهة فيروس كورونا، فقد لجأ البعض إلى أسعار الفائدة وتوظيف عمليات السوق المفتوحة، في حين لجأ البعض الآخر إلى استخدام نسبة الاحتياطي النقدي القانوني لزيادة قدرة المصارف التجارية على منح التمويل. في هذا الإطار لجأت غالبية المصارف المركزية ومؤسسات النقد العربية إلى خفض أسعار الفائدة النقدية في آن واحد حيث أن كل جولات الخفض تمت خلال شهر مارس من عام 2020 وبنسب متقاربة

^١ هبة عبد المنعم، محمد إسماعيل، تداعيات أزمة فيروس كورونا المستجد على قطاع الطيران في الدول العربية، وسياسات دعم التعافي، موجز سياسات: العدد الثالث عشر، صندوق النقد العربي، ٢٠٢٠، ص ١.

^٢ الوليد أحمد طلحة، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦ - ٢٧.

من بعضها البعض، وهو ما من شأنه دعم مستويات السيولة التي تأثرت عام 2019 بظروف تباطؤ النشاط الاقتصادي في عدد من الدول العربية وهذا ما تفاقم خلال أزمة covid-19.

غير أن هذا الإجراء يجب أن يأخذ في الاعتبار هيكل الجهاز المصرفي في الدول العربية وتناول أثر السياسات التحفيزية على مؤشرات السلامة المالية للقطاع المصرفي فيما يتعلق بكفاية رأس المال، وجودة الأصول، والربحية، وحجم التعثر في التمويل المصرفي، حيث أن أداء هذه المؤشرات يتباين بين المصارف، ويختلف بين المصارف ذات العجز السيولي والمصارف ذات الفائض السيولي.^(١)

خامساً: قطاع المالية العامة:

تواجه الدول العربية تحديات كبيرة خلال عام ٢٠٢٠ نظراً للآثار السلبية التي لحقت بالمالية العامة نتيجة تفشي فيروس كورونا بشكل واسع و توجهات الدول العربية نحو الإنفاق الحكومي على المستلزمات الطبية في القطاع الصحي بالدرجة الأولى كما أن أسعار النفط تبقى أحد العوامل الأساس التي تستند إليها تقديرات الموازنة العامة في الدول العربية، هذا ما يتطلب مراجعة الموازنة العامة وموجهة تداعيات فيروس كورونا بتدابير أكثر تناسقاً مع الأزمة الراهنة.

المحور الثالث: تحديات ومتطلبات مواجهة الآثار السلبية لفيروس كوفيد-١٩ على مستوى الدول العربية

سوف نتعرف في هذا المحور على أبرز التحديات المتمثلة في تدابير المواجهة التي تتخذها الدول العربية لمواجهة الآثار السلبية لفيروس كورونا على الاقتصادات العربية، كما نشير في هذا المحور إلى أهم المتطلبات الداعمة والتي يجب توافرها وضرورة تبنيتها من قبل الدول العربية في قطاعات اقتصادية مختلفة من بينها قطاع السياحة والقطاع المصرفي والمالية، والتأكيد على ضرورة التوجه نحو الاقتصاد الرقمي الذي يحمل في طياته العديد من الآثار الإيجابية للنهوض بالعديد من القطاعات الاقتصادية الفعالة على مستوى الدول العربية تنشيطاً لاقتصادها وتحقيقاً لأهداف التنمية المستدامة.

أولاً: أهم البرامج والمبادرات المتخذة عالمياً لتخفيف الأضرار الاقتصادية:

بادرت المنظمات الدولية والحكومات - الدول العربية لا تمثل استثناء - باتخاذ خطوات ملموسة وصارمة لاحتواء الأزمة العالمية بشتى الطرق تضمنت خطط الإنقاذ الاقتصادية وعدد من التدابير والقرارات التي استهدفت دعم الشركات والقطاعات المتضررة. أهم برامج الدعم المقدمة عالمياً:^(٢)

- أعلنت مجموعة البنك الدولي عن إتاحة حزمة تمويل أولية تصل قيمتها إلى 12 مليار دولار لمساعدة الدول للتغلب على الآثار الصحية والاقتصادية لتفشي فيروس كورونا "كوفيد-19"؛
- تقديم دعم مالي من الجهات الحكومية المختلفة لدعم القطاع الخاص؛
- تأجيل دفع القروض للمنشآت لمدة معينة؛
- الافادة من الخدمات الحكومية المقدمة للقطاع الخاص بشكل عام من دون استثناء للمنشآت المتأخرة والتي عليها غرامات؛
- السماح بالاستيراد والتصدير بين الدول من جميع المنافذ الجمركية؛
- التأكد من توفر المنتجات الغذائية بشكل دائم والحفاظ على مراقبة الأسعار والحفاظ على الأمن الغذائي للدولة؛
- أطلقت الحكومات عدة مبادرات لتخفيف الأعباء على الشركات وتحفيز قدرتها على مواجهة ظروف السوق الصعبة.

ثانياً: الدعم المالي على مستوى الدول العربية لمواجهة تداعيات فيروس كورونا:

^١ المرجع نفسه، ص ٢٤- ص ٢٥.

^٢ مركز البحوث والدراسات، مرجع سبق ذكره، ص ١٥.

تبنّت حكومات الدول العربية ممثلة في البنوك المركزية ووزارات المالية حزم من التحفيز، كتحدي لمواجهة الآثار السلبية لفيروس كورونا على القطاعات الاقتصادية الأساسية ودعمًا للفئات المتضررة، لتقليل حجم الآثار المتوقع وتقييد حركة الآثار السلبية على الأسر والشركات. الجدول الآتي يوضح حجم التحفيز المالي على مستوى الدول العربية.

جدول رقم (٢): حجم التحفيز المالية الإجمالية في الدول العربية لمواجهة تداعيات فيروس covid-19

الدول	حجم التحفيز الإجمالية لمواجهة الآثار السلبية أثناء فيروس covid-19
الإمارات	تحفيزات مالية إجمالية قدرت ب ٧٧ مليار دولار
السعودية	تحفيزات مالية إجمالية قدرت ب ٤٨ مليار دولار
البحرين	تحفيزات مالية إجمالية قدرت ب ١٢ مليار دولار
مصر	تحفيزات مالية إجمالية قدرت ب ٧,٧ مليار دولار.
الكويت	تحفيزات مالية إجمالية قدرت ب ١,٦ مليار دولار.
الأردن	تحفيزات مالية إجمالية قدرت ب ١,٦ مليار دولار.
المغرب	تحفيزات مالية إجمالية قدرت ب ١ مليار دولار.
تونس	تحفيزات مالية إجمالية قدرت ب ٠,٨ مليار دولار.

المصدر: من إعداد الباحثان، اعتماداً على مواقع البنوك المركزية العربية والوزارات المالية العربية، "مصادر رسمية".

ثالثاً: التغيرات المستجدة الداعمة للنهوض بالقطاعات الاقتصادية العربية في ظل أزمة covid-19

في هذا العنصر سوف نتعرف على أهم السبل والطرق للنهوض بالقطاع السياحي والمالية العامة والقطاع المصرفي والمالي، من منطلق التحول الرقمي المبني على اقتصاد رقمي قوي لمواجهة التحديات والآثار السلبية لفيروس كورونا على مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية. هذه التحولات التي أصبحت أمراً حتمياً خاصة مع انتشار الفيروس وما يترتب عنه من سلبيات على كافة الجهات التنموية، أهم هذه الحلول تتمثل فيما يلي:

١- تعزيز الشمول المالي ودعم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة: دعم هذه المؤسسات بما فيها الاجتماعية أو التي لديها أفكار تجارية (والمشاريع متناهية الصغر) قد تكون له عوائد اجتماعية عالية وآثار كبيرة على السوق إضافة إلى أهداف الربحية، حيث تضطر هذه المؤسسات لتراكم رأس المال في المراحل الأولى وتحتاج إلى الدعم المالي والمرافقة، كشركات خدمات الطاقة، خاصة في ظل أزمة covid-19.

٢- الإفادة من تجارب الدول في رقمنة المالية العامة:

تتطرق رقمنة المالية العامة للعديد من الجوانب من بينها التحول الرقمي على صعيد إدارة جانبي الموازنة العامة، فقد أدى التوسع في القاعدة الضريبية من خلال التحول للنظم الالكترونية للإقرار والامتثال الضريبي والتحصيل والفوترة الالكترونية إلى حوكمة الموازنة العامة. فيما ساهمت رقمنة الإنفاق العام في زيادة كفاءة نظم المشتريات الحكومية، ومكافحة الفساد، وتحسين فعالية نظم التحويلات الاجتماعية عبر إنشاء قواعد بيانات أكثر دقة لمن هم مؤهلون للحصول على الدعم، وتوجيه التحويلات النقدية إليهم عبر قنوات الدفع الالكتروني بطريقة سهلة وآمنة خاصة في ظل أزمة covid-19، أين يمكن استخدام الهواتف المحمولة للتحقق باستخدام توقيع البصمة البيومترية، وبالتالي تمكين الحكومات من الوصول إلى قاعدة واسعة من المستفيدين بأقل تكلفة، حماية لقطاع المالية العامة في ظل الظرف الراهن ووقاية من الأثر السلبية لفيروس covid-19. إذ تشير الدراسات إلى أن التحول إلى الدفع

والتحصيل الإلكتروني على صعيد جانبي الموازنة يحقق وفورات تقدر بنحو ٣٢٠ مليار دولار سنويا في الدول النامية، هذا ما جعل رقمنة المالية العامة في الدول العربية في ظل انتشار الفيروس أمرا حتميا.^(١)

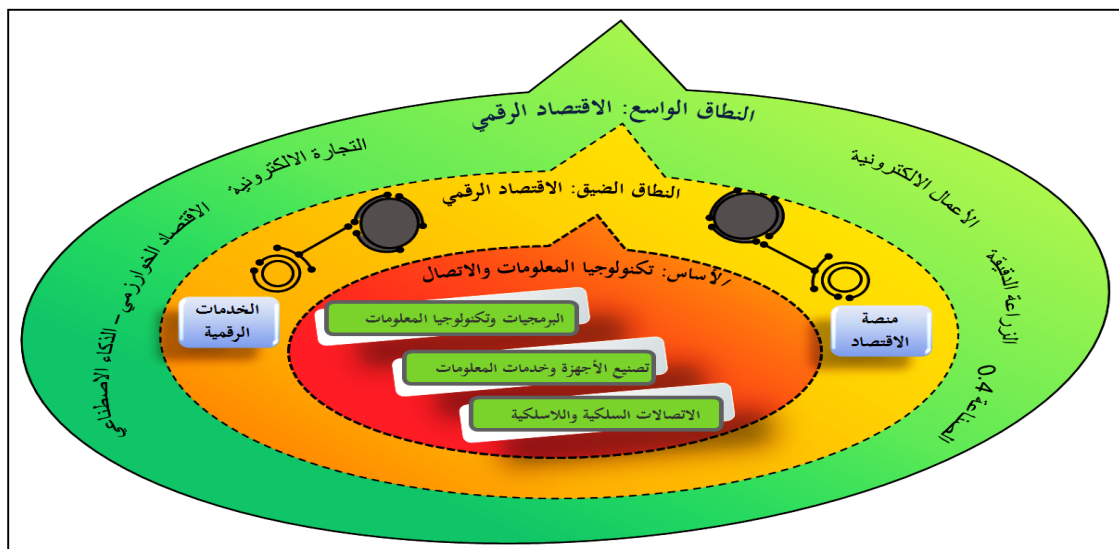
٣- السياحة الافتراضية: للدول غير النفطية التي يعتمد اقتصادها على السياحة

تعرف السياحة الافتراضية بأنها نشاط لزيارة مواقع ذات اهتمام عبر الانترنت دون السفر شخصيا لهذه الأماكن، وهي الملاحظة في شوارع ومناطق - بيئات - الواقع الافتراضي، بهدف الانتقال جسديا إلى أماكن مادية، وزمن يتسم باللحظة من دون السفر إلى هناك بشكل تقليدي، عن طريق الجولات الافتراضية التي تحاكي المكان، وتتألف عادة من سلسلة من صور الفيديو. كما يمكن أيضا استخدام عناصر الوسائط المعتمدة الأخرى، مثل المؤثرات الصوتية، والموسيقى، والسرد القصصي، والنصوص المكتوبة.^(٢)

٤- تعزيز الاقتصاد الرقمي:

إن الاقتصاد الرقمي يركز على الإنترنت والتجارة الإلكترونية، أما التعريف الواسع النطاق فيشمل مجموعة من الأعمال التي تتمثل في: الأعمال الإلكترونية والتجارة الإلكترونية والصناعة ٤.٠ - تعني صناعة المستقبل أي التحول الرابع الذي تشهده الصناعة، والتي من أهدافها إنشاء المصانع الذكية- والزراعة الدقيقة. وفي الوقت الحالي تخطى الاقتصاد الرقمي ذلك من خلال إدماجه في العديد من القطاعات، وقد نتج عنها انتشار العديد من تطبيقات الاقتصاد الرقمي كالتعليم الإلكتروني، الصحة الإلكترونية وغيرها من التطبيقات التي شكلت نقلة نوعية في حياة الأفراد والمجتمع. الشكل رقم (٧) يحدد لنا بوضوح نطاق الاقتصاد الرقمي الذي يمكن الاستفادة منه في ظل أزمة covid-19 لدى الحكومات للتحول نحو الرقمنة وتسهيل التعاملات في القطاعات الاقتصادية.^(٣)

شكل رقم (٧): نطاق الاقتصاد الرقمي الذي يمكن أن تكون له آثار إيجابية على مختلف القطاعات خلال أزمة covid-19.



^١ هبة عبد المنعم، الوليد طلحة، حزم التحفيز المتبناة في مواجهة تداعيات فيروس كورونا المستجد في الدول العربية، موجز السياسات: العدد الثاني عشر، صندوق النقد العربي، ٢٠٢٠، ص ٣.

^٢ عبر العزيز ماضي، حكيم بن جروة، نحو تفعيل السياحة الافتراضية لتنشيط الوجهات السياحية في ظل أزمة فيروس كورونا المستجد كوفيد-١٩: مع الإشارة إلى حالة الجزائر، مجلة بحوث الإدارة والاقتصاد، المجلد ٢، العدد ٢٠، الجزائر، ٢٠٢٠، ص ٥٣.

^٣ تنيو كنزة، دور النحول نحو الاقتصاد الرقمي في تحقيق التنمية الاقتصادية - دراسة حالة الجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة عبد الحميد مهري، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، قسنطينة، الجزائر، ٢٠٢٠، ص ٤٥.

المصدر: من إعداد الباحثين، اعتمادا على المرجع: تنيو كتنزة، دور النحول نحو الاقتصاد الرقمي في تحقيق التنمية الاقتصادية- دراسة حالة الجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة عبد الحميد مهري، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، قسنطينة ٢، الجزائر، ٢٠٢٠، ص ٤٥.

خاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية :

- أزمة كوفيد-١٩ وعلى خلاف سابقاتها هي أزمة مستوردة من القطاع الصحي ظهرت تجلياتها نظرا لتدابير الحجر والعزل وكذا الأعباء المالية المترتبة عنها بالنسبة للحكومات والموجهة للرعاية الصحية؛
- جاحة covid-19 مازالت إلى غاية- كتابة هذه الورقة البحثية- مستمرة في الانتشار وفي تسجيل آثار سلبية على الاقتصاد العالمي نتيجة الإغلاق الكبير الذي حصل في العديد من القطاعات الاقتصادية وقاية من فيروس covid-19.
- بلغ معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي العالمي ٢,٩% في عام ٢٠١٩، ومن المتوقع انخفاض نمو الناتج المحلي الإجمالي العالمي في عام 2020 إلى 2.4% بسبب تداعيات جائحة كورونا، بينما كان من المتوقع نموه إلى 3.3% في عام 2020 قبل وقوع الجائحة حسب منظمة OCDE؛
- وفقا لتقديرات منظمة التعاون الاقتصادي وصندوق النقد الدولي لمعدل النمو الاقتصادي العالمي في إطار تقرير آفاق الاقتصاد العالمي، يُعزى انخفاض النمو الاقتصادي العالمي وعليه تعديل توقعات نمو الاقتصاد الأمريكي في عام ٢٠٢٠ نتيجة لتفشي فيروس كورونا من 2.3% إلى سالب ٦% تقريبا بسبب تراجع الاستهلاك العام والخاص، وعدم اليقين حول أسعار الأصول؛
- تعديل توقعات معدلات نمو الاقتصاد الياباني- قبل COVID-19- من سالب 0.7% إلى سالب 0.2% عام 2020 بعد ظهور الفيروس، و تم تعديل معدلات نمو الاقتصاد الصيني ويتوقع أن ينكمش أثناء فيروس كورونا بحوالي ٥,٩%؛
- القطاعات الاقتصادية المتأثر عالميا جراء انتشار فيروس كورونا: منها من تأثرت سلبيا بصورة كبيرة، ومنها من تأثرت سلبيا بصورة متوسطة، ومنها من تأثرت سلبيا بصورة منخفضة؛
- كان الأثر الاقتصادي قبل - في/بعد انتشار فيروس كورونا على مستوى الدول العربية سلبيا في العديد من القطاعات الاقتصادية أهمها: هبوطه أسعار النفط العالمية والإنتاج النفطي في الدول العربية، حيث تراجع سعر نفط برنت من ٦٨,٩٠ دولار للبرميل في ١ يناير، إلى ما بين ٣٨ - ٤٠ دولار أمريكي في شهر مارس، وتتوقع وكالة الطاقة الدولية أن ينخفض الطلب العالمي على النفط بمقدار ٤٣٥ ألف برميل يوميا بمعدل سنوي في الربع الأول من عام ٢٠٢٠؛
- شهد الإنتاج النفطي في الدول العربية انخفاضا بلغ ٠,٢% ليصل إلى ٧٢١,٣ مليار برميل في عام ٢٠١٨. من ناحية أخرى، يمثل احتياطي الدول العربية من الغاز الطبيعي حوالي ٢٧,١% من إجمالي احتياطيات الغاز العالمي حيث وصل إلى ٥٤,٦ تريليون متر مكعب في عام ٢٠١٨ بزيادة قدرها ٠,٦%. من ناحية أخرى، بلغ إنتاج أوبك من النفط الخام حوالي ٢٧,٨ مليون برميل يوميا في فبراير ٢٠٢٠، بانخفاض ٥١٠ برميل يوميا وفقا لبيانات يناير ٢٠٢٠.
- وفقا للمؤشر المركب الذي يصدره صندوق النقد العربي الذي يقيس أداء الأسواق المالية العربية مجتمعة، سجلت أسواق المال العربية تراجعا ملحوظا في مارس ٢٠٢٠؛
- تأثر قطاع السياحة بصورة مباشرة لاسيما في الدول العربية التي تعتمد عليه كأحد مصادر الإيرادات الهامة للموازانات العامة وكذلك موازين المدفوعات. ومن المتوقع أن يؤثر انتشار الفيروس على موقف التجارة الخارجية للدول العربية مع أبرز شركائها التجاريين .

- لجأت غالبية المصارف المركزية ومؤسسات النقد العربية إلى خفض أسعار الفائدة النقدية في آن واحد إذ أن كل جولات خفض
تمت خلال شهر مارس من عام 2020 وبنسب متفاوتة من بعضها البعض، وهو ما من شأنه دعم مستويات السيولة التي تأثرت
عام 2019 بظروف تباطؤ النشاط الاقتصادي في عدد من الدول العربية وهذا ما تفاقم خلال أزمة covid-19؛
- بادرت المنظمات الدولية والحكومات -الدول العربية لا تمثل استثناء- باتخاذ خطوات ملموسة وصارمة لاحتواء الأزمة العالمية
بشقي الطرق تضمنت خطط الإنقاذ الاقتصادية وعدد من التدابير والقرارات التي استهدفت دعم الشركات والقطاعات المتضررة؛
- وفقا لمواقع البنوك المركزية العربية والوزارات المالية العربية- مصادر رسمية-، تبنت حكومات الدول العربية ممثلة في البنوك المركزية
وزارات المالية حزم من التحفيز، كتعدي لمواجهة الآثار السلبية لفيروس كورونا على القطاعات الاقتصادية الأساسية ودعمها
للفئات المتضررة لتقليل حجم الآثار المتوقع وتقييد حركة الآثار السلبية على الأسر والشركات؛
- التغيرات المستجدة الداعمة للنهوض بالقطاعات الاقتصادية العربية في ظل أزمة covid-19، رقمنة المالية العامة، تعزيز الشمول
المالي لمؤسسات الصغيرة والمتوسطة، السياحة الافتراضية. التحول الرقمي من الاستراتيجيات التي يمكن الاعتماد عليها للنهوض
بالقطاعات الاقتصادية على مستوى الدول العربية.

➤ التوصيات:

- ضرورة تعزيز الشمول المالي (**inclusion financier**) لدى الدول العربية بالتركيز على دراسة الفجوة بين جانبي العرض
والطلب، وتوفير البنية التحتية المالية الالكترونية الملائمة لتعميم الخدمات المالية والمصرفية الرسمية لكافة شرائح المجتمع في الدول العربية
مع تأجيل في تسديد المستحقات وتخفيضات في معدلات الفائدة، مع ضمان تحقيق الاستقرار والسلامة والحماية المالية للمستهلك.
- وضع تدابير وتكثيف الجهود والسياسات المتبناة، كأفق مستقبلية لمواجهة التغييرات في الاقتصادات العربية والتوجه نحو الاقتصاد
الرقمي الذي يعتمد على العولمة الرقمية، ونظم المعلومات لضبط الموازنة العامة لاقتصادات الدول العربية والتحول نحو التجارة
الالكترونية في قطاع التجارة السلعية.
- ضمان توازن سوق النفط خاصة بالنسبة للدول العربية المصدر للنفط والمنتمة إلى منظمة دول الأوبك والتي يعتمد اقتصادها
على سعر برميل النفط الذي تراوح بين 38-40 دولار أمريكي في مارس 2020. وتأهب الدول التي تعتمد على السياحة لمواجهة
الأزمة بالاستثمار في الأراضي الزراعية والسياحة الافتراضية، والطاقت الشبابية في مجالات المؤسسات الصغيرة والمتوسطة ودعمهم
لهم.

➤ قائمة المراجع:

١- مراجع باللغة العربية:

• الرسائل والأطروحات:

- تنيو كنزة، دور التحول نحو الاقتصاد الرقمي في تحقيق التنمية الاقتصادية- دراسة حالة الجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة عبد
الحמיד مهري، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، قسنطينة ٢، الجزائر، 2020.

• المقالات:

- أحمد فايز المرش، "أزمة الإغلاق الكبير: الآثار الاقتصادية لفيروس كورونا كوفيد-19"، مجلة بحوث الإدارة والاقتصاد، العدد ٢،
2020.

- بسمة محرم حداد، تمال عبد العاطي الخواص، "التجارة الالكترونية في ظل تداعيات جائحة كورونا"، سلسلة أوراق السياسات
حول: التداعيات المحتملة لأزمة كورونا على الاقتصاد المصري، معهد التخطيط القومي 2020.

- عبر العزيز ماضي، حكيم بن جروة، "نحو تفعيل السياحة الافتراضية لتنشيط الوجهات السياحية في ظل أزمة فيروس كورونا المستجد كوفيد-19: مع الإشارة إلى حالة الجزائر"، مجلة بحوث الإدارة والاقتصاد، المجلد ٢، العدد ٢، الجزائر، ٢٠٢٠.
- غربي حمزة، بدريني عيسى، "أثر جائحة كورونا على الأسواق المالية العالمية"، مجلة التكامل الاقتصادي، المجلد ٨، العدد ٢، الجزائر، ٢٠٢٠.
- معمر بنوار، "التداعيات الاقتصادية الناتجة عن جائحة COVID-19: الخلفيات المالية والحلول المقترحة"، مجلة بحوث الإدارة والاقتصاد، العدد ٢، ٢٠٢٠.
- هبة عبد المنعم، الوليد طلحة، "حزم التحفيز المتبنية في مواجهة تداعيات فيروس كورونا المستجد في الدول العربية"، موجز السياسات: العدد الثاني عشر، صندوق النقد العربي، ٢٠٢٠.
- هبة عبد المنعم، محمد إسماعيل، "تداعيات أزمة فيروس كورونا المستجد على قطاع الطيران في الدول العربية"، وسياسات دعم التعافي، موجز سياسات: العدد الثالث عشر، صندوق النقد العربي، ٢٠٢٠.
- الوليد أحمد طلحة، "التداعيات الاقتصادية لفيروس كورونا المستجد على الدول العربية"، صندوق النقد العربي، ٢٠٢٠.

➤ المواقع الإلكترونية:

- إدارة السياسات التجارية والمنظمات الدولية، "أثر وباء فيروس كورونا على التجارة العالمية الصادر عن " الاونكتاد"، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٢٠، وثيقة انترنت متوفرة على الموقع:
- <https://www.economy.gov.ae/EconomicalReports> ، تاريخ الإطلاع: ٢٢-٠٦-٢٠٢٠.
- جريدة العرب الدولية، "التقلص الفصلي لطلب النفط منذ الأزمة العالمية، الشرق الأوسط"، ٢٠٢٠، وثيقة انترنت متوفرة على الموقع:
- [وكالة-الطاقة-تتوقع-أول-تقلص-فصلي-الطلب-النفط-منذ-الأزمة-العالمية/](http://www.alkawthar.com/2020/06/22/الطلب-النفط-منذ-الأزمة-العالمية/)
- <https://aawsat.com/home/article/2130596> ، تاريخ الإطلاع: ٢٨-٠٣-٢٠٢٠.
- حسين البطراوي، "كورونا وانخفاض أسعار النفط العالمي ... مخاوف من تزايد الدين العام، وخسائر فادحة في التجارة، المجلة، ٢٠٢٠، وثيقة انترنت متوفرة على الموقع: «كورونا»-وانخفاض-أسعار-النفط-العالمي/
- <https://arb.majalla.com/node/86601> ، تاريخ الإطلاع: ٢٦-٠٧-٢٠٢٠.
- رباح أرزقي، هانغوين، "التأثيرات المحتملة لفيروس كورونا على بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا"، ٢٠٢٠، وثيقة انترنت متوفرة على الموقع: <https://blogs.worldbank.org/ar/arabvoices/coronavirus-potential-effects-middle-east-and-north-africa> ، تاريخ الإطلاع: ٢٠-٠٣-٢٠٢٠.
- عثمان لحياي، "الجزائر تتوقع ارتفاع أسعار النفط إلى ٤٠ دولاراً للبرميل، الجديد العربي"، ٢٠٢٠، وثيقة انترنت متوفرة على الموقع: <https://www.alaraby.co.uk> / -٤٠- دولاراً- للبرميل/ ، تاريخ الإطلاع: ٢٦-٠٣-٢٠٢٠.
- مرام تيسير الفراء، "تأثيرات فيروس كورونا على أداء الاقتصاد العالمي وعلى أداء مؤسسات ضمان الودائع حول العالم"، دراسة بحثية، المركز الديمقراطي العربي، برلين ألمانيا، ٢٠٢٠، وثيقة انترنت متوفرة على الموقع:
- https://democraticac.de/?p=66152#_ftn5 ، تاريخ الإطلاع: ١-٧-٢٠٢٠.
- مركز البحوث والدراسات، "تداعيات التدابير الاحترازية على القطاع الخاص من جائحة كورونا المستجد (كوفيد-19)"، ص ٧، وثيقة انترنت متوفرة على الموقع:

الإطلاع: ٢٨-٠٦-٢٠٢٠. <https://www.jcci.org.sa/Arabic/about/DocLib/coronavirusawareness.pdf> ، تاريخ

- هاني عبد الطيف، "أثار كورونا الاقتصادية: خسائر فادحة ومكاسب ضئيلة ومؤقتة"، مركز الجزيرة للدراسات، وثيقة انترنت متوفرة على الموقع: <https://studies.aljazeera.net/en/node/4613>، تاريخ الإطلاع: ٢٢-٣-٢٠٢٠.

- وثيقة انترنت متوفرة على الموقع:

[https://www.imf.org/en/Publications/WEO/Issues/20/01/2020/weo-update-](https://www.imf.org/en/Publications/WEO/Issues/20/01/2020/weo-update-january2020)

[january2020](https://www.imf.org/en/Publications/WEO/Issues/20/01/2020/weo-update-january2020)، تاريخ الإطلاع: 23-٠٦-٢٠٢٠.

- مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، "تأثيرات كورونا على التنافس الاقتصادي بين الصين وأمريكا"، وحدة الرصد والتحليل، ٢٠٢٠، وثيقة انترنت متوفرة على الموقع: [https://fikercenter.com//assets/uploads/الاصراع-كورونا-في-ظل-الصراع-](https://fikercenter.com//assets/uploads/الاصراع-كورونا-في-ظل-الصراع-الاقتصادي-بين-الصين-وامريكا)

[الاقتصادي-بين-الصين-وامريكا](https://fikercenter.com//assets/uploads/الاصراع-كورونا-في-ظل-الصراع-الاقتصادي-بين-الصين-وامريكا).

٢- مراجع باللغة الأجنبية:

• القوانين والمواثيق الدولية:

- OECD (2020), "OECD Interim Economic Assessment Coronavirus: The world economy at risk", March 2020.

التعليم الإلكتروني، نحو رؤية مستقبلية للمنظومة التربوية ما بعد كوفيد ١٩

خالد الأنصاري

كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية

Khalid.elansari44@gmail.com

الملخص

عرف العالم مؤخرا انتشارا واسعا لفيروس كورونا المستجد "كوفيد ١٩"، أثر على مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتربوية، مما دعا دول العالم إلى اتخاذ مجموعة من الإجراءات الاحترازية من أجل التصدي لهذا الوباء الفتاك، ومن الدول السباقة إلى اتخاذ تدابير في المجال التربوي، المملكة المغربية، إذ تم توقيف الدراسة بجميع مؤسسات التربية والتكوين، وإرساء مداومة تربوية ينخرط فيها جميع الأطر الإدارية والتربوية، تبنى على إعداد برنامج عمل يهدف إلى المساهمة في إنتاج المضامين الرقمية والدروس المصورة، واقتراح بدائل أخرى مبتكرة تضمن التحصيل الدراسي للتلميذات والتلاميذ، مع تتبع عملية سير التعليم عن بعد والتواصل الإلكتروني مع التلاميذ، وأيضا التحضير للدعم التربوي الإلكتروني.

كل هذه التدابير والإجراءات الاحترازية العالمية من جائحة كورونا، تؤكد على أن العالم سيشهد تحولا كبيرا على جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتربوية، وسيكون هناك عالم آخر ما بعد "كوفيد ١٩"، وستتغير العلاقات الدولية العالمية، وستكون هناك رؤية مستقبلية، تضع في الحسبان خطر الفيروسات. وهذا عجل في الدخول إلى عالم المعرفة والثورة التقنية والتكنولوجيا بعدها ضرورة حتمية، وشيء لا مفر منه لكل دول العالم، فضلا عن تبني التعليم الإلكتروني بعده مدخلا لاستمرارية التعليم والتعلم.

وفي هذا الإطار يدخل بحثنا الذي سيعالج إشكالية تأثير وباء كورونا على الأنظمة التربوية في العالم عامة، وعلى المغرب بشكل خاص، كما سيبين البحث أهمية التعليم الإلكتروني في ضمان الاستمرارية البيداغوجية، والتحصيل الدراسي للتلاميذ والطلبة، وأنواع التعليم الإلكتروني التي يمكن الاستفادة منها في حالة الجائحة العالمية، في التصدي للوباء، بخلق فضاء متكامل للتحصيل الدراسي والتعليم والتدريب عن بعد، وتوفير الإمكانيات والوسائل التقنية والتربوية من أجل ضمان الحق في التعليم والتعلم. على نحو ماسنيبه أيضا من إجراءات استباقية التي اتخذها المغرب من أجل ربح الرهان التكنولوجي في المجال التربوي، والخروج بأقل الخسائر، وبتجربة رائدة في مجال توظيف وسائل وأدوات التعليم الإلكتروني وتسخيرها من أجل الإبداع والابتكار في مجال الموارد الرقمية التربوية.

الكلمات المفتاحية:

التعليم الإلكتروني، المنظومة التربوية، التعليم، التعلم، المستقبل التربوي، كوفيد ١٩

Abstract:

The world recently witnessed a wide spread of the new Corona virus "Covid 19", which affected most of the economic, social, political and educational fields, and the countries of the world took a set of precautionary measures to treat this virus, and among these countries Morocco, the study was stopped by all educational and training institutions, and laying Educational maintenance involving all administrative and educational frameworks, based on preparing a work program aimed at contributing to the production of digital contents and illustrated lessons, and proposing other innovative alternatives that include student learning, while

tracking the process of distance education and electronic communication with students, and also prepare for e-learning support.

All these global precautionary measures from Corona, confirm that the world will witness a major transformation at all economic, social, political and educational levels, and there will be another world after "Coved 19", and global international relations will change, and there will be a future vision, taking into account the threat of viruses. This precipitated entering the world of knowledge and the technological and technological revolution as a necessity for all countries in the world, in addition to adopting e-learning as an entry point for the continuity of teaching and learning.

The problem of our research is the effect of the Corona virus on educational systems in the world in general, and on Morocco in particular, as we will show the importance of e-learning in ensuring pedagogical continuity and the types of e-learning that can be used in this case by creating an integrated space for distance education and training, and providing capabilities And technical and educational means to guarantee the right to education and learning.

key words:

E-learning, educational system, teaching, learning, educational future, Covid 19

١. التعليم الإلكتروني وفيروس كورونا المستجد

تحتل تكنولوجيا المعلومات والاتصال مكانة عالية في المجتمع والمؤسسات التعليمية؛ ويرجع ذلك إلى الإقبال الشديد على توظيفها واستعمالها في العملية التعليمية التعلمية، فمع انتشار وباء "كوفيد ١٩" كان من الضروري والحتمي أن ينخرط المغرب بشكل فعلي في استخدامها وتوظيفها من أجل ضمان الاستمرارية البيداغوجية للعملية التعليمية التعلمية، وللحد من انتشار الوباء، وأيضا لتفادي التوقف الكلي عن التحصيل الدراسي، عدّه أساس التنمية والتقدم والازدهار الحضاري والتربوي، كما ويرجع الإقبال على التعليم الإلكتروني إلى البحث عن سبل تطوير إدماجه لتيسير عملية التعليم والتعلم للمدرس والمتعلم، وهذا ما تسعى إليه الرؤية الاستراتيجية للإصلاح بالمغرب (٢٠١٥-٢٠٣٠)، حسب (المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، ٢٠١٥)، في الرفع العشريين، من خلال الانخراط الفاعل في اقتصاد ومجتمع المعرفة، بالإدماج الناجع لتكنولوجيا الإعلام والاتصال في المدرسة، وباستحضار الأهداف التي وضعتها "استراتيجية المغرب الرقمي"، بالنسبة لدور المدرسة ووظائفها في مجال نشر تكنولوجيا الإعلام والاتصال، وإدماجها في المدرسة يمثل اليوم شرطاً حاسماً في تجديدها والارتقاء بها، وأيضا الارتقاء بجودة التعليمات، ولاسيما في البرمجيات التربوي الإلكترونية، والوسائل التفاعلية والحوامل الرقمية، من حيث الكفايات المستهدفة، والمواد الدراسية والبرامج والمضامين، والطرق والأساليب التعليمية. فالاستثمار الأمثل للتطبيقات التربوية الإلكترونية ولكل ما يوفره التعليم الإلكتروني، ولأدوات وأجهزة تكنولوجيا المعلومات والاتصال. هو السبيل إلى مجتمع المعرفة، والمدرسة الرقمية، في عالم ما بعد كورونا "كوفيد ١٩".

نظرا للأوضاع التي تعيشها مختلف دول العالم جراء انتشار وباء كورونا "كوفيد ١٩"، وما يشكله من خطر على معظم المجالات الحيوية في كل الدول، لا سيما المجال التربوي، و هذا أدى إلى تبني مقاربة احترازية واستباقية للحد من تفشي الوباء، تضع في الحسبان التطورات التي يشهدها العالم في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية، وتستشرف المستقبل القريب بعد انتهاء أزمة كورونا، هذا المستقبل الذي سيعرف تحولا كبيرا في المنظومة التربوية. فالعملية التعليمية التعلمية تتطلب اليوم مساهمة

العصر والتطورات التكنولوجية الهائلة في مجال البرمجيات والمعلومات والاتصال والأنترنت، والدخول في التعليم الإلكتروني الذي أصبح ضرورة ملحة وأمر حتمي لا مفر منه، نظرا لمميزاته وأهميته في عملية التعليم والتعلم، وضمانا للاستمرارية البيداغوجية في ظل انتشار خطر الفيروسات. ففي إطار تعزيز التدابير والإجراءات الوقائية التي تم اتخاذها على مستوى قطاع التربية الوطنية للتصدي لخطر جائحة فيروس كورونا (كوفيد ١٩)، اتخذ المغرب مجموعة من التدابير التي تهدف إلى تشجيع العمل عن بعد دون الحضور إلى مقر الإدارة، بالإضافة إلى إنتاج موارد رقمية لضمان الاستمرارية البيداغوجية وحق المتعلمين في التعلم كيفما كانت الظروف. (وزارة التربية الوطنية، ٢٠٢٠)

بعد انتشار فيروس كورونا بمجموعة من دول العالم، قدمت اليونيسيف unicef وثيقة^١ تهدف إلى توفير إرشادات واضحة وقابلة للتنفيذ لتوجيه العمليات الآمنة من خلال منع انتشار كوفيد-١٩ في المدارس وغيرها من المرافق التعليمية والكشف عنه مبكراً والسيطرة عليه. ورغم أن هذه التوجيهات مخصصة للبلدان التي توجد فيها حالات مؤكدة بالعدوى بمرض كوفيد-١٩، إلا أنها هامة في جميع السياقات الأخرى. فبوسع التعليم أن يشجع الطلاب ليصبحوا مناصرين لمنع الأمراض والسيطرة عليها في البيوت والمدارس والمجتمعات المحلية، وذلك من خلال التحدث مع الآخرين حول كيفية منع انتشار الفيروسات. إن المحافظة على سير الأعمال على نحو آمن في المدارس أو إعادة فتح المدارس بعد إغلاقها، يتطلب العديد من الاعتبارات، وإذا تم تنفيذها على نحو جيد فستعمل على تعزيز الصحة العامة.

وقد ركزت (ليسا بيندير، ٢٠٢٠) وهي أخصائية تعليم في مقر اليونيسيف في نيويورك بعد انتشار الوباء على التخطيط لاستمرارية التعلم في حالة التغيب، الإجازة المرضية أو الإغلاق المؤقت للمدرسة، بوجوب دعم استمرارية الحصول على التعليم الجيد، وهذا يتضمن؛ استخدام استراتيجيات التعلم الإلكتروني عبر الأنترنت، وتحديد مواد للقراءة وتمرينات مدرسية لمطالعتها في البيت، بث إذاعي، أو بودكاست، أو تلفزيوني لمحتوى أكاديمي، وتكليف المدرسين بإجراء متابعة يومية أو أسبوعية مع الطلاب، ومراجعة / تطوير استراتيجيات للتعليم الإلكتروني.

ويشير التعليم الإلكتروني حسب (الحلفاوي، ٢٠١١) "إلى استعمال التقنية والوسائل التكنولوجية في التعليم من خلال الاعتماد عليها كأنظمة تعليمية متكاملة، وتسخيرها لتعلم المتعلم ذاتيا وجماعيا وجعله محور العملية التعليمية، بداية من التقنيات المستخدمة للعرض مثل الوسائط المتعددة والأجهزة الإلكترونية المتاحة بالمدرسة والفصل أو المنزل، أو أي مكان يستطيع المتعلم أن يمارس فيه مهام وإجراءات التعلم، وانتهاء بالتعلم الشبكي عن بعد عبر الأنترنت."

وقد عرفه (الغريب زاهر، ٢٠٠٩) بأنه تعليم يتم عن طريق استخدام الأنترنت وأجهزة الحاسوب لنقل المهارات والمعرفة للمتعلمين، ويعتمد على استخدام الوسائط الإلكترونية في الاتصال بين عضو هيئة التدريس والمتعلم والمؤسسة التعليمية، ولا يستلزم هذا النوع وجود مباني دراسية أو صفوف تعليمية بل إنه يهتم بوجود جميع مكونات البرمجية وتجهيزاتها التعليمية، ويؤكد على الارتباط بشبكات المعلومات والأنترنت، ليتم توصيل المقررات والمناهج إلى المتعلمين عن طريق وسائل الاتصال الإلكترونية كالفديو التفاعلي والأقمار الصناعية.

^١ وثيقة تم إعدادها من طرف اليونيسيف تتضمن رسائل وأنشطة رئيسية للوقاية من مرض كوفيد ١٩ والسيطرة عليه في المدارس،

يعتمد التعلم الإلكتروني حسب (SOM Naidu، ٢٠٠٦) على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الشبكية في التدريس والتعلم. ويتم استخدام عدة مصطلحات عدة أخرى لوصف هذا النمط من التدريس والتعلم. وهي تشمل التعلم عبر الإنترنت، والتعلم الافتراضي، والتعلم الموزع، والتعلم الشبكي القائم على الويب. وتشير كل هذه المصطلحات بشكل أساس إلى العمليات التعليمية التي تستخدم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتوظف أنشطة التعلم والتعليم المتزامنة وغير المتزامنة. ولكن ومع ذلك فمن الواضح أن هذه التصنيفات تشير إلى عمليات تعليمية مختلفة قليلاً، وبالتالي لا يمكن استخدامها بشكل مترادف مع مصطلح التعلم الإلكتروني.

ويمكن أن نعدّ التعلم الإلكتروني هو شكل من أشكال التعليم عن بعد، التي توظف تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التعليم، فهو طريقة للتعليم تستخدم آليات الاتصال الحديثة كالحاسوب والشبكات والوسائط المتعددة والأنترنت من أجل إيصال المعلومات للمتعلمين بأسرع وقت وأقل تكلفة وبصورة تمكن من إدارة العملية التعليمية وضبطها وقياس وتقييم أداء المتعلمين. ويهدف إلى إيجاد بيئة تفاعلية غنية بالتطبيقات المعتمدة على تقنيات الحاسوب والأنترنت وتمكن المتعلم من التعلم في أي وقت ومن أي مكان، سواء كان هذا التعليم متزامناً أو غير متزامن.

فالتعلم الإلكتروني هو أداة أو نظام تعليمي قائم على الحاسوب، يمكنك من التعلم في أي مكان وفي أي وقت. اليوم يتم تقديم التعلم الإلكتروني في الغالب عبر الأنترنت، على الرغم من أنه تم توصيله في الماضي باستخدام مزيج من الأساليب المستندة إلى الحاسوب مثل الأقراص المضغوطة. لقد تقدمت التكنولوجيا كثيراً لدرجة أنه تم سد الفجوة الجغرافية باستخدام الأدوات التي تجعلك تشعر كما لو كنت داخل الفصل الدراسي. فالتعلم الإلكتروني يوفر القدرة على مشاركة المواد بجميع أنواع التنسيق مثل مقاطع الفيديو وعروض الشرائح ووثائق الكلمات وملفات PDF. يعد إجراء ندوات عبر الأنترنت (دروس مباشرة عبر الأنترنت) والتواصل مع الأساتذة عبر منتديات الدردشة والرسائل خياراً متاحاً للمستخدمين (Epignosis LLC, 2014).

التعلم الإلكتروني بحسب "دليل تصميم وتطوير مقررات التعلم الإلكتروني (FAO، ٢٠١١)" خياراً جيداً عندما تكون هناك كمية كبيرة من المحتوى يتم تدريسها إلى عدد كبير من المتعلمين. وأيضاً عندما يكون المتعلمون من مواقع متفرقة جغرافياً، وتكون قدرتهم على الحركة محدودة، ويكون لديهم وقت يومي محدود لتكريسه للتعلم، ولا يمتلكون مهارات استماع وقراءة فعالة، ويتمتعون بمهارات الحاسوب والأنترنت الأساسية على الأقل، ويتمتعون بحافز كبير للتعلم وتقدير التقدم بالسرعة التي تناسبهم، ويهدف التدريب إلى بناء المهارات المعرفية بدلاً من المهارات الحركية النفسية.

نلاحظ أن التعليم الإلكتروني يركز على جعل التعليم الحضوري إلكترونياً، بتوظيف كل وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصال، لخدمة هدف واحد وهو جعل التعلم الإلكتروني ممكناً ومدخلاً للاستمرارية البيداغوجية وفق مقارنة استباقية واستشرافية، وباعتباره يساعد على تقديم المحتوى التعليمي بطرائق مختلفة، قائمة على الحاسوب أو الوسائط المتعددة أو الأنترنت، ويتفاعل مباشرة أو غير مباشر بين المدرس والمتعلمين، أو المتعلمين فيما بينهم. وذلك لمواجهة تفشي فيروس كورونا.

فهذا النوع من التعليم يتيح للمدرس إنشاء أقسام افتراضية وإعداد وتصميم اختبارات إلكترونية لتقويم المتعلمين، وتحديد نقاط القوة والضعف، وتقديم التغذية الراجعة لهم. ويبقى التعليم الإلكتروني حسب (الإترابي، ٢٠١٥) "نشاط يقوم به المدرس لإثراء

العملية التعليمية معتمداً على استخدام التقنيات الحديثة في الاتصال والوسائل السمعية-بصرية والمليديا في إعداد المحتوى التعليمي، سواء تم التعلم عن بعد أم وجها لوجه.

٢. أنواع التعليم الإلكتروني الموظفة في ظل فيروس كورونا المستجد

يستهدف التعليم الإلكتروني جعل البيئة التعليمية إلكترونية، وجعل التواصل بين المدرس والمتعلمين رقمياً، بشكل متزامن أو غير متزامن، والانتقال من الفصول الدراسية المحددة زمانياً ومكانياً، إلى الفصول الافتراضية الإلكترونية التي تتخطى حدود الزمان والمكان، والانتقال من المضامين التقليدية الحضورية إلى أخرى تفاعلية توظف تقنيات التعليم الإلكتروني، وتستثمر آخر ما توصلت إليه تكنولوجيا المعلومات والاتصال، بالفيديو التفاعلي والاختبارات الإلكترونية، ومتابعة المتعلمين وتقديم الدروس بشكل مباشر أو غير مباشر. وذلك بعد تعذر استمرار التعليم الحضوري والاستغناء عنه مؤقتاً.

فالتعليم الإلكتروني الذي عمد المغرب إلى الاستعانة به، يوظف مجموعة من الأنواع الفرعية في بناء الدروس التفاعلية، التي تتداخل وتكمل التعليم والتعلم الإلكتروني، كالتعليم بالحاسوب، والتعليم عن بعد، والتعليم المتزامن وغير المتزامن، والتعليم المدمج، وسنحاول أن نميز بين كل نوع من هذه الأنواع المتداخلة.

يُعدّ التعليم الإلكتروني بحسب (SOM Naidu، ٢٠٠٦) أعم من التعليم عبر الأنترنت أو التعليم الافتراضي أو التعليم الموزع أو التعلم عبر الشبكة. وعليه فهو يشمل جميع الأنشطة التعليمية التي يقوم بها الأفراد أو المجموعات التي تتصل عبر الأنترنت أو بدونه، وبشكل متزامن أو غير متزامن عبر أجهزة الحاسوب المتصلة بالشبكة أو المستقلة وغيرها من الأجهزة الإلكترونية.

وقد قسم (SOM Naidu، ٢٠٠٦) أنواع التعليم الإلكتروني إلى أربعة أنواع أساسية بحسب عدد المستفيدين، ونوع الاتصال، فهناك التعلم الذاتي الفردي عبر الأنترنت وبدونه، فضلاً عن التعليم الإلكتروني الجماعي المتزامن وغير المتزامن.

١,٢. التعليم عن بعد

التعليم عن بعد حسب (العجروش، ٢٠١٧) هو أحد أساليب التعلم الذي فيه وسائل الاتصال والتواصل المتوافرة التي تلعب دوراً أساسياً في التغلب على مشكلة المسافات البعيدة التي تفصل المدرس والمتعلم، بنقل المحتوى التعليمي إلى موقع إقامة المتعلم بدلاً من انتقاله إلى المدرسة. ويكون تعلم غير متزامن لا يشترط وجود المدرس والمتعلم في نفس الوقت.

عرفه (سيمونسن، ٢٠١٥) بأنه "تعليم نظامي منظم تتباعد فيه مجموعات التعلم وتستخدم فيه نظم الاتصالات التفاعلية لربط المتعلمين والمصادر التعليمية والمدرسين سوياً، والتعليم عن بعد يتضمن عمليتا التعليم والتعلم عن بعد في آن واحد، ولذلك فإن تطوير وتصميم وإدارة وتقييم التعليم يقح تحت مفهوم التعليم عن بعد، بينما تقع الاستفادة من كل الخبرات التعليمية في مجال التعلم تحت مفهوم التعلم عن بعد."

وقد يكون التعليم عن بعد بشكل فردي ذاتي عبر الأنترنت، فهو يشير إلى المواقف التي يصل فيها المتعلم الفردي إلى مصادر التعلم مثل قاعدة البيانات أو محتوى الدورة التدريبية عبر الأنترنت. من الأمثلة النموذجية على ذلك المتعلم الذي يدرس بمفرده أو يجري بعض الأبحاث على الأنترنت أو شبكة محلية (SOM Naidu، ٢٠٠٦).

وحسب (الغريب زاهر، ٢٠٠٩) فالتعليم عن بعد هو التعليم الذي يتم فيه استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات من أجهزة الحاسوب ومواقع الأنترنت وفيديو تفاعلي وبرامج محادثة واتصالات تلفزيونية وتلفزيون تعليمي لإحداث التفاعل بين هيئة المدرس والمتعلم حيث لا يستلزم تواجدهما في المكان نفسه، فهو يتصف بالفصل المكاني والزمني بينهما، مما يمكن المتعلمين من استكمال تعليمهم في أي وقت وأي مكان.

٢,٢. التعليم الإلكتروني المتزامن

يشير التعلم الإلكتروني المتزامن Synchronous E-Learning إلى المواقف التي تعمل فيها مجموعات من المتعلمين معاً في الوقت الفعلي عبر الأنترنت. وقد يتضمن مؤتمرات نصية ومؤتمرات صوتية ومرئية واحدة أو ثنائية. تشمل الأمثلة على ذلك المتعلمين المنخرطين في محادثة في الوقت الفعلي أو مؤتمر صوتي مرئي.

التعليم الإلكتروني المتزامن يجتمع فيه المدرس مع المتعلمين في وقت واحد ليمتد بينهم اتصال متزامن بالنص والدردشة، والصوت والفيديو، وقد يشارك فيه المدرس شاشة الحاسوب أو العرض التقديمي أو الدرس أو الدورة التدريبية، ويتناقشون فيه بشكل جماعي، ويكون المدرس هو الموجه والمنشط للدرس ككل، ويتفاعل المتعلمون إما بالرسائل الكتابية أو بالصوت أو بالفيديو. ويتم فيه تحديد وقت مسبق للقاء التزامني لكي يكون الكل حاضراً، ويشارك ويتفاعل الجميع، كما يمكن للمدرس متابعة المتعلمين ورؤيتهم والتفاعل معهم بشكل مباشر. يمكن أن يتم تسجيل اللقاء وعرضه لاحقاً، لمن فاتته الدرس.

٣,٢. التعليم الإلكتروني غير المتزامن

يشير التعلم الإلكتروني غير المتزامن Asynchronous E-Learning إلى المواقف التي تعمل فيها مجموعات من المتعلمين عبر الأنترنت تحدث التبادلات بين المشاركين بتأخير زمني (أي ليس في الوقت الحقيقي). تتضمن الأمثلة النموذجية لهذا النوع من النشاط المناقشات عبر الأنترنت من خلال القوائم البريدية الإلكترونية وعقد المؤتمرات النصية داخل أنظمة إدارة التعلم.

التعليم الإلكتروني غير المتزامن (الإتربي، ٢٠١٥) وهو اتصال بين المدرس والمتعلمين يعتمد على وضع المحتوى التعليمي والمراجع والخطة وكذا التقويم على موقع على شبكة الأنترنت، يتم الدخول للموقع من قبل المتعلمين في أي وقت، حيث يتبعون إرشادات المدرس في إتمام التعلم دون أن يكون هناك اتصال متزامن مع المعلم.

وفي هذا الإطار فقد اتخذ المغرب تدابيراً احترازية تقوم على التعليم الإلكتروني غير المتزامن، وذلك من أجل مواجهة انتشار وباء كورونا كوفيد ١٩، لضمان الاستمرارية البيداغوجية للتلاميذ والتلميذات في مختلف الأسلاك التعليمية، وقد أسفرت هذه العملية عن نتائج أولية إيجابية على مستويات عدة، فعلى مستوى قطاع التربية الوطنية، أطلقت الوزارة البوابة الإلكترونية TelmidTice، التي توفر مضامين رقمية مصنفة بحسب الأسلاك والمستويات التعليمية وكذا المواد الدراسية، فقد بلغ عدد المستعملين لهذه المنصة حوالي ٦٠٠ ألف مستعمل يوميا، كما بلغ مجموع المواد الرقمية المصورة التي تم إنتاجها ٣٠٠٠ موردا رقميا.

٤,٢ . التعليم المدمج

التعليم المدمج Blended Learning (الإتربي، ٢٠١٥) يمزج بين التعلم المتزامن وغير المتزامن ويشمل مجموعة من الوسائط والبرامج التي يتم تصميمها لتكمل بعضها البعض مثل برمجيات التعلم التعاوني الافتراضي الفوري، الدروس على الإنترنت، مقررات التعلم الذاتي، إدارة نظم التعلم. التعلم المدمج يمزج بين الوسائل المعتمدة على الفصول التقليدية التي يلتقي فيها المدرس مع المتعلمين وجها لوجه، والوسائل والبرامج المستعملة عن بعد.

وقد عرفه (الغريب زاهر، ٢٠٠٩) بأنه توظيف المستحدثات التكنولوجية في الدمج بين كل من أسلوبي التعلم وجها لوجه والتعلم بالاتصال المباشر لإحداث التفاعل بين عضو هيئة التدريس بكونه مدرس "Instructor" أو مرشد "tutor"، مع المتعلمين وجها لوجه من خلال المستحدثات والتي لا يشترط أن تكون أدوات إلكترونية محددة أو ذات جودة محددة، وذلك مع توافر مصادر التعلم المرتبطة بالمحتوى وأنشطة التعلم، فهذا النوع من التعليم هو جيل جديد من أجيال التعليم، فهو أحد المداخل التي يظهر فيها المزج بين التعلم الإلكتروني والتعلم التقليدي.

يشتمل التعليم المدمج على مجموعة من الوسائط التي يتم تصميمها لتكمل بعضها البعض، وبرنامج التعلم المدمج يمكن أن يشتمل على العديد من أدوات التعلم، مثل برمجيات التعلم التعاوني الافتراضي الفوري، المقررات المعتمدة على الإنترنت، ومقررات التعلم الذاتي، وأنظمة دعم الأداء الإلكترونية، وإدارة نظم التعلم، التعلم المدمج كذلك يمزج أحداثا متعددة معتمدة على النشاط التفاعلي، تتضمن التعلم في الفصول التقليدية التي يلتقي فيها المدرس مع المتعلمين وجها لوجه، والتعلم الذاتي فيه مزج بين التعلم المتزامن وغير المتزامن (رمزي أحمد، ٢٠١٠).

التعلم المدمج حسب (الشرمان، ٢٠١٥) لا يعتمد على طريقة واحدة في التعليم والتعلم، وإنما يمزج الطريقة التقليدية في التدريس مع التعليم الإلكتروني من خلال الأنترنت من أجل الوصول إلى تفريد التعليم، مع مراعاة حاجات المتعلمين والفروق الفردية فيما بينهم. والتعليم المدمج هو إعادة تصميم جوهرية لهيكل العملية التعليمية وطرائقها وذلك من خلال فتح المجال واسعا لعملية التعليم والتعلم للاستفادة من الإمكانيات الكثيرة التي من الممكن أن يوفرها تبني هذا النمط من التعلم.

ويمكن أن يشير مصطلح "التعليم المدمج" عند (Karen Hyder، ٢٠٠٧) إلى مجموعة من التجارب المتزامنة وغير المتزامنة، ويتم تطبيق التعليم المدمج أيضاً على التدريس الذي يمزج بين التعليم عبر الإنترنت والتعليم وجها لوجه، وبشكل أعم على مناهج تصميم الدروس التعليمية وتقديمها، وقد تجمع بين طرائق مختلفة، كالتدريب القائم على الويب الذاتي، متبوعاً بإرشادات الفصل الدراسي، من خلال الوسائل المساعدة للوظائف المطبوعة، وتكملها جلسات متابعة للفصول الافتراضية. قد يحدث هذا على مستوى الدرس التفاعلي، كخلط وحدات التعليم الإلكتروني غير المتزامنة والجلسات المتزامنة. أو يمكن أن يحدث على مستوى الجلسة كدمج التمارين الذاتية في جلسة فصل دراسي افتراضي مباشر.

٣. مستقبل المنظومة التربوية بعد كوفيد ١٩

ستعرف المنظومة التربوية ما بعد كورونا كوفيد ١٩ تحولا كبيرا على جميع المستويات، وستكون دائما على استعداد لمواجهة خطر الفيروسات، الذي أصبح واقعا معاشا، قد يصبح التعايش معه ضروريا، هذا التحول سيكون قوامه التعليم الإلكتروني، الذي سيعد من الدعامات الأساسية للتعليم الحضوري، وسيكون وسيلة تعليمية مواكبة للعملية التعليمية التعلمية، يوفر المحتويات التعليمية المباشرة وغير المباشرة في أي ظرف كان، ويتيح متابعة المتعلمين عن بعد، وتقييم أدائهم، وحفظ معلوماتهم الخاصة. فالأمر الأكيد أن العلاقات بين مكونات المنظومة التربوية ستتغير بشكل تدريجي وجذري، وستحدث عن التعليم الإلكتروني والإدارة الإلكترونية والاجتماعات الإلكترونية، والمؤتمرات التزامنية.

١,٣. على المستوى التعليمي

ستشهد أطراف العملية التعليمية التعلمية بعد كوفيد ١٩، المدرس والمتعلم والمادة المعرفية، تغيرا جذريا، فلن نتحدث اليوم ومستقبلا عن المدرس بمعناه التقليدي بل سيكون هناك مفهوم جديد للمدرس والمتعلم ومتطلبات أساسية وجب توفرها فيهما، فستحدث عن المدرس الإلكتروني، الذي يتقن التعامل مع وسائل وأدوات تكنولوجيا المعلومات والاتصال، وسيكون الملمح العام لتخرج المدرسين بالإضافة إلى الكفاءة المعرفية والمهارية، ضرورة توفر الكفاءة التقنية التكنولوجية، التي تساعده على إعداد الدروس التفاعلية الرقمية وبرمجتها في نظم إدارة التعلم الإلكتروني، فضلا عن إعداد وتصميم الاختبارات والتقييمات الإلكترونية، التي تتيح له متابعة مستوى تقدم المتعلمين، من أي مكان وفي أي وقت. وهذا الأمر يحتاج إلى استعداد كبير وإرادة سياسية من أجل النهوض بمنظومة التربية والتكوين، وتوفير الحاجات الضرورية لمدرس المستقبل، ففي ظل عدم توفر العدة الإلكترونية أكيد أن عملية التعليم الإلكتروني ستعرف تعثرا كبيرا، ولن تحقق الغايات المرجوة منها.

ويعتمد التعليم الإلكتروني بقيادة وتوجيه المدرب أو المدرس، على تطوير منهج خطي يدمج العديد من عناصر وأنشطة المحتوى الإلكتروني، في مقرر زمني أو منهج زمني. وتتم جدولة الدروس التفاعلية وإدارتها من قبل مدرس من خلال منصة تعليمية عبر الأنترنت. كما يمكن دمج محتوى التعليم الإلكتروني للدراسة الفردية مع محاضرات المدرس والمهام الفردية والأنشطة التعاونية بين المتعلمين. ويمكن للمتعلمين والميسرين والمدرسين استخدام أدوات الاتصال مثل رسائل البريد الإلكتروني ومنتديات المناقشة والدرشات واستطلاعات الرأي واللوحات البيضاء ومشاركة التطبيقات ومؤتمرات الصوت والفيديو للتواصل والعمل معًا. في النهاية، تتضمن الخطوة النهائية عادةً تمرينًا أو تقييمًا لقياس التعلم.

فسيفرض العالم ما بعد كوفيد ١٩ نمطا جديدا من التعليم والتعلم، يستدعي من المدرس ان يكون ملما بشكل كبير بكل التطورات التقنية والتكنولوجية، لأنه سيكون هو حامل لواء النهوض بالمنظومة التربوية، وهذا سيتطلب من المدرس إعداد وتخطيط وتدريب وتقييم الدروس بشكل إلكتروني، يراعي قدرات المتعلمين ومعارفهم الأساسية في مجال التكنولوجيا. وسكون هناد درس إلكتروني واختبارات إلكترونية. كما قد يكون التعليم الإلكتروني إلى جانب التعليم الحضوري في قاعة الدرس، أو ما يسمى بالتعليم المدمج، الذي يوظف تكنولوجيا التعليم في الفصل الدراسي، ويعتبر التعليم الإلكتروني وسيلة أساسية في التعليم والتعلم.

٢,٣. على المستوى التعليمي

إذا كان العالم ما بعد كوفيد ١٩ يفرض على المنظومات التربوية تغيراً جذرياً في كل المستويات، فأكد أن التغيير يستهدف بالأساس المتعلم الذي يعد ركيزة أساسية في عملية التعليم والتعلم، فهو المستهدف بالتعليم الإلكتروني، وإليه توجه المعارف والدروس التفاعلية، لكن هل متعلم اليوم هو نفسه متعلم الغد أو متعلم المستقبل، فضروري أن نتحدث عن متعلم ما بعد كورونا، فالتعليم الإلكتروني "جاء نتيجة استخدام الأنترنت بغرض تحقيق التحديث التعليمي في ضوء التغيرات المعلوماتية المتلاحقة وتوظيفها في رفع القدرات العلمية والمعرفية والتعليمية للمتعلمين (الغريب زاهر، ٢٠٠٩)".

ونتيجة الظروف التي خرجت عن السيطرة بعد انتشار فيروس كورونا، فرض وألزم على معظم دول العالم تبني التعليم الإلكتروني من أجل استمرارية التعليم والتعلم للمتعلمين، وفرض على المتعلمين الدخول في دوامة تكنولوجيا المعلومات والاتصال، بشكل حتمي وضروري لمواصلة تعليمهم وتحصيلهم الدراسي. واستوجب عليهم العلم بتكنولوجيا التعليم الإلكتروني، لذلك سيكون هناك تحول من المتعلم التقليدي إلى المتعلم الإلكتروني، الذي يمتلك كفاءة تكنولوجية لاستخدام أدوات ووسائل التعليم الإلكتروني، وإنجاز الواجبات واجتياز الاختبارات الإلكترونية، والتفاعل مع الدروس المصورة والرقمية، وسيكون هذا التفاعل إما بشكل مباشر أو غير مباشر.

ويقوم التعليم الإلكتروني حسب (الإتري، ٢٠١٥) على الفعل الذي يمارسه المتعلم نفسه للتعلم من خلال استخدام المحتوى الإلكتروني الذي وفره المدرس. ومن الممكن أن يوفر المدرس الوسائل المطلوبة للتعليم الإلكتروني ولكن المتعلم لا يفعل هذا التعليم من خلال التعلم، كما أن التعلم الإلكتروني لا يشترط وجود المدرس والمتعلم في وقت واحد ولكن يكفي بوجود المادة أو المصدر بشكل يتيح للمتعلم الوصول إليها بسهولة وفي أي وقت، ومن أي مكان.

ويعدّ المتعلم ركيزة العملية التعليمية التعليمية، فيتم تقديم برامج تعليمية في التعلم الإلكتروني الذاتي تسمى أيضاً التعليم القائم على الويب، والتي يمكن استكمالها بموارد وتقييمات تكميلية. عادة ما يتم وضع المناهج التعليمية على الويب، ويمكن للمتعلمين الوصول إليها من منصة التعلم عبر الإنترنت أو على قرص مضغوط. ويكون المتعلمون أحراراً في التعلم بالسرعة التي تناسبهم، بناءً على احتياجاتهم واهتماماتهم الفردية. ولا يتعين على موفري التعليم الإلكتروني جدولة المتعلمين وإدارتهم أو تتبعهم من خلال عملية التعليم الذاتي. لأنه يتم تطوير محتوى التعليم الإلكتروني وفقاً لمجموعة أهداف التعلم ويتم تقديمه باستخدام عناصر ووسائط مختلفة، مثل النص والرسومات والصوت والفيديو. ويجب أن يوفر لهم أكبر قدر ممكن من الدعم التعليمي (من خلال التفسيرات والأمثلة والتفاعل والملاحظات، وما إلى ذلك)، من أجل جعل المتعلمين مكثفين ذاتياً. ومع ذلك، عادة ما يتم تقديم نوع من الدعم، مثل الدعم الفني القائم على البريد الإلكتروني أو التدريس الإلكتروني، للمتعلمين. عندما يتم توفير التعليم الإلكتروني ذاتي السرعة من خلال اتصال بالإنترنت، فهناك إمكانية لتتبع إجراءات المتعلمين في قاعدة بيانات مركزية.

٣,٣. على المستوى المعرفي

ستحدث بعد كوفيد ١٩ عن المعلومات الرقمية والدروس التفاعلية، والاختبارات الإلكترونية، فالتعليم الإلكتروني سيتغير وسيصبح إلكترونيًا، "وسيتم تقديم المحتوى التعليمي مع ما يتضمنه من شروحات وتمارين ومتابعة بصورة جزئية أو شاملة في الفصل أو عن بعد بواسطة برامج متقدمة مخزونة في الحاسوب الآلي أو عبر شبكة الأنترنت، وستكون طريقة التعلم باستخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسوب وشبكات ووسائطه المتعددة من صوت وصورة ورسومات وآليات بحث ومكتبات إلكترونية، واستخدام التقنية بجميع أنواعها في إيصال المعلومة للمتعلم بأقصر وقت وأقل جهد وأكبر فائدة (كافي، ٢٠٠٩)".

٤,٣. على المستوى المؤسسي

مسألة تحديث أنظمة التعليم وتطويرها لتلائم تحديات القرن الحالي تتطلب التأكيد على استمرارية دعم التعليم وتمويله، والتوجه لإعطاء دور أكبر له، وتحسين أنظمة التعليم وبرامجها. فالتعليم الإلكتروني يهدف إلى توفير مصادر متعددة ومتباينة للمعلومات تتيح فرص المقارنة والمناقشة والتحليل والتقييم. فضلاً عن ذلك إعادة هندسة العملية التعليمية بتحديد دور المدرس والمتعلم والمؤسسة التعليمية.

فسيكون التعليم الإلكتروني ملازماً للتعليم الحضوري، وسنميز بين التعليم في الفصول الدراسية والتعليم في الفصول الافتراضية، كما ستصبح إدارة المؤسسة التعليمية تقوم بشكل كبير على الجانب التكنولوجي، وستوفر على نظم إدارة التعلم الإلكتروني. (Learning Management System) ويرمز لها اختصاراً (LMS)، وهي عبارة عن برنامج Software صمم للمساعدة في إدارة ومتابعة وتقييم الدروس التعليمية والدورات التدريبية والمناهج المقررات الدراسية، والتعليم المستمر وجميع أنشطة التعلم في المنشآت التعليمية والتدريبية المختلفة. إحدى مستحدثات التعليم الإلكتروني، وظهرت نتيجة للحاجة الماسة إلى تنظيم المحتوى التعليمي الإلكتروني، فضلاً عن ذلك متابعة تقدم تعلم المتعلمين، وإدارة عمليات التعليم والتعلم الإلكتروني، ومتابعة الدروس الرقمية والتفاعلية التي يعدها المدرسون.

وقد قدمت اليونسكو (unesco، ٢٠١٩) مبادرة عالمية لإعادة تصور الطريقة التي يمكن أن نرسم بها المعرفة والتعلم وملامح مستقبل البشرية وكوكب الأرض، تحت شعار "مستقبل التربية والتعليم، تعلم لتصبح الإنسان الذي تريد"، فمع تسارع وتيرة تغير المناخ، تتجلى هشاشة كوكبنا بوضوح متزايد. أما التقدم المحرز في الاتصالات الرقمية، والذكاء الاصطناعي، والتكنولوجيا البيولوجية فينطوي على إمكانات كبيرة إلا أنه يثير شواغل أخلاقية وإدارية جديدة، ولا سيما أن عود الابتكار والتغيير التكنولوجي لها سجل غير متكافئ من حيث الإسهام في ازدهار البشر.

وتنطلق هذه المبادرة من رؤية أساسية ترى أن المعرفة والتعلم تمثل أعظم الموارد المتجددة التي تمتلكها البشرية لمواجهة التحديات ولابتكار البدائل. بيد أن التعليم يتجاوز الاستجابة لمتطلبات العالم المتغير، فالتعليم يحدث التحول في العالم. واستشراً عام ٢٠٥٠ وما بعده، ترمي مبادرة "مستقبل التربية والتعليم: تعلم لتصبح الإنسان الذي تريد" إلى إعادة تصور الطريقة التي يمكن أن يسهم من خلالها التعليم والمعرفة في الصالح العام العالمي.

هدف هذه المبادرة إلى حشد العديد من السبل الغنية لتكوين الذات واكتساب المعارف بغية تعزيز الذكاء الجماعي للبشرية. وتعتمد هذه المبادرة على عملية تشاورية مفتوحة وواسعة النطاق تشمل الشباب والمرين والمجتمع المدني والحكومات وقطاع الأعمال والجهات المعنية الأخرى. وستضطلع لجنة دولية رفيعة المستوى مؤلفة من قادة فكر من ميادين متعددة ومن مختلف المناطق في العالم بتوجيه هذه العملية. وستنشر اللجنة في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢١ تقريراً يرمي إلى مشاركة رؤية استشرافية بشأن المصير المحتمل للتعلم والتعليم، وتوفير خطة بشأن السياسات العامة. وستحفز مبادرة "مستقبل التربية والتعليم؛ تعلم لتصبح الإنسان الذي تريد" إجراء مناقشة عالمية بشأن الطريقة التي يمكن أن ترسم بها المعرفة والتعلم وملامح مستقبل البشرية وكوكب الأرض.

٤. التعليم الإلكتروني ومبدأ تكافؤ الفرص ما بعد كوفيد ١٩

لقد تبنت المنظومة التربوية بالمغرب مبدأ تكافؤ الفرص في الرؤية الاستراتيجية ٢٠١٥-٢٠٣٠، التي أعدها (المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، ٢٠١٥) فالمدرسة تقوم على ثلاثة أسس هي الجودة للجميع والارتقاء بالفرد والمجتمع والإنصاف وتكافؤ الفرص، وتم التأكيد على هذا المبدأ في القانون الإطار ٥١،١٧ المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، ويعتبر الإنصاف وتكافؤ الفرص بمنظومة التربية والتكوين من بين المقومات الهامة لعملية الإصلاح، إذ يحرص هذا المجال في تكامل مع باقي مجالات الرؤية الاستراتيجية، على ضمان تعميم التعليم والتكوين بفرص متكافئة لعموم الساكنة، مع القضاء على جميع التفاوتات بمختلف أنواعها المحلية والاجتماعية والنوعية. بعد أهمية هذا المجال، فقد ارتقى القانون الإطار بمبادئ المساواة والإنصاف وتكافؤ الفرص، إلى مستوى المبادئ والمرتكزات الأساسية التي تؤطر فلسفة عمل واشتغال المنظومة التربوية.

ونلاحظ أنه مع التعليم الإلكتروني غاب تكافؤ الفرص سواء بين التلاميذ أم الطلبة، فضلا عن المدرسين. فالرؤية الاستراتيجية والقانون الإطار لم يضعوا في الحسبان خطر الفيروسات، التي أصبحت تهدد حياة الفرد والمجتمع، وتفرض على الدول اتخاذ مجموعة من التدابير على رأسها توقيف الدراسة بالمؤسسات التعليمية والجامعية، وتبني التعليم الإلكتروني كخيار لا بد منه، لضمان الاستمرارية البيداغوجية.

فقد دعت الوزارة الوصية على قطاع التعليم بالمغرب الأطر الإدارية والتربوية إلى المساهمة في إنتاج المضامين الرقمية والدروس المصورة، وأخذ المبادرة من أجل اقتراح بدائل مبتكرة تضمن التحصيل الدراسي لكل المتعلمين، وتتبع عملية سير التعليم عن بعد والتواصل الإلكتروني مع المتعلمين، فضلا عن عقد اجتماعات تربوية من أجل الدعم التربوي الإلكتروني.

ولضمان الاستمرارية البيداغوجية للتعليم الإلكتروني، وعملا على تطوير وتنويع الوسائل الإلكترونية، استخدمت الوزارة منصة Teams، وهي خاصة بالمدرسين والتلاميذ، وذلك لتيسير عملية التعليم الإلكتروني التي ستمكنهم من التواصل المباشر بين المدرس والمتعلم، واستضافة الأقسام الافتراضية، مما سيسمح لهم بتنظيم دورات التعليم عن بعد، بتفاعل مع المتعلمين، عبر استعمال العروض التقديمية، أو النصوص الرقمية، أو تقنيات الصوت والفيديو، والدروس التفاعلية.

وتكتسي هذه مسطرة Teams حسب (وزارة التربية الوطنية، ٢٠٢٠) أهمية قصوى لتيسير عمل الأساتذة والأساتذة، بحكم توفرها على مجموعة من الوظائف المهمة، التي ستمكنهم من التواصل بين الأساتذة والتلاميذ، واستضافة الأقسام الافتراضية، وهذا سيسمح لهم بتنظيم دورات التعليم عن بعد، بإشراك المتعلمين، عبر استعمال العروض التقديمية والنصوص الرقمية، أو تقنيات الصوت والفيديو.

وسعى إلى ضمان الإنصاف وتكافؤ الفرص وتقليص الفوارق بين الأسر التي تتوفر على التجهيزات وتلك التي لا تتوفر عليها، وأخذا بعين الاعتبار وضعية العالم القروي، وعدم الاتصال بشبكة الأنترنت، عمدت الوزارة بالمغرب إلى تقديم دروس مصورة عبر القنوات التلفزية الوطنية، فقد وصل عدد الدروس المقدمة إلى ٥٦ درسا في كل يوم، وإنتاج أكثر من ٢٦٠٠ درس جديد، كما تم تفعيل ما يفوق ٤٥٠ ألف قسم افتراضي بالنسبة للمؤسسات التعليمية.

رغم الإجراءات الاحترازية والاستباقية إلى أن الدول العربية عامة والمغرب بشكل خاص ماتزال في حاجة إلى تعبئة الموارد البشرية، والتسلح بالعدة التقنية والتكنولوجية، فدخل التعليم الإلكتروني وتوظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال في المنظومة التربوية، يكون مبنيا على تخطيط مسبق، قوامه تجهيز المؤسسات التعليمية بالوسائل التكنولوجية، وتكوين المدرسين على استعمال الفصول الافتراضية وأجهزة تكنولوجيا المعلومات والاتصال.

فسؤال تكافؤ الفرص يطرح نفسه بقوة في ظل التعلم الإلكتروني الذي فرضته جائحة كورونا فرضا على دول العالم، فالكثير من تلاميذ العالم القروي لا يتوفرون على اتصال مباشر بالإنترنت، ولا يملكون هواتف ذكية أو حواسيب، فضلا عن المبالغ المالية التي ترافق استعمال هذه البرمجيات التعليمية، وقد لا يتوفرون حتى على أجهزة التلفاز لمتابعة الدروس الرقمية المسجلة، مما حال دون مواكبتهم للتعلم، وخلف فجوة معرفية ورقمية بينهم وبين التلاميذ والطلبة الذين قد يتوفرون على بعض هذه الأجهزة الإلكترونية، أو الذين توفرت لهم الظروف الملائمة لمتابعة تحصيلهم الدراسي.

وقد تبنى القانون الإطار الخاص بمنظومة التربية والتكوين (وزارة التربية الوطنية، ٢٠٢٠) بالمغرب مشروع تطوير استعمالات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم، الذي يهدف إلى تأمين المساواة والتعلم مدى الحياة والانخراط الفاعل في اقتصاد ومجتمع المعرفة انسجاما مع أهداف الرؤية الاستراتيجية والقانون الإطار. وذلك وفق مقاربة منهجية تروم تحيين الرؤية المغربية الخاصة بإدماج تكنولوجيات المعلومات والاتصالات. وذلك بتقديم تصور شمولي لكيفية إدماجها في المناهج الدراسية وكذا استكمال إنتاج الدلائل البيداغوجية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. ولتحقيق الهدف العام من هذا المشروع تم تحديد أهداف خاصة تم الإدمج الناجع لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المقاربة المنهجية منذ الشروع في وضع تصور المناهج والبرامج والمواد، وكذا تنمية وتطوير كفايات التلميذ في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم والتعلم، وهو ما يفرض المساهمة في إعداد برامج ومناهج تدمج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وإعداد موارد رقمية مكيفة وفق المنهاج الجديد تغطي جميع المواد والأسلاك الدراسية، من خلال مختبرات الابتكار والإنتاج، فضلا عن تكوين أطر تربوية ومختصين في مجال الابتكار وإنتاج الموارد الرقمية حضوريا وعن بعد؛ من دون إغفال العمل على استكمال تجهيز المؤسسات التعليمية ببنيات مناسبة مع الصيانة والربط بالإنترنت.

لكن الواقع الذي فرضه فيروس كورونا حال دون تحقيق هذه الأهداف، فمعظم دول العالم لم تضع في الحسبان خطر انتشار الفيروسات، وكان الدخول في التعليم الإلكتروني من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه من السنة الدراسية، والحيلولة دون انقطاع المتعلمين عن تحصيلهم الدراسي، وضمان لزومهم لبيوتهم، وعدم المخاطرة بالخروج خارج المنازل. وتبني التعليم الإلكتروني لم يكن بشكل اختياري وإنما كان إجباريا على معظم الدول، لذا فرض عليها التعامل مع الوضعية الجديدة في ظل استمرار تفشي الوباء بشكل كبير، بتكييف المناهج والمقررات الدراسية والدروس التعليمية، والمتعلمين والمدرسين والإدارة لكي يصبح الكل إلكترونيا.

خاتمة:

لقد كان هدفنا من هذا البحث إعطاء نظرة مستقبلية عن المنظومة التربوية بالعالم، جراء تداعيات فيروس كورونا المستجد، فالأكيد أن العالم سيعرف تحولا جذريا ما بعد كورونا، على جميع المستويات، وسنشهد تغيرات كبيرة في الجانب التربوي، ستضع في الحسبان خطر انتشار الفيروسات، وستبني المقاربة التكنولوجية في تدريس المتعلمين والمتعلمات، وذلك لضمان حقهم في التعلم، ومن أجل الاستمرارية البيداغوجية للدروس التعليمية، وليس بعيد أن تتبنى الدول العربية التعليم الإلكتروني كخيار استراتيجي مصاحب للتعليم الحضوري بالفصول الدراسية، خاصة أن بعض الدول عكفت في فترة كورونا على إنتاج العديد من الموارد الرقمية التي ستستفيد منها مستقبلا بشكل كبير. فالتعليم الإلكتروني أصبح ضرورة حتمية تملئها طبيعة العصر الذي نعيش فيه، وطبيعة الظروف التي فرضت توظيفها واستعمالها في المنظومة التربوية.

المراجع باللغة العربية:

- إسماعيل الغريب زاهر، التعليم الإلكتروني من التطبيق إلى الاحتراف والجودة. القاهرة: عالم الكتب. (٢٠٠٩).
- بدر الخان. استراتيجيات التعلم الإلكتروني، ترجمة، الموسوي وآخرون. سورية: شعاع للنشر والعلوم. (٢٠٠٥)
- حيدر حاتم فالح العجرش. التعلم الإلكتروني رؤية معاصرة. العراق: مؤسسة دار الصادق الثقافية. (٢٠١٧)
- روبرت م. جانبيه. أصول تكنولوجيا التعليم، ترجمة المشيخ محمد بن سليمان. السعودية: جامعة الملك سعود. (٢٠٠٠)
- شريف الإترابي. التعليم الإلكتروني والخدمات المعلوماتية. القاهرة: دار العربي للنشر والتوزيع. (٢٠١٥)
- عاطف أبو حميد الشمران. التعلم المدمج والتعليم المعكوس. عمان: دار المسيرة للنشر. (٢٠١٥)
- عبد الحي رمزي أحمد. التعليم عن بعد في الوطن العربي وتحديات القرن الحادي والعشرين. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. (٢٠١٠).
- عطية سالم، وعلي فوزي عبد المقصود الحداد. الوسائل التعليمية وتكنولوجيا التعليم، الاتصال التربوي، نماذج الاتصال. الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة. (٢٠١٤).
- ليسا بيندير. رسائل وأنشطة رئيسية للوقاية من مرض كوفيد ١٩ والسيطرة عليه في المدارس. نيويورك: اليونيسيف unicef. (٢٠٢٠).
- مايكل، لي آيرز شلوسر سيمونسن.. التعليم عن بعد ومصطلحات التعليم الإلكتروني، ترجمة نبيل جاد عزمي. بيروت: الجمعية الأمريكية للتكنولوجيا والاتصالات التربوية، مكتبة بيروت. (٢٠١٥)
- المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي.. الرؤية الاستراتيجية للإصلاح ٢٠١٥-٢٠٣٠. المغرب: المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي. (٢٠١٥).
- مصطفى يوسف كافي. التعليم الإلكتروني في عصر الاقتصاد المعرفي. سوريا: دار رسلان. (٢٠٠٩).
- وزارة التربية الوطنية. حقيبة مشاريع تفعيل مضامين القانون الإطار رقم ١٧،٥١ المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي. المغرب: وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي. (٢٠٢٠).
- وليد سالم محمد الحلفاوي.. التعليم الإلكتروني، تطبيقات مستحدثة. القاهرة، مصر: دار الفكر العربي. (٢٠١١)
- اليونيسكو unesco.. مستقبل التربية والتعليم، تعلم لتصبح الإنسان الذي تريد. <https://ar.unesco.org/futuresofeducation/n-almbadrt>. (٢٠١٩)
- مذكرات وزارية لفترة كوفيد ١٩، وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي، المغرب، ٢٠٢٠.
- وزارة التربية الوطنية. (٢٠٢٠). مذكرة (٢٠٢٠-٢٠٢١) في شأن استعمال خدمات مسطحة Teams المدججة في منظومة مسار للتعليم عن بعد. المغرب: وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي.
- وزارة التربية الوطنية. (٢٠٢٠). مذكرة رقم (٢٠٢٧-٢٠) في شأن خطة الاستمرارية الإدارية للتصدي لجائحة فيروس كورونا (كوفيد ١٩). المغرب: وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي.

المراجع الأجنبية:

- Ann Kwinn, Ron Miazga, And Matthew Murray Karen Hyder
- Santa Rosa: The Elearning Guild's .Synchronous E-Learning (٢٠٠٧)
- United States .E-Learning Concepts, Trends, Applications ..Epignosis Llc
- Of America: Epignosis Llc, Www.Efrontlearning.Net (٢٠١٤)

- E-Learning Methodologies A Guide For Designing And Developing ..Fao
Rome: Food And Agriculture Organization Of The .E-Learning Courses
(٢٠١١) .United Nations
- E-Learning, A Guidebook Of Principles, Procedures And ..Som Naidu
.New Delhi: Commonwealth Educational Media Center For Asia .Practices
(٢٠٠٦)

مستقبل الديمقراطية في عالم ما بعد كوفيد 19

م. د رائد حمدان عجب المالكي

جامعة ميسان / كلية العلوم السياسية

ملخص :

ان حدثا كبيرا بمستوى " جائحة كورونا" له تأثير كبير على حياة البشرية ، لا يمكن ان يحصل من دون ان يكون له تأثير كبير أيضا على مستقبل الديمقراطية كمذهب ونظام حكم سياسي، سواء بالنسبة لأنظمة الحكم ام للديموقراطية والمبادئ والقيم التي تستند لها إليها. ان آثار ذلك برزت مع اتخاذ أولى الإجراءات لمواجهة خطر الفيروس وسيظهر كثير منها في المستقبل.

Abstract :

A major event at the level of the "Corona pandemic" that has a major impact on the life of mankind, cannot happen without it also having a major impact on the future of democracy as a doctrine and a political system of government, whether in terms of systems of government or in relation to democracy and the principles and values on which it is based. The effects of this have emerged with the first measures taken to confront the virus, and many of them will appear in the future.

المقدمة

موضوع البحث:

يشهد العالم تأثيرات مختلفة وواسعة لجائحة كورونا شملت مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فضلا عن الوضع الصحي لشعوب الكرة الأرضية. واذا كان التأثير المباشر لهذه الجائحة يبرز من خلال العدد الكبير والمتزايد لحالات الوفاة والإصابة التي تجاوزت مجموعها الملايين. فان التأثيرات غير المباشرة لهذا الحدث العالمي تبدو اكبر واوسع نطاقا وقد شملت الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية وحقوق الانسان وغيرها.

لكننا يمكن ان نرصد تأثيرا اخر على درجة من الأهمية ستوضح معالمه في المستقبل بشكل اكبر ، وهو يتعلق بمستقبل الديمقراطية في عالم ما بعد كوفيد 19 ، لأننا نرى الآن كيف أن تعامل الدول بانظمتها السياسية المختلفة قد مثل اختبارا صعبا للفلسفة السياسية لها ولايدلوجياتها ومذاهبها ، وكيف أنها واجهت تحدي كبير لقدرتها على مواجهة خطر الوباء مع الحفاظ على منظومة القيم السياسية التي يبني عليها نظامها السياسي.

إن دولا معروفة بعدم ديموقراطيتها مثل الصين كانت انظمتها اكثر قدرة على مواجهة خطر الوباء من دول اخرى معروفة بلبراليتها وديموقراطيتها مثل ايطاليا واسبانيا وبريطانيا. وان هذه الدول الاخيرة لجأت مضطرة في الاونة الاخيرة الى تجاوز حدود الفلسفة السياسية التي تقوم عليها.

وهنا يبدو التساؤل منطقيا عن مستقبل الديمقراطية في عالم ما بعد كوفيد 19 لذا تم اختيار هذا الموضوع. وسنقوم ببحث تحدي كوفيد 19 لمنظومة القيم الديمقراطية الغربية، التغيرات المتوقعة في الانظمة السياسية واحتمالية تراجع الديمقراطية.

مشكلة البحث :

يتصدى إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية التي تمثل مجموعها مشكلة البحث وهي : ما التغيرات المتوقعة على أنظمة الحكم السياسية كتداعيات محتملة لجائحة كورونا ؟ وما التغيرات والتأثيرات المتوقع حصولها على الديمقراطية في العالم بعد كورونا ؟ وهل ستتأثر فلسفة الحقوق والحريات في العالم وهل سيترتب على ذلك تغيير في التشريعات ؟ .

خطة البحث :

ولأجل تسهيل مهمة البحث سنقوم بتقسيمه وفق الخطة العلمية على مبحثين :

المطلب الاول : تداعيات كورونا وتأثيره في أنظمة الحكم السياسية

المطلب الثاني: تداعيات كورونا وتأثيره على الديمقراطية

المطلب الثالث: تأثير كورونا على العولمة

المطلب الأول

تداعيات كورونا وتأثيره في أنظمة الحكم السياسية

لقد أحدث فيروس كورونا تأثيرات مختلفة بالنسبة لأنظمة الحكم السياسية بجميع أصنافها وأنواعها، لكننا سنقف هنا عند بعض من تداعيات هذا الفيروس فيما يخص تأثيره على العلاقة بين السلطات، وفيما يخص دوره في إعادة هندسة بعض أنظمة الحكم من حيث نطاق المهام والصلاحيات.

الفرع الأول

تداعيات كورونا وتأثيره على العلاقة بين السلطات

اعتنقت معظم دساتير العالم مبدأ الفصل بين السلطات وقضت بتوزيع وظائف الدولة التشريعية والتنفيذية والقضائية على هيئات مستقلة عن بعضها ولكن مع وجود جوانب للعلاقة تضمن وحدة الدولة والتعاون والتوازن بين سلطاتها.

ولان جائحة كورونا خلقت تحديات كبيرة لعمل السلطات لذا فإنها أثرت على العلاقة بينها من نواحي متعددة نذكر منها:

أولاً : ازدياد هيمنة السلطة التنفيذية ورجحان كفتها

يشير واقع النظم السياسية المعاصرة إلى تعاظم أهمية ممارسة الوظيفة التنفيذية ورجحان كفة السلطة المختصة بها على سائر السلطات^(١)، ويعود ذلك إلى عدة أسباب من بينها إعطاء السلطة التنفيذية سلطات واسعة في أوقات الظروف الاستثنائية فقد ذهبت مجموعة كبيرة من الدساتير إلى إعطاء الحكومة سلطات واسعة عند قيام ظرف طارئ أو استثنائي مع إيجاد ضوابط اجرائية وموضوعية تنظم تلك السلطات . ومن الدساتير التي نظمت هذا الموضوع الدستور الفرنسي لسنة ١٩٥٨^(٢).

ويقصد بالظروف الاستثنائية، (أحداث الحرب و الفتن والبلابل و الثورات و الانقلابات المدبرة، و كل الحالات الخطيرة التي من شأنها المساس بالنظام العام و تهديده.)^(٣).

(١) ينظر : د. حميد حنون خالد الساعدي ، الانظمة السياسية ، جامعة بغداد / كلية القانون، ٢٠٠٨، ص٩٤-٩٥.

(٢) نص المادة (١٦) من دستور فرنسا لسنة ١٩٥٨ المعدل.

(٣) عبد العليم علام، دور سلطات الضبط الإداري في تحقيق النظام العام وأثره على الحريات العامة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الحقوق، ١٩٨٨، ص ٢١٦.

وقد تكون هذه الظروف خارجية كأن تقع حرب عالمية أو عامة أو حرب إقليمية، وقد ينشر وباء في المنطقة التي تحيط بالدولة أو تتدخل إحدى الدول الأجنبية في السيادة الداخلية لدولة ما أو تثير فيها بعض الفتن. وقد تكون داخلية كحدوث أزمة اقتصادية أو سياسية أو ثورة أو تدبير انقلاب أو انتشار فتنة أو وباء إلى غيرها من حالات المساس الخطير بالنظام العام. ومع توجه أكثر الدول في ظل جائحة كورونا إلى إعلان حالة الطوارئ، أو ممارسة السلطات الاستثنائية فعلياً، فقد توسعت سلطات وصلاحيات الحكومات بشكل كبير وكان ذلك على حساب عمل البرلمانات التي تعذر على كثير منها حتى عقد الاجتماعات. والحقيقة إن استمرار اتباع واتخاذ تدابير استثنائية بواسطة السلطة التنفيذية سيكون له أثر على المدى البعيد لصلحها من خلال زيادة هيمنتها ليس في وقت حصول الظرف الاستثنائي فحسب وإنما بعد ذلك أيضاً. وبالرغم من أن إعلان حالة الطوارئ غالباً ما تصاحبه ضمانات شكلية وموضوعية لغرض ضبط عمل السلطة التنفيذية، إلا أن بعض الدولة قد تلجأ إلى اتخاذ تدابير استثنائية من دون إعلان حالة الطوارئ وهذا ما نلاحظه في العراق إذ احتجمت السلطات رسمياً عن إعلان حالة الطوارئ لكنها تمارسها فعلياً.

وينص الدستور العراقي على اجراءات إعلان حالة الطوارئ^(١)، وجعل اختصاصات مجلس النواب العراقي ومنها: أ. الموافقة على إعلان الحرب وحالة الطوارئ بأغلبية الثلثين، بناءً على طلب مشترك من رئيس الجمهورية، ورئيس مجلس الوزراء. ب. تُعلن حالة الطوارئ لمدة ثلاثين يوماً قابلة للتمديد، وبموافقةٍ عليها في كل مرة. ج. يخول رئيس مجلس الوزراء الصلاحيات اللازمة التي تمكنه من ادارة شؤون البلاد في أثناء مدة إعلان الحرب وحالة الطوارئ، وتنظم هذه الصلاحيات بقانون، بما لا يتعارض مع الدستور. د. يعرض رئيس مجلس الوزراء على مجلس النواب، الاجراءات المتخذة والنتائج، في مدة إعلان الحرب وحالة الطوارئ، خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ انتهائها.

ثانياً : اختلال مبدأ الفصل بين السلطات

يعني مبدأ الفصل بين السلطات توزيع وظائف الدولة الثلاثة الرئيسة على هيئات ثلاث تتولى كل واحد منها مستقلة عن الاخرى مع ضرورة ان تراقب كل سلطة من هذه السلطات السلطة بين الآخرين في ادائها لوظائفها المستندة اليها دستورياً^(٢). وفي ظل الظروف الاستثنائية مثل جائحة كورونا يتوقع أن يحصل اختلال في تطبيق هذا المبدأ، لأن السلطة التنفيذية ستتوسع صلاحياتها وقد تتولى بشكل استثنائي مقيد وظيفته التشريع وهذا يعني أنها ستجمع بيدها أكثر من سلطة ووظيفة وهو أمر يولد اختلالاً في تطبيق مبدأ الفصل بين السلطات قد يكون له تبعات وآثار تستمر أبعد من مدة وجود الظرف الاستثنائي المتمثل بجائحة كورونا.

ويذكر بأن التقاليد الدستورية تجري على الاعتراف للهيئة التنفيذية بممارسة بعض مظاهر الوظيفة التشريعية وفي حدود القوانين (السلطة اللامتحية) إلا أن ذلك ما يزال محكوماً بالأصل العام لمبدأ الفصل بين السلطات محدوداً بمقتضاه لذا استقر في فقه القانون العام أن الهيئة التشريعية لا تزال صاحبة الاختصاص الأصيل في الوظيفة التشريعية وأن سلطاتها في وضع القوانين لا حدود لها^(٣).

(١) نص المادة (٦١ / تاسعاً) من دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥.

(٢) د. سعيد السيد علي : حقيقة الفصل بين السلطات في النظام السياسي الأمريكي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٩، ص٢٥ وما بعدها.

(٣) سمير داود سلمان ، علي مجيد العكيلي : مدى تأثير الظروف الاستثنائية على الشريعة الدستورية: دراسة مقارنة، المركز القومي للإصدارات القانونية، ط١، ٢٠١٥، ص٤٧-٤٨.

ويمكن أن نبرز تأثيرا واضحا مرتبط بفكرة الفصل بين السلطات ، وهو أن هذا المبدأ يفترض وجود توازن أساسه امتلاك كل سلطة سلاح في مواجهة السلطة الأخرى توقف به طغيانها وتغولها. وهذا الأمر منشأ لحالة الاستقرار في الأنظمة السياسية وهو معروف بشكل أساس في النظم البرلمانية وحتى الرئاسية فإن لها ادواتها الخاصة لتحقيق التوازن. والحقيقة أن ظروف جائحة كورونا قد تقلب معادلة التوازن تلك لأنها تجعل السلطة التنفيذية تعمل في ظروف بعيدة عن الرقابة، وهذا الأمر إذا استمر لمدة طويلة قد يكون من شأنه تثبيت تلك الميزة للسلطة التنفيذية في علاقتها مع السلطة التشريعية. ومن ثم فإن فكرة التوازن التي يقتضيتها مبدأ الفصل بين السلطات قد تهمت وتحل محلها فكرة التدرج والارجحية. ولكن علينا أن لا نبالغ في توقع حصول ذلك في جميع الانظمة السياسية لأن الديمقراطية الراسخة تملك ضمانات أساسها الوعي السياسي وحضور الشعب صاحب السيادة، خلافا للديمقراطيات الشكلية أو الحديثة التي لم تقتل تماما جذور الدكتاتورية التي ارتبطت غالبا بهيمنة السلطة التنفيذية.

الفرع الثاني

دور فايروس كورونا في إعادة هندسة بعض أنظمة الحكم

من حيث توزيع الصلاحيات

إن تأثير فايروس كورونا بوصفه ظرفا طارئا أو استثنائيا لن يقف عند حد التأثير على العلاقة بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، بل إن استخدام سلطات الطوارئ يؤثر ايضا على العلاقة بين مستويات الحكم داخل الدولة وقد يؤدي إلى إعادة هندسة النظام وتلك العلاقة فيما يخص نطاق المسؤوليات والصلاحيات.

أذ تمنح الظروف الطارئة أو الاستثنائية التي تمر بها الدول حكوماتها حق اتخاذ تدابير وإجراءات استثنائية للحفاظ على كيان الدولة ونظامها ومصالحها العامة. وقد يقتصر نطاق سلطات الطوارئ التي تتخذها الحكومة على جزء من إقليم الدولة، وقد يتسع نطاقها لعموم أقاليم الدولة، وفي جميع الأحوال فإن استخدام تلك السلطات سيكون له تأثير على قواعد الاختصاص المنعقد لهيئات الدولة وأجهزتها المختلفة.

وقد اقرت الدساتير الاتحادية في بعض الدول للحكومة المركزية فيها بسلطات استثنائية تمكنها من تعديل مركز الوحدات المكونة للدولة، وتتنوع مظاهر تلك السلطات فقد تقتصر على التوجيه، وقد تمنح سلطة الرفض الكامل لاعمال السلطات المحلية، وقد تصل الى حد تعليق وايقاف عملها لمدة معينة. ففي جنوب افريقيا للحكومة المركزية اصدار تعليمات وتوجيهات لكل إقليم او تتولى المسؤولية بشكل مباشر^(١)، ويمكن في الهند الإطاحة بحكومة ولاية معينة واستبدالها بقرار رئاسي^(٢)، والتدخل في مجال اختصاصها بسن قوانين لجميع أراضي الهند^(٣)، والشيء ذاته اقر في نيجيريا اذ يمكن إعلان حالة الطوارئ في اية ولاية وتعليق حكومتها لفترة

(١) نصت المادة (١٠٠) من دستور جنوب افريقيا لسنة ١٩٩٦ المعدل سنة ٢٠١٢، على انه ((١/ عندما يعجز أي إقليم عن أداء التزام من التزامات السلطة التنفيذية وفقاً للدستور أو القانون، أو لا يؤدي ذلك الالتزام، يجوز للسلطة التنفيذية الوطنية أن تتدخل عن طريق اتخاذ أية خطوات مناسبة لضمان الوفاء بذلك الالتزام، بما في ذلك: إصدار توجيه إلى السلطة التنفيذية الإقليمية، بوضوح مدى عجزها عن أداء التزاماتها وبحدد أية خطوات لازمة لأداء تلك الالتزامات؛ و ب. تولى مسؤولية أداء الالتزام المعني في ذلك الإقليم بالقدر اللازم....)).

(٢) اجازت المادة (١٦٠) من دستور الهند لسنة ١٩٥٠ المعدل ((للرئيس أن يضع الأحكام التي يراها مناسبة لأداء وظائف حاكم الولاية في أية حالة طوارئ غير منصوص عليها)).

(٣) نص المادة (٢٥٠) من دستور الهند لسنة ١٩٥٠ المعدل.

من الوقت^(١). وفي كندا تستطيع الحكومة الاتحادية من الناحية الدستورية، رفض التشريعات الإقليمية قبل تطبيقها والإعلان عن أي عمل أو نشاط ما على أنه اختصاص فدرالي^(٢).

المطلب الثاني

تداعيات كورونا وتأثيره على الديمقراطية

من السهل التنبأ بحصول تغير كبير في قيم الديمقراطية في عالم ما بعد كوفيد 19 ، وبالتالي توقع ظهور قيم جديدة تحكم الليبرالية وحرية التجارة والعملة وحقوق الانسان وغير ذلك. واختصارا للبحث فاننا سنقف عند تأثير كورونا على الليبرالية ومستقبل النموذج الليبرالي في عالم ما بعد كورونا، وايضا تأثيرها على حقوق الانسان وحرياته.

الفرع الأول

تأثير كورونا على الليبرالية ومستقبل النموذج الليبرالي

في عالم ما بعد كورونا

عندما تنبأ البروفيسور فرانسيس فوكوياما في أطروحته: (نهاية التاريخ) في أواخر القرن الماضي، وقال إن الديمقراطية الرأسمالية هي النموذج النهائي للتطور البشري الأيديولوجي للإنسانية وبالتالي فهي تمثل نهاية التاريخ، فإنه لم يكن يدرك أن هذا الطرح الأيديولوجي أيضا لم ينطلق من رؤى واستقراءات عميقة في التاريخ والصيغ والنماذج البشرية، وأنه ربما سيفاجأ بما حدث للنظام المالي الرأسمالي في الولايات المتحدة الذي اعتبره نهاية النهايات لكل الفلسفات والأفكار الإنسانية، وأصبحت الاقتصاديات العالمية تعيش زواجه السلبية وأثرها على الأمم في عيشها واستقرارها، آخرها الأزمة المالية التي عصفت بالغرب منذ عدة سنوات وما صاحب ذلك من ظاهرة الشعبوية وصعود اليمين ومرورا بالتحدي الصيني الروسي والأن جائحة كورونا التي ظهرت كأزمة من الازمات التي تواجه النموذج الليبرالي^(٣).

لقد تعدد التعريفات حول مفهوم الليبرالية ويخلط البعض بين الليبرالية liberalism وغيره من المعاني القريبة منه مثل الحرية والديموقراطية والرأسمالية ويستخدم اي مصطلح من هذه المصطلحات للتعبير عن الآخر وكلها مترادفات تدل علي معني واحد، صحيح أن الليبرالية مصطلح أجنبي معرب مأخوذ من liberalism في الإنجليزية، و liberalisme في الفرنسية وهي تعني التحررية ويعود اشتقاقها من liberate ومعناها الحرية ولكن الليبرالية هي الأصل الذي ينبثق منه نوعان رئيسان من الحرية هما الحرية الاقتصادية وتعني اقتصاد السوق، والحرية السياسية وتعني اتباع النظام الديمقراطي في الحكم.

والليبرالية بشقيها الاقتصادي والسياسي تعتبر مذهب فكري وفلسفة النظم السياسية التي تعترف بقيمة الحرية الفردية في كافة المجالات ونواحي الحياة والتي تقدم علي تحقيق مصالح الأفراد، ويرى وجوب احترام استقلال الأفراد الي ابعده مدي، ويعتقد ان الوظيفة الأساسية للدولة هي ضمان حماية لحيات المواطنين مثل حرية الملكية الخاصة والحرية الشخصية وغيرها، وايضا قيام الدولة بفكرة الدولة حارسة

(١) وحدد دستور جمهورية نايجيريا الاتحادية لسنة ١٩٩٩ الحالات التي تميز تعليق عمل حكومات الولايات في المادة (٥/ الفقرة ٣) منه وتمثل ب: ((أ/ إعاقه ممارسة السلطات التنفيذية للاتحاد أو الإخلال بها. ب/ تعريض أي أصول أو استثمارات لحكومة الاتحاد في تلك الولاية للخطر. ج/ تعريض استمرارية الحكومة الاتحادية في نيجيريا للخطر)).

(٢) ينظر: جورج اندرسون : مقدمة عن الفدرالية، منتدى الاتحادات الفدرالية، (اوتاوا- كندا)، ٢٠٠٧، ص ٥٢-٥٣.

(٣) عبد الله بن علي العليان ” فوكوياما وتراجعته عن الرؤية الأحادية للنموذج الليبرالي”، مقال متاح على الرابط الالكتروني: <https://al-sharq.com/opinion/27/09/2015>

الليل ، ولهذا يسعى هذا المذهب الي وضع قيود علي السلطة، وتقليل دورها، وإبعاد الحكومة عن السوق وتوسيع الحريات المدنية (١).

وقبل حصول جائحة كورونا واجه النموذج الليبرالي ازمات متعددة ابرزها : الشعبية وصعود اليمين حيث شهدت الدول الغربية خلال السنوات الماضية صعودا ملحوظا لتيار الشعبية السياسية الذي اتخذ ملمحا سياسيا بتشكيل أحزاب وظهور قيادات على غرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب ورئيس الحكومة المجرية فيكتور أوربان تستفيد من هيكل الفرص المتاحة في النظام الديمقراطي من اجل التعبير عن مشروع سياسي شعوي يدعي أنصاره بأنه يمثل السيادة الشعبية في صراعها القائم ضد النظام الليبرالي الذي لم يعد يفي بغرضه الرئيسي (٢). وأيضا ازمة الصعود الصيني . الروسي فالقيادات الصينية والروسية لا تحفي معارضتها لليبرالية الغربية وتحاول الربط بين نھوضها المعاصر وخصوصيتها الثقافية والحضارية التي لا تتفق بالضرورة مع الطرح الليبرالي الغربي كما تسهم السياسات التي تتبناها موسكو وبكين في اضعاف جاذبية الكثيرين حول العالم تجاه الليبرالية الغربية . وكذلك تحديات مرتبطة بعلاقة الليبرالية بالواقعية والقومية ، وأخيرا من التحديات التي تواجه النموذج الليبرالي هو الحاجة إلى مواجهة تحدٍ لم يكن حاضراً أمام نماذج الديمقراطية الاجتماعية لما بعد الحرب بحيث تأخذه في الاعتبار: التهديد الذي يشكله تغير المناخ والتدهور البيئي المأساوي(٣).

وفي ظل أزمة «كورونا» تبدو فكرة جاذبية النظام الليبرالي، وما يرتبط بها من أفكار أخرى كالسلام الديمقراطي والتضامن الإنساني، وعدم كفاءة نظم الضبط الاجتماعي بالمطلق، بحاجة إلى المراجعة استناداً إلى تطبيقات الدول الغربية مقارنةً بالتطبيق الصيني في مواجهة فيروس «كورونا». فنظم الصحة العامة في البلدان الرأسمالية أثبتت أنها أقل كفاءة مقارنةً بمثلتها في الصين، حيث الدولة تسيطر تماماً على منظومة الصحة العامة. والفارق هنا أن النظم الرأسمالية تعتمد على منظومة صحية تقوم على الربحية والمنافسة بين الشركات المقدمة للخدمة أو المنتجة للدواء من أجل تعزيز المكاسب على حساب صحة الإنسان، ويظهر ذلك في عدم فاعلية نظم التأمين الصحي وعدم شمولها قطاعات كبيرة من المجتمع. ونتيجة لذلك واجه كثيرون انتشار الوباء وهم غير مشمولين بأي نوع من الرعاية الصحية، ومن لا يملك أموالاً كافية فليس أمامه سوى الموت في الشارع أو على عتبة باب بيته.

التطبيق الصيني أظهر سلوكاً مغايراً، فكل إمكانات الدولة الصحية والعلمية والتكنولوجية سُخرت من أجل حماية حياة الصينيين عبر تقديم خدمة صحية كفؤ، استطاعت أن تحاصر الوباء وأن تجد له علاجاً في مدى زمني قصير، وتجتهد بحماس كبير لإنتاج لقاح يحمي الناس ويحافظ على حياتهم. في المقابل نجد تحبطاً في السلوك الأمريكي وعدم قدرة النظام الصحي العام، الهش أصلاً، أو حتى الخاص مرتفع التكلفة، على احتواء الوباء، فضلاً عن تدخلات الرئيس الأمريكي ترمب لدى كبريات الشركات الدوائية لحثها على العمل المشترك من أجل إنتاج لقاح يقي الأمريكيين، بما يعكس اليأس من قدرة نظم الربحية الصحية على مواجهة مخاطر كبرى كفيروس «كورونا». هكذا أثبتت فكرة الربحية عند تقديم الخدمة الصحية وهي السائدة في الغرب أنها نموذج مناهض لمبدأ الحق في الحياة، ما يعني أنها ليست تطبيقاً إنسانياً يصلح لأن يكون نهاية التاريخ.

لقد أظهر وباء كورونا مدى عجز وعدم اتران بعض جوانب النموذج الليبرالي الغربي خصوصاً أمام قضاي الصحة والسلامة والوعي البيئي فالصحة من منظور السياسة الاقتصادية والعامة مصلحة عامة عالمية لا يمكن انتاجها كسلعة وبيعها للمستهلكين

(١) جاد مصطفى البستاني واخرون : مستقبل النموذج الليبرالي في عالم ما بعد كورونا، مقال متاح على الرابط الالكتروني:

<https://webcache.googleusercontent.com/search>

(٢) محمد بسويو عبد الحلیم ” أزمات النموذج الليبرالي والبحث عن بدائل ” مجلة السياسة الدولية العدد ٢١٨ .

(٣) ينظر: جاد مصطفى البستاني واخرون : المصدر السابق . وينظر ايضا : أمل اسماعيل، “كورونا والبيئة والمناخ.. آثار ثانوية محدودة” ، متاح على الرابط ،

<https://covid-19.ecsstudies.com/6794> وينظر: علاء الدين أبو زينة، مستقبل الرأسمالية انخبار “الليبرالية الجديدة”.. الأسواق ليست الحل

(فورين أفيرز) <https://alghad.com/>

الأفراد فقد أظهر وباء كورونا التكاليف الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن الافتقار الى نظم الصحة والرعاية في جميع الدول وغياب القواعد العالمية لحماية الصحة .

ان كل هذه الاحداث تدعونا للتفكير مجدداً حول جدوى قيم النظام الدولي السائد والذي تهيمن عليه الأيديولوجيا الليبرالية بشقيها الكلاسيكي والجديد والتي تحد من سلطة الدولة وتعزز أفاق التكامل والتعاون بين الدول ، فقد غاب مفهوم التعاون الدولي بمجرد تعرض هذه الدول لأزمة تهدد وجودها وحلت محلها القرصنة وغلق الحدود والامتناع عن تقديم المساعدات الانسانية ، كما عززت الأزمة من تأثير الأحزاب الشعبوية في الدول الغربية والتي باتت تطالب بمزيد من السيادة الوطنية لبلدانها بوجه سياسات التكامل السائدة وتعزيز الإجراءات التي تحد من حرية الحركة والتنقل بين الحدود الوطني .

فقد كشفت الجائحة الوبائية هذه عن خلل في الأيديولوجيا الليبرالية التي يتبناها النظام العالمي ذ أثر نمط التفكير بالمنفعة الاقتصادية لدى قادة هذه الدول إلى تأخير إجراءات الحجر خشية أن تؤدي هذه الإجراءات إلى خسائر اقتصادية كما أدى انتشار الجائحة في أوروبا إلى غياب مفردات التكامل والتعاون الأوروبية لتحلها مفردات السيادة والقومية والأمن القومي كما وحلت سياسات الحدود المغلقة بدل سياسات الحدود المفتوحة التي كانت سائدة فيما بين دول الاتحاد الأوروبي بفعل منظومة التكامل الأوروبية (١).

الفرع الثاني

تأثير كورونا على الحقوق والحريات

الحرية حق من الحقوق المكفولة للأفراد في العالم، وهي الركيزة الأساسية التي يقوم عليها النظام الديمقراطي في العصر الحديث، لذلك نجد أن كل المواثيق والدساتير الدولية ركزت على تكريس الحريات الفردية وتنظيمها وضمان حمايتها.

وقد تتعرض حياة الدولة للأخطار والأزمات التي تهدد وجودها وكيانها وان السلطة التنفيذية في ضوء هذه الظروف بحاجة إلى صلاحيات جديدة للقيام بواجبها في الحفاظ على كيان الدولة ووجودها وان تعارض هذه المصالح مصلحة احترام القانون ومصلحة الحفاظ على الحريات العامة.

ويتار جدل كبير حول التأثيرات التي أفرزها تفشي وباء فيروس كورونا المستجد (كوفيد- ١٩) على حقوق الإنسان، وتخشي المنظمات الحقوقية، التي عبرت عن موقفها بشكل صريح في هذا السياق، أن يؤثر هذا الوباء في هذه الحقوق بشكل سلبي. وفي الحقيقة إن تفشي وباء فيروس كورونا وتهديده لحياة الإنسان، يثيران بالضرورة الحق في الصحة بعدّه أحد الحقوق الأصيلة للإنسان، التي تشمل شبكة متكاملة من الحقوق، تضم الحقوق السياسية والمدنية والاقتصادية والاجتماعية والحقوق الجماعية وغيرها من حقوق الإنسان، التقليدية منها والمستحدثة. وهنا يجب التأكيد أن حق الفرد في الصحة، مكفول بموجب الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي ينص على الحق في الوصول إلى الرعاية الصحية، وحظر التمييز في تقديم الخدمات الطبية، وعدم الإخضاع للعلاج الطبي من دون موافقة المريض، وغيرها من الضمانات المهمة (٢).

لكن تفشي وباء فيروس كورونا أدى ايضا إلى إحداث جملة من التأثيرات الاقتصادية السلبية في معظم الدول، مثل فقدان الوظائف، وهو ما يثير قضية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، ومنها الحق في العمل أو إعانات البطالة حين الحصول على وظيفة جديدة، وقد بدأت كثير من الدول في تعويض الأشخاص الذين فقدوا وظائفهم وانضموا إلى طابور العاطلين. وقد أثرت تدابير الحجر الصحي

(١) نزمين سعيد، حقائق مفزعة.. بكين كانت تعلم تقرير أمريكي يكشف: الصين زادت وارداتها الطبية في يناير بنسبة ٣٨٢% المركز المصري، [https://covid-](https://covid-19.ocsstudies.com/6805)

19.ocsstudies.com/6805 . حسن فاضل ، النظام المريض: أزمة النظام العالمي في ظل جائحة كورونا ، مركز أوراسيا للدراسات السياسية

<https://katehon.com/ar> محمد الشرقاوي ، التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتآكل النيولبرالية ، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية

والاستراتيجية ، <https://www.politics->

(٢) نص المادة (٢٥) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر سنة ١٩٤٨

بشكل واضح على هذه الطائفة من حقوق الإنسان وغيرها من الحقوق الأخرى. وفي هذا الصدد، يقول كينيث روث، المدير التنفيذي لهيومن رايتس ووتش: إنه يجب على الحكومات تجنب القيود الشاملة والواسعة بشكل مفرط على الحركة والحرية الشخصية، والاعتماد على التباعد الاجتماعي الطوعي، وفرض القيود الإلزامية فقط عندما يكون ذلك مبرراً وضرورياً وعلمياً^(١).

لقد أدى تفشي وباء فيروس كورونا إلى فرض حالات طوارئ وحظر التجول في عدد من الدول، وعزل مدن أو مناطق بعينها، وهذه إجراءات ضرورية ومطلوبة للحد من هذا التفشي السريع للفيروس الذي يمكن أن ينتقل بسهولة بين الأفراد، ولكنها في نهاية المطاف تعني أن الوباء هدد الحريات الشخصية للأفراد الذين اضطروا إلى الدخول في حجر منزلي. وفي مقاله بمجلة «فورين بوليسي» الأمريكية، اعتبر فلوريان بيبر، أستاذ التاريخ والسياسة في جامعة «غراتس» النمساوية، أن الوباء وقر للحكومات الديكتاتورية والديمقراطية - على حد سواء - فرصة للتعسف وإساءة استخدام القرار وتقليص الحريات المدنية. ويرى بيبر، أن الإجراءات الحالية قد تنجح في التخفيف من انتشار الفيروس وتفشي الجائحة، لكن العالم سيواجه خطراً من نوع آخر؛ إذ ستكون العديد من البلدان أقل ديمقراطية بكثير مما كانت عليه قبل، حتى بعد أن يتراجع خطر الفيروس.

أدى تفشي وباء فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩) إلى توقف كبير في مظاهر الحياة العامة، وتم العمل في بعض الدول وفقاً لقوانين استثنائية، أو سن قوانين طوارئ جديدة أحدثت حالة من الجدل، وعلى سبيل المثال، ففي المجر، تم العمل بقانون طوارئ جديد أثار عاصفة من الجدل، وتم انتقاده من قبل مؤسسات الاتحاد الأوروبي المعنية. ونشير في هذا السياق إلى أن الأمانة العامة لمجلس أوروبا في ستراسبورغ، ماريا بيجينوفيتش بوريتش ردت على خطوة المجر بالتحذير من أن البلدان الأعضاء في الاتحاد عليها الحفاظ على المبادئ الديمقراطية، وقالت إن حالة طوارئ غير معروفة وغير محددة زمنياً لا يمكن لها أن تضمن هذا الأمر. وأضافت بوريتش إن النقاش في وسائل الإعلام يُعدّ مكوناً أساسياً لنظام حر وديمقراطي. والقانون الجديد في المجر يعاقب بالسجن حتى الصحفيين على نشر معلومات «غير صحيحة» عن كورونا. والخوف هو أن تتعرض أي تغطية إعلامية لا تروق للحكومة للعقاب أو المنع^(٢).

وتعدى تأثير وباء فيروس كورونا إلى تأجيل عقد الانتخابات العامة في كثير من الدول، وهذا التأجيل قد ينطوي بطبيعة الحال على حزمة من التأثيرات السلبية المفهومة بالنسبة للديمقراطية، وعلى سبيل المثال، فقد قرر رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون، تأجيل الانتخابات المحلية التي كانت مقررة في السابع من مايو المقبل لمدة عام وسط توقعات بان يعزز كورونا نظام الاقتراع الإلكتروني^(٣)، وفي تشيلي، قرر البرلمان تأجيل الاستفتاء على الدستور الجديد لمدة ٦ أشهر، معلناً إجراءه في ٢٥ أكتوبر المقبل بدلاً من مواعده الذي كان مقرراً في ٢٦ إبريل الجاري، وفي إيران، أعلن مجلس صيانة الدستور تأجيل الجولة الثانية من انتخابات الدورة الحادية عشرة لمجلس الشورى إلى ١١ سبتمبر المقبل، بعد أن كانت مقررة في ١٧ إبريل الجاري. وفي فرنسا، أعلن الرئيس إيمانويل ماكرون، تأجيل الجولة الثانية من الانتخابات البلدية التي كان من المقرر أن تجرى في ٢٢ من الشهر نفسه إلى ٢١ يونيو المقبل، وقد شهدت الجولة الأولى التي أجريت في منتصف مارس حضوراً منخفضاً بسبب تفشي الفيروس في البلاد. وفي بوليفيا أجلت المحكمة الانتخابية العليا الانتخابات الرئاسية إلى أجل غير مسمى، وقد كان مقرراً إجراؤها في ٣ مايو المقبل، داعية جميع الأحزاب السياسية إلى حوار واسع وتعددي لتحديد موعد جديد للانتخابات الرئاسية.

(١) توصيات للحكومات في التصدي للجائحة " احتراموا الحقوق في الاستجابة لـ"فيروس كورونا" موقع منظمة هيومن رايتس ووتش، متاح على الرابط الإلكتروني:

<https://www.hrw.org/ar/news/2020/03/19/339655> تاريخ الزيارة تاريخ ١٩ /٥/ ٢٠٢٠

(٢) ينظر: الخوف من ديكتاتورية كورونا في أوروبا، مقال على موقع كاسل جورنال في ٠١ نيسان/أبريل ٢٠٢٠ . متاح على الرابط الإلكتروني:

<https://webcache.googleusercontent.com> تاريخ الزيارة تاريخ ١٩ /٥/ ٢٠٢٠

(٣) كورونا وتعزيز نظام الاقتراع الإلكتروني، مركز الامارات للدراسات والبحوث والاستراتيجية ، متاح على الرابط الإلكتروني:

https://www.ecssr.ae/reports_analysis الزيارة بتاريخ ١٠ /٥/ ٢٠٢٠

وبالنسبة لحرية الرأي والتعبير أدى تفشي وباء فيروس كورونا إلى توقف الكثير من وسائل الإعلام في بعض الدول، وبخاصة لاسيما الصحف الورقية، التي كانت تمثل منابر مهمة للتعبير عن الرأي والرقابة على الحكومات، كما وأن الكثير من وسائل الإعلام أصبحت تعمل بالحد الأدنى من كوادرها البشرية، وهو أمر يحد من قدرتها على القيام بدورها على النحو الأكمل كمنابر للتعبير عن الرأي أو كأدوات للرقابة على الحكومة. هذه الشواهد تعني أن قضية حقوق الإنسان تقع في قلب الحديث عن الأزمة الوجودية التي يواجهها العالم حالياً بفعل تفشي وباء فيروس كورونا. والمشكلة تكمن في توظيف هذا الوباء من قبل جهات معينة لتحقيق أهداف سياسية، سواء كانت نظماً حاكمة أم قوى سياسية، وهذا الأمر لا يجوز من الناحية الأخلاقية، فاحترام حقوق الإنسان قضية أساسية، ولكن لا يجب استغلالها لتحقيق أهداف خاصة، والحديث ينبغي أن يكون حول الأولوية القصوى لمواجهة هذا التحدي الخطير دون تأثيرات سلبية على حقوق الإنسان^(١).

المطلب الثالث

تأثير كورونا على العولمة

إن ظاهرة العولمة تثير جدلاً واسعاً وتتعدد بشأنها الآراء وأختلف حولها الدارسون في علم الاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع ، وقد ازداد الحديث عن مصطلح العولمة مع زوال المعسكر الاشتراكي وإنفراد أمريكا بقيادة العالم كقائد للمعسكر الرأسمالي. لقد أصبحت العولمة سمة أساسية من سمات العالم اليوم ، وهي تتطور باستمرار لكن حصول جائحة كورونا انعش التوقعات والدراسات بشأن تأثير الجائحة على العولمة وامتداداتها في العالم. وسنوضح ذلك من خلال الآتي :

الفرع الأول

مفهوم العولمة

العولمة هي ترجمة للمصطلح الإنجليزي Globalization ويدل هذا المصطلح على نظام جديد للعالم وعلى حركة دمج العالم وإلغاء الفواصل والحدود الجغرافية والزمنية والموضوعية بين الدول والمجتمعات وأصبحت كل المجتمعات تعيشها أو تعاني منها بدرجات متفاوتة حتى التي تعيش حالة من العزلة، مما جعل أغلب الدول تنتهج نظام اقتصاد السوق وما ترتب عن ذلك من تحرير للتجارة وإلغاء للقيود على حركة رأس المال، و قد نالت ظاهرة العولمة اهتمام المفكرين و الباحثين وقد تعددت الوجهات والآراء حول مفهوم العولمة، ومن أقدم تعاريف العولمة، تعريف رونالد روبرتسون Roland Robertson الذي يؤكد أن "العولمة" هي اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم، وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش.

أما أنتوني جيندنز Anthony Giddens فقد عرف "العولمة" بأنها مرحلة جديدة من مراحل الحداثة وتطورها، تتكاثف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي، وحدوث تلاحم بين الداخل والخارج، وربط بين المحلي والعالمي بروابط اقتصادية وسياسية وثقافية وإنسانية. ولا يعني هذا إلغاء المحلي والداخلي، ولكن أن يصبح العالم الخارجي له حضور العالم الداخلي نفسه في تأثيره في سلوكيات الأفراد وقناعاتهم وأفكارهم، والنتيجة هي بروز العامل الداخلي وتقويته.

هذا في حين يذهب بريتون بادي Bertrand Badie إلى أن العولمة هي عملية "إقامة نظام دولي يتجه نحو التوحد في القواعد والقيم والأهداف، مع ادعاء إدماج مجموع الإنسانية ضمن إطاره.

(١) حقوق الإنسان في عصر كورونا ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، متاح على الرابط الإلكتروني:

تاريخ ١٩ / ٠٣ / ٢٠٢٠ https://www.ecssr.ae/reports_analysis/

ويعرفها نورمان جيفان Norman jivan على أنها تشير إلى مجموعة شاملة من العمليات الاقتصادية والسياسية والإيدولوجية، ويوجد عند أساسها الاقتصادي تدويل التمويل والإنتاج والتجارة والاتصالات الذي تقوده أنشطة الشركات العابرة للأوطان، واندماج أسواق رأس المال والنقود وتضافر تقنيات الكمبيوتر والاتصالات السلكية واللاسلكية^(١).

واخيرا عرفها صندوق النقد الدولي بأنها: "التعاون الاقتصادي المتنامي لمجموع دول العالم والذي يَحْتَمُه ازدياد حجم التعامل بالسلع والخدمات وتنوعها عبر الحدود إضافة إلى رؤوس الأموال الدولية والانتشار المتسارع للتقنية في أرجاء العالم كله". ونخلص من كل هذه التعريفات إلى أن "العملة" تتضمن بروز عالم بلا حدود جغرافية، أو اقتصادية، أو ثقافية، أو سياسية، وأن هناك عملات كثيرة، كما رأينا أن تعريفات العملة متنوعة وتختلف من باحث إلى آخر، ومن مفكر إلى آخر، ولكن تجمع بينهم جميعاً أفكار مشتركة وقواسم محددة أهمها:

١. تجاوز الأفكار والخبرات والنظم والسلع والمشكلات لبيئتها المحلية، وعبورها للحدود السياسية والجغرافية على مستوى العالم.
 ٢. تسارع وتيرة الاتصال الدولي وتقدم وسائله مما سهل انتقال كل ما يراد نقله.
 ٣. يتفق معظم الباحثين على أن الهدف من العملة هو هيمنة دول المركز القوية، وفرض أفكارها على دول الأطراف الضعيفة.
 ٤. تراجع قيمة الحدود السياسية وتآكل دور الدولة القومية، وانتهاء هيمنتها السياسية والاقتصادية، وذوبان الحدود والعوائق أمام كل المعطيات والعناصر المكونة للعملة.
 ٥. قيام نظام العملة على عدم الاكتراث بالخصوصيات المحلية والتراثية والبيئية للدول والشعوب، لأن العملة تصنع بآلياتها الجبارة الميزات والخصائص والأجور التي تنسجم مع رواجها ومصالح القائمين عليها.
- والعملة على أنواع هي (٢):

- العملة الاقتصادية : وهي التي تركز بشكل واضح على قاعدة البقاء للأقوى، إذ إن الشركات الصغيرة ليس لها أي قدرة على مواجهة الشركات القوية ذات الهيمنة على السوق العالمي.
- العملة الثقافية : وهي التي تستدرج جميع الشعوب إلى تبني عادات وتقاليد دول أخرى غير دولهم، وذلك من خلال الإعلاميين والكتاب.
- العملة الساسية : وهي التي تسعى إلى جعل معظم الدول ذات النفوذ الضعيف يتبني السياسات الخاصة بدول أخرى.
- العملة العسكرية : وهذه العملة تُحقق أهداف العملة الساسية، من خلال وجود جهاز عسكري يُحقق لها القوة والتهيب لفرض سلطتها وسيطرتها.
- العملة القيمية : فقد تلجأ العديد من الدول إلى إغصاب دول أخرى على أخذ قيمها وأخلاقها، حتى تبدو الدول الضعيفة دون أي قيم أو ثقافات.
- العملة التقنية : وهي التي ظهرت بعد الحرب الباردة التي كانت ترأسها الدول العظمى، ومن أكثر الدول التي تأثرت بها دول العالم الثالث، واستغلت الأولى هذه الأخيرة في دعم التقدم الصناعي والتقني لصالح الدول المهيمنة.

الفرع الثاني

العملة بعد جائحة كورونا

(١) طارق عبد الرؤوف عامر، العملة: مفهومها، أهدافها وخصائصها، موقع العلوم، متاح على الرابط التالي: <http://al3loom.com/?p=64>

(٢) عبد العزيز النصور : العملة والخيارات العربية المستقلة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٥، العدد الثاني، ٢٠٠٩، ص ٢١٢.

اختلفت وجهات النظر والآراء بشأن تأثير نظام العولمة بجائحة كورونا وعن شكل هذا التأثير ، فهناك من يرى أن العولمة لن تنتهي ولكنها ستتبدل. وهناك كثيرون ممن يتوقعون انتهاء العولمة، بعد أن دول العالم بدأت بالانكفاء على نفسها بدلاً من انفتاحها على العالم. لا شك أن العولمة بمفهوم سيطرة اقتصاديات السوق الحرة قد انتهت إلى غير رجعة، بل إن نهاية اقتصاديات السوق الحرة لم تنته على يد كورونا فحسب، وإنما بدأت بالأفول بعد الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨. من الواضح اليوم، أن تدخل الدولة ضروري في بعض القطاعات كالصحة والتعليم والنقل، في حين يجب ابتعادها عن نشاطات أخرى كالتوظيف وإدارة الأنشطة الاقتصادية. لكن الثورة المعرفية وثورة التكنولوجيا ربطتا العالم بشكل لا يمكن تفكيكه، وإنما من الضروري أن تمتد وتتبدل العولمة لتشمل التعاون في مجالات كالوقاية الصحية ومكافحة الأوبئة، وأن تخصص الموارد الكافية لذلك بدلاً من تخصيصها لمجالات كالتسلح مثلاً. لم يخلق فيروس كورونا بسبب العولمة، لكن العولمة هي من ستنتج في محاربه من خلال بلورة رؤية فاعلة، مبنية على انعدام الأنانية والتفاف الأفراد نحو العمل الجماعي وتشارك المعلومة والمعرفة، تماماً كما نجحت في الخروج من أزمات مشابهة شهدناها في العقود الماضية^(١). وفي مقابل ذلك هناك من يرى أن القول إن العولمة لن تنتهي وإنما ستتبدل هو قول مردود ، لأن العولمة في الجمل هي عبارة عن مجموعة قيم تم تسويقها لتحكم وتسود وتنتصر، بل روح لها أصحاب النموذج الليبرالي الأمريكي لتكون خاتمة مسيرة البشر ونهاية التاريخ ويكون إنسانها هو الإنسان الأخير الخاتم بمعناها السياسي، أي أنه لن يأتي بعده إنسان آخر يكون مختلفاً عنه أو لديه قيم أخرى. وان هذه القيم انحارت وبعضها بدأت بالانحيار وهذا ما حصل أيضاً في ظل جائحة كورونا^(٢).

في حين ذهب آراء وتحليلات أخرى إلى أن فيروس كورونا لن يقضي على العولمة - على الأقل لن يحدث ذلك إذا ما تحدثنا عن العولمة على أنها أمر أكبر من مجرد سلاسل التوريد عبر القارات وسفن الحاويات الضخمة. وعلاوة على ذلك، تقوض إشارات الوفاة المبكرة، الناجمة عن الفيروس، التحدي الذي تشكله إدارة العولمة في ظل تحول موازين القوى العالمية. ويركز العديد من هذه التحليلات المحمومة على بُعد واحد من العولمة في إطار زمني ضيق: وهو النمو الهائل، وتكامل الأسواق العالمية على مدار العقود القليلة الماضية. وهذه التحليلات لا تتجاهل فحسب المكونات السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية للعولمة، ولكن أيضاً ما شهدته العولمة من مد وجزر خلال قرن ونصف قرن.

ويرى المحلل جيمس جيبني أنه على المرء أن يسترجع الأحداث التي وقعت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عندما فتحت الإمبريالية العالمية مسارات جديدة للتجارة والاستثمار. وجرى عقد مؤتمرات جديدة شملت مجالات مثل الرياضيات والإحصاء والكيمياء والفلسفة. كما تعاونت السلطات الوطنية المعنية بالصحة العامة من أجل مواجهة أمراض مثل الحمى الصفراء التي انتشرت في رقعة كبيرة وسببت خسائر فادحة من مدريد، إلى هافانا ومفيس، خلال سبعينيات القرن التاسع عشر، وقد ساعد في ذلك الزيادة الكبيرة في التجارة. وتعاونت أيضاً في مواجهة "الطاعون العقدي" أو "الطاعون النزفي"، الذي أصاب المدن الساحلية على نحو دوري خلال العقدين اللذين سبقا اندلاع الحرب العالمية الأولى^(٣).

ويرى أستاذ العلوم السياسية في جامعة جورج واشنطن، البروفيسور هنري فاريل، والمحاضر في جامعة جورج تاون، أبراهام نيومان، أن "فيروس كورونا المستجد يتشكل بطريقة ستكون امتحاناً قوياً للعولمة، ففي الوقت الذي تتحطم فيه سلاسل الإمدادات، وتحاول فيه الدول توفير المواد الطبية والحد من السفر، فإن الأزمة تدفع لإعادة النظر في الاقتصاد العالمي المترابط، فلم تسمح العولمة فقط بانتشار

(١) الوروارى محمد : في زمن كورونا.. هل تُبدل العولمة جلدنا أم تموت؟ مقال منشور على الموقع :

<https://al-ain.com/article/corona>

(٢) الوروارى محمد : في زمن كورونا.. هل تُبدل العولمة جلدنا أم تموت؟ مقال منشور على الموقع :

<https://al-ain.com/article/corona>

(٣) مؤسسة الشروق : فيروس كورونا القاتل لن يقضي على العولمة. <https://www.shorouknews.com/news/view>

المرض المعدى، لكنها عززت أيضا من حالة من الاعتماد المتبادل بين الشركات والدول، بشكل جعلها عرضة للصدمات غير المتوقعة". ويعد الكاتبان أنه "في ظل غياب خيارات إنتاجية آمنة من الفشل فإن هذا يؤدي إلى تحطم سلاسل الإمداد، كما هو الحال في بعض قطاعات الصحة نتيجة لفيروس كورونا، ويتعرض منتجو الإمدادات الطبية لضغوط بسبب زيادة الطلب العالمي، ما أدى إلى تنافس الدول فيما بينها على المصادر، وكانت النتيجة تحولا في ديناميات القوة بين الاقتصاديات العالمية الكبرى مع تلك التي كانت مستعدة لمواجهة الفيروس من خلال حشد المصادر لأنفسهم، أو مساعدة من ليس لديهم، وتوسيع تأثيرها على الساحة الدولية نتيجة لذلك" (١).

الخلاصة :

- نخلص من خلال بحثنا لموضوع مستقبل الديمقراطية في عالم ما بعد كوفيد 19، بمجموعة نتائج نجلها بالاتي :
١. لقد احدث فيروس كورونا تأثيرات مختلفة بالنسبة لانظمة الحكم السياسية بجميع اصنافها وأنواعها، وأبرزها تأثيره على العلاقة بين السلطات، ودوره في إعادة هندسة بعض انظمة الحكم من حيث نطاق المهام والصلاحيات.
 ٢. أوضحت الدراسة تأثير فيروس كورونا في ازدياد هيمنة السلطة التنفيذية ورجحان كفتها في ظل لجوء أكثر الدول في ظل جائحة كورونا الى اعلان حالة الطوارئ ، وتوسع سلطات وصلاحيات الحكومات بشكل كبير وكان ذلك على حساب عمل البرلمانات التي تعذر على كثير منها حتى عقد الاجتماعات .
 ٣. إن ظروف جائحة كورونا قد تقلب معادلة التوازن بين السلطات لانها تجعل السلطة التنفيذية تعمل في ظروف بعيدة عن الرقابة، وهذا الأمر إذا استمر لمدة طويلة قد يكون من شأنه تثبيت تلك الميزة للسلطة التنفيذية في علاقتها مع السلطة التشريعية.
 ٤. إن استخدام سلطات الطوارئ يؤثر أيضا على العلاقة بين مستويات الحكم داخل الدولة وقد يؤدي إلى إعادة هندسة النظام وتلك العلاقة فيما يخص نطاق المسؤوليات والصلاحيات.
 ٥. لقد خلقت أزمة «كورونا» تحديات كبيرة أمام النظام الليبرالي إذ ظهرت مدى عجز وعدم اتزان بعض جوانب النموذج الليبرالي الغربي خصوصا أمام قضيتي الصحة والسلامة والتكاليف الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن الافتقار إلى نظم الصحة والرعاية في جميع الدول وغياب القواعد العالمية لحماية الصحة .
 ٦. عززت أزمة كورونا من تأثير الأحزاب الشعبوية في الدول الغربية والتي باتت تطالب بمزيد من السيادة الوطنية لبلداتها بوجه سياسات التكامل السائدة وتعزيز الإجراءات التي تحد من حرية الحركة والتنقل بين الحدود الوطني وهو أمر سيؤدي في النهاية إلى تغيير الخارطة الحزبية وصعود احزاب يمينية.
 ٧. أوضحت الدراسة التأثيرات المختلفة لجائحة كورونا على الحقوق والحريات وخطورة لجوء السلطات إلى اجراءات وتدابير استثنائية تسببت بالتضييق وتعطيل كثير من الحقوق والحريات وأثرت على قيمها وفلسفتها.

المصادر

الكتب :

- الساعدي د. حميد حنون خالد ، الانظمة السياسية ، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة ، ٢٠٠٨.
- اندرسون ، جورج اندرسون : مقدمة عن الفدرالية ، منتدى الاتحادات الفدرالية، (اوتاوا - كندا) ، ٢٠٠٧.
- السيد علي ، د. سعيد: حقيقة الفصل بين السلطات في النظام السياسي الامريكى، دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٩٩.

(١) هنري فاريل، أبراهام نيومان : فيروس كورونا المستجد كشف عن هشاشة العولمة- <https://arabi21.com/story>

- السلطان ، سمير داود سلمان ، علي مجيد العكيلي : مدى تأثير الظروف الاستثنائية على الشريعة الدستورية: دراسة مقارنة، المركز القومي للاصدارات القانونية، ط١، ٢٠١٥.
- علام ، د. عبد العليم ، دور سلطات الضبط الإداري في تحقيق النظام العام وأثره على الحريات العامة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الحقوق، ١٩٨٨.

القوانين والمواثيق الدولية.

- الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر سنة ١٩٤٨
- دستور الهند لسنة ١٩٥٠ المعدل
- دستور فرنسا لسنة ١٩٥٨ المعدل.
- دستور جمهورية نايجيريا الاتحادية لسنة ١٩٩٩
- دستور جنوب افريقيا لسنة ١٩٩٦ المعدل
- دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥.

المقالات :

- أزمات النموذج الليبرالي والبحث عن بدائل ، محمد بسيوني عبد الحليم مجلة السياسة الدولية، العدد ٢١٨، السنة ٢٠٠٥.
- العولمة والخيارات العربية المستقلة ، النصور عبد العزيز ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٥، العدد الثاني، ٢٠٠٩.

المواقع الالكترونية :

- مستقبل النموذج الليبرالي في عالم ما بعد كورونا ، البستاني جاد مصطفى البستاني واخرون ، مقال متاح على الرابط الالكتروني: <https://webcache.googleusercontent.com/search>
- فوكوياما وتراجع عن الرؤية الأحادية للنموذج الليبرالي ، العليان عبد الله بن علي العليان ، مقال متاح على الرابط الالكتروني: <https://al-sharq.com/opinion/27/09/2015>
- فيروس كورونا المستجد كشف عن هشاشة العولمة، فاريل هنري فاريل، أبراهام نيومان : <https://arabi21.com/story>
- كورونا والبيئة والمناخ.. آثار ثانوية محدودة ، أمل اسماعيل، متاح على الرابط ، <https://covid-19.ecsstudies.com/6794>
- مستقبل الرأسمالية اخبيار "الليبرالية الجديدة" .. الأسواق ليست الحل ، ابو زينة علاء الدين ، (فورين أفيرز) <https://alghad.com/>
- حقائق مفزعة.. بكين كانت تعلم ، نمين سعيد، المركز المصري، <https://covid-19.ecsstudies.com/6805>
- النظام المريض: أزمة النظام العالمي في ظل جائحة كورونا ، حسن فاضل ، مركز أوراسيا للدراسات السياسية <https://katehon.com/ar>
- التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتأكل النيوليبرالية ، الشرفاوي محمد ، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية ، <https://www.politics->
- توصيات للحكومات في التصدي للجائحة " احترموا الحقوق في الاستجابة ل"فيروس كورونا" موقع منظمة هيومن رايتس ووتش، متاح على الرابط الالكتروني: <https://www.hrw.org/ar/news/2020/0>

- الخوف من ديكثاتورية كورونا في اوربا، مقال على موقع كاسل جورنال في ٠١ نيسان/أبريل ٢٠٢٠ . متاح على الرابط الإلكتروني: <https://webcache.googleusercontent.com>
- كورونا وتعزيز نظام الاقتراع الإلكتروني، مركز الامارات للدراسات والبحوث والاستراتيجية ، متاح على الرابط الإلكتروني: https://www.ecssr.ae/reports_analysis
- حقوق الإنسان في عصر كورونا ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث والإستراتيجية ، متاح على الرابط الإلكتروني: https://www.ecssr.ae/reports_analysis/
- العولمة: مفهومها، أهدافها و خصائصها ، عامر طارق عبد الرؤوف ، موقع العلوم، متاح على الرابط التالي: <http://al3loom.com/?p=64>
- الورواري محمد : في زمن كورونا.. هل تُبدل العولمة جلودها أم تموت؟ مقال منشور على الموقع : <https://al-ain.com/article/corona>
- مؤسسة الشروق : فيروس كورونا القاتل لن يقضي على العولمة <https://www.shorouknews.com>

أثار الإغفال التشريعي على فعالية الإدارة في مواجهة فيروس (كورونا)- دراسة في القانون العراقي

د. سري حارث عبد الكريم الشاوي

تخصص قانون عام / تخصص دقيق قانون دستوري/ رئاسة جامعة بغداد / قسم الشؤون القانونية/العراق / بغداد

The effect of the legislative omission on effectiveness of administration in confronting the corona virus

Study in Iraqi law

BY

DR. Sura Harith Abdulkareem

Major public law- a precise major in constitutional law

Presidency of the university of Baghdad- law affairs department

Iraq- Baghdad

Em:dr.suraalshawi2020@gmail.com

ملخص

تعتمد فاعلية التشريعات وجودتها على مدى ارتباطها بالواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والجغرافي والصحي والاخلاقي ، ونقصد هنا بالفاعلية التشريعية مدى استجابة التشريعات التي تسنها السلطة التشريعية المختصة للواقع بوجوهه السابقة كافة إذ إن عدم واقعية التشريعات وقصورها عن معالجة المشاكل كافة التي تواجه المجتمع تجعل من هذه التشريعات منفصلة عن الواقع وتدخل في دائرة الاعتراض التشريعي ، ولكي تكون هذه التشريعات فاعلة وواقعية لا بد أن تكون قادرة على تنظيم كافة الجوانب المتعلقة بالنظام العام وخصوصاً الجوانب المتعلقة بالصحة العامة والأمن والسكينة العامة في المبدأ الاعتيادية وفي المبدأ غير الاعتيادية (الاستثنائية) كحالات الحروب والكوارث وتفشي الأوبئة والجوائح ، وعليه فإن أي إغفال في تنظيم جانب من هذه الجوانب من شأنه أن يعرض الصحة العامة للمجتمع إلى الخطر وهذا ينعكس على الأمن والسكينة العامة واستقرار المراكز القانونية ، وإن الإغفال التشريعي في تنظيم الجوانب كافة المتعلقة بالصحة العامة ينعكس سلباً على فعالية الإدارة التي يقع على عاتقها مهام الضبط الإداري لحفظ النظام العام ومنها مهام الضبط الإداري الصحي في الظروف الاستثنائية وديمومه استمرار المرافق العامة الضرورية ، هذه الدراسة جاءت لتركز على أثار الإغفال التشريعي على فاعلية الإدارة عند مباشرة مهامها في الضبط الإداري الصحي مدة تفشي جائحة فيروس (كورونا) في العراق ، وهل كانت سياسة المشرع بعيدة النظر لتعالج الجوانب كافة المتوقعة في تفشي الفايروس والمرحلة التي تليها ، وما هي المقترحات لتلافي ظاهرة الإغفال التشريعي في التشريعات النافذة ما بعد زوال جائحة فايروس (كورونا) على مستوى أعمال الإدارة المادية والقانونية ، ومدى شرعية هذه الأعمال في ظل غياب التنظيم والمعالجة التشريعية مدة سريان هذه الجائحة .

كلمات مفتاحية: إغفال تشريعي ، الإدارة ، فاعلية ، الضبط الإداري الصحي ، جائحة، فايروس كورونا.

Abstract: The effectiveness and quality of legislation depend on the extent to which it relates to political , economic ,social ,geographical , health and moral realities , so the unrealistic legislation and its failure to address all the problems facing society make these legislation out of reality , this requires this legislation be able to regulate all aspects related to public health in society in exceptional circumstances such as cases of wars ,diseases and pandemics as outbreaks of corona virus in the word ,this study focuses on the effects of legislative omission on the effectiveness of the administration when performing its tasked in health administrative control in exceptional circumstances in light of spread of corona virus pandemic in Iraq in 2020 ,and was the legislators

policy far-sighted to address all aspects expected in the future ,the study also examines the efficiency of the means of physical and legal management to perform health control tasks during the outbreak of corona pandemic and possibility of continuing the necessary public facilities regularly during this period ,this is what will answer in the folds of research .

Keywords: legislative omission, administration, effectiveness, health administrative control, virus, corona pandemic.

المقدمة :

الإغفال التشريعي هو النقص أو القصور الذي يشوب النصوص التشريعية التي تسنها السلطة التشريعية المختصة بمناسبة تنظيم مسألة أو موضوع أو حق أو ضمانة نص عليها الدستور للأفراد أو للأشخاص المعنوية العامة عن عمد أو إهمال من جانب المشرع ، وقد ينجم الإغفال التشريعي عن غياب النص الذي ينظم الحالة التي تحتاج إلى تنظيم نتيجة لاحجام المشرع عن القيام بواجبه الدستوري بالتشريع وهو ما يعرف فقهاً بالإمتناع التشريعي، ويترتب على ذلك وجود فراغ تشريعي يخل أو ينتقص بالحقوق والضمانات أو المسائل التي توجد ضرورة تشريعية لسنها أو يقلل من فاعليتها ، فغياب النص يؤدي إلى حالة إغفال تشريعي تام ، والنقص والقصور بالتنظيم يجعلنا أمام إغفال تشريعي نسبي ، والإغفال التشريعي إذا كان تاماً أم نسبياً -أي في حالة غياب النص أو قصوره - فان ذلك من المؤكد يؤثر على سلطات الإدارة التي يجب ان تتمتع بها في ظل الظروف الاستثنائية ، التي تحتاج لصلاحيات أوسع من صلاحياتها في الظروف العادية ، فإذا كانت النصوص التشريعية لا تسعف موقف الإدارة في توفير التدابير التشريعية اللازمة فإن ذلك من شأنه أن يخرق مبدأ المشروعية الذي يحكم عمل الإدارة في كل الأحوال والظروف الاعتيادية والاستثنائية ، وحتى تباشر الإدارة أعمالها المادية والقانونية في إطار المشروعية لابد ان تستند في ذلك إلى نصوص تشريعية تمثل الإطار القانوني لعمل الإدارة في الازمات التي تعرف (بمشروعية الازمات) ، لضمان عدم تعسف الإدارة في إصدار قرارات من شأنها المساس أو الحد من حرية الأفراد أو الانتقاص من حقوقهم ، وتؤمن الاطار القانوني لإدارة المرافق العامة في الطرف الاستثنائي بكفاءة وديمومة وجوده من خلال وسائل تكنولوجية حديثة والإفادة من تطبيقات الحكومة الإلكترونية ، مع تأمين آليات واضحة لخضوع تصرفات الإدارة للرقابة خلال هذه المدة أو بعدها .

مشكلة البحث :

تتمثل مشكلة البحث في غياب التنظيم القانوني الدقيق والأطر التشريعية الواضحة التي تنظم عمل الإدارة لمواجهة الازمات كالأوبئة والكوارث في ظل الظروف غير الاعتيادية ، وهذا من شأنه أن يضعف فاعلية الإدارة في اتخاذ القرارات وإدارة الازمات لاسيما إذا كانت متعلقة بالصحة العامة في حال انتشار وباء او جائحة كفايروس كورونا الذي من شأنه شل المرافق العامة الإدارية والاقتصادية والقطاع الخاص ، فضلا عن تعريض الصحة العامة وحياة الأفراد لخطر الهلاك ، وهذا يقتضي وجود تدخل تشريعي لمعالجة النقص أو القصور التشريعي والإفادة من التجربة العملية في جانبها الإيجابي ووضعها في إطار تشريعي لتفادي سلباتها في المستقبل .

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تشخيص النقص والقصور في النصوص التشريعية القائمة ، وتحديد الآثار التي ترتبت على هذا النقص أو القصور لغرض معالجتها تشريعياً بعد زوال جائحة فيروس (كورونا) والاستفادة من التجارب العملية في الجوانب التشريعية ، وتهدف الدراسة إلى تحديد مكامن الضعف في بعض التشريعات ذات العلاقة بموضوع الدراسة وأثرها على فاعلية الإدارة في مباشرة أعمالها خلال مدة تفشي جائحة (كورونا) وما بعدها .

منهجية البحث:

تم اعتماد المنهج الاستنتاجي والتحليلي المقارن سواء ما تعلق بالنصوص القانونية أم الدستورية لإعداد هذه الدراسة .

خطة البحث :

تم تقسم الدراسة على مبحثين أساسيين ، خصصنا الأول منه لمبحث آثار الإغفال التشريعي على فاعلية الإدارة في مجال الضبط الإداري في ظل سريان جائحة (كورونا) ، وقسمناه على مطلبين ، خصصنا الأول منه لدراسة أثر الإغفال التشريعي على فاعلية الإدارة في الحفاظ على الامن والسكينة العامة في ظل انتشار جائحة (كورونا) وإعلان السلطات الصحية لحظر التحول التام والجزئي ، ومبحثنا في المطلب الثاني أثر الإغفال التشريعي على فاعلية الإدارة في مجال الضبط الإداري الصحي وحماية الصحة العامة للمجتمع العراقي .

أما المبحث الثاني فقد بينا فيه أثر الإغفال التشريعي على الأعمال القانونية للإدارة في ظل تفشي جائحة (كورونا) ومدى نجاعة وفاعلية وسائل الإدارة في هذا الظرف ، وقد قسمناه على مطلبين خصصنا الأول منه لدراسة فاعلية التنظيم القانوني للقرار الإداري في مواجهة فيروس (كورونا) ، ومبحثنا في المطلب الثاني منه مدى فاعلية التنظيم القانوني للعقود الحكومية ومدى مكنة الإدارة في ابرام وإدارة عقودها ومتابعتها في ظل تفشي فايروس (كورونا) ومدى استجابة النصوص التشريعية لتسهيلات التكنولوجيا في هذا المجال . واختتمنا البحث بملخصه ومركزة تتضمن الاستنتاجات والتوصيات التي توصلنا اليها .

المبحث الأول

آثار الإغفال التشريعي على فاعلية الإدارة في مجال الضبط الإداري

في ظل سريان جائحة (كورونا)

يُعد الضبط الإداري من أهم وظائف الإدارة في الدول الحديثة، والضبط الإداري وفقاً لمدلوله العضوي يعني الهيئات والأجهزة الإدارية التي تتولى الحفاظ على النظام العام كأجهزة وزارة الداخلية وأجهزة وزارة الصحة والأجهزة البلدية... الخ، أما المدلول الوظيفي للضبط الإداري فهو ينصرف إلى النشاط الذي تباشره الأجهزة المعنية بحماية النظام العام بعناصره الثلاث المتمثلة بالأمن العام والصحة العامة والسكينة العامة^(١)، وحتى تستطيع هذه الأجهزة المعنية بحفظ النظام العام القيام بواجباتها الضبطية لابد من وجود تشريعات تدعم عمل وطبيعة نشاط هذه الأجهزة بما يساعدها على تحقيق أهدافها في الضبط الإداري وحماية المصالح العليا للمجتمع وخصوصاً في ظل الظروف غير الاعتيادية كحالات الحروب والكوارث والجوائح الخطيرة كجائحة (كورونا) التي تهدد استقرار المجتمع من النواحي الصحية والأمنية والاقتصادية، وبالتالي فإن فاعلية أجهزة الإدارة تعتمد على مدى فاعلية وواقعية وإستجابة التشريعات النافذة ومشروعيتها بما يسمح بمواجهة مثل هذه الظروف غير الاعتيادية بكفاءة وفاعلية، وفي هذا المبحث سنحاول التركيز على القصور في التشريعات التي يفترض أن تكون داعمة لنشاط الإدارة في مواجهة هذا الفايروس في جانبي الأمن والسكينة العامة والصحة العامة في المطالب الآتية :

المطلب الأول

أثر الإغفال التشريعي على فاعلية الإدارة في الحفاظ على الأمن والسكينة العامة

يعني الأمن العام إطمئنان الإنسان على نفسه وماله من خطر الاعتداءات التي يمكن أن تقع عليه سواء كانت هذه الاعتداءات تتمثل بالجرائم أو الفتن أو الاضطرابات أو الكوارث أو الأوبئة ويتحقق ذلك من خلال إتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة هذه الاعتداءات أو أخطار الطبيعة أو الأوبئة، في حين ينصرف مفهوم السكينة العامة إلى المحافظة على حالة الهدوء والسكون في الطرق والأماكن العامة ومنع كل ما من شأنه إقلاق راحة المواطن^(٢)، والذي يعنينا في هذا المجال هو الإجراءات والتدابير التي تتخذ

(١) ينظر : د. ماهر صالح علاوي الجبوري، القانون الإداري، ط١، الذكرة للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٧، ص١٢١ وما بعدها.

(٢) ينظر : د. علي محمد بدير ود. مهدي ياسين السلامي ود. عصام عبد الوهاب البرزنجي، مبادئ وأحكام القانون الإداري، جامعة بغداد، كلية القانون، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٣، ص٢١٦ و٢١٨.

من قبل الإدارة وأجهزتها التنفيذية في مواجهة الاضطرابات والقلق التي يمكن أن تحدث بسبب إنتشار جائحة خطيرة كجائحة كورونا وأثر ذلك على حرية المواطنين في التنقل والتبضع والإطمئنان على صحة أفراد الأسرة وعدم إزعاجه بالشائعات والأخبار غير الحقيقية التي من شأنها أن تقلق راحته وتهدم من معنوياته، فواجبات الإدارة لا تقتصر على التدابير المادية المتمثلة بالحجر الصحي المناطقي أو إغلاق الطرق تنفيذاً لحظر التجوال وإنما تنصرف أيضاً إلى حماية ممتلكات المواطنين خلال فترة الحظر ومنع إزعاجهم أثناء مكوثهم في البيوت ومنع الشائعات التي تخل بهذه السكينة وهذا يتطلب أن يكون للاجهزة المعنية بفرض هذه الإجراءات الأطر القانونية التي تضمني على هذه الأنشطة صفة المشروعية حتى في الظرف الطارئ وهذا يتطلب وجود نظام قانوني يتقرر بمقتضى الدستور والقوانين لحماية المصالح الوطنية ولا يلجأ لها إلا بصفة استثنائية ومؤقتة لمواجهة الظرف الطارئ الذي يمتنع عن الإدارة مواجهتها بوسائلها في الظروف العادية^(١).

ويلاحظ لأن الحكومة العراقية بعد تفشي فايروس كورونا قد عجزت عن إعلان حالة الطوارئ رغم أنها قد اتخذت قرارات من شأنها المساس بالحقوق والحريات العامة، كحرية الإقامة والتنقل والحق في الخصوصية وحق التجمع والاجتماع والحق في التعليم والعمل^(٢)، وهذه القرارات ومنها فرض حظر التجوال وإغلاق المناطق السكنية ومحاسبة المخالفين من قبل القوات الأمنية أشبه بفرض حالة الطوارئ بدون سند قانوني ومن قبل جهة غير مختصة بفرض حالة الطوارئ وهذا يُعد خرقاً لدستور جمهورية العراق الذي حضر تقييد ممارسة أي من الحقوق والحريات أو تحديدها إلا بقانون أو بناءً عليه، كما حضر أن يمس ذلك التقييد أو التحديد جوهر الحق أو الحرية^(٣).

والسبب في ذلك يرجع إلى قصور التشريعات النافذة التي أغفلت معالجة كل الجوانب التي يقتضي معالجتها من جانب المشرع لتكون هذه التشريعات قابلة للتطبيق وفعالة في ظل الظروف الطارئة، وأهم هذه التشريعات التي لها مساس مباشر بالحقوق والحريات العامة هو أمر الدفاع عن السلامة الوطنية رقم (١) لسنة ٢٠٠٤^(٤)، وقد طبق الأمر المذكور عملياً أول مرة وأعلنت حالة الطوارئ بتاريخ ٧ / تشرين ثاني / ٢٠٠٤ وتم تمديد حالة الطوارئ بموجب الأمر الرئاسي رقم (١٨) لسنة ٢٠٠٥^(٥)، إلا أنه بعد صدور دستور ٢٠٠٥ الذي نظم حالة الطوارئ في نصوص دستورية^(٦) لم يعد بالإمكان تطبيقه لتعارضه مع نصوص الدستور وللقصور التشريعي الذي يشوبه وإغفاله تنظيم الكثير من المسائل المتعلقة بحالة الطوارئ ومنها ما يتعلق بموضوع الأوبئة والجوائح، وسنحاول إلقاء الضوء على أهم مواطن الإغفال التشريعي في القانون المذكور التي حالت دون تطبيقه خلال فترة إنتشار جائحة (كورونا) وكما يأتي :

١- عرفت المادة (١) من أمر الدفاع عن السلامة الوطنية حالة الطوارئ بأنها الحالة التي يتعرض لها الشعب العراقي لخطر حال جسيم يهدد الأفراد في حياتهم وناشئ عن حملة مستمرة للعنف من أي عدد من الأشخاص لمنع تشكيل حكومة واسعة التمثيل في العراق وتعطيل المشاركة السياسية السلمية لكل العراقيين أو أي غرض آخر، ويلاحظ على هذا التعريف أنه

(١) ينظر : د. أحمد فتحي سرور، الحماية الدستورية للحقوق والحريات العامة، ط١، دار الشروق، بيروت، لبنان، ١٩٩٩، ص٧٨٥.

(٢) لمزيد من التفصيل ينظر : د. حميد حنون خالد، حقوق الإنسان، مكتبة السنهوري، بيروت، ٢٠١٥، ص٧٣ وص٧٥، ص٨٩، ص١٣٤.

(٣) المادة (٤٦) من دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥.

(٤) سبق هذا الأمر التشريعي قوانين نظمت حالة الطوارئ ومنها مرسوم الطوارئ رقم (٥٧) لسنة ١٩٣٩ والقانون رقم (١٠) لسنة ١٩٤٠ وقانون السلامة الوطنية رقم

(٤) لسنة ١٩٦٥ وأخرها الأمر التشريعي رقم (١) لسنة ٢٠٠٤ أمر الدفاع عن السلامة الوطنية وسمي بالأمر التشريعي لأن رئيس الوزراء في حينه يملك السلطة

التشريعية والتنفيذية ونشر الأمر في جريدة الوقائع بالعدد ٣٩٨٧ في أيلول / ٢٠٠٤.

(٥) ينظر : القاضي سالم رمضان الموسوي، حظر التجوال الكلي أو الجزئي والموقف الدستوري، مقالة منشورة في صفحة الحوار المتمدن العدد (٦٣٩٦) في ٢٠١٩/١١/١

على الموقع الإلكتروني : www.ahewar.org.

(٦) المادة (٦١ / ٦١) من دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥.

حصر مفهوم حالة الطوارئ بالخطر الحال الجسيم الناجم عن العنف السياسي الذي من شأنه تعطيل المشاركة السياسية والانتقال السلمي للسلطة وأغفل مد نطاق حالة الطوارئ لتشمل حالات أخرى كوقوع حالة حرب أو التهديد بوقوعها أو حالات وقوع الكوارث وانتشار الأمراض والأوبئة التي تهدد حياة المجتمع العراقي، فالخطر لا يقتصر على العنف السياسي والاضطرابات الداخلية وإنما يشمل الكوارث والأوبئة وكل ما من شأنه تهديد حياة أفراد المجتمع، حيث ربط المشرع مفهوم حالة الطوارئ بالخطر الجسيم الحال الناشئ عن العنف المستمر واخرج من نطاق حالة الطوارئ الأخطار ذات المنشأ الطبيعي كالكوارث العامة والأخطار الناجمة عن أخطاء الإنسان وانتشار الأمراض والأوبئة وهذا الإغفال التشريعي جعل من الصعوبة إدخال جائحة (كورونا) كسبب لإعلان حالة الطوارئ، وبالمقابل نجد التشريعات المقارنة قد أدخلت إلى جانب العنف والاضطرابات الداخلية حالات الحروب والكوارث العامة وانتشار الأوبئة كسبب يبرر إعلان حالة الطوارئ^(١)، ولما تقدم فإننا لا نتفق مع الرأي الذي يذهب إلى كون عبارة (خطر حال جسيم) التي استخدمها المشرع العراقي بأنها عبارة عامة وغير محددة وفضفاضة وقابلة للتفسير الواسع وخلق مصادر مختلفة للخطر^(٢) لأنه قرن مصدر الخطر بالعنف المتعلق بمنع تشكيل الحكومة وتعطيل المشاركة السياسية السلمية حصراً.

٢- عدم ملائمة الأحكام الخاصة بالجهة المختصة بإعلان حالة الطوارئ ومدتها وتمديد مدة الطوارئ والرقابة على الإجراءات المتخذة خلال فترة الطوارئ الواردة في الأمر التشريعي رقم (١) لسنة ٢٠٠٤ مع الأحكام الواردة في دستور ٢٠٠٥ وبالتالي فإن تطبيق هذا الأمر التشريعي يجعل من الإجراءات غير دستورية، فوفقاً للأمر التشريعي فإن من يملك إعلان حالة الطوارئ هو رئيس الوزراء بموافقة هيئة الرئاسة بالإجماع ولمدة (٦٠) يوماً قابلة للتمديد بنفس الآلية^(٣) وتخضع قرارات وإجراءات رئيس الوزراء لرقابة محكمة التمييز ومحكمة التمييز في كردستان فيما يتعلق بإجراءات الطوارئ في إقليم كردستان وإنهاءً بالمحكمة الاتحادية العليا التي تقر بطلان هذه الإجراءات أو عدم مشروعيتها أو إقرارها^(٤).
في حين أن دستور ٢٠٠٥ قد أناط اختصاص إعلان حالة الطوارئ بمجلس النواب العراقي وبناءً على طلب مشترك من رئيس مجلس الوزراء ورئيس الجمهورية ولمدة (٣٠) يوماً قابلة للتمديد من مجلس النواب بموافقة جديدة، وجعل مجلس النواب هو الجهة التي تتولى الرقابة على الإجراءات المتخذة والنتائج خلال فترة إعلان حالة الطوارئ خلال فترة خمسة عشر يوماً من إنتهاءها^(٥) وبذلك يكون المشرع الدستوري قد ألغى ضمناً الأحكام الواردة في أمر الدفاع عن السلامة الوطنية رقم (١) لسنة ٢٠٠٤ ويجعل ركون الحكومة إليه مخالف للدستور، وهنا يجب أن نؤشر على المشرع العراقي أغفاله تعديل نصوص هذا القانون ليكون متوائماً مع النص الدستوري، أو الغائه وإصدار تشريع جديد ينظم حالة الطوارئ

(١) نصت المادة (١) من قانون الطوارئ الفرنسي لسنة ١٩٥٥ المعدل على إعتبار الكوارث العامة ضمن المخاطر الموجبة لإعلان حالة الطوارئ، وكذلك نصت المادة (١) من القانون رقم (١٦٢) لسنة ١٩٥٨ بشأن إعلان حالة لظوارئ في مصر على إعتبار الحروب أو التهديد بوقوعها والاضطرابات الداخلية والكوارث العامة وانتشار الأوبئة سبباً لإعلان حالة الطوارئ، لمزيد من التفصيل ينظر : د. أحمد طلال عبد الحميد البديري، أثر حالة الطوارئ في توسيع صلاحيات السلطة التنفيذية، ط١، مكتبة القانون والقضاء، بغداد، ٢٠١٣، ص٧.

(٢) رأي للباحثين د. ماهر فيصل صالح ود. إنتصار حسن عبد الله ومصطفى طلاع خليل، حالة الطوارئ في ظل دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥، الحلول والمعالجات، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية، كلية القانون، جامعة بغداد، عدد خاص لبحوث مؤتمر فرع القانون العام المنعقد تحت عنوان "الإصلاح الدستوري والمؤسسي الواقع والمأمول" للمدة من (١٣ - ١٤ / ١١ / ٢٠١٨)، ص١٦٢.

(٣) المادة (٢) من أمر الدفاع عن السلامة الوطنية رقم (١) لسنة ٢٠٠٤.

(٤) المادة (٩) من أمر الدفاع عن السلامة الوطنية رقم (١) لسنة ٢٠٠٤.

(٥) المادة (٦١ / ٦١) من دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥، وحول الرقابة القضائية على حالة الطوارئ بموجب أمر الدفاع عن السلامة الوطنية رقم (١) لسنة ٢٠٠٤ والانتقادات الموجهة لها ينظر : فارس عبد الرحيم حاتم وسنان طالب عبد الشهيد، حالة الطوارئ بموجب أمر الدفاع عن السلامة الوطنية رقم (١) لسنة ٢٠٠٤ والرقابة القضائية عليها، بحث منشور في مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، العدد (٩)، ٢٠٠٨، ص١٨٢ وما بعدها.

ولاسيما أن الفقرة (تاسعاً / ج) من المادة (٦١) من دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ تضمنت الزاماً دستورياً على المشرع بإصدار قانون ينظم صلاحيات رئيس الوزراء خلال مدة إعلان حالة الحرب أو الطوارئ وهذا يشكل إمتناعاً تشريعياً من جانب مجلس النواب العراقي عن مباشرة إختصاصه التشريعي من شأنه أن يثير مسؤوليته السياسية.

٣- ولتدارك هذا الاغفال التشريعي ندعو المشرع العراقي إلى اصدار قانون جديد ينظم إعلان حالة الطوارئ وفقاً للمبادئ الدستورية مع تحديد الحالات الموجبه لاعلان حالة الطوارئ (كالجرب والقلاقل والاضطرابات الداخلية، والكوارث العامة، والأمراض والأوبئة) وعدم قصرها على الحالة الناشئة (حملة مستمرة للعنف) الواردة في المادة (١) من أمر الدفاع عن السلامة الوطنية، كذلك يتضمن آلية إعلان حالة الطوارئ ومدة الطوارئ وتمديدتها وصلاحيات رئيس مجلس الوزراء، ونرى ضرورة اخضاع قرارات رئيس الوزراء لرقابة القضاء الاداري ممثلة بمحكمة القضاء الاداري كدرجة أولى والمحكمة الادارية العليا كدرجة نهائية لكون الدستور العراقي أقر النظام القضائي المزدوج^(١)، وعليه فإن اخضاع قرارات رئيس الوزراء لرقابة محكمة التمييز الاتحادية فيه خرق لاختصاص القضاء الاداري، كما لا يمكن عد قرارات رئيس الوزراء من أعمال السيادة لأن الدستور العراقي حظر النص في القوانين على تحصين أي عمل أو قرار إداري من الطعن^(٢)، كما نرى أيضاً ومن مقتضيات العقلنة البرلمانية منح السلطة التنفيذية صلاحية إصدار لوائح (أنظمة) الضرورية في ظل حالة الطوارئ لتلافي مشاكل أو صعوبات انعقاد البرلمان خلال الظرف الطارئ كما حصل في ظل جائحة (كورونا) على أن تعرض أنظمة الضرورية على البرلمان حال إمكانية انعقاده لاقراها^(٣) وهذا يتطلب إجراء تعديل دستوري على البند (تاسعاً) من المادة (٦١) من الدستور والبند (ثالثاً) من المادة (٨٠) من الدستور التي قصرت صلاحية مجلس الوزراء على إصدار الأنظمة التنفيذية فقط.

المطلب الثاني

أثر الاغفال التشريعي على فاعلية الادارة في مجال الضبط الاداري الصحي

الضبط الإداري الصحي هو مجموعة الوسائل والإجراءات التي تتخذها السلطات الادارية الصحية بهدف المحافظة على صحة المواطنين ووقايتهم من الأمراض والعمل على منع انتشار الأوبئة، وإتخاذ الإجراءات الاحتياطية من كل ما يكون سبباً أو يحتتمل أن يكون سبباً للمساس بالصححة سواء أكان مصدره الانسان أم الحيوان أم الأشياء^(٤)، وما يتعلق بموضوع بحثنا وهو الإجراءات المتعلقة بالاحتياط ومكافحة تفشي الأمراض المعدية والأوبئة والجوائح وتفادي مخاطرها لضمان إستتباب السلامة الصحية ضد هذه المخاطر حتى أمسى مفهوم الصحة العامة وحماية البيئة من التلوث وذلك بمنع الأوبئة ومكافحة التلوث من القيم الإجتماعية التي تسعى النظم القانونية إلى تحقيقها^(٥).

ومن المؤكد أن مثل هذه الإجراءات والوسائل يجب أن تكون مستندة إلى غطاء تشريعي يجعل هذه الإجراءات والوسائل في إطار المشروعية ولاسيما في الظرف الطارئ، وقد سبق وأن بينا في المطلب الأول إغفال المشرع العراقي عن إيجاد تنظيم قانوني متكامل لحالة الطوارئ وسهل التنفيذ لأن تشريع الطوارئ النافذ لم يدخل الأمراض والأوبئة ضمن الأسباب التي تستدعي إعلان حالة الطوارئ، ولذلك نرى أن إجراءات الإدارة والقرارات التي أصدرتها اللجنة المشكلة بموجب الأمر الديواني (٥٥) لسنة ٢٠٢٠

(١) المادة (١٠١) من دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥.

(٢) المادة (١٠٠) من دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥.

(٣) لمزيد من التفصيل حول لوائح الضرورية ينظر : د. عبد العظيم عبد السلام عبد الحميد، العلاقة بين القانون واللائحة، دراسة مقارنة لتطور العلاقة بينهما في كل من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية والعالم العربي، بدون دار نشر، القاهرة، ١٩٨٥، ص١٣٧ وما بعدها.

(٤) ينظر : د. محمد فوزي نويجي، الجوانب النظرية والعملية للضبط الإداري، دراسة مقارنة، ط١، دار الفكر والقانون، مصر، ٢٠١٦، ص٦٤.

(٥) ينظر : د. سامي جمال الدين، أصول القانون الإداري، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص٥٠١.

واللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية الخاصة بمكافحة فيروس (كورونا) المشكلة بموجب قرار مجلس الوزراء رقم (٧٩) لسنة ٢٠٢٠ قد استندت إلى تشريعات تتضمن هذه الإجراءات والقرارات ومنها حظر التجوال الكلي والجزئي وتعطيل الدوام الرسمي في الجامعات والمعاهد والمؤسسات التربوية وتعليق الرحلات الجوية وغلق الأماكن العامة كالمولات والمطاعم والمقاهي ومنع الزيارات في المواقف والسجون تعد إجراءات غير اعتيادية لا تُتخذ إلا في ظل ظروف إستثنائية.

ويلاحظ أن السلطات الصحية قد قامت بإتخاذ كافة الإجراءات التي تدخل في صلاحيات وزير الصحة في مواجهة الأمراض الانتقالية^(١)، إلا أن السلطات الصحية لم تحدد فايروس (كورونا) باعتباره أحد الأمراض الانتقالية إذ أن الأمراض الانتقالية والمتوطنة يجب أن تحدد بموجب تعليمات يصدرها وزير الصحة^(٢) ويمكن أن نسجل على قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لسنة ١٩٨١ المعدل أهم نقاط الضعف التي تقلل من فاعلية القانون المذكور في مواجهة الأمراض والأوبئة وأيضاً تقلل من فاعلية السلطات الصحية في التصدي ومواجهة الأمراض والأوبئة الخطيرة وكما يأتي :

١- بالرجوع إلى نصوص قانون الصحة العامة نجد أنها قد أعطت لوزير الصحة صلاحية فرض حالة الطوارئ الصحية التي من شأنها تقييد الحريات العامة وممارسة إجراءات وتدابير للسيطرة على الأمراض الانتقالية ومنع إنتشارها ومن هذه الصلاحيات (إعلان منطقة موبوءة، تقييد حركة المواطنين داخل المنطقة الموبوءة ومنع الدخول والخروج منها، غلق المحلات العامة كدور السينما والمقاهي والملاهي والمطاعم والفنادق والحمامات، منع بيع الأغذية والمشروبات، منع إنتقال الحيوانات، وضع اليد على وسائل النقل، وضع اليد على النباتات والحيوانات المشتبه بكونها خازنة أو ناقلة للمرض، دخول دور السكن والمحلات العامة لإجراء التفتيش الصحي والكشف الصحي وأخذ نماذج التحليل المختبري، إجراءات رش المبيدات والمعقمات، إجراءات المراقبة والعزل والحجر، المنع من العمل أو الدوام في المؤسسة التعليمية... الخ)^(٣)، إلا أن المشرع أغفل تنظيم بعض الجوانب في هذا القانون فالضبط الإداري الصحي يجب أن يكون مقرون بالضبط الإداري الأمني وهذا يقتضي تنظيم آليات التعاون والإنتقال والتنسيق مع هذه الجهات، كذلك يجب تحديد الجهة المسؤولة عن تنفيذ قرارات وزير الصحة فالكوادر الصحية لا يمكن لها تقييد حركة المواطنين أو غلق المحلات العامة وهذا يتطلب أن يتم تنظيم ذلك في صلب القانون.

٢- إن إجراءات وزير الصحة بموجب قانون الصحة العامة يتعارض مع أمر الدفاع عن السلامة الوطنية رقم (١) لسنة ٢٠٠٤ والدستور لأن أمر الدفاع عن السلامة لم يعد حالة إنتشار الأمراض والأوبئة من حالات إعلان الطوارئ، كما أن الدستور منع تقييد الحريات إلا في حالات الطوارئ ولمدة محدودة وتكون خاضعة لرقابة القضاء والبرلمان، في حين أن إجراءات وزير الصحة وردت بقانون يتعلق بالصحة العامة ويتضمن إجراءات لا تفرض إلا في حالة طوارئ ضمن قانون طوارئ وهذا يؤدي إلى تضارب الإجراءات وضياع المسؤوليات والتجاوز على الحقوق والحريات العامة بدواعي الطوارئ الصحية، ولذلك فإن السلطات الصحية لم تستطع تنفيذ قراراتها لمواجهة فايروس كورونا إلا بتدخل القوات الأمنية لتنفيذ هذه القرارات، وهذا التدخل كما بينا يفتقر للغطاء التشريعي ولذلك نرى ضرورة تنظيم حالة الطوارئ الصحية ضمن قانون الطوارئ الذي يجب تشريعه ورسم آليات التعاون والتنسيق بين السلطات الصحية والأمنية لتحديدات الواجبات والمسؤوليات.

(١) عرفت المادة (٤٤) من قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لسنة ١٩٨١ المعدل المرض الإنتقالي بأنه (المرض الإنتقالي هو المرض الناجم عن الإصابة بعامل معد أو السموم المولدة عنه والذي ينتج عن إنتقال ذلك العامل من المصدر إلى المضيف بطريقة مباشرة أو غير مباشرة).

(٢) المادة (٤٥) من قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لسنة ١٩٨١ المعدل.

(٣) المواد (٤٦) و(٤٧) و(٤٩) و(٥١) و(٥٢) و(٥٤) من قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لسنة ١٩٨١ المعدل.

٣- ونلاحظ أن قانون الصحة العامة رغم الصلاحيات الواسعة للسلطات الصحية التي سبق الإشارة إليها إلا أنه لم يعطي لموظفي وزارة الصحة أو الموظفين المكلفين بتنفيذ قرارات وزير الصحة السلطات الضبطية لضمان تنفيذ هذه القرارات في حال تفشي الأمراض والأوبئة الخطيرة، كما أن الجهات الأمنية لا تملك مثل هذه الصلاحيات ولذلك فإن ما ورد في قرارات اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية بخصوص فرض الغرامات على المواطنين في حال عدم إتخاذ الإحتياطات الصحية (كلبس الكمامة والكفوف والتباعد الإجتماعي) يواجه صعوبات في التنفيذ من قبل الكوادر الصحية والأمنية المكلفة بمتابعة تنفيذ القرارات وكل ما يملكه رجال الشرطة إحالة المخالفين إلى قضاة التحقيق لتحريك الشكوى القضائية بحقهم وفق المادة (٢٤٠) من قانون العقوبات رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ المعدل عن جريمة مخالفة الأوامر الصادرة من موظف أو مكلف بخدمة عامة أو من مجالس البلدية أو هيئة رسمية أو شبه رسمية ضمن سلطاتهم القانونية أو في حالة ارتكابه أحد الجرائم المتعلقة بالصحة العامة^(١)، وعليه فإن منفذ هذه القرارات لا يستطيع فرض الغرامات الفورية على المخالفين وأن إتخاذ الإجراءات القانونية في ظل تفشي الأمراض والأوبئة وبسبب طول الإجراءات وبيروقراطيتها فإنها قد تؤدي إلى إصابة الشخص المخالف في حال إيداعه بالمواقف وإصابة الموقوفين ورجال الشرطة إذا كان المخالف هو مصاب بالمرض، لذا نرى من الضروري منح الجهات المنفذة للقرارات الصحية سلطات ضبطية منظمة بموجب القانون تتيح إتخاذ الإجراء الرادع الفوري بحق المخالف مباشرة وضمن إطار نظام قانوني متكامل لفرض حال الطوارئ.

٤- يلاحظ أن قانون الصحة العامة قد نظم إجراءات نقل الجنازات ودفن الموتى ونظم بشكل دقيق حالة نقل جثة من خارج العراق إلى العراق وبالعكس إذا كان سبب الوفاة مرض إنتقالي لا يخضع للوائح الصحية الدولية، حيث أوجب لف الجثة بقماش مشبع بمحلول مطهر ويوضع في تابوت معدني يُحکم إقفاله بواسطة اللحيم بحضور القنصل العراقي أو من يمثله ويوضع داخل صندوق خشبي لا يقل سمكه عن (٢سم) وتكون جوانبه غير قابلة لنفاذ السوائل ويحکم إقفاله بواسطة مسامير لولبية ويختم الصندوق بختم القنصلية أو من يقوم مقامها^(٢)، كما نظم القانون نقل الجثث داخل العراق إذا كان الدفن يتم داخل العراق خلال (٣٦) ساعة من وقت حدوث الوفاة^(٣)، إلا أن المشرع أغفل تنظيم إجراءات نقل ودفن الجثث التي يكون سبب وفاتها مرض إنتقالي خطير أو وباء داخل العراق، كما لم ينظم القانون المذكور أي إجراءات أو بروتوكولات تتعلق بمراسم التجهيز والنقل والتغسيل والدفن بصورة آمنة وكرامة كما لم تصدر وزارة الصحة تعليمات نشرت بالجريدة الرسمية لهذا الغرض بإستثناء إجراءات مقتضبة صدرت بموجب كتاب رسمي من دائرة الطب العدلي بتاريخ ٢٠٢٠/٣/١٥^(٤)، وهذا يقتضي من وجهة نظرنا تعديل القانون المذكور مستقبلاً لإدخال آليات ومراسم تجهيز ونقل ودفن الموتى وأماكن الدفن وشروطها الصحية بالنسبة لموتى الأمراض الإنتقالية الخطيرة في العراق، ونقترح على المشرع الاسترشاد (بالدليل الإرشادي لدفن موتى كورونا) الذي أعدته منظمة الصحة العالمية (who) والبروتوكولات السابقة الصادرة عن هذه المنظمة كالبروتوكول الجديد الخاص بدفن موتى مرض (ايبولا) مثلاً^(٥)، كما يجب وضع القواعد والإجراءات لإختيار وتحديد مقابر لدفن موتى الأمراض والأوبئة الخطيرة بشكل آمن صحياً وبعيداً عن الأماكن السكنية

(١) المواد (٤٩٦ إلى ٤٩٩) من قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ المعدل.

(٢) المادة (٥٨ / أولاً / هـ) و(٥٨ / ثانياً / ثالثاً) من قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لسنة ١٩٨١ المعدل.

(٣) المادة (٦٠) من قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لسنة ١٩٨١ المعدل.

(٤) ينظر كتاب دائرة الطب العدلي التابعة لوزارة الصحة العراقية بالعدد / د. ط. ع / ٢ / أ. ف / (١٠٣٤٧) في ٢٠٢٠/٣/١٥ تحت عنوان (إجراءات الدفن

للمرضى المتوفين نتيجة الإصابة بفايروس كورونا المستجد (19 - covid)، الكتاب منشور على موقع شفق الالكتروني : www.shafaaq.com.

(٥) ينظر موقع منظمة الصحة العالمية (WHO) باللغة العربية على الرابط الالكتروني : www.who.int.

ولاسيما أن هنالك فتاوى دينية صدرت في العراق تمنع الدفن في المقابر العامة^(١)، ومن المؤكد أن مثل هذا التعديل سيزيد من فاعلية السلطات الصحية في إتخاذ قرارات سريعة ومنظمة في تجهيز ونقل ودفن موتى الأمراض الانتقالية، وعدم الاعتماد على القرارات والتوجيهات الآتية التي قد تخلق حالة من الإضطراب والأخطاء.

٥- ضرورة تحديث تعليمات تحديد الأمراض الانتقالية رقم (١) لسنة ٢٠٠٧^(٢)، إذ أوجبت المادة (٤٥) من قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لسنة ١٩٨١ المعدل تحديد الأمراض الانتقالية والمتوطنة المشمولة بأحكام هذا القانون بموجب تعليمات يصدرها وزير الصحة أو من يخوله، إذ يلاحظ أن المادة (١) من هذه التعليمات التي حددت الأمراض الانتقالية لم تُحدث ولم يدرج فيها بعض الأمراض الانتقالية الخطيرة التي ظهرت في العالم كمرض (ايبولا) مثلاً وفيروس (كورونا) حالياً، وندعو نقابة الأطباء العراقيين إلى ضرورة إعادة النظر بتعليمات السلوك المهني للأطباء الصادرة بقرار مجلس النقابة رقم (٦) جلسة (٨) في ١٩/٥/١٩٨٥^(٣) لتكون متوافقة مع التطورات العالمية في مجال مسؤولية العلاج ومسؤولية التشخيص وواجبات الطبيب اتجاه مريضه والتعامل الإنساني في ظل الأوبئة العامة ولاسيما أن نقابة الأطباء قد أصدرت بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية دليل (السلوك الطبي وآداب مهنة الطب)^(٤).

المبحث الثاني

أثر الإغفال التشريعي على فاعلية أعمال الإدارة القانونية

في ظل سريان جائحة (كورونا)

تباشر الإدارة في سبيل الحفاظ على النظام العام وضمان إستمرار سير المرافق العامة بإنتظام وإطراد سلسلة من الأعمال المادية والقانونية، الذي يعيننا في هذا المبحث الأعمال القانونية التي تباشرها الإدارة بإرادتها المنفردة من جانبها فقط ونقصد بذلك القرارات الإدارية بأنواعها الفردية والتنظيمية لإحداث تعديل في المراكز القانونية بأن تنشأ أو تلغي أو تعدل التزاماً أو مركزاً قانونياً^(٥)، أما الصورة الثانية لأعمال الإدارة القانونية فهي العقد الإداري والذي يكون صادراً بتوافق إرادتين الأولى إرادة الإدارة والثانية إرادة المتعاقد معها، فالعقود الإدارية تقوم على فكرة التراضي والتقاء الإرادتين أي إرادة طرفي العقد^(٦) وعادة ما يكون الهدف من إبرام الإدارة لعقودها الإدارية هو إدارة المرافق العامة وتحقيق النفع العام لجمهور المواطنين وعلى إختلاف أنواعها^(٧)، وسنحاول في هذا المبحث تناول مدى فاعلية التنظيم القانوني لأعمال الإدارة القانونية لمواجهة الأمراض والأوبئة ومدى إمكانية الإدارة الإستمرار في مباشرة أعمالها القانونية بفاعلية وكفاءة في ظل حالة الطوارئ الصحية ومدى إستجابة التشريعات النافذة لوسائط التكنولوجيا الحديثة التي سهلت أعمال الإدارة في حالة الطوارئ في المطالب الآتية :

المطلب الأول

فاعلية التنظيم القانوني للقرار الإداري في مواجهة فيروس (كورونا)

القرار الإداري هو عمل قانوني يصدر من سلطة إدارية وطنية بإرادتها المنفردة بهدف ترتيب آثار قانونية وذلك بإنشاء أو تعديل أو إلغاء مركز قانوني معين وهذا الأثر القانوني هو معيار القرارات الإدارية يترتب على غيابها أن يصبح أعمال الإدارة مجرد

(١) فتوى للسيد السيستاني بمنع دفن موتى كورونا في المقابر العامة، منشورة في الموقع الإلكتروني : www.aa.com.tr.

(٢) منشورة في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٤٠٤١) في ١٧/٦/٢٠٠٧.

(٣) ينظر تعليمات السلوك المهني الصادرة بموجب المادة (٢٢) من قانون نقابة الأطباء رقم (٨١) لسنة ١٩٨٤، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٨٥.

(٤) ينظر دليل السلوك الطبي وآداب مهنة الطب الصادر بالتعاون بين منظمة الصحة العالمية (WHO) ونقابة أطباء العراق عام ٢٠١٠.

(٥) ينظر : د. خالد خليل الظاهر، القانون الإداري، دراسة مقارنة، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ١٩٩٧، ص١٠٥.

(٦) ينظر : د. محمد رفعت عبد الوهاب، مبادئ وأحكام القانون الإداري، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥، ص٤٩٢.

(٧) ينظر : د. نجيب خلف الجبوري، القانون الإداري، مكتبة يادكار لبيع ونشر الكتب القانونية، السلبيمانية، ٢٠١٤، ص٣٢٢.

أعمال مادية^(١) ومن دون الخوض في تقسيمات القرارات الإدارية سنحاول في هذا المطلب التركيز على مدى فاعلية القرار الإداري في إحداث آثاره القانونية في ظل حالة الطوارئ بصورة عامة والطوارئ الصحية بوجه خاص، إذ يترتب على تفشي الأمراض والأوبئة تقييد حركة الموظفين العموميين في التنقل ومباشرة أعمال الوظيفة العامة ولاسيما في حال إعلان السلطات الصحية حالة الخطر الصحي الشامل أو الجزئي على مناطق سكن الموظفين الذين يمثلون وسيلة الإدارة لمباشرة مرافقها العامة سواء أكانت إدارية أم اقتصادية أم أمنية أم صحية ويؤدي ذلك إلى توقف المرافق العامة عن العمل على نحو ما حصل في العراق إذ أدى فرض حالة حظر التجوال إلى إيقاف نشاط هذه المرافق بإستثناء المرافق الصحية والأمنية والعسكرية طبعاً، وبرغم هذه الظروف القاسية فإن الإدارة بحاجة دوماً إلى ضمان إستمرار سير المرافق العامة حتى في حالات الطوارئ ولو بنسب معقولة حيث لا يمكن تصور التوقف التام لهذه المرافق، وهنا تبرز دور التكنولوجيا الحديثة^(٢)، في دعم الاتصالات والمراسلات الإلكترونية والتي يمكن تأمينها من خلال مدخلين الأول يتعلق باستيفاء متطلبات عمل الحكومة الإلكترونية والتي تعني قدرة القطاعات الحكومية المختلفة على توفير الخدمات الحكومية التقليدية للأفراد وإنجاز المعاملات عبر شبكة الانترنت بسرعة ودقة متناهية وبتكاليف ومجهود أقل، فضلاً عن تقديم الخدمات المرفقية والتواصل مع الموظفين^(٣) وترتكز الحكومة الإلكترونية على فكرة تعظيم إستخدام التكنولوجيا الحديثة لتحرير حركة المعلومات والخدمات من القيود والعوائق المادية الموجودة في الأوراق والأنظمة التقليدية^(٤)، ويسمح تطبيق نظام الحكومة الإلكترونية على تقليل مساس الموظف بالمواطن وسهولة تقديم الخدمات عن بعد، و أنها تقلل من أثر غياب الموظف عن المرفق في إدارته على نحو ما في حالات الطوارئ أو إضراب الموظفين، فضلاً عن كونها تحقق المساواة في الإنتفاع في المرافق العامة لأن المعاملات والخدمات تتم وتقدم إلكترونياً لمن يتوفر فيه شروط الإستفادة من المرفق إلكترونياً كما يوفر المرونة أو التطور كمبدأ مستقر في إدارة المرافق العامة.

أما المدخل الثاني: فيتمثل في الأتمتة الإلكترونية لنظم الإدارة العامة وإنشاء نظام متكامل للإدارة العامة الإلكترونية، والمقصود بذلك تحول الأعمال الإدارية التي تتم بناءً على تدخل بشري إلى أعمال إلكترونية تتم من تلقاء نفسها، كما تساعد على أداء الأعمال الإدارية البسيطة التي قد تشغل الموظف أو تستهلك حيزاً من وقته في حين تستطيع الآلة القيام بها من تلقاء نفسها^(٥)، ويمكن أن نسجل في العراق غياب التنظيم القانوني لموضوع الإدارة العامة الإلكترونية بإستثناء بعض الأحكام القانونية التي لا تقدم الدعم التشريعي الوافي للعمل بنظام الإدارة العامة الإلكترونية والسبب يرجع إلى معوقات عديدة مادية وتقنية وبشرية وإدارية ومالية وأمنية وتشريعية لا مجال للحديث عنها^(٦).

وأغفل المشرع العراقي وضع نظام قانوني متكامل للقرار الإداري الإلكتروني وهو لا يختلف في مضمونه وأركانه عن القرار الإداري المكتوب إلا أن الإدارة تعبر عن إرادتها إلكترونياً ولذلك عرف القرار الإداري الإلكتروني بأنه إفصاح الإدارة عن إرادة منفردة ملزمة تصدر عن سلطة إدارية عامة عبر وسائل إلكترونية وترتب آثار قانونية، وأن وجه الاختلاف عن القرار الإداري المكتوب من

(١) ينظر: د. مازن ليلو راضي، النظرية العامة للقرارات والعقود الإدارية، مطبعة شهاب، أربيل، ٢٠٠٥، ص ١٨ و ١٩.

(٢) تعرف التكنولوجيا بأنها (متابعة إستخدام معطيات العصر من وسائل واجهزة ومبتكرات وتطبيق إستخداماتها الحديثة والإستفادة منها في شتى مناحي الحياة الإنسانية بما في ذلك تأثيرها في مجال المعلومات والاتصال بمختلف وسائله وقنواته وأجهزته)، ينظر: فؤاد أحمد سليمان، دور تكنولوجيا الاتصال الحديثة في تفعيل الرقابة البرلمانية، ط ١، المركز العربي للدراسات والبحوث العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٨، ص ١٠٣.

(٣) ينظر: د. أبو بكر محمود الهوش، الحكومة الإلكترونية، الواقع والآفاق، ط ١، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٤٥٢.

(٤) ينظر: د. عبد الفتاح بيومي حجازي، الحكومة الإلكترونية ونظامها القانوني، دار الفكر العربي، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ٢١.

(٥) ينظر: د. داود عبد الرزاق الباز، مقدمة في التجارة الإلكترونية في دولة الإمارات العربية المتحدة، ط ١، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٣، ص ٨٤ وما بعدها.

(٦) ينظر: د. محمد أمين يوسف، الإدارة والحكومة الإلكترونية، دراسة حول الإدارة والحكومة الإلكترونية، مع إلقاء الضوء على تجربة الحكومة الإلكترونية في دولة الإمارات العربية المتحدة، ط ١، دار الكتب والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠١٧، ص ٣٦ وما بعدها.

ناحية وسيلة التعبير عن إرادة الإدارة فقط، فالقرار الإداري الصادر عبر الوسائل الإلكترونية يجب أن تتوفر فيه مقومات وعناصر القرار الإداري من صدوره من جهة إدارية بإرادتها المنفردة، بقصد إحداث آثار قانونية معينة، ومشروعية سببه والمحل الذي يتعلق به وبصدوره من مرجع مختص في الشكل والإجراءات المقررة قانوناً ويستهدف تحقيق المصلحة العامة^(١) فالقرار الإداري الإلكتروني يصدر ويصبح قابلاً للتنفيذ في مواجهة المخاطبين به بمجرد توافر أركانه وإستكمال إجراءاته الإلكترونية^(٢)، وهذا يقتضي وجود تنظيم قانوني لإجراءات إصدار القرار الإداري الإلكتروني وآليات إعلانه والتبليغ به إلكترونياً، فمن ناحية الإجراءات الخاصة بإصدار القرار الإداري الإلكتروني يجب ضبط إجراءات الطلب الإلكتروني بالنسبة للقرارات التي تتطلب أن يقدم صاحب الشأن طلباً للإدارة مع تحديد شكل الطلب وآلية تقديمه إلكترونياً وتبادل البيانات إلكترونياً بين الإدارة العامة والمتعامل معها من خلال النظام المعلوماتي للإدارة^(٣)، كذلك يجب ضبط إجراءات تحديد الأركان الخارجية للقرار الإداري الإلكتروني كالإختصاص بعناصره الشخصية والموضوعية والزمانية والمكانية والشكل والإجراءات كالقرارات الصادرة عن اللجان وما يتطلبه دعوة الأعضاء ومكان الانعقاد الذي يمكن أن يتم بأحد وسائل التواصل الإلكترونية (video conferencing) وغرف الحوار أو المحادثة (Chat room)، وأيضاً تنظيم مسألة التحقيق الإداري الإلكتروني وضبط أقوال الموظف المخالف بأحد برامج أو تطبيقات الكمبيوتر تمهيداً لإصدار القرار الإداري التأديبي^(٤) وغيرها من التفاصيل لا مجال لذكرها، كما يجب على المشرع تنظيم القواعد التي تحكم تقنية التوقيع الإلكتروني (الرقمي) وتقنية التوقيع اليدوي المسحوب على جهاز المسح الضوئي أو التوقيع البيومتري أو اعتماد المشرع لأحد هذه التقنيات لإصدار القرارات الإدارية الإلكترونية^(٥)، كما يجب وضع الإطار القانوني للإعتداد بالقرار الإداري الإلكتروني بواسطة النشر الإلكتروني بالوسائل الحديثة بالانترنت كنشر القرار الإداري الإلكتروني على الموقع الإلكتروني للجهة المصدرة للقرار أو صاحب الشأن مستوفياً لكافة عناصره، وأيضاً تنظيم آلية (الإعلان) التبليغ الإلكتروني بالوسائل الإلكترونية المتاحة وهو أمر ميسر بالنسبة للقرارات الإدارية التنظيمية ويمكن اعتماد طريقة إقرار الأفراد عند تقديم طلبات من خلال المواقع الإلكترونية الحكومية برغبتهم بتلقي الرد إلكترونياً عبر بريدهم الإلكتروني مثلاً أو في الموقع الإلكتروني الذي يرغب الفرد بتلقي الرد الإلكتروني عليه مع تنظيم الإجراءات التي تثبت وقت إستلام الرد كوقت إرسال الرسالة التي تتضمن القرار الإداري الإلكتروني ووقت إستلامها^(٦) وكذلك تنظيم عملية تنفيذ القرار الإداري إلكترونياً^(٧)، ولابد أيضاً أن تنظم إجراءات الطعن في القرارات الإدارية الإلكترونية عن طريق الإدارة القضائية الإلكترونية وتنظيم إجراءات التظلم الإلكتروني والتفاضي الإلكتروني عن بعد^(٨).

(١) ينظر : د. حمدي القبيلات، قانون الإدارة العامة الإلكترونية، ط ١، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤، ص ٩٣.

(٢) ينظر : د. عدنان مصطفى الباز، القرار الإداري الإلكتروني، بحث منشور على موقع تجمع مشرفي المعلوماتية العرب (CIO)، على الرابط الإلكتروني : www.arab.cio.org

(٣) ينظر : د. علاء محي الدين مصطفى، القرار الإداري الإلكتروني، بحث منشور في مؤتمر المعاملات الإلكترونية (التجارة الإلكترونية - الحكومة الإلكترونية)، ص ١١١.

(٤) ينظر : د. داود عبد الرزاق الباز، الإدارة العامة (الحكومة) الإلكترونية وأثرها على النظام القانوني للمرفق العام وأعمال موظفيه، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠٤، ص ٢٩٣ و ص ٢٩٤.

(٥) ينظر : د. صفاء فتوح جمعة، مبادئ الحوكمة في قانون الخدمة المدنية رقم (٨١) لسنة ٢٠١٦، ط ١، ك ٢، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ٢٠١٨، ص ١٦٢ وما بعدها.

(٦) ينظر : د. نوفل عقيل العجمانة وناصر عبد الحليم السلامات، نفاذ القرار الإداري الإلكتروني، بحث منشور في مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد (٤٠) ملحق (١)، عمان، ٢٠١٣، ص ١٠٢٧ وما بعدها.

(٧) ينظر : زينب عباس محسن، الإدارة الإلكترونية وأثرها في القرار الإداري، بحث منشور على الموقع الإلكتروني : www.iajs.net، ص ٣١٢.

(٨) لمزيد من التفصيل ينظر : أحمد طلال عبد الحميد البديري، استراتيجية حوكمة التشريعات الإدارية في العراق، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية القانون، ٢٠١٩، ص ٣٥٢ وما بعدها.

ومما يجدر الإشارة إليه أن المشرع العراقي قد أصدر قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية رقم (٧٨) لسنة ٢٠١٢ وقد أغفل المشرع تنظيم الكثير من المسائل المتعلقة بالإدارة العامة الإلكترونية ويمكن أن نجل أهم نقاط الضعف في القانون المذكور كما يأتي :

١- أن القانون المذكور حدد في المادة (أولاً) منه نطاق سريانه على المعاملات الإلكترونية التي ينفذها الأشخاص الطبيعيون أو المعنويون والمعاملات التي يتفق أطرافها على تنفيذها بوسائل إلكترونية، والأوراق التجارية والمالية الإلكترونية ولم يشر صراحة إلى إعماله في تسيير المعاملات الإدارية أو الحكومية رغم أن الهيئات والإدارات العامة تحوز شخصية معنوية عامة بموجب القانون وهذا يعني إمكانية شمول دوائر الدولة بنطاق سريان القانون باعتبار دوائر الدولة من الأشخاص المعنوية العامة وأن النص ورد مطلقاً فيما يخص (الأشخاص المعنويين) وهذا يحتاج لتدخل تشريعي لمد نطاق سريان القانون على المعاملات والقرارات الإدارية في المستقبل بشكل صريح.

٢- عرف القانون التوقيع الإلكتروني بأنه علامة شخصية تتخذ شكل حروف أو أرقام أو رموز أو إشارات أو أصوات أو غيرها لها طابع متفرد يدل نسبته إلى الموقع ويكون معتمداً من جهة التصديق^(١) ومنحه الحجية الإدارية في الإثبات إلى جانب الحجية المدنية والتجارية^(٢)، إذا روعي في التوقيع شروط إنشائه المذكورة في القانون ومعتمداً من جهة التصديق^(٣) إلا أنه لم ينظم أنماط التوقيع الإلكتروني وتقنيات إعماله من قبل الموظف العام والدوائر الحكومية وكأن إرادة المشرع قد انصرفت إلى تنظيم التوقيع الإلكتروني لأغراض النشاطات المدنية والتجارية والإدارية بين الأفراد والأشخاص المعنوية الخاصة وليس بقصد تنظيمها لأغراض المعاملات الإدارية بين الموظفين والإدارات العامة أو بين الأشخاص المعنوية العامة والأفراد أو ما بين الأشخاص المعنوية العامة أو من يمثلها في الإدارات الحكومية، كما أن المشرع لم يضع أحكام التوقيع الإلكتروني موقع التنفيذ من خلال إنشاء جهات التوثيق والتصديق الإلكتروني كما لا يوجد قانون أو تشريع صريح في العراق ينص على إعمال وسائل التواصل الاجتماعي والبريد الإلكتروني لأغراض الإثبات في العمل الإداري^(٤)، ولم ينظم أحكام المراسلات والقرارات الإدارية الإلكترونية للمرافق العامة.

٣- لم ينظم القانون المذكور المتطلبات التقنية والإجرائية لإصدار وإعلان وتبليغ وتنفيذ القرار الإداري الإلكتروني.

٤- لم يتضمن القانون المذكور تنظيم إجراءات التظلم والطعن القضائي الإلكتروني بالقرارات الإدارية الإلكترونية وإجراءات التقاضي الإلكتروني أو ما يسمى (بالتقاضي عن بعد) لأن التنظيم الإلكتروني يجب أن يكون متكاملًا منذ بداية صدور القرار الإداري الإلكتروني وحتى تحصنه من طرق الطعن بإنتهائه أو بإكتساب القرار الصادر من القضاء المختص الدرجة القطعية وهذا يتطلب وجود تشريع موحد وشامل يعالج موضوع القرار الإداري الإلكتروني بكافة جوانبه من لحظة إصداره ولغاية كافة تفاصيل طرق الطعن به وصيرورته باتاً.

لما تقدم فإن التشريعات النافذة في العراق قاصرة عن تلبية متطلبات الحكومة الإلكترونية والإدارة العامة الإلكترونية، إذ كان بالإمكان إنجاز الكثير من المعاملات الإدارية إلكترونياً خلال مدة الحظر الشامل أو الجزئي لموظفي الدولة وإدارة المرافق العامة عن بعد بالوسائل والوسائط الإلكترونية مع إمكانية تقديم الخدمات للمواطنين كإصدار الوثائق الرسمية للمواطن كالثائق الثبوتية والبطاقة الوطنية وإجازات السوق وإجراءات تسجيل الولادة والوفاة والتبليغ بالتعليمات والتوجيهات الإدارية وإجراء الامتحانات

(١) المادة (١/١) من قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية رقم (٧٨) لسنة ٢٠١٢.

(٢) المادة (٤/٤) من قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية رقم (٧٨) لسنة ٢٠١٢.

(٣) المادة (٥) من قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية رقم (٧٨) لسنة ٢٠١٢.

(٤) ينظر : د. مصدق عادل طالب، الحكومة الإلكترونية وتطبيقها في التشريع العراقي، مكتبة السنهوري، بيروت، ٢٠٢٠، ص ٥٠.

الإلكترونية للطلبة في ظل إنتشار فايروس (كورونا)، فضلاً عن عدم تعطيل المؤسسات القضائية فيما لو كان هنالك نظام (للتقاضي عن بعد) يساعد على حسم القضايا المؤجلة وإستيعاب الجديد منها وحسمها خلال فترة الحظر الصحي وهذا كله يؤثر بالنتيجة على فاعلية الإدارة في مواجهة حالة الطوارئ الصحية بسبب فايروس (كورونا) ونأمل من المشرع العراقي أن يتلافى هذا الإغفال التشريعي مستقبلاً بعد زوال هذا الظرف الطارئ.

المطلب الثاني

فاعلية التنظيم القانوني للعقود الحكومية في مواجهة فايروس (كورونا)

العقد الإداري هو إتفاق يكون أحد أطرافه شخصاً معنوياً عاماً بقصد إدارة أحد المرافق العامة أو تسييرها وتظهر فيه نية الإدارة بالأخذ بأسلوب القانون العام وذلك بتضمين العقد شروطاً إستثنائية غير مألوفة اتجاه المتعاقد مع الإدارة مع تمتع الأخيرة بامتيازات وسلطات لا يتمتع بها المتعاقد معها^(١) وقد أستقر القضاء والفقه على إعتبار العقد إدارياً إذا كانت الإدارة طرفاً بالعقد ويتصل العقد بنشاط مرفق عام ويُنْبَع في إبرامه أساليب القانون العام وأن يتضمن شروطاً إستثنائية غير مألوفة^(٢).

وما يعيننا في هذا المجال ليس النصوص التشريعية المتعلقة بمعالجة الآثار المترتبة على حصول أمراض وجوائح وكوارث عامة لأن النظام القانوني العراقي غني بالأحكام القانونية التي تعالج الآثار المترتبة على العقود بصورة عامة في مثل هذه الظروف الإستثنائية، وبرغم أن الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ قد أقر نظام القضاء المزدوج في العراق^(٣) إلا أن منازعات العقود الإدارية والتي تسمى في العراق بمصطلح (العقود الحكومية) لا زالت تخضع لاختصاص القضاء العادي الذي طبق النصوص المدنية على منازعات العقود الإدارية، ولم يتسنى للقضاء الإداري تطبيق نظريات القضاء الإداري في معالجة اختلال التوازن المالي للعقود الإدارية والتي توجب تعويض المتعاقد مع الإدارة دون حاجة لإثبات الخطأ من جانب الإدارة كمنظوية فعل الأمير ونظرية الظروف الطارئة ونظرية الصعوبات المادية غير المتوقعة^(٤) وعوداً على بدء نقول أن المشرع العراقي قد أقر نظرية الظروف الطارئة في المادة (٤٦/١ ثانياً) من القانون المدني العراقي رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١ المعدل التي رتبت على الحوادث الإستثنائية الطارئة العامة غير المتوقعة التي من شأنها جعل الالتزامات العقدية مرهقة وإن لم تكن مستحيلة بإنقاص الالتزام المرهق إلى الحد المعقول، وقد اعتبر القضاء العراقي انتشار الأوبئة والأمراض كمرض الكوليرا والحمى القلاعية بين الأغنام، والفيضانات وغزارة الأمطار وانقطاع الطرق وإرتفاع الأسعار ... ظروف طارئة^(٥).

وعالجت المادة (٢١١) من القانون المدني الضرر الناشئ عن السبب الأجنبي الذي من شأنه الإخلال بالالتزامات التعاقدية كالأفة السماوية أو الحادث الفجائي أو القوة القاهرة وقد أطلق فقهاء الشريعة الإسلامية على القوة القاهرة مصطلح (الجائحة)^(٦)، والقوة القاهرة تعرف بأنها كل أمر غير متوقع الحصول وغير ممكن الدفع يجعل تنفيذ الالتزام مستحيلًا فهي حادث خارجي عن إرادة

(١) ينظر : د. أنس جعفر ود. أشرف أنس جعفر، العقود الإدارية، ط ٥، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١١، ص ١٧.

(٢) ينظر : د. مازن ليلو راضي، القانون الإداري، ط ٤، دار المسلة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠١٧، ص ٢٧٧ وما بعدها.

(٣) المادة (١٠١) من دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥.

(٤) لمزيد من التفصيل ينظر : د. أحمد طلال عبد الحميد البدري، قاعدة العقد شريعة المتعاقدين في مجال العقود الإدارية، دراسة مقارنة، ط ١، دار ميزوبوتاميا ودار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٣، ص ١٧٥ وما بعدها.

(٥) لمزيد من التفصيل ينظر : د. غازي عبد الرحمن ناجي، التوازن الاقتصادي في العقد أثناء تنفيذه، منشورات مركز البحوث القانونية، وزارة العدل، بغداد، ١٩٨٦، ص ١٢٢ وما بعدها.

(٦) الجائحة وتعني الشدة التي تجتاح المال أو ما يصيب الزرع والثمر من السماء كالبرد والرياح أو من آفة كالعفن والعطش والجراد وأفعال الأدميين إذا كانت غالبية كاجتياح الجيش، لمزيد من التفصيل ينظر : د. صفاء تقي العيساوي، القوة القاهرة وأثرها في عقود التجارة الدولية، دراسة مقارنة، ط ١، موسوعة القوانين العراقية، بغداد، ٢٠١٢، ص ٣٠ وما بعدها.

الأطراف المتعاقدة وغير متوقع ويستحيل دفعه ويؤدي إلى استحالة تنفيذ الالتزامات^(١)، وبالتالي يؤدي إلى انقضاء الالتزام وفسخ العقد من تلقاء نفسه^(٢)، كذلك نصت المادة (٦٧ / ٢) من الشروط العامة لمقاولات أعمال الهندسة المدنية بقسميها الأول والثاني لسنة ١٩٨٧ المعدلة والصادرة عن وزارة التخطيط على إنهاء المقاول في حال استحالة تنفيذها لأي سبب أو أسباب يتفق (صاحب العمل) و(المقاول) على أنها خارجة عن إرادة الطرفين، كذلك نصت الفقرة (ثانياً / ٢) من الضوابط رقم (٦) الملحق بتعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم (٢) لسنة ٢٠١٤^(٣) والخاصة بتوقف وتمديد أعمال المقاولات وعقود التجهيز وعقود الخدمات الاستشارية وعقود الخدمات غير الاستشارية على إمكانية إنهاء العقود الحكومية بسبب استمرار القوة القاهرة وإستحالة التنفيذ بإتفاق الطرفين، وما يجدر الإشارة إليه أن قرار لجنة الأمر الديواني المرقم (٥٥) لسنة ٢٠٢٠ والصادر بتاريخ ٢١/آذار/٢٠٢٠ قد نص في الفقرة (١٢) منه على اعتبار أزمة فايروس (كورونا) (قوة القاهرة) لجميع المشاريع وإعتباراً من ٢٠/شباط/٢٠٢٠ ولغاية إعلان وزارة الصحة العراقية إنتهاء وباء كورونا، وبغض النظر عن إشكالية الآراء الفقهية فيما إذا كانت جائحة كورونا تمثل ظرفاً إستثنائياً طارئاً يجعل الالتزامات التعاقدية الحكومية مرهقة على المتعاقد مع الإدارة أم كانت تمثل (قوة القاهرة) تجعل الالتزامات التعاقدية مستحيلة وتؤدي إلى إنهاء العلاقة التعاقدية مع الإدارة كما بينا في الأحكام أعلاه، إلا أنها تشكل نظام قانوني لمعالجة آثار جائحة (كورونا) على العقود الحكومية، ولكن المهم في ذلك أن المشرع العراقي أغفل عن وضع نظام قانوني متكامل لإبرام وإدارة وتنفيذ العقود الحكومية إلكترونياً ولو كان المشرع قد نظم هذا الموضوع بشكل متكامل وشمولي لأعطى الفاعلية والقدرة للإدارة على إدارة التعاقدات الحكومية وتنفيذها خلال هذه الأزمة ولاسيما أن حاجة الإدارة قائمة لإبرام العقود الخاصة بإستيراد الأدوية والتجهيزات والمستلزمات الطبية لمواجهة هذه الأزمة وغيرها، فجميع تشريعات العقود الحكومية المتعاقبة^(٤) خلت من أي تنظيم قانوني للجوانب الآتية :

- ١- عدم تنظيم إجراءات الدعوة والإعلان والمناقصات العامة إلكترونياً.
- ٢- عدم تنظيم إجراءات إبرام العقود الإدارية إلكترونياً وما يتعلق بموضوع التوقيع الإلكتروني ونفاذ العقد إلكترونياً.
- ٣- عدم تنظيم إجراءات متابعة تنفيذ العقود الإدارية إلكترونياً كفرض الغرامات التأخيرية وسحب العمل وإنهاء العمل وإستلام العمل وأوامر الغيار وأوامر التمديد والتوقف وغيرها من تفاصيل إدارة ومتابعة العقود الحكومية.
- ٤- عدم وجود نظام قانوني إلكتروني للتعامل المالي مع المناقصات والعقود الإدارية الإلكترونية وأنظمة الدفع الإلكتروني كالتقود البلاستيكية والتقود الإلكترونية وبطاقات الدفع الإلكتروني (كبطاقة الخصم الشهري وبطاقات الشبكات وبطاقة السحب الآلي، وبطاقات الأئتمان) وغيرها من البطاقات الذكية^(٥).

(١) ينظر : د. عمر السيوي، العقد الإداري والقوة القاهرة، بحث منشور في مجلة دراسات قانونية، مجلد (١٣) سنة (١٤)، جامعة تارونوس، بنغازي، ١٩٩٤، ص ٢٥.

(٢) ينظر : محمد ماجد الهاجري، القوة القاهرة وأثرها على العقود والحقوق، مقالة منشورة على موقع الوطن على الرابط الإلكتروني : www.al-watan.com، كذلك ينظر : د. يونس صلاح الدين علي، شرط القوة القاهرة في القانون الإنكليزي، دراسة تحليلية مقارنة مع القانون المدني العراقي، بحث منشور في مجلة

المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية، العدد (٤)، السنة (١٠)، ٢٠١٨، ص ٢٤٥.

(٣) منشورة في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٤٣٢٥) في ١٦/٦/٢٠١٤.

(٤) كقانون العقود الحكومية الصادرة بأمر سلطة الائتلاف المؤقتة (المنحلة) رقم (٧٨) لسنة ٢٠٠٤، وتعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم (١) لسنة ٢٠٠٨ (الملغاة) وتعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم (٢) لسنة ٢٠١٤ النافذة والضوابط الملحق بها.

(٥) ينظر : أحمد شعبان علي الجلودة، المناقصة العامة في ظل الحكومة الإلكترونية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٦، ص ١٢٢ وما بعدها.

٥- عدم وجود نظام قانوني لتأمين الحماية التقنية للعطاء الإلكتروني كتشفير البيانات وتأمين الحاسوب الآلي المستقبل للعطاءات^(١)، إضافة لتوفير الحماية القانونية للعطاء الإلكتروني وتجرم المساس بالحرر الإلكتروني أو الوسيط الإلكتروني أو التوقيع الإلكتروني والإيجاب والقبول الإلكتروني^(٢).

٦- عدم وجود تنظيم قانوني لإبرام العقد الإداري الإلكتروني وأساليب إبرامه التقليدية والحديثة ومن أمثلة أساليب التعاقد الحديثة المزايدات الإلكترونية والمناقصات الإلكترونية فضلاً عن عدم وجود تنظيم قانوني لوسائل إثباته وحجته بين المتعاقدين^(٣) والشروط الواجب توفرها في الكتابة الإلكترونية كدليل للإثبات يمكن تقديمه للقضاء كقابلية الكتابة الإلكترونية للقراءة والفهم والوضوح، وقابليتها للحفظ وعدم إمكانية تعديلها إلكترونياً إلى جانب التوقيع الإلكتروني وشروطه لإثبات العقد الإداري الإلكتروني^(٤)، كذلك يجب تنظيم الإيجاب والقبول في العقد الإداري الإلكتروني وزمان ومكان إبرامه وهو في الغالب يمثل تأريخ تصديق قرار الإحالة أو القرار الصادر بالتعاقد أو الشراء... الخ، أما مكان العقد الإلكتروني فهو مقر الإدارة أو الشخص المعنوي العام باعتباره من يصدر عنه القبول ويمكن تطبيق أحكام التعاقد بين غائبين بهذا الصدد وتنظيم موقع الإدارة المتعاقدة إلكترونياً وبريدها الإلكتروني بطريقة تقنية تؤمن في نفس الوقت مبادئ السرية والشفافية وغيرها من المبادئ التي تحكم عملية التعاقد بصورة عامة والعقود الإدارية الإلكترونية على وجه الخصوص^(٥).

٧- قصور التشريعات النافذة التي عالجت التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية، فقانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية رقم (٧٨) لسنة ٢٠١٢ عرف العقد الإلكتروني بأنه إرتباط الإيجاب الصادر من أحد المتعاقدين بقبول الطرف الآخر على وجه يثبت أثره في المعقود عليه والذي يتم بوسيلة إلكترونية^(٦)، وأجاز الإيجاب والقبول في العقد بوسيلة إلكترونية^(٧) وعالج ونظم حالات إعتبار المستندات الإلكترونية صادرة عن الموقع^(٨) ونظم حالات إستلام المستند الإلكتروني وإرسالها^(٩)، ورغم أن هذه الأحكام يمكن الإستفادة منها في بعض جوانب إبرام العقود الإدارية الإلكترونية إلا أنها لا تعد نظام قانوني متكامل للعقود الإدارية الإلكترونية للأسباب التي بناها سابقاً، فضلاً عن ذلك أن المشرع أغفل تنظيم موضوع تحديد المحكمة المختصة بالفصل في منازعات العقد الإلكتروني لأن القانون المذكور أخرج إجراءات المحاكم والإعلانات القضائية والإعلانات بالحضور وأوامر التفتيش وأوامر القبض والأحكام القضائية من نطاق سريان هذا القانون^(١٠)، كما

(١) ينظر : د. خالد الطويل وآخرين، مدخل إلى الانترنت وتكنولوجيا الحاسب الشخصي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بدون مكان نشر، ٢٠٠٠، ص ١٥٦ وما بعدها.

(٢) ينظر : د. خالد ممدوح إبراهيم، إبرام العقد الإلكتروني، دراسة مقارنة، ط ١، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٢٥١.

(٣) ينظر : د. قيدار عبد القادر، إبرام العقد الإداري الإلكتروني وإثباته، بحث منشور في مجلة الرافدين الحقوقية، المجلد (١٠)، العدد (٣٧)، السنة ٢٠٠٨، ص ١٦٨ وما بعدها.

(٤) لمزيد من التفصيل ينظر : د. فيصل عبد الحافظ الشوابكة، النظام القانوني للعقد الإداري الإلكتروني، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الاقتصادية والإدارية، المجلد (٢١)، العدد (٢)، عمان، ٢٠١٣، ص ٣٥١.

(٥) لمزيد من التفصيل ينظر: د. حمدي سليمان القبيلات، النظام القانوني لإبرام العقود الإدارية الإلكترونية، بحث منشور في مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد (٣٤)، ملحق، عمان، ٢٠٠٧، (ص ٦٦١ - ص ٦٦٥)، متاح على الموقع الإلكتروني :

www.journals.ju.edu.jo

(٦) المادة (١/عاشراً) من قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية رقم (٨٧) لسنة ٢٠١٢.

(٧) المادة (١٨/أولاً) من قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية رقم (٨٧) لسنة ٢٠١٢.

(٨) المادة (١٨/ثالثاً) من قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية رقم (٨٧) لسنة ٢٠١٢.

(٩) المادة (٢١/١٩،٢٠) من قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية رقم (٨٧) لسنة ٢٠١٢.

(١٠) المادة (٣/ثانياً/٥) من قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية رقم (٨٧) لسنة ٢٠١٢.

أغفل المشرع معالجة تحديد الأهلية التعاقدية، وعيوب الإرادة ومشكلات الإثبات الإلكتروني ومشكلة تعارض الشكليات الإلكترونية مع قواعد الشكليات في الإثبات الإلكتروني^(١).

خلاصة ما تقدم أن إغفال المشرع عن إيجاد نظام قانوني متكامل للعقد الإداري الإلكتروني أثر سلباً على فاعلية الإدارة في مواجهة الظروف الاقتصادية والصحية أثناء تفشي فايروس (كورونا) وهذا يقتضي وجود نظام قانوني متكامل وشامل للتعاقدات الحكومية العامة يتم إفراد جزء منه للعقد الإداري الإلكتروني وأساليبه وإدارته وإثباته والجهة المختصة بنظر منازعاته مستقبلاً.

الخاتمة (Conclusion)

وفي خاتمة بحثنا هذا ومن خلال البحث الموضوعي العمق لآثار الإغفال التشريعي على فاعلية الإدارة في مواجهة أزمة تفشي فايروس (كورونا) توصلنا إلى النتائج والتوصيات الآتية :

أولاً : النتائج (Results) :

- ١- تحتاج الإدارة لصلاحيات إستثنائية غير مألوفة في ظل الظروف العادية لمواجهة الظروف غير العادية كحالات الحروب والكوارث والأمراض والأوبئة وهذه الصلاحيات يجب أن تنظم بموجب تشريعات للطوارئ لإسباغ المشروعية على قرارات وإجراءات وتدابير الإدارة خلال هذه الظروف الطارئة والتي هي في الغالب تمس الحقوق والحريات العامة كحق التنقل والسفر وحق الاجتماع وحق التعليم... الخ، فضلاً عن إخضاعها لرقابة قضائية أو برلمانية عند إنتهاء هذه الحالة فإن إنعدام التشريعات المنظمة لهذه الحالة كلياً أو قصورها سيؤثر على مكنة إتخاذ هذه القرارات والتدابير ومشروعيتها.
- ٢- لا تكفي أن تكون تشريعات الطوارئ قد سنت وفقاً لمبادئ وآليات الدستور بل لا بد أن تكون فاعلة وواقعية وشفافة حتى تتمكن الإدارة من فهمها وتطبيقها ومعرفة المسؤوليات وحدودها والواجبات ونطاقها بما يضمن فاعلية تحقيق أهداف الإدارة في الحفاظ على الأمن والسكينة الاجتماعية والصحة العامة خلال مُدد الطوارئ.
- ٣- إن الإغفال التشريعي من شأنه أن يحد من قدرة الإدارة وفعاليتها في مباشرة أعمالها القانونية فالإغفال الكلي أو إنعدام التنظيم القانوني لوسائل الإدارة القانونية وفق مفهومها الحديث الذي يتواءم مع التطور التقني والتكنولوجي يشل ويعطل عمل الإدارة خلال فترات الطوارئ بشكل عام والطوارئ الصحية على وجه الخصوص التي قد تتطلب الحجر الصحي والحظر الشامل للتجوال مما يؤدي إلى توقف المرافق العامة بشكل تام وهذا يضعف فاعلية الإدارة فضلاً عن تعارض ذلك مع مبادئ عمل المرفق العام التي تتطلب الدوام والإستمرارية والتطور.

ثانياً : التوصيات (Recommendation) :

لغرض تلافي الإغفال في التشريعات النافذة التي تقلل من فاعلية الإدارة في مواجهة حالة الطوارئ الصحية كإنتشار فايروس نوصي بالآتي :

- ١- إلغاء أمر الدفاع عن السلامة الوطنية رقم (١) لسنة ٢٠٠٤ و سن تشريع جديد يتوافق مع أحكام إعلان حالة الطوارئ المنصوص عليها في المادة (٦١/تاسعاً) من دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ مع ضرورة إدخال حالة الحرب أو إعلان الحرب أو الكوارث العامة والأمراض والأوبئة ضمن الحالات التي تستوجب إعلان حالة الطوارئ مع منح السلطة التنفيذية صلاحية إصدار أنظمة (الضرورة) خلال فترة غياب مجلس النواب بسبب تفشي الأمراض والأوبئة على أن تعرض الإجراءات والتدابير والأنظمة الصادرة من الحكومة خلال فترة الطوارئ لرقابة القضاء.

^(١) ينظر : د. عباس العبودي، شرح أحكام قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية، رقم (٧٨) لسنة ٢٠١٢، مكتبة السيسبان، بغداد، بدون سنة طبع، ص ٨٤ و ص ٨٧ و ص ١٢٨ وما بعدها.

- ٢- يجب أن يتضمن قانون الطوارئ نظام قانوني شامل ومتكامل للمسؤوليات والواجبات ونطاقها وجهات رقابتها لضمان عدم المساس بالحقوق والحريات العامة.
- ٣- منح وزير الصحة حق طلب إعلان حالة الطوارئ الصحية بطلب مشترك مع رئيس الوزراء لمجلس النواب لمواجهة الأمراض والأوبئة الفتاكة لإعطاء الفاعلية لنصوص قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لسنة ١٩٨١ المعدل مع تضمين قانون الطوارئ صلاحيات السلطات الصحية والسلطات الأمنية في مواجهة الأوبئة والأمراض الإنتقالية وإجراء التعديلات الدستورية والقانونية اللازمة لذلك.
- ٤- إعطاء كوادر وزارة الصحة في حالة الطوارئ الصحية صلاحيات ضبطية لتنفيذ الإجراءات والتدابير التي يأمر بها وزير الصحة إستناداً لصلاحياته في قانون الصحة العامة وقانون الطوارئ المقترح سنة ١٩٨١ حيث أسفرت تجربة إنتشار فيروس (كورونا) عجز الكوادر الصحية عن القيام بواجبها بالحجر الصحي أو الإلتزام بإجراءات الوقاية الصحية أو أخذ عينات من المرضى المصابين أو الملامسين إلا بدعم وإسناد السلطات الأمنية مع تسجيل حالات للإعتداء على الكوادر الصحية.
- ٥- ضرورة تعديل قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لسنة ١٩٨١ المعدل من خلال إضافة أحكام خاصة تتعلق بإجراءات نقل جثث المتوفين بالفيروسات الخطرة كفايروس (كورونا) أو أي مرض إنتقالي آخر تنص عليه التعليمات الصحية داخل العراق، حيث أن المادة (٥٨) من القانون المذكور نظمت إجراءات نقل الجثة من خارج العراق إلى داخله والعكس فقط دون أن ينظم إجراءات نقل الجثث داخلياً.
- ٦- تعديل قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لسنة ١٩٨١ المعدل أو إصدار أنظمة صحية تنظم الإجراءات أو البروتوكولات المتعلقة بمراسم التجهيز والنقل والتغسيل والدفن بصورة آمنة وكرامة ونقترح على المشرع ووزارة الصحة الإسترشاد بالدليل الإرشادي لدفن موتى كورونا الذي أعدته منظمة الصحة العالمية (WHO).
- ٧- تعديل قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لسنة ١٩٨١ المعدل أو إصدار أنظمة صحية تنظم إجراءات وقواعد اختيار وتحديد مقابر لدفن موتى الأمراض والأوبئة الخطيرة بشكل آمن صحياً وبعيداً عن الأماكن السكنية، حيث كشفت تجربة فايروس كورونا إرتباك وتأخير من جانب الجهات الصحية لتخصيص أماكن لدفن ضحايا فايروس كورونا.
- ٨- ندعو وزارة الصحة إلى تحديث تعليمات تحديد الأمراض الإنتقالية رقم (١) لسنة ٢٠٠٧ حيث يجب إدراج فايروس (كورونا) وغيره من الأمراض الإنتقالية والمتوطنة في قائمة هذه الأمراض إستناداً للمادة (٤٥) من قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لسنة ١٩٨١ المعدل.
- ٩- ندعو نقابة الأطباء إلى إعادة النظر بتعليمات السلوك المهني للأطباء الصادرة بقرار مجلس النقابة رقم (٦) جلسة (٨) في ١٩/٥/١٩٨٥ وعدم الإكتفاء بإصدار الدليل الإرشادي (السلوك الطبي وآداب مهنة الطب) مع التركيز على مسؤولية العلاج والتشخيص وواجبات الطبيب اتجاه مريضه خلال حالات الطوارئ الصحية ووضع العقوبات التأديبية عن كل سلوك طبي مخالف لها.
- ١٠- ندعو المشرع إلى سن تنظيم قانوني شامل ومتكامل للقرار الإداري الإلكتروني لتمكين الإدارة من إدارة مرافقها في فترات الحظر الشامل للتنجول وإستحالة وصول الموظفين لدوائهم فضلاً عما يتمتع به هذا النظام من سرعة وسهولة واقتصاد في الجهد والكلفة.
- ١١- ندعو المشرع إلى سن تنظيم قانوني متكامل وشامل للعقود العامة الحكومية على أن يعالج موضوع العقد الإداري الإلكتروني وكل ما يتعلق بإجراءات التعاقد الإلكتروني لتمكين الإدارة من إبرام وإدارة عقودها خلال فترة الطوارئ الصحية

التي تؤثر على حركة الموظفين العموميين وتؤثر على قدرة الإدارة في إدامة مواردها خلال هذه الفترات الإستثنائية كتجهيز الأدوية والمستلزمات الطبية وتوفير المواد الغذائية خلال هذه الفترات.

المصادر (References)

أولاً : الكتب القانونية العامة :

- ١- إبراهيم، خالد ممدوح، إبرام العقد الإلكتروني، دراسة مقارنة، ط١، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٦.
- ٢- الباز، داود عبد الرزاق، الإدارة العامة (الحكومة) الإلكترونية وأثرها على النظام القانوني للمرفق العام وأعمال موظفيه، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠٤.
- ٣- الباز، داود عبد الرزاق، مقدمة في التجارة الإلكترونية في دولة الإمارات العربية المتحدة، ط١، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٣.
- ٤- البدري، أحمد طلال عبد الحميد، أثر حالة الطوارئ على توسيع صلاحية السلطة التنفيذية، ط١، مكتبة القانون والقضاء، بغداد، ٢٠١٣.
- ٥- البدري، أحمد طلال عبد الحميد، قاعدة العقد شريعة المتعاقدين في مجال العقود الإدارية، دراسة مقارنة، ط١، دار ميزوبوتاميا ودار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٣.
- ٦- بدير، علي محمد وآخرون، مبادئ وأحكام القانون الإداري، جامعة بغداد، كلية القانون، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٣.
- ٧- الجبوري، ماهر صالح علاوي، القانون الإداري، ط١، الذكرة للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٧.
- ٨- الجبوري، نجيب خلف، القانون الإداري، مكتبة بادكار لبيع ونشر الكتب العربية، السليمانية، ٢٠١٤.
- ٩- جعفر، أشرف أنس، العقود الإدارية، ط٥، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١١.
- ١٠- الجلودة، أحمد شعبان علي، المناقصة العامة في ظل الحكومة الإلكترونية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٦.
- ١١- جمال الدين، سامي، أصول القانون الإداري، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٤.
- ١٢- جمعة، صفاء فتوح، مبادئ الحوكمة في قانون الخدمة المدنية رقم (٨١) لسنة ٢٠١٦، ط١، المركز القومي للإصدارات القانونية، ك٢، القاهرة، ٢٠١٨.
- ١٣- حجازي، عبد الفتاح بيومي، الحكومة الإلكترونية ونظامها القانوني، دار الفكر العربي، الإسكندرية، ٢٠٠٤.
- ١٤- خالد، حميد حنون، حقوق الإنسان، مكتبة السنهوري، بيروت، ٢٠١٥.
- ١٥- راضي، مازن ليلو، القانون الإداري، ط٤، المسلة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠١٧.
- ١٦- راضي، مازن ليلو، النظرية العامة للقرارات والعقود الإدارية، مطبعة شهاب، أربيل، ٢٠٠٥.
- ١٧- سرور، أحمد فتحي، الحماية الدستورية للحقوق والحريات العامة، ط١، دار الشروق، بيروت، لبنان، ١٩٩٩.
- ١٨- سليمان، فؤاد أحمد، تكنولوجيا الإتصال الحديثة في تفعيل الرقابة البرلمانية، ط١، المركز العربي للدراسات والبحوث العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٨.
- ١٩- طالب، مصدق عادل، الحكومة الإلكترونية وتطبيقاتها في التشريع العراقي، مكتبة السنهوري، بيروت، ٢٠٢٠.
- ٢٠- الطويل، خالد وآخرون، مدخل إلى الانترنت وتكنولوجيا الحاسب الشخصي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بدون مكان نشر، ٢٠٠٠.
- ٢١- الظاهر، خالد خليل، القانون الإداري، دراسة مقارنة، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ١٩٩٧.

- ٢٢- عبد الحميد، عبد العظيم عبد السلام، العلاقة بين القانون واللائحة في فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية والعالم العربي، بدون دار نشر، القاهرة، ١٩٨٥.
- ٢٣- عبد الوهاب، محمد رفعت، مبادئ وأحكام القانون الإداري، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.
- ٢٤- العبودي، عباس، شرح أحكام قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية رقم (٧٨) لسنة ٢٠١٢، بغداد، بدون سنة طبع.
- ٢٥- العيساوي، صفاء تقي، القوة القاهرة وأثرها في عقود التجارة الدولية، ط ١، موسوعة القوانين العراقية، بغداد، ٢٠١٢.
- ٢٦- القبيلات، حمدي، قانون الإدارة العامة الإلكترونية، ط ١، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤.
- ٢٧- ناجي، غازي عبد الرحمن، التوازن الاقتصادي للعقد أثناء تنفيذه، منشورات مركز البحوث القانونية، وزارة العدل، بغداد، ١٩٨٦.
- ٢٨- نويجي، محمد فوزي، الجوانب النظرية والعملية للضبط الإداري، دراسة مقارنة، ط ١، دار الفكر والقانون، مصر، ٢٠١٦.
- ٢٩- الهوش، أبو بكر محمود، الحكومة الإلكترونية، الواقع والآفاق، ط ١، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ٢٠٠٦.
- ٣٠- يوسف، محمد أمين، الإدارة والحكومة الإلكترونية، ط ١، دار الكتب والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠١٧.

ثانياً : الأطاريح الجامعية :

- البدري، أحمد طلال عبد الحميد، إستراتيجية حوكمة التشريعات الإدارية في العراق، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه، كلية القانون، جامعة بغداد، ٢٠١٩.

ثالثاً : البحوث والمقالات :

- ١- الباز، عدنان مصطفى، القرار الإداري الإلكتروني، بحث منشور على موقع تجمع مشرفي المعلوماتية العرب (CIO)، على الرابط الإلكتروني : www.arab.cio.org.
- ٢- حاتم، فارس عبد الرحيم و سنان طالب عبد الشهيد، حالة الطوارئ بموجب أمر الدفاع عن السلامة الوطنية رقم (١) لسنة ٢٠٠٤ والرقابة القضائية عليها، بحث منشور في مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، العدد (٩)، ٢٠٠٨.
- ٣- السيوي، عمر، العقد الإداري والقوة القاهرة، بحث منشور في مجلة دراسات قانونية، مجلد (١٣) سنة (١٤) جامعة تاربيونس، بنغازي، ١٩٩٤.
- ٤- الشوابكة، فيصل عبد الحافظ، النظام القانوني للعقد الإداري الإلكتروني، بحث منشور في مجلة العلوم الإسلامية للدراسات الاقتصادية والإدارية، المجلد (٢١)، العدد (٢)، عمان، ٢٠١٣.
- ٥- صالح، ماهر فيصل وآخرون، حالة الطوارئ في ظل دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥، الحلول والمعالجات، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية، كلية القانون، جامعة بغداد، عدد خاص ببحوث مؤتمر فرع القانون العام المنعقد تحت عنوان "الإصلاح الدستوري والمؤسسي - الواقع والمأمول للمدة (١٣ - ١٤/١١/٢٠١٨).
- ٦- عبد القادر، قيدر، إبرام العقد الإداري الإلكتروني وإثباته، بحث منشور في مجلة الراشدين للحقوق، المجلد (١٠)، العدد (٣٧)، ٢٠٠٨.
- ٧- العجارمة، نوفل عقيل وناصر عبد الحليم السلامات، نفاذ القرار الإداري الإلكتروني، بحث منشور في مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد (٤٠) ملحق (١) عمان، ٢٠١٣.
- ٨- علي، يونس صلاح الدين، شروط القوة القاهرة في القانون الإنكليزي، دراسة تحليلية مقارنة مع القانون المدني العراقي، بحث منشور في مجلة المحقق الحلبي للعلوم القانونية، العدد (٤)، السنة (١٠)، ٢٠١٨.

- ٩- القبيلات، حمدي سليمان، النظام القانوني لإبرام العقود الإدارية الإلكترونية، بحث منشور في مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد (٣٤)، ملحق، عمان، ٢٠٠٧.
- ١٠- محسن، زينب عباس، الإدارة الإلكترونية وأثرها في القرار الإداري، بحث منشور على الموقع الإلكتروني : www.iajs.net
- ١١- الموسوي، سالم روضان، حظر التجوال الكلي أو الجزئي والموقف الدستوري، مقالة منشورة في صفحة الحوار المتمدن العدد (٦٣٩٦) في ٢٠١٩/١١/١ على الموقع الإلكتروني : www.ahewar.org
- ١٢- الهاجري، محمد ماجد، القوة القاهرة وأثرها على العقود والحقوق، مقالة منشورة على موقع الوطن على الرابط الإلكتروني : www.al.watan.com

رابعاً : الدساتير :

- دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥.

خامساً : القوانين :

- ١- مرسوم الطوارئ رقم (٥٧) لسنة ١٩٣٩.
- ٢- القانون رقم (١٠) لسنة ١٩٤٠.
- ٣- قانون الطوارئ الفرنسي لسنة ١٩٥٥ المعدل.
- ٤- قانون الطوارئ المصري رقم (١٦٢) لسنة ١٩٥٨.
- ٥- قانون السلامة الوطنية رقم (٤) لسنة ١٩٦٥.
- ٦- قانون العقوبات رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ المعدل.
- ٧- قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لسنة ١٩٨١ المعدل.
- ٨- أمر الدفاع عن السلامة الوطنية رقم (١) لسنة ٢٠٠٤.
- ٩- قانون العقود العامة الصادر بموجب أمر سلطة الائتلاف المؤقتة (المنحلة) رقم (٨٧) لسنة ٢٠٠٤.
- ١٠- قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية رقم (٧٨) لسنة ٢٠١٢.

سادساً : التعليمات :

- ١- تعليمات تحديد الأمراض الإنتقالية رقم (١) لسنة ٢٠٠٧.
- ٢- تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم (١) لسنة ٢٠٠٨ (الملغاة).
- ٣- تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم (٢) لسنة ٢٠١٤.

سابعاً : المواقع الإلكترونية :

- ١- موقع منظمة الصحة العالمية : www.who.int
- ٢- موقع شفق الإلكتروني : www.shafaaq.com

التعليم الإلكتروني حل لمعالجة مشكلة اضطراب التعليم في ظل جائحة كورونا

د. سليمة ناصر حسين

معهد الفنون الجميلة للنازحين في دهوك/ العراق

tahseen331@gmail.com

فاير - واتس اب 0770 398 06 44

E-Learning is a solution to address the problem of education disorder in light of the Corona pandemic

Researcher Dr.Salima Nassir Hussein

Institute of Fine Arts for the Displaced in Duhok

ملخص البحث

يهدف البحث إلى التعرف على التعليم الإلكتروني سلبياته وإيجابياته، فضلاً عن استخدام عينة من هيئة تدريس معهد الفنون الجميلة للتعرف على مستوى الأمان في استخدام التعليم ومعلوماته الذي حضر بشكل فعال ومفاجئ بعد جائحة كورونا. ومن أجل تحقيق الهدف من البحث عمدنا إلى إجراء استبانة لمعرفة آراء التدريسيين في معرفة مستوى الأمان في استخدام التكنولوجيا في التعليم.

وقد استخدمت الباحثة الدراسة الوصفية التحليلية في البحث.

وقد أظهرت نتائج البحث عن وجود بعض العوائق التي تعيق استخدام التدريسيين للتعليم الإلكتروني بشكل سلس ومريح، ومن أهمها التحول المفاجئ للتعليم الإلكتروني، في ظل جائحة كورونا وعدم وجود بنية تحتية للقيام بمثل هذا النوع من التعليم قد تزعزع الثقة عند البعض بالنتائج التي يحصل عليها الطالب.

وفي نهاية البحث قدمنا جملة من التوصيات والمقترحات التي تفيد الأشخاص الذين يستخدمون التعليم الإلكتروني كبديل أو موازي للتعليم الإعتيادي.

الكلمات المفتاحية: التعليم، التعليم الإلكتروني، جائحة كورونا، أزمة، فلسفة

Abstract

After the option of E-learning has become a solution to the disorder in all levels of the normal education system.

E-learning has become an urgent and acceptable requirement to continue the educational process and ensure to not stopped completely. The aim of this research is to shed light on E-learning as an available and suitable solution, with a comprehensive review of the advantages and

disadvantages of this option accompain with a simple discussion of all the challenges which facing this option at the present time , in addition to its future after Corona pandemic.

Key words :Education, E- learning, Corona pandemic, Crisis, Philosophy

المقدمة

العالم بأجمعه صحا على صدمة جائحة كورونا أو ما يسمى (covid 19)، تلك الجائحة التي غيرت مسارات الحياة في العالم أجمع، وتوقفت عجلة الحياة.

منظمة الصحة العالمية أعلنت، عن تحوله إلى (جائحة، وباء عالمي) بدأ من مدينة ووهان الصينية في اواخر ٢٠١٩ و أوائل ٢٠٢٠ ومن ثم انتشر إلى العديد من دول العالم حدثت التغيرات في كل نواحي الحياة واصابتها بالشلل وكان للتعليم النصيب الكبير من هذه التغيرات، بعد أن تسبب في انقطاع أكثر من ١,٦ مليار طفل وشاب عن التعليم في ١٦١ بلد أي ما يقارب ٨٠% من الطلبة الملتحقين بالمدارس على مستوى العالم.

من أجل هذا أصبح لا بد من إيجاد حلول من أجل الخروج من أزمة إغلاق المدارس والجامعات أصبح التعليم الرقمي أو التعليم عن بعد مطلباً ملحاً للأساتذة والإداريين التربويين والتلاميذ وطلبة الجامعات باختلاف جنسياتهم حول العالم بعدما أرغم الجميع على حجر شبه طوعي أو مفروض.

إنها فرصة تاريخية وغير مسبوقه تخرج من رحم الأزمة الوبائية العالمية وتضع أعيننا **ام** إما خيار التعليم عن بعد أو إنهاء العملية التربوية باجمعها.

جاء خيار نوع من التعليم جديد ومبتكر سيغير شكل وطريقة التدريس التقليدية بالانتقال من تعليم السبورات والكتب والدفاتر والأقلام إلى تعليم الشاشات والآلات والتطبيقات وتبعاً لهذا سيغير دور الأستاذ والمتعلم في نوع العلاقة التفاعلية بينها داخل وخارجها، ودور المدارس ككل في المنظومة التعليمية الجديدة.

مع هذا فهذه الانتقالة شبه الإجبارية في نوع التعلم والتعليم في الإنتقال المباشر إلى التعليم عن بعد أو التعليم الإلكتروني ليس بتلك السهولة في التطبيق لأنها تحتاج إلى امكانيات دولية في التعليم، والتعليم الإلكتروني كغيره من استراتيجيات التعليم مع حزمة من الايجابيات والسلبيات وأيضاً لا يمكننا أن نتوقع بنتائج مثالية من هذه التجربة بسبب الظروف السيئة والسريعة التي طبق بها التعليم، التي كان الهدف منها هو استمرار عملية التعليم وعدم توقفه لأنه أولوية قصوى ومهمة في خضم تفشي الفايروس في العالم، من دون أن يكون هنالك تحضيرات مسبقة أو إعدادات أو تدريب مسبق ببرامج أو دورات سواء للطلبة أم للعاملين في السلك التدريسي إذاً فلسفة التعليم الإلكتروني هي عبارة عن تحول جذري في التعليم التقليدي إلى التعليم المبني على استخدام الحاسوب، فهو يشجع المعلم على التحول من مصدر للمعلومات الميسر ومسهل لعملية التعلم إلى دور المرسل والطالب إلى دور المستقبل.

والتربويون يرون أن التعليم الإلكتروني يستطيع أن يسد ثغرة هامة في المجال التعليمي فهو يتمتع بعدة مميزات تؤهله لإزالة الكثير من العوائق التي تحول دون تعليم الجميع بيسر وسهولة، وكذلك تميزه بالجددة وحرية ومرونة الوقت، فهو يطلق العنان للتفكير والإبداع.

الفصل الأول

أهمية البحث

لتكنولوجيا المعلومات دوراً كبيراً في مواجهة المشكلات الكبرى التي تواجه التعليم في ظل جائحة كورونا، والعمل على الوصول إلى تحقيق الهدف النهائي في عملية التعليم والتعلم وهو اتقان الطلاب للمهارات وتحقيق الأهداف التعليمية في ظل الأزمة الحالية والخروج لحلول مرضية ولكن ليس على حساب التعليم.

هنالك أهمية كبيرة وتزايد يوماً بعد يوم للتعليم الإلكتروني في العملية التعليمية الجامعية، فمن جهة يعمل على تقليل التكاليف المادية في العملية التربوية وأيضاً عنصر الزمان والمكان فهو يتجاوزه، فضلاً عن الإفادة من شريحة أكبر في المجتمع من الخدمات التي يقدمها التعليم الإلكتروني عن طريق تدريس المواد الدراسية والدورات والورش التدريبية والمؤتمرات العلمية وغيرها.

إنه تعليم يتم بنوع من المرونة ودرجة كبيرة من الحرية بالنسبة للطلاب ويتسم أيضاً بالحيادية.

ومع كل هذا إلا أن التعليم الإلكتروني يواجه بعض المشكلات ومنها ١- الزيادة المفاجئة في إعداد المتعلمين في ظل جائحة كورونا. ٢- قلة المدرسين المؤهلين تربوياً. ٣- الفروقات الفردية بين الطلبة، فالمدرس ملزم بإخاء كم من المعلومات في وقت محدد.

وفي ضوء ذلك ينبع أهمية البحث من أنه يبحث التعليم الإلكتروني وأهميته وصعوباته من وجهة نظر الهيئات التدريسية:

- التعرف على السلبيات والإيجابيات للتعليم الإلكتروني.
- التعرف عن قرب على الصعوبات التي تواجه عملية التعليم الإلكتروني في ظل جائحة كورونا.
- معرفة مستوى الأمان بالنسبة للتدريسيين باستخدام التقنيات الحديثة، ومدى مستوى الثقة في النتائج الإمتحانية التي يحصل عليها الطلبة.

أهداف البحث:

الهدف من البحث هو معرفة أثر استخدام التعليم الإلكتروني على الطلبة ومدى ثقة الهيئة التدريسية في حماية المعلومات الشخصية مدة استخدام التعليم الإلكتروني، ومدى الثقة ومستوى الأمان المتحقق في النتائج النهائية للطلبة للعام الدراسي ٢٠١٩ - ٢٠٢٠.

أسئلة البحث:

حاول البحث الرد على الأسئلة الآتية :

١. بعد أداء الإمتحانات النهائية للعام الدراسي ٢٠١٩ - ٢٠٢٠، ما هو مدى الثقة في هذه النتائج بعد حصول الطلبة على درجات مرتفعة في أغلب المواد الدراسية مقارنة في تحصيلهم في السنوات السابقة.

حدود البحث:

١. الحدود المكانية: معهد الفنون الجميلة للنازحين.
٢. الحدود الزمانية: الإمتحانات النهائية للعام الدراسي ٢٠١٩ - ٢٠٢٠.
٣. الحدود البشرية: كادر المعهد المتكون من ٢٠ تدريسيين ذكور واناث.

منهج الدراسة:

الدراسة الحالية اعتمدت المنهج التحليلي الوصفي وهو منهج مناسب مثل هذه الدراسات حيث يساعد هذا المنهج على الوصول إلى الحقائق في الظروف الراهنة ويستتبط الصعوبات التي تواجه المدرسين في استخدام التعليم الإلكتروني من ناحية الثقة بالنتائج.

ويتناسب المنهج مع طريقة جمع البيانات المعتمدة في هذه الدراسة وهي الاستبانة التي تعتمد في صدق بياناتها على معامل كثيرة ترتبط بأفراد العينة واهوائهم وجديتهم في تقديم البيانات.

مشكلة البحث:

في ظل التسارع الكبير للأوضاع الحالية التي أفرزتها جائحة كورونا على التعليم بشكل عام، بدأت المؤسسات التربوية لمراجعة أهدافها ومؤسساتها والممارسات الكفيلة للوصول بالعملية إلى بر النجاة.

بدأت بالبحث عن أنسب الأساليب وأفضل الأنماط التي يمكن أن تقدم من خلالها طريقة تعليمه لطلابها، بدلاً من الأساليب المتمركزة على الذاكرة والتلقين.

من هنا افرزت العملية التعليمية من خلال التعليم الإلكتروني العديد من المشكلات ومن ضمنها مدى مستوى الثقة في النتائج المستحقة من الامتحانات وظهور النتائج المرتفعة وغير المقنعة مما أدى إلى الشك بالنتائج، ومدى مستوى الأمان بالنسبة لمعلومات التدريسيين الشخصية.

الفصل الثاني

تحديد المصطلحات

دول العالم أجمع وفي ظل التسارع الكبير في ظل جائحة كورونا اتجهت على اختلاف مستوياتها إلى التعليم الإلكتروني كحل لمشكلة التعليم بعد أن اجبرت على ترك مقاعد الدراسة والأستعانة بالنظام الحوسبي لتأمين عملية التعلم والتعليم.

التعليم الإلكتروني (Electronic Learning) هو وسيلة من الوسائل التي تدعم العملية التعليمية وتحولها من طور التلقين إلى طور الأبداع والتفاعل وتنمية المهارات، ويجمع كل الأشكال الإلكترونية للتعليم والتعلم، إذ يستخدم أحدث الطرق في مجالات التعليم والنشر والترفيه باعتماد الحواسيب و وسائطها التخزينية وشبكاتها (ويكيبيديا).

وكارلينز (Carlines) يقول : إن التعليم الإلكتروني هو (التعليم الذي يتم عن طريق الحاسب، وأي مصادر اخرى تعتمد على الحاسب تساعد في عملية التعليم والتعلم، وفي عملية التعليم الإلكتروني على الحاسب محل الكتاب ومحل المعلم حيث يقوم جهاز الحاسب في الدرس الإلكتروني بعرض المادة التعليمية على الشاشة بناء على استجابة الطالب.

يعرفه بيميش وآخرون (Beamish & ec ac. 2002) التعليم الإلكتروني: على إنه إندماج مجموعة واسعة من التطبيقات والعمليات على التدريب والتعلم التي تشمل التعلم القائم على الكمبيوتر، والتعلم عبر الإنترنت، والفصول الافتراضية والتعاون الرقمي^(١) وغير ذلك يمكن استخدام تعريف واسع وشامل قدمه سامبروك ٢٠٠٣ على إنه (نشاط يدعم باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وغالباً ما يعقب تلك نقاشات حول هذه التكنولوجيا، ومنها استعمال الحاسوب وملحقاته ووسائل العرض

(١) Beamish,N,Armisted,C,Watkinson,M.and Armfiled,G (2002): The development of e-learning in UK/European corporace organization, Eurpean Business jornal, Vol 14 NO.3.PP 105.

الإلكترونية والقنوات الفضائية والأقمار الصناعية وشبكة الإنترنت والمكتبات الإلكترونية لغرض إتاحة التعلم على مدار اليوم ولمن يريده وفي المكان الذي يناسبه، بوساطة أساليب وطرائق متنوعة لتقدم المحتوى التعليمي بعناصر مرئية ثابتة ومتحركة وتأثيرات سمعية وبصرية، مما يجعل التعليم أكثر تشويقاً ومتعة وبكفاءة أعلى وبجهد ووقت أقل وهذا ما يعرف الآن بالتعليم الإلكتروني^(١).

إذاً المفهوم:

التعليم الإلكتروني، أو التعلم عن بعد، أو التعلم عبر الإنترنت على أنه أحد أشكال التعليم التي أصبحت جزءاً رئيساً من المنظومة التعليمية ويشتمل على عنصرين رئيسيين هما، الفصل المادي للمعلمين والطلاب مدة عملية التدريس، فضلاً عن استخدام التقنيات المتعددة لتسهيل عملية التواصل بين الطالب والمعلم وبين الطلاب أنفسهم، ويركز التعليم عن بعد على الطلاب غير التقليديين الذي لا يستطيعون حضور محاضرات الفصل الدراسي مثل: الطلاب الذي يسكنون في المناطق النائية، أو الفئة العاملة بدوام كامل، أو العسكريين، أو غير المقيمين في البلاد، وغيرهم^(٢).

وأيضاً عرف بأنه نمط تفاعلي يركز على المتعلم ويعتمد على تصميم بيئة التعلم بشكل ييسر التعليم، باستخدام الوسائط الإلكترونية المتعددة لتقديم مواد وبرامج للمتعلمين تحقق أهدافاً تعليمية سواء داخل المؤسسة التعليمية أم خارجها^(٣).

ويعرف أيضاً بأنه طريقة يتم فيها التعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة والحاسب وشبكاته و وسائطه المتعددة من صوت وصورة ورسومات وآليات بحث ومكتبات الكترونية، وبوابات الانترنت سواء أكان ذلك التعليم عن بعد أم داخل الفصل الدراسي^(٤).

طرق وأساليب لتقديم المواد الدراسية في التعليم عن بعد:

أصبح التعليم يتم بصورة تزامنية وغير تزامنية من خلال هذه التكنولوجيات، وأهم هذه الأساليب هي:

١. المؤتمرات المرئية: من خلالها يرتبط المتكلمون مع بعضهم البعض بوساطة شبكة اتصالات كمبيوتر عالية القدرة ومن خلالها التفاعل مع بعضهم البعض.
٢. الصف الافتراضي: هي عبارة عن غرفة الكترونية وأماكن خاصة يتواجد بها الطلبة ويرتبطون فيما بينهم ومع المحاضر بوساطة وصلات وأسلاك وموجات قصيرة عالمية التردد يرتبط بالقمر الصناعي.
٣. شبكة الاتصالات بوساطة الكمبيوتر.
- أ. البريد الإلكتروني (E-mail).
- ب. الرسائل الآتية.
- ج. مؤتمرات الكمبيوتر.
- د. برامج الأقمار الاصطناعية.

(١) Sambrook,S (2003): E-learning in small organization Education training Vol. 45 NO 8/9 PP 306.

(٢) فتحي بسمور، هنادي: ما هو التعليم الإلكتروني، ٢٠١٩، ص ٣.

(٣) مصلحي، زينب محمود: تحديات التعليم الجامعي الإلكتروني في مصر والفرص المتاحة للاستفادة منه، مستقبل التربية العربية، مج (١٣) العدد (٤٦)، ٢٠٠٧، ص ١١.

(٤) عطية، محسن علي، الاستراتيجيات الحديثة في التدريس الفعال، دار صفاء، عمان، ٢٠٠٨، ص ١٦٣.

٥. شبكات الاتصالات والمعلومات (الإنترنت)^(١).

فلسفة التعليم الإلكتروني في العراق:

التطور هو سمة العصر وخاصة في مجال تكنولوجيا المعلومات، لم تعد أساليب العلم التقليدية كافية وبخاصة مع الاعداد المتزايدة من الطلبة وخصوصاً في التعليم الجامعي، التي أصبحت ضرورة استراتيجية في ضوء اقتصاد يستند الى المعرفة وهنا نجد التوجه إلى التعليم عن بعد (Distance learning) التي تنفق عليها الدول المتقدمة مليارات الدولارات سنوياً، لدرجة أن مصطلح التعليم عن بعد سوف يتراجع في المستقبل القريب ليظهر مصطلح آخر أوسع شمولية هو التعليم الافتراضي (Virtual Learning).

التعليم عن بعد يعد من التجارب الرائدة والواعدة في عالمنا العربي ويتطلب لإنجازه بناء البنية التحتية الكافية لتفني بخدمات التعليم الجامعي الإلكتروني، ومن مهامه تعميم نظام إدارة التعليم عن بعد بما يخدم الأكاديميين والإداريين على مهارات ونظم ادارة التعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد، وبناء المنهج الإلكتروني وبناء بوابات التعليم الإلكتروني وبرامج النوعية بالتعليم عن بعد.

يلاحظ أن أغلب الطلاب في العراق لا تتعدى معرفتهم لاستخدامات الإنترنت عن التصفح واستخدام محركات البحث الإلكتروني ومنشآت الحوار والدرشة ناسين التوجه للخدمات التعليمية وهيئات ومؤسسات المجتمع المدني الأخرى المعنية بشؤون التعليم عن بعد التي يكون لها الدور الكبير في نجاح هذا النوع من التعليم لهذا فان التوسع في مشاريع التعليم عن بعد في العراق، أصبحت ضرورة ملحة وعاجلة لتأهيل وإعداد الأكاديميين والطلاب والإداريين على نظم ومهارات هذا النوع من التعليم، لتحقيق أهداف جديدة قادرة على المنافسة محلياً وعالمياً ولتعزيز فرص التعليم المستمر مدى الحياة وتنمية المهارات والمعلومات.

لهذا يبقى التعليم عن بعد واحداً من أهم المواضيع الحيوية التي تشغل بال المسؤولين عن التعليم في كل مكان، ومثلما لكل موضوع فلسفته، فالأمر ينطبق على التعليم عن بعد، الذي له أبعاد فلسفية منها:

١. حق الأفراد في الوصول إلى المعرفة، وحتى ولو كانت بعيدة.
٢. حق الأفراد في الفرص التعليمية، حتى وإن تجاوزها الزمن.
٣. التحول من التعليم إلى التعلم، أو من نشاط المعلم إلى نشاط المتعلم.
٤. تكيف المتعلم مع برنامج التعليم وفقاً لحاجته واهتماماته وقدراته وسرعته الذاتية وتعلمه الذاتي^(٢).

الإيجابيات والسلبيات للتعليم الإلكتروني:

الإيجابيات:

التعليم الإلكتروني يعد من أهم أساليب التعلم الحديثة، لأنه يساعد في حل مشكلة الانفجار المعرفي والطلب المتزايد على التعليم، ويساعد في حل مشكلة ازدحام قاعات المحاضرات، إذا ما استخدمت طريقة التعلم عن بعد، وتوسيع فرص القبول في

(١) شبكة الانترنت.

(٢) فضل الله، م. م. جان سيريل: واقع وآفاق التعليم عن بعد وأثره في التعليم في العراق، مركز بحوث السوق وحماية المستهلك، جامعة بغداد، ص ٢٠.

التعليم، والتمكين من تدريب العاملين وتأهيلهم من دون تلك أعمالهم، وتعليم ربات اكبيوت مما يسهم في رفع نسبة المتعلمين والفضاء على الأهمية^(١).

التعلم عن بعد حاله حال أي طريقة تعليم، فانه يأتي مع مجموعة من الإيجابيات والسلبيات، ولا سيما مع الأوضاع الحرجة التي طبق بها وانتشار التجربة في وقت حرج، فإننا لا يمكننا توقع نتائج مثالية من هذه التجربة، نظراً للسرعة الكبيرة التي طبق بها و اجبرت المدارس والجامعات على الانتقال للتعليم الإلكتروني كحل لمشكلة اضطراب التعلم والتعليم، في ظل جائحة كورونا جاءت كحل للحفاظ على استمرارية تعليم الطلبة بعد التعليم أولوية قصوى ومهمة في خضم انتشار الفيروس وحظر التجوال.

كان كل منها مفاجئ من دون تحضير أو تدريب مسبق سواء للكادر التعليمي أم الطلبة وأولياء الامور.

لهذا رغم كل الصعوبات التي واجهت تطبيقه إلا انه كان الحل الأمثل إلى الوصول إلى بر الأمان بالعملية التعليمية لذا سأدرج جزء من إيجابيات التعليم الإلكتروني يقول (Sansom & Mayers):

١. أصبح الوصول إلى المحتوى التعليمي أكثر سهولة.
٢. الحصول على المادة التعليمية لأكثر عدد من الوقت نفسه .
٣. الحصول على الدورات والدرجات العلمية في أي وقت وأي مكان، إذ كسر حاجز الحدود إذ لم يعد الطالب مجبراً على السفر للحصول على درجة أو مشاركة في دورة علمية.
٤. المشاركة في المؤتمرات بشكل مباشر وأنت في بيتك.
٥. إمكانية الوصول إلى المادة التعليمية في أي وقت كونها محفوظة.
٦. يساهم أيضاً في خفض الوقت اللازم للتعلم بسبب إلغاء الوقت الممنوح للدرس.
٧. يستهلك طاقة أقل مقارنة بالدوام المنضبط في الجامعات.
٨. التعليم الإلكتروني هو صديق للبيئة لأنه لا يستهلك أوراق وطباشير وأقلام و ورق.
٩. يعزز التعليم الإلكتروني من العلاقات الاجتماعية الواسعة.
١٠. يعزز المعرفة بسبب الوصول إلى أكبر كمية من المعلومات من خلال البحث الإلكتروني.
١١. أصبح التعليم الإلكتروني هو طوق النجاة والوصول إلى بر الأمان في حالات الكوارث الطبيعية مثل كورونا وغيرها.
١٢. أصبحت هنالك زيادة في إمكانية الإتصال بين الطلبة فيما بينهم، وبين الطلبة والمدرسة، وذلك من خلال سهولة الإتصال بين الأطراف، فالتعليم الإلكتروني يجعل النقاش مفتوح في المواضيع المطروحة.
١٣. المساهمة في وجهات النظر المختلفة للطلاب، فالغرف تتيح فرص لتبادل وجهات النظر المختلفة في المواضيع المطروحة.
١٤. الإحساس بالمساواة لأنه يتيح لكل طالب فرصة الإدلاء برأيه في أي وقت ودون حرج.
١٥. سهولة الوصول إلى المعلم والوصول اليه في أسرع وقت.
١٦. توفر المناهج طوال اليوم وفي كل أيام الأسبوع.
١٧. الإستمرارية في الوصول إلى مناهج تجعل الطالب في حالة استمرار إذ بإمكانه الوصول إلى المعلومات التي يريدتها في الوقت الذي يناسبه.

(١) اشتاتو، محمد: معلم المستقبل، تحديات التنمية الذاتية و رهانات المعرفة العلمية، المؤتمر الدولي نحو اعداد أفضل لمعلم المستقبل، سلطنة عمان، مسقط، ٢٠٠٤،

١٨. التعليم الإلكتروني وفر أدوات تقوم بتحليل الدرجات والنتائج والاختبارات وكذلك وضع احصائيات لها^(١).

سلبيات التعليم الإلكتروني:

لا يخلو التعليم الإلكتروني من سلبيات كونه حديث التطبيق في بعض المجتمعات التي تعاني من [جهل الكتروني] ما بين الشديد والمتوسط.

نوجز البعض منها:

١. يجد الطلاب صعوبات من التركيز عندما يكونون محاطين بالأهل مدة الدرس فيتشتت التفكير والتركيز.
٢. عدم وجود المعلمين والطلاب بشكل مباشر للطلاب مما يقلل من التفاعل ما بين الطلاب والمدرسين.
٣. عدم توافر الإمكانيات لدى الجميع في استخدام الأجهزة الحديثة بشكل متساو، فلا يزال هنالك تفاوت كبير في استخدام هذه الاستراتيجيات التي تحتاج إلى تحدي حاسم في الوقت الحرج.
٤. الفروقات الفردية بين الطلاب يجعل من الصعب على المدرس الاهتمام بالفروقات الفردية مما يؤدي إلى ضياع حق الطلبة الحاضرين.
٥. تدار هذه المواقع التعليمية من لدن إدارة المدرسة بأنظمة محددة أحياناً يصعب على الطلاب التماشي معها لقدم الحاسوب أو الهاتف.
٦. تكاسل الطلاب عن متابعة الدروس في وقتها مما يؤدي إلى تراكم المادة العلمية.
٧. ضعف شبكات الإنترنت وانقطاعها أحياناً.
٨. ضعف الحالة المادية أو سكن البعض في مناطق تفتقر إلى شبكات الإنترنت.
٩. إمكانية غش الطالب بسهولة.
١٠. ضعف شخصية الطالب لعدم إمكانية الحوار والنقاش المباشر مع المدرس.
١١. ضعف الثقة في الشهادات التي تمنح.
١٢. افتقار الجوانب العملية المباشرة.

(١) عبدالله علي، د. علي: التعليم الإلكتروني والتعليم التقليدي، دراسة تحليلية مقارنة، كلية بغداد للعلوم الاقتصادية، العدد (١٤)، ٢٠٠٩، ص ٧ - ٨.

الفصل الثالث

عينات البحث

اقتصرت عينة البحث على أعضاء الهيئة التدريسية لمعهد الفنون الجميلة وأقسامه كافة ، والبالغ عددها ٦ أقسام وبواقع ٢٠ عضوا تدريسي ١٣ تدريسية و ٧ تدريسيين.

وتم توزيع عينة البحث حسب سنوات الخدمة والتخصص.

التخصص	النوع	سنوات الخدمة
نحت	تدريسي	١٣ سنة
	تدريسي	١٥ سنة
	تدريسي	١٠ سنوات
رسم	تدريسي	١٥ سنة
	تدريسي	١٢ سنة
موسيقى	تدريسي	٢٠ سنة
	تدريسية	١٤ سنة
اخراج	تدريسي	٢٥ سنة
	تدريسي	١٢ سنة
	تدريسي	٢٠ سنة
	تدريسي	١٠ سنوات
مسرح	تدريسي	١٥ سنة
	تدريسي	١٢ سنة
	تدريسي	١٧ سنة
	تدريسي	سنتان
خط	تدريسي	٥ سنوات
	تدريسي	١٠ سنوات
	تدريسي	سنة
	تدريسي	٨ سنوات

ولغرض التحقق من صحة النتائج فكان لا بد من توافر الإستبانة التي تهدف إلى بيان مستوى الأمان في نتائج الإمتحانات ومدى الوثوقية بمستوى الأمان بالتعليم الإلكتروني.

الهدف في الإستبانة:

هي محاولة التعرف على الصعوبات الأمنية في التعليم الإلكتروني والنتائج المتحققة ومدى الثقة في الحفاظ على معلومات التدريسيين ظهرت النتائج كالاتي:

٩٠% من التدريسيين لا يثقون بنتائج الأمتحانات.

٩٠% من الإناث.

٤٠% من التدريسيين لا يعتقدون أن نظام التعليم عبر الإنترنت مفيد.

٢٥% من الإناث.

١٥% من الذكور.

٨٠% اعتقدوا من السهل اختراق أمن أنظمة التعلم.

٥٥% إناث.

٢٠% ذكور.

٣٠% من التدريسيين أكدوا على خطر انقطاع الخدمة لأسباب بشرية (عربي او معتمد).

٩٠% من الإناث.

٩٠% من الذكور.

٨٥% من التدريسيين يعتقدون أن المعلومات الشخصية المخزنة في قاعدة بيانات غير آمنة.

٤٠% من الإناث.

٤٥% من الذكور.

٨٠% يعتقدون أن المعلومات الشخصية غير محمية بشكل صحيح في نظام التعلم عبر الأنترنت.

٤٠% من الإناث.

٤٠% من الذكور.

٨٠% من التدريسيين يعتقدون أن كلمات المرور ومعرفات المستخدم غير مؤمنة.

٦٠% من الإناث.

٢٠% من الذكور.

٧٠% من التدريسيين يشعرون بالإطمئنان على أن الهياكل القانونية والتكنولوجية تحميهم بشكل كاف من مشاكل نظام

التعلم عن بعد عبر الأنترنت.

٥٥% من الإناث.

٢٠% من الذكور.

٨٠% من التدريسيين يشكون أن التعليم عبر الإنترنت لديه القدرة على أداء مهمته نسبة متساوية من الذكور والإناث.
٧٠% من التدريسيين مؤمنين بإتاحة التعليم عبر الإنترنت التواصل التفاعلي نفس النسبة بين الذكور والإناث.

رغم أن الإستبانة كانت مختصرة بسبب قلة العينة المختارة لأن المعهد للناحين، إلا أنها بيّنت إلى الهدف المطلوب من الإستبانة حول مدى الثقة في الإمتحانات ومستوى الأمان فيها، ومدى الثقة والأمان للمعلومات الشخصية لدى الأساتذة. وتوصلت بالنتيجة إلى أن نسبة عدم الثقة كانت عالية تراوحت ما بين ٧٠ - ٩٠% من خلال مستوى الدرجات العالية في الإمتحانات الأخيرة ٢٠١٩ - ٢٠٢٠، فقد أثبتت التجربة عدم مصداقية أغلب الطلبة في أداء الإمتحانات من خلال الإستعانة بكوكل أو الكتاب المفتوح، وفك كلمات المرور السرية للأساتذة مما يؤدي إلى غبن في حقوق الطلبة المتفوقين مما يستدعي ذلك إعادة النظر في طريقة جديدة للإمتحانات تضمن العدالة بين الجميع لأن النتائج أظهرت درجات الطلبة بشكل متقارب ما بين الطلبة وهذا يشكل مشكلة مستقبلاً.

- التوجيه بإيجاد نظام جديد في طريقة أداء الإمتحانات حتى يضمن العدالة في استحقاق الدرجة.
- إيجاد أنظمة تضمن مستوى عالٍ من الأمان بالنسبة للمعلومات لدى الأساتذة وتضمن اختراق أنظمتهم الامنية.

الفصل الرابع

تجارب بعض الدول في مجال التعليم الإلكتروني

تجربة اليابان:

بدأ اليابان في مجال التعليم الإلكتروني (١٩٩٤) بدأ بمشروع الشبكة التلفازية التي تبث المواد الدراسية التعليمية، بوساطة أشرطة فيديو للمدارس حسب الطلب من خلال (الكبيل) كخطوة أولى للتعليم عن بعد، وفي عام (١٩٩٥) بدأ مشروع اليابان المعروف باسم مشروع المائة مدرسة حيث تم تجهيز المدارس بالإنترنت لغرض تجريب النشاطات المدرسية والبرامج التعليمية من خلال استخدام تلك الشبكة.

أما في عام (١٩٩٥) قامت لجنة العمل الخاصة بآليات التربوية في اليابان تقريراً لوزارة التربية والتعليم يقترح منه قيام الوزارة بتوفير نظام معلومات إقليمي مدى الحياة في كل مقاطعة يابانية، فضلاً عن توفير مراكز للبرامج التعليمية وإنشاء مركز وطني للمعلومات، وقامت بوضع خطط خاصة بتدريب المعلمين وأعضاء هيئات التعليم على هذه التقنية الجديدة وهذا ما دعمته ميزانية الحكومة اليابانية للسنة المالية (١٩٩٦ - ١٩٩٧) حيث أقرت أعداد مركز برمجيات لمكتبات تعليمية في كل مقاطعة ودعم البحث والتطوير في مجال البرمجيات التعليمية ودعم البحث العلمي الخاص بتقنيات التعليم الجديدة وأيضاً دعم الأنشطة كافة المتعلقة بالتعليم عن بعد، وتوظيف شبكات الانترنت في المعاهد والكليات التربوية، لتبدأ بعد ذلك مرحلة جديدة من التعليم الحديث، وتعد اليابان الآن من الدول التي تطبق أساليب التعليم الإلكتروني الحديثة بشكل رسمي في معظم المدارس اليابانية وهناك تجارب رائدة أخرى مثل تجربة الولايات المتحدة الأمريكية والتجربة الماليزية والتجربة الأسترالية وتجربة الإمارات العربية المتحدة وتجربة سلطنة عمان.

الهدف من التعليم عن بعد:

آلية هذا النوع من التعليم مبنية على تكنولوجيا الصوت، الصوت و الصورة، والمواد المطبوعة وهذه البرمجيات لها أثر في زيادة فرص التعليم الجامعي، للأشخاص الأقل حظاً من حيث ضيق الوقت أو بعد المسافة أو الاعاقة الجسدية أو عدم توفر المقاعد الدراسية.

وأيضاً هذا النوع من التعليم يساهم في رفع مستوى المعرفي للعاملين في حقل التعليم عن بعد، مقارنة بالطريقة التقليدية التي يكون وجهاً لوجه.

يشار إلى أن التدريس والدراسة عن بعد يمكن أن يكون لها نفس الفاعلية بالنسبة للتعليم التقليدي، وذلك عندما تكون الوسائل والتقنيات المتبعة ملائمة لموضوع التعلم نفسه، فضلاً عن التفاعل المباشر الذي يحدث بين طالب وأخر، والتغذية المرتدة بين المدرس والمتعلم وبيئة التعلم^(١).

التعليم عن بعد في ضوء النظرية العصرية يعد جزءاً من خطة شاملة لتنمية المجتمع في المجالات الاجتماعية والثقافية وغيرها ولا بد أيضاً من تحديد الأهداف في إطار أي استراتيجية أو سياسة ضروري جداً وإذا لم تتضح فسوف تكون هنالك خسارة في الوقت والمال.

إن تحديد الأهداف له أهمية من خلال:

١. إنها نقطة البداية في التخطيط للعملية التعليمية سواء على المدى القريب أو البعيد.
٢. تُعدّ دليلاً للمعلم في عملية التعليم عن بعد تمثل الإطار الذي يعمل على تجزئة المحتوى التعليمي إلى أجزاء أو أقسام صغيرة.
٣. تساعد على تقويم عملية الأداء عن بعد من خلال ما تم إنجازه.
٤. تشير إلى تدعيم نشاطات التعليمية المطلوبة لضمان تحقيق التعليم الفعال^(٢).

التحديات التي تواجه التعليم الإلكتروني في ظل جائحة كورونا:

هنالك العديد من التحديات الكبرى التي ترافق تطبيق نظام التعليم الإلكتروني، ألا وهي كيفية إيجاد بيئة تعليمية إلكترونية مبنية على ثقافة واسعة لمفهوم التعليم الإلكتروني، كونه لم ينتشر لدى الجميع، فضلاً عن تطوير، وتدريب المعلمين والطلبة وكل العاملين في السلك التعليمي على أهمية استخدام الانظمة الإلكترونية التي تواجه تحديات أساسية ومهمة في موازنة القديم بالجديد والحديث.

هنالك الكثير من المشكلات التي تواجه التعليم الإلكتروني:

١. أعداد المدرسين المؤهلين تربوياً لا تناسب أعداد الطلبة.
٢. القصور من قبل المدرسين في مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، لأن المدرس ملزم بإتمام المعلومات في وقت محدد مما قد يؤثر على الطلبة في فقدان عامل التحفيز^(٣).

(١) العتيبي، شاهر بن لاتي: تصميم المحتوى التعليمي الإلكتروني، جامعة الملك خالد، ص ٥٦.

(٢) العامري، اسماعيل عارف: التعلم عن بعد بين المفهوم والتأصيل، القاهرة، دار الكتاب، ٢٠١١، ص ٨٦.

(٣) حسين، نشوان يعقوب، المنهج التربوي من منظور اسلامي، عمان، دار الفرقا، ١٩٩٢، ص ١٢ - ١٤.

٣. تطور ونمو تكنولوجيا المعلومات ومدى فعاليتها في عملية التعليم والتعلم مقارنة في قلة المتعلمين تكنولوجياً^(١).
٤. وجود الكثير من المعوقات التي تعرقل وتحول دون استخدام التكنولوجيا في التعليم والتدريس وفقاً لآراء أعضاء هيئة التدريس. وأيضاً لا بد من العمل على شد أتباه المتعلمين ومساعدتهم على تقبل الطريقة الجديدة والتركيز من خلال اطلاع الطلبة والمتعلمين على دور المعلم وشرح هذا الدور في عملية التعليم الإلكتروني والتأكيد على إبراز دور المعلمين في تفعيل التعلم الإلكتروني وعدم تهميش دورهم.

فضلا عن الأوضاع ليست واحدة في كل البلدان فالبلدان متوسطة الدخل والأفقر تعاني من صعوبات في هذا المجال، مما يجعلنا نفكر كيف نتصرف على نحو مناسب، فإن إنعدام تكافؤ الفرص، سيزداد مع مرور الوقت، لأن العديد من التلاميذ والطلبة لا يملكون حواسيب وصعوبة الإتصال بالإنترنت، وأيضاً إنعدام المساندة والتشجيع من قبل الأهل.

ففي الدول العربية تتراوح وتختلف الطريقة المتبعة في التعليم عن بعد، حسب إمكانيات كل دولة وأيضاً الفروقات المادية داخل الدولة نفسها.

فهناك فجوات رقمية قومية ووطنية فهي تجربة جديدة تستلزم تكريس الكثير من الجهود لتعزيز أساليب العمل والتواصل بين الطلاب و المعلمين بهدف استمرار العملية التربوية.

ويتطلب نجاح التعليم الإلكتروني تعاوناً مثمراً وجهوداً مميزة في التخطيط والتطوير السليم للمقررات الدراسية.

١. ارتفاع تكاليف بدء التشغيل، ونقص دعم أعضاء الهيئة التدريسية، وحدوث المشاكل التقنية التي قد تعيق سير العملية التقليدية.

٢. فقدان الحافز والشعور بالعزلة نظراً لقلة التواصل المباشر مع المعلمين والطلاب الآخرين.

٣. هنالك العديد من المشاكل الأكاديمية، كمشاكل التعلم والتقييم الذاتي، ونقص خدمات الدعم من المعلمين، وعدم وجود خبرة كافية للتعامل مع هذا النمط من التعليم.

٤. عدم وجود عدد كاف من أعضاء الهيئة التدريسية من أهل الخبرة في نمط التعليم الإلكتروني.

نقص التدريب والدورات التدريسية اللازمة لتطوير هذا النمط^(٢).

ماذا بعد انتهاء أزمة كورونا:

لا نستطيع القول أن مرحلة التعليم الإلكتروني بعد إنتهاء مرحلة كورونا إننا لا نواجه تحديات إلى الآن بعض الدول التي استخدمت الدراسة الإلكترونية أو التعليم عن بعد تعاني من أزمة في التعليم.

لديها جدل واسع لدى الأوساط الأسرية لأنه يحتاج إلى وقت كافٍ لتعود على هذا النمط الجديد في التدريس سواء على الطلبة أو الأهالي لأنه يحتاج إلى مدة زمنية لتنظيم و وضع مجموعة من التطبيقات والتوجيهات حتى تتوحد الرؤية التربوية الشاملة لأن الظروف التي طبق بها هذا النوع من التعليم في وقت انتشار جائحة كورونا تضع التعليم الإلكتروني أمام اختبار صعب بعده خيار الأزمة وليس حلاً شاملاً يرتبط في التخطيط في ظروف طبيعية.

(١) عطية، محمد عطية، منتوجات تكنولوجيا التعليم، دار الكلمة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١٨.

(٢) www.eleraning.gov, 4-4-2019.

Retrieved 4-4-2019.

وهناك تحدي آخر أمام جميع الأنظمة التعليمية مهمة واحدة إلا وهي التغلب على أزمة التعليم في ظل جائحة كورونا بأي وسيلة ومحاولة نشر التعليم الإلكتروني، كبادرة سد الفجوات في التعليم، وضمان حصول الجميع على فرص التعلم الجيد المتطور. نحن بحاجة البلورة سياسات واستراتيجيات لتوظيف تكنولوجيا المعلومات وإقامة الخطط القريبة والبعيدة الأمد وإقامة المشاريع لدفع الجهود البحثية والتطويرية وتسهيل الحصول على المعرفة الإلكترونية.

أختم كلامي بقول الدكتور سالم المالك المدير العام لمنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة الإيسيسكو ((أنه على الرغم من خسائر العالم الكبيرة بسبب جائحة كورونا (كوفيد ١٩) فإن هناك مكاسب أيضاً تكمن في استغلال هذه المحنة وتحويلها إلى منحة من خلال بناء المجتمعات التي تريد، علماً أن هذه الجائحة ستدفع بنا إلى تغيير جذري في المفاهيم السائدة عن المجتمع وأركانه والقوانين الخاصة بحقوق الإنسان وحقوق الإنسانية)).

((أنا على يقين أن عالم ما بعد كورونا سيكون مختلفاً عن ما قبله كثيراً وهذا يحتم علينا كدول ومنظمات ومؤسسات مجتمع مدني أن نستبق الأحداث لا أن نواكبها ونستسلم لها، فعلينا أن نبني المجتمعات التي نريد، فرغم القوانين الوقائية والقرارات الاحترازية الصارمة التي اتخذتها الدول (غنية كانت أم فقيرة) للحد من قوة انتشار ومجابهة جائحة كورونا، من إغلاق المدارس و المحال التجارية وتعطيل العمل في الدوائر الحكومية، وتطبيق الحجر الصحي، ومن هذا المنطلق، فإن منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)، أخذت على عاتقها انتهاج المبادرات سبيلاً لتمكين المجتمعات الأكثر حاجة للمساعدة والعون، على مجابهة الإلتزامات التي توضعها الجائحة، ثم مضت الإيسيسكو شوطاً أبعد بتأسيسها (التحالف الإنساني الشامل) الذي يشهد تجاوباً عالمياً كبيراً من الدول والمنظمات الدولية ومؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات المانعة لاستقطاب الرأسمال المعرفي والتقني توفيراً للمستطاع لتلك المجتمعات ذات الحاجات الطارئة.

ويستطرد المدير العام للإيسيسكو على ان إطلاق المنظمة المبادرة (المجتمعات التي نريد) ينبع من استثمارها المسؤولية، ولوضع العلوم الإنسانية والاجتماعية في سياق من حياتنا، وبرامجنا وسلوكنا اليومي، فهذا هو الوقت الأنسب حقاً لبناء الرأسمال الإنساني المتبقي لمجتمعاتنا، داعياً إلى أن يكون الجميع يداً واحدة في نشر المعرفة بحد مدركات علومنا الإنسانية والاجتماعية، شحذاً وتمكيناً لبرامج الاستكشاف العلمي المفضية بنا إلى تحقيق مبتغياتنا لتشهد مجتمعات تتصف بالتماسك والإزدهار والحيوية وفاء بما نلمه في شعار عظيم [عالم واحد - إنسانية واحدة] لنصل إلى غايتنا ونحقق هدفنا في بناء المجتمعات التي نريد.

التوصيات والمقترحات

التوصيات:

١. تطبيق التعليم الإلكتروني في بيئة متمازجة مع التقليدي إذ نستغني عن التقليدي، بل يكون مكملات لبعضهما البعض وخاصة الأطفال في سن مبكرة كي لا يؤثر على جوانب أخرى كتراجع مستوى الكتابة باليد.
٢. العمل على إعادة تأهيل شبكات الإتصال، وتوفير القدر الكافي من الوسائل الإلكترونية للمدارس والمنشآت التعليمية.
٣. تبني مشروع عربي موحد من أجل توفير الكتب المدرسية بنسخ الكترونية تتضمن برامج تدريب من أسئلة نظرية وصور وفيديو وشرائح عرض.
٤. تشجيع العمل الجامعي حول التعليم الإلكتروني وخاصة الخريجين بالتركيز في مشاريع تخرجهم على هذا الموضوع.
٥. فكرة بناء نظام رقمي متخصص في التعليم الإلكتروني للمراحل الابتدائية كمرحلة أولى في التطبيق، الفكرة تكمن في توفير نظام الكتروني يوازي المادة المعطاة في المراحل الابتدائية ويغذيها ويدعمها بالأمثلة بالإعتماد على (فيديو، فلاش، ملف صوتي).

٦. عقد دورات تدريبية لكل العاملين في السلك التربوي^(١).
٧. تقديم الدعم الفني للتدريسين/ اثناء مدة استخدامهم/ في التعليم للتكنولوجيا.

المقترحات:

١. إجراء دراسات ميدانية تتضمن برنامج علاجي للمشكلات.
٢. العمل على إجراءات تجريبية لمعرفة فاعلية التعليم الإلكتروني ومدى تقبل الطلبة له.
٣. توفير البرمجيات والاجهزة والمواد التعليمية المناسبة لاستخدامها في تدريس المناهج التعليمية لمساعدة الهيئة التدريسية على القيام بعملها.
٤. العمل على إنشاء واستحداث مراكز للوسائل التعليمية في المعاهد والجامعات تضم الأدوات اللازمة لتصنيع وسائل التعليم وبرامجه.
٥. القيام بعمل دليل إرشادي للهيئة التدريسية في مجال استخدام تقنيات التعليم وفقا لقواعد محددة.
٦. إيجاد طرق جديدة للامتحانات لضمان العدالة في تحصيل الدرجات حتى تضمن عدم الغبن للطلبة المتفوقين.
٧. إيجاد مستوى أعلى من الأمان بالنسبة للمعلومات الشخصية للأساتذة.

المصادر

١. اسماعيل عارف العامري: التعلم عن بعد بين المفهوم والتأصيل، القاهرة، دار الكتاب، ٢٠١١.
٢. جان سيريل فضل الله: واقع وآفاق التعليم عن بعد وأثره في التعليم في العراق، مركز بحوث السوق وحماية المستهلك، جامعة بغداد.
٣. حسين، نشوان يعقوب، المنهج التربوي من منظور اسلامي، عمان، دار الفرقات، ١٩٩٢.
٤. د. ضرار عبدالحميد التوم العتيبي: المعوقات الادارية والتنظيمية للتعلم الالكتروني، دراسة تطبيقية، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.
٥. د. علي عبدالله: التعليم الالكتروني والتعليم التقليدي، دراسة تحليلية مقارنة، كلية بغداد للعلوم الاقتصادية، العدد (١٤)، ٢٠٠٩.
٦. زينب محمود مصليحي: تحديات التعليم الجامعي الالكتروني في مصر والفرص المتاحة للاستفادة منه، مستقبل التربية العربية، مج (١٣)، العدد (٤٦)، ٢٠٠٧.
٧. شاهر بن لاتي العتيبي: تصميم المحتوى التعليمي الالكتروني، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.
٨. عطية، محمد عطية، منتوجات تكنولوجيا التعليم، دار الكلمة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣.
٩. محسن علي عطية: الاستراتيجيات الحديثة في التدريس الفعال، دار صفاء للنشر، عمان، ٢٠٠٨.
١٠. محمد اشتاتو: معلم المستقبل، تحديات المؤتمر الدولي نحو إعداد أفضل معلم المستقبل، سلطنة عمان، مسقط، ٢٠٠٤.
١١. هنادي فتحي بسمور: ما هو التعليم الالكتروني، ٢٠١٩.
١٢. ويكيبيديا.
١٣. يادي، سرحام، سياسات واستراتيجيات توظيف تكنولوجيا المعلومات في التعليم، اطروحة ماجستير، الجزائر، ٢٠٠٥.

(١) العتيبي، د. ضرار عبدالحميد التوم: المعوقات الادارية والتنظيمية للتعلم الالكتروني، دراسة تطبيقية، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية، ص ١٦.

١. Beamish, N, Armisted, C, Watkinson, M. and Armfiled, G (2002): The development of e-learning in UK/European corporace organization, European Basiness jornal, Vol 14 NO.3.
٢. Sambrook, S (2003): E-learning in small organizarion Education traning Vol. 45 NO 8/9.

رؤية مستقبلية للتعليم المدمج لمرحلة ما بعد كورونا فايروس Covid-19

د. سندس عزيز فارس الفارس

A futuristic vision of the blended learning of post-Corona Virus Covid-19

Theme: Educational Sciences and Educational Technologies

Sundus Azeez Faris Al-Faris

Sundusmath@yahoo.com

الملخص :

في ظل تنامي دور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وما سببته جائحة كورونا من أزمات صحية واجتماعية واقتصادية ، إنعكست بمجملها على العملية التعليمية ، كان لا بد من إحداث تغييرات جذرية في نظام التعليم الجامعي ، بحيث لا يقتصر على نمط التدريس التقليدي داخل القاعات الدراسية ، بل الإعتماد على نمط جديد يتسم بالمرونة والكفاءة والفاعلية وتوظيف التطورات الحديثة في تقنيات التعليم بما ييسر العملية التعليمية ، ونظراً لظهور مشكلات تخص التعليم الإلكتروني منها عدم توفر البنية التحتية الضرورية (أجهزة ، معدات ، معامل) لتطبيق نظم التعليم الإلكتروني ، وصعوبة تقويم المهارات في المقررات العملية ، وظهور الغش الإلكتروني من قبل الطلاب بشكل ملحوظ لذا ظهرت الحاجة لنظام تعلم جديد يعتمد على الجمع بين خصائص التعلم الإلكتروني وخصائص التعلم التقليدي وهو التعلم المدمج.

تحددت مشكلة البحث بالإجابة على السؤال الآتي:

ما هي الرؤية المستقبلية للتعلم المدمج لمرحلة ما بعد كورونا فايروس Covid -19 .؟

برزت أهمية البحث كالاتي:

- ١- تيسير عملية التعلم عن بعد وتحويل المقررات إلى مقررات الإلكترونية يمكن الوصول إليها في أي مكان وبذلك تغلب على قيود التعليم المرتبط بالمكان والزمان والتكلفة المادية .
- ٢- توفير بيئة تعليمية مرنة بإستخدام إستراتيجيات حديثة لإكساب الطلبة مهارات التفكير وتنمية الملكات الإبتكارية والإبداعية لهم .
- ٣- رفع جودة المنتج التعليمي وكفاءة أداء المعلمين.

وتحددت أهداف البحث بالآتي :

- ١- التعرف على خصائص التعلم المدمج وأبرز معوقاته من وجهة نظر المعلمين.
- ٢- وضع رؤية مستقبلية للتعلم المدمج لمرحلة ما بعد كورونا فايروس Covid -19 ، بعد التعرف على إستراتيجيات التعلم المدمج وتشمل (إستراتيجية الدمج التتابعي ، وإستراتيجية الدمج التكاملية) وتوظيفهما في التعليم .
- وإستخدم الباحث منهج البحث الوصفي التحليلي في الدراسة النظرية ووصف وتحليل الدراسات السابقة والأدبيات التربوية .
- وتحددت إجراءات البحث بقيام الباحث ببناء مقياس ليكرت الخماسي ، والتحقق من الخصائص السيكومترية (الصدق والثبات والموضوعية) . وبعد التحليل الإحصائي تم توزيعه على عينة عشوائية عددها (٢١٧) من مجتمع البحث ، والحصول على الاستجابات وإستخدام الوسائل الإحصائية : الوسط المرجح والوزن المثوي والتوصل الى النتائج وتفسيرها .
- أوصى الباحث بضرورة تدريب الطلاب على كيفية التواصل مع أساتذتهم من خلال أدوات التعلم المدمج وتقديم الحوافز المادية والمعنوية التي تساهم في تحفيز أعضاء الهيئة التدريسية لإستخدام التعلم المدمج وتوفير التجهيزات المادية والإدارية لتفعيل التعلم المدمج في الوسط الجامعي .

الكلمات المفتاحية : المستقبل ، التعلم المدمج ، التعلم الإلكتروني ، إستراتيجية الدمج التتابعي ، إستراتيجية الدمج التكاملية

Abstract

The problem research was determined In light of the growing role of information and communication technology and the covid-19 Corona pandemic caused by health, social and economic crises that were reflected in its entirety on the educational process, it was necessary to make fundamental changes in the university education system, so that it is not limited to the pattern of traditional teaching in the classroom, but accreditation On a new pattern characterized by flexibility, efficiency and effectiveness, and to employ modern developments in educational techniques to facilitate the educational process, And due to the emergence of problems related to e-learning, including the lack of the necessary infrastructure (devices, equipment, laboratories) to implement the e-learning systems, the difficulty of evaluating skills in practical courses, and the emergence of e-fraud by students significantly, so the need for a new learning system that depends on the combination of the characteristics of E-learning and the characteristics of traditional learning, which is combined learning.

The research problem was determined by answering the following question
What is the future vision for post-Corona Virus Covid-19 learning?

The importance of the research emerged as follows:

- 1 - Facilitating the process of distance learning and converting the decisions into electronic courses that can be accessed anywhere and thus overcome the restrictions of education related to place, time and material cost .
- 2- Providing a flexible educational environment by using modern strategies to provide students with thinking skills and develop their innovative and creative faculties .
- 3- Raising the quality of the educational product and the efficiency of teachers 'performance.

Determine the Aims of the research as follows:

- 1 -Learn about the characteristics of blended learning and its main obstacles from the viewpoint of students and teachers.
- 2- Setting a future vision for combined learning for the post-Corona Virus Covid-19 stage, after learning about integrated learning strategies that include (sequential integration strategy and integrative integration strategy) and employing them in education.

The research Methodology was determined using the researcher the descriptive analytical method in theoretical study, description and analysis of previous studies and educational literature.

The research procedures are determined by the researcher built a five-Likert scale, and verified the psychometric properties (honesty, consistency and objectivity). After the statistical analysis was distributed on a random sample number (200) from the research community, obtaining responses and using statistical means to represent the data in a circular way and rectangles and graph as well as using Weighted mean, percentage weight, results are interpreted and interpreted.

The researcher recommended that students should be trained on how to communicate with their professors through integrated learning tools and provide material and moral incentives that contribute to motivating faculty members to use integrated learning and provide physical and administrative equipment to activate integrated learning in the university community.

Key words: the future, blended learning, e-learning, sequential merger strategy, integrative integration strategy.

المقدمة:

تواجه مؤسسات التعليم اليوم مطالب فرضتها التطورات العلمية والتكنولوجية ، وما سببته جائحة كورونا Covid-19 من أزمات صحية واجتماعية واقتصادية إنعكست بمجملها على العملية التعليمية، كان لابد من إحداث تغييرات جذرية في نظام التعليم الجامعي، بحيث لا يقتصر على نمط التدريس التقليدي داخل القاعات الدراسية، بل الاعتماد على نمط جدي،

يتسم بالمرونة والكفاءة و الفاعلية، وزيادة امكانيات الوصول للمعلومات، وتحقيق الأفضل من حيث كلفة التطوير والوقت اللازم. وتلبية الإحتياجات الفردية وأنماط التعلم لدى المتعلمين بإختلاف مستوياتهم وأعمارهم وأرقامهم .

وأثبتت دراسات سابقة الاستفادة من التعليم المدمج في تطوير التعليم الإلكتروني بالجامعات المصرية ، وإلى فاعلية إستخدام التعلم المدمج في تنمية بعض مهارات رسم الدوال باستخدام الحاسوب لدى الطالبات الملمات بقسم الرياضيات، و برغم انتشار استخدام التعلم المدمج في عديد من مؤسسات التعليم العالي في المملكة العربية السعودية وفي مصر، إلا إن تطبيقه في الجامعات العراقية لا يتعدى بعض المحاولات الفردية من قبل أعضاء الهيئة التدريسية تخصص الحاسوب بكليات الهندسة، انطلاقاً من اعتباره من الأدوات المساعدة في إيصال المحتوى التعليمي والمشاركة في الأنشطة التعليمية المختلفة من مناقشات وعروض وحل للمشكلات التي يثيرها عضو هيئة التدريس مع طلابه .

مشكلة البحث:

أثبتت جامعات عريقة مثل هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية وكامبردج بالمملكة المتحدة نماذج مختلفة من التعلم المزيج في تخصصات مختلفة وأشارت إلى فاعليتها في تنمية جوانب مختلفة لدى الطلاب، ونادت توصيات بحوث ومؤتمرات مختلفة من أهمية ضرورة تبني استخدام التعلم المدمج في التعليم الجامعي، إلا أن الباحث لاحظ من خلال عمله في الجامعة القائمة على نظام التعلم التقليدي من خلال استخدام أسلوب المحاضرات التقليدية فقط وعدم تفعيل نظام البلاك بورد وهو نظام تعليمي إلكتروني، ونظراً لظهور مشكلات تخص التعليم الإلكتروني منها : عدم توفر البنية التحتية الضرورية من أجهزة ومعدات ومعامل لتطبيق نظم التعليم الإلكتروني، وصعوبة تقويم المهارات في المقررات العملية ، وظهور الغش الإلكتروني من قبل الطلاب بشكل ملحوظ، لذا ظهرت الحاجة لنظام تعلم جديد يعتمد على الجمع بين خصائص التعلم الإلكتروني وخصائص التعلم التقليدي وهو التعلم المدمج تحددت مشكلة البحث بالإجابة على السؤال الآتي : ماهي الرؤية المستقبلية للتعلم المدمج لمرحلة ما بعد كورونا فيروس Covid-19؟.

أهمية البحث:

يستمد البحث أهميته النظرية والتطبيقية من خلال إسهامه فيما يأتي:

- تيسير عملية التعلم عن بُعد وتحويل المقررات إلى مقررات إلكترونية يمكن الوصول إليها في أي مكان وبذلك تتغلب على قيود التعلم المرتبط بالمكان والزمان والتكلفة المادية.
- توفير بيئة تعليمية مرنة باستخدام استراتيجيات حديثة لإكساب الطلبة مهارات التفكير وتنمية المعدات الإبتكارية و الإبداعية لهم.
- رفع جودة المنتج التعليمي وكفاءة أداء المدرسين.
- الإستفادة من التقنية وعمل نوع من التواصل الفعال مع الزملاء والمدرسين من خلال الانترنت والدمج بين التعليم التقليدي والإلكتروني .

أهداف البحث:

١. التعرف على خصائص التعلم المدمج وأبرز موققاته من وجهة نظر المدرسين.
٢. بناء مقياس للتعرف على الاتجاهات حول الرؤية المستقبلية للتعلم المدمج لمرحلة ما بعد مرحلة كورونا فيروس Covid-19.

حدود البحث :

تحدد الدراسة الحالية بالتعرف على خصائص التعلم المدمج وأبرز موققاته ،وبمنهج البحث الوصفي التحليلي ، المستخدم في الدراسة ،وبعينة مكونة من (٢١٧) مدرس وبالفترة الزمنية النصف الثاني من عام ٢٠٢٠ ، في محافظة البصرة .

مصطلحات الدراسة:

١. المستقبل: إسم مفعول من استقبل: الآتي من الزمان ، ويعرفه الباحث إجرائياً : هو الزمن الآتي لمرحلة ما بعد كورونا Covid-19.

٢. التعلم المدمج: Blended Learning

- هو إحدى صيغ التعلم الذي يندمج فيها التعلم الإلكتروني مع التعلم الصفّي (التقليدي) في إطار واحد، حيث توظف أدوات التعلم الإلكتروني، سواء المعتمدة على الكمبيوتر أو المعتمدة على الشبكات (مثل شبكات الأنترنت) في الدروس -المحاضرات، جلسات التدريب والتي تتم غالباً في قاعات الدراسة (التدريب) الحقيقية المجهزة بإمكانية الإتصال بالشبكات ومن أمثلة هذه القاعات (معامل الحاسوب- الصفوف الذكية) ، وفيها يلتقي المعلم مع طلابه وجهاً لوجه في الوقت ذاته في معظم الأحيان^(١).

- وهو تعليم يمزج بين كل من التعليم التقليدي داخل حجرات الدراسة ، والتعليم الإلكتروني ، لتحقيق الاستفادة من مميزات كلا الاسلوبين^(٢).

- ويشير Singh إلى أن التعلم المدمج هو تعليم يجمع بين نماذج متصلة وأخرى غير متصلة من التعليم ، و غالباً ما تكون النماذج المتصلة online من خلال الأنترنت ، بينما تحدث النماذج غير متصلة في الفصول التقليدية^(٣).

- وهو طريقة تعليمية لتقديم المحتوى الرياضي بما يتضمن من مفاهيم رياضية ومبادئ وقوانين على وفق خصائص التعليم الإلكتروني والتعليم التقليدي ، بما يتناسب مع خصائص وإحتياجات الطلبة من جهة ، وطبيعة المادة العلمية والأهداف التعليمية المرجو تحقيقها من جهة أخرى^(٤).

٣. التعلم الإلكتروني: يعرف بأنه نظام تعليمي يتم تخطيطه وإعداده وتنفيذه إلكترونياً عبر تقنية المعلومات والاتصالات المتاحة داخل شبكة الأنترنت^(٥).

وهو نظام تعلم من خلال بيئة تشاركية قائمة على استخدام أدوات دعم تشاركية عبر شبكة الأنترنت ، تحل هذه الأدوات محل بعض الخصائص الإيجابية لبيئة التعلم التقليدية وجهاً لوجه حيث تسمح للطلاب بالتفاعل والتشارك مع بعضهم البعض^(٦). وإن التعلم الإلكتروني يتم من خلال وسائط وأدوات تكنولوجية إلكترونية تتيح للطلاب من خلالها إمكانية الإتصال والتواصل

(١).حسن حسين ، زيتون، التعلم الإلكتروني : المفهوم بالقضايا - التخطيط - التطبيق - التقييم ، الرياض :الدار الصوتية للنشر والتوزيع ١٤٢٦ هجرية ٢٠٠٥،ص١٧٣.

(٢). إبراهيم ، وليد يوسف محمد ، أثر استخدام التعلم المدمج في التحصيل المعرفي للطلاب المعلمين بكلية التربية لمقرر التكنولوجيا التعليم ومهاراتهم في توظيف الوسائل التعليمية واتجاهاتهم نحو المستحدثات التكنولوجية التعليمية ، بحث منشور، مجلة الجمعية المصرية لتكنولوجيا التعليم (١٧) (٢) ، إبريل ، ٢٠٠٧، ص٢٥٥.

(٣). Singh , H , Building effective blended Learning programs , Education Technology 43(6) , 2003 P:51- 54.

(٤). أبو الريش، إلهام حرب، فاعلية برنامج قائم على التعلم المدمج في تحصيل طالبات الصف العاشر في النحو والإتجاه نحوه في غزة ،رسالة ماجستير منشورة ، الجامعة الإسلامية -غزة عمادة الدراسات العليا - كلية التربية ، قسم المناهج وطرق التدريس ، Library .iugaza .edu./the sis /109948 Pdf،

(٥). Ismail “ The Design of E-Learning system : Beyond the Hype :Internet and Higher Education 4 2003,PP:32-336.

(٦). أمل إبراهيم إبراهيم حمادة ، وآية طلعت إسماعيل " أثر تصميم بيئة للتعلم الإلكتروني التشاركي قائمة على بعض أدوات الويب وفقاً لمبادئ النظرية التواصلية على تنمية مهارات ادارة المعرفة الشخصية لدى طلاب الحاسب الآلي : مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس ASEP العدد ٥٦ ، ج، ٢٠١٤ ، ص٨١-١٤٨ .

والتشارك والتفاعل الاجتماعي بين الطلاب بعضهم البعض لتبادل الخبرات والمعلومات والمعارف وإنجاز المهام والأنشطة التشاركية^(١)

٤. إستراتيجية الدمج التتبعي :

وهي من استراتيجيات التعلم المدمج قدمها بيرسن (Bersin،٢٠٠٤) كنموذج عملي للتعلم المدمج ، وأسماء تدفق البرنامج program flowmodle، يتم دمج المنهج الدراسي مع عدة وسائط خطوة خطوة في خطة توزيع المنهج الدراسي ، نسقت كل خطوة بحيث تبنى على خطوة تسبقها ، ويتم تنفيذ الخطوات من قبل الطلاب في تتابع خطي ، ولتطوير وحدة دراسية باستخدام استراتيجية الدمج التتبعي تستبدل بعض أحداث التعليم المباشر وجهاً لوجه بأنشطة تعلم ذاتي أو تعلم إلكتروني . حيث يبدأ البرنامج عادة بأنشطة تعلم إلكترونية، وينتهي بأنشطة تعلم ذاتي^(٢) . وفي كل خطوة من البرنامج تخصص مواد التعلم مثل (الكتب، المحاكاة، الرسوم التوضيحية... الخ)^(٣) ومن مميزاته^(٤) أنه شكل تقليدي لا حاجة لتغيير أسلوب التعلم ، وهو تعليم أكثر عمومية ، ولا حاجة لاعتماد برامج تعليمية للطلاب بمستويات منخفضة في المهارات الأساسية ، ومن تحدياته أنه لا يشمل الطلاب ذوي المهارات الضعيفة في التعليم المهني .وتحقق استراتيجية الدمج التتبعي بنسبة عالية من الانجاز ، و الإلتزام في التعلم والإستمرارية ، كما تسمح للمدرسين بمتابعة تقدم الطلبة ، وتحقيق إتساق في خبرات المتعلمين ، بما تعرف الخبرات المتزامنة.^(٥)

٥. إستراتيجية الدمج التكاملي:

وتسمى نموذج المحور والأطراف (core –and–spoke) يتم دمج المواد، والأنشطة والتدريبات والمراجع في صورة تكاملية للمنهج الدراسي، وتستخدم كمعزز وملحق ومكمل للمنهج الأساسي، والفرق بين استراتيجيتي الدمج التتبعي والدمج التكاملي، هو أن المواد التكميلية في الدمج التكاملي تكون اختيارية وليس من ضمن المقرر، فالطلاب يختارون موادهم التكميلية وليس عليهم بالضرورة إكمال البرنامج في نفس الوقت. ومن مميزاته: يتركز التعليم بشدة على الهدف المهني، ويتم التعامل مع كل المهارات الضرورية، ويتطلب درجة عالية من التعاون بين المناهج التعليمية، ويحتاج إلى عدد كافٍ من الطلاب لتشكيل مجموعة.

الإطار النظري:

يُعد مفهوم التعلم المدمج من المفاهيم الحديثة في مجال التعليم حيث إن هذا المفهوم لم يستخدمه إلا القليل قبل بداية القرن الحادي والعشرين وهو نشاطات تعليمية تشتمل على الدمج المنهج للتفاعل المباشر (التقليدي) مع التفاعل بمساعدة التكنولوجيا بين الطلبة والمعلمين والمصادر التعليمية^(٦).

١. أمل إبراهيم إبراهيم حمادة ، وآية طلعت إسماعيل " أثر تصميم بيئة للتعلم الإلكتروني التشارك قائمة على بعض أدوات الويب وفقاً لمبادئ النظرية التواصلية على تنمية مهارات ادارة المعرفة الشخصية لدى طلاب الحاسب الآلي : مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس ASEP العدد ٥٦ ، ج٤، ٢٠١١، ص١٠٣.

٢. Bozic ,N.,Mornar, v., Boticki ,1. A blended learning approach to course desing and implementation . IEEE Transactions on Education 52(1), 2009, pp:19-30 .

٣. الدوسري ، نوف عرار بليهن " أثر التعلم المدمج على تنمية الإتجاه نحو الرياضيات لدى طالبات المرحلة المتوسطة بالمملكة العربية السعودية " مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس ، العدد ٨٧ ، يوليو ٢٠١٧، ص٣٤٩-٣٧٨.

٤. الدوسري ، المصدر السابق ، ص٣٦٠.

٥. Trance learning Retrieved from <http://www.torrance.kliwer, M. super models of hended learning> .learning .com /2013/03/11/super-models –of belended learning 17september ,201

٦. Bliuc , A. –m., Good year ,p. & Ellis , R.A. Research focus and methoddological choices in studies in Higher Education, 10, 2007 p: s experiences of blended learning in higher education 'to student

وقد أشارت اللجنة الأوروبية (European OLD Liaison Committee) أنه عملية منظمة ويكون هناك تمييز بين إستبدال بعض أنماط التعلم التقليدي بأخرى تعتمد على التكنولوجيا والاستخدام الفعال للتكنولوجيا من أجل الإرتقاء بالعملية التعليمية. وانتقل التعلم من التدريس خلال اللقاءات الصفية المباشرة، والتي كانت تستلزم وجود الطالب والمعلم في مكان واحد (الغرفة الصفية) إلى توظيف التكنولوجيا في الغرفة الصفية ثم الانتقال بالتعلم الإلكتروني عن بعد، وقد تم استخدام التكنولوجيا في الغرفة الصفية من أجل تحسين العملية التعليمية مثل استخدام الحاسوب في الغرفة الصفية في تدريس المواد المختلفة، ثم اتجه مسار التطور نحو الدمج بين التدريس الصفي المباشر والتدريس عن طريق النت وتشارك التعلم المدمج مع التعلم عن بعد، وبذلك يمكن الاستفادة من خصائص التعلم عن بعد ومنها الإعتماد على الوسائل الإلكترونية وغير الإلكترونية ونقل المحتوى التعليمي، وتوفير الطرق والأدوات للتواصل بين المعلم والطالب .

مميزات التعلم المدمج :

يشير بيرسين (Bersin,2004) إلى أنه من الممكن أن يكون التعلم المدمج من أبرز التطورات التي تميز القرن الحادي والعشرين وله المميزات الآتية:

- المقدرة على توفير التعليم للجميع بغض النظر عن ظروفهم .
- التغلب على حواجز كثيراً ما حدثت من طموح العديد في التعلم مثل حواجز الزمن والمكان ويندرج ذلك على توفير التعليم في مكان العمل والمدرسة و الجامعة.
- إمكانية مزج أنماط تعلم مختلفة مما يتناسب مع ظرف المتعلم ، كما أن هذا المزج يتيح الفرصة للتغلب على سلبيات ومعوقات كل نمط من أنماط التعليم ،فالتعلم المدمج يساعد في إيجاد حلول للعديد من المسائل التي تواجه كلا من التعلم التقليدي ، والتعلم الإلكتروني .
- ربط التعلم داخل الغرفة الصفية وخارجها ومتابعه ،لأنه يستقي من مبادئ تعليمية تربوية ومعرفية ،
- زيادة إمكانية الوصول للمعلومات .
- زيادة تفاعل بين الطلاب والمعلمين والطلاب والمحتوى والطلاب والمصادر.
- تحقيق الأفضل من حيث كلفة التطوير والوقت اللازم.
- تلبية الاحتياجات الفردية و أنماط التعلم لدى المتعلمين باختلاف مستوياتهم وأعمارهم وأوقاتهم.

ومن مبررات تبني التعلم المدمج هو زيادة اعداد الطلبة في الغرفة الصفية والخروج بالعملية التعليمية من النمطية والملل، وخفض نفقات التعلم، والتعامل مع المتغيرات والكوارث الإنسانية، وإبقاء الفرصة متاحة أمام لقاء الطالب بالمعلم ، فضلاً عن تصميم تعلم فردي يناسب كل طالب ، وتخفيف حالة التوتر التي قد تنشأ نتيجة استخدام التكنولوجيا لدى البعض، وإثراء العملية التعليمية/التعليمية^(١) . كما أنه يركز على الجوانب المعرفية و المهارية و الوجدانية دون تأثير واحدة على الأخرى ، ويسمح للمصمم التعليمي يفصل المحتوى المكرر الذي يركز على مهارات التفكير الدنيا والتي يمكن تعلمها بسهولة باستخدام التكنولوجيا عن مهارات التفكير الناقد والتي يرى المعلم بضرورة معالجتها في الفصول الدراسية^(٢) .

عناصر التعلم المدمج:

تعدد مكونات وعناصر التعلم المدمج طبقاً لعناصر وأدوات التعلم الإلكتروني المستخدمة في العملية التعليمية ومن هذه المكونات:

١. الشرمان ، عاطف أبو حميد " التعلم المدمج والتعلم المعكوس ط ١ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، ص٦٤ .

٢. الدوسري ، الجزائر ، العجب ، العجب محمد ، نوف عرار بلهين " أثر التعلم المدمج على تنمية الإتجاه نحو الرياضيات لدى طالبات المرحلة المتوسطة بالمملكة العربية السعودية " مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس ، العدد ٨٧ ، يوليو ٢٠١٧ ، ص٣٥٦-٣٥٧ .

- الفصول الافتراضية ومعايشة الأحداث وتعني المشاركة لجميع المعلمين في الوقت بشكل متزامن بقيادة المعلم .
 - التعلم الذاتي : يكمل المتعلم تعلمه ذاتياً مع دعم من خلال الإنترنت أو برامج إلكترونية .
 - أدوات التواصل الاجتماعي : مثل (البريد الإلكتروني ، مناقشات إلكترونية ، دردشة عبر الإنترنت) .
 - التقييم : تقييم قبلي وبعدي وتقييم تكويني .
 - أدوات دعم الأداء : تدعيم المعلمين بمواد وبرامج وملخصات ورسوم بيانية وغيرها .^(١)
- وللتعلم المدمج أربعة مستويات هي : مستوى الأنشطة - المحتوى البرنامج - المؤسس
- العوامل المؤثرة على الدمج :**

- يتوقف نجاح عملية الدمج في أي نشاط تعليمي على ثلاثة عوامل هي على النحو الآتي :
- الهدف من التعلم: يمكن الدمج بين الأدوات والوسائط التعليمية المختلفة لتناسب مع أهداف ومخرجات التعلم.
 - سياق التعلم : تتغير عملية الدمج تبعاً لبيئة المتعلم ، وضمان جودة عملية الدمج ، ينبغي البحث بالسمات الفردية للمتعلم ، وكذلك السياقات المختلفة المتعلقة بهم .
 - مداخل التدريس والتعلم : تتأثر عملية الدمج بطرائق التدريس المفضلة لدى المعلم وأساليب التعلم المفضلة لدى الطلاب والتي ستؤثر على البرامج والأدوات الإلكترونية ، ومصادر التعلم المختلفة^(٢) .
- تحديات التعلم المدمج :** من أبرز التحديات :

- إيجاد الدمج الصحيح وتحديد الاستراتيجيات التعليمية التي تناسب مع الأوضاع المختلفة لبيئات التعلم ، لإختلاف الإمكانيات في بيئة التعلم المباشر عن بيئة التعلم بواسطة الكمبيوتر ، بما يتيح هذه الإمكانيات الاستخدام الفعال لأساليب تعليمية خاصة ضمن بيئة تعليمية محددة ، ودمج التعليم المباشر والتعليم بواسطة الكمبيوتر ، تزداد مجموعة الاستراتيجيات التعليمية الممكن استخدامها .
- أحداث توازن بين الابتكار والإنتاج : إذ يتغير تصميم أنظمة التعلم المدمج نظراً للتغير النسبي للتكنولوجيا ، وبالتالي يصبح إيجاد التوازن المناسب بين الابتكار والإنتاج أمراً صعباً .
- مقاومة الدافع لاستخدام التكنولوجيا مجرد أنها متاحة لا تكمن تحديات التقنية بالحصول على التكنولوجيا (بالرغم من إنها خطوة أولى مهمة)، بل ينصب الاهتمام في تأمين نجاح التعلم من خلال الاستفادة من التكنولوجيا الملائمة^(٣) .
- التطبيق الفعلي لنظريات التعلم : التي توفر الأطر المتينة المناهج ونماذج تعليمية جديدة ، إلا أن التطبيق الفعلي للمفاهيم ما يزال يتطلب المزيد من الجهد في ترجمتها إلى استراتيجيات تعلم ممكنة أو عملية .
- التحول إلى التكنولوجيا: تعلم كيفية استخدام الوسيلة الجديدة يتحتم على المعلم التغيير والتكيف معها.

^١ سامية حسين محمد جودة. فاعلية التعلم المدمج في تنمية بعض مهارات التفكير العليا ومهارات رسم الدوال باستخدام الحاسوب لدى الطالبات المعلمات بقسم الرياضيات ، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس ASEP ، ج ٣١ ، ح ٣ ، نوفمبر ٢٠١٢ ، ص ٩٣-١٣٤ .

^٢ ليتل جون ، أليفوند بجلر ، كريسي ، الإعداد للتعلم الإلكتروني المدمج ، (ترجمة عثمان تركي التركي وعادل السيد سرايا وهشام بركات بشر). الرياض: النشر العلمي ، جامعة الملك سعود، ٢٠١٢ .

^٣ Gudoniene, D. & Rutkauskiene, D. “ Innovative technological solutions for blended learning .”
In R .silva ,G . Tshrintzis , V. vskov , R .Howlett ,& L.jain (Eds.) , smart Digital futures , approach
pp: 697-705.2014,Amsterdam : los press ,

- قياس أثر بيئة التعلم المدمج. (١)

الرؤية المستقبلية للتعلم المدمج لمرحلة ما بعد كورونا:

إن التعليم يمكن أن يساهم في حماية الشباب، فهو يساعدهم على التكيف أو الحفاظ على الأوضاع الطبيعية أثناء الأزمات واكتساب مهارات التعلم عن بُعد، مزيد من إتقان المهارات الرقمية، وتعزيز مستوى التأهب مع إبقاء المدارس مفتوحة وفرض إجراءات وقائية ودعمها بالبرامج التكنولوجية، والتأكيد على التعلم المدمج.

إن تحديد المخرجات التعليمية المراد تحقيقها من البرنامج تستند إلى توظيف التكنولوجيا المناسبة لتحقيق ذلك والطريقة التي يتم بها التوظيف هي التي تعمل الفرق وتحدد القيمة المضافة للموقف التعليمي ولذلك يكون تمكن المعلم من التكنولوجيا قضية جوهرية ويمكن تناول موضوع التكنولوجيا ضمن التعلم المدمج في ثلاث محاور أساسية وهي كالآتي:

١. البرامج الحاسوبية (software):

تتنوع البرامج الحاسوبية لتشمل برمجيات أنظمة التشغيل operating systems أو برامج تطبيقات محددة Application تكون متخصصة في مجالات معالجة الصور Adobe Photoshop أو تحرير الفيديو Adobe premiere أو الرسم الهندسي وهناك أربعة أنواع من البرامج الحاسوبية التعليمية وهي :

- البرامج الشاملة whole course software وقد حلت محل التدريس التقليدي، ويبقى دور المعلم فقط في متابعة الطلبة والتأكد من أن البرنامج يعمل بشكل جيد. وبالرغم من سهولة تطبيقه إلا أنه لا يراعي الفروق الفردية بين الطلبة.
- البرامج التكميلية (supplemental software): ويعمل على تدعيم التدريس ولكنه لا يحل محله، فيبقى المعلم هو الذي يقوم بالتدريس ويتم تدعيمه من خلال برامج حاسوبية للتوسع وإجراء الاختبارات والألعاب التعليمية. وهي متوفرة على الانترنت وبعضها مجاني .
- أدوات المعلم (Teacher tools): وهي أدوات رقمية يستخدمها المعلم لتحسين أدائه ولتخفيف العبء عليه. كما أن استخدام مثل هذه الأدوات من الممكن أن يعمل على تحسين أداء المؤسسة التعليمية، مثل أدوات نظم إدارة التعلم Learning Management Systems والتي تخلق بيئة تعلم متكاملة بما في ذلك المحتوى التعليمي والتفاعل والتواصل، ومواقع إلكترونية مثل (edmodo.com) و(classdojo.com) ومن خلال هذه الأدوات يستطيع المعلم أن يطور المادة التعليمية بأشكال متعددة أو متابعة تقدم الطلبة أو إجراء الاختبارات .

و لا بد من تحديد معايير عند التفكير في اعتماد برنامج حاسوبي دون غيره ومن أهمها :

- التكيف مع حاجات ومستويات المتعلم. Adaplivity.
- مواءمة البرنامج للمعايير المحددة والمعمول بها لكيلا يخلق فجوة بين البرنامج وما تسعى العملية التعليمية لتحقيقه.
- القابلية للتعيين أو التخصص: وهل يسمح البرنامج للمعلم تخصيص جزئية معينة ضمن البرنامج للطلبة؟. وهذا من المرونة في البرنامج التي تساعد على الاستفادة القصوى من المحتوى الموجود فيه.
- مدى انسجام ما هو موجود ضمن البرنامج مع الأجزاء الأخرى من المادة التعليمية.

١ . Zhang ,L. A holistic approach to instructional design for blended learning environments . In s. Greener & A. Rospigliosi (Eds.) The proceedings of loth European conference on e-learning : ECEL, Brighton Business school , university of Brighton uk 10-11 November 2011 Reading : Academic pub p:886-893. ، (2011) ،

- التكامل مع الانظمة الأخرى المعتمدة من قبل المؤسسة التعليمية فعلى سبيل المثال إذا ما كان برنامج معين يعتمد معايير سكورم SCORM، إذا أردنا أن نستخدمه ضمن برنامج لإدارة التعلم. يكون النظام قادراً على قراءة التفاصيل المتعلقة بالطالب ويتفاعل مع نظام ادارة التعلم.
- أن يكون البرنامج ممتعاً ومشوقاً وقادراً على جلب انتباه الطلبة.
- ٢. **الأجهزة والبنية التحتية Hardware And In Fra Structure** وهي من العوامل الأساسية في نجاح التعلم المدمج ، وتتطور بشكل متسارع ، فقد تحترت المؤسسات التعليمية بين الحاسوب الشخصي (PC) والحاسوب المحمول (Laptop) أو الأجهزة اللوحية (Tablet PC). ولا بد من وجود نقاط كهرباء لشحن الأجهزة بشكل دائم ، وضرورة وجود الصيانة الدائمة للأجهزة.
- ٣. **مساحات التعلم (Learning space):** يتأثر تصميم مساحات التعلم في المؤسسات التعليمية بعدد من العوامل مثل أعداد الطلبة والتأثيرات الاقتصادية وطبيعة المادة التعليمية. ولكن هل تصميم الصفوف الحالية التقليدية يساعد على تطبيق أنماط التعلم المدمج؟، لذلك مستقبلاً إختيار التصميم المناسب لبيئة التعلم المطبق وألا تكون بيئة التعلم جامدة (على سبيل المثال من خلال المقاعد الدراسية الثابتة) لذلك يتم الاختيار ما هو مناسب مع مستوى الديناميكية والمرونة المناسبين لأنماط التعلم

العوامل اللازمة لنجاح تجربة التعلم المدمج:

يجب الأخذ بعين الإعتبار عدداً من القضايا :

١. توفير الظروف اللازمة للنجاح: ويشمل تحديد الأهداف والمخرجات التعليمية المطلوب تحقيقها من البرنامج، وأن تكون الرؤية واضحة حول الأهداف التعليمية والتربوية والعلمية والغاية من إدخال التكنولوجيا إلى العملية التعليمية.
٢. توفير الدعم ويتطلب بناء خطة لحشد الجهود والدعم للبرنامج من خلال إشراك جميع المعنيين من أجل إنجاح البرنامج، ويتطلب ذلك دعماً من المشرفين التربويين والمجالس المحلية وأولياء أمور الطلبة.
٣. توفير التمويل اللازم لنجاح البرنامج واستمراره: فهو من أكبر المشكلات التي تواجه المشاريع في الدول العربية هو عنصر الديمومة والإستمرارية في المشروع. لذلك لا بد من وضع خطة مالية تغطي مصادر الدعم لتبني نمط التعلم المدمج في التعلم، وأن تشمل الخطة المالية الجوانب الآتية:

- البنية التحتية اللازمة لتنفيذ البرامج التي تعتمد التعلم المدمج.
- التوقيت بالنسبة للبدء بالتنفيذ فقد يكون التنفيذ شاملاً أو على مراحل.

دراسات سابقة :

١. دراسة على (٢٠١٢):

هدفت الدراسة إلى قياس فاعلية برنامج قائم على التعلم المدمج في تنمية التحصيل والتفكير الابتكاري في الرياضيات لتلاميذ الصف السابع من مرحلة التعليم الاساسي بالجمهورية اليمنية، واستخدام الباحث المنهج التجريبي، وتكونت عينة الدراسة من (٦٠) تلميذاً من تلاميذ الصف السابع من مرحلة التعليم الأساس، تم تقسيمها إلى مجموعتين أحدهما تمثل المجموعة التجريبية وعددها (٣٠) تلميذاً والأخرى مجموعة ضابطة عددها (٣٠) تلميذاً، واستخدمت الدراسة اختبار تحصيلي في وحدة الجبر، اختبار تحصيلي في وحدة الهندسة، اختبار للتفكير الابتكاري، توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

يوجد فرق دال إحصائياً بين متوسطات درجات تلاميذ المجموعتين التجريبية والضابطة لاختبار التحصيل في الجبر والهندسة على مستويات (التذكر - الفهم - التطبيق) لصالح تلاميذ المجموعة التجريبية، كذلك يوجد فرق دال إحصائياً بين متوسطي درجات تلاميذ المجموعتين التجريبية والضابطة في اختيار التفكير الابتكاري البعدي لكل قدرة فرعية من قدرات التفكير الابتكاري لصالح المجموعة التجريبية. (١)

٢. دراسة الجحدي (٢٠١٢):

هدفت الدراسة إلى معرفة أثر استخدام التعليم المدمج على تحصيل طلاب الصف الأول متوسط في الرياضيات واتجاهاتهم نحوها، وقد اعتمد الباحث على المنهج التجريبي بالتصميم شبه التجريبي، وطبقت الدراسة على عينة بلغت (٦٠) طالباً من طلاب الصف الأول متوسط في مدرسة ابن عقيل المتوسطة في جدة، تم تقسيمهم إلى مجموعتين متساويتين، احدهما تجريبية درست بالطريقة التقليدية، وقد طبق كل من الاختبار التحصيلي ومقياس الإتجاه قليلاً وبعدياً، وتوصلت الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات درجات تحصيل المجموعتين التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي للاختبار لصالح المجموعة التجريبية، ووجود فروق ذات دلالة احصائية بين متوسطات درجات المجموعتين التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي لمقياس الإتجاه لصالح المجموعة التجريبية (٢).

٣. دراسة أبو عيطة (٢٠١٧):

هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر التعلم المدمج في التحصيل الأكاديمي والاتجاهات نحو تصميم التعليم لدى طالبات كلية الاميرة عالية الجامعية. والى دراسة العلاقة بين التحصيل الأكاديمي والاتجاهات نحو تصميم التعليم لدى طالبات كلية الاميرة عالية الجامعية. تكون مجتمع الدراسة من طالبات كلية الاميرة عالية الجامعة، في جامعة البلقاء التطبيقية خلال الفصل الاول لعام ٢٠١٦ البالغ عددهن (٢٤١١) طالبة، وتم اختيار العينة بالطريقة القصدية، والبالغ عددهن (١١٠) طالبة. من شعبتين عدد كل منهما ٥٥ طالبة،

احدهما تم تدريسها بنموذج التعلم المدمج، والاخرى تم تدريسها بطريقة التعليم العادي، وهي من الدراسات شبه التجريبية وتم اعداد اختبار التحصيل الأكاديمي، واستبانة الاتجاهات والتحقق من الصدق الظاهري، والثبات باستخدام طريقة إعادة التطبيق، واستخدم معامل ارتباط بيرسون لحساب الثبات، ومعامل الاتساق الداخلي كرونباخ ألفا Cronbach Alpha. ظهرت نتائج الدراسة أن هناك فروقاً ظاهرية بين متوسط درجات طالبات المجموعتين على اختبار التحصيل الأكاديمي لصالح مجموعة التعلم المدمج. وتوجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) في متوسط الإتجاهات نحو تصميم التعليم بين طالبات مجموعة التعلم المدمج، ومجموعة التعلم الاعتيادي. (٣)

مؤشرات الدراسة السابقة:

تابنت الدراسة في تحديد الأهداف، واختلفت الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة بأهدافها كما اعتمدت الدراسات السابقة على المنهج شبه التجريبي، أما الدراسة الحالية فقد اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي واعتمدت الدراسات السابقة على عينة

١. علي، عادل علي أحمد، فاعلية برنامج قائم على التعلم المدمج في تنمية التحصيل والتفكير الابتكاري في الرياضيات لتلاميذ الصف السابع من مرحلة التعليم الاساسي بالجمهورية اليمنية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة صنعاء اليمن، ٢٠١٢.

٢. الجحدي، عبدالعزيز داخل بن دخيل الله، أثر استخدام التعليم المدمج على تحصيل طلاب الصف الأول المتوسط في الرياضيات واتجاهاتهم نحوها، رسالة دكتوراه غير منشورة، المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، ٢٠١٢.

٣. أبو عيطة، جوهرة درويش، أثر التعلم المدمج في التحصيل الأكاديمي والاتجاهات نحو تصميم التعليم لدى طالبات كلية الاميرة عالية الجامعية، مجلة العلوم التربوية، ٤٤- ج٢/ اكتوبر ٢٠١٧ ص ٣٢٤-٧.

الطلبة ضمن مراحل دراسية (التعليم الأساسي، المرحلة المتوسطة واعتمدت الدراسة الحالية على عينة (المدرسين) ، ضمن المرحلة الجامعية ، وتباينت حجم العينات في الدراسات السابقة فقد تراوح حجم العينة بين (٦٠) كحد أدنى و(٢٠٠) كحد أعلى ، وبصورة عامة فإن تحديد حجم العينة يعتمد على عدة عوامل منها طبيعة مجتمع الدراسة وأهداف البحث والإجراءات المتبعة فيه وتنوعت أدوات البحث منها بناء الاختبار ، وبناء المقياس كما في الدراسة الحالية، واتبعت معظم الدراسات اجراءات متشابهة في بناء الادوات فيما يتعلق بالتحقق من الصدق والثبات، وتنوعت باستخدام الوسائل الاحصائية، ويرجع الاختلاف إلى التباين في أهداف البحث، واستفاد الباحث من الدراسات السابقة في تعميق مشكلة البحث واغناؤه بالمراجع المهمة.

إجراءات البحث : فيما يأتي وصف لهذه الإجراءات :

أولاً: منهجية البحث:

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي، الذي يهتم بجمع البيانات وتلخيصها وتفسيرها والتقييم ثم التنبؤ.

ثانياً: مجتمع البحث:

إن المجتمع عبارة عن جميع القيم التي يمكن أن يأخذها المتغير والتي نرغب بالحصول على استنتاجات حولها^(١)، ويمثل كل الأفراد الذي يحملون البيانات الظاهرة التي نرغب في دراستها، وهو مجتمع محدود بلغ (٥٠٠) مدرس ضمن واقع محافظة البصرة.

ثالثاً: عينة البحث:

مجموعة جزئية من مجتمع لها خصائص مشتركة^(٢). بلغ حجم العينة (٢١٧) تم اختيارها بالطريقة العشوائية، وقد اعتمد الباحث على معادلة ستيفن تامبسون لتحديد حجم العينة.

رابعاً: أدوات البحث:

قام الباحث بتصميم أداة البحث بتحديد الغرض من البيانات وترجمة الصيغة النظرية لمفهوم السمة إلى صيغة إجرائية، واعتمد الباحث طريقة ليكرت لبناء مقياس يتألف من خمسة نقاط (موافق جداً، موافق، محايد، غير موافق، غير موافق جداً). وتم جمع فقرات المقياس من الدراسات السابقة والادب التربوي، وتم استخراج الصدق الظاهري للأداة من خلال عرضها على عدد من الخبراء والمحكمين في مجال تدريس الهندسة والرياضيات وتقنيات الحاسبات، وفي مجال طرائق تدريس الرياضيات والفيزياء. وأجرى الباحث التعديل المناسب في ضوء آراء المحكمين ثم تم تطبيق المقياس على عينة استطلاعية عددها (٣٠) من مجتمع البحث لمعرفة وضوح تعليمات المقياس وفقراته، وحساب الوقت المستغرق للإجابة على فقرات المقياس. وإتضح ان فقرات المقياس واضحة ولا يوجد أي استفسار عن البدائل والفقرات، و أن الزمن اللازم للإجابة لا يستغرق أكثر من (١٠) دقيقة (في حال توفر شبكة الانترنت). ثم وزع المقياس على عينة البحث الاساسية وعددها (٢١٧) مدرس وبعد مرور فترة لا تتجاوز (٢١) يوم، حصل الباحث على استجابات أفراد العينة ثم قام بتفريغ بيانات (٢٠٠) فرداً إذ إستبعد (١٧) فرداً لعدم الإستجابة. وتم إحتساب التكرارات، وفقاً لميزان البدائل (موافق جداً، موافق، محايد، غير موافق، غير موافق جداً) ويقابلها الأوزان (١,٢,٣,٤,٥) على التوالي. ثم تم حساب الوسط المرجح والوزن المثوي وترتيب الفقرات ترتيباً تنازلياً على وفق المجال الذي تقع فيه، وفي حالة تساوي فقرتين بوسطهما المرجح، تكون الفقرة ذات الانحراف المعياري الاقل في البداية.

نتائج البحث وتفسيرها:

١. الهيتي، صلاح الدين حسين، " الأساليب الإحصائية في العلوم الإدارية، تطبيقات باستخدام SPSS، مراجعة: أ. د. وليد اسماعيل سيفو ، ط١، دار وائل للطباعة و النشر. ٢٠١٤، ص٢٨.

٢. أنور ،حسين عدنان، عدنان حقي زنكنة،" الأسس التصورية والنظرية في مناهج العلوم الإنسانية والتطبيقية، الكتاب الأول، ط١، دار الكتب والوثائق ببغداد ٢٠٠٧، ص٣٠٩.

- النتائج المتعلقة بالهدف الأول: تم تحديد خصائص التعلم المدمج ومكوناته، بالاعتماد على الأدب التربوي والدراسات السابقة في مجال التعلم الإلكتروني والتعلم المدمج، والتعرف على الاستراتيجيات الحديثة التي تلائم التعلم المدمج، وتم تثبيت الفقرات بهذا الخصوص.

- النتائج المتعلقة بالهدف الثاني: تم بناء مقياس ليكرت الحماسي وتم التحقق من صدق المقياس، وتوزيعه على العينة الأساسية ومعالجة البيانات إحصائياً، وتوصل الباحث إلى النتائج الواردة في الجدول (١)، والجدول (٢)، وترتيب الفقرات تنازلياً كما موضح أدناه:

و فيما يأتي عرض لترتيب الفقرات ضمن مجالها وبيان أهميتها وحدة كل فقرة من وجهة نظر عينة البحث الأساسية:

(أ) مجال خصائص التعلم المدمج:

١. احتلت الفقرة (٧) (العمل التعاوني على شكل فريق) المرتبة الاولى بوسط مرجح (4.23) ووزن مئوي (84.6)

وكانت استجابة عينة البحث بمستوى عالي جداً . ويتفق الباحث مع هذه النتيجة، إذ أن من مميزات التعلم المدمج تحقيق إنسجام روح الفريق الواحد وعد حرمان المتعلم من متعة التعامل مع زملاء الفريق الواحد وجها لوجه.

٢. واحتلت الفقرات ٦، ٩، ١٠، ١١، ١٢، المرتبات (الثانية، الثالثة، الرابعة، الخامسة، السادسة) على التوالي بأوساط مرجحة

مقاربة وأوزان مئوية مقاربة، وكانت استجابات العينة عالية جداً. وتأتي النتائج منسجمة مع خصائص التعلم المدمج، إذ يوفر التعامل المرن من قبل المعلم تبعاً لمستوياتهم وتمكنهم من المهارات والمفاهيم بشكل ديناميكي مستمر .

٣. اما الفقرات ٢، ٣، ٨، احتلت المرتبات السابعة، الثامنة، التاسعة بأوساط مرجحة مقاربة وأوزان مئوية مقاربة، وكانت

استجابة العينة عالية ويفسر الباحث هذه النتائج: إن التعلم المدمج يحتاج الى الجهد من قبل المعلمين ويتطلب التخطيط المتأنى الدقيق لكل الجوانب المعرفية والمهارية والوجدانية، وأن يعمل على تشجيع الفريق الواحد، وأن يشارك المتعلم لا أن

يبقى دوره متلقي فقط .

٤. أما الفقرة ٥ (يتناسب مع المجتمعات التي لم تتوفر لها بيئة إلكترونية كاملة) فقد احتلت المرتبة العاشرة بوسط مرجح)

(٣٨٨، ٣) ووزن مئوي (٧٧،٧) ويفسر الباحث هذه النتيجة: عدم قناعة عينة البحث بتوفر التكنولوجيا الرقيمة ضمن بيئتهم بشكل آمن بما لا يساعد على الوصول الى عمق المعرفة وتطبيقها .

جدول (١)

إستجابة عينة البحث والوسط المرجح والوزن المئوي تنازلياً

الرتبة	الوزن المئوي	الوسط المرجح	المقياس					الفقرات	المجال	تسلسل الفقرة
			غير موافق جداً	غير موافق	محايد	موافق	موافق جداً			
١	83.2	4.16	١	٢	٤١	٧٦	٨٠	يحتاج التعلم المدمج إلى زيادة الاستراتيجيات الحديثة في التعليم	مفاهيم التعلم المدمج	٧
٢	77.4	3.87	٧	٤	٥٩	٦٨	٦٢	عدم توفر الحاسب الآلي لدى بعض الطلاب		١
٣	76.1	3.805	٢	٨	٦٩	٦٩	٥٢	عدم توفر نظام لإدارة التعليم		٣
٤	75.2	3.76	٢	٨	٧١	٧٤	٤٥	عدم توفر مقرر إلكتروني لكل مادة		٢
٥	75.1	3.755	١	٨	٧٦	٦٩	٤٦	عدم توفير الفصول الافتراضي بجانب الفصول التقليدية		٦
٦	74.8	3.74	٦	٣	٦٩	٨١	٤١	صعوبة التوازن بين الابتكار والإنتاج		٨
٧	73.4	3.67	٦	١٠	٦٤	٨٤	٣٦	صعوبة التطبيق الفعلي لنظريات التعلم		٩
٨	72.2	3.61	٣	٢٣	٦٠	٧٧	٣٧	صعوبة تصميم الاختبارات الإلكترونية من قبل المدرس		٥
٩	71.4	3.57	١٠	١٠	٧٣	٧٠	٣٧	صعوبة التغيير والتكيف مع التكنولوجيا		١٠
١٠	٦٧	3.35	٥	١٠	٦٣	٧٣	٤٩	عدم توفر الرغبة لدى بعض الطلاب للانتقال من مرحلة التعليم التقليدي إلى مرحلة التعليم الإلكتروني		٤

جدول (٢)

إستجابة عينة البحث والوسط المرجح والوزن المئوي مرتب تنازلياً

الرتبة	الوزن المئوي	الوسط المرجح	المقياس					الفقرات	المجال	تسلسل الفقرة
			غير موافق جداً	غير موافق	محايد	موافق	موافق جداً			
١	83.2	4.16	١	٢	٤١	٧٦	٨٠	يحتاج التعلم المدمج إلى زيادة الاستراتيجيات الحديثة في التعليم	معلومات التعلم المدمج	٧
٢	77.4	3.87	٧	٤	٥٩	٦٨	٦٢	عدم توفر الحاسب الآلي لدى بعض الطلاب		١
٣	76.1	3.805	٢	٨	٦٩	٦٩	٥٢	عدم توفر نظام لإدارة التعليم		٣
٤	75.2	3.76	٢	٨	٧١	٧٤	٤٥	عدم توفر مقرر إلكتروني لكل مادة		٢
٥	75.1	3.755	١	٨	٧٦	٦٩	٤٦	عدم توفير الفصول الافتراضي بجانب الفصول التقليدية		٦
٦	74.8	3.74	٦	٣	٦٩	٨١	٤١	صعوبة التوازن بين الابتكار والإنتاج		٨
٧	73.4	3.67	٦	١٠	٦٤	٨٤	٣٦	صعوبة التطبيق الفعلي لنظريات التعلم		٩
٨	72.2	3.61	٣	٢٣	٦٠	٧٧	٣٧	صعوبة تصميم الاختبارات الإلكترونية من قبل المدرس		٥
٩	71.4	3.57	١٠	١٠	٧٣	٧٠	٣٧	صعوبة التغيير والتكيف مع التكنولوجيا		١٠
١٠	٦٧	3.35	٥	١٠	٦٣	٧٣	٤٩	عدم توفر الرغبة لدى بعض الطلاب للانتقال من مرحلة التعليم التقليدي إلى مرحلة التعليم الإلكتروني		٤

(ب) مجال معوقات التعلم المدمج :

١. احتلت الفقرة (ب) الحاجة التعليم المدمج إلى زيادة الاستراتيجيات الحديثة في التعليم (المرتبة الأولى بوسط مرجح (٤,١٦) ووزن مئوي (٨٣,٢) وكانت استجابة عينة البحث عالية جداً . ويتفق الباحث مع هذه النتيجة لحاجة المدرسين إلى التدريب على الإستراتيجيات الحديثة في التعلم المدمج.
٢. جاءت بقية الفقرات بالمرتبات : الثانية، الثالثة ، الرابعة ، الخامسة ، ... ، التاسعة ، بأوساط مرجحة متقاربة و أوزان مئوية متقاربة وكانت استجابة العينة عالية، ويفسر الباحث هذه النتائج بأن هناك معوقات كثيرة تواجه التعلم المدمج من وجهة نظر عينة البحث الأساسية ، منها عدم توفر مقررات الكترونية لكل مادة ، وعدم توفير الفصول الافتراضية ، وصعوبة التوازن بين الإبتكار والإنتاج .
٣. أما الفقرة (ج) عدم توفر الرغبة لدى بعض الطلاب للإنتقال من مرحلة التعليم التقليدي إلى مرحلة التعليم الإلكتروني (إحتلت المرتبة الأخيرة بوسط مرجح (٣,٣٥) ووزن مئوي (٦٧)، ويفسر الباحث هذه النتيجة لوجود معوقات تتعلق بإنقطاع شبكة الإنترنت بشكل مستمر وإنعدام الصيانة ، وقلة التجهيزات المختبرية ، وبدرجة الوعي لدى العينة بأهمية التعلم المدمج بعد مرحلة فيروس كورونا .

التوصيات:

١. تدريب الطلاب على استخدام نظم ادارة التعلم مثل موودل وأدوات ويب.٢ كأدوات لتصميم بيئات التعلم الإلكترونية التشاركية.
٢. تنمية مهارات الطلاب في عمليات البحث على شبكة الإنترنت ، وعلى كيفية التواصل مع أساتذتهم من خلال أدوات التعلم المدمج .
٣. تقديم الحوافز المادية والمعنوية التي تساهم في تحفيز أعضاء الهيئة التدريسية لاستخدام التعلم المدمج .
٤. توفير التجهيزات المادية و الإدارية لتفعيل التعلم المدمج في الوسط الجامعي.

المقترحات:

١. دراسة أثر التعلم المدمج في بيئات تعلم مختلفة كالتعلم الافتراضي .
٢. دراسة أثر تصميم بيئة للتعلم المدمج على تنمية مهارات التواصل الرياضي لدى طلبة المرحلة الجامعية الأولى لمقرر الرياضيات.

المصادر العربية :

الكتب:

١. أنور ،حسين عدنان، عدنان حقي زنكنة، الأسس التصويرية والنظرية في مناهج العلوم الإنسانية والتطبيقية، الكتاب الأول، ط١، دار الكتب والوثائق ببغداد ٧٢٥، ٢٠٠٧ .
٢. الرنتيسي، محمود محمد ، وعقل ، مجدي سعيد ،تكنولوجيا التعليم (النظرية والتطبيق العلمي) ،الجامعة الإسلامية ،غزة ٢٠١١،

٣. حسن حسين، زيتون، التعلم الإلكتروني: المفهوم بالقضايا - التخطيط - التطبيق - التقييم، الرياض، الدار الصوتية للنشر والتوزيع ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥.
٤. الشمران، عاطف أبو حميد، التعلم المدمج والتعلم المعكوس، ط ١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.
٥. ليتل جون، أليفون بجلر، كريسي، الإعداد للتعلم الإلكتروني المدمج، (ترجمة عثمان تركي التركي وعادل السيد سرايا وهشام بركات بشر)، الرياض، جامعة الملك سعود، ٢٠١٢.
٦. الهيتي، صلاح الدين حسين، الأساليب الإحصائية في العلوم الإدارية، تطبيقات باستخدام SPSS، مراجعة: أ.د. وليد اسماعيل سيفو، ط ١. دار وائل للطباعة و النشر، ٢٠١٤.

المجلات :

١. إبراهيم، وليد يوسف محمد، أثر استخدام التعليم المدمج في التحصيل المعرفي للطلاب المعلمين بكلية التربية لمقرر التكنولوجيا التعليم ومهاراتهم في توظيف الوسائل التعليمية واتجاهاتهم نحو المستحدثات التكنولوجية التعليمية، بحث منشور، مجلة الجمعية المصرية لتكنولوجيا التعليم ع ١٧ ج ٢، ٢٠٠٧.
٢. أبو عيطة، جوهرة درويش، أثر التعلم المدمج في التحصيل الأكاديمي والاتجاهات نحو تصميم التعليم لدى طالبات كلية الأميرة عالية الجامعية، مجلة العلوم التربوية، ع ٤٤، ج ٢، ٢٠١٧.
٣. أمل إبراهيم إبراهيم حمادة، وآية طلعت إسماعيل " أثر تصميم بيئة للتعلم الإلكتروني التشاركي قائمة على بعض أدوات الويب وفقاً لمبادئ النظرية التواصلية على تنمية مهارات ادارة المعرفة الشخصية لدى طلاب الحاسب الآلي، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس ASEP ع ٥٦، ٢٠١٤.
٤. الدوسري، نوف عرار بليهن، أثر التعلم المدمج على تنمية الإتجاه نحو الرياضيات لدى طالبات المرحلة المتوسطة بالمملكة العربية السعودية، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس، العدد ٨٧، يوليو ٢٠١٧.
٥. سامية حسين محمد جودة، فاعلية التعلم المدمج في تنمية بعض مهارات التفكير العليا ومهارات رسم الدوال باستخدام الحاسوب لدى الطالبات المعلمات بقسم الرياضيات، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس ASEP، العدد ٣١، ج ٣، نوفمبر ٢٠١٢.
٦. محمد محمدي محمد، مخلص، تجربة الجامعة السعودية في التعليم المدمج والاستفادة منها في تطوير التعليم الإلكتروني بالجامعات المصرية، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس ASEP، العدد ٥٩، مارس، ٢٠١٥.

الرسائل:

١. أبو الريش، إلهام حرب، فاعلية برنامج قائم على التعليم المدمج في تحصيل طالبات الصف العاشر في النحو والإتجاه نحو في غرة، رسالة ماجستير منشورة، الجامعة الإسلامية - غزة عمادة الدراسات العليا - كلية التربية.
٢. الجحدلي، عبدالعزيز داخل بن دخيل الله، أثر استخدام التعليم المدمج على تحصيل طلاب الصف الأول المتوسط في الرياضيات واتجاهاتهم نحوها، رسالة دكتوراه غير منشورة، المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، ٢٠١٢.

٣. علي ، عادل علي أحمد ، فاعلية برنامج قائم على التعلم المدمج في تنمية التحصيل والتفكير الابتكاري في الرياضيات لتلاميذ الصف السابع من مرحلة التعليم الاساسي بالجمهورية اليمنية، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة صنعاء اليمن ، ٢٠١٢.

English Reference :

:Books

1. .Bozic ,N.,Mornar, v., Boticki ,1. **A blended learning approach to course desing and implementation** . IEEE Transactions on Education 52(1) ,2009 .
2. .Ismail “ **The Design of E-Learning system : Beyond the Hype** :Internet and Higher Education 4 2003.
3. Bliuc , A. –m., Good year ,p. & Ellis , R.A. **Research focus and methoddological choices in studies in to student’s experiences of blended learning in higher education** , Higher Education ,10, 2007.
4. charies.R , Graham: **Blended learning systems : definition ,current Trend ,and future Direction** , the hand book of blended learning ,9x.
5. Gudoniene, D. & Rutkauskiene, D. “ Innovative technological solutions for blended learning approach . In R .silva ,G . Tsihrantzis , V. vskov , R .Howlett ,& L.jain (Eds.) , smart Digital futures .Amsterdam : los press ,2014.
6. Singh , H , Building effective blended Learning programs , Education Technology 43(6) , 2003.
7. Zhang ,L. A holistic approach to instructional design for blended learning environments . In s. Greener & A. Rospigliosi (Eds.) The proceedings of loth European conference on e-learning : ECEL, Brighton Business school , university of Brighton Business school , university of Brighton uk 10-11 November 2011 Reading : Academic pub ,(2011).

Website:

1. klierwer, M. super models of handed learning ,Trance learning Retrieved from <http://www.torrancelearning.com/2013/03/11/super-models-of-belended-learning> 17september ,2014.

تأثير كوفيد - ١٩ على جودة خدمات التجارة الإلكترونية

د. سيدامر زينب/ كوثر بكر اوي

The Impact of the Covid-19 Pandemic on the Quality of E-Commerce Services

كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير جامعة العقيد أحمد دراية ادرار - الجزائر

Zeyneb SIDAMOR, Adrar University, zeyneb_sid@ymail.comKaouter BEKRAOUI, Adrar University, kaouterbekraoui@gmail.com

الملخص

إن المتبع لتاريخ الاقتصاد يعي جيد أهمية التجارة عامة والتجارة الإلكترونية خاصة، ويعرف تأثير هذه الأخيرة على الاقتصاديات. وقد أثبتت التجارة الإلكترونية مدى سيطرتها وأهميتها في ظل الأزمات وخاصة خلال الأزمة الراهنة كوفيد ١٩، وذلك بسبب ميول ملايين الناس عبر العالم لطلب مستلزماتهم عبر الإنترنت حيث بلغ نسبة شراء المنتجات الصحية ٧٥ % من مشتريات الفرد الأمريكي، كذلك ازدادت عدد زيارات المواقع التجارة الإلكترونية لتصل إلى ١٤,٣٤ مليار زيارة خلال شهر مارس، ورجع أكبر نصيب إلى شركة أمازون والتي بلغ عدد الزيارات ٤,٠٦ مليار، الأمر الذي نتج عنه توظيف ١٧٥٠٠٠ موظف وقدرت مبيعاتها بـ ١٠٠٠ دولار في الثانية، لكن وبسبب ميول المستهلكين إلى الإفراط في التبضع نتج عن هذا السلوك ظواهر سلبية من بينها تأخر وصول الطلبات الأمر الذي سبب غضب عام، وعلى سبيل المثال الشركة الألمانية DHL للتوصيل حيث صرحت عن ارتفاع عدد الطرود ليصل إلى ٩ ملايين في اليوم ولم تستطع أن تدير هذا الضغط الأمر الذي تسبب في تأخر وصول المنتجات وهذه النقطة تعبر عن عدم وجود جودة الخدمات الإلكترونية.

في الأخير تبقى الجودة امرا نسبيا مطلوبا. يجب تعلم كيفية إدارتها مدة الأزمات .

الكلمات المفتاحية

كوفيد ١٩، التجارة الإلكترونية، جودة الخدمات، سلوكيات المواطنين، أمازون، DHL

Abstract :

The researchers of the economic history are well aware of the importance of trade in general and e-commerce in particular, and the effect of the latter on the world economics, e-commerce has proven the extent of its control and its importance in times of crises, especially during the current pandemic(covid-19) This is because millions of people across the world tend to order their supplies online, As the percentage of buying health products reached 75% of American individual purchases,

The number of visits to e-commerce websites also increased to reach 14.34 billion visits during the month of March., The largest share was attributed to Amazon, which reached 4.06 billion visits. Which resulted in hiring 175,000 employees and estimated sales of \$ 1,000 per second, However, due to consumers 'tendency to over-purchase', this behavior resulted in negative effects , including late arrival of orders, which caused public outrage. For example, the German company DHL for delivery, where it stated that the number of packages increased to 9 million per day, it was unable to manage this pressure, which caused delayed arrival of products, and this point reflects the lack of electronic services quality.

But Quality remains an important relative matter. It should be taken into Consideration during crises.

key words: Covid-19, E-Commerce, Quality of Services, Citizen Behavior, Amazon, DHL.

مقدمة :

تعد التجارة الإلكترونية الأخطبوط الذي سهل حركة السلع والخدمات عبر أرجاء العالم كافة منذ ان ظهر وهو يؤدي نفسه وتيرة متفاوتة بين المنافسين .

وفي ظل زيادة المنافسين وتذبذب عدد الزبائن جعل هذا الأخير ينتقى ما يريد من المؤسسات حسب جودة الخدمات المقدمة، لكن ومع ظهور فيروس كوفيد -١٩ والذي اجتاح كل دول العالم وفرض على نحو مليار شخص المكوث في المنزل.

مما ازداد الإقبال على التجارة الإلكترونية مخافة إصابة الأشخاص بالعدوى الأمر الذي سبب عجز لمؤسسات كثيرة بسبب عدم قدرتها على تلبية الطلبات في المقابل كان هذا سبب في بروز مؤسسات الآخر.

ومع ازدياد وتيرة الطلب وعدم قدرة المؤسسات على التلبية في الوقت المحدد، كذلك غلق الدول حدودها الأمر الذي أثر على كافة الخدمات في العالم ومنها دعت الحاجة إلى معرفة تأثير كوفيد ١٩ على جودة الخدمات التجارية ليتجلى عنوان إشكالية الدراسة والموسم بمدى تأثير كوفيد -١٩ على جودة خدمات التجارة الإلكترونية؟

وللإجابة على هذا التساؤل تم التفرع إلى عدة أسئلة هي كالآتي:

ما هو مفهوم جودة الخدمات الإلكترونية؟ وماهي مقاييسها؟

كيف أثر كوفيد ١٩ على التجارة العالمية بشكل عام والتجارة الإلكترونية بشكل خاص؟

ماهي سلوكيات المستهلكين وكيف اثرت على جودة الخدمات؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة من أهمية جودة التجارة الإلكترونية والدور الذي تلعبه في تنمية التجارة الإلكترونية بشكل عام وحيياة الافراد بشكل خاص سواء في الظروف العادية او في وقت الازمات.

اهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الى عدة نقاط منها:

- ابراز أهمية جودة التجارة الإلكترونية واهم معايير قياسها.

-مدى تأثير ازمة كوفيد ١٩ على جودة التجارة الإلكترونية.

منهجية الدراسة:

للإجابة على الاشكالية، استخدم في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وذلك نظرا لأن الازمة لازالت قائمة لحد الآن وكل المعطيات قابلة للتغير.

محاور الدراسة: للإجابة على التساؤلات قسمت الدراسة على :

المحور الأول : ماهية جودة الخدمات الإلكترونية.

المحور الثاني: تأثير كوفيد ١٩ على جودة الخدمات الإلكترونية.

١ ماهية جودة الخدمات التجارية الإلكترونية

١.١ مفهوم التجارة الإلكترونية :

بسبب أن التجارة الإلكترونية متشعبة ومتداخلة مع مجالات كثيرة هذا الأمر نتج عنه تعدد التعاريف الخاصة بالتجارة الإلكترونية لذلك اقتصرنا الدراسة على التعريفات الآتية :

- تمثل التجارة الإلكترونية شكلا من أشكال التعامل التجاري الذي ينطوي على تعامل الأطراف، بحيث يكون التبادل إلكترونيا بدلا من ماديا أو ماديا مباشرا^١

- وعرفت على أنها أداء العمليات التجارية بين شركاء تجاريين باستخدام تكنولوجيا المعلومات المتطورة بغرض رفع كفاءة وفعالية الأداء" فهي استخدام تكنولوجيا المعلومات لإيجاد روابط فعالة بين الشركات في التجارة ، وهي منهج حديث في الأعمال موجه إلى السلع والخدمات وسرعة الأداء، ويشمل استخدام شبكة الاتصال في البحث والاسترجاع للمعلومات لدعم اتخاذ قرارات الأفراد والمنظمات وهي شكل من أشكال التبادل التجاري باستخدام شبكات الاتصال بين الشركات فيما بينها من جهة وبين الشركات والعملاء من جهة ثانية أو الفروع والإدارة العامة^٢

٢.١ تعريف الخدمة الإلكترونية:

هو ان تقوم الآلة بخدمة الزبون عن طريق برمجة تسهل عملية الطلب وكذلك تسريع العملية.

مفهوم جودة الخدمات الإلكترونية : يعد التعريف حديثا نوعا ما حيث ان اول تعريف كان عام ١٩٨٥ على يد باراسورامان واخرون عن طريق انشاء اول مقياس لقياس الفجوات الخمس لجودة الخدمة بأداة servqual الذي استحوذ على تأييد عامة الباحثين بسبب مصداقيته وقدرته على الوصول إلى فجوة ما بين توقعات العملاء لجودة الخدمة وإدراكا تمه للأداء الفعلي للخدمة التي تحصلوا عليها.

كذلك عرفها زايثاميل وبرسرمان وبري عام ٢٠٠٢ على أنها درجة تسهيل موقع وايب لعملية التخزين والشراء والتسليم للمنتجات او الخدمات.

٣.١ مقياس جودة الخدمات الإلكترونية:

من الناحية الانجلوسكسوني

مقياس sitequal المطور من قبل yoo et donthu

مقياس irsq المطور من قبل swinder et al

مقياس etaiQ المطور من قبل wolfinbarger et gilly

مقياس Webqual4 المطور من قبل barnes et vidgen

^١ غالب ياسين سعد ، العلق بشير عباس ، الاعمال الالكترونية ، دار المناهج والتوزيع ، الاردن ، ٢٠٠٦ ، ص ١٠٩

^٢ بوخارب فاطمة ، سعيداني محمد ، التجارة الالكترونية بين التطبيق والمامل ، دراسة حالة الجزائر ملتقى دولي الاتجاهات الحديثة للتجارة الدولية وتحديات التنمية المستدامة نحو رؤى مستقبلية واعدة للدول النامية ٢٠١٩

أما من ناحية الفرنكفوني فقد حدد بروس صاحب مقياس Netqual فهو يتضمن خمسة أبعاد هي سهولة الاستخدام (الاستكشاف البحث عن المعلومات) ، جدوى البائع (احترام الإلتزامات) ، تصميم الموقع (القدرة على الإبداع التفاعلية) ، الأمن والسرية (الثقة واحترام الحياة الشخصية) وجودة المعلومة (الدقة الجدوى التفصيل) ^١.

٢ تأثير كوفيد ١٩ على جودة التجارة الإلكترونية

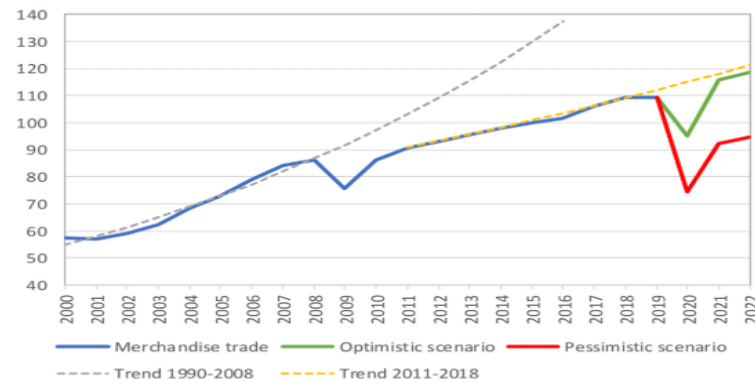
١.٢ تأثير كوفيد - ١٩ على التجارة العالمية :

أعلنت منظمة التجارة العالمية في ٨ أبريل أنها تتوقع انخفاض معدل التجارة ما بين ١٣% و ٣٢% وستتضرر كل مناطق العالم تقريبا وذلك حسب السياسات المتبعة في هذه الدول.

وستعاني كل المناطق تقريبا من الانخفاض وقد كانت صادرات أمريكا الشمالية وآسيا هما أكبر متضرر في هذه الأزمة. وفي قطاع الصناعة وصناعة الإلكترونيات تضررت كثيرا حيث إن هذه الأخيرة تضررت ٦٥% من الشركات تعطلت على الإنتاج بسبب أن جل موادها من الصين أو من المناطق أكثر وباء. ويظهر تأثير البضائع على شكل انخفاض كبير موضح في الشكل الآتي:

Chart 1 - World merchandise trade volume, 2000-2022

Index, 2015=100



Source: WTO Secretariat.

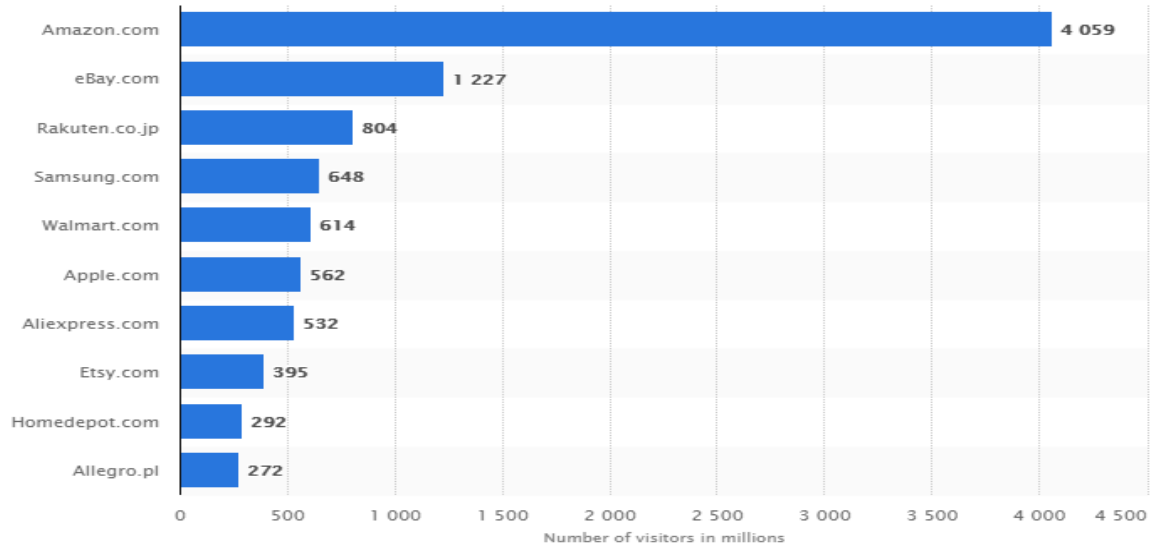
التجارة تتباطأ بالفعل في عام ٢٠١٩ قبل أن يصل الفيروس، مثقلة بالتوترات التجارية وتباطؤ النمو الاقتصادي، إذ تراجع قيمة الدولار لصادرات البضائع العالمية بقيمة ١٨,٨٩ تريليون دولار في سنة ٢٠١٩ واستمرت هذا التقلبات ومن المرجح أن يبقى الوضع هكذا حتى بداية ٢٠٢١ لم يقتصر الأمر على هذا فقط فلقد أصبح ملايين من البشر عاطلين على العمل إذ صرحت منظمة العمل الأمريكية أنه في منتصف شهر ابريل بلغ عدد العاطلين على العمل ب ٢٢,٥ مليون عاطل امريكي. وكان الضرر الأكبر من نصيب قطاع السياحة والأسفار فقد بلغ عدد العاطلين ب ٤,٨٦ مليون عاطل بنسبة ٣٩% وكذلك محلات التجزئة ^٢

^١ طواهر عبد الجليل ، لهوري جمال ، محاولة قياس رضا الزبون على جودة الخدمات الالكترونية باستعمال مقياس

NetQual، مجلة اداء المؤسسات الجزائرية ، العدد ٠٢ سنة ٢٠١٢

^٢ Report of world trade organization تقرير منظمة التجارة العالمية .

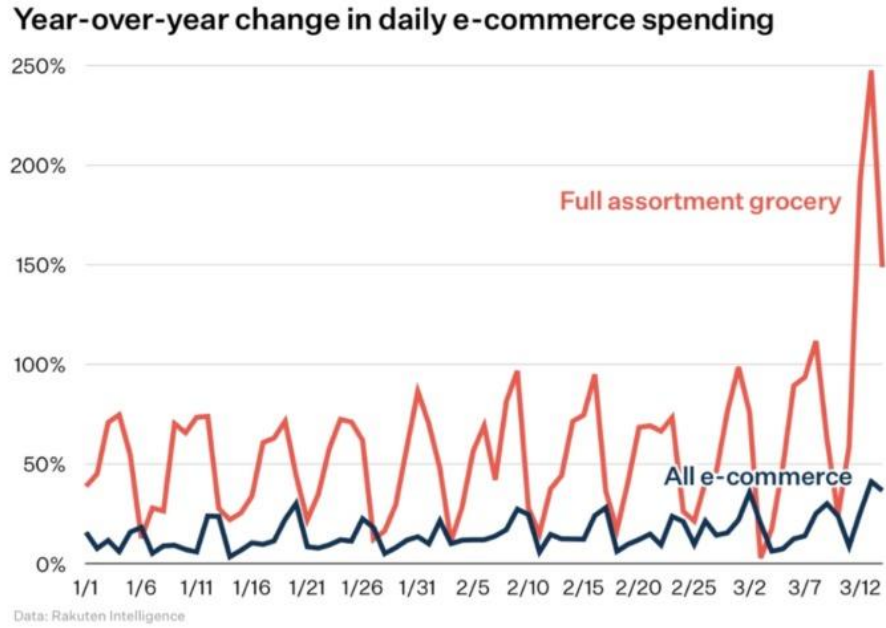
كم شهدت قطاعات كثيرة في التجارة الدولية خسائر كبيرة أما قطاع التجارة الإلكترونية فقد اثرت عليه أزمة كوفيد ١٩ بالإيجاب **حيث** إذ بلغت عدد زيارات المواقع الإلكترونية المتخصصة في البيع بالتجزئة إلى ١٤,٣٤ مليار زيارة في شهر مارس وكانت حصة أمازون ٤,٠٦ مليار زيارة.



تعدّ شركة أمازون من أكبر المستفيدين لهذا الوضع فإعلانه عن تطورات اجابية مدعى المحللين يقدرون نموها بنسبة ٢٢% - ٢٤% لربع الأول من عام ٢٠٢٠ مما أدى الى إيرادات تزيد عن ٧٣ مليار دولار سنويا وقدر مبيعاتها بـ ١٠٠٠٠٠ دولار امريكي في الثانية ، وقد صرحت أمازون ان صافي المبيعات تجاوز التوقعات لتصل الى ٧٥,٥ مليار دولار لكن مع ذلك ارتفعت التكاليف لتصل لقيمة مليار دولار بسبب توظيف ١٠٠٠٠٠ ألف موظف جديد عبر كل الولايات المتحدة ، و ٧٥٠٠٠ موظف لخدمة العملاء ، وزيادة السلامة والمراقبة الصحية للعمال.

سلوكيات المستهلكين مدة الوباء بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية^١ :
كذلك ازداد تثبيت التطبيقات المخصصة لخدمة التوصيل لتصل إلى ٢١٨% في النصف الأول من مارس المنحنى يبين استهلاكيات المواطنين الإمبريكيين

^١Блог МКС Медиа, Как COVID-19 влияет на электронную коммерцию zen.yandex.



يتبين الاقتناء غير العقلاني للمواد والاستهلاك المفرط وهذا ما أدى إلى حدوث عجز وخاصة فيما يتعلق بالمواد الطبية التي كثر اقتنائها بشكل مبالغ فيه^١

تأثير كوفيد ١٩ على جودة الخدمات التجارية الإلكترونية

١ . تأثيره على الشركة الألمانية DHL للتوصيل فقد بلغ عدد التوصيل اليومي ٩ ملايين طرد في اليوم وهذا الرقم لم تصله من قبل كان التسجيل الأكبر فقط في الأيام التي تسبق عيد الميلاد وتصل عدد الطرود إلى ٥,٤ مليون طرد في اليوم ومع أن الشركة معتادة على العمل خلال الضغط والأزمات.

وقد كان الطرد يصل في غضون ١,٩ يوم أما الآن فقد أصبح يصل أسبق بساعتين لأن الشوارع فارغة والناس في منزلهم للاستلام، لكن ومع زيادة الطلب المرتفع صرحت المؤسسة أنها تواجه أزمة في التوصيل، حيث صرحت جمعية BVOH التجارة الألمانية ان مؤسسة DHL تتأخر في إيصال الطرود إلى عدة أيام الامر الذي بدأ يغضب الزبائن، لكن موقع المؤسستين المنافستين لـ DHL مؤسستين dph ومؤسسة Hermes صرحتا على ارتفاع الطلب بسبب كوفيد ١٩ لكن لا توجد لديها أي تأخيرات^٢

٢ . كما صرح الموقع الصيني made in china إلى أنه يقوم بالتوصيل إلى كل الصين بسهولة باستثناء منطقة وهان فانه فيه صعوبة توصيل بسبب التشديد الأمني في المناطق الموبوءة.

عدم قدرت التوصيل الخارجي بسبب فرض سياسات العزل لكل الدول.

٣ . التجارة الإلكترونية في الدول العربية: انتعشت التجارة الإلكترونية في دول العالم كافة، ومن ضمنها الكويت التي ارتفع حجم التجارة الإلكترونية فيها وانتعشت خدمة الطلبات الخارجية وذلك عبر التطبيقات والمواقع الإلكترونية، وقد بلغ حجم التجارة الإلكترونية في الكويت ١,١ مليار دولار^٣

^١ Электронная коммерция, торговля и пандемия COVID-19 , [roscongress](https://roscongress.ru/).

^٢ تقرير DW بسبب كورونا مؤسسات البيع والتوصيل الدولية تعتمد طرق جديدة، DW Made For minds.

^٣ الهبطي رجاء ، كيف تأثرت التجارة الإلكترونية في زمن كورونا ، تقرير الجزيرة

وبعد أن قمنا باستقراء لمواقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك ، انستكرام) أن الأزمة الراهنة عادت بالإيجاب وخاصة فيما يتعلق بالتجارة الإلكترونية حيث ظهرت مؤسسات من العدم وانتشر البيع العشوائي .
لكن هذا التحسين كان من جانب الاشخاص وليس الدول، اذ تعد التجارة الإلكترونية في معظم الدول العربية خارج إطار القانون أو ما يعرف بالسوق السوداء، وهذا ينتج عنه أرباح غير مستفيدة منه الدول ، كذلك كثرة الاحتمالات وتعرض الكثيرون لسرقة الامر الذي يرجع على أي توجه حكومي ناحية إقرار التجارة الإلكترونية بالسلب بسبب عدم ثقة الأفراد في التعاملات، كذلك عدم تطور المعاملات التجارية الإلكترونية في بعض دول العالم العربي بسبب كثرة الاختراقات للحسابات الأمر الذي سينتج عنه تأخر هذه الدول عن التقدم التنقي الراهن في دول العالم

إن أزمة كوفيد ١٩ اعطت العالم درس قاس في المجالات كافة وبالأخص المجال الاقتصادي وقد أثبت أن إي توجه ناجح يجب ان يكون رقمي لسهولة ما يكمن أن يكسب من وقت وجهد وقد ثبت هذا على صعيد التجارة الإلكترونية التي اثبتت فعاليتها في تسهيل الحياة اليومية للأفراد، في اقتناء أغراضهم لكن هذه التلبية قد عادة عليها بالسلب على الجودة التي شهدت تدني كبير ومزال الوضع بين مد وجز في ظل أن الأزمة مستمرة حتى وقتنا الراهن. لذلك لقد خلصت الدراسة إلى نقط عدة منها:
- انه ورغم كل المشاكل المسجلة على التجارة الإلكترونية تبقى الوسيلة الأمانة في ظل تفاقم الوضع وارتفاع معدل الوفيات في العالم.
- سهولة العمليات التجارية الألكترونية بسبب تطور الأدوات المستعملة ولاسيما شبكة الأنترنت الذي سهل كثير من العمليات وضمن تقلص الوقت.
- إن مفهوم جودة الخدمات مفهوم نسبي متغير من شخص الى اخر.

توصيات:

على الدول التي لم تتبنَ فكرة التجارة الإلكترونية، إن تسارع وتفاعل دورها لما لها من فوائد في تسريع العمليات الشرائية وضمن عدم انتشار الأوبئة وكذلك خفض التكاليف.
و تقترح الدراسة على الدول العربية إتباع منهج رقمنة كل المعاملات وادراج طرف رابع في المعاملات الإلكترونية لضمان تلبية رغبات المستخدمين وضمان عدم سرقة، ويضمن هذا الطرف حقوق البائعين ووصول الضرائب للدولة ؛
لأن الوقت الراهن يثبت أن التجارة الإلكترونية هي المسيط الجديد على الاقتصاديات العالمية ولذلك حبذا لو اقامت الدول العربية بدعم سياسة التجارة الإلكترونية لديها ولدى الدول النامية حتى يستفيد كل من الطرفين في تسهيل المعاملات بأسهل الطرق وضمان بقاء واستيراد عقول نابغة تساهم في تصدير تقنيات حديثة للعالم ككل.

قائمة المصادر والمرجع

الكتب والمقالات

١. ياسين سعد غالب ، العلاق بشير عباس ، الاعمال الالكترونية ، دار المناهج والتوزيع ، الاردن ، ٢٠٠٦ ،
٢. بوخارب فاطنة ، سعيداني محمد ، التجارة الالكترونية بين التطبيق والمامل ، دراسة حالة الجزائر ملتقى دولي الاتجاهات الحديثة للتجارة الدولية وتحديات التنمية المستدامة نحو رؤى مستقبلية واعدة للدول النامية ٢٠١٩
- ٣ طواهر عبد الجليل ، الهواري جمال ، محاولة قياس رضا الربون على جودة الخدمات الالكترونية باستعمال مقياس NetQual، مجلة اداء المؤسسات الجزائرية ، العدد ٠٢ سنة ٢٠١٢

المواقع

Report of world trade organization تقرير منظمة التجارة العالمية

المبطل رجاء ، كيف تأثرت التجارة الالكترونية في زمن كورونا ، تقرير الجزيرة

Блог МКС Медиа, Как COVID-19 влияет на электронную коммерцию

zen.yandex.ru

Электронная коммерция, торговля и пандемия COVID-19 , roscongress.org/

التعليم الإلكتروني في ظل وباء (كورونا) - نماذج عربية مختارة الأستاذ الدكتور طه حميد حسن العنبيكي / الباحثة لمى كريم خضير

كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية

المقدمة: شهدت مدينة (Wuhan) الصينية في شهر كانون الأول/ديسمبر عام ٢٠١٩ ظهور الوباء القاتل، الذي عرف اسمه العلمي كوفيد 19 والمشهور كورونا، ثم بدأ هذا الفيروس بالانتشار في معظم دول العالم، حتى تجاوز عدد المصابين في أنحاء العالم ألد (١٣,٠٠٠,٠٠٠) ثلاثة عشرة مليون مصاب، وبلغ عدد الوفيات أكثر من نصف مليون شخص - في النصف الثاني من العام ٢٠٢٠ -.

والأهم من كل ذلك دخل أغلب سكان العالم بحالة من الرعب، فقد قادة ومسؤولي دول العالم التي طالها الوباء صوابهم، وما زالوا في حالة من الإرتباك والتخبط، وعلى رأسهم رئيس أقوى دولة في العالم ألا وهو الرئيس الأمريكي (دونالد ترامب)، وكان الخيار الأسلم الذي لجأت إليه معظم الحكومات المعنية هو إجبار السكان على البقاء في منازلهم وتطبيق نظام فرض الحظر الصحي، ومنع التجوال إلا للضرورة القصوى مع الإلتزام بطريقة التباعد الاجتماعي.

والنتيجة الأهم التي ترتبت على انتشار هذا الوباء الذي وصف بـ (الجائحة) لخطورته البالغة، هي تلك الآثار الكارثية على الاقتصاد العالمي، وانعكاس ذلك على الأوضاع الاجتماعية والسياسية وطم الإتهاء بالآثار الخطيرة على العملية التعليمية على وجه الخصوص.

وفي ظل تلك الظروف تم تعطيل الدوام للطلبة بسبب هذا الوباء في معظم دول العالم، ومنها الدول العربية، لذا تم اللجوء إلى نظام التعليم الإلكتروني للاستمرار في استكمال المناهج والمقررات الدراسية، ولضمان تحقيق سياسة التباعد الاجتماعي، وكان هذا الخيار اختباراً صعباً للجامعات وملاكاتها التدريسية والطلبة على حد سواء، وبلا شك من يمتلك الخبرة والتجربة والآليات في توظيف تقنيات التعليم الإلكتروني سيجتاز هذا الاختبار بنجاح، وبالمقابل من يفترق لهذه الأسس واجهه وسيواجه صعوبات جمة وربما تكون مخرجات هذه التجربة مجرد تسويق إعلامي وليست ذات جدوى، وهذا ما سنحاول الوقوف عليه في هذا البحث وبالتحديد في الدول العربية التي طالها هذا الوباء على وجه العموم، ونماذج الدراسة على وجه الخصوص.

لذا سنقسم هذا البحث - فضلاً عن المقدمة والخاتمة - على المباحث الآتية:

المبحث الأول: ماهية التعليم الإلكتروني...

المبحث الثاني: تأثيرات فيروس كورونا اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وتعليمياً.

المبحث الثالث: التعليم الإلكتروني في الدول العربية في ظل وباء (كورونا) نماذج مختارة...

المبحث الأول: ماهية التعليم الإلكتروني:

سنقسم هذا المبحث على ثلاثة مطالب نتعرض في المطلب الأول إلى: تعريف التعليم الإلكتروني وعناصره وأنواعه، أما المطلب الثاني فسنتناول فيه مزايا ومعيقات التعليم الإلكتروني، ونخصص المطلب الثالث لبيان الفرق بين التعليم التقليدي والتعليم الإلكتروني.

المطلب الأول: تعريف التعليم الإلكتروني ومكوناته ومصادره وأنواعه:

الفرع الأول: تعريف التعليم الإلكتروني: يعرف التعليم الإلكتروني بأنه "التعليم الذي يهدف إلى إيجاد بيئة تفاعلية غنية بالتطبيقات المعتمدة على تقنيات الحاسب الآلي وشبكة المعلومات (الإنترنت) وتمكن الطالب من الوصول إلى مصادر التعليم في أي وقت وأي مكان" (١).

(١) عبد الرحمن ضميري: جودة التعليم الإلكتروني الجامعي، سوريا، شعاع للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص ١٥.

فالتعليم الإلكتروني يستدعي استعمال تقنية الوسائط المتعددة و المعتمدة على الحاسوب التي توفر المتعلم من فرصة الحصول على المعرفة من خلال الملفات الإلكترونية (النصية والصوتية والفيديوية) وهي تمثل المقرر الإلكتروني، إذ يتم الحصول على هذه الملفات التعليمية، أما بشكل أقراص مدججة تصدرها المؤسسات التعليمية، أو قد يتم الحصول عليها عن طريق شبكة المعلومات (الإنترنت)، وذلك من خلال تحميلها من المواقع الخاصة بالجامعة لكي يتم بعد التفاعل والتواصل مع المادة العلمية وما تتضمنه من مفردات ((١))

الفرع الثاني: مكونات نظام التعليم الإلكتروني ومصادره: من أهم مكونات التعليم الإلكتروني^(٢):

- أولاً- المادة (المحتوى العلمي).
- ثانياً- عضو هيئة التدريس أو المدرب.
- ثالثاً- الطالب.
- رابعاً- البيئة التعليمية (وسيط الاتصال).
- خامساً- التقييم.
- سادساً- وسائل الاتصال أو التواصل وهي نوعان: ١- مباشرة: وتكون بالمواجهة بين الطالب والمعلم في الزمان والمكان نفسها ٢- غير مباشرة: وتكون من خلال وسط أو وسيط مثل الكتب والمحاضرات والمدىع والتلفزيون والتليفون وشبكات الحاسبات والشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) والأقمار الصناعية وما إلى ذلك.

ومن مصادر التعليم الإلكتروني الآتي^(٣):

- أولاً- الكتب الإلكترونية (Electronic Books).
- ثانياً- قواعد البيانات (Date Bases).
- ثالثاً- الموسوعات (Encyclopedias).
- رابعاً- الدوريات (Periodical).
- خامساً- المواقع التعليمية (Educational Sites)
- سادساً- البريد الإلكتروني (E - Mail) إذ تكون الرسالة والرد كتابياً
- سابعاً- المكتبات الرقمية (digital libraries)
- ثامناً- الدروس الجماعية الإلكترونية المفتوحة المصادر MOOC.

الفرع الثالث: أنواع التعليم الإلكتروني:

- أولاً- التعلم الممزوج Blended Learning، ويتم فيه دمج استراتيجيات التعلم المباشر داخل الفصول التقليدية مع أدوات التعليم الإلكتروني عبر شبكة الإنترنت.
- ثانياً- التعليم عن بُعد: Distance Education: وتعد وسيلة الاتصال والتواصل وسيلة أساسية في التغلب على المسافة البعيدة التي تفصل بين المتعلم والمدرس.

(١) م.م. جان سيريل فضل الله، واقع وافاق التعليم عن بعد واثرة في التعليم في العراق، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية، العدد ٢٣، كانون الثاني ٢٠١٠، ص ١٥٨-١٥٩.

(٢) د. خضير مصباح الطيبي: التعليم الإلكتروني من منظور تجاري وافي واداري، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص ١٩٧-١٩٨.

(٣) م. فادي اسماعيل: البنية التحتية لاستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم، و التعليم عن بعد، دمشق، ١٥-١٧ يوليو ٢٠٠٣.

ثالثاً-التعليم التزامي: Synchronous Learning: ويدمج المتعلم والمعلم في الوقت نفسه باستعمال أدوات التعليم كالفصول الافتراضية، أو المحادثة الفورية، ونظام بلاك بورد كولا بورات، أو الدردشة النصية.

رابعاً-التعلم المتنقل الذي يعرف بالتعلم المحمول: Mobile Learning: وهو نظام يستعمل الأجهزة اللاسلكية الصغيرة والمحمولة كالحاسبات الشخصية الصغيرة، والهواتف النقالة، والهواتف الذكية.

خامساً-التعليم غير التزامي: Asynchronous Learning: ويستخدم المحتوى التعليمي الرقمي، والموسوعات الخاصة، والبريد الإلكتروني، والشبكات الاجتماعية، والمنتديات التعليمية، والمدونات.^(١)

المطلب الثاني: مزايا ومعوقات التعليم الإلكتروني:

الفرع الأول: مزايا التعليم الإلكتروني : من أهم تلك المزايا ما يأتي^(٢):

أولاً-القدرة على التواصل المباشر بين الطالب، والمعلم، وبين الطلبة أنفسهم وبشكل حيّ دون الحاجة إلى التواجد في غرفة الصف، وذلك باستخدام وسائل الاتصال والتواصل الإلكترونية، مثل: برامج المحادثة التي تتيح الاتصال المرئي، والمسموع؛ مما يسهل عملية النقاش بينهم. قدرة المعلم على إجراء مسح سريع لمعرفة مدى تجاوب الطلبة مع المادة التعليمية، ومدى قدرتهم على استيعاب وفهم الدرس، ويمكنه عمل استبيان معرفة مدى تجاوب الطلاب معه ومدى قدرتهم على التواصل معه لفهم المادة بشكل جيد.

ثانياً-قدرة المعلم على استخدام أكثر من وسيلة توضيحية، وتعليمية للطل، مثل: استخدام بعض التطبيقات الموجودة على الإنترنت، أو اصطحاب الطلبة في جولة إلى أحد المواقع وشرح المادة التعليمية من خلاله بشكل مباشر، أو عرض فيديو يوضح المعلومات الواردة في الدرس، ويمكن الرجوع إليها في أي وقت يشاء فيه الطلبة.

ثالثاً-قدرة المعلم على تقسيم الطلبة على مجموعات صغيرة يسهل التواصل فيما بينها بالصوت والصورة لعمل إحدى التجارب مثلاً، أو لمناقشة إحدى قضايا الدرس المطروحة.

رابعاً-الجدوى الاقتصادية من استخدام تقنية التعليم الإلكترونية التي تساهم في التقليل من تكاليف التعليم للدارسين او الموظفين المنتشرين حول العالم.

الفرع الثاني: معوقات التعليم الإلكتروني:

هنالك الكثير من المعوقات الإدارية والبشرية التي تحول دون انتشار التعليم الإلكتروني في التعليم العالي ومن أبرز هذه المعوقات

أ يأتي^(٣):

أولاً: المعوقات المادية:

١. نقص أجهزة الحاسوب.
٢. ضعف تغطية الإنترنت.
٣. إرتفاع تكلفة الاتصال الإلكتروني.

ثانياً: المعوقات البشرية:

١. نقص في أعضاء الهيئة التدريسة الذين يجيدون فن التعليم الإلكتروني.

(١) إيمان محمد الغراب: التعليم الإلكتروني مدخل الى التدريس غير التقليدي، القاهرة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ٢٠٠٣، ص ٤٥.

(٢) - للمزيد ينظر كل من: زهراء إسماعيل: تكنولوجيا المعلومات وتحديث التعليم، القاهرة، عالم الكتب للطباعة والنشر، ٢٠٠١، ١٢٩، وكذلك: جان سيريل فضل

الله: مصدر سبق ذكره، ص ١٦٢-١٦٣

(٣) عائشة العبيدي، د. محمد بوفاتح: خلفيات التعليم الإلكتروني في التعليم العالي (جامعة الاغوط امودجا)، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد

٣٣، مارس ٢٠١٨، ص ٦٧٥.

٢. الافتراض الخاطئ بأن جميع أعضاء الهيئة التدريسية بإمكانهم المساهمة في التعليم الإلكتروني.

المطلب الثالث: الفرق بين التعليم الإلكتروني والتعليم التقليدي:

هنالك مجموعة من الاختلافات بين هذين النوعين من التعليم سنوجزها بالجدول رقم (١) الآتي:

جدول رقم (١) الاختلافات بين التعليم التقليدي والتعليم الإلكتروني

التعليم التقليدي	التعليم الإلكتروني
١. يستلزم تواجد جميع الطلاب في المكان والزمان نفسهما مع تعذر مراعاة الفروق الفردية بين العاملين.	١. لا يتقيد بمكان معين لاستقبال عملية التعليم مع مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين وفقاً لاحتياجات كل مُتعلم.
٢. يعتمد أسلوب المحاضرة والإلقاء مما قد يجعل الطالب متلقي للمعلومات من المحاضر دون أي جهد في البحث والاستفتاء.	٢. يعتمد التعليم الذاتي ويكرس فكرة فردية التعليم بما يعزز فعالية المتعلم في استيعاب المادة إلى جانب إمكانية تحديد طريقة التدريس.
٣. يشترط الحضور إلى مؤسسة التعليم والانتظام بالدوام مع تعذر الجمع بين الدراسة والعمل.	٣. يتيح فرصة التعليم عن بعد مع إمكانية تكامل التعليم مع العمل.
٤. يتصف المحتوى التعليمي على الأغلب بالجهود يأخذ صيغة الكتاب المطبوع أو النصوص مع التحديث.	٤. يتصف المحتوى العلمي بالأثرء والإثارة والديناميكية مع سهولة وسرعة التحديث.
٥. يحدد التواصل مع المحاضر بوقت الحصة الدراسية أو الساعات المكتسبة.	٥. يتصف بجدية التواصل مع المحاضرين في أي وقت.
٦. يحدد دور المحاضر بالناقل والمتلقي للمادة العلمية	٦. يوسع دور المحاضر لكي يصبح مديراً للعملية التعليمية.
٧. محدودية إعداد المتعلمين بسبب اقتران هذه الأعداد مع توافد المقاعد الدراسية.	٧. يتيح فرصة قبول أعداد محددة من المتعلمين ومن كل أنحاء العالم.
٨. يعتمد على الثقافة التقليدية التي تركز على إنتاج المعرفة ويكون المعلم هو أساس عملية التعليم.	٨. يقدم نوع جديد من الثقافة هي الثقافة الرقمية والتي تركز على معالجة المعرفة وتساعد الطالب أن يكون هو محور العملية التعليمية وليس المعلم.
٩. يتقبل التعليم التقليدي جميع الطلبة من دون الالتزام بأن يكون في نفس المكان والوقت المحدد لاستقبال عملية التعليم.	٩. لا يلتزم التعليم الإلكتروني بتقديم تعليم بنفس بالمكان نفسه أو بالزمان نفسه، بل إن المتعلم غير مُلزم بمكان معين أو وقت محدد لاستقبال عملية التعليم.
١٠. يحدد التواصل مع المعلم بوقت الحصة الدراسية ويأخذ بعض الطلبة الفرصة لطرح الأسئلة على المعلم لأن وقت الحصة لا يتسع للجميع.	١٠. حرية التواصل مع المعلم وطرح الأسئلة التي يريد الاستجواب عنها ويتم ذلك عن طريق وسائل مختلفة مثل البريد الإلكتروني وغرف المحادثة وغيرها.
١١. دور المعلم هو ناقل و ملقن للمعلومة.	١١. دور المعلم هو التوجيه والإرشاد والنصح وتقديم الإشارة.
١٢. اللغة المستعملة هي لغة الدولة التي يعيش فيها الطالب.	١٢. تعلم الطالب اللغات الأجنبية حتى يستطيع تلقي المادة العلمية والاستماع إلى المحاضرات من أساتذة عالميين فقد ينضم الطالب العربي إلى جامعة الكترونية في أمريكا أو بريطانيا.

١٣. يتم التسجيل والإدارة والمتابعة والواجبات والاختبارات والشهادات بطريقة إلكترونية عن بعد.	١٣. يتم التسجيل والإدارة والمتابعة واستصدار الشهادات عن طريق المواجهة أي بطريقة بشرية.
١٤. يسمح بقبول اعداد غير محددة من الطلاب من كل أنحاء العالم.	١٤. يقبل اعداد محدودة كل عام دراسي وفقاً للاماكن المتوفرة.
١٥. يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين فهو يقوم على تقديم التعليم وفقاً لاحتياجات الفرد.	١٥. لا يراعي الظروف الفردية للمتعلمين ويقدم الدرس للفصل بالكامل بطريقة شرح واحدة.
١٦. سهولة تجديد المناهج التعليمية المقدمة إلكترونياً بكل ما هو حديث ومتطور.	١٦. تبقى المناهج التعليمية ثابتة من دون تغيير لمدة طويلة.
١٧. المعلم هو الموجه ومسهل لمصادر التعليم.	١٧. المعلم هو المصدر الأساس للتعليم.

المصدر: الجدول من إعداد الباحثين استناداً الى م. زكي محمد عباس: مصدر سبق ذكره، ص ٣٢٩-٣٣٠.
ومن خلال ما تقدم نستنتج بأن التعليم أحد أهداف التنمية المستدامة المكونة من سبعة عشر هدفاً فهو يكون موازي للهدف الرابع (التعليم الجيد) فضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع وتعزيز فرص التعليم مدى الحياة للجميع، لذا فقد تطورت السياسة التعليمية من التعليم التقليدي أو ما يعرف بالتعليم المغلق إلى التعليم الإلكتروني.

المبحث الثاني: تأثيرات فيروس كورونا اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وتعليمياً:

خلف - وما زال يخلف وسيخلف - هذا الوباء تأثيرات بالغة الأهمية والخطورة على مستوى العالم أجمع، ومع تباين هذا التأثير، لكنه لم يستثن أحد، وعلى وجه العموم يمكن التعرض للتأثيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لهذا الوباء في المطالب الآتية:

المطلب الأول: التأثيرات الاجتماعية:

خلف هذا الوباء حالة غير مسبوقه من الخوف من العدوى لدى قطاعات وشرائح اجتماعية واسعة، وكذلك ما ولده إختيار الاقتصاد من فقدان العمل ومصادر الرزق للكثير من العاملين، فضلاً عن اجراءات التباعد الاجتماعي، والبقاء الاجباري في المنازل، وزد على ذلك ما أحدثته - وستحدثه - هذه الظروف من مشاكل نفسية قد تؤدي إلى إحداث تغييرات اجتماعية وسياسية في الكثير من دول العالم، ومنها الدول العربية^(١).

ولكن بالمقابل مازالت فئات وشرائح اجتماعية وفي دول عديدة - لاسيما العربية منها - لم تلتزم بتعليمات السلامة الصحية الصادرة من حكوماتها، وفي الوقت الذي أغلقت الدول حدودها مع جيرانها للحد من انتشار الوباء إلى مجتمعاتها، لكنها وجدت نفسها مضطرة للسماح لمواطنيها بالعودة من الخارج، بشرط خضوعهم لحجر صحي لمدة أسبوعين^(٢)، ولكن مع فرض تلك الاجراءات واجهت تلك الدول ومجتمعاتها مخاطر انتشار الوباء بفعل صعوبة تشخيص المصابين من ناحية، وعدم ظهور الاعراض على الكثير من هؤلاء المصابين من جهة أخرى، فضلاً عن تماون أو تخلف النظم الصحية في الكثير من الدول، ومنها عدد كبير من الدول العربية، والأهم من كل ذلك عدم قدرة الأجهزة الأمنية المعنية بفرض اجراءات السلامة الصحية، مقابل عدم إلترام الكثير من الأفراد بتلك الإجراءات بفعل تدني مستوى الوعي الصحي والاستهانة بالأمر.

(١) - للمزيد ينظر: د. التجاني عبد القادر حامد: مصدر سبق ذكره، ٦٧-٦٨، وكذلك: . لاهاي عبد الحسين: سجن الحماية: جائحة كورونا مقارنة اجتماعية، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، قطر، ٢٠٢٠، ص ٥٦

(٢) د. مصطفى عمر التير: أسئلة بحثية تطرحها جائحة كورونا على علماء الاجتماع، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، قطر، ٢٠٢٠، ص ٣٢-٣٣.

المطلب الثاني: التأثيرات الاقتصادية:

خلفت جائحة كورونا تأثيرات اقتصادية هائلة يمكن تلخيصها في المجالات الآتية:

١- توقف سائر النشاطات الاقتصادية في كل دول العالم ، إذ توقفت المصانع وأغلقت المطارات والمنازل الحدودية ، وتوقفت الحركة التجارية بين الدول ، وأصاب المرافق السياحية الشلل التام ، فضلاً عن إخماد أسواق المال العالمية ، وعلى ذلك لم تعد سائدة مقولات تحرير التجارة الدولية والسوق الحرة التي كانت تروج لها المؤسسات الدولية - كصندوق النقد الدولي والمنظمة العالمية للتجارة- وإن العلاقة بين اقتصاد السوق والحريات العامة والفردية التي يطرحها الخطاب الليبرالي كقيم متساندة لم تعد قائمة، بسبب التناقض بين خطاب المساواة الذي تسوق له الديمقراطية وبين خطاب تشجيع المنافسة والفروقات الفردية الذي يقوم عليه اقتصاد السوق- حسب جاك أتالي^(١)- من جهة، والتناقض بين تشجيع مزيد من الحريات الفردية وبين الحاجة لممارسة مزيد من الضبط الاجتماعي من جهة ثانية، إذ كشفت طريقة تعاطي الحكومات مع هذه الجائحة نفاوياً صامداً جاء لمصلحة الأنظمة الأوتوقراطية على حساب الأنظمة الديمقراطية (نموذج الصين مقابل نموذج إيطاليا وأسبانيا والولايات المتحدة).

٢- بفعل توقف النشاطات الاقتصادية المذكورة، تراجع الطلب العالمي على المصدر الأساس للطاقة ألا وهو النفط، مما أدى إلى إخماد أسعاره بشكل غير مسبوق.

٣. تعرضت الدول المنتجة للنفط لاسيما الدول العربية على وجه الخصوص، وفي مقدمتها الدول الربيعة، وهي تلك التي تعتمد على الواردات النفطية بشكل كلي تقريباً، لأزمة اقتصادية خانقة وصلت إلى حد عجزها عن تسديد رواتب موظفيها.

٤. فقدان ملايين العاملين لوظائفهم في القطاعين العام والخاص، مما ضاعف من معدلات البطالة حتى في الدول الأكثر تقدماً، فعلى سبيل المثال فقد أكثر (٢٢) مليون لوظائفهم في الولايات المتحدة الأمريكية لوحدها^(٢).

٥. مازالت الأزمة - في النصف الثاني من عام ٢٠٢٠- تتفاقم يوماً بعد يوم مع استمرار غياب العلاج الشافي والوافي لهذا الوباء، ومع استمرار الوباء بل وتصاعد وتيرته في دول عدة، وفي غضون ذلك تتزايد الضغوط على الحكومات لحثها على تخفيف إجراءات الحظر لتقليل الخسائر الاقتصادية وتخفيف آثارها الاجتماعية.

المطلب الثالث: التأثيرات السياسية:

مع الانتشار المتصاعد لوباء كورونا يتراجع أداء الحكومات -عنى اختلاف إمكاناتها وتنوع طبيعتها- وتقف عاجزة عن الحد من انتشار وخطورة هذه الوباء، وهو ما سبب أزمات متعددة تجاوزت البعد الصحي، لتكشف عن اختلالات هيكلية، وهو ما سيطرح الكثير من المراجعات التي سترافقها بكل تأكيد تغيرات كثيرة، أقلها إعادة ترتيب أولويات عمل تلك الحكومات وأجنداتها^(٣).

وفي أجواء كورونا تتبادر إلينا مجموعة من التساؤلات حول وجود علاقة بين أشكال أنظمة الحكم وطرق التصدي للجوائح، وآليات الإفصاح عن المعلومات ومشاركتها مع المنظمات الدولية والإعلام، وقد بدا لنا أن أنظمة استبدادية كانت أكثر قدرة على ضبط انتشار الفيروس بفرضها لقواعد وقوانين ضبط اجتماعي شديدة الصرامة، وبالمقابل بدت النظم الديمقراطية

^(١) للمزيد ينظر الى

Jacquea Attali : The crash of Western civilization: The Limits of Market and Democracy , foreign policy < N0107, Summer 97, pp 54-64.

ينظر كذلك: منتدى الفكر العربي، العدد ١٤٧، تشرين الثاني ٩٧، ص ١٥.

^(٢) - <https://mostaqbal.ae/coronavirus-on-the-global-economy-stagnation-or-recession>

^(٣) د. مصطفى بخوش، انعكاسات أزمة كورونا الحديثة في العلوم السياسية، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، قطر، ٢٠٢٠، ص ٧٩.

المفتوحة رغم كونها أكثر تقدماً وحرية وثقة وإفصاحاً عن المعلومات، إلا أنها كانت مسرحاً للوباء والتخبط والفشل في أكثر من جانب، كما إن المجتمعات تتفاوت في مدى استجابتها للإجراءات الرسمية التي اتخذتها الحكومات للتعامل مع فيروس كورونا، وبذلك تمايزت الحكومات في ردة فعلها تجاه الجائحة شدة وتراحياً وفقاً لتقديرات يجدر كشفها^(١).

وكانت طريقة تعاطي الصين مع أزمة فيروس كورونا وقدرتها على ممارسة الضبط الاجتماعي والتحكم في حشود الجماهير بطريقة رقمية مبتكرة، مما وضع العالم أمام إعادة اكتشاف الصين من جديد كنموذج صاعد ناجح مقابل النموذج الغربي المتراجع، إذ عاد موضوع التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها قوة مهيمنة والصين بوصفها قوة صاعدة للنقاش، خصوصاً فيما يتعلق بفكرة حتمية الصدام بين القوتين من عدمها، اعتماداً على مقولة (فخ ثيوسيديتس) التي طرحها (غراهام ألسون)، التي تؤكد على متلازمة القوة الصاعدة (rising power syndrome) - وهي هنا الصين تبحث عن تأكيد الذات - ومتلازمة القوة الحاكمة (ruling power syndroms) - وهي الولايات المتحدة الأمريكية الخائفة من تراجع مكانتها إذ يؤدي إلى مواجهة القوتين التي قد تكون بوسائل وأساليب متعددة تتراوح بين الإعلامية والاقتصادية وصولاً إلى العسكرية^(٢).

وقد يكون التركيز على صعود الصين السلمي وفقاً لمقولات تمدد القوة التي طرحها (بول كيندي) إذ أنه طرح فكرة قانون التمدد الامبراطوري الزائد عن الحد ليشرح تراجع القوى العظمى إذ تصبح مصالح القوى الكبرى والتزاماتها العالمية أكبر من قدرتها على الدفاع عنها كلها في وقت متزامن، لتبدأ في الانسحاب والتخلي عنها تاركة فراغاً فيها، ومقابل صعود قوة بديلة تتحين ملء الفراغ لتفرض منطقتها الجديدة^(٣).

لقد أربكت جائحة كورونا بانتشارها السريع برامج الدول للتعامل معها، واتضح أن القطاع الصحي العام في أغلب الدول التي توصف بالعظمى أو القوية أو المتقدمة، لم تكن مستعدة للتعامل مع الجائحة بكفاءة، ما أدى إلى ردود أفعال محلية ودولية، وقد وجهت انتقادات إلى الصين واتهمت بالتكتم على البيانات، والتأخر في إخطار بقية بلدان العالم بطبيعة الفيروس الجديد، وفي المقابل اتهمت الولايات المتحدة الأمريكية ان الفيروس خلق في معاملها البيولوجية، وهناك دول أعلنت عدم استلامها معدات طبية اشتريتها من الصين، لأن دولاً أخرى اعترضت طريقها واستولت عليها، وبعض اشترتها من الصين، وبعض الدول الأعضاء في الإتحاد الأوروبي كانت قد تضررت بدرجة كبيرة من الوباء - وخصوصاً إيطاليا وإسبانيا - وانتقدت بقية الأعضاء بسبب تخلفهم عن تقديم الدعم وفي الوقت الذي كانت الصين قد قدمت لها مساعدات لا بأس بها.

وكان من المفترض أن تتعاون الدول الكبرى، التي تمثل الأعمدة الرئيسة للنظام الدولي، وتضع خطة مشتركة لمواجهة التهديد، الذي يتعرض له العالم أجمع، كي تنجح في محاصرة الفيروس في أراضيها، ثم تقديم الدعم لتلك الدول التي لن تتمكن من محاصرة الفيروس، ما لم تحصل على دعم من الدول المتقدمة، ولكن بدلاً من ذلك ارتفع مستوى الانتقادات ومستوى الإتهامات المتبادلة فيما بين الدول، واتجه اهتمام كل دولة نحو الداخل، ضاربة عرض الحائط مبادئ التعاون الدولي^(٤).

المطلب الرابع: الواقع التعليمي في ظل وباء (كورونا):

مع انتشار الوباء ووجهت جميع حكومات العالم تقريباً إلى وزارات التربية والتعليم قراراً بإيقاف التعليم التقليدي واعتماد التعليم الإلكتروني بشكل كامل، وقد واجهت تلك التجربة الكثير من المشاكل والتحديات، وقد تباينت قدرات الدول على مواجهة تلك المشاكل والتحديات، فبلا أدنى شك تمكنت الدول التي كانت تتبنى التعليم الإلكتروني كنظام مساند للتعليم التقليدي من تحقيق

(١) د. أسماء حسين ملكاوي: كورونا وعلم الاجتماع: أسئلة جديدة، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، قطر، ٢٠٢٠، ص ١٨.

(٢) ينظر: غراهام ألسون: حتمية الحرب بين القوة الصاعدة والقوة المهيمنة، ترجمة: إسماعيل بماء الدين سليمان، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٨.

(٣) ينظر: بول كيندي: نشوء وسقوط القوى الكبرى، ترجمة: مالك البديري، ط ٣، الاهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٧.

(٤) د. مصطفى عمر التير: مصدر سبق ذكره، ص ٣٤.

نجاحات ملحوظة في هذا الصدد ، وبالمقابل كانت تلك الجائحة بمثابة اختبار لتبني هذا الخيار وحاولت تقديم ما يمكن تقديمه في هذا المجال ، وبالمقابل واجهت الدول التي تبنت هذا الخيار بشكل اضطراري مشاكل كثيرة ، لأنها لم تكن قد وضعت في برامجها تطبيق هذا الخيار في الظروف الطبيعية مع أهميته ، وفي كل الاحوال ، لم يكن هذا الخيار سبيلاً كافياً لإنجاز تلك المهمة في كل الدول المتقدمة والمتأخرة على حد سواء، لأن التعليم الإلكتروني - كما أسلفنا - يكمل التعليم التقليدي ، والعكس صحيح ، ولا يمكن الاعتماد على أحدهما دون الآخر فكل منهما فيه مزايا وعليه عيوب.

وأزاء ذلك فإننا نشهد في هذا الصدد الكثير من وزارات التعليم ينتابها قلق من الاعتماد على الاستراتيجيات المستندة إلى الإنترنت دون غيرها، إذ لا يجني ثمره تلك الاستراتيجيات إلا أبناء الأسر الأفضل حالاً، إذ إن ضعف الأوضاع المعيشية لجزء كبير من السكان وعدم وصول تغطية الانترنت إلى كل المناطق في البلاد، وعدم قدرة وسائل الإعلام الجماهيري على خلق تفاعل شبيه بما يجري في الفصول التقليدية، فضلاً عن مشاكل هيكلية تعاني منها الأنظمة التعليمية للكثير من الدول ومنها الدول العربية التي يقع أغلبها في أسفل السلم بمؤشرات التعليم الدولية^(١).

وتتمثل الاستراتيجية المناسبة في هذا الإطار في استخدام جميع الوسائل الممكنة التي توفرها البنية التحتية الحالية في إيصال الخدمة، فيمكن استخدام أدوات الإنترنت في إتاحة المواد الدراسية، ويمكن الاستفادة أيضاً من الميزات التي توفرها لنا شبكات التواصل الاجتماعي، مثل الواتساب أو الرسائل النصية القصيرة، وكذلك قنوات التعليم الفضائية في تمكين وزارات التعليم من التواصل بفعالية مع الطلبة والأهل والمعلمين، لتزويدهم بالإرشادات والتعليمات مع أكمال المناهج الدراسية المخصصة^(٢).

وبالحصول أضحى خيار التعليم الإلكتروني أمراً لا مفر منه، لاسيما مع احتمال دخول العالم في موجات جديدة من الوباء، الأمر الذي يستدعي من المعنيين في كل دول العالم، ومنهم العاملين في قطاعي التربية والتعليم العمل على تطوير قدرات ملاكاتها التعليمية في هذا السياق، وتوفير كل الفرص والمتطلبات التي تهيء للطلبة والتلاميذ السبل للاستفادة القصوى من التعليم الإلكتروني بما ينمي المعرفة لديهم ويؤهلهم بما يتناسب ومتطلبات سوق العمل.

المبحث الثالث: التعليم الإلكتروني في الدول العربية في ظل وباء (كورونا) - نماذج مختارة:-

وجدت الدول العربية - كسائر دول العالم - نفسها مضطرة لتبني خيار التعليم الإلكتروني بفعل تأثير وباء (كورونا) ، لذا سنتطرق في هذا الإطار إلى ثلاثة نماذج من الدول العربية التي تبنت التعليم الإلكتروني في ظل هذه الظروف ، وهي كل من العراق والمملكة المغربية ودولة الإمارات.

المطلب الأول: التعليم الإلكتروني في العراق:

يعاني قطاع التعليم في العراق منذ بداية العام الدراسي الحالي ٢٠١٩-٢٠٢٠ من الشلل والتوقف في المدارس والجامعات العراقية بسبب الاحتجاجات الشعبية التي اندلعت في معظم المحافظات العراقية منذ شهر أكتوبر/ تشرين الأول من العام ٢٠١٩، ومن ثم جاء انتشار فيروس كورونا ليكون عاملاً حاسماً في توقف الدراسة التقليدية بشكل تام.

ومن جانبها حاولت وزارة التربية العراقية إدارة هذا القطاع المهم وإيجاد الحلول لمواصلة الدراسة لتطلق موقعها الإلكتروني للتعليم عن بعد باسم "منصة نيوتن التعليمية" إذ من المفترض أن تبث من خلاله الدروس المقررة ليتلقى آلاف الطلاب عبرها دروسهم وصولاً إلى إكمال ما يمكن إكماله من المناهج المقررة، وقد أكد (حميد جحجيج) المدير التنفيذي للمنصة الإلكترونية قائلاً: ((بجهود شخصية ومجانية نحاول قدر الامكان إيجاد حلول وبدائل للطلاب لاستمرار إيصال المعلومات والمعارف للطلبة واستمرار تواصلهم في

^(١) <https://www.alittihad.ae/wejhatarticle/105945>

^(٢) <https://blogs.worldbank.org/ar/education/managing-impact-covid-19-education-systems-around-world-how-countries-are-preparing>

عملية التعليم باستخدام شبكات التواصل والمنصة الرقمية))^(١)، وأضاف (ججيج) قائلاً: ((إن المنصة العراقية للتعليم الإلكتروني يقف وراءها أساساً مركز تنمية الابداع الدولي التابع للقطاع الخاص والذي يدير سلسلة من المدارس الابتدائية في العراق حيث وفر المكان والمعدات واستديوهات تصوير ومونتاج ... ولدينا خطط بديلة حيث يقوم المدرسون بتسجيل الدروس من منازلهم ونقوم بالمونتاج والبث على الموقع، وكل ذلك بجهود خاصة ومجانبة. ولم تقتصر دروسنا على المدارس الخاصة، بل هي موجهة أيضاً إلى كل مدارس العراق إذ أن المناهج واحدة في القطاع الخاص والعام ويبقى دور وزارة التربية في إيجاد الحلول والبدايل ونقوم الآن بالإعداد لإطلاق دروس للمراحل المتوسطة والاعدادية. ونحاول بقدر الإمكان إيجاد بدائل وهناك أكثر من ٩ مليون مستخدم للإنترنت وشبكات التواصل في العراق. والحقيقة الاقبال على المنصة وصل الى ١٠٠ ألف متابع للدروس التي نبثها، من هنا نقيس أهمية المنصة من حجم التفاعل والاهتمام))^(٢).

وأعلن (ضياء الغراوي) مؤسس مركز تنمية الابداع الدولي في العراق بدوره لإذاعة (مونت كارلو الدولية) عن بدء إطلاق مبادرة لوزارة التربية قائلاً: ((حرصاً على التعاون مع وزارة التربية، دعوناها لتقليص المواد الدراسية والاقتصار على تدريس المواد الأساسية أي الرياضيات واللغة العربية واللغة الانكليزية))^(٣)، هذا بالنسبة إلى المراحل الابتدائية باعتبار أن هذه المواد مرتبطة تصاعدياً مع المراحل اللاحقة للتلاميذ لتستكمل تصاعدياً العام المقبل - ٢٠٢٠-٢٠٢١، وترك المواد الأخرى باعتبارها مواد تثقيفية يمكن الاستغناء عنها نظراً لضيق الوقت، وأضاف الغراوي قائلاً: ((على وزارة التربية استكمال المواد الأساسية والمهمة والمؤثرة على مستقبل الاطفال وإدخال نصف المادة الدراسية ويمكن تطبيق نفس الفكرة على المراحل المنتهية وغير المنتهية للدراسة المتوسطة والإعدادية فنختصر عدداً من الفصول غير المهمة وندخل نصف المادة الدراسية في الامتحان النهائي، إضافة إلى الدخول الشامل المتعلق باختبار البكالوريا))^(٤).

وكذلك أوضح أمين عام سر نقابة المعلمين العراقيين (عدي العيساوي) إن القسم الإعلامي في وزارة التربية يبت حلقات لكل المواد العلمية لكل المراحل على القناة الفضائية التربوية التابعة للوزارة، لكن المشكلة تكمن في أنها تعرض لمرة واحدة فقط، كما أن عدد متابعي هذه القناة من التلاميذ قليل، لكن الأمر ليس كله سيئاً، فقد أسهمت المدارس في حل الأزمة، وذلك عبر إنشاء صفحات خاصة بها على مواقع التواصل الاجتماعي، مثل "فيسبوك"، وقنوات "تليغرام" أو مجموعات "واتساب" لضمان سير الواجبات المدرسية، إذ جرى التواصل مع الطلبة وإرسال الواجبات وبث الدروس مصورة أو مكتوبة، ووضح (العيساوي) أن نجاح هذا الأمر استند على متابعة مضاعفة من قبل أولياء الأمور لتعويض نقص الرقابة المدرسية^(٥)، وكانت تجربة مدرسة (شط العرب) في حي حطين بجانب الكرخ، متميزة في هذا الإطار وقد بذلت إدارتها وملاكاتها التربوية جهوداً كبيرة تمكنوا من خلالها بالتعاون مع أولياء أمور التلاميذ (الأهيات على وجه الخصوص) من إكمال الموضوعات المهمة من المناهج الدراسية المقررة حتى بعد أن قررت الوزارة اعتماد نتائج نصف السنة كتناجح نهائية.

ولكن بالحصول لم تحقق منصة "نيوتن" الغاية المرجوة منها، وإن المحاولات الأخرى كانت قد تعثرت، ووجدت الوزارة إن الحل الأسلم يتطلب اتخاذ قرار اعتماد نتائج نصف السنة كتناجح نهائية السالف الذكر.

^(١) <https://www.mc-doualiya.com/articles>

^(٢) المصدر نفسه.

^(٣) <https://www.mc-doualiya.com/articles>

^(٤) - المصدر نفسه.

^(٥) <https://www.independentarabia.com/node/105566>

أما وزارة التعليم العالي والبحث العلمي فقد وجهت مؤسساتها كافة بضرورة الإلتزام بتوجيهات خلية الأزمة للوقاية من الإصابة بفيروس كورونا ، وقال المدير العام لدائرة الدراسات والتخطيط والمتابعة الدكتور (ايهاب ناجي) : ((إن الوزارة وجهت بضرورة التزم الجامعات كافة والمؤسسات التعليمية بتوجيهات خلية الأزمة لمواجهة خطر الإصابة بفيروس كورونا، مبينا تحويل مجالس الجامعات بايجاد الالية المناسبة لا يصال المحاضرات الى الطلبة كالمنصات الإلكترونية المعتمدة عبر مراكز الحاسبات في الجامعات وغيرها بالشكل الذي يعوض المادة العلمية للطلبة أثناء العطلة المعلنه))^(١)، وأضاف: ((أن على التدريسيين تكثيف الجهود لغرض المحافظة على التوقيتات الزمنية للكورس الدراسي الأول دون التأثير على الكورس الثاني واعتبار المادة التي تم تدريسها للطلبة هي الأصل، موضحا أنه سيتم اعتبار المحاضرات المعطاة قبل تعطيل الجامعات بسبب تداعيات فايروس كورونا هي الأصل للانطلاق بمحاضرات التعليم الإلكتروني التي ستعتبر مكمله للمحاضرات الممنوحة للطلبة سابقاً))^(٢).

فقد اكدت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، أن تبني أسلوب التعليم الإلكتروني جاء نتيجة للظروف الاستثنائية التي يمر بها العراق، وهو بمثابة بديل مؤقت عن التعليم التقليدي، والهدف من تبني التعليم الإلكتروني في ظل الظروف الاستثنائية التي يشهدها العراق والعالم كي يتواصل الطلبة والاساتذة مع العملية التعليمية، وهذا الأمر يتوافق مع ما قامت به جميع المؤسسات الأكاديمية العالمية، مؤكدة ان المنظمات الدولية كاليونسكو والإيسيسكو عدته خياراً ناجحاً^(٣).

وبالحصول أصدرت وزارة التعليم العالي تعليماتها بخصوص إكمال المناهج الدراسية وإنهاء العام الدراسي وذلك من خلال إجراء امتحانات إلكترونية على طريقة الاختيارات المتعددة والأسئلة القصيرة والكتاب المفتوح، مع التوصية بمساعدتهم في درجات السعي، فضلاً عن مساعدتهم عن طريق منحهم فرصة كتابة تقرير في موضوع معين بقصد ضمان الحصول على نسبة من درجة الإمتحان النهائي، والغاية من كل ذلك تسهيل مهمة عبورهم إلى المرحلة التالية^(٤).

وهناك جملة من المعوقات التي تواجه التعليم الإلكتروني في العراق في ظل جائحة كورونا هي:

أولاً: البنية التحتية التكنولوجية والمنظومة الإدارية للمؤسسة التعليمية:

تفتقر المؤسسات التعليمية العراقية إلى البنية التحتية التكنولوجية، إذ لا توجد مختبرات كافية ولا تقنيين يساعدون في اعداد النظام التعليمي ومراقبة الأخطاء في حال حدوثها، أو تقديم المساعدة للأساتذة والطلبة على حد سواء، إذ إن معظم الكليات والأقسام والفروع حتى العلمية منها لا يوجد فيها إلا مختبراً واحداً ، ويعمل فيه أحياناً مختص واحد في علم الحاسوب والتقنيات الحديثة، كما تفتقر المختبرات إلى الأجهزة المتقدمة للعمل، يضاف لها ضعف شبكة الانترنت وأحياناً عدم وجوده في أغلب الجامعات وما يرتبط بها ، فضلاً عن تكرار انقطاع التيار الكهربائي^(٥).

أما بالنسبة للنظام الإداري للمؤسسات التعليمية فهناك اعتماد كبير على الأساليب التقليدية في الإدارة، ولم تصل إلى أدنى مستويات الطموح من استخدام التقنيات الإلكترونية الحديثة، والسبب في ذلك هو غياب البنية التحتية التقنية التي يمكن من خلالها

^(١) <http://moheer.gov.iq/ar>

^(٢) - المصدر نفسه.

^(٣) - المصدر نفسه.

^(٤) - للمزيد ينظر: <https://www.todaynewsiq.net/17833--.html>

^(٥) - للمزيد ينظر كلاً من: <https://annabaa.org/arabic/education/22450> وكذلك: <https://openupresources.org> وكذلك

<https://www.scientificamerican.com/arabic/articles/news/distance-learning-versus-covid19>:

<https://openupresources.org>

ارسال واستقبال التوجيهات والتعليمات الإدارية وسبل التحقق منها واعتمادها في المخاطبات الرسمية، فضلاً عن غياب أو تدني مستوى ثقافة الإدارة الإلكترونية إلا في نطاق محدود^(١).

ثانياً: الملاكات التدريسية: تعد اغلب الملاكات التدريسية والتربوية في العراق من الفئات التي نشأت وتعلمت تعليماً تقليدياً، وحتى مع انتشار التعليم الإلكتروني كان النظام الحاكم قبل عام ٢٠٠٣ يفرض قيوداً كثيرة على هذا النوع من التعليم، وحتى بعد عام ٢٠٠٣ استمر التعليم على الطريقة التقليدية، مع استخدامات محدودة وبعضها يعتمد على مبادرات شخصية تطوعية، لذا استمر التعليم بالطريقة التقليدية هو السائد، ويعتمد ذلك على حضور الأستاذ في القاعة وإلقاء المحاضرة على التلاميذ والطلبة بشكل مباشر^(٢).

ثالثاً: المنهج الدراسي: بالرغم من تشكيل لجان لتحديث المناهج الدراسية، وكانت قد أطلقت مشاريع متكاملة في هذا الصدد، ولكنها بقيت معظمها حبراً على ورق، لذا مازالت معظم المناهج الدراسية متهاككة وعفا عليها الزمن، وهي نتاج إعداد فئة صغيرة من القيادات الجامعية التقليدية التي لا تنتمي الى هذا العصر من التطور والحداثة، واغلبها من فئات كبار السن، وهي مناهج تتوافق مع أسلوب التلقين القديم وتطلب من الأستاذ نسبة من النجاح وامتحاناً تقويمياً في نهاية السنة، وهذا لا يتوافق مع نظام التعليم الإلكتروني الذي يعتمد على المنهج التفاعلي ويحتاج الى أسلوب تدريس من قبل أستاذ حصل على تدريب كافٍ في مجال التعامل مع الدرس الإلكتروني^(٣).

رابعاً: الطالب: في النظام التعليمي التقليدي الطالب هو الحلقة الأضعف، وهو الذي لا يستطيع النقاش ولا المطالبة بحصص متناسب ومتطلباته المعرفية، ولا يستطيع اخذ دوره ليكون عنصراً فاعلاً في المجتمع، كل ما عليه حفظ ما يطلبه منه الأستاذ من دون نقاش، لذا فالطالب يأتي للجامعة من اجل تلقيه ومن ثم منحه شهادة تخرج ليواجه محنة الحصول على وظيفة حكومية، لذا لا يمتلك الطالب مصادر المعرفة التي تؤهله بما يتناسب ومتطلبات سوق العمل^(٤).

وإن الطالب من جانبه يركز كل جهوده للحصول على شهادة تؤهله للدخول في نظام التعيينات الحكومية ونظامها الإداري التقليدي الذي لا يتطلب مهارات معينة بقدر ما يحتاج إلى ورقة مثبتة فيها الدرجات التي تبين أن الطالب قد أكمل أربع سنوات دراسية في الجامعة، وانه مستعد لينظم إلى جيش من الإداريين التقليديين، وهذا الطالب لم يتعود يوماً أن بذل الجهد في التعلم الحقيقي سوف يؤهله للحصول على افضل وظيفة، تعلم هذا الطالب ان الفن الحقيقي في الجامعة هو في كيفية تجاوز أربع سنوات دراسية بأي طريقة كانت، ومن ثم فهو لا يتفاعل مع الأستاذ في الصف الإلكتروني، ولا يمكنه ان يدخل للصف الإلكتروني في ظل غياب العقوبات الرادعة من قبل الأستاذ^(٥).

من خلال ماتقدم يمكن القول إن تجربة التعليم الإلكتروني في العراق لم ترتق إلى مستوى الطموح بفعل التحديات التي واجهتها، ولكن يمكن الاستفادة من الأخطاء والمشاكل التي اعترضت تلك التجربة والعمل على معالجتها، مع العمل على استثمار الجوانب الايجابية والعمل على تطويرها، لاسيما من خلال تطوير الملاكات التدريسية والفنية والإدارية، فضلاً عن ضرورة تهيئة البنى التحتية

(١) - للمزيد ينظر نفس المصادر السابقة.

(٢) - للمزيد ينظر نفس المصادر السابقة.

(٣) - للمزيد ينظر نفس المصادر السابقة.

(٤) - للمزيد ينظر نفس المصادر السابقة.

(٥) - للمزيد ينظر نفس المصادر السابقة.

اللازمة لنجاح تلك التجربة ، والأهم من كل ذلك تهيئة الظروف والامكانيات المادية والنفسية التي تتيح للطالب التفاعل بجدية أكثر مع هذا النمط من التعليم ، ليس فقط لاحتمالية استمرار الظروف الاستثنائية ، ولكن كي يستمر العمل بهذا النمط كبريد ومكمل للتعليم التقليدي.

المطلب الثاني: التعليم الإلكتروني في المملكة المغربية:

في ظل هذا الوباء أبرمت وزارة التعليم المغربية وشركات الانترنت اتفاقاً لأجل تمكين التلاميذ من الدخول المجاني إلى المنصات التعليمية، وقد أعلنت الوزارة أن عدد مستخدمي البوابة الوطنية الخاصة بالتعليم عن بعد وصل إلى ٦٠٠ ألف يومياً، ومن أهم منصات التعليم الإلكتروني في المغرب ما يأتي:

أولاً: تطبيق (NOON KIDS): أطلق أول تطبيق في المغرب، يهدف إلى التعلم الإلكتروني لفائدة تلامذة السلك الابتدائي، الذي يحمل اسم (NOON KIDS)، هذا التطبيق يتوافق مع البرنامج التعليمي الوطني، ويغطي جميع مستويات السلك الابتدائي، بحسب الشركة الناشئة لهذا التطبيق^(١).

وفي هذا السياق، أوضح (محمد التيموري) المدير المساعد في الشركة، التي أشرفت على هذا التطبيق، أن (NOON KIDS) هي أول بيئة تعليمية رقمية في المغرب تستجيب لضرورة التكيف مع الظهور المتنامي للتكنولوجيات المعلوماتية الحديثة، وكذلك الحاجة إلى تكملة تعليم الأطفال بطرق أكثر تفاعلية، والتي تتطلب انتباههم بشكل مختلف، وتشجيع رغبتهم في التعلم، ويسهر على هذا التطبيق الرقمي مجموعة من الأساتذة الجامعيين، في عدة تخصصات، من أجل تقديم دروس، وتمارين، وحلول، تتماشى مع المناهج التعليمية الوطنية^(٢).

وبأى هذا التطبيق الرقمي، الذي يعد الأول من نوعه للتعلم الإلكتروني في المغرب، من أجل توحيد، وإثراء تعلم التلاميذ المغاربة، وإشراكهم أكثر من خلال استغلال آلتهم الرقمية، ويمكن إشراك الآباء في التتبع، وتحديد هفوات أبنائهم من خلال منصة خاصة بهم، تنشر فيها تقارير مع سرد لنقاط القوة والضعف لدى طفلهم، بالإضافة إلى الصعوبات، التي تمت مواجهتها أثناء استعراض التطبيق، والمساعدة على التوجيه^(٣).

ثانياً: المدرسة الذكية: عملت وزارة التربية الوطنية والتعليم على إنشاء نظام التلفزيون التفاعلي، والمشروع المستقبلي "المدرسة الذكية" تعتمد على التكنولوجيات الحديثة في عملية التلقين التربوي للتلميذ من خلال "المحفظة الرقمية" والسبورة الرقمية التفاعلية داخل الفصل والمناهج الرقمية التفاعلية التي يتم الولوج إليها عبر شبكة الإنترنت.

وإن هناك بعض الجامعات التي تبنت العمل بهذا التعليم محلياً وعلى نطاق محدود أو من خلال شركات دولية، ك(جامعة السلطان مولاي سليمان ببني ملال، وجامعة ابن زهر، وجامعة القاضي عياض، وجامعة عبد المالك السعدي التي عمدت إلى تطوير دروس تعطي بطريقة التعليم عن بعد بالنسبة لطلبة التدريب المهني وبعض المستويات الجامعية الأخرى)^(٤).

(١) <https://www.alyaoum24.com/1304930.html>

(٢) - المصدر نفسه.

(٣) - المصدر نفسه.

(٤) <https://www.new-educ.com/> التعليم-الإلكتروني-في-المغرب

ثالثاً: القناة العامة على التلفزيون: يبلغ عدد التلاميذ في المملكة المغربية ثمانية ملايين تلميذ، وتبث القناة العامة الدروس عبر موقع إلكتروني تابع للوزارة، وتؤكد الوزارة أنه يتم تعزيز المحتوى بشكل يومي، مشيرة إلى أن "١,٢ مليون تلميذ يدخلون إليه كل يوم". إلا أن التلفزيون يبقى الأداة الرئيسية للتعليم عن بعد للعائلات التي لا تملك حواسيب^(١).

رابعاً: منصة (Telmide TICE): وهي عبارة عن منصة إلكترونية تمكن الطالب من تحصيل المواد الدراسية كافة بأكثر من طريقة، إذ تعمل الوزارة بسرعة ليست مسبقة المثل على تسهيل عملية التحصيل للطالب عن بُعد، لذلك أمدت هذه المنصة بكافة الدروس لكل المواد الدراسية، بالتنسيق مع الأساتذة المهوبين المتميزين في العملية التعليمية لمساعدة الطالب على التحصيل التام^(٢). وقد قررت وزارة التربية الوطنية المغربية تعويض الدروس "الحضورية" بأخرى عن بعد تسمح للطلاب بمتابعة دروسهم من البيت، تفاوتت الإمكانيات التقنية ليس وحده العائق أمام التجربة في المغرب، فقدرات المعلمين في الشرح وإدارة الدروس عن بعد أيضاً متفاوتة، ولكي ينجح المجتمع المغربي في مجال التعليم الإلكتروني، فهو بحاجة إلى تدريب المعلمين والطلاب، وهذا الأمر غير متاح حالياً، لكن في المستقبل يجب أن يعمل على هذه التقنية ويستفيد منها^(٣). وعلى الرغم مما واجهته المملكة المغربية من تحديات في هذا المسار، لاسيما إنه لم يكن شائعاً لديها، ولكنها حققت نجاحاً ملحوظاً فيه، مقارنة بدول عربية كثيرة.

المطلب الثالث: التعليم الإلكتروني في دولة الامارات العربية المتحدة:

أعلنت دولة الامارات عن تعطيل المدارس والجامعات شهراً بشكل اولي اعتباراً من تاريخ ٥ اذار، على ان يتم العمل بمبادرة التعليم الإلكتروني ضمناً لاستمرار العملية التعليمية في المنزل، وقد باشرت الحكومة في العمل عن كنب مع مدرء المدارس والمعلمين والعمداء للبدء فوراً في متابعة التعليم الإلكتروني عبر الانترنت، كما قامت وزارة التربية والتعليم بتشكيل لجنة موسعة لتوفير جميع الاحتياجات اللازمة لنظام التعليم الإلكتروني، إذ تم تطبيق مبادرة تجريبية لمدة يومين لمدة قصيرة وذلك بالاستعانة ببوابة التعليم الذكي، وهي منصة تعليم إلكترونية تفاعلية تجمع بين المعلمين والطلبة وأولياء الأمور وتتيح للمعلم تطبيق الأساليب التعليمية الحديثة. ومن اهم المنصات الإلكترونية التي انشنتها دولة الإمارات هي^(٤):

أولاً: برنامج محمد بن راشد للتعليم الذكي: تم إطلاق برنامج محمد بن راشد للتعليم الذكي برعاية صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم في شهر أبريل/نيسان من العام ٢٠١٢، وذلك تماشياً مع رؤية الإمارات ٢٠٢١، الرامية إلى تعزيز مفهوم الاقتصاد القائم على المعرفة ودمج التقنيات المتطورة بالعملية التعليمية.

يعمل البرنامج مع وزارة التربية والتعليم، وهيئة تنظيم الاتصالات (TRA)، ومكتب رئاسة مجلس الوزراء، ويتم تمويله من قبل صندوق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التابع لهيئة تنظيم الاتصالات، الذي سيوفر الدعم اللازم للبرنامج خلال السنوات الخمس الأولى من انطلاقته، ليغطي بذلك المراحل التمهيديّة كافة لنشر البرنامج في جميع المدارس الإتحادية، ويهدف البرنامج إلى الإرتقاء

(١) <https://arabic.euronews.com/2020/03/24/school-in-corona-virus-time-tv-or-websites-and-applications-when-the-internet-is-available>

(٢) <https://www.chof360.com/tech>

(٣) <https://www.independentarabia.com/node/105566>

(٤) للمزيد ينظر كلاً من: <https://technologyreview.ae> وكذلك: <https://u.ae/ar-ae/information-and-services/education/elearning-mllearning-and-distant-learning> وكذلك: <https://www.albayan.ae/across-the-uae/education/2020-03-16-1.3804819>

بالنظام التعليمي في الدولة، عبر تطبيق أفضل وسائل التعليم المتبعة عالمياً، وتجهيز الفصول الدراسية بالتقنيات المتطورة، بشكل يتيح للطلاب إمكانية التعلم في بيئة تفاعلية وتشاركية^(١).

ثانياً: مدرسة (منصة إلكترونية تعليمية): في شهر أكتوبر/تشرين الأول من عام ٢٠١٨، أطلقت دولة الإمارات مشروع "مدرسة" وهي منصة تعليمية إلكترونية باللغة العربية، وتوفر هذه المنصة ٥٠٠٠ درس تعليمي بالفيديو في الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والأحياء، وغيرها للفصول كافة من الأول وحتى الثاني عشر، ومتاحة مجاناً لأكثر من ٥٠ مليون طالب عربي أينما كانوا، ويمكن استخدام منصة مدرسة من خلال أجهزة الحاسوب، والأجهزة الإلكترونية الأخرى، وعبر التطبيق الإلكتروني المتوفر عبر منصة iTunes

وتشمل منصة مدرسة مسابقة ١٠٠٠×١٠٠٠، وهي مسابقة يومية تشمل ألف سؤال في ألف يوم، وموجهة للطلاب في العالم العربي. ويحصل الفائز صاحب الإجابة الصحيحة على ألف دولار أمريكي عن كل سؤال، وتبلغ قيمة المسابقة على مدى ألف يوم، مليون دولار أمريكي.

وتعد منصة مدرسة ثمرة لمشروع تحدي الترجمة التي أطلقتها مؤسسة (محمد بن راشد آل مكتوم) العالمية عام ٢٠١٧، والتي ترمي إلى تغيير واقع التعليم في الوطن العربي، وردم الفجوة التعليمية بين العالم العربي ودول العالم المتقدم. من الأهداف الأخرى لإطلاق "منصة مدرسة":

١- توفير تعليم نوعي، يستند إلى أحدث المناهج العالمية في العلوم والرياضيات، وإتاحته مجاناً لملايين الطلبة العرب، وفتح آفاق معرفية جديدة أمامهم.

٢- ترسيخ أسس التعلم الذاتي والمنهجي من دون أن يتناقض ذلك مع دور المؤسسة التعليمية التقليدية.

٣- التصدي لمشكلة عزوف الطلبة العرب عن دراسة التخصصات العلمية من خلال توفير محتوى تعليمي جذاب في مواد العلوم والرياضيات، من مراحل التأسيس الأولى وحتى مرحلة ما قبل التعليم الجامعي.

٤- المساهمة في إعداد جيل جديد من الباحثين، والعلماء، والمبتكرين العرب للتصدي لأبرز معوقات التنمية

٥- المساهمة في خلق كفاءات عربية شابة مؤهلة علمياً، وتممّكينة من التكنولوجيا الحديثة، وقادرة على بناء مجتمعات قائمة على اقتصاد المعرفة.

ثالثاً: منصة دروسي: أطلقت وزارة التربية والتعليم بالتعاون مع اتصالات وجوجل نظام التعليم الإلكتروني عبر الإنترنت، وذلك عبر تطبيق «دروسي» عبر اليوتيوب الذي يستهدف طلبة الحادي عشر، والثاني عشر، في القسمين العلمي والأدبي في مختلف أنواع التعليم الحكومي والخاص والمنازل وتعليم الكبار في الدولة، ويتمثل المشروع في ٦٠٠ درس مصوّر عن طريق الفيديو، نصفها للصف الحادي عشر، والنصف الآخر للصف الثاني عشر، ومدة كل منها حوالي ٢٥ دقيقة^(٢).

وترتبط تلك الفيديوهات بوحدة معينة من ١٠ مواد تدريسية تشمل اللغتين العربية والإنجليزية، والتربية الإسلامية، والتاريخ، والأحياء، والكيمياء، والجغرافيا، والفيزياء، والرياضيات، والجيولوجيا، ويشارك فيها ٤٥ من أفضل الأساتذة على مستوى الدولة، ويأشرف مباشرة من ٢٠ موجهاً للمواد التدريسية المذكورة. فضلاً عن تعزيز التعليم الذكي في الدولة، يهدف البرنامج أيضاً إلى مساعدة أسر الطلبة في الحد من التكاليف العالية للدروس الخصوصية.

^(١) <https://u.ae/ar-ae/information-and-services/education/elearning-mlearning-and-distant-learning>

^(٢) <https://u.ae/ar-ae/information-and-services/education/elearning-mlearning-and-distant-learning>

رابعاً: برنامج الديوان: أطلقت وزارة التربية والتعليم برنامج الديوان، والذي يتيح للمعلمين والطلاب في المدارس الحكومية عرض المناهج التعليمية إلكترونياً على أجهزة الحاسب الخاصة بهم، والتفاعل معها بطريقة سلسة، كما يتيح لهم تحميل نسخ إلكترونية من مختلف الكتب المتاحة لجميع المواد الدراسية، والوصول إليها في أي وقت ومن أي مكان. اطلع على تفاصيل تحميل البرنامج.

خامساً: التعليم الإلكتروني: توفر وزارة التربية والتعليم خيارات الدراسة في الخارج بأسلوب التعليم الإلكتروني، ويشترط لهذه الخدمة الحصول أولاً على موافقة الوزارة قبل الالتحاق بالدراسة، وذلك عن طريق طلب الإفادة عن مؤسسة تعليمية / برنامج دراسي، وساهمت جامعة حمدان بن محمد الذكية بتعزيز مبادرات التعليم الإلكتروني، من خلال طرحها لمقررات دراسية معتمدة لكل من درجتي البكالوريوس والماجستير.

فضلاً عن ذلك، تقدم كلية محمد بن راشد للإدارة الحكومية درجة الماجستير في الإدارة العامة، والتي تؤهل الطلبة على للحصول على مراكز رفيعة المستوى لدى الجهات الحكومية^(١).

الجدول رقم (٢) يبين عدد الطلبة المتأثرين بتعليق الدراسة في الإمارات وبعض الدول العربية:

الدولة	من مرحلة التعليم ما قبل الابتدائي حتى المرحلة العليا من التعليم الثانوي	عدد الطلبة الملتحقين ببرامج التعليم العالي
الإمارات العربية المتحدة	١,١٧٠,٥٦٥	١٩١,٧٩٤
الكويت	٦٣٢,٩٨٨	١١٦,٣٣٦
السعودية	٦,٧٨٩,٧٧٣	١,٦٢٠,٤٩١
الجزائر	٩,٤٩٢,٥٤٢	٧٤٣,٦٤٠
لبنان	١,١٣٢,١٧٨	٢٣١,٢١٥
قطر	٣٠٩,٨٥٦	٣٣,٦٦٨
البحرين	٢٤٧,٤٨٩	٤٤,٩٤٠
العراق	٧,٠١٠,٧٨٨	٤٢٤,٩٠٨
المجموع	٢٦,٧٨٦,١٧٩	٣,٤٠٦,٩٩٢

المصدر: <https://technologyreview.ae/>

خلاصة القول تعد التجربة في دولة الإمارات من التجارب الأكثر نجاحاً من بين الدول العربية في هذا المجال، وذلك يعود إلى أنها تبنت هذا الخيار قبل ما يقارب من عقد من الزمان، وعلى ذلك تم تقويم تلك التجربة كي تواكب المرحلة الراهنة.

الخاتمة: وجدت معظم الدول العربية نفسها - نماذج الدراسة الثلاث على وجه الخصوص - إثر إغلاق المدارس والجامعات بسبب فيروس كورونا، مضطرة لنشر التعليم عن بعد، لكن العملية لا تتأجج العراقل وحسب، بل عزت أيضاً عيوب الأنظمة التعليمية لمعظم تلك الدول، لاسيما تلك التي لم تتمكن أصلاً من مواكبة معايير الجودة العالمية في النموذج التقليدي القائم على الدراسة داخل الفصول، لذا يقع على عاتق القائمين على إدارة العملية التعليمية تقييم وتشخيص الخلل في هذا الإطار، ومن ثم العمل على معالجة هذا الخلل وصولاً إلى تصحيح مسار تلك العملية إلكترونياً وتقليدياً، ومن ثم سيؤسس هذا الأمر للاستمرار في تبني خيار التعليم الإلكتروني حتى مع زوال الوباء وعودة الحياة الطبيعية، وصولاً إلى استئناف الدوام للمدارس والكليات، لكي يكون بمثابة رديف ومكمل للتعليم التقليدي.

(١) المصدر نفسه.

المراجع:مراجع اللغة العربية:- الكتب:

١. إيمان محمد الغراب: التعليم الإلكتروني مدخل الى التدريس غير التقليدي، القاهرة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، ٢٠٠٣.
٢. بول كيندي: نشوء وسقوط القوى الكبرى، ترجمة: مالك البديري، ط٣، الاهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٧.
٣. خضير مصباح الطيطي: التعليم الإلكتروني من منظور تجاري وفني واداري ، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨.
٤. زهراء إسماعيل: تكنولوجيا المعلومات وتحديث التعليم، القاهرة، عالم الكتب للطباعة والنشر، ٢٠٠١.
٥. عبد الرحمن ضميري: جودة التعليم الإلكتروني الجامعي ، سوريا، شعاع للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.
٦. غراهام أسون: حتمية الحرب بين القوة الصاعدة والقوة المهيمنة، ترجمة: إسماعيل بهاء الدين سليمان، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٨.

- المقالات:

١. أسماء حسين ملكاوي: كورونا وعلم الاجتماع: أسئلة جديدة، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، قطر، ٢٠٢٠.
٢. جان سيريل فضل الله، واقع وفاق التعليم عن بعد واثره في التعليم في العراق، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية ، العدد ٢٣ ، كانون الثاني ٢٠١٠.
٣. عائشة العيدي، د. محمد بوفاتح: خلفيات التعليم الإلكتروني في التعليم العالي (جامعة الاغوط اموذجاً) ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد ٣٣ ، مارس ٢٠١٨.
٤. فادي اسماعيل : البنية التحتية لاستخدام تكنولوجيا المعلومات و الاتصالات في التعليم، و التعليم عن بعد، دمشق ، ١٥-١٧ يوليو ٢٠٠٣.
٥. لاهاي عبد الحسين: سجن الحماية: جائحة كورونا مقارنة اجتماعية، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، قطر، ٢٠٢٠.
٦. مصطفى بخوش، انعكاسات ازمة كورونا الحديثة في العلوم السياسية، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، قطر، ٢٠٢٠.
٧. مصطفى عمر النير: أسئلة بحثية تطرحها جائحة كورونا على علماء الاجتماع، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، قطر، ٢٠٢٠.
٨. منتدى الفكر العربي، العدد ١٤٧، تشرين الثاني ٩٧.

- المواقع الإلكترونية:

1. <https://technologyreview.a>
2. <http://moheer.gov.iq/ar/>
3. <http://moheer.gov.iq/ar/>
4. <https://annabaa.org/arabic/education/22450>
<https://www.scientificamerican.com/arabic/articles/news/distance-learning-versus-covid19/>

5. <https://arabic.euronews.com/2020/03/24/school-in-corona-virus-time-tv-or-websites-and-applications-when-the-internet-is-available>
6. <https://openupresources.org>
7. <https://u.ae/ar-ae/information-and-services/education/elearning-mlearning-and-distant-learning>
8. <https://www.albayan.ae/across-the-uae/education/2020-03-16-1.3804819>
9. <https://www.alittihad.ae/wejhatarticle/105945/>
10. <https://www.alyaoum24.com/1304930.html>
11. <https://www.chof360.com/tech>
12. <https://www.independentarabia.com/node/105566/>
13. <https://www.mc-doualiya.com/articles/>
14. <https://www.new-educ.com>
15. <https://www.shafaaq.com/ar/>
16. <https://www.france24.com/ar/20200426->

مراجع اللغة الإنكليزية:

– المقالات:

Jacquea Attali : The crash of Western civilization: The Limits of Market and Democracy , foreign policy< N0107, Summer 97, pp 54-64

مستقبل تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في ضوء مستجدات كوفيد ١٩

عبد الإله لخزاز

The Future Of Teaching Arabic As A Foreign Language After Covid- 19

Lakhzaz Abdelilah

جامعة محمد الخامس، كلية علوم التربية، الرباط.

lakhzaz.abdelilah1992@gmail.com

الملخص

عرف العالم، بعد انتشار كوفيد-١٩، مجموعة من التغييرات التي أثرت على تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها حضوريا. خصوصا وأن المتعلمين القادمين من الدول الأوروبية والأمريكية والأسوية إلى البلدان العربية، لتعلم اللغة، تم إجلاؤهم إلى مواطنهم الأصلية. وقد خلف هذا الوضع توقف العديد من برامج تعليم اللغة العربية في العديد من المعاهد والمراكز والجامعات، العالمية بصفة عامة والعربية بصفة خاصة. وقد كان لزاما على كل المراكز والمعاهد والجامعات التي لم تنه برامج تعليم اللغة العربية التي بدأتها حضوريا أن تسترسل في إتمامها عن بعد (Online)، باستعمال تطبيقات ومنصات ومواقع إلكترونية مختلفة، منها ما هو خاص ومنها ما هو حكومي. لكن الواقع الذي باتت فيه أغلب المراكز والمعاهد التي تعتمد التعليم الحضوري فقط، هي افتقارها للتجربة في مجال التعليم عن بعد. وأن أغلب مدرسيها ليس لديهم تكوين في مجال التعليم الإلكتروني من ذي قبل، كما لا تتوفر على الوسائل الإلكترونية المناسبة. الشيء الذي وضعهم أمام تجربة جديد، تختلف فيها آليات التفاعل اللغوي ووسائل وطرائق التدريس واستراتيجيات التعلم وغيرها من الجوانب البيداغوجية التي اعتادوها في التدريس الحضوري. وأمام هذه الإشكاليات، يبقى السؤال الذي يقتضي منا المعالجة هو ما مستقبل تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها عن بعد، ما بعد كوفيد-١٩؟ وبناء على معالجتنا لإشكالية البحث، وجدنا أن مستقبل تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بعد كوفيد-١٩ لن يبق سجين التعليم الحضوري وإنما ستنبئ أغلب الهيئات المصدرة للمتعلمين إلى البلدان العربية آلية التعلم عن بعد، بشكل كبير، خصوصا في المراحل المتوسطة والمتقدمة وستتقلص أغلب البرامج الموجهة للمؤسسات.

الكلمات المفتاحية: مستقبل - اللغة العربية لغة ثانية- كوفيد-١٩

Virus Covid-19 led to the closure of institutions in most countries of the world, especially Arab countries. This has resulted in incomplete programs for teaching Arabic to non-native speakers. In order to complete the programs, these institutes have created online classes. But the problem is that these institutes have no experience in the field of online teaching. Also, teachers have no training in e-teaching, and institutions do not have good techniques to activate online teaching. But she got into the experiment. We have concluded through research that the future of Arabic language teaching for non-native speakers will be based on online teaching. In contrast, programs will shrink

Key word :Future - Arabic is a foreign language - Covid-19

مقدمة

عرف العالم، بعد انتشار فيروس كوفيد ١٩ المستجد، مجموعة من التغييرات التي أثرت على تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها حضوريا. خصوصا وأن المتعلمين القادمين من الدول الأجنبية إلى البلاد العربية، لتعلم اللغة، تم إجلاؤهم إلى مواطنهم الأصلية. وقد خلف هذا الوضع توقف العديد من برامج تعليم اللغة العربية، في العديد من المعاهد والمراكز والجامعات العالمية. وقد كان لزاما على كل المؤسسات، التي لم تنه برامج تعليم اللغة العربية، التي بدأتها حضوريا، أن تسترسل في إتمامها، بصيغة تتوافق مع المستجدات التي خلفها الفايروس. وهكذا، تم اللجوء إلى التعليم عن بعد (Online)، من خلال استعمال تطبيقات ومنصات ومواقع إلكترونية مختلفة، منها ما هو خاص ومنها ما هو حكومي.

ومن المؤكد أن عملية تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها عن بعد، كانت منتشرة بشكل لا بأس به قبل الحالة الوبائية المستحدثة، إذ تقوم مجموعة من المواقع الإلكترونية والشركات والمؤسسات، بتنظيم برامج تعليم اللغة العربية عن بعد، بشكل يمكن المتعلمين من تتبع الدروس والتفاعل مع المدرسين. وكان لزاما على هذه تلك المؤسسات أن تتوفر على مدرسين معتمدين لهذا النوع من التعليم. لكن أغلب المراكز والمعاهد التي تعتمد التعليم الحضوري، تفتقر إلى هذه الآلية. وأن أغلب مدرسيها ليس لديهم تكوين في مجال التعليم الإلكتروني من ذي قبل. الشيء الذي وضعهم أمام تجربة جديد، تختلف فيها آليات التفاعل اللغوي ووسائل وطرائق التدريس واستراتيجيات التعلم وغيرها من الجوانب البيداغوجية التي اعتادوها في التدريس التقليدي الحضوري. وأمام هذه الإشكاليات، يبقى السؤال الذي يقتضي منا المعالجة هو إلى أي حد يمكن للتعليم عن بعد أن يساهم في تحقيق أهداف التعلم، في ظل تفشي كوفيد ١٩؟

وقد جاء المقال منظما على الشكل الآتي: حاولنا في المحور الأول أن نبين واقع تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها عن بعد، قبل جائحة كوفيد ١٩، حيث فصلنا في أهم التحديات والإشكالات التي كان يعانيها هذا النوع من التعليم، سواء من حيث البنى التحتية للشابكة أم من حيث التدريب الكافي للمدرس أو من حيث إعداد المواد والمستندات... إلخ. وقد خصصنا المحور الثاني، لبيان أهمية اعتماد المرونة في التعليم عن بعد، لتحقيق أهداف التعلم. أما المحور الثالث، فقد حددنا فيه مواصفات ومعايير التفاعل اللغوي التواصلية لمتعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها، حسب مقياس الإطار المرجعي الأوروبي المشترك للغات. ولم نقف عند هذا الحد، بقدرما قمنا في المحور الرابع بعرض تجربتين دوليتين ناجحتين، حققا أهداف التعلم من خلال اعتماد التعلم عن بعد، هما الصين وجورجيا. لنختم بحثنا بمحور خامس، قدمنا فيه تصورنا لمستقبل تعليم اللغة العربية عن بعد، في ضوء المستجدات التي ستترتب عن انتشار كوفيد ١٩.

1. واقع تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها عن بعد، قبل كوفيد ١٩

من الواضح أن عملية تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، عن بعد (online)، ليست عملية جديدة فرضتها جائحة كوفيد ١٩، وإنما هي عملية منتشرة في جميع بقاع العالم، قبل الجائحة بكثير. حيث يتعلم الطلاب اللغة العربية والدين الإسلامي، عبر الشبابة. وعلى الرغم من ذلك، لم يكن التعليم الإلكتروني للغة العربية منتشرًا بالكيفية التي انتشر بها التعليم الإلكتروني للغة الإنجليزية أو غيرها من اللغات العالمية. كما أن هذا النوع من التعليم، اقتصر، فقط، على بعض الشركات والمعاهد أو المواقع الإلكترونية، في حين نجد أن أغلب الجامعات والمراكز التي تدرس اللغة العربية للناطقين بغيرها، لا تفعل هذا النوع من التعليم. وقد بينت دراسة زكي (٢٠١٣)، أنه يوجد ضعف كبير في مجال تعليم اللغة العربية عن بعد، وذلك راجع لعدة تحديات، منها ماهو بشري، حيث تفتقد أغلب المعاهد والمدارس والجامعات إلى مدرسين لهم تكوين في مجال التعليم الإلكتروني، ومنها ما هو تكنولوجي، يتمثل في الافتقار إلى أبسط الوسائل التكنولوجية الضرورية. ومما لا شك فيه، أن عملية التعليم عن بعد، تقتضي أن يكون المدرس والمتعلم ملمين بالوسائل التكنولوجية الحديثة. كما يجب أن تكون مراكز ومعاهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها مجهزة بأحدث الوسائل التكنولوجية، مثل الكاميرات وأجهزة الصوت وصييب جيد من الشبابة...إلخ.

وقد استنتجت كل من بوسيف وروابح (٢٠١٨) من خلال دراسهما، تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في العصر الرقمي، أنه توجد جهود محمودة قد بذلت في هذا المجال، لكنها تبقى متخلفة في جانب الفهم العميق للأسس النظرية للسانيات التطبيقية والمعايير ومواصفات التعليم الإلكتروني التقنية والفنية والتعليمية. وهكذا، فإن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، لم يصل بعد إلى الفاعلية المرجوة منه، ولا يزال في أمس الحاجة إلى استراتيجية منهجية وإلى أسس ودعامات علمية موجهة (بوسيف وروابح، ٢٠١٨). والحقيقة، أن التعليم عن بعد ليس عملية عشوائية، كما يتخلل لكثير من الناس، وإنما هو عملية واعية، تتم وفق برامج مسطرة، وينتهج فيها المدرس استراتيجيات وطرائق معينة، تختلف عن تلك المستعملة في التعليم الحضوري. ولعل ما ساهم في إضعاف تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها عن بعد، هو التكلفة المرتفعة، إذ من الصعب أن يدرس مدرس واحد قسما مؤلفا من مجموعة غير متجانسة من الطلاب. وإنما في الغالب، يكون التعليم عن بعد، بشكل أفضل مع طالب أو طالبين. بالإضافة إلى أن الأخذ بفكر الإغماس اللغوي للمتعلمين في بيئة تتحدث العربية، قد شجع، بكثير، الطلبة على القدوم إلى البلدان العربية لتعلم اللغة ومحاطة أهلها. لكن الواقع والحال، أنه رغم قدوم الطلبة إلى البلدان العربية لممارسة اللغة أكثر مع أهلها، يجدون أنفسهم أمام عاميات عربية مختلفة، قد تكون متعددة في البلد الواحد. وهكذا، نجد أن فكرة الإغماس اللغوي، لا تعدى حجرة الدرس أو من خلال الزيارات والخرجات الميدانية، برفقة المرافقين اللغويين. وأظن، أن فكرة الإغماس اللغوي في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، يمكن أن تكون عن بعد، كذلك. عن طريق، خلق بيئة صفية إلكترونية، تفاعلية، إما التفاعل بين المدرس وباقي المتعلمين، أو تفاعل الطلاب مع البرمجيات الإلكترونية.

إن البيداغوجيات التي تنظم تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها عن بعد، ليست تلك التي تنظم العملية التعليمية الحضورية. وما نراه اليوم من تعليم عن بعد، خصوصا في ظل كوفيد ١٩، لا يتأسس على رؤية علمية، وإنما هي حركة ارتجالية، لإتمام البرامج التعليمية التي بدأت حضوريا. ونؤكد أنه لا يمكن لمدرس اللغة العربية للناطقين

بغيرها، أن يدرس المستويات المبتدئة، دون معرفته باللغة الأم للمتعلمين. وما يؤكد ذلك، أن من بين الشروط التي تضعها أغلب الجهات التي تود التعاقد مع مدرسي اللغة العربية والقرآن، هي أن يكون المدرس ملماً باللغة الأم للمتعلمين. كما أن هذا النوع من التدريس، يحتاج تصميم كتب وأنشطة وتمارين لغوية تواصلية إلكترونية، بشكل يمكن المدرس من مساعدة المتعلم على التعلم وفق نهج استراتيجيات خاصة. وتؤكد إرشادات أكتفل (٢٠١٧) أن تدريس اللغة عن بعد، لا يجب أن يكون ارتجالياً، وإنما يجب أن يكون حياً وتفاعلياً بين المدرس والمتعلمين. كما يجب على المدرس أن يكون مسؤولاً عن التخطيط المسبق للدروس، وتدريب التدريس بشكل جيد، باستعمال طرائق واستراتيجيات، تخدم المدخل التواصلية لتعليم اللغة، ثم تقييم أداء المتعلمين، سواء بشكل تكويني أو بشكل إجمالي، للتحقق من مدى تحقيق الأهداف (ACTFL، ٢٠١٧). وهكذا، فلا يعتقد أحد أن التعليم عن بعد يعني ترك المتعلمين مع برمجيات أعدت سلفاً، ثم تقييم مدى استفادتهم منها، بل التعليم عن بعد يحتاج نفس التفاعل الذي تخلقه البيئة الصفية. وتأتي الوسائل التكنولوجية والبرمجيات المعدة سلفاً، كوسائل مساعدة للتعلم عن بعد. والشابكة هي وسيلة للاتصال، بحيث يعيش المتعلم والمدرس التواصل اللغوي، بشكل متزامن أو يتابع المتعلم بعض الملفات الجاهزة، بشكل مستقل عن المدرس. ويمكن من خلال ذلك التدرب على المهارات اللغوية (الصرامي، ٢٠١٣، ص ٣٧). وهنا نفرق بين عمليتين في التعليم عن بعد، الأولى يكون فيها التفاعل مباشرة مع المتعلمين، بشكل يمكنهم من التفاعل فيما بينهم ومع المدرس، أما الثانية ففيها تفاعل المتعلم مع التسجيلات والمقاطع المصورة.

٢. التعلم عن بعد المرن، وسيلة للاستمرارية البيداغوجية في ظل كوفيد ١٩

ندرج التعلم عن بعد ضمن خانة ما يعرف بالتعلم المرن (flexible learning)، الذي ظهرت أهميته وقيمه الحقيقية في ظل انتشار كوفيد ١٩. وعادة ما يمكن التعلم المرن المتعلمين من التحكم في مسار تعلمهم، من خلال أنماط متعددة من التفاعلات. ويعرف كل من لي وماكلوين (Lee and McLoughlin (2010) التعلم المرن بأنه مجموعة من المقاربات والأنظمة التربوية، التي تهتم بمنح المتعلمين خيارات تعليمية متعددة، تتناسب مع ميلولاتهم واحتياجاتهم الشخصية. وتشمل الخيارات التي يمنحها التعلم المرن المكان والزمان وكيفية إجراء التعلم، ذلك باستعمال العديد من التقنيات لدعم عملية التدريس والتعلم معاً (Lee and McLoughlin، ٢٠١٠، ص ٢٨). والواقع، أن طبيعة الفصول التي يدرس فيها متعلموا اللغة العربية الناطقون بغيرها، حضورياً، غير متجانسة، فيما يتعلق بجنسات المتعلمين وأعمارهم وظروفهم الخاصة. وهذا يفرض على المؤسسات التي انخرطت في مسار إتمام عملية التعليم عن بعد، أن توفر لهم تعليماً مرناً يتكيف مع ظروفهم وحاجياتهم. وهكذا نجد أن مفهوم التعلم المرن الذي تبنته الصين لتحقيق الاستمرارية البيداغوجية، جعل المتعلم في قلب العملية التعليمية التعليمية، من خلال توفير الأبعاد الرئيسية للدراسة، مثل زمان ومكان التعلم والموارد التعليمية والمناهج والأنشطة وخطط الدعم (Huang, et al، ٢٠٢٠، ص ٢). ويرى هيل (Hill (٢٠٠٦) أن هناك عبارتان تصفان المقصود بالمرن في التعليم عن بعد. الأولى هي المرنة في الوصول (Flexible delivery)، وترتكز على المرنة في الخيارات المرتبطة بكيفية وصول المتعلمين إلى التعلم عن بعد، وبهذا، نطرح أسئلة من قبيل، ماذا يتعلم المتعلمون؟ وأين يتعلمون؟ ومتى يتعلمون؟ وهكذا نجد أن

المرونة في الوصول إلى التعلم تعني في مقام أول، تحديد المحتوى الذي يتعلمه المتعلمون وتوفير سبل الوصول إلى ذلك المحتوى. أما العبارة الثانية فهي التعلم المرن (flexible learning)، الذي يركز على الخيارات المرتبطة بكيفية حدوث التعلم. وهنا يهتم التعلم المرن، في المقام الأول، بتسهيل عملية التعلم، من خلال توفير الخصائص الشخصية للمتعلمين وأساليب التعلم ومراعاة ظروفهم الشخصية (Hill، ٢٠٠٦، ص ١٨٩). وهكذا، نجد أنه لا يمكن تحقيق التعلم عن بعد، دون النظر إلى مجموعة من الخصائص التي تؤثر العملية ككل. منها ما هو مرتبط بإجراءات ربط التواصل بين مصادر التعلم والمتعلم ومنها ما هو مرتبط بالمادة وكيفية التفاعل معها والظروف الخاصة بالمتعلم، خصوصا في ظل كوفيد ١٩. وعادة ما يتميز التعلم عن بعد، المرن، بعدة خصائص ومميزات، ذكر منها هوانج وآخرون (٢٠٢٠) التالي:

- يقدم خيارات متعددة للمتعلمين وأبعاد متعددة للدراسة.
- إنه يعمل وفق مبادئ النظرية البنائية التي تجعل المتعلم في قلب العملية التعليمية التعلمية وتحمله مسؤولية التعلم.
- يتطلب التعلم الذاتي أن يكون المتعلمون أكثر مهارة في التنظيم الذاتي من حيث تحديد الأهداف والمراقبة الذاتية.
- يفرض على المدرس أن يعمل وفق استراتيجيات التعلم النشط، التي تجعل من التعلم عملية جذابة وفعالة.

١,٢. أبعاد التعلم عن بعد، المرن

يمكن تحديد أبعاد التعلم عن بعد، المرن، المرتبطة بعملية التعليم والتعلم في ثمانية أبعاد، كما هي واردة في هوانج وآخرون (٢٠٢٠). وهي على الشكل التالي:

- **زمن ومكان التعلم:** ويرتبط هذا البعد بالنظر إلى زمان ومكان حدوث فعل التعلم عن بعد. ومن المؤكد أن زمن التعلم عن بعد يعني بداية ونهاية الزمن المحدد للدرس. وكما نعلم أن متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، ينتمون إلى مجتمعات مختلفة من حيث الزمن. لذلك، يقتضي التعلم عن بعد أن يكون مرنا في زمن الدروس، بحيث يتطابق أكثر مع ظروف المتعلمين وحاجياتهم. ويرى كوليس وآخرون (١٩٩٧) أن التعليم المرن يمكن المتعلمين من تحديد الوقت الذي يرغبون فيه بالتفاعل مع الآخرين، والوقت الذي يريدون فيه الدراسة بمفردهم. كما يمكن للمتعلمين متابعة الدروس عن بعد من أي مكان وفي أي وقت، باستخدام أجهزة إلكترونية محمولة (Collis et al، ١٩٩٧).
- **المحتوى وطريقة تنظيمه:** هذا البعد مرتبط بالطريقة التي سينظم بها المتعلمون محتوى تعلماتهم. ويسمح التعلم عن بعد، المرن، للمتعلمين تحديد الأقسام وتسلسل المحتوى، وفقا لرغباتهم ومسارات تعلمهم. وهنا يجب على المدرس أو المؤسسة التي يدرس فيها المتعلمون، أن تقدم لهم دورات تدريبية عن كيفية اختيار المحتويات وتنظيمها. حيث يتم اختيار المحتويات التي تناسب مع مستوياتهم المرجعية العامة، التي لا تخلق لهم أي تشويش لمسار تعلمهم، أو تلك التي لا تشكل لهم نفورا من التعلم. إذ من الممكن أن يصل المتعلمون إلى

محتويات غير جيدة، أو لا تتناسب مع مستوياتهم اللغوية، مما يضاعف سلبيات التعلم. وقد أوردت التجربة الصينية في ظل كوفيد ١٩، نموذجاً ناجحاً في تحقيق المرونة في التعلم عن بعد، وفق هذا المبدأ. حيث قدمت مدرسة غوانشو الإعدادية Guangzhou International Middle School دورة تدريبية دولية للاستفسار الذاتي، تبين للمتعلمين كيفية اختيار الموضوعات، بناء على اهتماماتهم وميولاتهم الشخصية. وبعد ذلك يمكنهم إنتاج أنماط إبداعية مختلفة بالكيفية التي يحبونها، في مواضيع تعالج مشكل انتشار كوفيد-١٩ في العالم (Huang, et al, ٢٠٢٠، ص ٣).

- **طريقة وصول المتعلمين إلى المحتويات:** يمكننا التعليم عن بعد، المرن من نقل المحتويات إلى المتعلمين بطرائق مختلفة، بشكل يمكنهم من الوصول إليها من المكان الذي يناسبهم. وذلك من خلال استعمال العديد من التطبيقات والمواقع الإلكترونية. لكن التحدي الذي يواجه متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها هو ضعف تأليف البرامج والمواقع الإلكترونية التي تبث محتويات جيدة للمتعلمين.
- **استراتيجيات تنظيم أنشطة التعلم:** يمنح التعليم عن بعد، المرن، للمتعلمين فرصة اختيار استراتيجيات تدبير الأنشطة التعليمية التعليمية، مثل المحاضرات المباشرة أو المحاضرة التفاعلية أو المناقشة أو التعلم التعاوني أو التعلم بالمهام أو التفاعل بين المجموعات...إلخ. وأفترض أن أغلب المؤسسات التي عملت على تفعيل التعلم عن بعد في فترة كوفيد ١٩ لإتمام البرامج الأولية، استعملت استراتيجيات التدريس المباشر، نظراً لعدم كفاءة طرقي التعلم في استعمال المنصات أو البرامج الإلكترونية. اللهم إذا استثنينا بعض المعاهد والمؤسسات التي استطاعت بفضل خبرتها أن تتجاوز المشاكل التقنية واستعملت الاستراتيجيات التي يفضلها المتعلم في تدريس مكونات ومهارات اللغة العربية.
- **مصادر التعلم التي يجب توفيرها للمتعلمين:** بالنسبة للموارد التي يجب أن توفرها المؤسسات التعليمية للمتعلمين، يقوم بإعدادها المدرس في أغلب الحالات. ويجب أن تكون مختلفة وجذابة، مثل المقاطع والمستندات والألعاب وغيرها. ويمكن للمدرس أن يرشد المتعلمين للولوج إلى العديد من الموارد الرقمية، ذات الجودة العالية. ونعيد التأكيد على أن مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها يعرف شحاً في الموارد الرقمية المفتوحة التي يمكن للمتعلمين الولوج إليها بمرونة من بقاع العالم.
- **الوسائل التكنولوجية المفيدة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها:** يتم استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة في خلق التفاعل بين المدرس والمتعلمين وبين المتعلمين فيما بينهم وبين المحتويات. وقد لعبت الهواتف الذكية واللوحات الإلكترونية دوراً فعالاً في تمكين المتعلمين عبر العالم من تتبع الدراسة عن بعد في ظل انغلاق المدارس بسبب كوفيد ١٩. ويمكن التعلم المرن من سهولة استعمال المتعلمين لمجموعة من التطبيقات الإلكترونية التي تتيح فرصة التفاعل الفردي أو الجماعي، كما تتيح فرصة مشاركة المقاطع والمستندات وغيرها من المحتويات المفيدة، نذكر منها: WhatsApp, Zoom, Classroom and Microsoft Teams...إلخ.

كما لعبت المواقع والمنصات المتخصصة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها دورا هاما في تحقيق المرونة في التعلم عن بعد.

- **طريقة ومرحلة التقييم عن بعد:** يتيح لنا التعلم عن بعد المرن، قياس وتقويم جود التعلم وكذا فعالية التطبيقات والمنصات والمواقع والأجهزة الإلكترونية المستعملة والبرامج التعليمية التعليمية. ومن المؤكد أن هناك مجموعة من الاختبارات الإلكترونية التي يمكن للمدرس اعتمادها في تقييم وقياس مدى تمكن المتعلمين من أهداف الدرس، ومدى تطور كفاءتهم اللغوية العامة. كما يمكن أن يكون القياس والتقييم آنيا، حيث يعمل المدرس على التفاعل مع المتعلمين شفهيًا، من خلال اعتماد شبكات التقييم وغيرها من الأدوات، أو يمكن أن يكون من خلال المهام والأنشطة...إلخ.

- **أنواع الخدمات والدعم الذي يجب أن توفرها للمدرس والمتعلم:** يمكن التعلم المرن المتعلمين من أنواع مختلفة من الدعم، وذلك إما من خلال إجراء جلسات الدعم والتقوية بين المدرسين والمتعلمين المتعثرين أو من خلال تقديم المدرس مجموعة من الإرشادات للمتعلمين. ويراعى في عملية الدعم، النظر إلى خصوصية تعلم المتعلمين، والعمل على انتقاء البرامج التعليمية التي تناسبه وتحقيق الهدف بشكل أفضل. كما يمكن لأنظمة التعلم الذكية أن تقدم دعما آنيا للمتعلمين، يتوافق مع خصوصياتهم وظروفهم الشخصية. وهذا متاح بشكل كبير بالنسبة لتعليم اللغات الأجنبية، أما فيما يخص تعليم اللغة العربية، فيكون الجهد مضاعفا في ظل شح مثل هذه المواقع الذكية التي تقدم للمتعلمين دعما شخصيا يفيدهم في بناء الكفاءة اللغوية. وهذا رهان يفرض على العاملين في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها أن يؤسسوا لتعليم إلكتروني مرن، يستفيد أكثر مما وصلت إليه التكنولوجيا العالمية من تطورات.

٣. معايير ومواصفات التفاعل اللغوي التواصلي عن بعد

لكل مجال دستوره التنظيمي الخاص، والدساتير التنظيمية الخاصة بتعليم اللغات الثانية والأجنبية، هي الأطر المرجعية العامة. وانبراء بالدور الأساسي التي تلعبه الأطر المرجعية في تقنين تعليم اللغات، انكب الخبراء والمختصون على صياغة أطر مرجعية خاصة بتدريس اللغات الثانية والأجنبية. ولعل أهمية هذه الأطر تظهر في تقديم اللغات الأساسية المشتركة لتأليف المناهج وإعداد البرامج التعليمية، وتقديم سلمية دقيقة لوصف مستويات المتعلمين وما يتناسب مع حاجياتهم. فضلا عن تقديم صورة واضحة عما يجب أن يتعلمه متعلم اللغة، وما يجب أن ينمي من مهارات وقدرات ومعارف لاكتساب الكفاية التواصلية.

وقد حدد واضعوا الإطار الأوروبي المشترك للغات معايير ومواصفات التفاعل اللغوي للمتعلمين عبر الشبكة، واعتبروا أن هذا النوع من التواصل يمكن أن يشبه إلى حد كبير التواصل وجها لوجه، إلا أنه توجد مجموعة من المتغيرات التي تتشكل أثناء التوصل عبر الشبكة، قد لا نجدتها في التواصل التقليدي. على سبيل المثال، توجد العديد من المصادر والموارد المتاحة التي من الممكن مشاركتها بشكل تزامني، أثناء التواصل. أضف إلى ذلك أنه يمكن أن يتولد سوء فهم لا يتم رصده وتصحيحه في الآن ذاته (CEFR، ٢٠١٨، ص ٩٦). وهكذا، حدد واضعوا الإطار

مجموعة من العناصر التي يجب أخذها بعين الاعتبار لإنجاح التواصل عن بعد من خلال الشبكة، يمكن تحديدها في النقاط التالية:

- المتكلم دائما في حاجة إلى الإطناب في الرسائل التي يبثها
- التحقق من أن المخاطب قد فهم القصد من الرسالة
- يجب أن تكون للمتكلم القدرة على إعادة الصياغة والتبسيط، بمساعدة المخاطب على الفهم
- قدرة المتكلم على تدبير سوء فهم المخاطب للرسالة
- القدرة على التعامل مع ردود الفعل العاطفي

إن ما يركز عليه الإطار الأوروبي لتحديد معايير ومواصفات التواصل عن بعد، هو وصف طريقة المتعلمين في التواصل عبر الشبكة، هل يتم بشكل تفاعلي مباشر أم يتم بشكل غير مباشر، من خلال التفاعل مع الوسائط السمعية البصرية؟ كما يهتم بوصف المواضيع التي يستطيع المتعلم مناقشتها في كل مستوى مرجعي وطريقة التفاعل في النقاش... إلخ. ولا يقتصر الإطار الأوروبي على وصف تلك القدرات في التفاعل اللغوي الشفهي فقط وإنما يشمل المهارات اللغوية الأربعة. ولزيد من التوضيح، نأخذ الجدول في (١)، الذي يشكل مقياسا متدرجا لوصف التفاعل والنقاش اللغويان عن بعد.

(١)

المستويات	التفاعل والنقاش عن بعد
المتقدم الثاني	<ul style="list-style-type: none"> - يمكنه التعبير عن نفسه بوضوح ودقة في المناقشة عبر الإنترنت بشكل تزامني، وتعديل اللغة بمرونة وحساسية وفقاً للسياق، بما في ذلك الاستخدام العاطفي والتمييزي والفكاهي. - يمكنه توقع سوء الفهم المحتمل والتعامل معه بشكل فعال (بما في ذلك المشكلات الثقافية) وقضايا الاتصال وردود الفعل العاطفية التي تحدث في مناقشة عبر الشبكة. - يمكن بسهولة وسرعة تكييف سجله وأسلوبه ليتناسب مع البيئات المختلفة عبر الشبكة وأغراض الاتصال وأفعال الكلام.
المتقدم الأول	<ul style="list-style-type: none"> - يمكنه الانخراط في النقاش عبر الشبكة في الوقت الحقيقي مع العديد من المشاركين، وفهم المقصدية التواصلية والآثار الثقافية لمختلف المساهمات. - يمكنه أن يشارك، بشكل فعال، في المناقشة المهنية أو الأكاديمية عبر الشبكة مباشرة. وأن يطلب المزيد من التوضيح للقضايا المعقدة والمجردة ومنحها مزيداً من التوضيح. - يمكنه تعديل سجله وفقاً لسياق التفاعل عبر الشبكة، والانتقال من سجل إلى آخر في نفس التبادل، إذا لزم الأمر. - يمكنه تقييم الحجج في الحالة المهنية للمحادثة والنقاش المباشر عبر الشبكة أو أكاديمياً.
	<ul style="list-style-type: none"> - يمكنه الانخراط في التبادلات عبر الإنترنت، وربط مساهماته / مساهماتها بالمساهمات السابقة في الموضوع، وفهم الآثار الثقافية والرد بشكل مناسب.

<p>- يمكنه المشاركة بنشاط في مناقشة عبر الشبابة، ويصرح ويستجيب للآراء حول الموضوعات ذات الأهمية، إلى حد ما، بشرط أن يتجنب المساهمون لغة غير معتادة أو معقدة ويتيحون الوقت للردود.</p> <p>- يمكنه الانخراط في التبادل عبر الشبابة بين العديد من المشاركين، وربط مساهماته / مساهماتها بفاعلية بالمساهمات السابقة في سلسلة الأحداث، شريطة أن يساعد المشرف في إدارة المناقشة.</p> <p>- يمكنه تحديد سوء الفهم والخلافات التي تنشأ في التفاعل عبر الشبابة ويمكن التعامل معها، شريطة أن يكون المحاور (الوسطاء) على استعداد للتعاون.</p>	المتوسط الثاني
<p>- يمكنه الانخراط في التبادل عبر الشبابة في الوقت الفعلي مع أكثر من مشارك واحد، مع الاعتراف بالمقصدية التواصلية لكل مساهم، ولكن قد لا يفهم التفاصيل أو الآثار دون مزيد من التوضيح.</p> <p>يمكنه نشر حسابات عبر الشبابة للأحداث والتجارب والأنشطة الاجتماعية التي تشير إلى الروابط والوسائط المدعومة ومشاركة المشاعر الشخصية.</p>	المتوسط الأول
<p>- يمكنه نشر مساهمة مفهومة في مناقشة عبر الشبابة، حول موضوع مألوف ذي أهمية، شريطة أن يتمكن من إعداد النص مسبقاً واستخدام الأدوات عبر الإنترنت لسد الفجوات في اللغة والتحقق من الدقة.</p> <p>- يمكنه أن ينشر منشورات شخصية عبر الشبابة، حول التجارب والمشاعر والأحداث والرد بشكل فردي على تعليقات الآخرين ببعض التفاصيل، على الرغم من أن القيود المعجمية تسبب أحياناً التكرار والصياغة غير اللاتقة.</p>	المتوسط الأول
<p>- يمكنه تقديم نفسه / إدارة التبادل البسيط عبر الشبابة، وطرح الأسئلة والإجابة عنها وتبادل الأفكار حول الموضوعات اليومية التي يمكن تخمينها، بشرط إتاحة وقت كافٍ لصياغة الردود، وأنه يتفاعل مع محاور واحد في كل مرة.</p> <p>- يمكن أن يقدم منشورات وصفية قصيرة عبر الشبابة حول الأمور اليومية والأنشطة الاجتماعية والمشاعر، مع تفاصيل رئيسية بسيطة.</p> <p>- يمكنه التعليق على منشورات الأشخاص الآخرين عبر الشبابة، شريطة أن تكون مكتوبة بلغة بسيطة، وتتفاعل مع الوسائط المضمنة من خلال التعبير عن مشاعر المفاجأة والاهتمام واللامبالاة بطريقة بسيطة.</p>	المتوسط الثاني
<p>- يمكنه الانخراط في التواصل الاجتماعي الأساسي عبر الشبابة (على سبيل المثال كتابة رسالة بسيطة على بطاقة افتراضية مناسبة خاصة، ومشاركة الأخبار واتخاذ / تأكيد الترتيبات للاجتماع).</p> <p>- يمكنه تقديم تعليقات إيجابية أو سلبية موجزة عبر الشبابة، حول الروابط والوسائط المضمنة باستخدام مجموعة من اللغات الأساسية، على الرغم من أنه سيتعين عليه عمومًا الرجوع إلى أداة الترجمة عبر الشبابة والموارد الأخرى.</p>	المتوسط الثاني
<p>- يمكنه كتابة رسائل بسيطة للغاية ومنشورات شخصية عبر الشبابة، كسلسلة من الجمل القصيرة للغاية حول الهوايات، الإعجابات / عدم الإعجاب... إلخ، بالاعتماد على أداة الترجمة.</p> <p>- يمكنه استخدام التعبيرات المعيارية ومجموعة من الكلمات البسيطة لنشر ردود فعل إيجابية وسلبية قصيرة على المنشورات البسيطة عبر الشبابة وروابطها ووسائطها المضمنة، ويمكنه الرد على مزيد من التعليقات بتعبيرات قياسية من الشكر والاعتذار.</p>	المتوسط الأول
<p>- يمكنه نشر تحيات بسيطة عبر الشبابة، باستخدام التعبيرات الأساسية والرموز.</p> <p>- يمكنه نشر بيانات بسيطة وقصيرة عنه، عبر الشبابة، (مثل حالة العلاقة الجنسية والمهنة)، شريطة أن يتمكن من تحديدها من القائمة و / أو الرجوع إلى أداة الترجمة عبر الإنترنت.</p>	قبل المبتدئ

المصدر: (CEFR، ٢٠١٨، ص ٩٧).

٤. تجارب دولية ناجحة في التعليم عن بعد أثناء كوفيد ١٩

من التحديات التي واجهت جميع الدول العالمية التي تفتش فيها كوفيد ١٩، هي مسألة الحفاظ على الاستمرارية البيداغوجية للتعلم. وقد عملت اليونيسكو على مساعدة البلدان المتضررة من الجائحة في خلق بيئة افتراضية تضمن استمرارية عملية التعلم. وقد صرح المدير العام لليونيسكو أودري أزولاي قائلاً: "إننا ندخل في منطقة مجهولة، ونعمل مع البلدان المتضررة لإيجاد حلول عالية التقنية ومنخفضة التكلفة، تضمن الاستمرارية البيداغوجية للتعليم" (Huang, et al, ٢٠٢٠). وهكذا فقد عملت جميع الدول على ضمان استمرارية التعليم عن بعد في فترة الحجر الصحي، الذي فرضته أغلب الحكومات العالمية، كاستراتيجية للحد من انتشار كوفيد ١٩. وقد برزت خلال مدة الحجر الصحي، تجارب عالمية ناجحة في التعليم عن بعد، حققت، تقريبا، نفس النتائج التي كان يحققها التعليم الحضوري. وهكذا، سنحاول في الفقرتين التاليتين أن نتحدث عن تجربتين ريفعتين في هذا المجال، تجربة الصين وتجربة جورجيا. واقتصرنا على هاتين التجربتين لا يعني، بحال من الأحوال، أن باقي التجارب الدولية فاشلة أو غير مناسبة، وإنما راجع إلى أن ما وجدناه متاحا، من مراجع، أثناء بحثنا عن التجارب الدولية في التعليم عن بعد، خلال تفشي فيروس كورونا، هو هاتين التجربتين. والأکید أن أكثر الدول المتقدمة، مثل الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وبريطانيا والدول الإسكندنافية وبعض الدول الآسيوية مثل اليابان وكوريا الجنوبية والصين... إلخ، لها خبرات جد متقدمة في التعليم عن بعد، قبل كوفيد ١٩، ستسخرها لتحقيق الاستمرارية البيداغوجية خلال تفشي هذا الوباء.

١،٤. التجربة الصينية

عقب انتشار كوفيد ١٩ من بؤرته العالمية، مدينة يوهان الصينية، عملت الدولة على إغلاق مختلف المؤسسات التعليمية، وفرضت الحجر الصحي على كافة الشعب الصيني، خصوصا المناطق التي كانت تشهد انتشارا للفيروس. وضمانا لاستمرارية التعلم، أطلقت وزارة التعليم الصينية مبادرة للتعليم عن بعد، أسمتها " فصول ممزقة وتعليم مستمر" إشارة منها إلى أنه رغم انقطاع التعلم الحضوري إلا أن عملية التعلم لاتزال مستمرة لأكثر من ٢٧٠ مليون طالب، يتابعون دراستهم من منازلهم (Huang, et al, ٢٠٢٠). وتضع الصين، بشراكة مع اليونيسكو وبعض المنظمات العالمية، تجربتها في التعليم عن بعد، قصد الاستفادة العامة ومن أجل تطوير سبل المرونة التعليمية ما بعد كوفيد-١٩. وهكذا، سنحاول، تحليل النموذج الصيني لتدبير التعليم عن بعد، للوقوف عند أهم الاستراتيجيات التي انتهجتها الصين لإنجاح هذه العملية.

لقد انبنت التجربة الصينية في التعليم عن بعد، إبان كوفيد ١٩ على ستة أبعاد أساسية. شمل البعد الأول البنيات الأساسية وارتكز البعد الثاني على أدوات التعلم التكنولوجية والبعد الثالث على مصادر التعلم، فيما ارتكز البعد الرابع على طرائق واستراتيجيات التعليم والتعلم وهم الخامس خدمات المدرسين والمتعلمين، في حين خص البعد الأخير النظر إلى التعاون بين الحكومة والشركات والمدارس. والحقيقة أن الصين تعد الرائدة عالميا في مجال التعليم عن بعد، قبل وأثناء كوفيد ١٩، إذ صرحت وزارة التربية والتعليم الصينية أنه توفر لديها سنة ٢٠١٨ ما يقارب ٥١٨،٨٠٠ مدرسة في جميع المستويات التعليمية، تضم حوالي ٢٧٦ مليون طالبا، يشرف على تربيتهم وتعليمهم حوالي

١٦،٧٢٨،٥٠٠ مدرسة ومدرس، يعملون بدوام كامل. وهكذا، تعد الصين أول دولة علمية تقدم تعليماً عن بعد للملايين الطلاب، خلال تفشي فيروس كوفيد ١٩ (Huang, et al, ٢٠٢٠، ص ١٤). ولعل ما ساعد الصين في تربع عرش الدول الأكثر نجاحاً في تحقيق الاستمرارية البيداغوجية، أثناء تفشي كوفيد ١٩، ليس احتواؤها على كم هائل من المدارس والمدرسين والطلاب، وإنما سياستها الممنهجة في تدبير الموارد الرقمية والبشرية، والتعاون المنظم بين الحكومة والمدارس وجمعيات المجتمع المدني. وذلك من خلال سبعة عناصر أساسية هي:

- توفرها على بنية تحتية قوية للاتصالات
 - توفرها على موارد رقمية تعليمية ذات جودة عالية
 - توفرها على وسائل ديداكتيكية ذات تصميم رائعة تناسب ميولات المتعلمين
 - نهجها طرائق تدريسية ذات فاعلية
 - التعاون مع المنظمات التعليمية
 - تقديم الدعم اللازم للمدرسين والمتعلمين
 - خلق تعاون بين الحكومة والشركات والمدارس، لتوفير الحاجيات الأساسية في إطار ما يعرف بتعاون (GES).
- والحقيقة أن كل هذه العناصر يمكن أن ننظمها في إطار ثلاثة أنواع من الخدمات المترابطة، تعمل على تسييرها الحكومة الصينية والمدرسة ثم جمعيات المجتمع المدني. ومن المؤكد أن تعامل هذه الأخيرة مع تلك العناصر يتم بشكل مختلف حسب الأولويات وحسب المجتمع والثقافة (Huang, et al, ٢٠٢٠، ص ١٤). وهكذا يمكننا القول، إن الصين الشعبية قد استطاعت تحقيق استمرارية بيداغوجيات لأبنائها المتعلمين، في ظل انتشار كوفيد ١٩، لا تختلف جودته عن التعليم الحضوري. وقد ساعدها في تحقيق ذلك التميز، التنسيق المحكم بين الحكومة، المتمثلة في الوزارات واللجان والكلية والمدارس، وجمعيات المجتمع المدني والشركات. وقد مكن هذا التنسيق المحكم من ضمان عناصر العملية التعليمية كافة التعلم وتوفير العدة البيداغوجية اللازمة لضمان التعلم عن بعد. كما عملت الحكومة على تنسيق البرامج الوطنية مع مؤسسات التعليم الإلكتروني، لتوفير الموارد والوسائل التعليمية، عبر قنوات متعددة، بشكل يمكن المتعلمين من استخدامها، بناء على احتياجاتهم الخاصة. ناهيك عن قيام الحكومة الصينية بالتعاون مع المدارس الحكومية والخاصة على كيفية استغلال الوسائط الرقمية التعليمية التعلمية واختيار مصادر التعلم المناسبة... إلخ. وبالفعل لم يكن العمل ناجحاً، إلا بالخرائط الخبراء والتقنيين والباحثين في مختلف المجالات والمستويات التعليمية، و تم تقديم مساعدة فورية للمدرسين والمتعلمين وأولياء الأمور، تمثلت في تدريبهم وتوجيههم إلى كيفية استخدام الوسائل التكنولوجية والمنصات الرقمية التي يمكن الاستفادة منها، للانخراط في عملية التعليم والتعلم عن بعد.

٢,٤. تجربة جورجيا

لم تكن جورجيا في معزل عن الدول التي أغلقت مدارسها بسبب تفشي فيروس كوفيد ١٩، المستجد. فبعد أن وصل عدد المصابين إلى ٢١١ حالة محلية وأكثر من ١,٥ مليون حالة علمية في حدود ٨ أبريل ٢٠٢٠، بادرت الحكومة إلى إغلاق جميع المدارس الحكومية والخاصة، على حد سواء. وتم إيقاف جميع الدروس الحضورية في جميع

المدارس والمعاهد والجامعات ابتداء من ٢ مارس (The government of Georgia، 2020). ولتحقيق الاستمرارية البيداغوجية و ضمان الحق الدستوري للمتعلمين في التعلم، اعتمدت الحكومة الجورجية التعليم عن بعد، عبر الشبكة، باستعمال مجموعة من البوابات الإلكترونية، مثل TV School و فرق Microsoft للمدارس العامة والبدائل، مثل Zoom و Slack و Google Meet ومنصة EduPage التي يمكن استخدامها للتعليم عبر الشبكة والاتصال المباشر.

وقد جاء في موقع جريدة (Geostat) أن وزارة التعليم الجورجية قد صرحت بأن عدد المتدربين المسجلين في المدارس الجورجية لسنة ٢٠٢٠، قد بلغ حوالي ٥٩٢٩٠٠ متعلما، يتابعون دراستهم في ٢٣١٣ مدرسة، منها ٢٠٨٦ مدرسة حكومية و ٢٢٧ مدرسة خاصة (Geostat، ٢٠٢٠). وأمام هذا الكم الكبير من المتدربين، يصبح التحول من التعليم التقليدي الحضوري إلى التعليم عن بعد، رهينا بتوفر البلاد على بنية تحتية قوية، من حيث الربط الشبكي للإنترنت وحياسة كل أطراف العملية التعليمية التعلمية على وسائل إلكترونية جيدة... إلخ. وبالعودة إلى البيانات التي أصدرها المكتب الوطني للإحصاء في جورجيا، تبين أن نسبة ٧٩,٣% من المنازل لها ربط بالشبكة. وأن نسبة 62% من مجموع السكان لديهم حاسوب واحد على الأقل في كل منزل (Geostat، ٢٠١٩). ورغم معرفتنا لهذه الأرقام التي تبين أن جورجيا لها من البنى التحتية ما يمكنها من تفعيل التعليم عن بعد، أثناء تفشي كوفيد ١٩، إلا أنها لم تصل إلى درجة تعميمه على كافة المتدربين، إذ نرى أن العالم القروي يعاني من ضعف البنية التحتية فيما يخص الربط الشبكي وتوفر السكان على الحواسيب.

وقد عملت وزارة التعليم والعلوم والثقافة والرياضة على استغلال فرق مايكروسوفت، إذ أنشأت حسابات جديد للمدرسين والمتعلمين، من أجل خلق أقسام افتراضية، يتم فيها تدريب المتعلمين وتدريبهم وعقد اللقاءات بين مختلف المتدخلين التربويين، على مستوى المدارس والمؤسسات والجامعات... إلخ. وقد بلغ عدد الحسابات الشخصية التي استحدثتها الوزارة الوصية على قطاع التعليم والثقافة والرياضة ما يفوق ٥٥٠٠٠ حساب جديد على مايكروسوفت للمدرسين وحوالي ٥٣٠١٠٠ حساب جديد للمتعلمين (Basilaia & Kvavadze، ٢٠٢٠، ص ٨). ولم تقف الحكومة الجورجية عند هذا الحد، وإنما واکبت عملية التعليم عن بعد من خلال عقد شراكات مع قنوات التلفزة الوطنية، ضمن مشروع يحمل اسم (teleskola)، الذي يعني التلفزيون المدرسي (UNESCO، ٢٠٢٠). زد إلى ذلك أن أغلب المدارس الجورجية، تمكنت من الحصول على دعم من قبل أغلب الشركات العالمية لمواقع التواصل، منها زووم ومايكروسوفت وجوجل وسلاك... إلخ.

ويؤكد كل من Basilaia & Kvavadze (٢٠٢٠) من خلال دراستهما " انتقال المدارس الجورجية من التعليم الحضوري إلى التعليم عن بعد، خلال تفشي فايروس كوفيد ١٩، أن انتقال جورجيا إلى التعليم عن بعد، إبان تفشي فايروس كوفيد ١٩، كان ناجحا، حيث حقق الأهداف نفسها التي كان يحققها التعليم الحضوري. ومن الواضح أن الخبرة التي اكتسبها المتعلمون والمدرسون والأطر الإدارية والتربوية، بخصوص التعامل مع البرامج والمواقع الإلكترونية وتحضير المواد والوسائل الإلكترونية الحديثة، سيقوي مؤهلاتهم ومهاراتهم في هذا المجال، كما سيكون مفيدا جدا، بعد

كوفيد-١٩. وهكذا، على الرغم من انتشار كوفيد-١٩ وخطورته والسلبات التي راكمها خلال هذه الفترة، إلا أنه ساهم بشكل مباشر في تغيير مسار التعليم في العديد من الدول. وتعد جورجيا من بين الدول التي استفادت من الموارد الإلكترونية المجانية والمتاحة، لنقل كل ما يرتبط بالتعليم التقليدي إلى العالم الرقمي. وأظن أن ما ستتجه إليه جورجيا وباقي دول العالم، التي عرفت التجربة نفسها، هي تطوير سبل الانتقال من الورقي إلى الرقمي، لتحقيق الجودة الشاملة في التعليم.

٥. مستقبل تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها عن بعد، ما بعد كوفيد ١٩

رأينا أن تعليم اللغات عموماً، وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها خاصة، عن بعد، كان معمولاً به، قبل تفشي كوفيد ١٩. ومع تفشي الوباء، أصبح التعليم عن بعد هو السائد في العالم، بعد أن توقف التعليم الحضوري، في المدارس والجامعات والمعاهد، العالمية... إلخ. وقد أعلنت اليونسكو، منذ بداية انتشار كوفيد ١٩، إلى حدود ٤ مارس من العام ٢٠٢٠، أن عدد متعلمي المستويات الأولى والابتدائية والإعدادية والثانوية، الذين حرموا من التعليم الحضوري، بلغ حوالي 1,268,164,088 متعلم حول العالم، بنسبة ٧٤% من إجمالي متعلمي العالم (UNESCO، ٢٠٢٠). ولتغطية الفجوات التعليمية التي أحدثتها جائحة كوفيد ١٩، دعمت اليونسكو التعليم عن بعد، كخطوة بديلة للاستمرارية البيداغوجية لعملية التعليم. وأوصت بضرورة الاستفادة من المنصات والتطبيقات التعليمية المفتوحة، تلك التي يمكن للمؤسسات التعليمية أن تستفيد منها، بشكل يساعد جميع المتعلمين من تحصيل التعليم عن بعد. وهو الشيء عينه الذي سارت على منواله، مجمل برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

ومن المؤكد أن تجربة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها عن بعد، التي ساهمت في ترسيخها، جائحة كوفيد ١٩، قد بينت أهمية هذا النوع من التعليم، وكيف يمكننا تطويره وتقنيته، بما يساهم في تحقيق أهداف التعلم، بأقل كلفة. وأفترض أن التحول إلى اعتماد التعليم عن بعد، في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، سيزداد، بشكل كبير، بعد جائحة كوفيد ١٩. خصوصاً بعد أن اكتشفت المؤسسات التعليمية، المزايا التي يتيحها هذا النوع من التعليم، سواء من حيث التعليم أو التقييم أو الاختصار في الوقت والجهد والتكلفة... إلخ. وأفترض كذلك، أنه سيتم إنتاج المزيد من المواقع والمنصات والتطبيقات التي تساعد في تعلم اللغة العربية عن بعد. وترى وين كي (Wen Qi، ٢٠١٧) من خلال دراستها: تقييم البيئة التعاونية الافتراضية للتعليم والتعلم عن بعد، دراسة حالة (Evaluating a Virtual Collaborative Environment for Interactive Distance Teaching and Learning: A Case Study) أن البيئة التعليمية الافتراضية تمكن المتعلمين من الاستفادة من توجيهات ودعم المدرس، طوال مرحلة التعلم. وأن اعتماد (Open Wonderland) كبيئة افتراضية تعاونية للتعليم والتعلم، قد حقق نجاحاً مهماً في خلق التفاعل بين أطراف العملية التعليمية التعليمية، وتمكين المتعلمين من التعلم في أوقات خاصة وفي الأماكن التي يختارون فيها القراءة والمشاهدة والاستماع إلى المواد المقدمة (Wen Qi، ٢٠١٧، ص ١١). ولا شك أن الإيجابيات التي تتيحها البيئة الافتراضية، في تعليم وتعلم اللغات، سيكون لها دور مهم في اعتماد المؤسسات التعليمية هذا النوع من التعليم في المستقبل القريب.

خلاصة

سعيًا، من خلال هذا البحث، إلى بيان الدور الذي لعبته التكنولوجيا في تدبير التعلم عن بعد، في ظل انتشار كوفيد ١٩. وكما نعلم أن انتشار ذلك الوباء، قد أدى إلى إغلاق المدارس والمعاهد والجامعات في أكثر من ٢٠٠ دولة عالمية. والعالم العربي، بعدة القبلية الأولى التي يحج إليها المتعلمون من كل العالم، لتعلم اللغة والثقافة العربية، قد عرف الوضع ذاته، إذ أغلقت الجامعات والمعاهد والمؤسسات، وعلقت البرامج التعليمية التي تم بدؤها حضوريا. وهكذا، أصبحت جل المعاهد والجامعات التي لم تنه البرامج الحضورية، ملزمة بإتمامها بأي صيغة كانت، أو إرجاع الأموال لأصحابها. وأمام هذا الوضع، عملت تلك المؤسسات على إحداث أقسام افتراضية، باستثمار التطبيقات والمواقع الإلكترونية المجانية، مثل جوجل ميت وكلاسروم وزوم وجوجل تيمس...إلخ. ورغم ذلك، لم تحقق هذه النقلة الفجائية من التعليم الحضورى إلى التعليم عبر الشبكة أهداف التعلم المرجوة، نظرا لعدة متغيرات، منها ضعف تكوين المدرسين في المجال التكنولوجي وضعف البنى التحتية لأغلب المعاهد والجامعات، فيما يخص الموارد التعليمية الرقمية المناسبة والتوصيل بالشبكة والتجهيزات الإلكترونية الضرورية...إلخ. ولعل المشاكل التي تخبطت فيها جل تلك المعاهد والجامعات، جعلها تفكر في إحداث بنية تعليمية افتراضية قوية، يمكنها تحقيق أهداف التعلم، خصوصا بعد كوفيد ١٩، حيث سيصبح التعليم عن بعد، عبر الشبكة، هو الأكثر انتشارا، نظرا للأزمات المالية التي سترافق أغلب الحكومات العالمية المصدرة لمعلمي اللغة العربية إلى العالم العربي...إلخ.

إن قولنا بأن الانتقال من التعليم التقليدي الحضورى إلى التعليم الرقمية في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، قد رافقه فشل على مستوى إنتاج الموارد الرقمية المناسبة وتكوين المدرسين وضعف البنية التحتية، لا يعني أن هذا الأمر منطبق على جميع الدول، وإنما توجد دول لها سبق في مجال التعليم عن بعد، قبل كوفيد ١٩، تمكنت من إحراز نتائج إيجابية من خلال تطبيق هذا النوع من التعليم، أثناء فترة الحجر الصحي. وقد تحدثنا في فصول البحث عن تجربتين فريدتين، التجربة الصينية والتجربة الجورجية، فالصين باعتبارها القوة العالمية الأولى في مجال التعليم عن بعد، استطاعت أن تحقق الاستمرارية البيداغوجية بكل احترافية، من خلال العمل المشترك بين الحكومة والمدارس وجمعيات المجتمع المدني. وإن جورجيا، استطاعت أن تحقق نتائج جد إيجابية، نظرا لتوفرها على بنية تكنولوجية قوية وعملها وفقا على نظام سياسي تضامني وتفاعلي.

لائحة المراجع

بالعربية

- زكي، أسامة. (٢٠١٣). "تحديات استخدام التعليم الإلكتروني لدى أعضاء هيئة التدريس بمعاهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالمملكة العربية السعودية". معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- بوسيف، مريم، وروابح، خديجة. (٢٠١٩). "تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في العصر الرقمي". المجلة العربية مداد. ع ٥. الجزائر.

– الصيرمي، عبد الرحمان. (٢٠١٣). "تقييم مواقع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها على الشبكة العالمية في ضوء المهارات اللغوية". رسالة ماجستير. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. المملكة العربية السعودية.

- ACTFL. (2017). THE ROLE OF TECHNOLOGY IN LANGUAGE LEARNING: <https://www.actfl.org/news/positionstatements/the-role-technology-language-learning>.
- Basilaia, G., & Kvavadze, D. (2020). "Transition to Online Education in Schools during a SARS-CoV-2 Coronavirus (COVID-19) Pandemic in Georgia". *Pedagogical Research*, 5 (4), em0060. <https://doi.org/10.29333/pr/7937>.
- UNESCO. (2020). "290 million students out of school due to COVID-19: UNESCO releases first global numbers and mobilizes response". <https://en.unesco.org/news/290-million-students-out-school-due-covid-19-unesco-releases-first-global-numbers-and-mobilizes>.
- Wen, Qi. (2017). *Evaluating a Virtual Collaborative Environment for Interactive Distance Teaching and Learning: A Case Study*. Netherlands : Springer International Publishing.
- Huang, R.H., Liu, D.J., Tlili, A., Yang, J.F., Wang, H.H., et al. (2020). "Handbook on Facilitating Flexible Learning During Educational Disruption: The Chinese Experience in Maintaining Undisrupted Learning in COVID-19 Outbreak". *Beijing: Smart Learning Institute of Beijing Normal University*.
- Geostat. (2019). "Share of households with internet access", National statistics office of Georgia". Retrieved on 1 April 2020 from <https://www.geostat.ge/en/modules/categories/106/information-and-communication-technologies-usage-in-households>
- Geostat. (2019). "Share of households with computer access, National statistics office of Georgia". Retrieved on 1 April 2020 from <https://www.geostat.ge/en/modules/categories/106/information-and-communication-technologies-usage-in-households>
- Geostat. (2019). "Share of population aged 6 and older who uses mobile phone". National statistics office of Georgia. Retrieved on 1 April 2020 from <https://www.geostat.ge/en/modules/categories/106/information-and-communication-technologies-usage-in-households>.
- The Government of Georgia. (2020). "List of Actions Restricted and Permitted under the Government Resolution during the State of Emergency Enforced on the Territory of Georgia". Retrieved on 1 April 2020 from http://gov.ge/index.php?lang_id=ENG&sec_id=288&info_id=75732.
- Collis, B., Moonen, J. and Vingerhoets, J. (1997). "Flexibility as a Key Construct in European Training: Experiences from the TeleScopia Project. *British Journal of Educational Technology*". 28: 199-217. doi:10.1111/1467-8535.00026.
- Lee, M. J. W., & McLoughlin, C. (2010). "Beyond distance and time constraints: Applying social networking tools and Web 2.0 approaches to distance learning". In G. Veletsianos (Ed.), *Emerging technologies in distance education*(pp. 61–87). Edmonton, AB: Athabasca University Press.

الأوبئة والأمراض وأثارها على المجتمع الأندلسي (من عصر الطوائف وحتى سقوط سلطنة غرناطة

٤٢٢-٥٨٩٧هـ/١٠٣١-١٤٩٢م)

أ. د. عبد الرحمن ابراهيم حمد الغنطوسي

أ. د. برزان ميسر الحامد

قسم التاريخ/ كلية التربية/ الجامعة العراقية

قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

بغداد-العراق/ جامعة الموصل/ العراق

almosul1978@gmail.com

dr.barzan_78@yahoo.com

ملخص البحث

تعد الأوبئة والأمراض من الأحداث التي كان لها دور كبير في حياة المجتمع الأندلسي، خصوصاً فيما كانت تتركه من تأثير على جوانب الحياة المختلفة السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية والدينية، وبناءً على ذلك تم اختيار هذا الموضوع، لاسيما وأن العالم يعيش في هذه الأيام أزمة جائحة كورونا.

إن البحث والكتابة في الأمراض التي أصابت المجتمع الأندلسي خلال العصور التاريخية المتعاقبة، وما تركته من آثار في جميع نواحي الحياة، وطرق معالجتها والوقاية منها، ليس بالامر الهين، وذلك لقلة المعلومات وندرتها خصوصاً في كتب التاريخ العامة وكذلك كتب السير والتراجم، كونها لا تعنى بذكر الأمراض بصورة عامة إلا في حالات تحدم المادة التاريخية التي يتكلم عنها المؤرخ، كأن يذكر مثلاً أن المرض كان سبب وفاة الخليفة الفلاني أو العالم الفلاني، أو قد يكون المرض هو وباء عام أصاب بلد ما وبخلاف ذلك لا تتطرق هذه الكتب للأمراض.

ولهذا كان لزاماً علينا البحث عن الأمراض في مصادر الطب والأدوية، مع مراعاة التأكد من أن هذه الأمراض قد سادت وانتشرت في الأندلس أو عُرفت عندهم، وذلك لأن كتب الطب والأدوية كثيراً ما تذكر المرض وعلاجه فقط. وعليه تعد كتب الطب والأدوية من أهم المصادر في هذا الشأن لذكرها كثيراً من الأمراض التي تعامل معها الأطباء في الأندلس. وبناءً على ما تقدم

سنبحث في هذه الدراسة أهم الأوبئة والأمراض التي أصابت المجتمع الأندلسي خلال المدة المحددة بالدراسة، اسباب حدوثها، وما تركته من تأثير مباشر على الحياة السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية لأفراد المجتمع الأندلسي، ثم أهم الاجراءات التي اتخذتها السلطات ورجال الدين والفقهاء والقضاة وبقية فئات المجتمع لتجاوزها وعلاجها أو الوقاية منها، معتمدين المنهج التاريخي الوصفي لسرد الاحداث وتحليلها وربطها ومناقشتها بغية الوصول إلى الصورة الواضحة المعالم تاريخياً، وبالرجوع إلى المصادر والمراجع التاريخية ذات العلاقة.

الكلمات المفتاحية: الأندلس، الأوبئة، الأمراض، المجتمع، أثارها، علاجها.

abstract

Epidemics and diseases are among the events that had a major role in the life of Andalusian society, especially in the impact they had on various aspects of political life, including economic, social and religious, and accordingly this topic was chosen, especially as the world lives in these days a pandemic crisis Corona.

Researching and writing about the diseases that prevailed in Andalusian society during successive historical periods, and the effects it left in all aspects of life, and the methods of treating and preventing them, is not easy, because of the lack of information and its scarcity, especially in general history books as well as books of biographies and translations, as they are not concerned with mentioning diseases. In general, except in cases that serve the historical material that the historian talks about, such as mentioning, for example, that the disease was the cause of the death of the successor or doctrine of the doctrine, or the disease may be a general epidemic that afflicted a country. Otherwise, these books do not address diseases.

For this, we had to search for diseases in the sources of medicine and medicine, taking into account to ensure that these diseases prevailed and spread in Andalusia or were known to them, because medicine and medicine books often mention the disease and its treatment only. Accordingly, books of medicine and medicine are among the most important sources in this regard because they mention many of the diseases that doctors dealt with in Andalusia.

Based on the foregoing, we will address in this study the most important epidemics and diseases that afflicted the Andalusian society during the period specified in the study, the reasons for its occurrence, and the direct impact it had on the political, economic, religious and social life of members of the Andalusian society, then the most important measures taken by the authorities, clerics, jurists, judges and the rest of society To overcome, treat, or prevent them, adopting the descriptive historical approach to listing, analyzing, linking and discussing events in order to reach a clear picture historically, and by referring to the relevant historical sources and references.

Key words: Andalusia, epidemics, diseases, society, its effects, treatment

تعريف الأوبئة والأمراض في اللغة والاصطلاح:

قبل الشروع بذكر أهم الأوبئة والأمراض التي أصابت المجتمع الأندلسي خلال مدة الدراسة، وما تركته من آثار على المجتمع، وأهم طرق علاجها والوقاية منها، لا بدّ من التوقف أولاً عند مفهوم الوباء في اللغة والاصطلاح.

أولاً: - تعريف الوباء في اللغة والاصطلاح:

يُعرّف الوباء في اللغة بأنه مرض عام (يمد ويقصر)، وجمع المقصور أوباء، وجمع الممدود أوبئة، ويقال في اللغة توبأً فهي موبوءة إذ كثر مرضها، وكذلك وبئت توبأً وباءً فهي وبئة ووبئة^(١). وقد ذكر الزبيدي ان: ((الوباء بالمد سرعة الموت وكثرته في الناس))^(٢).

(١) اسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد عبد الغفار، (ط٤)، بيروت، دار العلم للملايين، دت)، ج ١، ص ٩١؛ جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب المحيط، (ط١)، بيروت، دار صادر، دت)، ج ١، ص ١٨٩؛ ابو بكر محمد بن الحسين بن دريد (ت: ٣٢١هـ/٩٣٢م)، جمهرة اللغة، تحقيق وتقديم: رمزي منير بعلبكي، (ط١)، بيروت،

(٢) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩١م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (٥د)، دار الهدية، دت)، ج ١، ص ٤٧٨.

ويطلق على الوباء مرادفات أخرى كالقرف، فيقال: احذر القرف في غنمك، وقيل القرف هو العدوى، فأقرف الجرب الصحاح: أعدادها^(١)، ويطلق عليه لفظ الموتان وذلك لأن أصله في اللغة الموت يقع في الماشية^(٢).
 أما تعريفه عند الأطباء فيقول ابن سينا: ((تعفن يعرض في الهواء يشبه تعفن الماء المستنقع الآجن))^(٣)، ويذكر ابن النفيس: ((إنه فساد يعرض الجوهر الهواء لأسباب سماوية أو ارضية كالماء والجيف الكثيرة))^(٤). أما ابن زهر فقد ذكر: ((إن الوباء يطلق على الامراض التي تصيب أهل بلد من البلدان وتشمل أكثرهم... ولهذا إذا كان الهواء فاسداً عمَّ أهل ذلك الموضع وعمَّ أكثرهم))^(٥)، واطلق عليه ابن خاتمة بأنه مرض عام للناس قتال غالباً ما يكون من سبب مشترك^(٦).

ثانياً: - تعريف المرض في اللغة والاصطلاح:

في "الصحاح" نجد المرض بأنه السقم^(٧)، وفي لسان العرب، المرض هو السقم وهو ضد الصحة^(٨)، وفي "محيط المحيط" مرض الحيوان بماء ومنها أظلمت طبيعته وأضطربت بعد صفائها واعتدالها، والمرض والمرض فساد المزاج وإظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها واعتدالها، وقيل هو حالة خارجة من الطبع ضارة بالفعل ويقابله الصحة، ويضيف المرض يختص بالنفس^(٩).
 وعند الأطباء، فقد عرفه ابن سينا بقوله: ((هيئة غير طبيعية في بدن الانسان يجب عنها بالذات آفة في الفعل وجوباً أولاً وذلك إما مزاج غير طبيعي وإما تركيب غير طبيعي))^(١٠). أما الرازي فقد قال فيه: ((ما إعتاق الافعال عن ان يجري مجاريها الطبيعية في الحسن من غير واسطة، وان الصحة ما خالف ذلك))^(١١).
 من خلال ما تقدم يمكن القول إن المرض هو خروج عن الوضع الطبيعي في جسم الإنسان إلى وضع مضطرب ومرتبك مخالفة للصحة.

أهم الأوبئة والأمراض في الأندلس:

أولاً: الأوبئة والأمراض في عصر دويلات الطوائف (٤٢٢-٤٨٤هـ/١٠٣١-١١٤٥م)

- (١) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص ١٨.
 (٢) احمد بن علي الانصاري ابن خاتمة (ت: بعد ٧٧٠هـ/١٣٦٩م)، تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، نشر ضمن كتاب الطب والاطباء في الأندلس لحمد العربي الخطابي، (ط ١، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٨م)، ج٢، ص ١٦٢.
 (٣) الشيخ الرئيس ابي علي الحسين علي بن سينا (ت: ٤٢٨هـ/١٠٣٦م)، القانون في الطب، وضع حواشيه: محمد امين الضناوي، (ط ١، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م)، ج ١، ص ١٢٥.
 (٤) الزبيدي، تاج العروس، ج ١، ص ٤٧٨.
 (٥) ابو مروان بن ابي العلاء بن عبد الملك بن زهر (ت: ٥٢٥هـ/١١٣٠م)، كتاب الاغذية، تحقيق: اكيبيراتيون غاريتا، (مدريد، المعهد الاعلى للابحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم الاسلامي، د، ت)، ص ١٤٣.
 (٦) ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص ١٦٢.
 (٧) الجوهرى، الصحاح، ج ٤، ص ٢٤٣، ج ٢، ص ٤٠٤؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٢٣١.
 (٨) ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٢٢٣.
 (٩) بطرس بن بولس بن عبدالله البستاني (ت: ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م)، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، (بيروت - لبنان، ١٩٨٧م)، ص ٨٤٦.
 (١٠) ابن سينا، القانون في الطب، ج ١، ص ١٠٣.
 (١١) ابو بكر محمد بن يحيى بن زكريا الرازي (٣١١هـ/٩٢٣م)، المدخل الى صناعة الطب، (سلمنقة، المعهد الاسباني العربي، د، ت)، ص ١١٦.

لقد اوردت المصادر التاريخية أول ذكر للأوبئة والأمراض والطواعين في الأندلس على هذا العصر في سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م، فقد اشار ابن بشكوال في ترجمته لخلف بن يوسف المقرئ من أهل بريشتر، الى ذلك بقوله: ((وتوفي لعشر خلون من شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وأربع مئة في الطاعون))^(١). والطاعون على حد تعبير الفيروز ابادي: ((هو كل مرض عام))^(٢). ويعد هذا الخبر المقتضب هو الإشارة الوحيدة التي تؤرخ لطاعون أو مرض في هذه الفترة او المدة الزمنية، ولم تذكر كتب التاريخ أو كتب السير والتراجم شيئاً بخصوص هذا المرض أو الطاعون. ويبدو أن هذا الطاعون قد أصاب مدينة بريشتر على وجه الخصوص، التي ينتمي اليها صاحب الترجمة، وذلك لأننا لم نجد له ذكر في بقية المصادر الأخرى لنجزم أنه قد أصاب أهل الأندلس قاطبةً. من جانب آخر فقد اصاب أهل افريقيا وباء في هذه الفترة أثر مجاعة عظيمة، فقد ذكر ابن عذاري: ((وفي سنة ٤٦٨ كان بافريقيا مجاعة عظيمة ووباء عظيم مات فيه خلق كثير))^(٣)، إلا أنه لا تتوفر لدينا معلومات أو اشارات تؤكد بأن أهل الأندلس قد تأثروا بهذا الوباء.

ثانياً: الأوبئة والأمراض في عصر المرابطين (٤٨٤-٥٤٠هـ/١٠٩١-١١٤٥م)

في هذا العصر من تاريخ دولة الإسلام في الأندلس، اشار ابن القطان إلى حدوث وباء سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م، في مدينة قرطبة أدى إلى وفيات عدة، وكان هذا الوباء إثر مجاعة حيث ذكر: ((وفي سنة ٥٢٦ أشتدت المجاعة والوباء على الناس في قرطبة وكثر الموت))^(٤)، ولم نجد في بقية المصادر الأندلسية إشارة إلى أي وباء أو مرض قد اصاب المجتمع الأندلسي خلال هذا العصر، وربما يرجع ذلك إلى قصر المدة الزمنية التي حكم بها المرابطون الأندلس. أما أهل المغرب فقد اصابهم وبائين أحدهما في مدينة تلمسان سنة ٥١٢هـ/١١١٨م^(٥)، لكننا لا نملك دليل تأثيره على الأندلس، أما الوباء الأخر فقد ضرب مدينة فاس سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م^(٦)، وهذا الوباء يمكن الجزم بأنه قد أثر على الأندلس لما كان بين الأندلس ومدينة فاس مركز المرابطين من تبادل في جميع المجالات في ذلك الوقت، أو ربما كان هذا قد امتد ليؤثر على الأندلس في سنة ٥٢٤هـ/١١٣١م، أي سنة حصول الوباء المؤرخ له.

ثالثاً: الأوبئة والأمراض في عصر الموحدين (٥٤٠-٦٢٠هـ/١١٤٥-١٢٢٣م)

(١) خلف بن عبدالله بن مسعود بن بشكوال (ت: ٥٧٨هـ/١١٩١م)، كتاب الصلة في تاريخ ائمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، (ط١، تونس، دار الغرب الاسلامي، د،ت)، ج١، ص٥٤.

(٢) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (ت: ٨١٧هـ/١٤١٥م)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (ط٨، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج١، ص٦٩.

(٣) ابو عبدالله محمد بن عذاري المراكشي (كان حياً سنة ٧١٢هـ/١٣١٣م)، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق: ج.س كولان وليفني بروفنسال، (ط٢، بيروت- لبنان، دار الثقافة، ١٩٨٢م)، ج١، ص٥٤.

(٤) ابو محمد حسن بن القطان المراكشي (ت: بعد ٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان، دراسة وتحقيق: محمود علي مكي، (ط١، تونس، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٠م)، ص٢٢٦.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ج١، ص١٣٣.

(٦) ابن القطان، نظم الجمان، ص٢١٧.

يُعد الوباء الذي أصاب أهل مراكش سنة ٥٧١هـ/١١٧٦م^(١) من اشد الأوبئة التي حلت بالمغرب العربي، وكان لها امتداد إلى الأندلس، إلا أنه كان في مراكش أقوى وأعمق، وقد اشتد هذا الوباء حتى بلغ ضحاياه في كل يوم نحو مئتي شخص، وضاعت المساجد بالصلاة عليهم، فأمر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (٥٦٣-٥٨٠هـ/١١٦٧-١١٨٤م) أن يُصلّى عليهم في سائر المساجد، وأصيب معظم السادات بالوباء، ومات منهم أربعة من أخوة الخليفة هم السيد أبو عمران، ثم أخوه السيد أبو سعيد، فأخوهما السيد أبو عبد الله، ثم أخوهم الرابع السيد أبو زكريا والي بجاية.

ومن أشياخ الموحدين مات أبو سعيد بن الحسين، وكان الشيخ أبو حفص عمر الهنتاني قادماً من قرطبة قاصداً إلى مراكش، فأصيب بالوباء وتوفي بالطريق، بل إن الخليفة نفسه مرض وأشرف على الهلاك. وقد كان هذا الوباء على درجة عالية من الشدة بحيث أنه كان يموت بسببه في كل يوم ثلاثون شخصاً من حاشية وعبيد القصر، وأستمر هذا الوباء عدة أيام وكان له الأثر الكبير على مراكش بالذات لدرجة أنه لم يكن يخرج منها أو يدخلها أحد^(٢)، وقد مات من اعيان الأندلس في هذا الوباء إبراهيم بن هردوس من أهل مالقة بمدينة مراكش^(٣)، وأبو الحسن علي بن زيد الأشبيلي^(٤).

ويذكر السلوي حدوث وباء سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م في المغرب والأندلس بقوله: ((وفيها كان الوباء العظيم بالمغرب والأندلس))^(٥). من جانب آخر، فقد شهد المغرب العربي خلال عصر الموحدين وقوع عدة أوبئة، فيذكر السلوي أنه حصل وباء في المغرب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م^(٦). ويبدو أن هذا الوباء قد امتد إلى الأندلس في العام التالي فكان وباء سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م السالف الذكر. وفي سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م وقع وباء في مدينة مراكش، فيذكر ابن صاحب الصلاة: ((وفي هذه السنة أيضاً اختلف الهواء بمراكش فمرض أكثر السادات وكثير من الناس))^(٧)، ولكن لا يمكننا الجزم بمدى تأثيره على الأندلس.

رابعاً: الأوبئة والأمراض في عصر بني الأحمر بغرناطة (٦٣٥-٨٩٧هـ / ١٢٣٧-١٤٩٢م).

لقد اشار ابن أبي زرع إلى حصول أو وقوع وباء في العدو (أي العدو الأندلسية) سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م وقد رافق ذلك حصول مجاعة هنالك، وكانت الوفيات نتيجة لهذا الوباء والمجاعة كثيرة، حيث ذكر: ((وفيها { أي سنة ٦٣٥ } اشتد الغلاء والوباء في العدو فأكل الناس بعضهم بعض وكان يدفن في الخريف الواحد المائة من الناس))^(٨).

(١) أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع، (كان حياً قبل ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، اعنى بتصحيحه وطبعه وترجمته: كارل يسوحن تورنبرغ، طبع بمدينة اوبسالة بدار الطباعة المدرسية، د، ت، ص ١٧٨.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ١، ص ١٣٤؛ أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي الأشبيلي (ت: ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م)، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع حواشيه والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دمشق، دار الفكر، د، ت، ج ٦، ص ٢٤٠؛ محمد عبد الله عنان، موسوعة دولة الاسلام في الأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، (ط ٤)، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧، ج ٤، ص ٩٤.

(٣) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الابار (٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، تحفة القادم، تحقيق: احسان عباس، (ط ١)، تونس، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٦م، ص ١٥.

(٤) ابن الابار، تحفة القادم، ص ١٥.

(٥) السلوي الناصري، الاستقصا، ج ١، ص ٢١٠.

(٦) السلوي الناصري، الاستقصا، ج ١، ص ٢١٠.

(٧) عبد الملك بن صاحب الصلاة (ت: ٥٩٤هـ/١١٩٨م)، المن بالامامة: تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، (ط ٣)، لبنان - بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٧م، ص ٣٠٩.

(٨) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص ١٨٣.

وفي سنة ١٢٩٣/هـ٦٣٥، حلَّ وباء عظيم رافقه مجاعة شديدة، وكانت الوفيات جراءه كثيرة لدرجة أنه على ما يصف السلاوي: ((فكان الموتى تحل اثنان وثلاثة وأربعة على المغتسل))^(١). وبالرغم من عدم تصريح السلاوي بأن هذا الوباء قد شمل الأندلس إلاَّ إشارته إلى ان هذا الوباء قد عمَّ بلاد المغرب وأفريقيا ومصر^(٢)، يدل على أن الأندلس لم تسلم من هذا الوباء أيضاً.

أما وباء سنة ١٣٤٧/هـ٧٤٩م فيعد من اشنع الأوبئة التي عرفها ليس أهل الأندلس وحسب بل العلم اجمع، وقد اشار المقرئزي إلى ذلك بقوله: ((لم يكن هذا الوباء كما عهد في اقليم دون اقليم، بل عمَّ اقليم الارض شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً جميع اجناس بني آدم و غيرهم من حيتان البحر وطير السماء))^(٣). وقد بدأ هذا الوباء من اواسط اسيا حالياً وبالتحديد من بلاد القان-المعروفة حالياً بالصين- ثم انتشر الى جميع ارجاء العالم^(٤).

وكان أول ابتداء هذا الوباء في المشرق الإسلامي في فصل الخريف سنة ثمان وأربعون وسبعمائة، وما أن بدأت سنة ١٣٤٧/هـ٧٤٩م حتى شمل جميع الأقاليم الاسلامية الشرقية مصر والشام والعراق والحجاز^(٥)، وقد اعقب هذا الوباء كوارث انسانية كبيرة في هذه الأقاليم، فقد أدى إلى وفاة الآلاف من سكان تلك المناطق، فقد كان يموت في حلب نحو خمسمائة انسان كل يوم^(٦)، وفي مصر كان هذا الوباء أشد ضراوة، فقد احصيت الجنازات بالقاهرة فقط في شهر شعبان ورمضان فبلغت تسعمائة ألف^(٧).

أما الأندلس فقد بدأ بها هذا الوباء في ربيع سنة ١٣٤٧/هـ٧٤٩م على ما سجله ابن خاتمة في كتابه ((تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد))^(٨).

وقد عرف هذا الوباء أو الطاعون في الأندلس بعدة أسماء منها: الطاعون العام^(٩)، والطاعون الأعظم^(١٠)، والطاعون الجارف^(١١)، والطاعون الكبير^(١٢)، وعمَّ هذا الوباء جميع بلاد الأندلس الأمدنية غرناطة فإنه لم يصبها بشيء على حد قول المقرئزي: ((وعم الموت أهل جزيرة الأندلس إلا مدينة غرناطة فإنه لم يصب أهلها منه بشيء))^(١٣)، ولم يذكر لنا المقرئزي سبب عدم إصابة أهل غرناطة بهذا الوباء، ولكن ربما قد اغلقت أبوابها أمام الداخلين إليها والخارجين منها، فحافظت على نفسها وأهلها من انتقال عدوى هذا الوباء إليها.

(١) السلاوي الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٤٤.

(٢) السلاوي الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٤٤.

(٣) تقي الدين ابي العباس احمد بن علي المقرئزي (ت: ١١٤٥/هـ١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (ط١)، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٨/هـ١٩٩٧م)، ج٤، ص٨٠.

(٤) المقرئزي، السلوك، ج٤، ص٨٠.

(٥) المقرئزي، السلوك، ج٤، ص٨٠.

(٦) المقرئزي، السلوك، ج٤، ص٨١.

(٧) للتفاصيل ينظر: المقرئزي، السلوك، ج٤، ص٨٧ وما بعدها.

(٨) نشر ضمن كتاب الطب والاطباء في الأندلس لمحمد العربي الخطابي، (ط١)، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٨م)، ج٢، ص١٥٣.

(٩) محمد بن عبدالله السلماني المعروف بلسان الدين بن الخطيب (ت: ١٣٧٤/هـ٧٧٦م)، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي الطويل، (ط١)، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م)، ج٤، ص٢٢٤.

(١٠) ابن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص٥٥، ج٣، ص١٤٢.

(١١) بن خلدون، العبر، ج٧، ص٢٨٤؛ ابو العباس احمد بن عبدالله القلقشندي (ت: ١٤١٨/هـ١٤١٨م)، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، تحقيق: يوسف علي الطويل، (ط١)، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٧م)، ج٥، ص٢٥٩.

(١٢) ابوالحسن بن عبدالله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي (ت: بعد ١٣٩٠/هـ٧٩٣م)، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق: لجنة احياء التراث العربي في دار الافاق الجديدة، (ط٥)، بيروت- لبنان، ١٩٨٣م)، ج١، ص١٤٨.

(١٣) السلوك، ج٤، ص٨٣.

والواقع إن هذا المرض أو الطاعون كان له الأثر الكبير على جميع النواحي في البلدان التي ضربها سواءً في الأندلس أو غيرها من بلدان العلم الإسلامي، ويصف لنا ابن خلدون ذلك بقوله: ((هذا إلى ما نزل بالعمران شرقاً وغرباً في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الجيل وطوى كثيراً من محاسن العمران ومحاهها وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وفل من حدها وأوهن من سلطانها وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أموالها وانتقض عمران الأرض بأنتقاض البشر فخربت الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبه ومقدار عمرانها))^(١).

يتضح لنا من خلال النص الذي أورده ابن خلدون مدى شدة هذا المرض، بل ذكر ابن خلدون أن هذا المرض قد أدى إلى تبدل الخلق وتحول العلم بقوله: ((فكأنما تبدل الخلق من أصله وتحول العالم بأسره وكأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث))^(٢). وقد خلف هذا المرض أعداداً كبيرة من الوفيات في الأندلس اشارت إليها المصادر الأندلسية ولا سيما كتب السير والتراجم^(٣). وكان لهذا المرض وقع على أهل الأندلس، فألف عدد من العلماء كتباً بحثت هذا الطاعون وأسبابه، وأبرزها كتاب ((مقنعة السائل في المرض الهائل))^(٤) للسان الدين بن الخطيب، و((رسالة في أحكام الطاعون))^(٥) للسان الدين بن الخطيب أيضاً، و((تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد))^(٦) لأبن خاتمة، و((الرسالة في تحقيق الوباء))^(٧) لمحمد بن أبي العصا الأندلسي، و((تحقيق النبأ عن أمر الوباء))^(٨) لمحمد بن علي الشقوري. واستمر هذا الطاعون في الأندلس إلى سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م، حيث كانت آخر أيام هذا الطاعون في تلك السنة^(٩).

ويذكر ابن الجزري وقوع طاعون سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م في مدينة مالقة، إذ أشار إلى ذلك في ترجمته لأحمد بن عبد الخالق أبو جعفر الجدلبي المقرئ، أنه توفي جراء الطاعون فيها^(١٠)، ولا نعلم مدى تأثير هذا المرض أو الطاعون على بقية مدن الأندلس، لقلة المعلومات أو ندرتها.

وفي عام ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م، ضرب طاعون آخر أهل الأندلس بيداً أن تأثيره اقتصر على مدينة مالقة وذلك بسبب اتباعها نظام الحجر الصحي، بحيث لا يخرج منها أحد ولا يدخل عليها أحد، وهذا ما أكدته مقامة ابو علي المالقي التي كتبها الى الامير في ذلك الوقت يطلب منه رفع الحجر عن مدينة مالقة^(١١).

(١) العبر، ج ١، ص ٣٣.

(٢) العبر، ج ١، ص ٣٣.

(٣) ابن الخطيب، الاحاطة، ج ١، ص ٦٢، ج ٢، ص ٨٥، ج ٣، ص ١٢٧، ١٨٣، ١٧٨، ج ٤، ص ٢٢١، ١٤٥؛ ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٣٩٥، ٣٣١، ٤٤٨؛ المقرئ، نفع الطيب، ج ٥، ص ٢٣٨، ٢٣٦.

(٤) خيرالدين الزركلي، الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، (ط ١٥، بيروت - لبنان، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ج ٧، ص ٢٠٤؛ عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ج ٥، ص ١٣٠.

(٥) عبد العزيز بن عبدالله، "العربية لغة العلم والحضارة"، مجلة المورخ العربي، العدد ١٩، د، ص ٤٢٨٥.

(٦) الخطابي، الطب والاطباء في الأندلس، ج ٢، ص ١٥٠ وما بعدها.

(٧) ابن عبدالله، العربية لغة العلم والحضارة، ص ٦٤.

(٨) الخطابي، الطب والاطباء في الأندلس، ج ٢، ص ١٥٥.

(٩) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٩٩.

(١٠) شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م)، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره: ج برجستر اسر، (ط ١، مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٣٢م)، ص ٣٨.

(١١) شمس الدين أحمد بن محمد التلمساني المقرئ (ت: ١٠٤١هـ / ١٦٣٢م)، ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض، اعيد طبعه تحت اشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الامارات العربية المتحدة، (د، ت) ص ٣٥-٣٩.

من خلال ما تقدم يتضح لنا مدى قلة المعلومات او ندرتها في المصادر التاريخية الاندلسية حول الاوبئة والامراض التي اصابته المجتمع الاندلسي، وعلى الرغم من ذكر بعض المؤرخين لحجم الوفيات جراء هذه الاوبئة الأهم في اغلب الاحيان لا يذكرون سوى معلومات مقتضبة جداً حول هذه الوقائع.

ولهذا كان لزاماً علينا البحث عن الامراض في مصادر الطب والأدوية، مع مراعاة التأكد من أن هذه الامراض قد انتشرت في الاندلس، أو عُرفت عندهم، وذلك لأن كتب الطب والادوية كثيراً ما تذكر المرض وعلاجه فقط. وبناءً على ذلك تُعد كتب الطب والادوية من أهم المصادر في هذه الدراسة لذكرها كثيراً من الأمراض التي تعامل معها الاطباء في الاندلس. ومن أهم هذه الامراض: -

١- الفالج: ويطلق على انواع كثيرة من الشلل بصورته العامة ويختص بالشلل الذي يصيب شقاً واحداً من بدن الانسان أو ما يعرف اليوم بالشلل النصفي^(١).

٢- الجذام: داء يصيب جلد وأطراف الانسان ويؤدي إلى تأكلها وتقرحها، ولقد شبهه الاطباء بالسرطان، وذلك لما يصاحبه من تقرحات وآلام شديدة لمن يصاب به، وهو من الأمراض المعدية التي قد تنتقل بالتوارث أيضاً^(٢).

٣- السل: من الأمراض التي تصيب الرئة وينتج عنها تقرح وتدرن فيها، وكان يؤدي في الغالب إلى الوفاة في ذلك الوقت، وهو من الأمراض المعدية، وقد عُرف في الأندلس، فيذكر ابن البار أن رجلاً كان يخاطب القمر فيقول له: ((لا اماتني الله منك بحسرة أو تقع في السل))^(٣).

٤- ضيق النفس: ازمة تصيب الأنسان من ربو ونحوه^(٤)، يرافقه تقطع في النفس من الإعياء^(٥)، ويعرف في كتب اللغة بالزُّلة^(٦)، وهو داء النسمة^(٧)

٥- الربو: يشابه إلى حد كبير ضيق النفس أو داء النسمة، الا ان الربو داء أكثر اثراً من ضيق النفس^(٨)، وقد عُرف هذا المرض في الأندلس حتى أنه اصاب ابن حزم الظاهري فيقول في ذلك: ((ولقد اصابني علة شديدة ولدت على ربوا في الطحال شديد، فولد

(١) ابن سينا، القانون في الطب، ج٢، ص ١٣٦.

(٢) ابو الوليد محمد بن احمد ابن رشد (ت: ٥٩٥هـ/١١٩٩م)، الكليات في الطب، تحقيق وتعليق: احمد فريد المزيدي (بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية ١٩٨٦م)، ص ٢٣٠؛ ابن سينا، القانون في الطب، ج٣، ص ١٨٨.

(٣) ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي ابن البار، (ت: ٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، الحلة السرياء، تحقيق: حسين مؤنس، (ط ١، القاهرة، دار المعارف، د، ت، ج٢، ص ٢٠.

(٤) احمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصر، (ط ١، بيروت، عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، ج٣، ص ٢٠٤٠.

(٥) عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصر، ج١٣٧٨، ص ٢٠٤٠.

(٦) الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ج١، ص ١٦٠٩؛ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩١م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (د، م، دار الهدايا، د، ت)، ج٣٩، ص ١٣٠.

(٧) ابو العباس احمد بن القاسم السعدي ابن ابي اصيبعة (ت: ٦٦٨هـ/١٢٧٠م)، عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق: نزار رشيق، (بيروت، دار مكتبة الحياة، د، ت)، ص ٤٧٩.

(٨) ضياء الدين ابي محمد الاندلسي الملقب المعروف بأبن البيطار (ت: ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الادوية والاعذية، (بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، د، ت)، ج١، ص ٤٠، ١٠.

عليّ ذلك من الضجر وضيق الخلق وقلة الصبر والنزق امرأ حاسبت نفسي فيه، إذ انكرت تبدل خلقي، فأشئت عجيبي من مفارقتي لطبيعي))^(١)

إن ما ذكرناه من أمراض هو جزء بسيط من الأمراض الكثيرة والمتنوعة التي سادت وانتشرت في المجتمع الأندلسي في ذلك الوقت وخلال مدة الدراسة، إلا أن مرض الجذام السالف الذكر كان من أكثر الأمراض انتشاراً في ذلك الوقت وذلك استناداً لما أورده المقدسي من أن هذا المرض كان كثير الانتشار في الأندلس^(٢)، فضلاً عن مرض الفالج، والحدرد، وأمراض العيون، وموت الفجاءة^(٣).

اسباب انتشار الأوبئة والأمراض في الأندلس:

بالرغم من أن الأوبئة والأمراض التي انتشرت في المجتمع الأندلسي وبقية المجتمعات الإسلامية الأخرى في فترة العصور الوسطى، تندرج ضمن الآفات السماوية أو العاهات التي لا يد للإنسان فيها بل هي مقدره من الخالق تبارك وتعالى، إلا أن التأليفات الطبية وكذلك التأليفات التي كتبت عن الطب النبوي، قد رصدت لنا جملة من الأسباب منها أسباب بشرية وأخرى طبيعية، فالجرب والفتن وحركات التمرد والثورات من بين الأسباب التي كانت تؤدي إلى انتشار الأوبئة والأمراض في العصور الوسطى، وكانت آثارها تدوم لفترات طويلة^(٤)، وكانت الحروب والصراعات هي الطابع الغالب في العصور الوسطى في الأندلس، حيث كان المجتمع الأندلسي يتكون من عناصر متعددة، فهناك العرب بقباثلهم المتعددة والمتنوعة، وهناك البربر وقباثلهم المختلفة فضلاً عن المستعربين والموالي والصقالبة وبقية فئات المجتمع الأخرى، وغالباً ما كانت الخلافات والصراعات والفتن تحكم هذه العناصر إلا في عهود الأمراء والخلفاء الأقوياء، ضف إلى ذلك تهديدات وغزوات الممالك الإسبانية الشمالية التي ما فتئت أن تهاجم أراضي ومدن الأندلس المختلفة. فالجرب والفتن والصراعات هي من الأسباب البشرية لحذوث الأوبئة على وجه الخصوص، والمجاعات على وجه العموم، حيث كانت تخلف الكثير من الدمار والخراب الذي يولد هزلاً وضعفاً، يفتح الباب لانتشار الأمراض والأوبئة الفتاكة^(٥).

كما كانت الموانئ بدورها من بين العوامل المسببة لنقل الأوبئة، إذ إن جمل الأمراض التي عرفتها بلاد الأندلس وحتى المغرب، كانت تأتي عن طريق البحر في غالب الأحيان واعتبرت السفن التجارية خلال فترة العصور الوسطى الإسلامية ناقلة للعدوى والأمراض الوبائية المختلفة^(٦).

وقد عرفت مراكز الأندلسيين انتشار وباء الطاعون الذي تزامن مع الاضطهاد الذي بدأوا يتعرضون له من طرف الممالك النصرانية في الشمال خلال عصر بني الأحمر في غرناطة^(٧). وكانت التجارة والرحلات العلمية بدورها تساهم أيضاً في انتقال الأمراض الوبائية

(١) أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي ابن أبي أصيبعة (ت: ٦٦٨هـ/١٢٧٠م)، عيون الانبياء في طبقات الاطباء، تحقيق: نزار رشيق، (بيروت، دار مكتبة الحياة، د، ت)، ص ٤٧٩.

(٢) شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد المقدسي (ت: ٣٧٥هـ/٩٨٥م)، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، تحقيق: غازي طليمات، (دمشق، د، ت)، ص ٢٥٦.
(٣) أبو الحسن بن بسام الشنتريني (ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م)، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، (ط١، ليبيا- تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٩م)، ج١، ص ٥٨، ج٧، ص ٣٢٨، ابن الأبار، الحلة السيرة، ج٢، ص ١١٧، ٣٦٤؛ المقري، نفع الطيب، ج٢، ص ٥٠٩؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الانبياء، ص ٥٣٠؛ ابن بشكوال، كتاب الصلوة، مج ١، ص ٥٧، ٩١، ١٠٩، ١٢٢، ١٦٢.

(٤) رشيد يماني، تداعيات وباء منتصف القرن الثامن الهجري على الحياة الفكرية في مملكة غرناطة، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، العدد ٢، تلمسان، ٢٠١٥، ص ٥٧.

(٥) خالد بلعربي، المجاعات والوبئة بتلمسان في العهد الزياني (٦٩٨-٨٤٥هـ/١٢٩٩-١٤٤٢م)، دورية كان التاريخية، العدد ٤، الجزائر، ٢٠٠٩، ص ٢١.

(٦) يماني، تداعيات، ص ٤٩

(٧) لم يقتصر تأثير الأوبئة على الأندلس خلال هذه الفترة على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وحسب بل تعداه الى الحياة الفكرية أيضاً مما نتج عنها خسائر في اصحاب العلم، فكفت ايدي العلماء عن الكتابة والتأليف والابداع العلمي. ينظر: يماني، تداعيات، ص ٤٩.

من موطنها الأصلي إلى المناطق الحالية من الأوبئة. كما لعبت قوافل التجار والحجاج الذين كانوا يتوجهون إلى المشرق ثم يعودون منه عبر مصر وبقية ثم المغرب الأوسط والأقصى ومن ثم الأندلس، دوراً بارزاً في نقل مختلف الأوبئة الوافدة من الخارج^(١). وإذا ما انتقلنا إلى الأسباب الطبيعية نلاحظ أن فساد الهواء في نظر أغلب الأطباء يعد العامل الرئيس المسؤول عن حدوث الأوبئة نظراً لأن الناس يشتركون جميعهم في استنشاقه وعليه فأن فساده يعني هلاكهم بالجملة^(٢)، وفساد الهواء يكون أو يحدث بسبب جملة من العوامل منها الرطوبة والحرارة الزائدين وكثرة العفن^(٣)، ومخالطة الهواء لأبخرة حارة يابسة متعفنة كالتى تخرج من مطامير الطعام التي يطول اختزائها، وقد يفسد الهواء أيضاً إذا خالط ابخرة اجساد الموتى المتعفنة، خصوصاً إذا ما كان هذا الهواء راکداً وكانت جثث الموتى كثيرة، أو خالط أبخرة السباح والبطائح المتغيرة المياه والخنادق وأبخرة منافع الكتان ومواقع السروب، واکداس الأربال^(٤)، أو بسبب كثرة العمران وما ينتج عنه من العفن والرطوبات، وهو السبب الذي اقره ابن خلدون بقوله: ((سببه في الغالب فساد الهواء لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة))^(٥).

ولم يكن الهواء الفاسد العامل الرئيس فقط المتسبب في حدوث الأوبئة والأمراض، وإنما تتسبب المياه الفاسدة أيضاً في حدوث العديد من الأمراض والأوبئة والحميات الدقيقة والأورام الطاعونية والجرب، وكذلك الحصى في الكلى والمثانة، خاصة منها المياه الراكدة والمتغيرة حتى الثنائة^(٦). وإن وقوع الجفاف وحدث الفيضانات واضطراب المناخ وتغير فصول السنة يتسبب أيضاً بحدوث الأوبئة والأمراض المختلفة، كأن يكون مثلاً فصل الربيع بارداً يابساً، والخريف يكون على طبيعة الربيع، والشتاء على طبيعة الصيف^(٧). فضلاً عن ذلك كان للمجاعات وغلاء الاسعار دوراً في وقوع الكثير من الأمراض، وذلك لأن المجاعة تفرض على الناس نمطاً غذائياً جديداً يكون في أغلبه غير خاضع لشروط الصحة لأن همهم الوحيد هو أن يسدوا رمقهم من الجوع، فيقتصر غذائهم آنذاك على أأل الحبوب المتعفنة والفاسدة من طول الاختزان، واللحوم الرديئة لمختلف الحيوانات^(٨).

وهناك من يضيف سبباً فلكياً وروحانياً لحدوث هذه الأوبئة كأجتماع الكواكب واتصالها مع بعضها البعض، وقد اشار ابن الخطيب إلى ذلك بقوله: (سبب اقصى وهو الامور الفلكية من القرانات التي تؤثر في العالم حسب ما يزعمه أرباب صناعة النجوم وأخذها الطبيب مسلماً عنهم)^(٩).

الوقاية وطرق العلاج من الأوبئة والأمراض:

لقد تجاوز تاريخ الطب في الأندلس في حقوله كل العلوم الاخرى، وتعددت الاسهامات والانجازات الطبية في الأندلس، وتنوعت اثارها واشكالها وأمنائها وطبعت الحركة الطبية تنظيم علم التغذية، والجراحة، والطب الطبيعي والنفسي، ووضع الأسس الأولى لقواعد الصحة العامة وقوانين حفظ الصحة والوقاية من الأمراض والاحتراز من العودة وانتاج الادوية بالموازاة مع العملية الطبية، وليس هذا

(١) بلعربي، المجاعات والأوبئة، ص ٢٢.

(٢) ابن زهر، كتاب الاغذية، ص ١٤٣.

(٣) ابن زهر، ابو مروان بن ابي العلاء بن عبد الملك (ت: ١١١٣م/٥٢٥هـ)، التيسير في المداوة والتدبير، تحقيق: ميشيل الخوري، تقديم: محي الدين صابر، (دمشق، دار الفكر، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ٤٥٠؛ داوود عمر الانطاكي (ت: ١٠٠٨هـ/١٥٩٩م)، بغية المحتاج في الجرب من العلاج، (ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ص ٣٣٣.

(٤) ابن زهر، كتاب الاغذية، ص ١٤٤ - ١٤٥؛ التيسير، ص ٤٥٣؛ ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص ١٧١.

(٥) المقدمة، تحقيق: محمد الاسكندراني، (ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص ٢٨٢.

(٦) ابن زهر، التيسير، ص ٤٥٤ - ٤٥٦.

(٧) ابن خاتمة غرض القاصد، تحصيل، ص ١٧٠.

(٨) ابن زهر، تيسير، ص ٤٥٩؛ كتاب الاغذية، ص ١٤٥؛ ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد، ص ١٧١؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٨٢؛ الانطاكي، بغية المحتاج، ص ٣٣٣.

(٩) ابن الخطيب، مقنعة السائل عن المرض الهائل، (المانيا- فرانكورت، منشورات معهد العلوم العربية الاسلامية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص ٩٣، ص ٣٨.

وحسب بل وضعوا معايير لحفظ صحة الانسان ولاسيما في اوقات انتشار الأوبئة والأمراض المختلفة، وبذلك استطاع علماء الأندلس المشتغلين في ميدان الطب والصيدلة من تنويع الممارسة العملية لمعارفهم في الادوية والعلاجات حفاظاً على صحة الانسان، وعلى هذا النحو تنوعت اشكال العلاج في بلاد الأندلس، حيث عمل بعض الحكام على انشاء البيمارستانات التي اخذت على عاتقها استقبال المرضى والمصابين وتقديم الخدمات الطبية والعلاجية لهم، ابتداءً من الدواء المفرد الذي يؤخذ من مصدره النباتي أو الحيواني أو المعدني دون خلطه مع دواء آخر^(١). وتعد التغذية من البحوث الطبية الواسعة في الأندلس ومن الأساليب الطبية الراقية في المعالجة الوقائية من الأمراض^(٢) التي اصابت المجتمع الأندلسي خلال العصور الإسلامية المختلفة ضمن مدة الدراسة وقبلها.

ومما لا شك فيه أن حدة الاوبئة والأمراض التي ضربت المجتمع الأندلسي في تلك الحقبة التاريخية وتضخمها، قد ساهمت في تطور الطب الوقائي عن طريق التغذية السليمة، وهذا ما دفع الأطباء في فترة انتشار الأمراض والأوبئة إلى وضع حمية غذائية مضادة للداء^(٣). وكان للحمامات والينابيع الطبية دور في علاج الكثير من الأمراض التي عرفها المجتمع الأندلسي، فقد أسهم انشائها في بلاد الأندلس بتوفير النظافة والتقليل من الامراض كونها كانت مراكز للطهارة، وهي احسن ما انتهت إليه الحيل الإنسانية في حفظ الصحة وانتهاء الزينة^(٤). أما العيون والينابيع فقد اعتقد الكثير من أهل الأندلس بأهمية مياهها في تطهير الأبدان، واختلفت هذه العيون من حيث درجة حرارتها وطعمها، حيث كان أهل الأندلس يتباركون بمياهها من أجل الاستشفاء وتسكين الأوجاع، ومداواة الأمراض المزمنة كالفالج والحدرد^(٥).

ويُعد العزل الصحي أهم ما جاء به الإسلام عندما أقر الاحتراز والوقاية والعزل أو الحجر الصحي من الأوبئة والأمراض ولا سيما المعدية منها، ولا نعرف على وجه الدقة متى بدأت عملية عزل المرضى المصابين بالأمراض المعدية كالجدام مثلاً، في الأندلس، لكن النصوص التي بين ايدينا تشير إلى إن قرطبة كانت من أولى المدن الأندلسية التي عملت على توفير حارة خاصة خارج المدينة للمرضى الذين يستعصي علاجهم او ان علاجهم يسري ببطء، حيث تقوم على هذه الحارة جماعات متطوعة للإشراف عليها لقاء ما تتلقاه من أهل الخير^(٦). وكان يستدل على حجرهم أو عزلهم وأبعادهم ولا سيما المجذومين (المصابين بمرض الجدام) إلى نصوص شرعية، فيذكر ابن الخطيب: ((وذوي العاهات والازمنات الذين أمرالشرع باجتناهم تسلم الصدقة لهم على قيد رمح))^(٧)، وأيضاً هناك فتوى لابن رشد توضح عزل الإمام المصاب بالجدام إذا ما تفاحش مرضه^(٨).

وهكذا نلاحظ أن بعض الحكام والميسورين في الأندلس لم يدخروا جهداً من أجل توفير العلاج والعناية الصحية لأفراد المجتمع الأندلسي في اوقات الكوارث الطبيعية ولا سيما الاوبئة والأمراض، فضلاً عن الجهود الذاتية التي كان يقوم بها الفقهاء والقضاة وبقية أفراد المجتمع الأندلسي، التي كانت تسعى جميعها من أجل تخفيف المعاناة وتسكين الأوجاع والاستشفاء من الأمراض المختلفة والمتنوعة التي اصابتهم في ذلك الوقت، ذلك ان مسألة العلاج من الامراض كانت باهظة الثمن في اغلب الاوقات ولا يقدر عليها الا المقتدرون

(١) ابو المطرف عبد الرحمن بن محمد الأندلسي بن وافد(ت: ٤٦٠هـ/١٠٦٩م)، كتاب الادوية المفردة، دراسة وتحقيق: لوزيت فيرناندة، غبري دي كرتز، (اسبانيا، المجلس الاعلى للابحاث العلمية، الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي، ١٩٩٥م)، ص ١٧.

(٢) ابو الريحان محمد البيروني (ت: ٤٣٩هـ/١٠٤٨م)، الصيدلة في الطب، تحقيق وتقديم: عباس زرياب، (ط ١، تهران، مركز نشر دانشكاهي، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م)، ص ٧٠٣.

(٣) مؤلف مجهول(ق ١٣هـ/١٩م)، رسالة في الطاعون، (الرياض، مكتبة الملك سعود، قسم المخطوطات، د، ت)، تحت رقم ٧٩٣٧ ورقة ٣ ب.

(٤) ابن الخطيب، الوصول لحفظ الصحة في الفصول، مخطوط الخزانة الحسينية، (الرباط، د، ت)، تحت رقم ٧٧، ورقة ١٢٥.

(٥) ابن رشد القرطبي، الكليات، ص ٣٥٠.

(٦) ابن الخطيب، الوصول، ص ١٢٦.

(٧) لسان الدين بن الخطيب، مثلي الطريقة في ذم الوثيقة، (المحمدية، مطبعة فضالة، د، ت)، ص ٢١.

(٨) ابن رشد، فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق: المختار بن الطاهر التليلي، (ط ١، بيروت-لبنان، دار الغرب الاسلامي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج ٢، ص ٨٨٤.

مادياً، حيث لم تكن لدى السلطات الأندلسية خطط واجراءات مدروسة تجاه الأوبئة التي أصابتهم ولم تتدخل في أغلب الأوقات من أجل التخفيف عن العامة.

تأثير الأوبئة والأمراض وانعكاساتها على جوانب الحياة المختلفة:

مما لا شك فيه أن للأوبئة والأمراض آثار على جميع ميادين الحياة سواء الاجتماعية منها والاقتصادية والسياسية وحتى الدينية، وعلى الرغم من عدم وجود ما يستدل به حول هذه الآثار إلا أنه يمكن الاستنتاج من النصوص المتوفرة في المصادر التاريخية عن هذه الآثار.

فقد خلّفت الأوبئة والأمراض المختلفة التي أصابت المجتمع الأندلسي خلال المدة المحددة بالدراسة، عدداً كبيراً من الضحايا، يصعب تقديم احصائية دقيقة عن أعدادهم في ظل غياب المعلومات من المصادر الأولية التي تكتفي بعبارات مقتضبة كأن تقول مثلاً: ((حتى كاد الخلق أن ينقرضوا))^(١)، و((هلك فيها كثير من الناس))^(٢)، ((فهلك فيها من الناس ما لا يحصى عددهم))^(٣)، وغيرها^(٤). وقد أدت الأوبئة ولا سيما وباء الطاعون إلى موت أعداد كبيرة من العلماء والفقهاء، فيقول ابن حيان: ((وعاث الموتان في هذه الازمنة فأودى بخلق من وجوه قرطبة وعلماهم وخيارهم ... قصر المؤرخون بيانهم لكثرتهم إلى من مات من اشكالهم ببلاد الأندلس البعيدة فمن لم يأخذ احصاء ولا أتقن عدده))^(٥).

ويقدم لنا ابن خلدون أسماء من هلك من العلماء والفقهاء في وباء سنة ١٣٤٨م/٧٤٩هـ، من بينهم أبيه^(٦)، وقد كان لهذه الوفيات أثرها الكبير على الحياة الفكرية والعلمية. وتأثرت الحياة الاقتصادية أيضاً، حيث وقوع الوباء في بلد ما أو مدينة ما قد يؤدي إلى فرض العزل الصحي على أهلها، فلا يتمكن أحد من دخولها أو الخروج منها، وسيؤدي ذلك إلى تناقص الميرة في اسواق ذلك البلد أو تلك المدينة، فترتفع الأسعار ويحصل الاحتكار وتحديث المجاعات، وتزداد الامور سوءاً، حتى بلغ قفيز القمح بالكيل القرطبي مثقال ذهب^(٧). فضلاً عن ذلك فقد كان لهذه الأزمات أيضاً تأثيرها على العلاقات الاجتماعية كوقوع المشاكل بين الزوجين ومن ثم انفصالهما اذا ما أصيب أحدهما بمرض مزمن^(٨)، وما تركه أيضاً من تأثيرات دينية وإبداء التقصير في بعض الواجبات الشرعية المفروضة

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ١، ص ٣٧.

(٢) عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني ابن الاثير (ت: ١٢٣٢م/٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (ط٤)، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ج ٣، ص ٢٩٠.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة: لويس مولينا، (مدريد - المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد ميغيل اسين، ١٩٨٣م)، ص ١٥٦.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ١٦٧-١٦٨؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص ٦٠، ٦٢.

(٥) ابو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي (ت: ١٠٧٩م/٤٦٩هـ)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس (قطعة تؤرخ للسنوات الثلاثين الأولى من عهد عبد الرحمن الناصر)، اعنتى بنشرها: شالميتا بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع فرناندو كورنيطي ومحمود صبح وغيرهما، (مدريد والرباط - المعهد الأسباني العربي للثقافة بكلية الآداب، ١٩٧٩م)، ص ١١٠.

(٦) العبر، ج ٧، ص ٢٩٨، ٢٩٥، ٢٤٨، ٣٣١.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ١، ص ١٧٣.

(٨) ابو زكريا يحيى بن موسى التلمساني (ت: ١٤٢٩م/٨٨٣هـ)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مخطوط المكتبة الوطنية، (الجزائر، دت)، مج ١ رقم ١٣٣٥، ص ٢٦٣.

على المجتمع المسلم^(١)، فضلاً عن التأثيرات النفسية الحادة كالرغبة والاشمئزاز من الذين أصابهم مرض ما ولا سيما الجذام^(٢)، وكذلك وقوفها حائلاً أمام تحقيق بعض الطموحات السياسية لبعض الملوك والأمراء^(٣).

الخلاصة : بعد الإنتهاء من هذه الدراسة يمكن تسجيل النتائج الآتية :

- ١- إن مرض الفالج والجذام من أكثر الأمراض انتشاراً في الأندلس، ولقد عرف أهل الأندلس علاج الكثير من الأمراض إلا إن بعضها بقي عصبياً عليهم لم يستطيعوا علاجه كالجذام.
- ٢- تسببت بعض الأمراض والأوبئة ولا سيما وباء الطاعون بقتل كثير من أبناء المجتمع الأندلسي، وفقهاءه وعلماءه لاسيما خلال عصر بني الأحمر بغرناطة.
- ٣- إن مسألة العلاج من الأمراض كانت باهظة الثمن في اغلب الاوقات ولا يقدر عليها الا المقتدرون مادياً، حيث لم تكن لدى السلطات الأندلسية خطط واجراءات مدروسة تجاه الأوبئة التي اصابتهم ولم تتدخل في أغلب الأوقات من أجل التخفيف عن العامة، بل كان التدخل يتم بشكل فردي من قبل الحاكم وميسوري الحال.
- ٤- إن معظم الأوبئة والأمراض التي ضربت المجتمع الأندلسي خلال مدة الدراسة كانت بأسباب بعضها بشرية وأخرى طبيعية، وهي في كلا الحالتين كانت تترك أثراً قوياً على مختلف نواحي الحياة في الأندلس.
- ٥- اوجد الأندلسيون الكثير من طرق العلاج من الأمراض والأوبئة التي اصابتهم، منها التداوي بالأدوية التي تعتمد على الاعشاب النباتية أو ما تعرف بالأدوية المفردة التي تؤخذ من مصدرها النباتي أو الحيواني أو المعدني، وكذلك التداوي بالأغذية التي توصف من قبل الصيادلة والعشابون وتكون مضادة للداء، فضلاً عن الاستشفاء بالعيون والينابيع التي تكون درجات حرارتها مختلفة وهي كثيرة ومنتشرة في بعض المدن الأندلسية كمدينة بلش، وفوق كل هذا كان هناك العزل الصحي الذي كان معروفاً ومتبعاً في الأندلس وبقية بلدان العالم الإسلامي، ولا سيما في اوقات وقوع أو حدوث الأمراض والأوبئة المعدية.

المصادر والمراجع المعتمدة:

اولاً: المصادر الاولية المطبوعة

- ابن الابار، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي (١٢٥٩هـ/١٢٥٩م)
- ١- تحفة القاد، تحقيق: احسان عباس، (ط١، تونس، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٦م).
- ٢- الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، (ط١، القاهرة، دار المعارف، د، ت).
- ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي المكارم الشيباني (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)
- ٣- الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، (ط٤، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).
- ابن ابي اصيبعة، ابو العباس احمد بن القاسم السعدي (ت: ٦٦٨هـ/١٢٧٠م)

(١) ابو زكريا التلمساني، الدرر المكنونة، مج ١، ص ٦٤، ٦٢.

(٢) عبد الباسط بن خليل اللطفي الحنفي (ت: ٩٢٠هـ/١٥١٤م)، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، (المانيا، معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية- جامعة فرانكفورت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص ٢٩..

(٣) ابو عبدالله محمد التلمساني الخطيب ابن مرزوق (ت: ٧٨١هـ/١٣٧٩م)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولاي ابي الحسن، تحقيق: ماري خيسوس بيغيرا، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص ٢٦١-٢٦٧.

- ٤- عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق: نزار رشيق، (بيروت، دار مكتبة الحياة، د، ت).
- الانطاكي ، داؤود عمر (ت: ١٠٠٨هـ/١٥٩٩م)
- ٥- بغية المحتاج في الجرب من العلاج، (ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- ابن بسام، ابوالحسن الشنتري (ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م)
- ٦- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، (ط١، ليبيا- تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٩م).
- البستاني ، بطرس بن بولس بن عبدالله (ت : ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م)
- ٧- محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، (بيروت - لبنان، ١٩٨٧م).
- ابن بشكوال، خلف بن عبدالله بن مسعود (ت: ٥٧٨هـ/١١٩١م)
- ٨- كتاب الصلة في تاريخ ائمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، (ط١، تونس، دار الغرب الاسلامي، د، ت).
- أبن البيطار، ضياء الدين ابي محمد الاندلسي المالقي المعروف (ت: ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)
- ٩- الجامع لمفردات الادوية والاغذية، (بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، د، ت).
- التلمساني، ابو زكريا يحيى بن موسى (ت : ٨٨٣هـ/١٤٢٩م)
- ١٠- الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مخطوط المكتبة الوطنية، (الجزائر، د، ت)، ، مج ١ رقم ١٣٣٥.
- ابن الجزري، شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد (ت: ٨٣٣هـ/١٤٢٩م)
- ١١- غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره: ج برجستر اسر، (ط١، مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٣٢م).
- الجوهري، اسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)
- ١٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد عبد الغفار، (ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، د، ت)
- ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت: ٤٦٩هـ/١٠٧٩م)
- ١٣- المقتبس في أخبار بلد الأندلس (قطعة تؤرخ للسنوات الثلاثين الأولى من عهد عبد الرحمن الناصر)، اعتنى بنشرها: شالميتا بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع فرناندو كورنيطي ومحمود صبح وغيرهما، (مدريد والرباط - المعهد الأسباني العربي للثقافة بكلية الآداب، ١٩٧٩م).
- ابن خاتمة ، احمد بن علي الانصاري (ت: بعد ٧٧٠هـ/١٣٦٩م)
- ١٤ - تحصيل غرض القاصد في تفصيل مرض الوافد، نشر ضمن كتاب الطب والاطباء في الاندلس لحمد العربي الخطابي، (ط١، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٨م).
- ابن الخطيب، محمد بن عبدالله السلماني المعروف بلسان الدين (ت: ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)
- ١٥- الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي الطويل، (ط١، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م).
- ١٦- مقنعة السائل عن المرض الهائل، (المانيا- فرانكورت، منشورات معهد العلوم العربية الاسلامية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- ١٧- الوصول لحفظ الصحة في الفصول، مخطوط الخزانة الحسينية، (الرباط، د، ت)، تحت رقم ٧٧،
- ١٨- مثلي الطريقة في ذم الوثيقة، (المحمدية، مطبعة فضالة، د، ت).
- ابن خلدون ، ابو زيد عبد الرحمن الحضرمي الاشبيلي (ت: ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م)
- ١٩- تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، ضبط المتن ووضع حواشيه والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، (دمشق، دار الفكر، د، ت).

- ٢٠- المقدمة، تحقيق: محمد الاسكندراني، (ط١، بيروت، دارالكتاب العربي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
- ابن دريد، ابو بكر محمد بن الحسين (ت: ٣٢١هـ/٩٣٢م)
- ٢١- جمهرة اللغة، تحقيق وتقديم: رمزي منير بعلبكي، (ط١، بيروت، ١٩٧٨م).
- الرازي، ابو بكر محمد بن يحيى بن زكريا (٣١١هـ/٩٢٣م)
- ٢٢- المدخل الى صناعة الطب، (سلمنقة، المعهد الاسباني العربي، د، ت).
- ابن رشد، ابو الوليد محمد بن احمد (ت: ٥٩٥هـ/١١٩٩م)
- ٢٣- فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق: المختار بن الطاهر التليلي، (ط١، بيروت-لبنان، دار الغرب الاسلامي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- ٢٤- الكليات في الطب، تحقيق وتعليق: احمد فريد المرزدي (بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م).
- ابو الريحان محمد البيروني (ت: ٤٣٩هـ/١٠٤٨م)
- ٢٥- الصيدلة في الطب، تحقيق وتقديم: عباس زرياب، (ط١، تهران، مركز نشر دانشكاهي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م).
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩١م)
- ٢٦- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (د، م، دار الهدية، د، ت)
- ابن زهر، ابو مروان بن ابي العلاء بن عبد الملك (ت: ٥٢٥هـ/١١١٣م)
- ٢٧- كتاب الاغذية، تحقيق: اكيرايتون غاريتا، (مدريد، المعهد الاعلى للإبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم الاسلامي، د، ت).
- ٢٨- التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق: ميشيل الخوري، تقديم: محي الدين صابر، (دمشق، دار الفكر، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- بن ابي زرع، ابو الحسن علي بن عبدالله (كان حياً قبل ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)
- ٢٩- الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، اعنى بتصحيحه وطبعه وترجمته: كارل يسوحن تورنبرغ، طبع بمدينة اوبساله بدار الطباعة المدرسية، د، ت).
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩١م)
- ٣٠- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (د، م، دار الهدايا، د، ت).
- ابن سينا، الشيخ الرئيس ابي علي الحسين علي (ت: ٤٢٨هـ/١٠٣٦م)
- ٣١- القانون في الطب، وضع حواشيه: محمد امين الضناوي، (ط١، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م).
- ابن صاحب الصلاة، عبد الملك (ت: ٥٩٤هـ/١١٩٨م)
- ٣٢- المن بالامامة: تاريخ المغرب والاندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، (ط٣، لبنان- بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٧م)
- ابن عذاري المراكشي، ابو عبدالله محمد (كان حياً سنة ٧١٢هـ/١٣١٣م)
- ٣٣- البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق: ج.س كولان وليفي بروفنسال، (ط٢، بيروت- لبنان، دار الثقافة، ١٩٨٢م).
- الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ/١٤١٥م)

- ٣٤- القاموس المحيط ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (ط ٨، بيروت - لبنان ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
- ابن القطان المراكشي، ابو محمد حسن (ت: بعد ٧٥٠هـ/١٣٤٩م)
- ٣٥- نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان، دراسة وتحقيق: محمود علي مكّي، (ط ١، تونس، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٠م)
- القلقشندي، ابو العباس احمد بن عبدالله (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م)
- ٣٦- صبح الاعشى في صناعة الانشا، تحقيق: يوسف علي الطويل، (ط ١، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٧م).
- ابن مرزوق، ابو عبدالله محمد التلمساني الخطيب (ت : ٧٨١هـ / ١٣٧٩م)
- ٣٧- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولاي ابي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).
- المقرئ، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي ا (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)
- ٣٨- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (ط ١، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- المقدسي، شمس الدين ابي عبدالله محمد بن احمد(ت: ٣٧٥هـ/٩٨٥م)
- ٣٩- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، تحقيق: غازي طليمات، (دمشق، د،ت).
- المقرئ، شمس الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت: ١٠٤١هـ/١٦٣٢م).
- ٤٠- ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض، اعيد طبعه تحت اشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الامارات العربية المتحدة، (د، ت).
- ٤١- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت - دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٩٧م).
- مجهول، مؤلف (ق ١٣هـ/١٩م)
- ٤٢- رسالة في الطاعون، (الرياض، مكتبة الملك سعود، قسم المخطوطات، ، د، ت)، تحت رقم ٧٩٣٧
- مجهول، مؤلف
- ٤٢- ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة: لويس مولينا، (مدريد - المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد ميغيل اسين، ١٩٨٣م)
- الملطي الحنفي، عبد الباسط بن خليل (ت : ٩٢٠هـ/١٥١٤م)
- ٤٤- الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، (المانيا، معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية- جامعة فرانكفورت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) .
- ابن منظور، جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ/١٣١١م)
- ٤٥- لسان العرب المحيط، (ط ١، بيروت، دار صادر، د،ت)
- النباهي، ابوالحسن بن عبدالله بن الحسن المالقي الاندلسي(ت: بعد ٧٩٣هـ/١٣٩٠م)
- ٤٦- تاريخ قضاة الاندلس، تحقيق: لجنة احياء التراث العربي في دار الافاق الجديدة،(ط ٥، بيروت- لبنان، ١٩٨٣م).
- ابن وافد، ابو المطرف عبد الرحمن بن محمد الاندلسي (ت: ٤٦٠هـ/١٠٦٩م)

٤٧- كتاب الادوية المفردة، دراسة وتحقيق: لويزت فيرناندة، غبري دي كثر، (اسبانيا، المجلس الاعلى للابحاث العلمية، الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي، ١٩٩٥م).

ثانياً: المراجع الثانوية:

- الزركلي، خيرالدين
- ١- الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، (ط١٥، بيروت- لبنان، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م).
- عبد الحميد، احمد مختار
- ٢- معجم اللغة العربية المعاصر، (ط١، بيروت، عالم الكتب، ٢٠٠٨م).
- عنان ، محمد عبدالله
- ٣- موسوعة دولة الاسلام في الاندلس (عصر المرابطين والموحدين)، (ط٤، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧).

ثالثاً: الدوريات:

- ابن عبدالله عبد العزيز
- ١- " العربية لغة العلم والحضارة "، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٩، د،ت.
- بلعربي، خالد
- ٢- المجاعات والابوة بتلمسان في العهد الزياني (٦٩٨-٨٤٥هـ/١٢٩٩-١٤٤٢م)، دورية كان التاريخية، العدد ٤، الجزائر، ٢٠٠٩.
- يماني، رشيد
- ٣- تداعيات وباء منتصف القرن الثامن الهجري على الحياة الفكرية في مملكة غرناطة، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، العدد ٢، تلمسان، ٢٠١٥.

أطباء وطبيبات عصر الرسالة - دراسة تاريخية

أ.م.د. غصون عبد صالح الزهيري

جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ

Gossonabd1978@gmail.com

الكلمات المفتاحية

Key words

أطباء ، طبيبات ، الوقاية ، العلاج ، الحجر

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا محمد وآله وصحبه اجمعين.

أما بعد..

يعد إبراز الحضارة الإسلامية واسهاماتها في هذه اللحظة التاريخية التي تتصاعد فيها وتيرة العولمة التي لا ترحم الضعفاء وتحتث من ليس له جذور ، واجبا ملقى على عاتق كل باحث ينتمي لهذه الامة ، وبما ان الجانب الصحي يعد من أهم الجوانب التي تم الانسان في كل المراحل التاريخية ، جاءت هذه الدراسة لتدلو بدلوها في هذا الجانب المهم ، من خلال تتبع اسهامات الحضارة الاسلامية في قرن يعد من اهم قرون الاحتجاج في تاريخنا الاسلامي ، الا وهو القرن الأول الهجري ، قرن التاصيل لكل النواحي في حياة الامة الاسلامية ، ففيه اقام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) دولته المباركة ، وقدم باقواله وافعاله وتقديراته الأدلة والشواهد على حرص هذا الدين على الرقي بالمستوى الصحي للإنسان والبيئة ، حيث يعد ماقدمه الإسلام في مجال النظافة والطهارة أعظم برنامج لصيانة الصحة والبيئة بكل أبعاده.

وتحاول هذه الدراسة ابراز ألق الحضارة الإسلامية في جانب يعد من أهم الجوانب في هذه الفاعلية الحضارية لإنسان ، الا وهو الجانب الصحي والطبي ، إذ تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على أهم القيم الثمينة التي تضمنتها الحضارة الإسلامية ، من خلال تتبع ما قام به المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) في مجال الصحة والبيئة ، وتشجيع الأطباء والطبيبات فضلا عن تسليط الضوء على تراجم أهم الأطباء والطبيبات الذين تركوا بصمات واضحة في مجال الطب والرعاية الصحية.

أخيرا أتمنى أن أكون قد وفقت في انجاز هذه الدراسة فأنا اصبت فمن الله وأن اخطات فمن عندي والله ولي التوفيق

أولا : التدابير الصحية الوقائية في عصر الرسالة

من منطلق أن الوقاية خير من العلاج، فقد قدمت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة العديد من النصائح والتوجيهات للوقاية من الأمراض ، والمحافظة على صحة الجسم ، ومن ابرز تلك التدابير الوقائية كالآتي :

١- الإهتمام بنوعية الغذاء

لقد وجه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) الإنتباه إلى أهمية الغذاء في الوقاية من الأمراض ، وتقوية المناعة فوردت العددي من الآيات والأحاديث التي تؤكد على أهمية بعض الأطعمة الطبية والصحية منها على سبيل المثال :

أ- العسل:

لقد تضافرت النصوص القرآنية ، والحديث النبوية الشريفة على أهمية العسل في علاج الأمراض والوقاية منها ، قال تعالى : (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٦٩) (١) ، وقد أكد (صلى الله عليه وآله وسلم) على أهمية العسل لجسم الإنسان "أن رجلا أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : أخي يشتكي بطنه فقال : اسقه عسلا ثم أتى الثانية فقال : اسقه عسلا ثم أتاه الثالثة فقال : اسقه عسلا ثم أتاه فقال قد فعلت ، فقال : صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فبرأ" (٢) .

ولعل من أبرز فوائد العسل كما ذكرها علماء الطب الحديث أنه غذاء ليست له فضلات ، وغذاء مثالي للضعفاء والمرضى والأطفال ، وغذاء يريح الجهاز الهضمي ؛ لأنه لا يحتاج إلى مجهود في الهضم ، وغذاء يريح الكلى والكبد ؛ لأنه لا ينتج عنه فضلات سامة ، وغذاء طازج دائما فهو يحتفظ بقيمته الغذائية أطول وقت ممكن (٣) .

ب- التمر :

يعد التمر من الأطعمة الغنية بالفيتامينات والألياف المفيدة للبدن؛ لذا نجد القرآن الكريم ينوه بذكره ويؤكد على فوائده قال تعالى : (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ٢٥١ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا) (٤) ، وقد بين المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) أن : " من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر" (٥) .

وقد تعددت الدراسات العلمية التي تؤكد أن ثمرة التمر تحوي على عشرات العناصر الغذائية المهمة لدوام الجسم حيا نشيطا ، انما تحوي على نسبة عالية جدا من السكر السهل الهضم السريع الإمتصاص الذي يمد الجسم بالطاقة والحركة والحرارة (٦) ، فهو يعد غذاء متكامل .

ج - الزيتون

وقد ذكرت هذه الشجرة المباركة في القرآن الكريم بقوله تعالى : (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِّالْأَكْلِينَ ٢٠) (٧) ، وقال المفسرون : هي شجرة الزيتون ، والدهن هو زيت الزيتون والصبغ الأدم ، أي أن هذه الشجرة فيها ما ينتفع به من الدهن والأصطباغ ، وشجرة الزيتون هي من أكثر الشجر فائدة بزيتها وطعامها وخشبها (٨) .

د - الحبة السوداء

ذكر الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فوائدها بقوله : "إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام قلت وما السام قال : الموت" (٩) .

(١) سورة النحل ، اية (٦٩) .

(٢) البخاري ومسلم ، الجامع بين الصحيحين ، (كتاب الطب والرؤيا) ، ص ٢٤٩ .

(٣) رضا ، الطب النبوي ، ص ١٨٦ .

(٤) سورة مريم ، الاية (٢٥-٢٦) .

(٥) البخاري ومسلم ، الجامع بين الصحيحين ، (كتاب الطعام والشراب) ، ص ١٦٥ .

(٦) رقيط ، الرعاية الصحية ، ص ١٦٩ .

(٧) سورة المؤمنون ، اية (٢٠) .

(٨) رقيط ، الرعاية الصحية ، ص ٧٤ .

(٩) بخاري ومسلم ، الجامع بين الصحيحين ، (كتاب الطب والرقي والسحر) ، ص ٢٥٢-٢٥٣ .

وذكر الدكتور اكرم رضا في كتابه الطب النبوي : أن هناك تأثير خفيف للحبة السوداء على الكثير من اجهزة الجسم مثال :
تأثير انخفاض ضغط الدم وعدد ضربات القلب ، وخفض السكر ، وتأثير الجهاز التنفسي ، وتوقف نمو الكثير من الميكروبات ،
وغيرها من الفوائد^(١).

هـ - الخلل

نبه الرسول الكريم على أهمية الخلل وفوائده بحسب ماورد في الحديث الشريف "ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سال
أهله الأدم فقالوا : ما عندنا الا خل ، فدعا به فجعل يأكل به ويقول : نعم الأدم الخلل نعم الأدم الخلل"^(٢)، وقد ثبتت الدراسات
الحديثة ، إن مادة الخلل هي مادة مطهرة للأطعمة ، وتقضي على الجراثيم وتنقي الطعام.

و- ماء زمزم

ورد ذكره في الأحاديث النبوية الشريفة التي من خلالها أكد (صلى الله عليه وآله وسلم) على مدى أهميته بقوله : "خير ماء
على وجه الأرض ماء زمزم وفيه من الطعم وشفاء من السقم"^(٣).

وإن هناك أطعمة أخرى ذكرت في الكتاب والسنة منها القرع قال تعالى : (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ۝١٤٦) ^(٤)،
إذ إن يونس (عليه السلام) بعد خروجه من بطن الحوت وهو في حالة تعب شديد غذاه الله تعالى من تلك الشجرة^(٥).

٢- النظافة

وهي شعار الحضارة الإسلامية ، وكانت من ضمن تعليمات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، فقد عدت النظافة والطهارة
من أبرز مايتحلى به المؤمنون من صفات ، على نحو قوله تعالى : (وَيُحِبُّ الْمُنْتَهَبِينَ ۝٢٢٢) ^(٦).

وإن هناك العديد من التوجيهات النبوية الشريفة التي تحث على النظافة والحرص على المظهر الحسن ومنها نظافة الفم حيث
قال (عليه الصلاة والسلام): (لولا إن اشق على أمتي لامرهم بالسواك مع كل صلاة)^(٧)، ودعا المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)
إلى طهارة ونظافة الأماكن التي يتوقع فيها العرق والأوساخ والميكروبات^(٨).

وإن نظافة الملابس تعد مظهرا من مظاهر نظافة صاحبها ، والأهتمام بجمالها دليل على رقيه وذوقه ، وهذا ما اولته الشريعة
الإسلامية اهتمامها ، إذ إن القرآن الكريم أمر المسلمين على الإهتمام بزيتهم عند كل صلاة وفي أوقاتها الخمسة ، على نحو قوله
تعالى : (يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْرِي سَوْءَ تِكُمْ وَرِيَشًا ۖ وَلِبَاسًا تَتَفَوَّىٰ ذٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذٰلِكَ مِنْ ءَايٰتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ
يَذَكَّرُونَ ۝٢٦) ^(٩).

(١) ص ٧٠-٧١.

(٢) ابن حنبل ، مسند احمد ، ج ٣ ، ص ٣٠١ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج ٦ ، ص ١٢٥ ؛ ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، ج ٢ ، ص ١١٠٢.

(٣) الفاكهي ، اخبار مكة ، ج ٢ ، ص ٤١.

(٤) سورة الصافات ، اية (١٤٦).

(٥) رقيط ، الرعاية الصحية ، ص ٧٨.

(٦) سورة البقرة ، اية (٢٢٢).

(٧) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ١ ، ص ٣٠٣.

(٨) السرجاني ، قصة العلوم الطبية ، ص ٩٣.

(٩) سورة الاعراف ، اية (٢٦).

وبصدد ذلك كانت التوجيهات النبوية الشريفة هي دعوة المسلم إلى الصلاة بتياب نظيفة وعلى وجه الخصوص صلاة الجمعة ، فقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (ماعلى أحكمم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعه سوى ثوبي مهنته)^(١) ، و أكد (صلى الله عليه وآله وسلم) على نظافة مساكن المسلمين فقال : (إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا آراه قال أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود)^(٢).

وأكد (صلى الله عليه وآله وسلم) على نظافة المساجد والأهتمام بتطيب رائحتها ؛ لأنها معدة للصلاة واجتماع المسلمين وطلبة العلم والتفقه بالدين، وإلا نفروا من دخولها ؛ إن المتامل لما اتصفت به حجراته (صلى الله عليه وآله وسلم) يجد أنها تم تخطيطها بارقي المواصفات الصحية ، و لم يكن فيها كنف تؤذي ساكنها برائحتها بل على العكس رائحتها من أطيب العطور؛ لأنه كان يحب الطيب^(٣)؛ فمواصفاتها جديرة بأن تؤخذ بعين الاعتبار سواء في تخطيط المدن أو المنازل الخاصة.

ومن أجل بيئة سليمة نقية فقد شجع (صلى الله عليه وآله وسلم) على الأهتمام بالتشجير بقوله : (ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة)^(٤).

و أكد (صلى الله عليه وآله وسلم) على ممارسة الرياضة وعدها من أهم التدابير الصحية حيث تساعد الجسم على الحركة والحصول على اللياقة البدنية ، وشكل حسن ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)^(٥)، إذ إنه كان يتميز بلياقته البدنية ، فعن أبي هريرة قال : (مارايت شيئا أحسن من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مشيته كأنما الأرض له أنا لنجهد أنفسنا وأنه لغير مكترث)^(٦).

٣- الحجر الصحي

وردت أحاديث نبوية عديدة تحث على اتخاذ التدابير الوقائية من الأمراض المعدية قال (صلى الله عليه وآله وسلم) (وفر من المجذوم كما تفر من الأسد)^(٧)، فبين (صلى الله عليه وآله وسلم) أن أهم ما يمكن اتخاذه من اجراءات تساعد على منع انتشار الأمراض المعدية إذ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) (في الطاعون) (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه)^(٨).

فمن خلال هذا الحديث يتبين لنا أساس الحجر الصحي الذي وصفه (صلى الله عليه وآله وسلم) لمكافحة الأوبئة والأمراض المعدية ، وعدم الفتك بالناس والحد من انتشارها ؛ ولهذا طلب من تلك الاهالي التي انتشر الطاعون في بلدانهم بالمكوث وعدم الخروج منها ؛ تفاديا لانتقال العدوى للبلاد المجاورة لهم ، و بالوقت نفسه الحذر من انتقال العدوى إليهم ، وهذا ما نعمل به اليوم.

وأمر (صلى الله عليه وآله وسلم) (بقتل الكلاب المسعورة توخيا لانتقال أمراضها إلى الإنسان)^(٩) ، وبهذا يكون قد نبه إلى الحذر من انتقال الأمراض من الحيوان إلى الإنسان ، وهكذا يكون قد أسس ما يعرف بالطب الوقائي.

(١) ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ج١، ص٣٤٩.

(٢) الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٥، ص١١١.

(٣) ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، ص١٨٤-١٨٥.

(٤) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٢، ص٨١٧.

(٥) مسلم ، صحيح مسلم ، ج٨، ص٥٦ ؛ ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ج١، ص٣١.

(٦) الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٥، ص٦٠٤.

(٧) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٧، ص١٧.

(٨) ابن حنبل ، مسند احمد ، ج١، ص١٩٣ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤، ص١٥٠.

(٩) الرافي ، المصباح المنير ، ج١، ص٢٣٥.

٤- الصحة النفسية

للأمراض النفسية خطورة كبيرة للإنسان ، وهذا ما أكدته الطب الحديث ، إذ إن الاضطرابات النفسية منها (الحزن ، القلق ، الغضب ، الكآبة) كلها لها آثار سلبية على صحة الجسم وانسجة اعضاءه ؛ ولهذا وضع (صلى الله عليه وآله وسلم) برنامجا نفسيا متكاملًا ؛ لحماية الإنسان من تلك الاضطرابات وما يرافقها من أمراض ، و أكد في برنامجه على النقاط الآتية :-

١- التركيز على تعميق الإيمان بالله تعالى والربط بين الضغوط النفسية التي يتعرض لها الإنسان وبين ضعف الإيمان قال تعالى : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ١٢٥) (١).

٢- أمر المسلم بالتسلح بالاذكار والدعاء لمعالجة الهم والكرب والحزن ، فكان من دعائه (صلى الله عليه وآله وسلم) (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال) (٢).

٣- وأكد (صلى الله عليه وآله وسلم) على التبسم في وجه الآخرين علامة من علامات الصحة النفسية ، وإنها من صفات أهل الجنة نحو قوله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ٣٩) (٣) ، فالتبسم هو من صفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فكان دائما يلاطف اصحابه ويمازحهم بالحق ، فقد روي عن عبدالله بن الحارث (رضي الله عنه) إنه قال : (مارايت أحدا أكثر تبسما من رسول الله) (٤).

كل هذه أفعال توفر راحة نفسية مطمئنة بعيدا عن الحزن والكآبة والهم ، وبالوقت نفسه أنها غير مكلفة ولا تتطلب جهدا من صاحبها.

أكد (صلى الله عليه وآله وسلم) على الكلمة الطيبة وما يترتب عليها من آثار ايجابية في نفس الإنسان بقوله : (الكلمة الطيبة صدقة) (٥).

ثانيا : أطباء وطبيبات عصر الرسالة :

أغلب أطباء العهد النبوي هم أطباء مخضرمين عاشوا في العصر الجاهلي وعصر النبوة ، وسوف نعرض على تراجم البعض منهم باختصار ، ومن أهمهم :

١- الحارث بن كعب :

وهو طبيب العصر الإسلامي ، شهد النبي ويقال إنه حضر وفاة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بطعنته التي قتل فيها ، وربما شارك في مداواته منها (٦).

٢- ابن حذيم :

وهو من أشهر أطباء العرب ، وكان من أمهر المعالجين بالكلي ، ويضرب به المثل في الحذاقة في الطب ، فيقولون لمن ارادوا وصفه بذلك هو اطب من ابن حذيم (٧) ، وقال عنه الزمخشري : ".... أطب من ابن حذيم هو رجل من أطباء العرب" (٨).

(١) سورة طه ، اية (١٢٤-١٢٥).

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣، ص١٠٥٩.

(٣) سورة عبس ، الاية (٣٨-٣٩).

(٤) الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٥ ، ص٦٠١.

(٥) ابن حنبل ، مسند احمد ، ج٢ ، ص٣١٦ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٧، ص٧٩.

(٦) عكاوي ، الموجز ، ص٨٣.

(٧) سالم ، الطب النبوي ، ص٨٠.

(٨) المستقصى من الامثال ، ج١ ، ص٢٢٠.

٣- أبو رمثة التميمي :

وهو رفاعة بن يثرب أبو رمثة التميمي كان طبيبا معروفا وناجحا بالمداواة ، مزاولا لآعمال اليد وصناعة الجراح ، ولكنه لم يكن فائقا في العلم^(١).

٤- الشمردل بن قباب الكعدي النجرائي :

ورد في حديث قيس بن الربيع عن الشمردل بن قباب ، وكان في وفد الحارث بن كعب الذين قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاسلموا وقضى حوائجهم ، فقال الشمردل حين برك بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : "بأبي وامي ، كنت كاهن قومي في الجاهلية ، وقد اتى الله بالنبوة ، فأبطل كهانتي ، وانا رجل اتطببت فتابني المرأة الشابة ، وغير ذلك ، فما يحل لي ، قال : فصد العروق ، ومحسمة الطعنة ، وانتشار ان اضطربت ، ولا تجعل في دواتك شبر ما ، وعليك بالسنة والسنون ، ولا تداو احدا حتى تعرف داءه ، فاكب عليه فقبل ركبته ، ثم قال : والذي بعثك بالحق لانت اعلم مني"^(٢).

٥- ضماد بن ثعلبة الازدي :

كان يتطب ويطلب العلم ، أسلم في أول الإسلام ، وكان يرقى ، أي يعالج الداء بشيء يقرأ ثم ينفث من هذا الريح^(٣) ، وذكره الكتاني في كتابه التراتيب الإدارية بأنه كان طبيبا^(٤).

أما فيما يخص دور الطبيبات في تقديم أبرز الخدمات الطبية في عصر النبوة ، ومساهمتها الفعالة في هذا الميدان ، فمن أبرز النساء المسلمات اللاتي مارسن الطب في العهد النبوي كالاتي :-

١- أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) :

وهي أسماء بنت عبدالله بن عثمان التيمية ، وهي بنت أبي بكر الصديق وامها قتيلة بنت عبد العزى قرشية من بني عامر بن لؤي ، ووالدة عبدالله بن الزبير ، اسلمت قديما في مكة ، وعرفت بذات النطاقين ، توفيت سنة ٧٣ هـ^(٥). وكانت تؤتى بالمرأة الموعوكة فتدعوا بالماء فتصبه في جيبها ، وتقول إن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى أبردها بالماء^(٦).

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقدم توجيهاته الطبية للصحابيات في كيفية مداواة المرضى بالطرق الصحيحة.

٢- أمية بنت قيس أبي الصلت الغفارية :

اسلمت وبايعت بعد الهجرة ، وشهدت مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) خيبر سنة ٧ هـ ، قالت : "جئت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في نسوة من بني غفار ، فقلنا انا نريد ان نخرج معك إلى خيبر يارسول الله ، فتداوي الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : على بركة الله ، قالت : فخرجنا معه"^(٧).

فمن ذلك يتبين أن أمية الغفارية كانت على معرفة ودراية بالأمور الطبية وطرق علاجها ، وكيف يتم أعداد العقاقير الطبية التي تناسب كل داء ، ومداواة الجرحى من خلال مشاركتها في بعض الغزوات التي قادها (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقيامها

(١) عكاوي ، الموجز ، ص٨٣.

(٢) ابن الجوزي ، العلل المتناهية ، ج٢ ، ص٨٨٢ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ج٣ ، ص٣٥٨ ؛ الكتاني ، التراتيب الادارية ، ج١ ، ص٤٦٢.

(٣) القاري ، مرقاة المفاتيح ، ج١٠ ، ص٥٣٧.

(٤) ج١ ، ص٤٦٢.

(٥) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٣ ، ص٣٠٠.

(٦) مسلم ، صحيح مسلم ، ج٧ ، ص٢٣-٢٤ ؛ ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، ج٢ ، ص١١٥٠.

(٧) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٢٩٣.

بتضميد جروح المجاهدين المسلمين ، وتواصلها ليلا ونهارا بهذا العمل الإنساني بكل محبة دون أدنى ملل او كلل ؛ لانها كانت تشعر بانها جزء من هذا المجتمع الاسلامي ، ويتحتم على ضميرها ان تساهم وتشارك في بنائه.

٣- أم زياد الاشجعية :

وهي سادس ست نسوة غزون مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم خيبر ، إذ قالت : "خرجنا ومعنا دواء نداوي به الجرحى ، ونناول السهام ، ونسقي السويق، ونغزل الشعر"^(١).

٤- أم سليم :

وهي بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الانصارية ، اشتهرت بكنتيتها واختلف في اسمها ، فقيل سهلة ، وقيل : رميلة ، وقيل : رميثة ، وقيل : مليكة ، وقيل : الغميصاء أو الرميضاء ، تزوجت مالك بن النضر في الجاهلية فولدت أنسا في الجاهلية ، واسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الانصار فغضب مالك وخرج إلى الشام فمات بها فتزوجت بعده أبا طلحة^(٢)، وعن انس بن مالك (رضي الله عنه) قال : "كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يغزو بام سليم ونسوة من الأنصار معه ، إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى"^(٣).

٥- أم سنان الأسلمية:

خرجت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في غزوة خيبر تسقي وتداوي الجرحى^(٤) .

٦- أم عطية الأنصارية:

وهي نسيبة بنت كعب المازنية ، اسلمت وبايعت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وغزت معه وردت عنه ، فعن أم عطية قالت : "غزت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سبع غزوات ، فكنت أصنع لهم طعامهم ، واخلفهم في رحالهم ، واداوي الجرحى واقوم على المرضى"^(٥).

٧- أم ايمن:

مولاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحاضنته ، قال أبو عمر اسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان ، كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : "أم أيمن بعد امي"^(٦) ، كانت قد حضرت أحدا وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى^(٧).

٨- حمنة بنت جحش:

وهي حمنة بنت بنت جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه^(٨) ، كانت تسقي العطشى وتداوي الجرحى^(٩).

(١) ابن الاثير ، اسد الغابة ، ج٧، ص٣٦٣.

(٢) ابن حجر ، الاصابة ، ج٨، ص٢٢٧.

(٣) مسلم ، صحيح مسلم ، ج٣، ص١٤٤٣.

(٤) ابن حجر ، الاصابة ، ج٨، ص٢٣١.

(٥) الكتاني ، التراتيب الادارية ، ج٢، ص١١٤.

(٦) ابن حجر ، الاصابة ، ج٨ ، ص١٦٩.

(٧) الواقدي ، فتوح الشام ، ج١، ص٢٢١.

(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص١١٦.

(٩) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٢٢١.

٩- الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية:

صحابية جليلة ، صحبت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وغزت معه ، فعن الربيع بنت معاذ بن عفراء قالت : "كنا نغزو مع رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فنسقيهم الماء ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى الى المدينة"^(١).

١٠- ربيعة الإسلامية :

مارست الجراحة وتميزت بها ، واختارها (صلى الله عليه وآله وسلم) لهذا المجال ، فاتخذت خيمة ومارست عملها فيها ، وجعل (صلى الله عليه وآله وسلم) سعد بن معاذ عند اصابته يوم الخندق في خيمة في المسجد تسكنها ربيعة الإسلامية حيث كانت تتصف بانها صالحة تقوم على المرضى وتداوي الجرحى ليعوده النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن قرب^(٢).

١١- الشفاء بنت عبدالله :

اشتغلت بالطب في الجاهلية ، وعاصرت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبايعته بمكة ، اشتهرت بمعالجة الامراض الجلدية في الجاهلية وفي الاسلام ، استأذنت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بمباشرة عملها فاذن لها بذلك^(٣)، توفيت سنة ٢٠هـ/٤١٦م^(٤).

١٢- عائشة بنت أبو بكر الصديق (رضي الله عنها):

شهدت مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عدة غزوات ، وكانت تداوي الجرحى ، وتسقيهم في غزوة أحد^(٥)، وكانت لها بعض النصائح الطبية ، وكانت تشجع على شرب اللبن ، لما لها من أثر إيجابي على النفس تذهب الهم والحزن^(٦).

١٣- فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):

كان لها دور كبير في مداواة والدها (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم احد ، فعن عبدالله بن مسلمة قال : حدثنا عبدالعزيز بن ابي حازم عن ابيه عن سهل (رضي الله عنه) أنه سئل عن جرح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم أحد فقال : "جرح وجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكسرت ربايعته ، وهشمت البيضة على راسه ، فكانت فاطمة (رضي الله عنها) تغسل الدم وعلي (عليه السلام) يمسك ، فلما رات أن الدم لا يزيد إلا أكثر ، اخذت حصيرا فاحرقته حتى صار رمادا ثم الزقته فاستمسك الدم"^(٧).

١٤- معاذة الغفارية :

كان لها دور كبير في اسفار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تعني بالمرضى وتداوي الجرحى ، قالت : "كنت انيسا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، اخرج معه في الاسفار اقوم على المرضى ، وادوي الجرحى"^(٨).

وبهذا يمكننا القول بأن مسالة اسعاف الجرحى كان من اختصاص الصحابيات الجليلات ، إذ كن يعدنه واجبا في التضحية ، وكن ينفذن بين الرجال فيرافقن الغزاة مسعفات معالجات يحملن اواني الماء ، وما يحتاجن من اللقائف والجباثر وغيرها من وسائل الاسعاف يرعين الجرحى ويجبرن كسورهم ، ومنهن من كن يشتركن في المعارك ، وكانت لهن مواقف مشهورة وسير معروفة فبركت جهوهن والمتمثلة باياديهن الممتلئة بدماء جرحى المسلمين لعلاجهم.

(١) الحنظلي ، مسند اسحاق بن راهوية ، ج ٥ ، ص ١٣٩.

(٢) الظاهري ، جوامع السيرة ، ج ١ ، ص ١٩٤.

(٣) الهوي ، تاريخ الطب ، ص ٤٥.

(٤) ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٥٢ ؛ ابن حنبل ، مسند احمد ، ج ٦ ، ص ٣٧٢.

(٥) ابن حجر ، الاصابة ، ج ٧ ، ص ٢٢٧.

(٦) ابن حنبل ، مسند احمد ، ج ٦ ، ص ٨٠ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٦ ، ص ٢٠٥.

(٧) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٣ ، ص ١٠٦٦.

(٨) ابن الاثير ، اسد الغابة ، ج ٧ ، ص ٢٨٩.

الخاتمة

- بعد أن اسدلنا الستار عن موضوع (أطباء وطبيبات عصر الرسالة - دراسة تاريخية) توصلنا إلى النتائج الآتية :
- ١- كان لأطبائنا وطبيباتنا اليوم دور مطابق تماما لدورهم في العهد النبوي أوقات انتشار الأمراض والأوبئة ، إذ إن الاثنين كانوا يمثلون الخط الأول في مواجهة الأوبئة وتعريض حياتهم للخطر بغية العناية بالمرضى وتقديم يد العون والمساعدة لهم للتغلب على المرض وشفائهم.
 - ٢- كانت التدابير الصحية زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هي ذاتها ومطابقة تماما للتدابير الصحية التي اتخذت في وضعنا الراهن من خلال الاقتداء بالتوصيات التي وجه بها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأكد على ضرورة اتخاذها للوقاية من الأمراض والأوبئة المعدية.
 - ٣- تعد الآيات القرآنية واقوال المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) مطابقة تماما لما وصل اليه العلم الحديث التي تؤكد على أهمية بعض الأطعمة الطبية والصحية ، حيث تنوعت توجيهاته (صلى الله عليه وآله وسلم) فمنها مايتعلق بنوع الطعام ومنها مايتعلق بسلوك الإنسان الغذائي.
 - ٤- تعد التوجيهات النبوية الصحية هي الدعائم الرئيسة للنهضة الطبية والصحية التي شهدها العالم فيما بعد ، وهي المعين الذي شرب منه الأطباء جيلا بعد جيل ، فهي بمثابة المفاتيح التي سهلت على العلماء سبل البحث والتقصي ، وهي تعد نقطة تحول في مجال الطب الصحة العامة ، و نقلت هذا العلم الجليل من الأسطورة والشعوذة إلى العلم والتجربة.

قائمة المصادر والمراجع

اولا : المصادر الأولية

- القرآن الكريم

- ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد عبدالكريم الجزري الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م).
- ١- اسد الغابة في معرفة الصحابة ، تح : عادل احمد الرفاعي ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت-١٤١٧هـ).
- البخاري ، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م).
- ٢- صحيح البخاري ، تح : د. مصطفى ديب البغا ، ط٣ ، دار ابن كثير ، (بيروت-١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- ٣- الجامع بين الصحيحين ، ترتيب : د. صالح احمد الشامي ، ط١ ، دار القلم ، (دمشق-١٤١٥هـ).
- الترمذي ، محمد بن عيسى ابو عيسى السلمي (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م).
- ٤- سنن الترمذي ، تح : احمد محمد شاكر واخرون ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت- د.ت).
- ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م).
- ٥- العلل المتناهية في الاحاديث الواهية ، تح : خليل الميس ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت-١٤٠٣هـ).
- ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي ابو الفضل (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م).
- ٦- الاصابة في تمييز الصحابة ، تح : علي محمد البجاوي ، ط١ ، دار الجيل ، (بيروت-١٤١٢هـ).
- ٧- فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، تح : محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، (بيروت-د.ت).
- ابن حنبل ، احمد ابو علي الشيباني (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م).
- ٨- مسند الامام احمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة ، (مصر- د.ت).
- الحنظلي ، اسحاق بن ابراهيم بن مخلد بن راهوية (ت ٢٣٨هـ/٨٥٢م).
- ٩- مسند اسحاق بن راهوية ، تح : د. عبدالغفور بن عبد الحق البلوشي ، ط١ ، مكتبة الايمان ، (المدينة المنورة-١٤١٢هـ).

- الرافي ، احمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت ١٣٦٨م/٧٧٠هـ).
 - ١٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، المكتبة العلمية ، (بيروت- د.ت).
 - الزنجشيري ، ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد بن جارالله (ت ١١٤٣م/٥٣٨هـ).
 - ١١- المستقصى في امثال العرب ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت- ١٤٠٧هـ).
 - ابن سعد ، محمد بن منيع ابو عبدالله البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م).
 - ١٢- الطبقات الكبرى ، دار صادر ، (بيروت- د.ت).
 - ابن شبة النميري ، ابو زيد عمر بن شبة البصري (ت ٢٦٢هـ/٨٧٦م).
 - ١٣- تاريخ المدينة المنورة ، تح : علي محمد دندل واخرين ، دار الكتب العلمية ، (بيروت- ١٤١٧هـ).
 - الظاهري ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي القرطبي (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م).
 - ١٤- جوامع السيرة ، (د.م - د.ت).
 - الفاكهي ، محمد بن اسحاق بن العباس ابو عبدالله (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م).
 - ١٥- اخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تح : د. عبد الملك عبدالله دهيش ، ط ٢ ، دار خضر (بيروت- ١٤١٤هـ).
 - القاري ، علي بن سلطان محمد (ت ١٠١٤هـ/١٦٠٥م).
 - ١٦- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت- ١٤٢٢هـ).
 - ابن القيم الجوزية ، الحافظ شمس الدين (ت ٧٥١هـ/١٣٤٩م).
 - ١٧- الطب النبوي ، ط ١ ، مكتبة العلا ، (الشارقة - ١٤٢٤هـ).
 - ابن ماجه ، محمد بن يزيد ابو عبدالله القزويني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م).
 - ١٨- سنن ابن ماجه ، تح : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر ، (بيروت- د.ت).
 - مسلم ، ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ/٨٧٥م).
 - ١٩- صحيح مسلم ، تح : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت- ١٤١١هـ).
 - الواقدي ، ابو عبدالله محمد بن عمر بن واقد السهمي (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م).
 - ٢٠- فتوح الشام ، دار الجيل ، (بيروت - د.ت).
 - ٢١- المغازي ، تح : محمد عبدالقادر ، احمد عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت- ١٤٢٥هـ).
- ثانيا : المراجع الحديثة
- رضا ، اكرم
 - ٢٢- الطب النبوي (دراسة صيدلانية حول العقاقير النبوية وكيفية الاستفادة منها) ، ط ١ ، دار الوفاء ، (القاهرة - ١٤٢٧هـ).
 - رقيط ، حمد حسن
 - ٢٣- الرعاية الصحية والرياضية في الاسلام ، ط ١ ، دار ابن حزم ، (بيروت - ١٤١٧هـ).
 - سالم ، مختار
 - ٢٤- الطب الاسلامي بين العقيدة والابداع ، مراجعة الشيخ : احمد محي الدين العجوز ، ط ١ ، مؤسسة المعارف ، (بيروت - ١٤٠٨هـ).
 - السرجاني ، راغب الحنفي .
 - ٢٥- قصة العلوم الطبية في الحضارة الاسلامية ، ط ١ ، مؤسسة اقرأ ، (القاهرة - ١٤٣٠هـ).

- عكاوي ، رحاب خضر .
- ٢٦- الموجز في تاريخ الطب عند العرب ، ط ١ ، دار المناهل ، (بيروت - ١٤١٥ هـ).
- الكتاني ، عبدالحفي .
- ٢٧- التراتيب الادارية ، دار الكتاب العربي ، (بيروت - د.ت).
- الهوني ، فرج محمد .
- ٢٨- تاريخ الطب في الحضارة العربية الاسلامية ، ط ١ ، الدار الجماهيرية ، (ليبيا - ١٤٠٦ هـ).

ملامح النظام العالمي بعد انحسار جائحة كورونا

أ.م.د. ماهر جاسب حاتم الفهد

التخصص العلمي (التاريخ / تاريخ حديث ومعاصر)

كلية الإمام الكاظم (ع) / أقسام ميسان محافظة ميسان، جمهورية العراق

maherhatem1982@gmail.com

الملخص

تسبب التفشي المتسارع لفيروس كورونا في أصقاع الكرة الأرضية بتعطيل الحياة في دول ومدن عديدة، فأغلقت الأسواق وعطلت حركة السفر وتضرر اقتصاد العالم بأسره، وفي ضوء هذه التحديات برزت كفاءة حكومات وكشفت فشل أخرى غيرها . وتعد جائحة كورونا شأنها شأن أحداث مفصلية في التاريخ، مثل سقوط جدار برلين أو انهيار الإتحاد السوفيتي، فهي حدث عالمي مدمر يصعب تخيل عواقبه على المدى البعيد .

وسعياً وراء الكشف عن ملامح النظام العالمي بعد انحسار جائحة كورونا، فيمكن القول أن المنتصرين في المعركة ضد فيروس كورونا القتال هم من سيتسنى لهم كتابة التاريخ كما هي الحال عبر تاريخ البشرية. فكافة الدول باتت تعاني من الإجهاد المجتمعي الناجم عن انتشار الفيروس بطرق جديدة وقوية، فالدول التي تنجو بفضل نظمها السياسية والاقتصادية والصحية الفريدة، ستفوز على الدول التي خرجت بنتائج مختلفة ومدمرة في معركتها ضد هذا الوباء . وستكون النظرة لما ستسفر عنه المعركة ضد كورونا تتراوح بين من يرى فيها انتصاراً حاسماً للديمقراطية والتعددية والرعاية الصحية الشاملة، فيما سيرى فيها بعضهم دليلاً على الفوائد الجلية للحكم الاستبدادي الحاسم .

وربما يتعرض النظام الدولي لضغوط كثيرة بسبب الفيروس، فربما يؤدي إلى عدم الاستقرار وإلى نزاع واسع النطاق داخل بعض الدول أو فيما بينها . وربما سيُسرع انتشار الوباء وتيرة تحول السلطة والنفوذ من الغرب إلى الشرق، ويتضح ذلك من خلال استجابة دول شرقية لمواجهة الوباء مثل كوريا الجنوبية وسنغافورة واليابان بشكل أفضل من بعض الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، أضف إلى ذلك، أن تعاطي الصين كان جيداً بالرغم من تعثرها في البداية عند اكتشاف الفيروس، في حين إن الاستجابة البطيئة والمتخبطة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، كانت من الأشياء التي شوهدت الهالة التي طالما أحاطت بالتعامل الغربي .

الكلمات المفتاحية :- الولايات المتحدة، الصين، كورونا، النظام العالمي، القطبية .

Summary

The rapid spread of the Corona virus has affected the globe in disrupting life in many countries and cities, closing markets, disrupting travel and harming the economy of the entire world, and in light of these challenges, the competence of governments has emerged and revealed other failures. The Corona pandemic, like articulated events in history, such as the fall of the Berlin Wall or the collapse of the Soviet Union, is a devastating global event that is difficult to imagine in the long run .

In an effort to reveal the features of the world order after the Corona pandemic receded, it can be said that the victors in the battle against the deadly Corona virus are the ones who will be able to write history as it is throughout human history. All countries are suffering from societal stress caused by the spread of the virus in new and powerful ways. Countries that survive thanks to their

unique political, economic and health systems will win over countries that have produced different and devastating results in their battle against the epidemic. The outlook for the outcome of the battle against Corona will range from those who see it as a decisive victory for democracy, pluralism and universal health care, while some will see it as evidence of the evident benefits of decisive authoritarian rule .

The international system may be exposed to a lot of pressure due to the virus, as it may lead to instability and to a widespread conflict within or between some countries. Perhaps the spread of the epidemic will accelerate the transition of power and influence from the west to the east, and this is evident by the response of eastern countries to face the epidemic such as South Korea, Singapore and Japan better than some European countries and the United States of America. In addition, the abuse of China was good despite its failure in The beginning was when the virus was discovered, while the slow and confused response in Europe and the United States of America was one of the things that distorted the aura that has long surrounded Western engagement .

Key words: - United States, China, Corona, world order, polarity .

المقدمة :- انتشار الفيروس وتفاعل العالم معه :-

لم يكن غريباً أن يُطلق وباء كورونا (Corona Viruses) _ يعرف علمياً بـ "كوفيد ١٩ - Covid 19 _ موجة واسعة النطاق من الجدل حول مستقبل العالم والمؤسسات والانظمة التي تركز إليها المنظومة الدولية، فهذا وباء غير مسبوق، على الأقل من ناحية وعي الانسان والمجتمعات به، فالذاكرة البشرية تعرف أوبئة أكثر شدة وضراوة، من طاعون منتصف القرن الرابع عشر إلى الإنفلونزا الإسبانية في (١٩١٨ - ١٩١٩)^(١)، ولكن لا وسائل الاتصال في حقبة الأوبئة السابقة، كانت بالسرعة واللحظية التي تتسم بها اليوم، ولا توقعات الانسان من دولته كانت بالمستوى التي هي عليها الآن، فخلال أسابيع من انتشار فيروس كورونا خارج الصين، بدأت عشرات، بل مئات الملايين من البشر يعيشون انتشار الوباء، ووقعه، وأثره الإنساني والاجتماعي والاقتصادي في معايشة ومعاينة واقعية ملموسة^(٢) .

وفي العاشر من نيسان ٢٠٢٠، كان الوباء قد أصاب ما يزيد عن المليون ونصف المليون شخص (مع وجود إصابات أكثر بكثير من ذلك، لم تُفحص بعد، ولم تُدرج بالتالي في الارقام الرسمية)، وقتل ما يزيد عن (١٠٠،٠٠٠) شخص من المصابين، وعصف بالحياة الإنسانية كما لم تعصف بها رياح الحروب، وبالرغم من أن نصف الكرة الشمالي يبدو الأكثر تأثراً حتى الآن، بلغ عدد الدول التي اعلنت عن وجود حالات مرضية ما يزيد عن (٢٠٠) دولة، ثلث هذه الدول، على الأقل أعلن منذ النصف الأول من آذار، دولة بعد الأخرى، عن إغلاق كامل أو شبه كامل، للأنشطة الاجتماعية والاقتصادية، وعن تطبيق قواعد صارمة للتباعد الاجتماعي، أملاً في محاصرة الوباء، فمدن كبرى في شرق العالم وغربه، من اسطنبول ولندن وباريس إلى نيويورك، كانت تعج بالحياة وترسم صورة

(١) الإنفلونزا الإسبانية :- أشد الأوبئة التي حدثت في تاريخ البشرية، ويعتقد أنها تسببت في وفاة (٢٠ - ٥٠) مليون في أنحاء العالم، ولشدتها، وصفت بأنها الفيروس الثاني الأكثر دراسة في العالم، بعد فيروس العوز المناعي البشري (HIV) . للتوسع في المعلومات يُنظر :-
فريدريك فانيورون، الإنفلونزا الإسبانية : عودة إلى وباء ١٩١٨ - ١٩١٩، ترجمة : محمد حبيدة، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية : مركز مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، ١٥ ابريل ٢٠٢٠، ص٣ - ٢٠ ؛ Jeffery K.Taubenberger and David M.Morenst, 1918
Influenza : The Mother of All Pandemics, Emerging Infectious Diseases, www.cdc.gov/eid, Vol.12, No.1, January 2006, Pp. 15 - 22 .

(٢) مركز الجزيرة للدراسات، ما بعد وباء كوفيد ١٩ : أي عالم يمكن توقعه؟، قطر، مركز الجزيرة للدراسات، ١٣ نيسان ٢٠٢٠، ص٢ .

عالم القرن الحادي والعشرين، تحولت إلى مدن شبه صامتة، مغلفة بالخوف والقلق وفقدان اليقين^(١). وبالتأكيد ستكون هناك انعكاسات كبيرة على المستويات الاقتصادية والاجتماعية وأخرى غيرها على مستوى العالم.

الحياة الاقتصادية بعد انحسار كورونا

كان لاري إيليويت (Larry Elliott) (محرر الغارديان الاقتصادي) في ٢٠ آذار، من الأوائل الذين توقعوا انكماشاً حاداً في الاقتصاد العالمي، بفعل الطابع الوبائي لكورونا، وخلال اسابيع قليلة، أكدت مؤسسات مالية دولية وخاصة، بما في ذلك صندوق النقد^(٢) والبنك^(٣) الدوليين، أن الاقتصاد العالمي دخل بالفعل مرحلة من التراجع الاقتصادي، وأن تفاقم الأوضاع، قد يجر العالم إلى كساد اقتصادي يفوق أزمة (٢٠٠٨ - ٢٠٠٩)^(٤)، وربما حتى الكساد العظيم (Great Depression)^(٥) في عام ١٩٢٩^(٦).

فهناك مؤشرات يفرضها كورونا على المستوى العالمي، فبالرغم من أن الصراع الاقتصادي القائم بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين، قد ألقى بظلاله على الاقتصاد العالمي ككل، إلا أنه يبدو أن تأثيرات تفشي فيروس كورونا ستكون هي التحدي الأصعب الذي سيواجه الاقتصاد العالمي في المرحلة المقبلة، إذ يُشير تقرير وكالة أونكتاد (مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية) (United Nations Conference on Trade and Development) إلى أن الأزمة التي تسبب بها كورونا ستؤدي إلى ركود في الاقتصاد العالمي، وهو ما سيتسبب في انخفاض النمو السنوي العالمي لهذا العام بنسبة (٥,٢ %)، وقد يسوء الوضع إلى درجة تسجيل عجز في الدخل العالمي بقيمة (٢٠٠٠) مليار دولار، وذلك يعني انهيار الاقتصاد العالمي ككل، في تكرار لمشهد

(٣) المصدر نفسه، ص ٢.

(١) للتوسع في سياسات وممارسات صندوق النقد الدولي يُنظر :-

معهد تنمية القدرات (صندوق النقد الدولي)، سياسات وممارسات صندوق النقد الدولي في مجال تنمية القدرات، صندوق النقد الدولي، واشنطن، ٢٦ آب ٢٠١٤، ص ١ - ١٦.

(٢) للتوسع في عمل ونشاط البنك الدولي للإنشاء والتعمير، يُنظر :-

البنك الدولي للإنشاء والتعمير، اتفاقية إنشاء البنك الدولي للإنشاء والتعمير، البنك الدولي للإنشاء والتعمير، ١٦ شباط ١٩٨٩، ص ١ - ٥٣.

(٣) أزمة (٢٠٠٨ - ٢٠٠٩) :- تُعد أسوأ كارثة اقتصادية منذ الكساد العظيم، والتي أدت إلى تدمير الاقتصاد العالمي في عام ٢٠٠٨، أدى ذلك إلى ما يُعرف بـ " الركود الكبير "، والذي أدى إلى انخفاض أسعار المساكن وارتفاع حاد في معدلات البطالة، وكانت تداعياتها هائلة وما زالت تؤثر على الأنظمة المالية اليوم. في الولايات المتحدة فقد أكثر من ثمانية ملايين مواطن وظائفهم، وتم تدمير ما يقرب من (٢,٥) مليون عمل، وحُجزت حوالي أربعة ملايين منزل في أقل من عامين. ومن انعدام الأمن الغذائي إلى عدم المساواة في الدخل، فقد العديد من المواطنين الثقة في النظام. على الرغم من أن الركود انتهى رسمياً في عام ٢٠٠٩، إلا أن المعاناة استمرت، خاصة في الولايات المتحدة، إذ بلغ معدل البطالة (١٠ %) في عام ٢٠٠٩، وتم استرداده إلى مستويات ما قبل الأزمة فقط في عام ٢٠١٦. للتوسع في تفاصيل الأزمة وآثارها يُنظر :-

صندوق النقد العربي، الأزمة المالية العالمية وتداعياتها على الاقتصادات العربية، صندوق النقد العربي، كانون الأول ٢٠٠٨، ص ١ - ٢٣؛ محمد أيمن عزت الميداني، الأزمة المالية العالمية: أسبابها وتداعياتها ومنعكساتها على الاقتصاد العالمي والعربي والسوري، محاضرة أُلقيت في ندوة الثلاثاء - جمعية العلوم الاقتصادية السورية، سوريا، ٢٠٠٩، ص ١ - ١٧.

(٤) الكساد العظيم :- هو أكبر وأهم مدة تدهور اقتصادي عرفها التاريخ الحديث، ويُعد في القرن الحالي مؤشراً لقياس العمق الذي يمكن أن يهوي إليه الاقتصاد العالمي، وكانت أسواق المال الأمريكية أول ضحايا الأزمة، وتم التاريخ لها بأخبار بورصة نيويورك في حي المال أو (وول ستريت) يوم ٢٤ تشرين الأول الأول عام ١٩٢٩، الذي أطلق عليه " الخميس الأسود "، وتبعه " الثلاثاء الأسود " يوم ٢٩ تشرين الأول من السنة نفسها، وحدث ذلك بسبب طرح (١٣) مليون سهماً للبيع، لكنها لم تجد مشترين، لتفقد قيمتها. ونشر الوضع الاقتصادي الدرع لدى المستثمرين في البورصة، وبادر الوسطاء إلى البيع بكثافة، ليجد آلاف المساهمين بعد ذلك أنفسهم مفلسين. للتوسع في الأزمة وآثارها يُنظر :-

داودي ميمونة، ظهور الأزمات المالية: دراسة أزمة الكساد الكبير (١٩٢٩ - ١٩٣٣) والأزمة المالية (٢٠٠٧ - ٢٠٠٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التجارة وعلوم التسيير (المدرسة الدكتورالية للاقتصاد وإدارة الأعمال)، جامعة وهران، ٢٠١٤.

(٥) مركز الجزيرة للدراسات، المصدر السابق، ص ٤.

الكساد الكبير، الذي أعقب الأزمة الاقتصادية لعام ١٩٢٩ من القرن الماضي، والتي كان تأثيرها مدمراً على كل الدول دون استثناء، خصوصاً أن الاقتصاد العالمي لم يتعافَ بعد من تأثيرات أزمة (٢٠٠٨ - ٢٠٠٩) المالية، والتي حدثت نتيجة للهشاشة المالية للنظام الاقتصادي العالمي^(١).

وبخلاف أزمات (١٩٢٩، ١٩٨٧، ١٩٩٨، ٢٠٠٨) أن تدهور الاقتصاد العالمي هذه المرة لم يولد في منطقة معينة من العالم، ولا بفعل عامل اقتصادي - مالي مُحدد، فالتدهور هذه المرة، عالمي الطابع، يطول كافة الاقتصادات الكبرى والمتوسطة والصغيرة، وطالما أن لا يوجد أحد يتوقع أو يعرف مسيرة الوباء، وأثره على كل دولة على حدة، ولا كيفية محاصرته، فإن وقع الوباء الاقتصادي لم يزل محل جدل، فثمة من يقول: "إن دولاً، مثل الصين، نجحت في محاصرة الوباء بصورة مبكرة، وهي في طريقها لاستعادة معدلات الانتاج السابقة على انتشار الوباء؛ ودولاً، مثل السويد وبعض دول نصف الكرة الجنوبي، التي تجنبت الإغلاق الكلي أو الجزئي؛ ستكون أقل تأثراً بالأزمة الاقتصادية"^(٢).

لكن هذه الحسابات ليست صحيحة تماماً؛ فالمشكلة أن الوباء أصاب العملية الاقتصادية على مستوى العالم بكافة مراحلها (الانتاج - التوزيع - الاستهلاك)، وإن التعقيد المتزايد في شبكة التوزيع والإمداد، التي يركز إليها الاقتصاد العالمي، تجعل بنية هذه الشبكة أكثر هشاشة، وقد لجأت القوى الكبرى، سيما بعد نهاية الحرب الباردة (١٩٤٥ - ١٩٩١)، إلى هذا التعقيد بوصفه دافعاً للأعتماد المتبادل بين الدول ووسيلة فعالة لمنع الحرب، طالما أن قطاعات هائلة من السلع والمنتجات تقوم على مواد وقطع تُصنع في عديد من الدول وليس في دولة واحدة، ولكن كلما ازداد تعقيد منظومة اقتصادية ما، أصبح من الصعب إصلاحها إن توقفت أو أصابها الخلل، وبتصاعد مستوى التوتر بين الاقتصادات الكبرى، فإن المتوقع أن تصبح عملية الإصلاح أكثر صعوبة^(٣).

أضف إلى ذلك، أن فصل سلاسل توريد التكنولوجيا بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين قد تسبب في تعطيل التدفقات الثنائية للتكنولوجيا والاستثمار، وربما هذا الفصل، سيضمحل قطاعات اقتصادية أخرى، ولن يؤثر هذا التوجه بالسلب على قطاع التكنولوجيا العالمي (الذي يبلغ ٥ تريليونات دولار) فقط، بل سيؤثر على الصناعات الأخرى، الأمر الذي قد يتسبب في خلق فجوة تجارية واقتصادية وثقافية عميقة، تُهدد بأتساع ما أُطلق عليه "جدار برلين الافتراضي" بين الطرفين، وقد سُرّع انتشار الوباء من الفصل، ليشمل قطاعي التصنيع والخدمات، الأمر الذي أجبر العديد من الشركات على تبديل سلاسل التوريد، وإغلاق المرافق، ونقل الموظفين إلى قطاعات عمل مختلفة، وربما ستواجه هذه الشركات خيارات صعبة حول نقل سلاسل التوريد بشكل دائم من الصين، خوفاً من خطر الإفراط في تركيز الانتاج هناك، مما سيرسخ من اتجاهات الفصل بين أكبر اقتصادين في العالم، وسيضع مزيداً من التحديات أمام الدول؛ لموازنة العلاقات مع كلا الجانبين^(٤).

خاصة وأن الفيروس ظهر في ذروة التنافس التجاري والعقوبات المتبادلة بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين، وبالتحديد في كانون الأول ٢٠١٩، في مقاطعة ووهان، المعقل الصناعي الاضخم في الصين، مُتسبباً بانخفاض كبير في الإنتاج، وحالة من الهلع والقلق النفسي، وشلل في حركة المواصلات والملاحة؛ نتيجة توقيف الدراسة والدوام، وإغلاق العديد من الدول حدودها، وفرض حظر

(١) مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، تأثيرات كورونا على التنافس الاقتصادي بين الصين وأمريكا، منشورات وحدة الرصد والتحليل: مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، اسطنبول، ٢٠٢٠، ص ٨.

(٢) مركز الجزيرة للدراسات، المصدر السابق، ص ٤ - ٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥.

(٤) إسراء إسماعيل، الركود الجيوسياسي: المخاطر العشرة الأكثر تأثيراً في عالم ما بعد كورونا، مركز المستقبل للدراسات والبحوث (مجموعة أوراسيا)، الاثنين، ٤ أيار ٢٠٢٠، ص ٢.

التجوال والتجمعات، وتوقف العديد من المصانع وحركة المواصلات، نتيجة الإجراءات التي فرضتها السلطات في محاولة للحد من انتشاره وتقليل الخسائر المترتبة عليه، وقد صنفته منظمة الصحة العالمية بـ " جائحة عالمية" (١) .

عموماً، وباستثناء المواد الطبية والصحية والصناعات الغذائية، فإن عودة عجلة الانتاج في بلد ما لطبيعتها لا يعني الكثير، طالما أن وسائل النقل والتوزيع لا تعمل، وأن المستهلك أحجم عن الاستهلاك، والأمر الذي يجعل التدهور الاقتصادي أكثر تفاقماً، أن الوباء تسبب في تراجع غير مسبوق في قطاع الخدمات، من السياحة والنقل الجوي، والتعاملات المالية، إلى المقاهي والمطاعم . وبالتالي لم يكن غريباً أن تطلق نذر الازمة الاقتصادية، وردود فعل دول الاقتصادات الكبرى عليها، جديلاً واسع النطاق حول مصير النمط الاقتصادي النيوليبرالي (٢)، الذي صعد بصورة حثيثة منذ الثمانينيات ليتحول إلى الإطار المرجعي للسياسات الاقتصادية عبر العالم، بعد أن تبنته إدارة الرئيس الأمريكي رونالد ريغان (Ronald Reagan) (٣)، وحكومة مارجريت تاتشر (Margaret Thatcher) (٤) البريطانية، ثم حكومة أوغستو بينوشيه (Augusto Pinochet) في تشيلي، وتوركوت أوزال (Turgut Ozal) في تركيا، وحكومات أخرى غيرها، وبانحياز الإتحاد السوفيتي والكتلة الشيوعية في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، أكتسب النموذج النيوليبرالي جاذبية عالمية، ليصبح النمط الاقتصادي الجديد للعالم (٥) .

لكن بعد انتشار الوباء، ومن خلال حزم الإنفاق والدعم المالي الهائلة التي أعلنت عنها بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وعدد من الدول الغربية والآسيوية الأخرى، وبدرجة أقل تركيا، إن علامات أستفهام كبيرة بدأت في الظهور حول مصير الاقتصاد النيوليبرالي . فخلال شهور الأزمة القاسية، وضعت الشعوب ثقها في الدولة لحمايتها من الخطر الداهم، وفي أغلب دول النموذج الليبرالي، ثمة مؤشرات متزايدة إلى أن الحكومات لن تعبأ كثيراً بعد اليوم بتصاعد حجم الدين العام، وأرتفاع معدلات التضخم، أو عجز الميزانية . وما يُعزز توقعات أنحسار هيمنة النيوليبرالية الانكشاف الصارخ للخدمات العامة، والخدمات الصحية على وجه الخصوص، سيما في الدول الغربية الرئيسة، بفعل تقلص الإنفاق العام طوال عقود (٦) .

(٢) مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، المصدر السابق، ص ٣ .

(٣) النيوليبرالية (Neoliberalism) :- هي مصطلح تغير استخدامه وتعريفه بمرور الوقت، منذ ثمانينيات القرن العشرين، كان المصطلح يستخدم من الباحثين والنقاد بصفة أساسية للإشارة إلى تجدد أفكار القرن التاسع عشر المرتبطة بليبرالية اقتصاد عدم التدخل، التي بدأت في السبعينيات والثمانينيات، والتي تدعم سياسة التحرر الاقتصادي الموسع مثل الخصخصة، التقشف المالي، نزع الضوابط، التجارة الحرة، وتقليل الإنفاق الحكومي بهدف تعزيز دور القطاع الخاص في الاقتصاد، وتشتهر النيوليبرالية بارتباطها بالسياسات الاقتصادية التي طرحتها مارجريت تاتشر في المملكة المتحدة ورونالد ريغان في الولايات المتحدة . للتوسع يُنظر :-

ديفيد هارفي، الوجيز في تاريخ النيوليبرالية، ترجمة :- وليد شحادة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب (وزارة الثقافة)، دمشق، ٢٠١٣ .
(٤) رونالد ريغان (١٩١١ - ٢٠٠٤) :- ممثل وسياسي أمريكي، وهو الرئيس الاربعة للولايات المتحدة الأمريكية، وامتدت مرحلة حكمه خلال (١٩٨١ - ١٩٨٩)، خلال حكمه، انخفضت معدلات البطالة والتضخم، وازدهر التصنيع والتصدير، وعمل على كسر شوكة الإتحاد السوفيتي عن طريق بناء ترسانة عسكرية ضخمة، تعتمد على احدث التقنيات المتوفرة وقتذاك، وعندما توفي كان أكبر رئيس أمريكي يُعمر، إذ بلغ عمره (٩٣) سنة و (١١٩) يوماً . للتوسع يُنظر :- =

= Melvyn P.Leffler, Ronald Reagan and The Cold War : What Mattered Most, Texas National Security Review, Vol.1, Issue.3, May 2018, Pp.77 – 89 .

(١) مارجريت تاتشر (١٩٢٥ - ٢٠١٣) :- سياسية بريطانية، اشتهرت بـ " المرأة الحديدية "، كانت أول رئيسة وزراء في أوروبا، وأول امرأة تنزع حزب المحافظين في تاريخ بريطانيا، وأول شخصية بريطانية تكسب ثلاثة انتخابات متتالية، إذ تولت منصب رئاسة وزراء بريطانيا خلال الحقبة (١٩٧٩ - ١٩٩٠)، ومُنحت في عام ١٩٩٢ لقب " البارونة " . للتوسع يُنظر :-

أنجيلا ليفين، مارجريت تاتشر، ترجمة :- مصطفى محمد علي عبد الله، كلية الدراسات العليا - كلية اللغات، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان، ٢٠١٥ .

(٢) مركز الجزيرة للدراسات، المصدر السابق، ص ٥ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٥ .

المشكلة بالطبع، أن هناك تباينات واضحة في قدرات وطرق تعامل دول العالم المختلفة مع نذر الازمة الاقتصادية، فالدول التي تملك احتياطات مالية كبيرة أو عملات ذات جاذبية دولية أو بنية اقتصادية دينامية مثل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ودول اليورو (دول الإتحاد الأوروبي) والصين واليابان ودول النفط العربية وتركيا، تستطيع تحمل أعباء حزم الإنفاق الحكومي الكبيرة؛ لمواجهة عواقب الوباء، والنهوض بالعملية الاقتصادية بعد انحساره، بما في ذلك تبني سياسة التيسير الكمي (أي طبع كمية جديدة من النقود)، بيد أن دولاً أخرى مُثقله بالديون أصلاً، أو ذات بنية اقتصادية هشّة، مثل مصر ولبنان ومعظم دول المغرب العربي والعديد من الدول الإفريقية، سيصعب عليها التوجه نحو المزيد من الاقتراض، أو طباعة المزيد من أوراق النقد لمواجهة معدلات تضخم متزايدة، ومن المتوقع أن يكون وقع الازمة الاقتصادية أهدح أثراً وأطول زمنياً بالتأكيد، وليس من المستبعد في لحظة ما أن تشهد هذه الدول انفجاراً هائلاً لسؤال الشرعية السياسية^(١).

ويمكن القول، أياً تكن الآثار والتداعيات التي سيخلفها الفيروس، فمن المؤكد أن التنافس الاقتصادي بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين لن يتوقف، لكن الفواتير الباهظة التي سيدفعها الطرفان قد تدفعهما إلى التوافق على آليات تضمن إعادة إنعاش القطاع الاقتصادي من أجل تعويض الآثار التي خلفها انتشار فيروس كورونا، ثم معاودتهما (الولايات المتحدة والصين) التنافس الاقتصادي مُجدداً^(٢).

النظام العالمي بين العولمة والقومية المتعددة بعد انحسار كورونا

ارتبطت فكرة العولمة (Globalization)^(٣) من البداية بالنموذج الاقتصادي النيوليبرالي، ومثله، كانت ولادتها الأولى في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، حتى أن المصطلح نفسه وُجد أولاً في اللغة الإنجليزية، وكان على اللغات الأوروبية الأخرى إبداع اشتقاق لغوي جديد لترجمته، وكما الاقتصاد النيوليبرالي، وجدت فكرة العولمة رواجاً بعد أنتصار الغرب في الحرب الباردة وانحياز الإتحاد السوفيتي في التسعينيات، مُعززة بإدعاءات نهاية التاريخ وحسم الصراع لصالح الليبرالية الغربية، والديمقراطية، وحرية الفرد . ما حملته العولمة، التي ظلت على الدوام مفهوماً أقرب إلى الغموض، من وعود، تتعلق أساساً ببحرية انتقال الافراد والمال والبضائع والافكار عبر العالم، وانحياز المجتمعات البشرية المُطرد لصالح الثقافة الغربية بكافة أبعادها، ولكن هذه الوعود لم تتحقق بصورة منتظمة ودائمة، حتى من قبل الدول التي رُوّجت لفكرة العولمة وأسست لمقولتها الرئيسية، الأمر الذي أدى لتصاعد الشكوك حول ما إن كان المقصود بالعولمة، حقيقة سيطرة الكتلة الغربية الأطلسية على مصائر المجتمع الإنساني، مادياً وثقافياً وروحياً^(٤).

وبانتشار الوباء، انطلقت التوقعات بنهاية العولمة، فأغلقت أغلب الدول حدودها، ووضعت قيوداً متزايدة على حركة البشر والبضائع، وسنّت تشريعات مقيدة للحريات، وتبنّت سياسات مختلفة لمواجهة الوباء، وتبادلت الاتهامات حول المسؤولية عن بروز الفيروس أو انتشاره، وبات الفيروس وحده من يتمتع بحرية الحركة الكاملة وتجاوز الحدود والقوانين والانظمة . وإن كان من الصحيح التوقع، كما هي تجارب الازمات الكبرى من قبل، بأن نهاية الوباء أو انحساره لن تعني بالضرورة نهاية كافة الاجراءات الطارئة التي فرضها، فلا بد أن العالم يشهد الآن بالفعل نهاية يوتوبيا العولمة، والوعود التي بشرت بها، بيد أن المشككة في جدل العولمة أنه لا يفرق بين مستويين

(٤) المصدر نفسه، ص ٦ .

(١) مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، المصدر السابق، ص ٩ .

(٢) العولمة - ظاهرة عالمية تسعى إلى تعزيز التكامل بين مجموعة من المجالات المالية، والتجارية، والاقتصادية وغيرها، وتساهم العولمة في الربط بين القطاعات المحلية والعالمية؛ من خلال تعزيز انتقال الخدمات، والسلع، ورؤوس الأموال، وتُعرّف العولمة، بأنها عملية تطبقها المنظمات، والشركات، والمؤسسات بهدف تحقيق نفوذ دولية، أو توسيع عملها ليتحول من محلي إلى عالمي . للتوسع يُنظر - جلال أمين، العولمة، ط ١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩ .

(٣) مركز الجزيرة للدراسات، المصدر السابق، ص ٦ .

أساسيين، الأول، يتعلق بالأدوات والوسائل التي عملت، ولم ترل تعمل، على تسارع معدلات النقل والاتصال والحركة، سواء للبشر، للمعاملات، أو للنصوص والفنون . والثاني، يتعلق بفكرة هيمنة تصور واحد للعالم على المجتمعات البشرية كافة، بغض النظر عن الموارد والقيم والمعتقدات الخاصة بكل جماعة أو أمة . في المستوى الأول، ليس ثمة ما يُشير بوجود الوباء أو غيابه، أن البشرية ستتحلى عن وسائل النقل الجوي والبري والبحري السريعة، التي تطورت بصورة مُطرده، منذ دخول الآلة البخارية إلى وسائل النقل في منتصف القرن التاسع عشر، لكن العالم لن يتحلى الآن عن الإنترنت، والهواتف الذكية، وتطبيقات البنوك، ولا عن أمازون (Amazon) رمز العولمة التجارية الأبرز، ولن تستطيع اي دولة ما منع اي كتاب، طالما تحميله على الانترنت لا يحتاج سوى دقائق، ولا حظر خبر ما، طالما أن الأخبار، صحيحة وزائفها، تنتقل على الفيسبوك (Facebook) وتويتر (Twitter) بأقل قيود ممكنة . أما في المستوى الثاني، فإن التصدعات في جدار العولمة لم تكن خافية منذ اليوم الأول لولادة الفكرة، إذ رحبت أغلب دول العالم، بما في ذلك دول الاقتصادات الكبرى، بحركة المال والاستثمار، ولكنها رفضت القبول بحرية حركة البشر، حتى دول الإتحاد الأوروبي، التي مثلت التعبير الأكثر جاذبية لفرضيات حرية الحركة والانتقال، سرعان ما واجهت ردود فعل داخلية ملموسة على هجرة العمالة بين الدول، والتي تصاعدت، إلى أن صوّتت بريطانيا في استفتاء عام (٢٠١٦) لصالح الخروج من الإتحاد الأوروبي، وما أن تولت إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب (Donald Trump) مقاليد البيت الأبيض، حتى بدأت سلسلة إجراءات للتخلي عن، أو إعادة النظر في عضوية منظمات حرية التجارة الإقليمية، وقواعد التجارة السابقة مع الصين ومع الشركاء الغربيين في نصف الكرة الغربي وفي أوروبا، وفرض قيود صارمة على الهجرة للولايات المتحدة، فما قد ينجم عن الوباء، هو إحداث المزيد من التشققات في اطروحة العولمة، وإعادة التوكيد على سلطة ومصالح الدولة القومية، وقيمها الخاصة بها، الإتجاه الذي أخذت بوادره في الظهور منذ سنوات قبل الوباء^(١) .

وربما ستدفع أزمة كورونا الإتحاد الأوروبي ليصبح أكثر تماسكاً، كما أن قيود السفر إلى أوروبا التي فرضها ترامب، سثشجع الإتحاد نحو إتباع سياسة جيوسياسية أكثر إستقلالية، مما قد يتسبب في زيادة التوترات عبر الأطلسي، ولكن بالنظر إلى احتمالات الركود الاقتصادي خلال الشهور المقبلة، فإن الوباء سيخفف من حدة تلك السياسة العدائية، خاصة الموقف الأوروبي تجاه الصين^(٢)، وبالتأكيد هذه خطوة باتجاه التصدع في جدار العولمة .

التحولات الجيوسياسية في قيادة العالم ما بعد انتهاء الجائحة

بمر الوضع الجيواستراتيجي العالمي الحالي بنقص ملحوظ في القيادة، ففيه تتنافس قوتان عظيمتان، الولايات المتحدة الأمريكية والصين، إلى جانب القوى الأخرى من الدرجة الثانية، فالعالم شهد توقف إستراتيجي منذ أُنْهيار الإتحاد السوفيتي، في بداية العقد الأخير من القرن الماضي، وفي ظل هذا الاضطراب العالمي، ظهر وباء كورونا، وأثار تساؤلات حول قيادة العالم ومصير دوله، ويدرك المجتمع الدولي _ الآن في ظل الجائحة _ بأنه يشهد حالة مُشابهة لتلك التي كانت في نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥)، بعد الدمار الفادح من حيث الخسائر البشرية والمادية، إذ بدأت معظم الدول الأوروبية في تصميم خطط وبرامج لإعادة بناء القارة

(١) مركز الجزيرة للدراسات، المصدر السابق، ص ٦ - ٧ .

(٢) إسرائ إسماعيل، المصدر السابق، ص ٢ .

القديمة، إلى حد كبير من خلال موارد خطة مارشال (The Marshall Plan)^(١)، لضمان أن المجتمع الأوروبي سيكون لديه الوجود والكرامة والازدهار الذي يستحقه، في ظروف اليوم، يجب أن يكون هذا الجهد عالمي النطاق^(٢). فصحيح أن الاتحاد الأوروبي عانى من أزمة تقاعس عن العمل، مما سمح بردود فعل فردية، غير منسقة في كثير من الأحيان من كل دولة عضو فيه، وهو دليل على عدم وجود اتحاد وتماسك داخلي، ومع ذلك، وبدلاً من الانسحاب من معركة القضاء على الفيروس، يدعو البرلمان الأوروبي المؤسسات المتعددة الأطراف إلى لعب دور قيادي، إذ حث البرلمان الأوروبي منظمة الأمم المتحدة، (The United Nations)^(٣)، ومنظمة الصحة العالمية (World Health Organization)، ومنظمة التجارة العالمية (World Trade Organization) على إجراء إصلاحات من أجل وضع قائمة بمنتجات الطوارئ الصحية الأساسية، لتسهيل تداولها وكبح المضاربات الناتجة عن إقبال كبير عليها^(٤)، وتعد دول الاتحاد الأوروبي المتضرر الأكبر من تفشي الفيروس، إذ تبلغ خسارته قرابة (٦،١٥) مليار دولار، نتيجة لتطبيق إجراءات الحجر الصحي، التي أثرت بشكل كبير على معظم القطاعات الاقتصادية، ولاسيما قطاع الطيران والسياحة وأسواق الأسهم والنفط^(٥).

ومن ناحية أخرى، ظلت الولايات المتحدة بشكل متزايد على الهامش مع شعار "أميركا أولاً"، وأخطأ الاتحاد الأوروبي من السلبية، وفي غضون ذلك، تحاول الصين تجسيد القيم التي أعلنها الغرب ودافع عنها تاريخياً، مثل السلام والتضامن والتعاون، إن هذا الموقف ليس مجرد إيثارة، ولكنه قبل كل شيء يمثل إرادة بكيين لتحقيق الهيمنة العالمية من خلال احتلال الفراغ الكبير الذي ربما ستخلفه الولايات المتحدة. فيبدو أن الدور الدولي للولايات المتحدة في تراجع، فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى الحرب في جورجيا عام

(١) هو برنامج شجع الدول الأوروبية على العمل معاً للإنعاش الاقتصادي بعد الحرب العالمية الثانية، ففي حزيران ١٩٤٧ وافقت الولايات المتحدة الأمريكية على مساعدة دول أوروبا، وكان الاسم الرسمي للمشروع هو (برنامج الإنعاش الأوربي). وقد أطلق عليه مشروع مارشال نسبة إلى وزير الخارجية الأمريكي جورج مارشال، الذي يعد أول من دعا لأيجاده. بدأ هذا المشروع في نيسان ١٩٤٨ عندما وافق الكونغرس الأمريكي على إنشاء "إدارة التعاون الاقتصادي" لتشرّف على المساعدة الأجنبية. وأقامت سبعة عشر دولة منظمة (التعاون الاقتصادي الأوربي)، لمساعدة إدارة التعاون الاقتصادي. قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإرسال ما قيمته حوالي (١٣) بليون دولار من الأغذية والآلات والمنتجات الأخرى إلى أوروبا. أنهت المساعدة في عام ١٩٥٢، وفي عام ١٩٦١ حلت " منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية " محل إدارة التعاون الاقتصادي . للتوسع يُنظر :

فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج١، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٣، ص١٤٥-١٤٦؛ Barry Eichengreen, *The Marshall Plan: History's Most Successful Structural Adjustment Program*, *The Center for German and European Studies of The University of California at Berkeley*, October 1991; Michael Cox and Caroline Kenney – Pipe, *Special Forum: The Marshall Plan and the Origins of The Cold War: The Tragedy of American Diplomacy?*, *Journal of Cold War Studies*, Vol.7, No. 1, Harvard College and the Massachusetts Institute of Technology, Winter 2005 .

Gian Luca Gardini (ed.), *The world before and after Covid-19 : Intellectual reflections on politics, diplomacy and international relations*, Published by European Institute of International Studies, Stockholm, 2020, p.36 .

(٣) للتوسع في تأسيس منظمة الأمم المتحدة ينظر:- =

= حسن نافعة، الأمم المتحدة في نصف قرن: دراسة في تطور التنظيم الدولي منذ ١٩٤٥، سلسلة عالم المعرفة، رقم ٢٠٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٥، ص ٤٣ - ٧٥؛ محمد حبيب صالح ومحمد يوفاء، قضايا عالمية معاصرة (دراسات في العلاقات الدولية المعاصرة)، ط١، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ١٩٩٩، ص٢٥ - ٣٩ .

(١) Gian Luca Gardini (ed.), Op. Cit., p.36 .

(٢) مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، المصدر السابق، ص ٨ .

٢٠٠٨^(١)، نُفذت معظم الحلول للأزمات والأوبئة والصراعات والحروب تحت قيادة الولايات المتحدة ومشاركة دول أوروبية مختلفة مع الوحدات الرئيسية والمساعدة. وستبعتها دول أخرى في بقية العالم فيما بعد بموارد وموارد إضافية، وقد كان اتجاه تقديم المساعدة والدعم يذهب عادة من الولايات المتحدة وأوروبا إلى أفريقيا وآسيا، وبعبارة أخرى، ذهب الدعم والمساعدة من الغرب إلى الشرق، في الوقت الحاضر، يتغير اتجاه الدعم والمساعدات الدولية، على الأرجح، إنها تتجه من الشرق إلى الغرب، فتدقق الأفراد (الملاكات الطبية) والمواد من الصين وفيتنام إلى الاتحاد الأوروبي، وخاصة إلى دول مثل إيطاليا وإسبانيا، وهو ما يُجسد هذا الاتجاه بشكل جيد^(٢).

وأنطلاقاً من هذا التوجه، كُثر الجدل حول عالم ما بعد الوباء بمقولة " التراجع الأمريكي وصعود الصين كقوة فائدة لنظام دولي جديد "، فإن أخذت البيانات الصينية الرسمية على ظاهرها، يبدو أن الصين استطاعت التحكم في الوباء بصورة مبكرة، وبأقل خسائر ممكنة، بالرغم من أن أدلة متضاربة تُشير إلى أنها منبع الوباء، وأتخذت بكيين إجراءات سريعة وقاسية لعزل المدن والمقاطعات، ونقلت عشرات الآلاف من العاملين في القطاع الصحي، من منطقة إلى أخرى، للتعامل مع المرضى، وبادرت إلى تجربة العديد من الأدوية؛ لتخفيف أعراض المرض . وبذلك، عادت معظم المقاطعات الصينية إلى الحياة الطبيعية، أو ما يُقاربها، منذ الأسبوع الأول من نيسان، وبخسائر إنسانية واقتصادية طفيفة، مقارنة بحجم البلاد وحجم اقتصادها، وبعد أن كانت تقارير الوباء الصيني تثير الرعب في أنحاء العالم الأخرى، بدأت الحكومة الصينية تتبع المعدات الصحية والطبية للدول الأخرى بمئات الملايين من الدولارات، وترسل المساعدات الرمزية لأصدقائها ولدول تعاني من الوباء . طبقاً لهذه الصورة، يتوقع إن تكون الصين أولى الدول الناهضة من أعباء الوباء الثقيلة، وبالنظر إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية بين أكثر الدول تأثراً بالوباء، اقتصادياً وإنسانياً، ليس من المستبعد أن تصبح أزمة كورونا العالمية المنعطف الحاسم لصعود الصين النهائي، الصعود الاقتصادي، ومن ثم العسكري والسياسي^(٣).

علماء أن التوقعات بارتفاع الدخل القومي الصيني إلى ما يساوي، أو ربما يفوق قليلاً الدخل القومي الأمريكي مع نهاية العقد الثالث لهذا القرن، سبقت انتشار الوباء، وما سيفعله الوباء، ربما، ليس سوى تسريع عجلة النمو المطرد للدخل القومي الصيني^(٤). لكن حتى هذا، لا بد أن يكون محل شك، فالواقع أن معظم الدول التي طبقت سياسة الاغلاق، لم تغلق القطاع الصناعي الانتاجي كلياً، سوى المصانع التي لم يعد ثمة طلب ملح على إنتاجها، مثل صناعة السيارات، بمعنى أن عودة الصين السريعة للحياة الطبيعية قد لا تحمل بحد ذاتها تفوقاً فوق العادي عن منافسيها الغربيين، أضف إلى ذلك أن ضعف الطلب بصورة علمية، والاضطراب الهائل في شبكات النقل والإمداد والاعتماد المتبادل بين الدول، يعني أن أعباء الوباء ستُطال الجميع، سواءً المنتجون أو الأقل إنتاجاً^(٥). وعلى أساس هذه المعطيات، يرجح العديد من الخبراء أن تفشي الفيروس، قد يؤدي إلى تراجع الناتج المحلي الإجمالي الصيني بنسبة تُقارب

(٣) للتوسع في هذه الحرب، يُنظر :-

Jim Nichol, Russia – Georgia Conflict in August 2008 : Context and Implications for U.S. Interests, Congressional Research Service, U.S.A., 3 March, 2009, Pp.1 – 36 .

Gian Luca Gardini (ed.), Op. Cit., Pp.36 – 37 . (٤)

(١) مركز الجزيرة للدراسات، المصدر السابق، ص ٨ – ٩ .

(٢) شهد الاقتصاد الصيني قفزات مذهلة خلال الحقبة السابقة، ففي عام ٢٠٠٠ تجاوز الناتج المحلي الإجمالي للصين نظيره الإيطالي، وفي عام ٢٠٠٥، تجاوز نظيره الفرنسي، وفي عام ٢٠٠٧، تفوق على المملكة المتحدة، وفي عام ٢٠٠٩، تجاوز اليابان، ليستقر بعد ذلك كثنائي اقتصاد على مستوى العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية .

مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، المصدر السابق، ص ٣ .

(٣) مركز الجزيرة للدراسات، المصدر السابق، ص ٩ .

(٢٠١ ٪)، ويُقدر الناتج المحلي للصين بنحو (٦٠١٣) تريليون دولار في عام ٢٠١٨، بما يمثل نسبة (٨٠،١٥ ٪) من الناتج المحلي العالمي، ومن هنا، تشير كثير من التقارير إلى أن انتشار فيروس كورونا سيكون له تأثيرات كبيرة في الاقتصاد العالمي، ولذا خفضت الوكالة الدولية توقعاتها بنمو الاقتصاد الصيني إلى (٤ ٪) مقابل (٦،٥ ٪) في توقعات سابقة للربع الأول من عام ٢٠٢٠، وتوقع مؤسسة أوكسفورد إيكونوميكس (Oxford Economics) انخفاض النمو الصيني إلى (٤،٥ ٪) خلال عام ٢٠٢٠، وهو الأدنى لها منذ عام ١٩٩٠، ووفقاً لتقرير مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) تسبب فيروس كورونا بحدوث انكماش بنسبة (٥٢ ٪) في إنتاج الصين، وهو ما أثر في مجمل انسياب الاقتصاد العالمي (١).

ومن الجدير ذكره، انه حتى إن افترض بأن الوباء سيسرع من عجلة الصعود الصيني الاقتصادي، فإن تحقق مستوى عالٍ من الاكتفاء والرفاه، فإنه يتطلب النظر إلى الدخل القومي الفردي وليس القومي العام وحسب، فمستوى الرفاه في دولة من مليون شخص، يبلغ دخلها القومي عشرة ملايين من الدولارات، ليس مثل الذي تتمتع به دولة أخرى بنصف مليون من السكان وبذات الدخل القومي (٢).

ومما يلاحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية أظهرت منذ تولي إدارة دونالد ترامب مقاليد البيت الأبيض، إنكفاءً قومياً واضحاً، وتخلياً نسبياً عن دورها القيادي في العالم، بما في ذلك في التعامل مع أزمة الوباء، ولكن هذا الإنكفاء قد لا يستمر طويلاً، بعد نهاية ولاية ترامب، الأهم أنه وبغض النظر عن سياسات الإدارة الأمريكية، ثمة اتفاق بين دارسي صعود وإنحدار القوى الكبرى حول حقيقة أن القوة الاقتصادية ليست المحدد الوحيد لوزن الدول وتأثيرها على المسرح الدولي، فثمة عشرات من وسائل التأثير الأخرى مثل، اللغة، والموروث الديني والقيمي، والفنون والآداب، ونمط الحياة السياسية والاجتماعية، التي لا بد من وضعها في الاعتبار، وفي كثير من هذه المجالات لا يصعب على الصين المنافسة وحسب، بل ويستحيل أحياناً عليها المنافسة (٣).

وفي سياق ذي صلة، سيتسبب الفصل في سلاسل التوريد بين الولايات المتحدة والصين في تفاقم التوترات بين البلدين، إذ سيصبح الصراع أكثر وضوحاً، حول قضايا تتعلق بالأمن القومي، والتأثير والنفوذ العالميين، وسيستمر الجانبان في استخدام الجوانب الاقتصادية في الصراع، كالعقوبات، وضوابط التصدير، والمقاطعة، وربما تزداد المواجهة حول هونغ كونغ وتايوان والأیغور وبحر الصين الجنوبي، وتنتظر واشنطن وبكين إلى تفشي وباء كورونا بأعتباره الجولة التالية في سباق تنافسهما الجيوسياسي، إذ يُلقى المسؤولون الأمريكيون باللوم على بكين في التسبب فيما وصفوه بـ " الفيروس الصيني " (٤)، ويخشون من استخدام الدول لأموال الطوارئ التي يُقدمها لهم صندوق النقد الدولي في سداد ديونهم للصين، بموجب مبادرة " الحزام والطريق "، وفي المقابل، ستوظف بكين نجاحها في احتواء الفيروس في الترويج لنموذج الحوكمة الصيني. ومع اقتراب الانتخابات الرئاسية الأمريكية، سيواجه دونالد ترامب الانتقادات الموجهة إليه في إدارة أزمة كورونا بالقضاء مزيد من اللوم على الصين، وستؤدي التوترات المتصاعدة إلى مزيد من عدم اليقين بشأن تنفيذ المرحلة

(١) مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، المصدر السابق، ص ٦ - ٧ .

(٢) مركز الجزيرة للدراسات، المصدر السابق، ص ٩ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٩ - ١٠ .

(٤) استنكرت الحكومة الصينية إصرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب على تسمية كورونا بالفيروس الصيني، وأتمت في ٣ شباط ٢٠٢٠ الولايات المتحدة

الأمريكية بالمبالغة في رد الفعل على التفشي وتأجيج الذعر .

مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، المصدر السابق، ص ٣ .

الأولى من الاتفاق التجاري^(١) بينهما، وهو ما يشك في إمكانية الانتقال إلى المرحلة الثانية، وسيشهد العالم ما بعد كورونا " حرباً باردة " جديدة بين الولايات المتحدة والصين^(٢) .

ووفقاً لتقارير تداعيات تفشي فيروس كورونا في العالم، فقد يلغي النتائج المتحققة من الاتفاق التجاري بين الولايات المتحدة والصين، خصوصاً أن قطاعات مهمة تضمنها الاتفاق، كالزراعة والتصدير، قد توقفت، ضمن الإجراءات المتخذة للحد من تفشي الفيروس في العالم، وترتبط مخاوف الصين من وقف حركة التصدير بينها وبين واشنطن والدول الأخرى، إذ تعتمد بكين بشكل رئيس على واردات البضائع المصدرة إلى الخارج، التي تُشكل عصب الاقتصاد، ومع تفشي هذا الفيروس وقدرته على التنقل خارج حدود الدول، ويمكن القول إن توقع انخفاض الصادرات الصينية، خاصة إلى واشنطن، سيكون حتمياً؛ بسبب إجراءات الحجر الصحي والتخوف من تداعيات تفشي الفيروس بصورة أكثر، الأمر الذي سيضر بالاتفاق التجاري بين البلدين، وسيلقي بظلاله على الاقتصاد العالمي ككل^(٣) .

وسيشهد العالم في الشهور المقبلة، بالتأكيد، جدلاً أخذ بالاحتدام منذ الآن، حول فعالية الدول المختلفة في التعامل مع الوباء، وما أن كان النجاح حالف الانظمة الليبرالية، التي وقع أغلبها صريع انتشار المرض والموت، أو انظمة التحكم المركزي، مثل الصين وسنغافورة، حيث العلاقة بين الحكومة وشعبها أقرب إلى العلاقة بين القائد العسكري وجنوده، وكانت الأسرع في التحكم بالوباء وعواقبه، ولكن مثل هذا الجدل لا يتعلق بجانب واحد من أزمة كورونا، فمثل كوريا الجنوبية وتايوان التي نجحت هي الأخرى في التعامل سريعاً مع الوباء، تتحدث بفخر عن الصلة الوثيقة بين ديمقراطيتها ونجاح جهودها، وثمة من يطرح مقارنات أخرى حول تباين المصدقية بين الأنظمة الليبرالية الديمقراطية والانظمة التحكومية السلطوية، وما تستدعيه المصدقية من الحرص على حياة البشر أو إهدارها^(٤) .

وتأسيساً على ما تقدم، يمكن القول أن الوضع الجيوإستراتيجي العالمي بعد أنحسار جائحة كورونا، سيكون مختلفاً تماماً عما كان عليه في السابق، فمن المرجح جداً أن تكون تعددية الأقطاب هي الوضع الجيوسياسي الجديد، مما يؤدي إلى توازن جديد للقوى^(٥) .

وما لا يجوز أن يكون محل شك أن لحظة القطب الواحد، عندما برزت الولايات المتحدة الأمريكية في تسعينيات القرن الماضي، بوصفها القوة الكبرى المتفردة في قرار العالم السياسي والاقتصادي، كانت أقصر بكثير من التوقعات، ومنذ أخذت الولايات المتحدة الأمريكية في التدخل في أفغانستان والعراق، في بداية العقد الأول من القرن الحالي، كانت الصين قد سجلت معدلات نمو متصاعدة بصورة مطردة^(٦)، وقامت روسيا بتدمير الآلة العسكرية الجورجية وفرض إرادتها على تبليسي، بدأ العالم في التحرك إلى مشهد مُتعدد

(١) وقع الطرفان في ١٥ كانون الثاني ٢٠٢٠ أول مرحلة من الاتفاق التجاري، الذي يتضمن إجراءات حول (حقوق الملكية الفكرية ونقل التكنولوجيا والمنتجات الغذائية والزراعية، والخدمات المالية وسعر الصرف والشفافية وزيادة التجارة والتقييم المتبادل وتسوية المنازعات)، وتعهدت الصين فيه بشراء بضائع أميركية إضافية بقيمة (٢٠٠) مليار دولار خلال السنتين المقبلتين، تتضمن المنتجات الزراعية الأميركية، والحفاظ على استقرار عملتها، وفتح أسواق الخدمات المالية أمام الشركات الأميركية، مقابل إلغاء الولايات المتحدة الرسوم الجمركية المفروضة على سلعها، ومن بينها الهواتف الذكية بنسبة (١٦ %) مقارنة بـ (٢٥ %) قد فُرضت سابقاً . مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، المصدر السابق، ص ٥ .

(٢) إسراء إسماعيل، المصدر السابق، ص ٢ .

(٣) مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، المصدر السابق، ص ٥ .

(٤) مركز الجزيرة للدراسات، المصدر السابق، ص ٩ - ١٠ .

(١) Gian Luca Gardini (ed.), Op. Cit., p. 37 .

(٢) على مدار العقود الثلاثة الأخيرة، استمر الاقتصاد الصيني في تحقيق معدلات نمو مرتفعة، خاصة في العقدين الماضيين، مكن الصين من تبوء المرتبة الثانية في الاقتصاد على المستوى العالمي، معتمدة تنوع سياساتها الاقتصادية وتبنيها لإستراتيجية (الحزام والطريق)، التي تتضمن محاور عدة؛ منها المحور التجاري الذي

القطبية . وخلال العقد المقبل، قد يصبح هذا المشهد أكثر وضوحاً، إذ ستجد الولايات المتحدة الأمريكية في الصين منافساً اقتصادياً يصعب كسره، وفي روسيا منافساً عسكرياً وسياسياً، وإن كان بصورة محدودة، وفي عدد من القوى الأصغر منافساً إقليمياً أكثر إستقلالاً في قراره، ولكن بالرغم من ذلك، هناك ما يجب إلا يُغفل عنه في الولايات المتحدة الأمريكية بأنها تتمتع بعناصر قوة مُتعددة وفريدة، ستساعدنا في الحفاظ على موقع الدولة الأبرز والأكثر تأثيراً بين عدد من المنافسين، ربما لأكثر من عقد مقبل من الزمن^(١).

وفي ظل هذا السياق العالمي الجديد، ستتعايش وتتنافس عدة قوى، وستكون السيادة الوطنية محور الإطار الجديد، إلى جانب القواعد المشتركة الأساسية التي اعتمدها المجتمع الدولي والمقبولة عالمياً، وفي هذا النموذج، سيظهر نظام عالمي جديد، حيث ستلعب الدولة مرة أخرى دوراً قيادياً، مصحوباً بمؤسسات متعددة الأطراف، وينبغي إنشاء هيكل دولي جديد للأمن والدفاع، بما في ذلك استراتيجية عالمية شاملة حيث جميع الموارد والأدوات متاحة للمجتمع العالمي يتم استخدامها للاستجابة بنجاح للتحولات والتغيرات المتعددة الأوجه، التي تحدث في الوقت الحاضر وفي المستقبل القريب . وليس هناك شك في أن تصميم هذا النظام الجديد، إذا كان له مصداقية حقيقية، يجب أن يكون له هيكل ثلاثي : سياسي واقتصادي وأمني، الأمر الذي سيسمح لمثل هذا النظام الجديد بمواجهة التحديات والتهديدات، التي قد تشكل في المبادئ والقيم العالمية التي يجب أن يقوم عليها المجتمع الدولي، وينبغي أن تكون سماته الرئيسية التضامن والثقة والتعاون الدوليين^(٢) .

مركزات النظام الجديد

على الصعيد الجيوسياسي، نحن في فترة انتقالية، بدأت في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، إذ سينتقل العالم من القطبية الأحادية إلى القطبية الثنائية أو إلى القطبية المتعددة، والتي من المحتمل أن تبلور خلال الثلث الأول من القرن، فسيكون للنموذج الجيوسياسي الجديد للقطبية المزوجة قطبين عظيمين يتنافسان مع بعضهما بعض، يمثل كل قطب تصنيفاً مختلفاً للسلطة والمثل العليا، القطب الديمقراطي عبر الأطلسي، المكون من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، والذي يقوم على الرابط عبر الأطلسي المتراجع حالياً؛ والقطب الاستبدادي الأوراسي، المكون من الصين وروسيا، بدعم من الشراكة الأوراسية، التي يتزايد نفوذها باستمرار، فهذه النسخة المعاصرة من ميزان القوى الذي سيرافقنا طوال الثلث الأول من القرن الحادي والعشرين^(٣) .

ويمكن تحديد بعض أهم التغييرات التي ستحدث في العالم بعد أُنحسار جائحة كورونا على النحو التالي^(٤) :-

١- تسريع إعادة ترتيب العالم في إطار ثنائي القطب المزوج .

ترغب الصين من خلاله في المحافظة على مكانتها في التصدير على مستوى عالمي، والحد من النقدي، الذي تحرص من خلاله على زيادة التبادل التجاري بالعملة الصينية؛ لتضمن تقليل تكلفة التبادل التجاري وتقليل مخاطر تقلبات أسعار الصرف بالنسبة لشركاتها مقابل العملات الأجنبية، والحد من الجيوسياسي، إذ تهدف الصين من خلال هذه الاستراتيجية إلى التوسع في التصدير عن طريق الحزام (الحدود البرية) والطريق (الحدود البحرية)، وهو ما يُشير إلى عدم أقتنار الاستراتيجية الصينية على البعد الاقتصادي وحسب، بل إن لها أبعاداً سياسية قد تعمل على خلق تحالفات جديدة على مستوى العالم . مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، المصدر السابق، ص ٤ .

(٣) مركز الجزيرة للدراسات، المصدر السابق، ص ١٠ .

(١) Gian Luca Gardini (ed.), Op. Cit., Pp. 37 – 38 .

(٢) Ibid, p. 38 .

(٣) Ibid .

- ٢- زيادة التآزر والانسجام بين الدولة، التي تتعافى بالكامل، والمؤسسات والمنظمات متعددة الجنسيات .
- ٣- الحركة الجيوستراتيجية المحتملة للقرب الأوراسي ضد مصالح القطب عبر الأطلسي .
- ٤- تفاقم العملية الحالية لفقدان القيادة الغربية .
- ومع هذه التغييرات، ينبغي اتخاذ تدابير جديدة لجعل النظام العالمي المتجدد يعمل على مجموعة مرتكزات أهمها^(١) :-
- ١- بما أن حياة الإنسان هي الأولوية، فيجب على العلماء والخبراء تطوير تقنيات جديدة مناسبة لمقاومة العدوى، وتوفير اللقاحات لكل من سكان المناطق الحضرية والريفية، وفي هذا المجال، المعلومات والعزلة أمران حيويان، يجب أن يرافقها إنشاء أنظمة صحية فعالة في جميع أنحاء العالم، وخاصة في أفريقيا .
- ٢- من الضروري تنسيق مصالح القطبين الجيوسياسيين، عبر المحيط الأطلسي والأوراسي، اللذان يدعمان أقوى قوتين جيوسراتيجيتين على هذا الكوكب، وينبغي أن يكون الهدف إنشاء قيادة واحدة ومشاركة يروج لها القطبين على الصعيد العالمي، تحت مظلة الأمم المتحدة، مصحوبة بسلاطات أخرى، يجب أن يكون هذا حلاً مناسباً لمواجهة كل من التهديد الحالي (كورونا)، وتهديدات المستقبل القريب، استجابة للمصالح العالمية المشتركة، مثلما تضافرت الجهود في محاربة الإرهاب، ففي هذا السياق، من الضروري تشكيل الآليات اللازمة للتنسيق بين القوات المسلحة وقوات الأمن، والمسؤولين القضائيين وسلطات الصحة العامة في مختلف البلدان من أجل توفير استجابة فعالة للهجمات التي تسببها العوامل المعدية (في المستقبل) .
- ٣- إن انتعاش الاقتصاد وما يقابله من تمويل أمر لا غنى عنه، وتحقيقاً لهذه الغاية، من الضروري تصميم خطة اقتصادية ومالية لإعادة الإعمار العالمية، جميع المؤسسات المالية الدولية الرئيسية (صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، والبنك المركزي الأوروبي، والبنك الأوروبي للإنشاء والتعمير، والبنك الآسيوي للاستثمار والبنية التحتية، وبنك التنمية الجديد لبلدان البريكس، بالإضافة إلى بنك التنمية للبلدان الأمريكية ومصرف التنمية لأمريكا اللاتينية، ومجموعة السبع أو مجموعات العشرين، من بين آخرين) يجب أن يشاركوا في جهد عالمي مشترك ومنسق .
- ٤- من الضروري المضي قدماً في إصلاح نظام الأمن في الأمم المتحدة، حيث يتم دمج القوى العظمى والقوى الثانوية في مجلس الأمن، مع تحمل الثقل الجيوسياسي الذي يقابلهها .
- فمن أجل جعل هذا النظام العالمي متماسكاً قدر الإمكان، يجب تحديد الأهداف المشتركة الرئيسية، والتي أشار لها ميثاق الأمم المتحدة، من تحقيق السلام والاستقرار في جميع مناطق العالم إلى إنشاء الحد الأدنى من القاسم المشترك للأخلاقيات، والأخلاق التي يقبلها المجتمع الدولي بالكامل، وضمان العدالة وحقوق الإنسان وتعزيز التنمية الاجتماعية والاقتصادية لتحقيق أكبر قدر من الازدهار للمجتمع الدولي، علماً أنه لن يكون التحدي الكبير هو تحقيق توافق في الآراء حول هذا النظام فحسب، بل أيضاً تحقيق توافق في الآراء حول معنى وتنفيذ كل عنصر من هذه العناصر^(٢) .
- وباختصار، من المحتمل أنه في رقعة الشطرنج العالمية الحالية والمتوقعة بعد انحسار جائحة كورونا، سيكون النظام الجيوسياسي الجديد مفضلاً في البداية للقرب الأوراسي، ومع ذلك، قد يوفر السيناريو نفسه فرصة للقرب عبر الأطلسي (الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي) لإعادة إطلاق نفسه، وتوحيد القوى، وتصبح أكثر تماسكاً، وتجنب المزيد من التناقضات، ويجب التغلب على

(٤) . Ibid , Pp. 38 – 39 .

(١) . Gian Luca Gardini (ed.), Op. Cit., p. 39 .

نظرية أوسفالد شبنغلر (Oswald Spengler)^(١) المتشائمة للغرب منذ قرن مضى، وتحقيقاً لهذه الغاية، يجب تعزيز الرابط عبر الأطلسي في أقرب وقت ممكن، وهذا تحدٍ كبير، والانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٢٠ في الولايات المتحدة هي مفترق طرق محدد^(٢) الخاتمة :-

يُعد الاقتصاد الصيني هو المتضرر الأكبر من جراء انتشار هذا الفيروس؛ نتيجة للإجراءات الصارمة التي أُخذت من أجل مكافحته، إضافة إلى عدم قدرتها على الاستفادة المباشرة من مخرجات المرحلة الأولى من الاتفاق التجاري مع الولايات المتحدة، وتضررت سمعتها، التي تحتاج إلى وقت لتجاوزها، بعد إن أهتمتها الولايات المتحدة الأمريكية وبعض حلفائها (بريطانيا) بأن الصين هي من تقف خلف هذا الفيروس، وهي متورطة في نشره، حتى وصفه الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بـ " الفيروس الصيني "، رغم إن الصين ترفض هذه الاتهامات والتسمية، لكنها حاولت معالجة هذه الموقف من خلال تقديمها مساعدات طبية للعديد من الدول، وإرسالها خبراءها للدول المنكوبة، كصربيا وإيطاليا وأسبانيا، وربما تمكثها (الصين) هذه المساعدات في نحو الصورة التي روجت لها الولايات المتحدة، والتي أصرت على اتهام الصين، وربما ستقود حملة إعلامية كبيرة _ وهي جارية الآن _ تضم العديد من الدول، تطالب فيها الصين بدفع تعويضات عن الخسائر التي لحقت بالدول التي تضررت من هذه الفيروس . وفي هذا الصدد، يمكن القول أن الانسحاب الأمريكي من منظمة الصحة العالمية، ستكون له آثار كبيرة على مستوى العالم صحياً، فرما ستعمل الولايات المتحدة على تشكيل منظمة صحية عالمية جديدة، تضم الولايات المتحدة مع حلفائها، وتنهار منظمة الصحة العالمية الحالية تدريجياً، أو ربما يعود الدعم الأمريكي مُجدداً _ في حال فاز بايدن بالانتخابات الأمريكية _ للمنظمة، لكن وفق رؤية جديدة تُحدد مقاساتها الولايات المتحدة . ومهما تكن الآثار والتداعيات التي سيخلفها الفيروس، فمن المؤكد أن التنافس الاقتصادي بينهما (الولايات المتحدة والصين) ستكون اضراره بالغة عليهما، وهو ما سيدفعهما للتوافق على سبل وطرق تدفع باتجاه إعادة إنعاش اقتصادهما؛ لتعويض الإضرار الكبيرة التي تسبب ويتسبب بها الفيروس، ثم يعاودان التنافس الاقتصادي مُجدداً . وبذلك، لا يمكن التنبؤ بنهاية الاقتصاد النيوليبرالي مادامت الولايات المتحدة هي ابرز اقطابه .

ومن الجدير ذكره، ظهرت قبل وإبان انتشار الفيروس طروحات عديدة تدعم مسألة انحسار الهيمنة الأمريكية على العالم وتبوء الصين مكانها، إلا أنه لا يمكن القول أن الولايات المتحدة الأمريكية ستتنازل عن مكانتها في صدارة العالم وقيادته، وأن كشفت جائحة كورونا عن تلكوها في التعامل معه، وحماية ارواح الأميركيين، إلا أن التنافس الأمريكي - الصيني لقيادة العالم _ اقتصادياً وتكنولوجياً _، لا يمكن حصره بمسألة الحد من جائحة كورونا، وأن سلمنا جدلاً أن التعامل مع الجائحة يعد من المؤشرات المهمة لتغليب احدهما على الآخر، فالصين هي الأخرى اخفقت في احتوى الجائحة بصورة رسمية، ولغاية اليوم الاربعاء الموافق (١٥ / ٧ / ٢٠٢٠)، ظهرت اصابات جديدة في العديد من المدن الصينية، وهذا يعطي انطباع أن الصين لم تنجح في حماية سكانها بعد .

وبناء على ما تقدم، فهناك ثلاثة احتمالات لقيادة العالم جميعها لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وهي :

١- في حال نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في اكتشاف العلاج _ وهو ما يجري الآن بالتعاون مع بريطانيا _، فهذا يعني استمرار تفوقها في قيادة العالم .

(١) للتوسع في نظرية أوسفالد شبنغلر، يُنظر :-

فاطمة الطروانة، عوامل تدهور الحضارة الغربية : دراسة تاريخية سوسولوجية تحليلية في ضوء نظرية الفيلسوف الألماني أوسفالد شبنغلر، مجلة دراسات (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، مج٤٣، ملحق ٣، الجامعة الأردنية، ٢٠١٦، ص١٤٧١ - ١٤٧٩ .

(٢) Gian Luca Gardini (ed.), Op. Cit., p. 39 .

- ٢- أما إذا نجحت الصين في اكتشاف العلاج، فهذا لا يجعلها ترتقي إلى صدارة العالم، بل يجعلها منافس قوي جداً للولايات المتحدة الأمريكية، ومن الممكن أن تتبوّأها في اقرب فرصة ممكنة .
- ٣- وفي حال اكتشفت احدى دول الإتحاد الأوروبي العلاج، فهذا يعني استمرار الصدارة الأمريكية على العالم، لكن ستكون المنافسة جدا قوية بين دول الإتحاد الأوروبي والصين، للإطاحة بالولايات المتحدة الأمريكية، أي ان العالم ما بعد الجائحة، سيكون انعكاس للعالم إبان الجائحة .

ولو عقدنا مقارنة بسيطة وعامة بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين، تظهر اغلب نتائجه لصالح الولايات المتحدة :-

- ١- **الجانب السياسي :-** أن الثقل السياسي الأمريكي أقوى من الصيني، لأن الولايات المتحدة مرتبطة مع دول العالم بشبكة من التحالفات والاتفاقيات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية وغيرها، على عكس الصين، التي لم تكن لديها تحالفات سياسية أو عسكرية دولية بمستوى الولايات المتحدة الأمريكية، فضلاً عن دورها وتأثيرها في مجلس الأمن الدولي، وسعيها الحثيث على أذخار ألمانيا واليابان إلى العضوية الدائمة لمجلس الأمن، لتضمن (الولايات المتحدة) صوتهما في اي قرار دولي تتبناه . أضف إلى ذلك، أن النظام الحاكم في الولايات المتحدة الأمريكية هو نظام ديمقراطي تتنافس فيه الاحزاب في الانتخابات، ومستوى الحرية متحقق لأغلب المواطنين الأمريكيين، على عكس الصين، التي تحكم قبضتها حكومة شمولية أحادية الحزب، فيها الانسان مجرد آلة للأنتاج .
- ٢- **الجانب الاقتصادي :-** الاقتصاد الأمريكي بحكم الارقام هو الأول على العالم، ثم الاقتصاد الصيني، قبل انتشار الفيروس، وإبان مدة انتشاره، فالإقتصاد الصيني، الأكثر تضرراً من الأمريكي، لأن مدينة ووهان وبؤرة الفيروس هي من المناطق الصناعية المهمة، وبالتالي توقف أنتاجها نتيجة لأجراءات الحظر والحجر الصحي الإجباري، وبعد انحسار الجائحة، ربما سيلجأ الجانبين الأمريكي والصيني إلى الجلوس مجدداً لأكمال المرحلة الأولى من الاتفاق التجاري، لينهض اقتصادهما، وبعدها، يعود التنافس الاقتصادي مجدداً، إلا في حالة اوقف الرئيس الأمريكي الاتفاق التجاري مع الصين، فضلاً عن ذلك، أن حجم الاستثمارات الأمريكية على مستوى العالم أكبر من الصينية .
- ٣- **الجانب الثقافي :-** لازالت الثقافة الغربية ولاسيما الأمريكية صاحبة التأثير الأكبر على دول العالم، بحكم عوامل عدة، منها :-
- اللغة الانجليزية وعالميتها على عكس اللغة الصينية التي تقف ربما عند اسوار الصين .
 - الاعلام والفنانيات ومواقع التواصل الاجتماعي ذو التوجيه الغربي (خاصة الأمريكي) تدعم التفوق الأمريكي العالمي .
 - وكالات الفضاء والنتائج العلمية الأمريكية المستمرة تفوق نسبياً التكنولوجيا الصينية .
- ٤- **الجانب العسكري :-** لازالت الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك أكبر ترسانة عسكرية في العالم، وتخصص مبالغ طائلة لمواصلة التفوق العسكري على مستوى العالم، وتملك قواعد عسكرية منتشرة في اغلب دول العالم، على عكس الصين، التي كان تركيزها على الجانب الاقتصادي أكثر من العسكري، طبقاً للأرقام المعلنة من الجانبين .
- ٥- **الجانب الصحي :-** الولايات المتحدة وأن وقفت _ إلى الآن _ عاجزة عن إيجاد لقاح للفيروس، إلا أنها تتقدم كثيراً على الصين، وإذا قارنا مستوى البلدين في مواجهة الفيروس، فالصين فشلت في احتوى الفيروس، وانتشر على مستوى العالم، وهي متهمه بتعمد نشره في العالم، أما على مستوى الأصابات، فالكثير يُشكك بالارقام المعلنة من الصين، قياساً لما تعلنه الولايات المتحدة الأمريكية من أرقام، والتي تُعد قريبة جداً من الصحة .

وعلى أساس ما تقدم، أن المنافسة الأميركية - الصينية، ستستمر بينهما وفي المجالات كافة، وأن كان الاقتصادي أبرزها، لكن ستبقى الولايات المتحدة الأميركية في قمة النظام العالمي، لكن من المحتمل أن تتسلم الصين هذه المكانة بعد سنوات عدة، إذا نجحت في بناء شبكات من التحالفات السياسية والاقتصادية (مشروع الحزام والطريق) والعسكرية والثقافية وغيرها، والتي يمكن أن تضاهي الركائز التي تسلفت من خلالها الولايات المتحدة الأميركية قيادة العالم في ظل القطبية الاحادية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في تسعينيات القرن الماضي .

قائمة المراجع والمصادر

أولاً: - مراجع اللغة العربية :-

- الكتب :-

- ١- أنجيلا ليفين، مارجريت تاتشر، ترجمة :- مصطفى محمد علي عبد الله، كلية الدراسات العليا - كلية اللغات، السودان، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠١٥ .
- ٢- جلال أمين، العولمة، ط١، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٩ .
- ٣- حسن نافعة، الأمم المتحدة في نصف قرن: دراسة في تطور التنظيم الدولي منذ ١٩٤٥، سلسلة عالم المعرفة، رقم ٢٠٢، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٥ .
- ٤- داودي ميمونة، ظهور الأزمات المالية : دراسة أزمة الكساد الكبير (١٩٢٩ - ١٩٣٣) والازمة المالية (٢٠٠٧ - ٢٠٠٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التجارية وعلوم التسيير (المدرسة الدكتورالية للاقتصاد وإدارة الأعمال)، جامعة وهران، ٢٠١٤ .
- ٥- ديفيد هارفي، الوجيز في تاريخ النيوليبرالية، ترجمة :- وليد شحادة، دمشق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب (وزارة الثقافة)، ٢٠١٣ .
- ٦- فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج١، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣ .
- ٧- محمد حبيب صالح ومحمد يوفيا، قضايا عالمية معاصرة (دراسات في العلاقات الدولية المعاصرة)، ط١، دمشق، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٩ .

- القوانين والمواثيق الدولية :-

- ١- البنك الدولي للإنشاء والتعمير، اتفاقية إنشاء البنك الدولي للإنشاء والتعمير، البنك الدولي للإنشاء والتعمير، ١٦ شباط ١٩٨٩، ص١ - ٥٣ .
- ٢- صندوق النقد العربي، الأزمة المالية العالمية وتداعياتها على الاقتصادات العربية، صندوق النقد العربي، كانون الأول ٢٠٠٨، ص١ - ٢٣ .
- ٣- معهد تنمية القدرات (صندوق النقد الدولي)، سياسات وممارسات صندوق النقد الدولي في مجال تنمية القدرات، صندوق النقد الدولي، واشنطن، ٢٦ آب ٢٠١٤، ص١ - ١٦ .

- المقالات :-

- ١- إسراء إسماعيل، الركود الجيوساسي : المخاطر العشرة الأكثر تأثيراً في عالم ما بعد كورونا، مركز المستقبل للدراسات والبحوث (مجموعة أوراسيا)، الاثنين، ٤ أيار ٢٠٢٠، ص ١ - ٣ .
- ٢- فاطمة الطروانة، عوامل تدهور الحضارة الغربية : دراسة تاريخية سوسولوجية تحليلية في ضوء نظرية الفيلسوف الألماني أوسفالد شبنغلر، مجلة دراسات (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، مج ٤٣، ملحق ٣، الجامعة الأردنية، ٢٠١٦، ص ١٤٧١ - ١٤٧٩ .
- ٣- فريدريك فانيرون، الإنفلونزا الإسبانية : عودة إلى وباء ١٩١٨ - ١٩١٩، ترجمة : محمد حبيدة، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية : مركز مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، ١٥ ابريل ٢٠٢٠، ص ٣ - ٢٠ .
- ٤- محمد أيمن عزت الميداني، الأزمة المالية العالمية : أسبابها وتداعياتها ومنعكساتها على الاقتصاد العالمي والعربي والسوري، محاضرة أُلقيت في ندوة الثلاثاء - جمعية العلوم الاقتصادية السورية، سوريا، ٢٠٠٩، ص ١ - ١٧ .
- ٥- مركز الجزيرة للدراسات، ما بعد وباء كوفيد ١٩ : أي عالم يمكن توقعه؟، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، ١٣ نيسان ٢٠٢٠، ص ٢ - ١١ .
- ٦- مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، تأثيرات كورونا على التنافس الاقتصادي بين الصين وأمريكا، منشورات وحدة الرصد والتحليل : مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، اسطنبول، ٢٠٢٠، ص ٣ - ٩ .

- مراجع باللغة الإنجليزية :-

- الكتب :-

- 1- Gian Luca Gardini (ed.), The world before and after Covid-19 : Intellectual reflections on politics, diplomacy and international relations, Stockholm, Published by European Institute of International Studies, 2020 .

- المقالات :-

- 1- Barry Eichengreen, The Marshall Plan: History's Most Successful Structural Adjustment Program, The Center for German and European Studies of The University of California at Berkeley, October 1991 .
- 2- Jeffery K.Taubenberger and David M.Morenst, 1918 Influenza : The Mother of All Pandemics, Emerging Infectious Diseases, www.cdc.gov/eid, Vol.12, No.1, January 2006, Pp. 15 - 22 .
- 3- Jim Nichol, Russia - Georgia Conflict in August 2008 : Context and Implications for U.S. Interests, Congressional Research Service, U.S.A., 3 March, 2009, Pp.1 - 36 .
- 4- Melvyn P.Leffler, Ronald Reagan and The Cold War : What Mattered Most, Texas National Security Review, Vol.1, Issue.3, May 2018, Pp.77 - 89 .
- 5- Michael Cox and Caroline Kenney - Pipe, Special Forum: The Marshall Plan and the Origins of The Cold War: The Tragedy of American Diplomacy?, Journal of Cold War Studies, Vol.7, No. 1, Harvard College and the Massachusetts Institute of Technology, Winter 2005

جودة خدمات التعليم عن بعد المقدمة من الجامعات الفلسطينية في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩ -الجامعة

الإسلامية نموذجاً- محمد حسن أبو رحمة/محمد عبد الكريم القططي

باحث دكتوراه

أستاذ الإدارة التربوية المساعد

جامعة يحيى فارس-المدية

وزارة التربية والتعليم العالي-فلسطين

alqTTY.mohammed@univ-medea.dz aburahma2009@hotmail.com

ملخص الدراسة

هدفت الدراسة إلى الكشف عن جودة خدمات التعليم عن بعد المقدمة من الجامعات الفلسطينية في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩، واستخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وطبقت أدوات الدراسة على عينة عشوائية بلغ عددها (١٠٢) طالباً وطالبة، واستخدم الباحثان الاستبانة كأداة لجمع البيانات، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة إلى أن درجة جودة خدمات التعليم عن بعد المقدمة من الجامعة الإسلامية بغزة في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩ كانت متوسطة بوزن نسبي 60.7%، وكذلك كشفت عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات عينة الدراسة لدرجة جودة خدمات التعليم عن بعد تعزى لمتغير الجنس وتخصص الثانوية العامة وتخصص الكلية والسنة الدراسية، إلا في المحور الثالث بمتغير تخصص الكلية لصالح الكليات العلمية، وأوصت الدراسة بضرورة أن تولي الجامعات اهتماماً كافياً لتطوير معايير جودة التعليم عن بُعد، وكذلك ضرورة قيام هيئة الاعتماد والجودة في وزارة التربية والتعليم العالي بتشكيل فرق عمل وطنية بالتعاون مع الجامعات المحلية، تعمل بجدية للتأكد من متابعة معايير جودة التعلم عن بعد.

الكلمات المفتاحية: الجودة؛ الخدمات التعليمية؛ وباء كوفيد ١٩؛ الجامعات الفلسطينية؛ الجامعة الإسلامية

Abstract:

The study aimed at identifying the quality of distance learning in Palestinian universities during the COVID -19 pandemic. The researchers used descriptive analysis methodology and the study's was completed on randomly selected sample of (102) male and female student. And the researchers used a survey to collect data. And the study found the following:

- The quality of distance learning in Islamic university during the COVID -19 pandemic was above average, at 60.7%.
- There are no significant differences reported by the study sample in the quality of distance learning attributed to (gender, high school minor, college major, and school year) variables. The study recommends that universities support the quality criteria of distance learning, and the study also recommend that the QUALITY and ACCDERITATION Council put together national taskforce committees at cooperate with local universities to ensure the quality of distance learning.

Keywords: Quality; Educational services; COVID 19 Epidemic; Palestinian universities; Islamic University

مقدمة

بدأت كثير من الأمم مراجعة حياتها، وتحليل نقاط القوة والضعف فيها، وتحديد فرص التطوير وخياراته، وهذا ما يفسر اهتمام كثير من دول العالم بمراجعة أنظمتها التربوية والتعليمية مراجعة جذرية بشكل مستمر؛ للاطمئنان على قدراتها والخدمات التعليمية المقدمة للطلبة، وهل تلك الخدمات ذات جودة قادرة على إعداد الأجيال لمجتمع القرن الحادي والعشرين.^١

يمكن عدّ التعليم عن بعد بديلاً حاليًا يساعد في استمرار العملية التعليمية وبحول دون انقطاعها، وفي مرحلة التعليم عن بعد التي نخوضها حاليًا، يتوجب علينا أن ندرك بحرص، ونتواضع أمام محدودية هذه التقنيات الحديثة في التعلم، وضعفها، وسلطتها علينا بأدواتها المضبوطة، وإن كانت الخيار الجيد والوحيد المتبقي أمامنا ضمن هذه الأوضاع القهرية، ففي البداية يمكننا القول إن الانتقال من التعليم الوجاهي إلى التعليم الإلكتروني لم يكن انتقالًا طبيعيًا، وهو ليس نتاج تطور تقني وتكنولوجي، بل هو أمر واقعي فرضته علينا جائحة كوفيد-١٩.

إن اعتماد الجامعات لتقديم خدمات التعليم لطلابها بمستوى جودة عالي، جاء لتحقيق النجاح والبقاء وبناء مركز تنافسي، كذلك تحقيق عائد مناسب للاستثمار وتقليل التكاليف في البيئة التنافسية في الوقت الحاضر.^٢

وأن سعي الجامعة لتقديم خدمة تعليمية ذات جودة عالية تلبي حاجات، ورغبات الطلبة الدارسين، وهذا سيعزز بالتأكيد من العلاقة الإيجابية للطلبة في الجامعة وزيادة ولائهم وتشجيعهم بالتأكد لبقية الطلبة من معارفهم بالتسجيل في الجامعة، وجذب المزيد من الطلبة الجدد وخاصة في ظل هذه الجائحة كوفيد ١٩.^٣

وتجارباً مع التغيرات، والتطورات العالمية في ظل جائحة كورونا ١٩، فقد شهد التعليم الفلسطيني اهتمام ملحوظ على مختلف المستويات لمواكبة حاجات المجتمع في ظل هذه الجائحة، وتقديم الخدمات التعليمية بأعلى جودة، من خلال إعداد الكوادر والطاقات البشرية الفنية والعلمية والثقافية والمهنية في الجانب الأكاديمي والإداري.

إن مفهوم جودة الخدمة ينعكس من خلال تقييم الطالب للخدمة المقدمة، حيث أصبحت الجودة وتحقيق رضا الطالب هاجساً للجامعات، ومحور اهتمامها ودائمة البحث على حاجات الطلبة وتقديم خدمة تحقق رضاهم.^٤

ومن خلال ما سبق يمكننا القول بأن ما تقدمه الجامعات والمنصات التعليمية المختلفة، له إيجابيات وسلبيات، كما أن موضوع التعليم عن بعد بدأت فيه العديد من المؤسسات والجامعات منذ فترة طويلة، لكن لم تتم دراسته بصورة مفصلة، لذا استشرع الباحثان هذه المشكلة وتكون شعور لدهما لإخضاع هذه المشكلة للدراسة العلمية المنظمة للوصول إلى مجموعة من النتائج التي في ضوئها سيتم الخروج بمجموعة من التوصيات المناسبة.

مشكلة الدراسة:

^١ أبو شرار، عدنان، درجة التزام المشرفين التربويين بتوظيفي خصائص الإشراف التربوي الحديث في مدارس وكالة الغوث الدولية في الأردن من وجهة نظر المعلمين"، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، كلية العلوم التربوية، ٢٠٠٩، ص٢.

^٢ الفرا، إسماعيل؛ والعوضي، رأفت، قياس جودة الخدمات التي تقدمها الجامعات الفلسطينية في ضوء المتغيرات العالمية المعاصرة، ورقة علمية مقدمة إلى المؤتمر العلمي الأول، المنعقد في جامعة القدس المفتوحة فلسطين، خلال فترة ٢٢ أكتوبر، ٢٠١٣، ص٢٣.

^٣ الربيعي، ليث سلمان، عوامل جذب الطلبة الأجانب في استهداف الجامعة الأسواق الدولية "دراسة تحليلية لاتجاهات الطلبة الوافدين في جامعة البتراء"، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعية، العدد ١٦، ٢٠٠٧، ص٣٢.

^٤ الفرا، إسماعيل؛ والعوضي، رأفت، قياس جودة الخدمات التي تقدمها الجامعات الفلسطينية في ضوء المتغيرات العالمية المعاصرة، ورقة علمية مقدمة إلى المؤتمر العلمي الأول، المنعقد في جامعة القدس المفتوحة فلسطين، خلال فترة ٢٢ أكتوبر، ٢٠١٣، ص٢٢.

تسبب الإعلان عن حالات مصابة بفيروس كورونا في فلسطين بإثارة مخاوف حول إمكانية انتشاره في الجامعات الفلسطينية، حيث يجتمع آلاف الطلاب يومياً، مما دفع الجهات الحكومية إلى إغلاق الجامعات وتعطيل الدراسة، وحث الجامعات على إيجاد بدائل تعليمية تقوم على تقديم الخدمات التعليمية للطلبة عن بعد، وعلى الرغم مما حققه التعليم الفلسطيني الجامعي من نقلة نوعية خلال العشر سنوات الماضية، إلى أن هناك قصوراً واضحاً في البنية التحتية الإلكترونية الجامعية، وقصوراً في خدمات تقديم المحتوى الإلكتروني وخدمات الدعم والمساندة وخدمات التقييم الإلكتروني.

يرى (فقيه، ٢٠٢٠) أن اتفاق المختصين والتربويين إلى الانتقال للتعليم عن بعد إلكترونياً في فلسطين كان مفاجئاً ودون أي تخطيط مسبق، في ظل هذه الأزمة، كونه الخيار المتاح، وبعد العرض السابق يرى الباحثان أن مشكلة الدراسة تتحدد في السؤال الرئيس التالي: **ما درجة جودة خدمات التعليم عن بعد المقدمة من الجامعات الفلسطينية في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩؟** ويتفرع منه الأسئلة الآتية:

١. ما درجة جودة المحتوى المقدم في خدمات التعليم عن بعد المقدمة في الجامعة الإسلامية بغزة في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩؟
 ٢. ما درجة جودة خدمات الدعم والإشراف عن بعد المقدمة من قبل أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بغزة في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩؟
 ٣. ما درجة جودة خدمات تقييم أداء الطلاب المقدمة في الجامعة الإسلامية بغزة في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩؟
 ٤. ما معيقات استخدام خدمات التعليم عن بعد؟
 ٥. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة $\alpha \leq 0.05$ بين متوسطات استجابات أفراد العينة لدرجة جودة خدمات التعليم عن بعد المقدمة من الجامعات الفلسطينية في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩ تعزى لمتغيرات (الجنس، تخصص الثانوية العامة، تخصص الكلية، السنة الدراسية)؟
- أهداف الدراسة: تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:**

١. الكشف عن درجة جودة المحتوى المقدم في خدمات التعليم عن بعد في الجامعات الفلسطينية في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩.
 ٢. التعرف إلى درجة جودة خدمات الدعم والإشراف عن بعد المقدمة من قبل أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بغزة في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩.
 ٣. الكشف عن درجة جودة خدمات تقييم أداء الطلاب المقدمة في الجامعة الإسلامية بغزة في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩.
 ٤. التعرف إلى اتجاه الفروق بين متوسطات استجابات أفراد العينة لدرجة جودة خدمات التعليم عن بعد المقدمة من الجامعات الفلسطينية في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩ والتي تعزى لمتغيرات (الجنس، تخصص الثانوية العامة، تخصص الكلية، السنة الدراسية).
- أهمية الدراسة:**

تكمن أهمية هذه الدراسة في ندرتها في البيئة الفلسطينية، حيث لم تقع يد الباحثين علي بحث كتب في هذا المجال، يدرس جودة خدمات التعليم عن بعد المقدمة في الجامعات الفلسطينية في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩، كما قد يوفر البحث مرجعاً للدارسين.

وقد يسد البحث ثغرة علمية من خلال إثراء المكتبة بالإطار النظري الشامل الذي ستقدمه الدراسة بحول الله، وقد يفتح آفاق بحوث مستقبلية أمام الدارسين، وقد يعين البحث المسؤولين عن الجامعات الفلسطينية في تحسين وتجويد الخدمات التعليمية المقدمة للطلبة، وقد يفيد المسؤولين في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في تكوين رؤية واضحة مبنية على أسس علمية في إدارة التعليم العالي وقت الأزمات.

فروض الدراسة:

١. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة $0.05 \leq \alpha$ بين متوسطات استجابات أفراد العينة لدرجة جودة خدمات التعليم عن بعد المقدمة من الجامعات الفلسطينية في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩ تعزى لمتغيرات (الجنس، تخصص الثانوية العامة، تخصص الكلية، السنة الدراسية)؟

حدود البحث: ستقتصر هذه الدراسة على الحدود الآتية :

١. **حد الموضوع:** اقتصرت هذه الدراسة على موضوع جودة خدمات التعليم عن بعد المقدمة من الجامعات الفلسطينية في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩.
 ٢. **الحد المكاني:** سيتم تطبيق هذه الدراسة في الجامعة الإسلامية بمحافظة فلسطين الجنوبية.
 ٣. **الحد البشري:** سيتم تطبيق الدراسة على عينة من طلبة الجامعة من مختلف التخصصات.
 ٤. **الحد الزمني:** يتوقع أن يتم تطبيق هذه الدراسة في منتصف العام ٢٠٢٠ م.
- مصطلحات الدراسة:

جودة خدمات التعليم: ويعرفها الباحثان إجرائياً: بأنها مجموعة من الإجراءات والأسس التي تصف خصائص التعليم عن بعد، كي يلي توقعات المتعلمين ويضمن الناتج التعليمي النهائي حسب المعايير المقبولة عالمياً للتعليم.

التعليم عن بعد: ويعرفه الباحثان إجرائياً: هو نظام تعليمي يقوم على فكرة إيصال المادة التعليمية إلى المتعلم عبر وسائط أو أساليب الاتصالات التقنية المختلفة، إذ يكون المتعلم بعيداً ومنفصلاً عن المعلم أو القائم بالعملية التعليمية.

وباء كوفيد ١٩: ويتبنى الباحثان تعريف منظمة الصحة العالمية (٢٠٢٠): بأنه مرض معدٍ يسببه فيروس كورونا المكتشف مؤخراً، ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس وهذا المرض المستجد قبل اندلاعه في مدينة يوهان الصبينة في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٩.

الدراسات السابقة:

١. **دراسة عواج، وتبري (٢٠١٦) بعنوان: دور مواقع التواصل الاجتماعي في دعم التعليم عن بعد لدى الطلبة الجامعيين.**^١ هدفت الدراسة الكشف عن مدى إمكانية مواقع التواصل الاجتماعي المساهمة في دعم التعليم عن بعد، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، والاستبانة أداة لجمع البيانات، وتكونت عينة الدراسة من (١٩٧)، طالب، وكانت أهم النتائج: أن مواقع التواصل الاجتماعي وخاصة الفيس بوك، يلعب دوراً فعالاً في عملية التعليم عن بعد، وتساهم في تذليل العقبات التي يمر بها، كما وأوصت الدراسة بضرورة القيام بتجارب للتعليم عن بعد عبر مواقع التواصل وتعميمها على مستوى الجامعات.
٢. **دراسة الملا، أحلام (٢٠١٦) بعنوان: تقييم تجربة التعليم عن بعد في الجامعات الماليزية وكلية التربية للبنات وفق معايير الجودة المأخوذة من وكالة التحقق من الجودة للتعليم العالي-بريطانيا.**^٢

^١ عواج، سامية؛ وتبري، سامية، دور مواقع التواصل الاجتماعي في دعم التعليم عن بعد لدى الطلبة الجامعيين، ورقة علمية مقدمة للمؤتمر الدولي الحادي عشر: "التعلم في عصر التكنولوجيا الرقمية"، المنعقد بطرابلس ٢٢-٢٤ إبريل، ٢٠١٦.

^٢ الملا، وأحلام، تقييم تجربة التعليم عن بعد في الجامعات الماليزية وكلية التربية للبنات وفق معايير الجودة المأخوذة من وكالة التحقق من الجودة للتعليم العالي-بريطانيا، المجلة الدولية للأبحاث التربوية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، مجلد ٣٩، ٢٠١٦، ص ١٦٨-١٢٣.

هدفت الدراسة التعرف إلى مدى تطبيق تجربتين من تجارب التعليم عن بعد، في دولتي ماليزيا والمملكة العربية السعودية، واستخدمت الدراسة المنهج الكيفي بالاعتماد على أسلوب تحليل الوثائق، والمنهج الوصفي التحليلي، كما تم تطبيق الاستبانة على جميع كليات البنات بالدولتين لجمع البيانات اللازمة، وكان عدد الاستبانات المستردة (٣٠)، وكانت أهم النتائج: أن أهم عوامل الجودة في التعليم عن بعد هو الإعداد الجيد للبنية التحتية، وتوافر الخبرة المادية والبشرية والإدارية والفنية، وأوصت الدراسة بضرورة التركيز المستمر على تدريب العاملين والطلاب والاساتذة على الاستخدام الأمثل للتقنيات الحديثة للتعليم عن بعد.

٣. دراسة السعافين، فاطمة (٢٠١٥) بعنوان: استراتيجية مقترحة لتحسين مستوى جودة الخدمات الطلابية في الجامعات الفلسطينية.^١

هدفت الدراسة التوصل إلى استراتيجية مقترحة لتحسين جودة الخدمات الطلابية في الجامعات الفلسطينية في محافظات غزة، وكذلك التعرف إلى مستوى جودة الخدمات الطلابية في الجامعات الفلسطينية، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتم توزيع الاستبانة على عينة مقدارها (٥٦٨) طالب وطالبة، وكانت أهم النتائج: عدم وجود فروق دالة إحصائية تعزى لمتغيري الجنس، والتخصص الجامعي، ووجود فروق تعزى لمتغير الجامعة لصالح الجامعة الإسلامية، وقد أوصت الدراسة بضرورة توعية الطلاب بالخدمات التي يفترض أن تقدم لهم.

التعليق على الدراسات السابقة: يتضح من الدراسات السابقة أن منها من تناول دور مواقع التواصل الاجتماعي في دعم التعليم عن بعد كدراسة عواج وتبري (٢٠١٦)، ومنها من تناول تقويم التجارب الدولية في التعليم عن بعد وفق معايير الجودة كدراسة الملا (٢٠١٦)، ومنها من تناول تقويم جودة التعلم الإلكتروني واقترح استراتيجيات لتحسين مستوى جودة الخدمات الطلابية كدراسة السعافين (٢٠١٥) وقد اتفقت الدراسة الحالية من حيث الموضوع مع الدراسات السابقة في تناول موضوع جودة خدمات التعليم والتعليم عن بعد.

إجراءات الدراسة:

أولاً: منهج الدراسة: استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، الذي يبحث عن الحاضر، ويهدف إلى تجهيز بيانات لإثبات فروض معينة تمهيداً للإجابة عن تساؤلات محددة بدقة تتعلق بالظواهر الحالية، والأحداث الراهنة التي يمكن جمع المعلومات عنها في زمان إجراء البحث، وذلك باستخدام أدوات مناسبة.^٢

ثانياً: مجتمع الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة من جميع الطلبة المسجلين للعام الدراسي ٢٠١٩-٢٠٢٠م في جميع التخصصات التي تطرحها الجامعة الإسلامية في فلسطين والبالغ عددهم ١٦٤٥٤ طالباً وطالبة.

ثالثاً عينة الدراسة:

العينة الاستطلاعية: شملت عينة الدراسة الاستطلاعية (٣٠) فرداً من طلاب وطالبات الجامعة الإسلامية بغزة، بغرض تقنين أداة الدراسة، والتحقق من صلاحيتها للتطبيق على العينة الأصلية.

عينة الدراسة الأصلية: تكونت عينة الدراسة من ١٠٢ طالباً وطالبة من طلبة الجامعة الإسلامية بغزة، والبالغ عددهم (١٦٤٥٤)، والجدول رقم (١) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغيرات الدراسة.

^١ السعافين، فاطمة، استراتيجية مقترحة لتحسين مستوى جودة الخدمات الطلابية في الجامعات الفلسطينية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية التربية، ٢٠١٥.
^٢ الأغا، إحسان، البحث التربوي وعناصره، مناهجه وأدواته، ط٤، غزة: الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٢، ص ٤٣.

جدول رقم (١) توزيع عينة الدراسة وفقاً للنوع

النوع	العدد	النسبة المئوية
ذكر	40	39.2%
أنثى	62	60.8%
المجموع	102	100%

يوضح الجدول رقم (٢) توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لتخصص الثانوية العامة.

المجموع	تخصص الثانوية العامة		الجنس
	علمي	علوم إنسانية	
40	31	9	ذكر
62	46	16	انثى
77	25	49	المجموع

يوضح الجدول رقم (٣) توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لتخصص الكلية.

المجموع	تخصص الكلية		الجنس
	كلية أدبية	كلية علمية	
40	31	9	ذكر
62	46	16	انثى
77	25	49	المجموع

وضح الجدول رقم (٤) توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً للسنة الدراسية.

المجموع	السنة الدراسية		الجنس
	سنة ثالثة فأكثر	سنة ثانية فأقل	
40	26	14	ذكر
62	33	29	انثى
102	59	43	المجموع

رابعاً: أداة الدراسة: استخدم الباحثان الاستبانة لتحقيق أهداف الدراسة.

وصف الاستبانة: بعد الاطلاع على الأدب التربوي، وفي ضوء الدراسات السابقة المتعلقة بمشكلة الدراسة واستطلاع آراء عينة من المتخصصين، قام الباحثان ببناء وتطوير استبانة تكشف جودة خدمات التعليم عن بعد المقدمة من الجامعات الفلسطينية في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩، تم تقسيمها إلى أربعة محاور.

صدق الاستبانة:

صدق الاتساق الداخلي: قام الباحثان بتوزيع العينة الاستطلاعية المكونة من (٣٠) استبانة على طلبة وطالبات الجامعة الإسلامية، ثم قام الباحثان بتحديد مدى التجانس الداخلي للاستبانة بحساب معاملات الارتباط بيرسون بين درجات كل فقرة من فقرات الاستبانة والدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه كما توضح ذلك الجداول التالية (٥ - ١٥).

وقد قام الباحثان بعمل اختبار Kolmogorov-Smirnov Test للتأكد من أن البيانات تتبع التوزيع الطبيعي وظهر أن البيانات تتبع التوزيع الطبيعي حيث أن الدلالة الإحصائية للمجالات ككل كانت أكبر من (٠,٠٥) مما حدى بالباحثين استخدام الاختبارات المعلمية لبيانات تتبع التوزيع الطبيعي.

جدول رقم (٥) يوضح معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات المحور الأول والدرجة الكلية للمحور.

القيمة الاحتمالية	معامل الارتباط	المحور الأول: جودة المحتوى المقدم في خدمات التعليم عن بعد
.001	.830**	يراعي المحتوى الإلكتروني الدقة والموضوعية والحداثة
.000	.786**	يعرض محتوى المقرر بشكل يحترم التباين واختلاف المواهب وأنماط التعلم المختلفة للطلبة.
.000	.842**	يحتوي التصميم التعليمي للمقررات على وصف واضح وشامل لأهداف التعلم ومخرجاته.
.000	.764**	يسمح للطلبة الاختيار من بين مشروعات مختلفة داخل المقرر الواحد.
.000	.821**	مصادر التعلم متوافرة والوصول إليها سهل.
.000	.811**	آليات وسائل ووسائط التعلم والتعليم المستخدمة في تدريس المادة الدراسية كانت فاعلة وواضحة.

يبين الجدول رقم (٥) معاملات ارتباط بين كل فقرة من فقرات المحور الأول والدرجة الكلية لفقراته، وهي دالة عند مستوى الدلالة (0.01) ومعاملات الارتباط محصورة بين المدى (0.764-0.830)، وبذلك تعتبر فقرات المحور صادقة وتقيس ما وضعت لقياسه.

جدول رقم (٦) يوضح معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات المحور الثاني والدرجة الكلية للمجال.

المحور الثاني: جودة خدمات الدعم والإشراف عن بعد المقدمة من قبل أعضاء هيئة التدريس		
.000	.735**	توفر الجامعة خدمات تدريب تقنية للطلاب قبل الالتحاق بالمقرر الإلكتروني
.000	.841**	توفر الجامعة خدمات للطلاب بعد الانتهاء من دراسة المقرر وتشمل معلومات عن النتائج.
.000	.858**	توجد آليات وتعليمات واضحة للتفاعل بين الدارس والمشرّف.
.000	.841**	يوجد دليل يشرح للدارس ما يتوقع منه وما هي المهارات التي يجب ان يتقنها من اجل النجاح في بيئة التعلم الإلكتروني.

.000	.915**	يحتوي المقرر الإلكتروني على إمكانيات للدخول الى مكتبات الكترونية وكتب ر الجدولية عند درجة حرية (28) وعند مستوى دلالة (0.01) = 0.463 ر الجدولية عند درجة حرية (28) وعند مستوى دلالة (0.05) = 0.361
------	--------	---

يبين الجدول رقم (٦) معاملات ارتباط بين كل فقرة من فقرات المحور الثاني والدرجة الكلية لفقراته، وهي دالة عند مستوى الدلالة (0.01) ومعاملات الارتباط محصورة بين المدى (0.735-0.915)، وبذلك تعتبر فقرات المحور صادقة وتقيس ما وضعت لقياسه.

جدول رقم (٧) يوضح معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات المحور الثالث والدرجة الكلية للمجال.

المحور الثالث: جودة خدمات تقييم أداء الطلاب		
.000	.824**	آليات التقييم في المقررات الالكترونية واضحة.
.000	.723**	طرق التقييم في البرنامج متنوعة بين الاختبارات والأبحاث والمشاريع والتعيينات
.000	.857**	تراعي طرق التقييم الفروق الفردية بين الطلبة
.000	.751**	إجراءات التقييم والتصحيح وإعلان الدرجات تجرى بشكل موثوق ومنظم
.000	.633**	آليات التقييم بما لوائح واضحة تحدد تشمل غياب الطالب والحالات المرضية وغيرها من الظروف المحتملة
ر الجدولية عند درجة حرية (28) وعند مستوى دلالة (0.01) = 0.463 ر الجدولية عند درجة حرية (28) وعند مستوى دلالة (0.05) = 0.361		

يبين الجدول رقم (٧) معاملات ارتباط بين كل فقرة من فقرات المحور الثالث والدرجة الكلية لفقراته، وهي دالة عند مستوى الدلالة (0.01) ومعاملات الارتباط محصورة بين المدى (0.633-0.857)، وبذلك تعتبر فقرات المحور صادقة وتقيس ما وضعت لقياسه.

جدول رقم (٨) يوضح معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات المحور الرابع والدرجة الكلية للمجال.

المحور الرابع: معيقات استخدام خدمات التعليم عن بعد		
.000	.506**	قلة تدريب الطلبة على استخدام نظام التعليم عن بعد
.001	.774**	صعوبة استخدام نظام التعليم عن بعد
.000	.826**	قلة إمكانية توافر الانترنت بشكل يومي
.000	.883**	قلة توافر الدعم الفني والصيانة اللازمة للنظام
.000	.701**	ضعف مهارات استخدام الحاسوب بشكل عام
.000	.733**	انقطاع التيار الكهربائي بشكل متكرر
.000	.632**	سهولة الغش أثناء تقديم الامتحانات عن بعد
.000	.706**	ضعف التفاعل بين الطلبة وأعضاء هيئة التدريس
ر الجدولية عند درجة حرية (28) وعند مستوى دلالة (0.01) = 0.463 ر الجدولية عند درجة حرية (28) وعند مستوى دلالة (0.05) = 0.361		

يبين الجدول رقم (٨) معاملات ارتباط بين كل فقرة من فقرات المحور الرابع والدرجة الكلية لفقراته، وهي دالة عند مستوى الدلالة (0.01) ومعاملات الارتباط محصورة بين المدى (0.506-0.883)، وبذلك تعتبر فقرات المحور صادقة وتقيس ما وضعت لقياسه.

الصدق البنائي: إن الصدق البنائي يقيس مدى ارتباط كل محور من محاور الدراسة بالدرجة الكلية لفقرات الاستبانة. وللتحقق من الصدق البنائي تم حساب معاملات الارتباط بين درجة كل مجال من مجالات الاستبانة والدرجة الكلية للاستبانة، حيث إن هذه المعاملات دالة عند مستوى دلالة 0.01 و 0.05، حيث أن القيمة الاحتمالية لجميع المحاور أقل من 0.01 والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول رقم (٩) يوضح معاملات ارتباط كل مجال من مجالات الاستبانة مع الدرجة الكلية للمجالات

المحور	معاملات الارتباط	القيمة الاحتمالية
المحور الأول: جودة المحتوى المقدم في خدمات التعليم عن بعد.	.862**	.000
المحور الثاني: جودة خدمات الدعم والإشراف عن بعد المقدمة من قبل أعضاء هيئة التدريس.	.845**	.000
المحور الثالث: جودة خدمات تقييم أداء الطلاب.	.778**	.000
المحور الرابع: معيقات استخدام خدمات التعليم عن بعد.	.387*	.000

يتضح من الجدول السابق رقم (٩) أن جميع المحاور للاستبانة ترتبط بالدرجة الكلية للاستبانة ارتباطاً ذا دلالة إحصائية عند مستوى (0.01)، وهذا يؤكد على أن الاستبانة تتمتع بدرجة عالية من صدق الاتساق الداخلي.

ثبات الاستبانة Reliability: يقصد بثبات الاستبانة أن تعطي هذه الاستبانة نفس النتيجة لو تم إعادة توزيع الاستبانة أكثر من مرة تحت نفس الظروف والشروط، وأجرى الباحثان خطوات التأكد من ثبات الاستبانة بحساب معامل الثبات للعينات الاستطلاعية المكونة من (٣٠) فرداً بطريقتين هما التجزئة النصفية ومعامل ألفا كرونباخ.

طريقة التجزئة النصفية Split-Half Coefficient: تم حساب الارتباط بين الجزئين بمعادلة سبيرمان براون Spearman Brown إذا كانت التجزئة النصفية متساوية الثباتين، أو استخدام معامل جتمان للتجزئة النصفية غير المتساوية الثباتين. جدول رقم (١٠) يوضح معامل الثبات بعد التعديل للاستبانة.

المحور	عدد الفقرات	معامل الثبات
المحور الأول: جودة المحتوى المقدم في خدمات التعليم عن بعد	*٦	٠,٧٨٦
المحور الثاني: جودة خدمات الدعم والإشراف عن بعد المقدمة من قبل أعضاء هيئة التدريس	*٥	٠,٩٠٠
المحور الثالث: جودة خدمات تقييم أداء الطلاب	*٥	0.862
المحور الرابع: معيقات استخدام خدمات التعليم عن بعد	٨	0.875
الثبات الكلي	٢٤	٠,٩٣٥

*تم استخدام معامل جتمان لأن تباين النصفين غير متساوي، يتبين من الجدول السابق رقم (١٠) أن الاستبانة تتمتع بدرجة عالية من الثبات حيث تراوحت قيم معامل الثبات بين (٠,٧٨٦) و (٠,٩٠٠) وبلغ معامل الثبات الكلي للاستبانة (٠,٩٣٥) وهي قيمة عالية مما جعل الباحثين يطمئنان إلى ثبات الاستبانة.

طريقة معامل ألفا كرونباخ :Cranach's Alpha Coefficient

المحور	عدد العبارات	معامل الثبات
المحور الأول: جودة المحتوى المقدم في خدمات التعليم عن بعد	٦	0.890
المحور الثاني: جودة خدمات الدعم والإشراف عن بعد المقدمة من قبل أعضاء هيئة التدريس	٥	٠,٨٩٢
المحور الثالث: جودة خدمات تقييم أداء الطلاب	٥	٠,٨١١
المحور الرابع: معايير استخدام خدمات التعليم عن بعد	٨	٠,٨٦٢
الثبات الكلي	٢٤	٠,٨٩١

يتبين من الجدول رقم (١١) أن الاستبانة تتمتع بدرجة عالية من الثبات حيث تراوحت قيم ألفا بين (٠,٨١١) و(٠,٨٩٢) وبمعامل ثبات كلي بلغ (٠,٨٩١) وهي قيم عالية تطمئن الباحثان إلى تطبيقها على عينة الدراسة.

المعالجات الإحصائية المستخدمة في الدراسة: تم إدخال البيانات إلى الحاسب الآلي من قبل الباحثين باستخدام برنامج التحليل الإحصائي (SPSS) وقد تم تحليل البيانات باستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة لمعالجة بيانات الاستبانة التي وزعت، وذلك للإجابة على أسئلة الدراسة، وهذه الأساليب هي:

- التكرارات والنسب المئوية للمتغيرات الديموغرافية (الصفات الشخصية).
 - المتوسط الحسابي والانحراف المعياري.
 - اختبار T.test لإيجاد الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين الطلبة والطالبات طبقاً لجميع متغيرات الدراسة
- نتائج الدراسة ومناقشتها وتفسيرها:

تمهيد: يحتوي هذا الفصل على أهم ما توصل إليه الباحثان في دراستهما، من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة من خلال تحليل الاستبانة، إضافة إلى ملخص لنتائج الدراسة وتوصياتها.

المحك المعتمد: لتحديد المحك المعتمد في الدراسة، فقد تم تحديد طول الخلايا في مقياس ليكرت الخماسي من خلال حساب المدى بين درجات المقياس (4-1=3)، ومن ثم تقسيمه على أكبر قيمة في المقياس للحصول على طول الخلية أي (4/3=0.80)، وبعد ذلك تم إضافة هذه القيمة إلى أقل قيمة في المقياس (بداية المقياس وهي واحد صحيح) وذلك لتحديد الحد الأعلى لهذه الخلية، وهكذا أصبح طول الخلايا كما هو موضح في الجدول الآتي رقم (١٢) (ملحم، ٢٠٠٠: ٤٢).

الجدول رقم (١٢) يوضح المحك المعتمد في الدراسة

طول الخلية	الوزن النسبي المقابل له	درجة الموافقة
من 1 - 1.80	من 20%-36%	بدرجة قليلة جدا
أكبر من 1.80 - 2.60	أكبر من 36%-52%	بدرجة قليلة
أكبر من 2.60 - 3.40	أكبر من 52%-68%	بدرجة متوسطة
أكبر من 3.40 - 4.20	أكبر من 68%-84%	بدرجة كبيرة
أكبر من 4.20 - ٥	أكبر من 84%-100%	بدرجة كبيرة جدا

النتائج المتعلقة بالإجابة عن السؤال الأول وتفسيرها: للإجابة عن السؤال الرئيس من أسئلة الدراسة: الذي ينص على: "ما درجة جودة خدمات التعليم عن بعد المقدمة من الجامعات الفلسطينية في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩؟ قام الباحثان بتقسيم هذا السؤال إلى أسئلة فرعية على النحو التالي: السؤال الفرعي الأول: ما درجة جودة المحتوى المقدم في خدمات التعليم عن بعد المقدمة في الجامعة الإسلامية بغزة في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩؟

وللإجابة عن هذا السؤال قام الباحثان بحساب المتوسط الحسابي الموزون والنسبة المئوية والانحراف المعياري، وتم ترتيب كل فقرة من فقرات المحور الأول " ودرجة توافر كل فقرة بناء على ما ورد في الجدول (١٢)، والجدول رقم (١٣) يبين تقديرات إجابات الأفراد.

جدول (١٣) يبين المتوسط الحسابي الموزون والنسبة المئوية والانحراف المعياري للمحور الأول

الفرقة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية للمتوسط الحسابي	درجة التوافر	ترتيب الفقرات في المحور
يراعي المحتوى الإلكتروني الدقة والموضوعية والحداثة	2.8922	1.02355	57.843137	متوسطة	3
يعرض محتوى المقرر بشكل يحترم التباين واختلاف المواهب وأنماط التعلم المختلفة للطلبة.	2.5490	1.02085	50.980392	قليلة	5
يحتوي التصميم التعليمي للمقررات على وصف واضح وشامل لأهداف التعلم ومخرجاته.	2.8333	1.17804	56.666667	متوسطة	4
يسمح للطلبة الاختيار من بين مشروعات مختلفة داخل المقرر الواحد.	2.4608	1.27171	49.215686	قليلة	6
مصادر التعلم متوافرة والوصول إليها سهل.	2.9216	1.24826	58.431373	متوسطة	2
آليات وسائط ووسائل التعلم والتعليم المستخدمة في تدريس المادة الدراسية كانت فاعلة وواضحة.	3.0000	1.09001	60	متوسطة	1
الدرجة الكلية للمحور	2.7761	.90424	55.522876	متوسطة	

يتضح من الجدول أن الفقرة (٦) التي تنص على " آليات وسائط ووسائل التعلم والتعليم المستخدمة في تدريس المادة الدراسية كانت فاعلة وواضحة. قد حصلت على المرتبة الأولى بنسبة مئوية (٦٠%) وبدرجة تقدير متوسطة، ويعزو الباحثان ذلك أن رغم تدني جودة خدمات التعليم عن بعض الجامعات الفلسطينية إلا أن الآليات والوسائط المتبعة من قبل الجامعة واضحة حيث قامت الجامعة بتخصيص منصة "الموديل" لأغراض التعليم عن بعد، وهذا ما أكدته دراسة الملا (٢٠١٦)، حيث أكدت على أن توافر الخبرة والفنية وكذلك تعدد الوسائط التقنية من أهم عوامل نجاح التعلم عن بعد.

ويتضح أن الفقرة (٤) التي تنص على: يسمح للطلبة الاختيار من بين مشروعات مختلفة داخل المقرر الواحد. قد حصلت على المرتبة الأخيرة بنسبة مئوية بلغت ٤٩,٢% بدرجة تقدير قليلة، ويعزو الباحثان ذلك إلى أن هذه الجائحة عملت على خلط الأوراق أمام الجامعات والأساتذة ولم تعطي فرصة للجامعات لتجهيز عدة واجبات وتعيينات لتقديمها للطلبة، واكتفى كل أستاذ بتوفير تعيين أو واجب وحيد وتعميمه على جميع طلبته، وهذا ما أكدته دراسة السعافين (٢٠١٥) التي أكدت أن جودة الخدمات الجامعية المقدمة للطلاب جاءت بدرجة متوسطة.

السؤال الفرعي الثاني: ما درجة جودة خدمات الدعم والإشراف عن بعد المقدمة من قبل أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بغزة في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩؟

وللإجابة عن هذا السؤال قام الباحثان بحساب المتوسط الحسابي الموزون والنسبة المئوية والانحراف المعياري، وتم ترتيب كل فقرة من فقرات المحور الثاني " ودرجة توافر كل فقرة بناء على ما ورد في الجدول (١٢)، والجدول رقم (١٤) يبين تقديرات إجابات الأفراد.

جدول (١٤) يبين المتوسط الحسابي الموزون والنسبة المئوية والانحراف المعياري للمحور الثاني

ترتيب الفقرات في المحور	درجة التوافر	النسبة المئوية للمتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الفقرة
5	قليلة	42.745098	1.22708	2.1373	توفر الجامعة خدمات تدريب تقنية للطلاب قبل الالتحاق بالمقرر الإلكتروني
4	قليلة	50	1.20847	2.5000	توفر الجامعة خدمات للطلاب بعد الانتهاء من دراسة المقرر وتشمل معلومات عن النتائج.
1	متوسطة	55.098039	1.24627	2.7549	توجد آليات وتعليمات واضحة للتفاعل بين الدارس والمشرّف.
3	قليلة	51.764706	1.36689	2.5882	يوجد دليل يشرح للدارس ما يتوقع منه وما هي المهارات التي يجب ان يتقنها من اجل النجاح في بيئة التعلم الإلكتروني.
2	متوسطة	53.333333	1.26125	2.6667	يحتوي المقرر الإلكتروني على إمكانيات للدخول الى مكاتب الكترونية وكتب
	قليلة	50.588235	1.06228	2.5294	الدرجة الكلية للمحور

يتضح من الجدول أن الفقرة (٣) التي تنص على " توجد آليات وتعليمات واضحة للتفاعل بين الدارس والمشرّف". قد حصلت على المرتبة الأولى بنسبة مئوية (٥٥,٩%) وبدرجة تقدير متوسطة، ويعزو الباحثان ذلك بأن رغم تحبط وغياب المعايير والتعليمات إلا أن الجامعة أصدرت كتيب تعليمات للآلية التعامل بين الطالب والأستاذ أثناء مرحلة التعليم الإلكتروني.

كما يتضح أن الفقرة (٤) التي تنص على: " توفر الجامعة خدمات تدريب تقنية للطلاب قبل الالتحاق بالمقرر الإلكتروني " قد حصلت على المرتبة الأخيرة بنسبة مئوية بلغت ٤٢,٧% بدرجة تقدير قليلة، ويعزو الباحثان ذلك إلى أن التعليم عن بعد الذي وظفته الجامعة أثناء جائحة كورونا جاء بديلاً عن التعليم الوجاهي وبصورة إلزامية للتعامل مع الأزمة وليس نتائج تطور تكنولوجي، ولذلك لم تستطع الجامعة تقديم دوراتها التدريبية لطلابها، وهذا ما أكدته دراسة الملا (٢٠١٦)، التي أوصت بضرورة التركيز المستمر على تدريب العاملين والطلاب والأساتذة.

السؤال الفرعي الثالث: ما درجة جودة خدمات تقييم أداء الطلاب المقدمة في الجامعة الإسلامية بغزة في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩؟

وللإجابة عن هذا السؤال قام الباحثان بحساب المتوسط الحسابي الموزون والنسبة المئوية والانحراف المعياري، وتم ترتيب كل فقرة من فقرات المحور الثالث " ودرجة توافر كل فقرة بناء على ما ورد في الجدول (١٢)، والجدول رقم (١٥) يبين تقديرات إجابات الأفراد.

جدول (١٥) يبين المتوسط الحسابي الموزون والنسبة المئوية والانحراف المعياري للمحور الثالث

الفرقة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية للمتوسط الحسابي	درجة التوافر	ترتيب الفقرات في المحور
آليات التقييم في المقررات الالكترونية واضحة.	2.7647	1.35103	55.294118	متوسطة	3
طرق التقييم في البرنامج متنوعة بين الاختبارات والأبحاث والمشاريع والتعينات	3.5392	1.06865	70.784314	كبيرة	1
تراعي طرق التقييم الفروق الفردية بين الطلبة	2.7451	1.24826	54.901961	متوسطة	4
إجراءات التقييم والتصحيح وإعلان الدرجات تجرى بشكل موثوق ومنظم	2.9608	1.34180	59.215686	متوسطة	2
آليات التقييم بما لوائح واضحة تحدد تشمل غياب الطالب والحالات المرضية وغيرها من الظروف المحتملة	2.6471	1.30230	52.941176	متوسطة	5
الدرجة الكلية للمحور	2.9314	1.03656	58.627451	متوسطة	

يتضح من الجدول أن الفقرة (٢) التي تنص على " طرق التقييم في البرنامج متنوعة بين الاختبارات والأبحاث والمشاريع والتعينات". قد حصلت على المرتبة الأولى بنسبة مئوية (٧٠,٧٨%) ودرجة تقدير كبيرة، ويعزو الباحثان ذلك بأن رغم غياب المعايير والتعليمات إلا أن بعض الأساتذة قاموا بتوزيع درجات التقييم على الأبحاث والواجبات قدر الإمكان، مما أعطى عينة الدراسة شعور بأن المعايير واضحة لهم.

و يتضح أن الفقرة (٥) التي تنص على: " آليات التقييم بما لوائح واضحة تحدد تشمل غياب الطالب والحالات المرضية وغيرها من الظروف المحتملة " قد حصلت على المرتبة الأخيرة بنسبة مئوية بلغت ٥٢,٩٤ % بدرجة تقدير متوسطة، ويعزو الباحثان ذلك بأن الأساتذة اكتفوا فقط بتحديد الدرجة المطلوبة من التعيين أما باقي الشروط والمعايير الأخرى وطرق تعويض الطالب الغائب لم يتم الأساتذة بالتطرق لها لضباية القوانين والقواعد التي ستستخدمها إدارة الجامعة في هذا الأمر، وهذا ما أكدت عليه دراسة الملا (٢٠١٦)، حيث أكدت على ضرورة توفير القواعد الإدارية والفنية للعملية التعلم عن بعد.

السؤال الفرعي الرابع: ما معوقات استخدام خدمات التعليم عن بعد؟

وللإجابة عن هذا السؤال قام الباحثان بحساب المتوسط الحسابي الموزون والنسبة المئوية والانحراف المعياري، وتم ترتيب كل فقرة من فقرات المحور الرابع " ودرجة توافر كل فقرة بناء على ما ورد في الجدول (١٢)، والجدول رقم (١٦) يبين تقديرات إجابات الأفراد.

جدول (١٦) يبين المتوسط الحسابي الموزون والنسبة المئوية والانحراف المعياري للمحور الرابع

ترتيب الفقرات في المحور	درجة التوافر	النسبة المئوية للمتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الفقرة
2	كبيرة	82.745098	1.15218	4.1373	قلة تدريب الطلبة على استخدام نظام التعليم عن بعد
7	كبيرة	74.117647	1.16541	3.7059	صعوبة استخدام نظام التعليم عن بعد
3	كبيرة	80.392157	1.20215	4.0196	قلة إمكانية توافر الانترنت بشكل يومي
4	كبيرة	79.215686	1.02370	3.9608	قلة توافر الدعم الفني والصيانة اللازمة
8	كبيرة	69.411765	1.20811	3.4706	ضعف مهارات استخدام الحاسوب بشكل عام
5	كبيرة	80	1.18572	4.0000	انقطاع التيار الكهربائي بشكل متكرر
6	كبيرة	76.666667	1.03487	3.8333	سهولة الغش أثناء تقديم الامتحانات عن بعد
1	كبيرة	83.333333	1.07246	4.1667	ضعف التفاعل بين الطلبة وأعضاء هيئة التدريس
	كبيرة	78.235294	.77348	3.9118	الدرجة الكلية للمحور

يتضح من الجدول أن الفقرة (٨) التي تنص على "ضعف التفاعل بين الطلبة وأعضاء هيئة التدريس. قد حصلت على المرتبة الأولى بنسبة مئوية (٨٣,٣٣%) وبدرجة تقدير كبيرة، وهذا راجع إلى اقتصار منصة "الموديل" كوسيط وحيد للتفاعل بين الطالب والأستاذ والذي بدوره لا يتواجدان إلا مرة واحدة أو مرتين على أكبر تقدير وخلال مدة زمنية لا تتعدى الساعة أو الساعتين وليس في جميع المسافات بل فقط في المسافات التي تتطلب صفوف افتراضية، وهذا بعكس التعليم الوجيه الذي يسمح للطلبة بلقاء أساتذته شبه يومياً في الجامعة، وهذا ما أوصت به دراسة عواج، وتيري (٢٠١٦).

و يتضح أن الفقرة (٥) التي تنص على ضعف مهارات استخدام الحاسوب بشكل عام" قد حصلت على المرتبة الأخيرة بنسبة مئوية بلغت ٦٩,٤% بدرجة تقدير كبيرة، ويعزو الباحثان ذلك الوضع الاقتصادي الصعب والحصار المفروض على قطاع غزة.

والجدول رقم (١٧) يوضح ترتيب المحاور حسب الوزن النسبي لكل محور من محاور الاستبانة

المحور	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	درجة التقدير	الترتيب
المحور الأول: جودة المحتوى المقدم في خدمات التعليم عن بعد	2.7761	.90424	55.522876	متوسطة	3
المحور الثاني: جودة خدمات الدعم والإشراف عن بعد المقدمة من قبل أعضاء هيئة التدريس	2.5294	1.06228	50.588235	قليلة	4
المحور الثالث: جودة خدمات تقييم أداء الطلاب	2.9314	1.03656	58.627451	متوسطة	2
المحور الرابع: معيقات استخدام خدمات التعليم عن بعد	3.9118	.77348	78.235294	كبيرة	1

المتوسط الكلي لمجالات الاستبانة	3.0372	.66407	60.743464	متوسطة
---------------------------------	--------	--------	-----------	--------

يتضح من الجدول السابق رقم (١٧) أن:

- المحور الرابع " قد حصل على المرتبة الأولى في مجالات الاستبانة بنسبة مئوية (78.23%) وحسب المقياس المحكي المعتمد نجد أن هذا المحور قد حصل على درجة تقدير كبيرة، ويعزو الباحثان ذلك إلى: أن المعينات والمشاكل التي تواجه التعليم عن بعد غلبت جميع المحاسن بالنسبة للطلبة، حيث أن تلك العقبات تعبر شبح يؤرق جميع الطلبة بدون استثناء.

- المحور الثاني قد حصل على المرتبة الأخيرة في مجالات الاستبانة بنسبة مئوية (٥٠,٥٨٨%) وحسب المقياس المحكي المعتمد نجد أن هذا المحور حصل على درجة تقدير قليلة.

النتائج المتعلقة بالإجابة عن السؤال الفرعي الخامس الذي ينص على: -هل توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات تقدير أفراد عينة الدراسة لدرجة جودة خدمات التعليم عن بعد المقدمة من الجامعات الفلسطينية في ظل انتشار وباء كوفيد ١٩ والتي تعزى لمتغيرات (الجنس، تخصص الثانوية العامة، تخصص الكلية، السنة الدراسية) وللإجابة عن هذا السؤال اختبر الباحثان صحة فروض الدراسة كما يأتي:

١- النتائج المتعلقة بالفرض الأول الذي ينص على: "لا توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات تقدير أفراد عينة الدراسة لدرجة جودة خدمات التعليم عن بعد المقدمة من الجامعات الفلسطينية تعزى لمتغير الجنس

استخدم الباحثان اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين Two independent Sample T-test من أجل اختبار صحة الفرض الأول، ويبين الجدول (١) نتائج اختبار (ت) للتحقق من الفروق بين متوسطات استجابات أفراد العينة لدرجة جودة خدمات التعليم عن بعد تبعاً لمتغيرات الجنس على كل محور من محاور الاستبانة ثم بالنسبة للاستبانة بشكل عام.

الجدول رقم (١٨) نتائج اختبار (ت) للفروق بين متوسطي استجابات الأفراد تبعاً لمتغير الجنس.

المحور	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	درجات الحرية	مستوى الدلالة	وجود الدلالة
المحور الأول: جودة المحتوى المقدم في خدمات التعليم عن بعد	ذكر	40	2.8542	1.07164	.653	65.519	.516	غير دالة
	أنثى	62	2.7258	.78296				
المحور الثاني: جودة خدمات الدعم والإشراف عن بعد المقدمة من قبل أعضاء هيئة التدريس	ذكر	40	2.5650	1.18355	.271	100	.787	غير دالة
	أنثى	62	2.5065	.98561				
المحور الثالث: جودة خدمات تقييم أداء	ذكر	40	2.9450	1.08509	.106	100	.916	غير دالة
	أنثى	62	2.9226	1.01294				
المحور الرابع: معينات استخدام خدمات التعليم عن بعد	ذكر	40	3.8938	.96640	-.172	60.219	.864	غير دالة
	أنثى	62	3.9234	.62699				
جميع المحاور	ذكر	40	3.0645	.84244	.302	58.637	.764	غير دالة
	أنثى	62	3.0196	.52498				

قيمة ت الجدولية عند درجة حرية (١٠٠) وعند مستوى دلالة (0.05) = ٢

قيمة ت الجدولية عند درجة حرية (١٠٠) وعند مستوى دلالة (0.01) = ٢,٦٦٠

يتضح من الجدول رقم (١٨) أن: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات عينة الدراسة تعزى لمتغير الجنس في جميع محاور الاستبانة وفي الدرجة الكلية ويعزو الباحثان ذلك إلى أن الخدمات المقدمة من قبل الجامعة كانت على سواء وبنفس الدرجة والمستوى لجميع الطلبة بغض النظر عن جنسهم، مما وحد نتيجة الاستجابة بين جميع الطلبة، وهذا ما أكدته دراسة السعافين (٢٠١٥).

٢- النتائج المتعلقة بالفرض الثاني الذي ينص على: "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات تقدير أفراد عينة الدراسة لدرجة جودة خدمات التعليم عن بعد المقدمة من الجامعات الفلسطينية تعزى لمتغير تخصص الثانوية العامة (علوم إنسانية، وعلمي).

استخدم الباحثان اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين Two independent Sample T-test من أجل اختبار صحة الفرض الثاني، ويبين الجدول (١٩) نتائج اختبار (ت) للتحقق من الفروق بين متوسطات استجابات أفراد العينة لدرجة جودة خدمات التعليم عن بعد تبعاً لمتغير تخصص الثانوية العامة على كل محور من محاور الاستبانة ثم بالنسبة للاستبانة بشكل عام. الجدول رقم (١٩) نتائج اختبار (ت) للفروق بين متوسطي استجابات الأفراد تبعاً لمتغير تخصص الثانوية العامة.

المحور	تخصص الثانوية العامة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	درجات الحرية	مستوى الدلالة	وجود الدلالة
المحور الأول: جودة المحتوى المقدم في خدمات التعليم عن بعد	علوم إنسانية	60	2.8639	.93855	1.174	100	.243	غير دالة
	علمي	42	2.6508	.84809				
المحور الثاني: جودة خدمات الدعم والإشراف عن بعد المقدمة من قبل أعضاء هيئة التدريس	علوم إنسانية	60	2.5767	1.05193	.535	100	.594	غير دالة
	علمي	42	2.4619	1.08604				
المحور الثالث: جودة خدمات تقييم أداء	علوم إنسانية	60	2.7267	1.02575	- 2.442	100	.016	دالة
	علمي	42	3.2238	.99187				
المحور الرابع: معيقات استخدام خدمات التعليم عن بعد	علوم إنسانية	60	3.8583	.88192	-.892	99.790	.375	غير دالة
	علمي	42	3.9881	.58683				
جميع المحاور	علوم إنسانية	60	3.0064	.70511	-.573	95.751	.568	غير دالة
	علمي	42	3.0812	.60622				

قيمة ت الجدولية عند درجة حرية (١٠٠) وعند مستوى دلالة (0.05) = ٢

قيمة ت الجدولية عند درجة حرية (١٠٠) وعند مستوى دلالة (0.01) = ٢,٦٦٠

يتضح من الجدول رقم (١٩) أن: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات عينة الدراسة تعزى لمتغير تخصص الثانوية العامة في جميع محاور الاستبانة ماعدا المحور الثالث، ويعزو الباحثان ذلك إلى أن سياسية التعليم في فلسطين واحدة والمخرج متقارب فضلا عن أن الصعوبات التي يواجهها الطلبة واحدة بغض النظر عن تخصصهم بالثانوية العامة، فالخدمات الجامعية المقدمة لهم أثناء التعلم عن بعد هي نفسها، إذ رأت أنه لا يوجد فروق تعزى لمتغير التخصص.

$$\eta^2 = \frac{T^2}{T^2 + df}$$

ولتحديد حجم تأثير المتغير المستقل في المتغير التابع استخدم الباحثان معامل إيتا $\eta^2 = \frac{T^2}{T^2 + df}$

جدول رقم (٢٠) حجم تأثير المتغير (تخصص الثانوية العامة: علوم إنسانية، وعلمي) في درجة استجابات أفراد عينة الدراسة

مصدر الفروق	قيمة T	قيمة η^2	حجم التأثير
المحور الثالث: جودة خدمات تقييم أداء	-2.442	0.056	متوسط

ومن الجدول رقم (٢٠) فإن التأثير الذي يتركه المتغير المستقل (تخصص الثانوية العامة: علوم إنسانية أو علمي) على المتغير التابع (متوسطات تقديرات استجابات أفراد عينة الدراسة) في المحور الثالث هو تأثير متوسط، والفروق لصالح المتوسط الحسابي الأعلى وهم طلبة التخصص العلمي في الثانوية العامة، وقد يرجع السبب إلى أن الطلبة ذو التخصص العلمي قادرين على فهم شروط تقييم الأداء أكثر نتيجة تمكنهم من تحليل المساقات الخاصة بعملية الحساب.

٣- النتائج المتعلقة بالفرض الثالث الذي ينص على: "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات تقدير أفراد عينة الدراسة لدرجة جودة خدمات التعليم عن بعد المقدمة من الجامعات الفلسطينية تعزى لمتغير تخصص الكلية (كلية علمية، كلية أدبية).

استخدم الباحثان اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين Two independent Sample T-test من أجل اختبار صحة الفرض الثالث، ويبين الجدول (٢١) نتائج اختبار (ت) للتحقق من الفروق بين متوسطات استجابات أفراد العينة لدرجة جودة خدمات التعليم عن بعد تبعاً لمتغير تخصص الكلية على كل محور من محاور الاستبانة ثم بالنسبة للاستبانة بشكل عام. الجدول رقم (٢١) نتائج اختبار (ت) للفروق بين متوسطي استجابات الأفراد تبعاً لمتغير تخصص الكلية.

المحور	تخصص الثانوية العامة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	درجات الحرية	مستوى الدلالة	وجود الدلالة
المحور الأول: جودة المحتوى المقدم في خدمات التعليم عن بعد	كلية علمية	25	2.9800	1.01985	1.302	100	.196	غير دالة
	كلية أدبية	77	2.7100	.86027				
المحور الثاني: جودة خدمات الدعم والإشراف عن بعد المقدمة من قبل أعضاء هيئة التدريس	كلية علمية	25	2.7600	1.09848	1.253	100	.213	غير دالة
	كلية أدبية	77	2.4545	1.04662				
المحور الثالث: جودة خدمات تقييم أداء	كلية علمية	25	3.2560	1.11583	1.823	100	.071	غير دالة
	كلية أدبية	77	2.8260	.99438				
المحور الرابع: معيقات استخدام خدمات التعليم عن بعد	كلية علمية	25	3.9750	.76206	.469	100	.640	غير دالة
	كلية أدبية	77	3.8912	.78098				
	كلية علمية	25	3.2428	.65716	1.801	100	.075	غير دالة

جميع المحاور	كلية أدبية	77	2.9704	.65670
قيمة ت الجدولية عند درجة حرية (١٠٠) وعند مستوى دلالة (0.05) = ٢				
قيمة ت الجدولية عند درجة حرية (١٠٠) وعند مستوى دلالة (0.01) = ٢,٦٦٠				

يتضح من الجدول رقم (٢١) أن:

– لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات عينة الدراسة تعزى لمتغير تخصص الكلية في جميع محاور الاستبانة، ويعزو الباحثان ذلك إلى أن الخدمات المقدمة من قبل الجامعة كانت على سواء وبنفس الدرجة والمستوى لجميع الطلبة بغض النظر عن جنسهم، مما وحد نتيجة الاستجابة بين جميع الطلبة، وهذا ما أكدته دراسة السعافين (٢٠١٥).

٤- النتائج المتعلقة بالفرض الرابع الذي ينص على: "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات تقدير أفراد عينة الدراسة لدرجة جودة خدمات التعليم عن بعد المقدمة من الجامعات الفلسطينية تعزى لمتغير السنة الدراسية

استخدم الباحثان اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين Two independent Sample T-test من أجل اختبار صحة الفرض الثالث، وبين الجدول (٢٢) نتائج اختبار (ت) للتحقق من الفروق بين متوسطات استجابات أفراد العينة لدرجة جودة خدمات التعليم عن بعد تبعاً لمتغير السنة الدراسية على كل محور من محاور الاستبانة ثم بالنسبة للاستبانة بشكل عام. الجدول رقم (٢٢) نتائج اختبار (ت) للفروق بين متوسطي استجابات الأفراد تبعاً لمتغير تخصص السنة الدراسية.

المحور	تخصص الثانوية العامة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	درجات الحرية	مستوى الدلالة	وجود الدلالة
المحور الأول: جودة المحتوى المقدم في خدمات التعليم عن بعد	ثانية فأقل	43	2.8643	.92529	.840	100	.403	غير دالة
	ثالثة فأكثر	59	2.7119	.89101				
المحور الثاني: جودة خدمات الدعم والإشراف عن بعد المقدمة من قبل أعضاء هيئة التدريس	ثانية فأقل	43	2.5349	1.04537	.044	100	.965	غير دالة
	ثالثة فأكثر	59	2.5254	1.08335				
المحور الثالث: جودة خدمات تقييم أداء	ثانية فأقل	43	2.9488	1.13397	.145	100	.885	غير دالة
	ثالثة فأكثر	59	2.9186	.96926				
المحور الرابع: معيقات استخدام خدمات التعليم عن بعد	ثانية فأقل	43	4.0058	.70074	1.049	100	.297	غير دالة
	ثالثة فأكثر	59	3.8432	.82152				
جميع المحاور	ثانية فأقل	43	3.0885	.65620	.664	100	.508	غير دالة
	ثالثة فأكثر	59	2.9998	.67286				
قيمة ت الجدولية عند درجة حرية (١٠٠) وعند مستوى دلالة (0.05) = ٢								
قيمة ت الجدولية عند درجة حرية (١٠٠) وعند مستوى دلالة (0.01) = ٢,٦٦٠								

يتضح من الجدول رقم (٢٢) أن: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات عينة الدراسة تعزى لمتغير السنة الدراسية في جميع محاور الاستبانة، ويعزو الباحثان ذلك إلى أن جميع الخدمات الجامعية المقدمة من قبل الجامعة مقدمة بالسواسية للجميع الطلبة الملتحقين بالجامعة، مما وحد نتيجة الاستجابة بين جميع الطلبة، وهذا ما أكدته دراسة السعافين (٢٠١٥).

توصيات الدراسة:

- في ضوء نتائج الدراسة يوصي الباحثان بما يلي:
- ١- توجيه الجهود لنشر ثقافة الجودة في التعلم الإلكتروني من خلال عقد المؤتمرات ذات العلاقة.
 - ٢- ضرورة توجيه المؤسسات التعليمية الجامعية التي تقدم برامج تعلم الإلكتروني وتعليم عن بُعد كجزء من برامجها اهتماماً كافياً لتطوير معايير جودة التعليم عن بُعد لاسيما في ضوء تنامي التنافس بين الجامعات في تقديم خدمات (تطبيقات) هذا النوع من التعليم.
 - ٣- ضرورة تدريب أعضاء هيئة التدريس بالجامعة القائمين على تدريس مقرراتهم الدراسية في برنامج التعليم عن بُعد على هذه المعايير بحيث ينعكس ذلك على أدائهم في تصميم مقررات التعلم الإلكتروني عن بُعد.
 - ٤- تزويد الطلاب بدورات تدريبية مكثفة، ودليل إرشادي، ليكون مرجعاً للمستخدمين، بحيث يوضح استخدام نظام التعليم وكيفية تفعيله في التعلم والتدريس.
 - ٥- تطوير أنظمة التعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد في ضوء الاستفادة من خبرات وتجارب بعض الدول، والاستعانة بخبراء المجال تحت إشراف وزارة التربية والتعليم.
 - ٦- ضرورة قيام هيئة الاعتماد والجودة في وزارة التربية والتعليم العالي بتشكيل فرق عمل وطنية بالتعاون مع الجامعات المحلية، تعمل بجدية للتأكد من متابعة معايير جودة التعلم الإلكتروني.

قائمة المصادر والمراجع:

١. الأغا، إحسان، البحث التربوي وعناصره، مناهجه وأدواته، ط٤، غزة: الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٢.
٢. أبو شرار، عدنان، درجة التزام المشرفين التربويين بتوظيفي خصائص الإشراف التربوي الحديث في مدارس وكالة الغوث الدولية في الأردن من وجهة نظر المعلمين"، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، كلية العلوم التربوية، ٢٠٠٩.
٣. السعافين، فاطمة، استراتيجية مقترحة لتحسين مستوى جودة الخدمات الطلابية في الجامعات الفلسطينية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية التربية، ٢٠١٥.
٤. الربيعي، ليث سلمان، عوامل جذب الطلبة الأجانب في استهداف الجامعة الأسواق الدولية "دراسة تحليلية لاتجاهات الطلبة الوافدين في جامعة البتراء"، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعية، العدد ١٦، ٢٠٠٧، ص ١١-٥٥.
٥. الفراء، إسماعيل؛ والعوضي، رأفت، قياس جودة الخدمات التي تقدمها الجامعات الفلسطينية في ضوء المتغيرات العالمية المعاصرة، ورقة علمية مقدمة إلى المؤتمر العلمي الأول، المنعقد في جامعة القدس المفتوحة فلسطين، خلال فترة ٢٢ أكتوبر، ٢٠١٣.
٦. عواج، سامية؛ وتبري، سامية، دور مواقع التواصل الاجتماعي في دعم التعليم عن بعد لدى الطلبة الجامعيين، ورقة علمية مقدمة للمؤتمر الدولي الحادي عشر: "التعلم في عصر التكنولوجيا الرقمية"، المنعقد بطرابلس ٢٢-٢٤ إبريل، ٢٠١٦.
٧. الملا، وأحلام، تقويم تجربة التعليم عن بعد في الجامعات الماليزية وكلية التربية للبنات وفق معايير الجودة المأخوذة من وكالة التحقق من الجودة للتعليم العالي-بريطانيا، المجلة الدولية للأبحاث التربوية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، مجلد ٣٩، ٢٠١٦، ص ١٢٣-١٦٨.
٨. النجدي، سمير، تقويم جودة التعلم الإلكتروني في جامعة القدس المفتوحة في ضوء المعايير العالمية للجودة، المجلة الفلسطينية للتعليم المفتوح، مجلد ٣ (٦)، ٢٠١٢، ص ٤٨-١١.

المتغيرات الإقليمية والدولية في ظل الحرب على وباء كورونا

م.د. هيفاء رشيد حسن خشان

جامعة كركوك / كلية القانون والعلوم السياسية - العراق

dr.hayfaa74@gmail.com

الملخص

إن فيروس كورونا العالمي سيغير بشكل كبير في الخريطة السياسية الدولية بعد انحساره ؛ وذلك لما أفسده من تداعيات سلبية على الأصعدة كافة ، حيث ستتجه الدول إلى العمل بمفردها، والاهتمام بالأبحاث العلمية الطبية لمواجهة الكوارث قبل وقوعها، مؤكداً أن العالم سيشهد نظام علمي جديد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. وأن الكوارث تخلق عالماً جديداً متغيراً يؤثر على لعبة التوازنات الإقليمية والدولية، وسيصعد مفهوم الأمن الإنساني العالمي، مؤكداً أن العالم بعد كورونا مختلفاً، إن العالم ما بعد كورونا سيشهد العديد من التغيرات وبالفعل سيتشكل نظام جديد يعرف بالنظام الدولي الإنساني الذي كان غائباً وليس نظاماً دولياً ذات قطب واحد، إذ إن الصين ومجموعة شرق آسيا ستحتل مكانة كبيرة في النظام الدولي على حساب أمريكا والاتحاد الأوروبي.، أن كل دولة ستتجه للعمل بمفردها لحماية أمنها الخاص، ولن تهيمن السياسة ولكن يكون الاقتصاد هو المؤثر وسيصعد مفهوم الأمن الإنساني العالمي، ويزداد دور الدولة الوطنية بالأساس، وستعيد أجهزة المخابرات العالمية تقييماتها الدورية بعد فشلها الذريع في التنبؤ بالأزمات غير التقليدية ومنها أزمة الفيروسات الجديدة، مؤكداً أنه ارتفعت شعبية بعض الرؤساء ورؤساء بعض الوزارات في العالم جراء التعامل مع الأزمة وتدابيرها.

وفي ظل صعود دول واقتصاديات مثل الصين والهند واليابان، أنه ستكون هناك أولويات بصحة المواطن العالمي ولم يتم التركيز على الحروب، ولن يكون الصراع على ما يسمى بالنووي أو التسليح أو غيره، ولكن سيكون هناك اهتمام بتبادل المعلومات والبيانات العلمية وتطوير المجتمعات الطبية في العالم، و سيحدث تغييرات في أجندة بعض المؤسسات الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة، لافتاً إلى أن العالم بعد كورونا سيكون مختلفاً تماماً في سياساته، الكلمات المفتاحية: كورونا، الليبرالية، الجيوسياسية، النيوريرالية، الحداثة.

Abstract

That the global Corona virus will significantly change the map of international politics after its decline due to its negative repercussions on all levels, as countries will go to work on their own and pay attention to medical scientific research to face disasters before they occur, stressing that the world will witness a new world order politically, economically and socially. And that disasters create a new, changing world that affects the game of regional and international balances, and the concept of global human security will escalate, stressing that the world after a different corona. The world after Corona will witness many changes and indeed a new system will be formed known as the international humanitarian system that was absent and not an international system One-pole. As China and the East Asian Community will occupy a large position in the international system at the expense of America and the European Union., That every country will go to work on its own to protect its own security, and policy will not dominate but the economy will affect The global

intelligence services have their periodic assessments after their catastrophic failure to predict unconventional crises, including the new virus crisis, stressing that the popularity of some presidents and heads of some ministries in the world has increased due to dealing with the crisis and its repercussions.

In light of the rise of countries and economies such as China, India and Japan, that there will be priorities in the health of the global citizen and there is no focus on wars, and the conflict will not be over the so-called nuclear or armaments or others, but there will be an interest in the exchange of information and scientific data and the development of medical complexes in the world, and will happen Changes in the agenda of some international institutions, especially the United Nations, pointing out that the world after Corona will be completely different in its policies.

Key words: Corona, liberalism, geopolitical, neoliberal, modernity.

المقدمة:

لقد كشفت المصائب والأزمات على مرّ العصور عن قدرة الإنسان على عبور أكثر الطرق وعورةً في صراعه مع تحديات الحياة، لقد واجه حروباً كونوية، وكوارث طبيعية مبيدة، ومجاعات وحروب عنصرية، وواجه أوبئةً حصدت وقت انتشارها الملايين، لأنه لم يكن من علاج لها، وتذكر البشرية كم حصدت الإنفلونزا، الجدري، الطاعون.. إلخ. لكن كل ذلك مرّ كما ستمرّ هذه المحنة ولكن للأسف الشديد كشفت أزمة كورونا العالمية عن إفلاس النظام العالمي القائم، على جميع المستويات الصحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والأخلاقية والعلمية! وكيف تماوت قيم ومبادئ كثيرة قام عليها النظام العالمي بعد الحرب العالمية الثانية، فقد غاب التضامن بين الدول والحكومات، وعادت الشوفينية الوطنية في أشبع صورها، وقد كشف زلزال كورونا عن كثير من عيوب هذا العالم فقد عرّى بالكامل عيوب "النموذج الحالي للعولمة" وبسبب هزّات زلزال كورونا العالمي، سقطت شعارات كثيرة عن العولمة التي كانت تبشر بتحول العالم إلى قرية صغيرة وأظهر قصور النظام العالمي الحالي الذي تجاوزه الزمن، نتيجة التحلل الذي أصابه طوال العقود الماضية، فعلى الرغم من أن وباء كورونا لا يُقارَن بطاعون جستنيان ولا بطاعون الموت الأسود من حيث الفتك بالناس، فإن تأثيره الاقتصادي والاستراتيجي سيكون هائلاً، لأنه يحمل في عالمية انتشاره السريع مثلاً حياً على روح العصر الذي نعيشه، فنحن نعيش عصر العولمة بأبعادها المختلفة، وكورونا يمتطي صهوة هذه العولمة ليصل إلى كل أرجاء الكوكب، ويهدد جميع سكانه على قدر المساواة ولا يوجد حل الآن إلا انتظار انتصار العقل البشري و انتصار العلم على فيروس كورونا ووضع حد لهذا التهديد حيث أن التأثير الصحي لجائحة كورونا سوف يزول مع الزمن، وسوف تتجاوز البشرية خطرها كما تجاوزت أوبئة وطواعين وحروباً سابقة، لكن الأثر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي سيبقى سنوات، وربما عقوداً قادمة.

وقد يكون فايروس كورونا أحد نواتج الحرب الصامتة بين الولايات المتحدة من جهة والصين وروسيا وإيران من جهة ثانية حيث يمكن أن يكون فايروساً مصنوعاً في أحد المختبرات الصينية من أجل ضرب الاقتصاد العالمي بصورة عامة والأمريكي بصورة لاسيما من أجل أن تظهر الصين هي المنقذ العالمي من هذه الأزمة بعدما أحتوت الفيروس بفترة قياسية وهذا غير منطقي في ظل هذه الأزمة ومعطياتها كي تظهر الصين قوة عالمية تضاهي الولايات المتحدة الأمريكية وتفرض إرادتها ووجودها، وتضع أقدامها على الطاولة.

إن تناقضات المصالح تفرّق الدول والشعوب، فكل يبحث عن تحقيق مصالحه التي عادة ما تكون على حساب آخرين. وفي الحروب ثمة منتصرون ومهزومون. لكن في مواجهة كورونا ليس هناك مهزوم ومنتصر، فلا أحد بمنأى عن الخطر، ووصوله إلى أي دولة مسألة وقت ليس إلا لذا يبدو أن متغيرات كبرى ستلحق بعالم ما بعد كورونا، وقد تفضي إلى زعزعة ركائز النظام الدولي الراهن، ليفسح

المجال واسعاً لإرساء نظام دولي جديد فمن الواضح ان النظام العالمي الجديد قد يجد له في فيروس كورونا وجهة جديدة لإعادة تحديد و رسم المواقع للقوى الكبرى و إعادة تحديد لهذه القوى.

نحن مقبلون على تغييرات عميقة ستخلط الأوراق وتتسبب في إعادة التفكير في المسلمات والنظريات الفلسفية والتاريخية والمقولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية تمهيدا لبناء نظام علمي جديد.. وستهز الثقة في كثير من الشعارات. وسيواجه خطاب السياسيين والمفكرين وصناع القرار في كل المجالات تحديات جديدة، قد تصل حد بروز تيار يؤمن بانحيار "الثوابت" و"المسلمات" و"الأسس" التي بني عليها الخطاب السياسي الدولي المعاصر.

ستؤدي هذه الأزمة إلى مراجعات للأولويات العالمية والإقليمية في المجالات الطبية والسياسية والفلسفية والخيارات الاقتصادية. وستفرز إعادة نظر واسعة في التوجهات العامة للخطاب السياسي العالمي وشعارات العولمة والتقدم والازدهار والعيش الكريم والتفوق والأولويات الأمنية والعسكرية والتنمية.. الخ.

والأشكالية المطروحة هنا: هل سيقضي كورونا على العولمة الأمريكية؟ ويولد نظام دولي جديد؟ وماهي المتغيرات الإقليمية والدولية في ظل مواجهة جائحة كورونا؟

فرضيات البحث :- يبنى البحث على مجموعة من الفرضيات مفادها:-

١- سقوط العديد من الأسس والمرتكزات التي تقوم عليها العلاقات الدولية .وأن أزمة كورونا ستؤدي الى ظهور نظريات جديدة في تفسير وتحليل العلاقات الدولية وفق ماأفرزته الأزمة.

٢- هناك تحولات محتملة على النظام العالمي وعلاقات القوة وتوازنها وانتقالات مركزها.

٣- جائحة كورونا علامة فارقة في التاريخ ،ستترك اثارها وتداعياتها مثلما فعل سقوط جدار برلين، واجتياح "البيروسترويكا" الأتحاد السوفيتي ،وكان مسمارا أخيرا في نعشها.

منهجية البحث:- يعتمد البحث في مفاصله على المنهج التاريخي والمنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي.

هيكلية البحث :- أرتأينا الى تقسيم البحث على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :- سقوط أوهام الرأسمالية والعولمة.

المبحث الثاني:- المتغيرات الجيوسياسية لفيروس كورونا وأقول النيوليبرالية.

المبحث الثالث:- قراءة استشرافية لتطور العالم في مابعد كورونا.

المبحث الأول:- سقوط أوهام الرأسمالية والعولمة.

في ظل فرحة عارمة عمت البورجوازية العالمية، والغرب خاصة، إثر تفكك الاتحاد السوفياتي وإخيار جدار برلين، بدايات العقد التاسع من القرن العشرين، في رمزية تم تسويقها بشكل هستيري لاستعادة أوروبا الشرقية إلى الحاضنة الرأسمالية الغربية، تبلورت فرضية قائلة: "الآن بعد أن فشلت الاشتراكية (في شخص الاتحاد السوفياتي)، فإن النظام الاجتماعي والاقتصادي الوحيد الممكن هو الرأسمالية، أو (اقتصاد السوق الحرة)"، أراد إحكامها المنظر الأميركي، الياباني الأصل، "يوشيهيرو فرنسيس فوكو ياما"، في نظريته التي نالت من الشهرة أقل ما نالته من سوء السمعة حول نهاية التاريخ والإيديولوجيات.. "تنبأ المدافعون عن الرأسمالية بأن فوز الليبرالية سيفتح الباب أمام مستقبل مضمون من السلام والازدهار. تحدث الاقتصاديون عن توزيع الثروة بسلام. فالآن وقد انتهت الحرب الباردة مع الاتحاد السوفياتي، ستكون الحكومات الرأسمالية قادرة على إنفاق مبالغ طائلة من المال لبناء المدارس والمستشفيات والمنازل وكل الأشياء الأخرى التي هي الشرط الأساس للوجود الحضاري. (١).

(١) آلان وودز ، (فوكو ياما يعيد النظر في أفكاره: "الاشتراكية يجب أن تعود")، موقع ماركسي ، ٢٤ تشرين أول/أكتوبر ٢٠١٨

العالم اليوم يشهد تسلط الرأسمالية العالمية على جميع المؤسسات المالية والاقتصادية وهي التي تحتكر التكنولوجيا المتقدمة وتمتلك تقنيات تصنيع وتطوير الاسلحة التقليدية وغير التقليدية وتمتلك الثروات السيادية في العالم بالشكل الذي جعل عالم الشمال المتقدم يهيمن على العالم على حساب عالم الجنوب المستغل والتابع والمهمش الذي اشغلته الرأسمالية بالأزمات والحروب الداخلية المفتوحة حتى أصبح العالم يعيش حالة من الفوضى الدولية في ظل القيادة الأمريكية.

أن منطق القوة والتسلط الذي تنتهجه الولايات المتحدة ولقراة الثلاثين عاما التي خلت قد قادت العالم إلى فوضى دولية حتى أصبح العالم اليوم أقرب إلى الحالة التي وصفها المفكر البريطاني (توماس هوبز) الذي عاش في القرن السابع عشر وسيادة نزوع وسلوك والذي اسماه (ذئبية الإنسان) وعدم شعوره بالغير والبقاء للأقوى.

أراد "فوكو ياما" تدشين نظريته في كتاب: (نهایة التاريخ والإنسان الأخير)، واستهله ببيان دعائي يؤكد: "إن ما نشهده ... هو نهایة التطور الإيديولوجي للجنس البشري؛ وعملة الديمقراطية الليبرالية الغربية باعتبارها الشكل النهائي للحكومة البشرية". ضرب وباء كورونا العالم في مكامن قوته ومفاصله الحيوية وانتشر في وقت والعالم يعيش في ظل تناقضات كبيرة بسيادة حالة اللامساواة والتعامل الدولي الإزدواجي وتسخير قواعد القانون الدولي ومقدرات الأمم المتحدة لمصلحة الاقوياء بما يحقق نفوذهم وتطلعاتهم في استمرارية الهيمنة الرأسمالية على المقدرات الدولية، فأصبح القانون الدولي كما يشير أحد خبراء القانون الإنكليزي ((أصبح القانون الدولي في ظل الهيمنة القطبية الأحادية الأمريكية كنسيج العنكبوت تمزقه الطيور الكبيرة وتقع فيه ميتة الحشرات الصغيرة)).

نظرياً؛ يرى أستاذ الفلسفة المصري، "د. محمد دوير"، أن: "من المؤكد تاريخياً أن الإيديولوجيا كانت من المفاهيم التي طورها أتباع ماركس، أفضل من قام بتوظيف دلالاتها المعرفية من بين مدارس الفكر الفلسفي في أوروبا. وذلك أن الفكر الماركسي استطاع أن يقف في مواجهة الفكر البورجوازي والتصورات الليبرالية التي جاهدت من أجل حصار الماركسية بمقولات عامة ومطلقة كالمساواة والعدالة والحرية والتقدم والحقوق، فلم يكن أمام الماركسيين سوى مواجهة هذا الفكر الليبرالي بنظرية إيديولوجية بديلة تواجه التحول الرأسمالي الذي طرح نفسه كحل أخير للبشرية، أي كيو توبيا وإيديولوجيا في آن واحد. وهذا ما أكد عليه أيضاً عبد الإله بلقزيز بقوله: لا يمكن النظر إلى أطروحة نهایة الإيديولوجيا ونهایة التاريخ إلا كدعوى إيديولوجية جديدة" (١).

ولكن؛ فوجيء القارئ الليبرالي المؤمن بمقولات "فوكو ياما"، بمقال تحليلي مطول للأخير نشرته مجلة (the New Statesman)، يوم ١٧ تشرين أول/أكتوبر ٢٠١٨، يعزف "فوكو ياما" فيه لحن التراجع والانقلاب، قائلاً: "ما قلته آنذاك، (١٩٩٢)، هو أن إحدى المشاكل المتعلقة بالديمقراطية الحديثة هي أنها توفر السلام والازدهار، لكن الناس يريدون أكثر من ذلك ... من جهته، قال الناشط اليساري الشهير وعالم اللسانيات في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا نعوم تشومسكي إن جائحة COVID-19 مثال صارخ على قصور النظام الاقتصادي الرأسمالي السائد وعجزه عن خدمة المصلحة العامة، وكشفت عن الضعف المتأصل في نظام قائم علي الأرباح.

اكتسبت "النيوليبرالية" كمفهوم اقتصادي متطور زحماً في ندوة دولية عُرفت باسم "ملتقى والتر ليبمان"، دعا إليها الفيلسوف الفرنسي (لويس روجير) في باريس عام ١٩٣٨. وكان ليبمان صحفياً أميركياً نشر كتاباً جيد الانتشار بعنوان "تحقيق في مبادئ المجتمع الصالح" عام ١٩٣٧. وكان الهدف من الندوة هو بناء نظرية ليبرالية جديدة كرفض للمنحى الجماعي أو الاشتراكي. وتوصل المشاركون إلى تعريف "النيوليبرالية"، أو "الليبرالية الجديدة"، وقتها بأنها تنطوي على أولوية "آلية تحديد السعر، والمشاريع

(١) د. محمد دوير، (ماركس ضد نيتشه.. الطريق إلى ما بعد الحداثة)، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٢٠.

الحرّة، ونظام المنافسة، ودولة قوية ومحايّدة" (١). في سياق ما بعد الحرب العالمية الثانية وخلال الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالي والشيوعي، استخدم المنظر الليبرالي الكلاسيكي (ميلتون فريدمان) المصطلح في مقاله المنشور عام ١٩٥١ بعنوان "الليبرالية الجديدة وآفاقها" (٢)؛ فرفض ما اعتبره عندئذ "إيماناً واسع النطاق، وإن كان ساذجاً، بين الطبقات المثقفة بأن التأميم سيحل محل الإنتاج من أجل الربح بمقولة الإنتاج من أجل الاستخدام". كما اعترض على ما اعتبره تراجعاً للمنحى الجماعي، في إشارة ضمنية إلى الاشتراكية والأشكال الأخرى للديمقراطية الاجتماعية. وقال: "من المرجح أن يثبت أن المنحى الجماعي أكثر صعوبة في عكس التيار أو تغييره بشكل أساسي مقارنة مع نظرية عدم التدخل، خاصة إذا كانت تذهب إلى حد يقوض أساسيات الديمقراطية السياسية. ومن المؤكد أن هذا الاتجاه، الذي سيكون موجوداً على أي حال، سيزداد تسارعه بسبب الحرب الباردة، ناهيك عن البديل الأكثر رعباً وهو حرب واسعة النطاق.. لكن إذا كان يمكن تجاوز هذه العقبات، فإن الليبرالية الجديدة تقدّم أملاً حقيقياً بمستقبل أفضل، وهو أمل يمثّل بالفعل تياراً تتقاطع حوله الآراء وهو قادر على إثارة الحماس في كل مكان، وبالتالي يصبح التيار الرئيسي للرأي العام (٣). مع ذلك، فإن أي اتجاه للفلسفة النيوليبرالية يدعو إلى ما يعتبرونه "حكمة" أربع ركائز معينة، وهي "الخصخصة"، و"إلغاء القيود"، و"الأسواق الحرة"، و"النزعة الفردية"، باعتبارها بناءً مضاداً لحماية مصالح المجموعة أو المنحى الجماعي أو الاشتراكي.

وعلى مدى العقود الآتية، لم يتم تبني النيوليبرالية من قبل المحافظين أو الجمهوريين في الغرب فحسب، بل وأيضاً بين العمال في بريطانيا والديمقراطيين في الولايات المتحدة بمن فيهم بيل كلينتون. ويقول (جوزيف ستيجليتز)، أستاذ الاقتصاد والحائز على جائزة نوبل، إنه لا ينبغي أن تؤدي الرأسمالية إلى عدم المساواة، بل إن عدم المساواة هي نتيجة الخيارات التي تتخذها الدول الرأسمالية.

ويمكن، بسهولة، ملاحظة عودة الصوت الاشتراكي بمضمون ديمقراطي إنساني إلى الواجهة، في العقد الأخيرين، خاصة في الغرب وتحديداً بين الحركات الاجتماعية المناهضة للعولمة، والتي اكتسبت زخماً، في أواخر التسعينات (والتي تراجعت بعد فترة وجيزة)، على خلفية تعاظم الفجوات الاجتماعية، وبعد أن تناثرت أوهام نهاية التاريخ الفوكويامية ومقولة انتصار الرأسمالية النهائي، التي ازدادت انفلاتاً وشراسة وقسوة، بعد تفرد الرأسمالية الإمبريالية الأميركية في الهيمنة على النظام العالمي، منذ سقوط الاتحاد السوفيتي. وتظهر سقوط هذه الأوهام، في فشل هذا النظام في تحقيق ما وعد به من تعميم الديمقراطية والرخاء والسلام، وفي تصاعد الحروب العدوانية الخارجية، وفي تدمير الدول، وفي تجويف مؤسسات الديمقراطية الغربية المؤسساتية (البرلمان والصحافة والقضاء) والشعبية (النقابات العمالية، والتنظيمات المهنية الأخرى) من بعدها التمثيلي للشعب.

وعليه، تحولت الشركات الكبرى غير المنتخبة إلى القوة التي تُملي على الناس نمطاً حياتياً استهلاكياً فردياً غير عادل وغير إنساني، وتوسع نطاق اللامساواة تجاه غالبية المواطنين، وبات اصطلاح سيطرة ١٪ مقابل ٩٩٪، متداولاً في خطاب حركات الاحتجاج العالمية. وقد أعادت ثورات الشعوب العربية، التي كان باعثها ولا يزال، توأم الاستبداد والفساد، الابن الشرعي للنظام الرأسمالي

(1) Philip Mirowski, Dieter Plehwe, The road from Mont Pèlerin: the making of the neoliberal . . . thought collective, Harvard University Press, 2009

(2) Milton Friedman "Neo-Liberalism and its Prospects", Farmand, 17 February 1951, pp. 89-93.

(3) Ibid, pp. 89-93 .

النيوليبرالي، تسليط الأنظار إلى عطب هذا النظام العالمي، من خلال انتقال عدوى هذه الثورات والانفضاضات إلى دول الجنوب الأوروبي، وإلى داخل أميركا نفسها حركة "احتلوا وول ستريت" مثلاً. زخرت محطات التلفزة والصحف والمواقع الإلكترونية في الآونة الأخيرة بنقاشات بحثت بعمق الليبرالية الاقتصادية التي حكمت العقود الماضية وبمطالبات بتصحيح النيوليبرالية وبناء نظام ديمقراطي اجتماعي ذي بعد انساني يخلق مجتمعاً رحيماً أكثر عدلاً يعطي للمجتمع أسبقية وأولوية على الاقتصاد القائم على النمو والربح. وعندما تنبأ البروفيسور فرانسيس فوكوياما في أطروحته: (نخاية التاريخ) في أواخر القرن الماضي، وقال إن الديمقراطية الرأسمالية هي النموذج النهائي للتطور البشري الأيديولوجي للإنسانية وبالتالي فهي تمثل نهاية التاريخ، فإنه لم يكن يدرك أن هذا الطرح الأيديولوجي أيضاً لم ينطلق من رؤى واستقراءات عميقة في التاريخ والصيغ والنماذج البشرية، وأنه ربما سيفجأ بما حدث للنظام المالي الرأسمالي في الولايات المتحدة الذي اعتبره نهاية النهايات لكل الفلسفات والأفكار الإنسانية، وأصبحت الاقتصاديات العلمية تعيش زواجه السلبية وأثرها على الأمم في عيشها واستقرارها، آخرها الأزمة المالية التي عصفت بالغرب منذ عدة سنوات وما صاحب ذلك من ظاهرة الشعبوية وصعود اليمين ومرورا بالتحدي الصيني الروسي والأن جائحة كورونا التي ظهرت كأزمة من الازمات التي تواجه النموذج الليبرالي. وتساءلت الكاتبة عديلة نورين قائلة: إذا اعتبرت الليبرالية الاقتصادية علاجاً لجميع المشاكل التي تواجهها البشرية، فلماذا تدخلت الدول في إيطاليا وأسبانيا وفرنسا والولايات المتحدة وحتى في جنوب آسيا وأفريقيا محاربة وباء الفيروس التاجي، ولماذا دولة اشتراكية مثل الصين هي أفضل حالا في مكافحتها لهذا الوباء؟

إن هذه الأزمة التي يعيشها العالم اليوم، قد تعصف بكل مكتسبات الليبرالية، وتجعلها على المحك، لاسيما مفهوم الدولة والنظام العالمي، بعبارة أخرى، إن أي تغيير يمس بُنية النظام العالمي في هذه اللحظة، قد يؤدي، في الأخير، إلى اشتعال العالم بالحروب والفوضى الهدامة، وعليه، كما يقول هنري كيسنجر، «ينبغي للديمقراطيات العالم الدفاع والحفاظ على القيم التي ورثناها من فترة الأنوار». يبدو أن توجس كيسنجر من العودة إلى حالة الطبيعة في محله، فأحداث التاريخ تدل على أن الأوبئة تطلما ساهمت، بشكل أو بآخر، في نشوب الحروب والكوارث الاقتصادية المدمرة، كالمجاعات والصراع على الغذاء، وما يؤكد هذا الرأي أكثر هو انتهاج الدول الإغلاق العام، كإجراء وقائي، بحيث باتت دول العالم، بين عشية وضحاها، قرى منفصلة، بعد أن كانت قرية صغيرة، لا قانون يحكمها إلا قانون الغاب، حيث الصراع على الكمادات وأجهزة التنفس الاصطناعي في عرض البحر، يتصدر الأخبار في وكالات الأخبار العالمية. (١) ذلك الواقع الصادم للنيوليبرالية والرأسمالية العالمية الذي أفرز لها زلزال (كوفيد-١٩)، بعد أقل من سنتين، رغم اختلاف التحليلات والنظريات حول دوافعه وتبعاته الاقتصادية والاجتماعية، إلا وأنه نجح في تعرية تلك المنظومة الرأسمالية الهشة وأسقط عنها كافة الأفعنة بداية من تردي البنية ومنظومة الرعاية الصحية إلى سقوط رطانة الحقوق الإنسانية في العلاج والسلام والرفاه التي طالما يثرثر بها الغرب. "جان دومينيك ميشال"، عالم اجتماع وإثنولوجيا صحية، وخبير صحبة عامة مقيم في سويسرا، أنكب منذ أكثر من ثلاثين عاماً على دراسة أنظمة الرعاية الصحية وتطبيقها، انتقد في مقاله العلمي الإجراءات الاحترازية ورد فعل أغلب دول العالم المتقدم الغير علمي حيال الجائحة الوبائية؛ قائلاً: "نحن عالقون بين فكّي كمشاة، تتجلى في الضرر الكبير الذي يتسبب به الفيروس للأعظم من الناس وخطورته الشديدة في حالات معينة. ما تمّ اعتماده على أرض الواقع من تدابير، بعيداً كل البعد عن الممارسة المثالية: إذ أن عدم التقصّي عن المرض كما يجب، والإبقاء على السكان في حالة حجر لوقف انتشار

(١) سعدون يخلف، كيسنجر والوباء: كورونا سيغير العالم إلى الأبد، صحيفة القدس العربي، الأربعاء ٢٤ يونيو، ٢٠٢٠: البريد الإلكتروني <https://www.alquds.ro.uk/category>

الفيروس، يُعد الإستراتيجية الأكثر هشاشة في مواجهة أي وباء، لا بل الاحتمال الأخير. وربما الأضعف. عندما تعجز كل الوسائل الأخرى عن السيطرة الفعالة على الوباء، إذ أننا لا نقوم إلا بإبطاء انتشاره والحد من آثاره الإرتدادية وحسب". (١)

مُجيباً على سؤال طرحه عن الأسباب وراء هذا الوضع السيء: "الجواب ببساطة هو أننا فشلنا في إيجاد الإجابات الصحيحة في الوقت المناسب. ويتجلى مدى غرقنا في هذه الأزمة، من خلال إفتقارنا للعدد اللازم من اختبارات التقصي عن الإصابة بفيروس (كورونا)، ففي الوقت الذي جعلت فيه بلدان: ككوريا وهونغ كونغ وتايوان وسنغافورة والصين؛ من اختبارات تقصي المرض أولوية قصوى، نجد غالبية البلدان واقفة موقف المتفرج، عاجزة بسليبتها عن ترتيب أبسطا ولوياتها على وجه الخصوص لرسم مسارات الانتقال الممكنة لدى كل حالة تثبت إيجابيتها، فبالاستعانة بالهواتف الذكية، يمكن إجراء جرد لتنتقلات هذه الحالات والأشخاص الذين تواصلوا معهم في الـ ٤٨ ساعة التي سبقت ظهور الأعراض". لا يختلف الفيروس بين بلد وآخر، ما يختلف ببساطة هو خصائص الاستجابة الصحية له، وهو ما يصنع كل الفرق بين آلاف الوفيات في بعض البلدان، وحالات معدودة في بعضها الآخر. (٢)

وبينما يرى الكاتب والمؤرخ الأميركي، "مايك ديفيس"، أن انتشار الفيروس لم يكن مثيراً للدهشة؛ حيث أن فكرة انتشار وباء وشيك كانت تهمن على أذهان علماء الأوبئة منذ تفشي مرض "سارس" في عام ٢٠٠٣، مؤكداً على أنه بعد ظهور "إنفلونزا الطيور" في عام ٢٠٠٥، نشرت الإدارة الأميركية "إستراتيجية وطنية طموحة لمواجهة جائحة الإنفلونزا"، تستند إلى اكتشاف أن جميع المستويات من نظام الصحة العامة الأميركي غير مستعدة تماماً لأي تفشي فيروسي واسع النطاق، بعد الذعر من "إنفلونزا الخنازير" في ٢٠٠٩، جرى تحديث الإستراتيجية. وفي ٢٠١٧، قبل أسبوع من تنصيب "ترامب"، أجرى مسؤولو إدارة "أوباما"، بالتعاون مع مسؤولي إدارة "ترامب" الجدد، محاكاة واسعة النطاق لاختبار استجابة الوكالات الفيدرالية والمستشفيات في مواجهة جائحة قد تنشأ في ثلاثة سيناريوهات مختلفة، من "إنفلونزا الخنازير" أو فيروس "إيبولا" أو فيروس "زيكا"، أخفق النظام بالطبع، في منع تفشي المرض. تُمثل جزءاً من المشكلة، في الكشف عن الفيروسات والتنسيق. وتُمثل الجزء الآخر، في عدم كفاية المخزون وعدم كفاءة سلاسل التوريد، التي تُعاني من اختناقات واضحة، مثل الإعتماد على عدد قليل من المصانع الخارجية لإنتاج معدات الحماية الحيوية. علاوة على ذلك، هناك إخفاق في الاستفادة من التقدم الثوري في التصميم البيولوجي على مدى العقد الماضي من أجل تخزين ترسانة من الأدوية المضادة للفيروسات واللقاحات الجديدة. (٣)

ويوضح "ديفيس" العلاقة الطردية بين العولمة الرأسمالية وحماية البيئة وخلق صحة عامة سليمة للإنسان، بأن العولمة الاقتصادية؛ وهي الحركة الحرة المتسارعة للتمويل والاستثمار داخل سوق عالمية واحدة تعجز فيها القوى العاملة نسبياً عن الحركة وتُحرم من القدرة التقليدية على المساومة، تختلف عن الترابط الاقتصادي الذي تُنظمه الحماية العالمية لحقوق العمال وصغار المنتجين. (٤)

بدلاً من ذلك، نرى نظاماً علمياً تراكمياً، يكسر الحدود التقليدية بين الأمراض الحيوانية والبشر في كل مكان، ويزيد من قوة احتكار العقاقير الطبية، ويضعف من حجم النفايات المسببة للسرطان، ويدعم سيطرة الأقلية الرأسمالية، ويقوض الحكومات

(١) جان دومينيك ميشال، ("كوفيد-١٩.. هل هي نهاية اللعبة؟)، صحيفة (الأخبار) اللبنانية، الخميس ٩ نيسان/أبريل ٢٠٢٠

(٢) آلان وودز، مصدر سبق ذكره.

(٣) (عن الأوبئة والرأسمالية الفائقة وصراعات المستقبل.. حوار مع مايك ديفيس) - (مدى مصر) - شريف عبدالقدوس - ترجمة نصر عبدالرحمن - ٣ نيسان/أبريل ٢٠٢٠.

(٤) (عن الأوبئة والرأسمالية الفائقة وصراعات المستقبل.. حوار مع مايك ديفيس)، مصدر سبق ذكره.

التقدمية الملتزمة بالصحة العامة، ويُدمر المجتمعات التقليدية (الصناعية وما قبل الصناعية على حد سواء)، ويجعل من المحيطات مكبًا للنفايات (١). هذا وقد أجمل البروفيسور الإيطالي، "ستيفانو مونتاناري"، وجهة نظره المشككة في الحملات الإعلامية والدعائية والإجراءات الاحترازية التي انتهجتها أغلب الدول حيال جائحة الفيروس التاجي، والتي يراها تضخيمًا وتحويلًا دعائيًا له مأرب أخرى تتمحور حول الاستفادة الاقتصادية لصالح أطراف على حساب أطراف أخرى في اللعبة الرأسمالية العالمية الكبرى. موضحة أن كل شيء الآن مُغلق، باستثناء "البورصة"، ويمكن لأصحاب الملايين شراء المؤسسات بأبها بأسعار منخفضة للغاية. وعندما سيتم إعطاء الإشارة لإنهاء "العملية"، سيتحولون فجأة إلى أصحاب ثروات ضخمة. سيصبح أصحاب الملايين من أصحاب المليارات، وسيصبح الأغنياء أكثر غنى، وستصبح الطبقة الوسطى فقيرة.

وختم "مونتاناري" كلامه قائلاً: "أعتقد أن كل شيء تم ترتيبه لأجل ذلك. ومن أجل ربح المليارات مستقبلاً من بيع اللقاح الذي يزعمون أنه سيكون لقاحًا عجيبيًا. سيكون لقاحًا مخصصًا ليُشفي من فيروس متغير، فيروس لا يمكن أن تكون هناك مناعة حياله، وهذا يعني أنه لا يمكن أن يُقي من فيروس متغير، فيروس لا يمكن أن تكون هناك مناعة حياله، وهذا يعني أنه لا يمكن أن يكون هناك لقاح...". (٢)

أما البروفيسور الروسي، "فالتين كاتاسونوف"، أستاذ الاقتصاد بجامعة العلاقات الدولية بموسكو، فقد حرص على بناء رؤية شاملة حول أزمة الرأسمالية العالمية الحالية والمترجمة في عدة ظواهر تراكمية منذ انفجارها عام ٢٠٠٨؛ كان أبرزها مؤخرًا الصراع "الأميركي-الصيني" والجائحة الوبائية (كوفيد-١٩)، تلك الأجواء الآنية التي يراها "كاتاسونوف" مشابهاً لحد التطابق لأجواء سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية وتحديداً للحظات تفجر الأزمة الرأسمالية نهايات العشرينيات وبداية الثلاثينيات من القرن الماضي والمعروفة بـ"الكساد الكبير"، وبالتالي يستخلص البروفيسور الروسي من تحليله أن الجائحة الفيروسية جاءت كبديل موضوعي عن نشوب حرب عالمية جديدة، وبناءً على نظرية الدورة الرأسمالية عادة ما يُشار إلى أربعة مراحل هي: "الركود؛ الكساد؛ الانتعاش؛ والذروة"، والأخيرة هي أعلى نقطة في هوض الاقتصاد. إنها الأزمات الدورية في ظل الرأسمالية.. آنذاك كان الجميع ينتظرون أن ينتهي التدهور وأن يبدأ إنتعاش الاقتصاد بمرور الوقت، ولكن لم يأتي الإنتعاش.. بذلت كل الجهود الممكنة بغية إنتعاش الاقتصاد بما في ذلك اللجوء إلى أفكار الاقتصادي الإنكليزي، "جون كينز"، في تدخل الدولة الحديدي في القطاع الاقتصادي، وبرنامج "روزفلت" الذي أعلن في الولايات المتحدة تحت عنوان (New Deal- النهج الجديد)، الذي خفف نسبيًا من وطأة الركود، ولكنه لم ينتشل الاقتصاد الأميركي من الوضع الذي كان فيه، ولم تتحول مرحلة "الركود" إلى "إنتعاش" يتبعه هوض، حينها أصبحت الحرب، الحرب العالمية الثانية هي الطريقة الوحيدة للخروج من ذلك الوضع. يؤكد "كاتاسونوف" بأن: "وضعًا مثل هذا تقريبًا؛ بل وأسوأ منه ينشأ في العالم اليوم، لأن أزمة ٢٠٠٧/٢٠٠٨ انتهت، ولكن الركود مازال مستمرًا حتى الآن.. حتى عام ٢٠٢٠". (٣)

متابعًا: "في عام ٢٠٠٩؛ انتهت الأزمة، ولكن الركود مازال مستمرًا حتى الآن؛ أي أكثر من عشرة سنوات، وهذا غير طبيعي، وإذا قارنا هذا الوضع بدورات أزمات أخرى، نجد أن أمد الركود الحالي طال كثيرًا، و أن مفاوضات ما جرت خلف الكواليس للخروج

(١) "مشعل يسار" ترجمة بعنوان: (لا حاجة للأقنعة ولا للقفازات ولا للإنجاب في المنزل، ولن يكون هناك لقاح)، وهي ترجمة لحوار متلفز أجري مع البروفيسور الإيطالي، "ستيفانو مونتاناري"، مع قناة (byoblu24)، يوم ٢ نيسان/أبريل.

(٢) (عن الأوبئة والرأسمالية الفائقة وصراعات المستقبل.. حوار مع مايك ديفيس) - (مدى مصر) - مصدر سبق ذكره.

(٣) (مقابلة أجرتها قناة (روسيا اليوم) "RT"؛ ضمن برنامج "رحلة في الذاكرة"، مع البروفيسور، "فالتين كاتاسونوف" - نيسان/أبريل ٢٠٢٠.

من الوضع الحالي بإشعال حرب جديدة، ولكن في هذا الوقت؛ الجميع يعلم أن إشعال حرب صغيرة ينطوي حتمًا على خطر تصاعدها وتحولها إلى حرب كبيرة قد تغدو حربًا نووية تقضي على البشرية، لذا من يعملون خلف الكواليس العالمية تخلوا عن فكرة شن حرب كبيرة كوسيلة لإنتشال الاقتصاد من دائرة الكساد، ولكن الحرب في حقيقة الأمر دائرة الآن وسوف تستمر، والفرق أنها حرب باردة، كما كان يقال في القرن العشرين؛ ويسمونها الآن (الحرب الهجينة).

أما جائحة فيروس كورونا فقد سرعت هذه الحرب الهجينة، فقد ظهرت في الوقت المناسب للنظام الرأسمالي العالمي.. ولكن الحروب عادة ما تجعل أحد المشاركين فيها منتفعًا، وثمة ما يكون في عداد الخاسرين عندما تنتهي الحرب، وقد يختفي آخرون من خارطة العالم السياسية. الحرب عادة ما تلغي الديون الكبيرة، فبعد الحرب ما إن يزول الدائن، وهذا ما حدث في السابق، وإما أن يتحول المدين إلى دائن، “أميركا” مثالًا على ذلك؛ فبعد أن كانت أكبر مدين في العالم إنخرطت في الحرب العالمية الأولى فأصبحت أكبر دائن.

ويرفض “فالتين كاتاسونوف”؛ وضع أي تنبؤات بما ستؤول إليه أزمة الرأسمالية العالمية فيما بعد الجائحة الفيروسية “الاقتصادية”، لافتًا إلى الوضع الحالي لأميركا التي يرى أنها تُعاني حربًا أهلية اقتصادية في جوهر الأمر، قائلاً: “ربما يبدو هذا الأمر مبالغًا فاقعة، ولكن أميركا تشهد الآن صراعًا بين ترامب وأولئك الذين يسمون الدولة العميقة، ونتيجة هذا الصراع الداخلي سيتحدد موقع الولايات المتحدة في العالم، يُحاول ترامب عمليًا أن يُعيد الجن إلى الرزاجة التي أطلق منها عام ١٩٤٤، عند إقامة نظام بريتين وودز المالي العالمي، آنذاك بالتحديد إتخذ القرار بأن يُصبح الدولار المرتبط بمكافئ ذهبي عُملة دولية، وهكذا ظهر معيار الدولار الذهب، أن قرارات مؤتمر بريتين وودز عام ١٩٤٤ قد لاقت رفضًا شديدًا في الكونغرس الأمريكي”. (١) أما “مايك ديفيس” فيرى في الأزمة الحالية أنها تُجبر رأس المال، كبيرًا وصغيرًا، على مواجهة الإختيار المحتمل لسلاسل الإنتاج العالمية وعدم القدرة على إعادة توفير إمدادات أرخص من العمالة الأجنبية باستمرار. في الوقت نفسه، تُشير إلى أسواق جديدة مهمة أو قابلة للإتساع للقاحات وأنظمة التعقيم وتكنولوجيا المراقبة وتوصيل البقالة للمنازل، وما إلى ذلك. ستؤدي المخاطر والفرص مجتمعة إلى إصلاح جزئي: المنتجات والإجراءات الجديدة التي تُقلل من المخاطر الصحية الناجمة عن استمرار ظهور الأمراض، بينما تُحفز في نفس الوقت زيادة تطوير “رأسمالية المراقبة”. لكن من شبه المؤكد أن هذه الحماية ستكون محدودة – إذا تُركت للأسواق والأنظمة القومية الاستبدادية – وسوف تقتصر على الدول والطبقات الثرية. سوف يعززون الجدران بدلًا من إزالتها، ويعمقون الانقسام بين إنسانيتين: إحداهما تمتلك الموارد اللازمة لتخفيف تبعات تغير المناخ والأوبئة الجديدة والأخرى لا تمتلكها. ومن المحتمل أن الأزمة الحضارية في عصرنا مُحددة بعدم قدرة الرأسمالية على توفير الدخل لغالبية البشرية، أو توفير الوظائف أو الأدوار الاجتماعية الهادفة، كما أنها عاجزة عن وقف إنبعاثات الوقود الإحفوري، وترجمة التقدم البيولوجي الثوري إلى ما يُخدم الصحة العامة. هذه أزمات متداخلة، لا يمكن فصلها عن بعضها البعض، ويجب النظر إليها ككل مترابط، وليس كقضايا منفصلة. ويمكن القول إن الرأسمالية الفائقة أصبحت في الوقت الراهن قيدًا يُكبل محاولات تطوير قوى الإنتاج اللازمة لبقاء جنسنا البشري على قيد الحياة”. (٢)

من ناحية ثانية، ترى بعض التقارير المهمة أنه بينما كانت العولمة تُخدم أنظمة رأسمالية دولية على حساب الفقراء في العالم الثالث، فإن كورونا قد تخطى تلك الفوارق الطبقيّة وأوجد ما يمكن تسميته بـ«اشتراكية المرض»؛ بحيث أصبح الفقير والغني معرضين بنفس

(١) مقابلة أجرتها قناة (روسيا اليوم) “RT”؛ ضمن برنامج “رحلة في الذاكرة”، مع البروفسور، “فالتين كاتاسونوف”، مصدر سبق ذكره.

(٢) عن الأوبئة والرأسمالية الفائقة وصراعات المستقبل.. حوار مع مايك ديفيس) – (مدى مصر) – مصدر سابق.

الدرجة لهذا الوباء الذي أصبح عابرا للطبقات الاجتماعية بكل درجاتها وتصنيفاتها (بي بي سي، ٢٨ مارس ٢٠٢٠). هذا الوضع قد جعل الجميع متساوين، من حيث العجز، أمام مواجهة هذا الوباء. (١)

أظهر وباء كورونا مدى عجز وعدم اتزان بعض جوانب النموذج الاقتصادي الليبرالي الغربي خصوصا أمام قضايا الصحة والسلامة والوعي البيئي فالصحة من منظور السياسة الاقتصادية والعامية مصلحة عامة عالمية لا يمكن انتاجها كسلعة وبيعها للمستهلكين الأفراد فقد أظهر وباء كورونا التكاليف الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن الافتقار الى نظم الصحة والرعاية في جميع الدول وغياب القواعد العالمية لحماية الصحة .

فقد كشفت الجائحة الوبائية هذه عن خلل في الأيديولوجيا الليبرالية التي يتبعها النظام العالمي ذا أثره نمط التفكير بالمنفعة الاقتصادية لدى قادة هذه الدول إلى تأخير إجراءات الحجر خشية أن تؤدي هذه الإجراءات إلى خسائر اقتصادية كما أدى انتشار الجائحة في أوروبا إلى غياب مفردات التكامل والتعاون الأوروبية لتحلها مفردات السيادة والقومية والأمن القومي كما وحلت سياسات الحدود المغلقة بدل سياسات الحدود المفتوحة التي كانت سائدة فيما بين دول الاتحاد الأوروبي بفعل منظومة التكامل الأوروبية .

(٢)

وفي خضم هذه التحولات أصبحت الليبرالية الغربية أمام تحد وجودي فمع انتشار الآثار الصحية والاقتصادية بسبب تفشي وباء كورونا عبر أرجاء العالم تنزلق الإنسانية الى أسفل عام ٢٠٢٠ ويتحول الشعار الشهير لآدم سميث ” دعه يمر دعه يعمل ” الى شعار مأساوي ” ابقى في بيتك وامت في بيتك ”.

المبحث الثاني:- المتغيرات الجيوسياسية لفيروس كورونا وأفول النيوليبرالية.

عالم ما قبل وباء «كورونا» ليس عالم ما بعد الوباء. التعرف على هذا العالم الجديد في ظل التطورات الراهنة يبدو صعباً، ولكنه يستحق المجازفة الفكرية. المؤشرات الأولية توحى بتوقعات واستنتاجات سيكون لها دور في كتابة تاريخ جديد للعالم المعاصر. هناك من كشف وباء «كورونا» ثغراته وحدوده وقدراته في الحفاظ على الإنسان كمرتكز للحياة بكل أبعادها، وهناك من أظهر الوباء إمكانياته التي تؤهله لقيادة العالم والتربع على قمته بعض الوقت، ليس لأنه يمتلك تقنيات حديثة وذكاءً صناعياً قابلاً للاستخدام في مجالات لا حصر لها وحسب، بل لأنه وضع حماية الإنسان على قمة أولوياته.

يرى العديد من الخبراء أن الصين تحاول التموقع كزعيم عالمي بديل و ربما تعتبر بيكين إن فشل الولايات المتحدة حتى الآن في الحرب المعلنة على كورونا و مواقف الرئيس الأمريكي الفجة يؤهلها لهذا التموقع الجديد لقد وُلِدَ النظام الدولي الحالي بعد الحرب العالمية الثانية، فعلى إثرها انهارت الإمبراطورية البريطانية، وحلت مكانها “الإمبراطورية” الأمريكية، لقد بلغت بريطانيا في أوج قوتها مرتبة

(١)عنتربعد العال ابوقرين ،عالم ما بعدكورونا: رؤية استشرافية، جريدة الشروق، ١٣ يونيو ٢٠٢٠، الموقع الإلكتروني: <http://shorouknews.com>

(٢) حسن فاضل ، النظام المريض: أزمة النظام العالمي في ظل جائحة كورونا ، مركز أوراسيا للدراسات السياسية: <https://katehon.com/ar>

“أكبر إمبراطورية عرفها التاريخ”، واحتلت طوال قرن لقب “القوة العالمية الأولى”، ومع أنها خرجت منتصرة في الحرب فإنها كانت قد هزمت، فجاءت الحرب العالمية الأولى والثانية لكي تُطيحاً بها، فما لبثت أن تخلت عن مستعمراتها التي لم تغب عنها الشمس. كانت أمريكا تُبيل دخولها الاضطراري في الحرب تُفضل العزلة الدولية، مستندة إلى عقلية الجزيرة الحصينة البعيدة عن مواطن النزاع في أوروبا، ولم يزد تعداد جيشها قبل الحرب على ١٧٤ ألفاً، ليحتل بذلك المرتبة الرابعة عشرة على مستوى العالم. إن الذي ساعد الولايات المتحدة على تحقيق قفزات إستراتيجية سريعة هو الطبيعة الديناميكية المنفتحة للمجتمع الأمريكي، فهو مجتمع مهاجرين، شديد التنوع، يحتفي بالنجاح والابتكار كذلك التفوق العسكري الأمريكي صاحبه تفوق دبلوماسي واقتصادي، فغنائم ما بعد الحرب صبّت جميعاً في مصلحة أمريكا، فتأسست الأمم المتحدة وجُعِل مقرها في نيويورك، وأصبح الدولار المرتبط بالذهب عملة عالمية قياسية بفضل اتفاقية بريتون وودز، وتأسس صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، ومقرهما في واشنطن لقد صارت الولايات المتحدة صاحبة اليد العليا، وتخلّت أوروبا عن كبرياتها التاريخي، وقبلت أن تسير خلف القيادة الأمريكية. (١)

إن التغييرات العالمية لا تحصل دفعة واحدة، إنما بشكل ممدد، ولا شك أن التمهيد لهذه التغييرات بدأ منذ أحداث ١١ سبتمبر، ومن ثم انتشار الإرهاب في الشرق الأوسط، ومن ثم سيطرة تنظيم “داعش” على سوريا والعراق، في مقابل فشل الولايات المتحدة الأمريكية في قيادة هذه الملفات وسط تقدم روسي صيني في صورة التفاعل الدولي، كما أن انتشار الوباء الجديد لا يشبه ما قبله من أحداث بل هو أكثر فتكاً وتطوراً بشكل يفصح ترهل الدول الأوروبية وفقدان الولايات المتحدة الأمريكية على السيطرة، في مقابل تطور صيني في طرق القيادة والإدارة والمساعدة أذهل العالم، وقدرة روسيا على التعامل بشكل أفضل من الإدارة الأمريكية، كل هذا ما ينبأ بتغييرات لكن في وقت يرتبط بما سترسمه خارطة انتشار الكورونا وتفاعلها.

المؤكد الآن أن جائحة فايروس كورونا من حيث النتائج أصبحت حدثاً علمياً ومتغيراً جديداً ستكون له تأثيراته الحتمية وانعكاساته المتباينة على كافة أنشطة وتفاعلات السياسة الدولية حاضراً ولأجل غير قصير مستقبلاً على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والأمنية وحتى الثقافية وسيشهد العالم متغيرات جيو سياسية غير معهودة. (٢)

ولا شك أن الأحداث الانفة الذكر سببت تغييرات جيوسياسية كبرى في العلاقات الدولية وسياسات الدول.

وفي حدث تاريخي يحمل معنى عميق، هبطت طائرة صينية في روما، عاصمة إيطاليا، التي أصبحت مركز أوروبا لانتشار فيروس كورونا، في الثاني عشر من مارس/آذار ٢٠٢٠، وهي تحمل تسعة خبراء في مجال الصحة العامة و٣١ طناً من الإمدادات الطبية بما فيها وحدة العناية المركزة، ومعدات الحماية الطبية، والأدوية المضادة للفيروسات. في الوقت ذاته، عرض رجل الأعمال الصيني جاك ما، مؤسس مجموعة علي بابا، التبرع بتقديم ٥٠٠ ألف وحدة لاختبار الإصابة بفيروس كورونا ومليون كمادة طبية للولايات المتحدة التي أعلنت حالة طوارئ عامة بسبب تفشي الوباء في الأسبوع الثاني من شهر مارس/آذار. كانت الصين بمثابة "ورشة العالم" خلال العقود الثلاثة الماضية لكونها وقّرت ربع المصنوعات في العالم، كما يقول أستاذ الاقتصاد والحائز على جائزة نوبل بول كروجمان

(١) عن عبد العال ابوقرين، عالم ما بعد كوروننا: رؤية استشرافية، جريدة الشروق، ١٣ يونيو ٢٠٢٠، الموقع الإلكتروني: <http://shorouknews.com>

(٢) Jeffrey D. Sachs, “Will America Create a Cold War With China?”, Horizons, Journal of International Relations and Sustainable Development, No.13, Winter 2019, p. 28-39

(Paul Krugman). واليوم تنصّب الصين نفسها الطبيب ومختبر الصحة العامة بالنسبة للغرب.(١)ومنذ بداية انتشار الوباء ولحد الان ، تشير الجهود المتعثرة لاحتواء وباء كورونا في أوروبا ومناطق أخرى إلى الحاجة لتحول نسقي في إدارة الصحة العامة والاستراتيجيات الاقتصادية والأمن البيولوجي ومراجعة محتملة لليبرالية الجديدة.

البريد الإلكتروني: <https://albasbernewspaper.com>

في وقت سابق من فبراير/شباط، طلب ممثل إيطاليا الدائم لدى الاتحاد الأوروبي، ماوريتسيو ماساري، المساعدة من الأوروبيين عبر مركز تنسيق الاستجابة للطوارئ. وقال: "لقد طلبنا إمدادات المعدات الطبية، وأحالت المفوضية الأوروبية الاستئناف إلى الدول الأعضاء، لكن ذلك لم يلق أي استجابة"(٢)يعمل مركز التنسيق كوحدة للأزمات في الاتحاد الأوروبي، ويرصد الكوارث الطبيعية والكوارث التي من صنع الإنسان على مدار الساعة، ويدير حاجة أي دولة عضو في الاتحاد الأوروبي التي لا يمكنها التعامل مع الأزمة بمفردها، ويوجه النداء إلى الدول الأعضاء الأخرى التي يمكنها بعد ذلك التطوع بتقديم المساعدة. أثار التجاهل الأوروبي لكارثة إيطاليا، وهي في قلب القارة، مشاعر الاستياء بين الإيطاليين الذين شعروا أنهم حُذِلوا من قِبَل الدول الأعضاء الأخرى في الاتحاد الأوروبي عدة مرات، وذلك في أوج هجمة فيروس كورونا وفي ذروة أزمة اللاجئين عام ٢٠١٥، عندما وصل حوالي ١,٧ مليون فرد إلى المناطق الجنوبية للاتحاد الأوروبي. وينطوي تصريح المندوب الإيطالي على مذاق المرارة لغياب التضامن في أوروبا. فهو يقول: "إن أزمة فيروس كورونا شبيهة بأزمة اللاجئين، فالبلدان التي لم تتأثر على الفور ليست في الغالب على استعداد لتقديم المساعدة. ومن الواضح أن لدى هذه الدول تصورات مختلفة بشأن التهديد القائم. نحن نشعر أن فيروس كورونا يمثل تحديًا عالميًا وأوروبيًا يحتاج إلى استجابة أوروبية، لكن الدول الأخرى لا ترى ذلك بهذه الطريقة"(٣). أثار هذا الموقف السلبي في بروكسل، عاصمة الاتحاد الأوروبي، حيرة المراقبين السياسيين. وأثار أسئلة جديدة حول الغاية من الاتحاد الذي كان يُنظر إليه في وقت من الأوقات على أنه أكثر تحالف موحد وأكثر استراتيجية ما فوق بنية الدولة في العالم. وتلاحظ إليزابيث براو ، مديرة مشروع الردع الحديث في المعهد الملكي للخدمات المتحدة، أن دول الاتحاد الأوروبي "بتنازها المخزي عن المسؤولية، فشلت في تقديم المساعدة الطبية والإمدادات لإيطاليا أثناء تفشي المرض. والآن الصين تملأ ذلك الفراغ"(٤). ترددت في بعض الأوساط الإعلامية والسياسية تفسيرات تأمرية لانتشار مرض كورونا، على الرغم من أن الفيروس أثبت قدرته على إصابة الجميع، سياسيين وغير سياسيين، وعبر العالم، حيث لا يمتلك أحد، إلى الآن، القدرة على التحصين منه بلقاح أو الدفاع المسبق ضد العدوى.

ومع ذلك، لم يسلم كورونا من تسييس حينما أخذ "يتم تصوير التهديد القادم من الفيروس بأنه أجنبي"(٥)، وهو ما ظهر على الخصوص مع تبادل الاتهامات بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية حول أصل الفيروس القاتل.

(١) د.عبد الرحمن الخزرجي: المتغيرات العالمية الجديدة بعد جائحة كورونا، ٢٥، أبريل، ٢٠٢٠

(2)Elizabeth Braw, "The EU Is Abandoning Italy in Its Hour of Need", Foreign Policy, March 14, 2020 <https://foreignpolicy.com/2020/03/14/coronavirus-eu-abandoning-italy-china-aid/>

(٣)Ibid

(٤)Ibid.

(٥) محمد الشرقاوي، "التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتأكل النيوليبرالية (الجزء ٢)"، مركز الجزيرة للدراسات، ٣٠/٣/٢٠٢٠، ص ٨، شوهد في ٥/٤/٢٠٢٠،

في: <https://bit.ly/3bVbez0>

وقد تحوّل سؤال منشأ الفيروس الجديد إلى أداة للوصم وحملة للتشويه المتبادل بين الولايات المتحدة والصين، حيث زعم المتحدث باسم الخارجية الصينية، تشاو لي جيان، أن "الجيش الأميركي جلب فيروس كورونا إلى مدينة ووهان" التي ظهر بها أول مرة. وفي مقابل ذلك، استخدم الرئيس الأميركي دونالد ترامب عبارة "الفيروس الصيني"، وبدوره سعى وزير خارجيته، مارك بومبيو، لتحميل الصين مسؤولية تفشي الوباء، وأطلق عليه مرارًا تسمية "فيروس ووهان" (١). وتعكس هذه التسمية ما ذهب إليه تقرير لصحيفة ذا ديلي ميل البريطانية The Daily Mail احتملت فيه أن يكون اندلاع الفيروس ناتجًا من تسرب بيولوجي من مختبر ووهان الوطني للسلامة الأحيائية الذي يهتم بدراسة مسببات الأمراض الأكثر خطورة (٢). غير أن انعدام الثقة بين الولايات المتحدة والصين في مجال التسليح البيولوجي، أو حتى بالنسبة إلى الحوادث البيولوجية، ليس بالجديد؛ فقد استمر في الحضور حتى بعد انضمام البلدين معًا إلى معاهدة حظر الأسلحة البيولوجية، حيث سبق للأميركيين أن اتهموا الصين في تسعينيات القرن الماضي بزراعة داء البروسيلات*.

وفي المقابل، احتل خبراء عسكريون صينيون أن تكون جرائم الجمرة الخبيثة في هجمات عام ٢٠٠١ على مكاتب أعضاء مجلس الشيوخ الديمقراطيين قد تسربت من معامل الجيش الأميركي، بل أكثر من ذلك، ذهب البعض الآخر منهم إلى أن الولايات المتحدة هي من قامت بتسليح مرض "سارس" وإنفلونزا الطيور في عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٣. وعلى الرغم من أن هذه الاتهامات المتبادلة بين الطرفين لم يتم إثباتها من قبل بأدلة موثوقة، فإن المنشورات العلمية الرسمية لنتائج الأبحاث الجارية في مختبرات الكيمياء البيولوجية لديهما تشير بالفعل إلى نشاط بحثي مستمر ومنظم يتعلق في بعض أبعاده بسباق تسلح بيولوجي من خلال السعي لتطوير التقنيات البيولوجية وتخليق الفيروسات أو تعديلها وراثيًا. وفي ظل استمرار عدم الثقة المتبادل بوصفه رمزًا إلى معضلة أمنية كلاسيكية بين الطرفين، فإن الادعاء بأن الفيروس التاجي الجديد هو سلاح بيولوجي يظل غير مدعوم علميًا، لكن نقيضه مدعوم تمامًا من الناحية العلمية كما سيرد تاليًا؛ فقد أشار العلماء إلى أن الطفرات في الفيروس "تتوافق تمامًا مع التطور الطبيعي". ووفقًا لمجلة ذا لانست The Lancet، استنتج علماء من دول متعددة على نحو ساق "أن الفيروس التاجي الجديد نشأ في الحياة البرية" (٣) ويردّد الجدل السياسي الحالي في الولايات المتحدة وأوروبا حول فيروس كورونا صدى الانعزالية وسياسة الأبواب المغلقة. ويستغل الأميركيون ذوو العقلية الترميمية وأيضًا بعض الأوروبيين المتشككين في الوحدة الأوروبية عامل الخوف من الوباء لفرض المزيد من الحواجز وأمن الحدود. وخلال جدلهم بشأن الهجرة والإرهاب، يجادل هؤلاء اليمينيون والشعبيون بأن فيروس كورونا يبرّر مخاوف القلق بشأن الحاجة لحماية حدود بلادهم. ويتّم تصوير التهديد القادم من الفيروس على أنه "أجنبي، وأن الرد هو بناء الجدران ووقف الرحلات الجوية.

(١) "فيروس كورونا: اتهامات بشن حملات تشويه بين واشنطن وبكين وترامب يدافع عن عبارة 'الفيروس الصيني'"، فرانس ٢٤، ٢٠٢٠/٣/١٧، شوهده في ٢٠٢٠/٤/٥، في: <https://bit.ly/2V33p3F>

(٢) هل هرب فيروس كورونا القاتل من مختبر بيولوجي صيني؟، الجزيرة نت، ٢٥/١/٢٠٢٠، شوهده في ٢٠٢٠/٤/٥، في: <https://bit.ly/2x3JlpS>

(٣) Yanzhong Huang, "U.S.-Chinese Distrust is Inviting Dangerous Coronavirus Conspiracy Theories," Foreign Affairs, 5/3/2020, accessed on 5/4/2020, at: <https://fam.ag/2UHd9lg>

* هو مرض حيواني المنشأ شديد العدوى، ينتج من تناول حليب غير مبستر أو لحم غير مطهو جيدًا، من منتجات الحيوانات المصابة، أو من الاتصال المباشر بإفرازاتها. كما يعرف أيضًا بالحمى المتماوجة والحمى المالطية وحمى البحر المتوسط.

ووفقاً لهذه السردية، تزيد العولمة في التسريع من نطاق التهديد^(١). في فرنسا، دعت مارين لوبان (Marine Le Pen) زعيمة "التجمع الوطني" اليميني المتطرف، المعروف سابقاً باسم "الجبهة الوطنية"، لإغلاق حدود فرنسا مع إيطاليا. وعقب اجتماعها مع رئيس الوزراء إدوارد فيليب، قالت للصحافيين: "إنني أطلب فرض السيطرة على حدودنا. أشعر وكأنني أسأل عن القمر، بينما ينبغي أن يكون إجراء الفحوصات في الواقع على حدود البلاد أول فعل من قبيل المنطق السليم".

وحذرت زميلتها (أوريليا بكينيو) من أن "التداول الحر للسلع وحركة الأشخاص وسياسات الهجرة والضوابط الضعيفة على الحدود تسمح بانتشار هذا النوع من الفيروسات"^(٢) وقد تكون المدن العالمية شديدة الارتباط بقوى الاقتصاد المتعاطمة، ولكنها تظل أيضاً نقاط ومرافئ دخول العدوى. ويقول البعض إن العيش في "مدن تربطها جسور جوية هو موقف تحسد عليه"^(٣)

ويرى الدكتور سالم بأن الطلب على النفط سيقبل بشكل كبير حتى في الفترة المقبلة، وأن الاقتصاد العالمي سينكمش كثيراً، وأن الأمريكيان يشعرون بقلق على وظائفهم وعلى رواتبهم. ويرى أيضاً بأن هناك مشكلة بين الولايات المتحدة والخليج في الوقت الراهن؛ بسبب ما تقوم به السعودية من مضاربات في اسعار النفط العالمية.

أما بشأن رؤيته للنظام العالمي ما بعد كورونا، فيراه بأنه متعدد الاقطاب، وسيكون هناك دور كبير للصين وروسيا. وقد عرج عن رؤيته لتأثير جائحة كورونا على المنطقة، قائلاً: هناك خطر كبير أيضاً في الدول التي تعيش عدم الاستقرار مثل (العراق والجزائر واليمن ولبنان ومصر)، واصفاً أزمة كورونا، بأنها أكبر أزمة اقتصادية منذ الحرب العالمية الثانية وهي أزمة تاريخية، إذ يعتقد، بأن الضغوط التي تسببت بها هذه الأزمة في جميع البلدان ستجلب الأولويات الوطنية، ناصحاً زعماء العالم والمنطقة، بأن يغتنموا الفرصة لتقويض النزاعات في المنطقة في اليمن والتوصل الى تسوية في ليبيا، والوضع المعقد في سوريا. فضلاً عن العلاقة المعقدة بين أمريكا وإيران وهشاشة الوضع في العراق ولبنان وبعض دول المنطقة، قائلاً: الناس لا يمكنهم المكوث في منازلهم أكثر من هذا، وقد تكون هناك احتجاجات كبيرة، ستخرج الحكومات والانظمة الحاكمة في بعض دول المنطقة.^(٤)

الجوع والفقر واليأس، بعيداً عن الاهداف السياسية. ويرى بأنه اصبح واضحاً، ان الولايات المتحدة تركز داخلها، وقد تقوم إدارة بايدن "في حال فاز في الانتخابات الرئاسية الأمريكية" بالتفاوض مع ايران على غرار إدارة أوباما.^(٥)

وبشأن اجابته عن موجة الاحتجاجات بعد كورونا في المنطقة، ولاسيما في البلدان التي تعاني من مشاكل مالية وصحية وسياسية؟. يقول بأن هذه الازمة ستفجر الصراعات والاحتجاجات في كثير من هذه البلدان، وقد نشهد احتجاجات في الاشهر المقبلة نتيجة أما بشأن تأثير الفيروس في علاقات الصين مع الولايات المتحدة الأمريكية، يعتقد السيد بول بأن هناك ثمة قلق كبير اتجاه تزايد

(1)Anthea Roberts and Nicolas Lamp, "Is the Virus Killing Globalization? There's No One Answer", ...Barron's, March 15, 2020<https://www.barrons.com/articles/is-the-virus-killing-globalization-the-...>

(2)Anthea Roberts and Nicolas Lamp, "Is the Virus Killing Globalization? There's No One Answer", Barron's, March 15, 2020 <https://www.barrons.com/articles/is-the-virus-killing-globalization-the-...>

(3)Anthea Roberts and Nicolas Lamp, op. cit.

(٤) د.بول سالم: التحولات الجيوسياسية المحتملة في منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا ما بعد كورونا، مركز الدراسات الاستراتيجية، جامعة كربلاء، مايو، ٢٠٢٠م. البريد الإلكتروني: <http://kerbalacss.uokerbala.edu.iq>:-

(٥) د.بول سالم: مصدر سبق ذكره.

نفوذ الصين في المنطقة، وما نخشاه من وجود فراغ، قد تستغله الصين في بغداد والرياح والقاهرة. أما بالنسبة لتأثير فيروس كورونا على المجموعات المتطرفة والعصابات، فقد يرى، بأن الازمة ربما تتيح للمجموعات المتطرفة والعصابات والمافيات، نشاط أكبر، وقد تصبح أكثر تمرداً، ولاسيما أن هذه الجماعات تعاني من سوء تمويل نتيجة هذا الازمة. وبشأن تأثير فيروس كورونا على ميزان القوى في الشرق الاوسط، يقول، بأن اثر ازمة كورونا قد يستمر لسنوات، وسيخلق ضغوطات في تركيا وإيران والسعودية وسوف تنكمش هذه الدول إلى القضايا الداخلية.

ويعتقد روبرت ساتلوف بان ايران تعاني اسوء تداعيات هذه الجائحة، لكن دورها الإقليمي لم يتأثر كثيراً بعد، ولاسيما دورها في العراق ولبنان واليمن ولم يؤثر أيضاً على برنامجها النووي. وكذلك الحال بالنسبة لتركيا التي تتصرف في ليبيا. أما بشأن إسرائيل، فإنه يرى بأنها ستطرح قضايا أكثر اهمية في الضفة الغربية للتصدي إلى فيروس كورونا والقضايا الداخلية. اما بالنسبة للسعودية، فقد يرى ساتلوف بأن هناك عملية تغيير ربما نشاهدها بالنسبة لسياساتها في المنطقة اتجاه الدول العربية والاسلامية، وقد تركز اهتماماتها على الداخل في الايام القادمة أكثر مما ينبغي؛ نتيجة هذا الفيروس؛ لأن ما يهم الشعوب هو سبل العيش (الغذاء على الطاولة والوظائف والتعليم والصحة)، وهي قضايا مهمة ما بعد كورونا، ويعتقد بأن اقوى الاحتجاجات في مرحلة ما بعد كورونا، هي احتجاجات الخبز.

وبشأن المنافسة الاقليمية والجيوسياسية وصفقة القرن التي من شأنها ان تؤثر على امن المنطقة، يرى ساتلوف بأن تحدي إيران في المنطقة في مناطق (الشام والخليج) من ابرز التحديات التي من الممكن ان تزعزع امن المنطقة، فضلاً عن دورها الكبير في العراق، الذي من الممكن أن ينقل إلى الداخل العراقي، ولاسيما في ظل قواعد الاشتباك التي منحتها الإدارة الأمريكية لقواتها في مياه الخليج. وبذات السياق ادان السيد بول، سلوك السعودية في اليمن ودورها في انخفاض اسعار النفط، ويرى بان الطموحات الإيرانية والتركية والسعودية في المنطقة ستكون عامل تهديد لأمن المنطقة أيضاً. (١)

قد يؤدي صعود تيار القومية إلى إنهاء الوحدة المتوترة أصلاً داخل الاتحاد الأوروبي على نظام شنغن (Schengen) في حين لم يستقر الجدل بعد بين الأوروبيين حول "حكمة" خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. وفي ظل المخاوف الراهنة، أقرت تسع دول، بما فيها ألمانيا وفرنسا، العمل بأحكام الطوارئ لإعادة بعض الضوابط في أوقات مختلفة (٢). وتشير (ماري دي سوم)، رئيسة برنامج الهجرة في مركز السياسة الأوروبية، وهو مركز أبحاث مقره بروكسل، إلى أن "نظام شنغن في حالة سيئة للغاية ومثيرة للمشاكل"، وأن استعادته لكامل وظائفه يتوقف على "تغيير قواعد اللجوء والهجرة داخل دول الكتلة" (٣).

في ظل أزمة «كورونا» تبدو فكرة جاذبية النظام الليبرالي، وما يرتبط بها من أفكار أخرى كالسلام الديمقراطي والتضامن الإنساني، وعدم كفاءة نظم الضبط الاجتماعي بالمطلق، بحاجة إلى المراجعة استناداً إلى تطبيقات الدول الغربية مقارنةً بالتطبيق الصيني في مواجهة فيروس «كورونا». ونشير هنا إلى ثلاث ملاحظات أولية؛ الأولى أن نظم الصحة العامة في البلدان الرأسمالية أثبتت أنها أقل كفاءة مقارنةً بمثلتها في الصين، حيث الدولة تسيطر تماماً على منظومة الصحة العامة. والفارق هنا أن النظم الرأسمالية تعتمد على

(١) د.روبرت ساتلوف: التحولات الجيوسياسية المحتملة في منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا ما بعد كورونا، مركز الدراسات الاستراتيجية

http://kerbalacss.uokerbala.edu.iq

،جامعة كربلاء، مايو، ٢٠٢٠م. البريد الإلكتروني:-

(2) Lionel Laurent, "Salvini and Le Pen Don't Have a Coronavirus Cure, Bloomberg, February 25, 2020, <https://www.bloomberg.com/opinion/articles/2020-02-25/salvini-and-le-pe>

(3) Lionel Laurent, op.cit (٢)

منظومة صحية تقوم على الربحية والمنافسة بين الشركات المقدمة للخدمة أو المنتجة للدواء من أجل تعزيز المكاسب على حساب صحة الإنسان، ويظهر ذلك في عدم فاعلية نظم التأمين الصحي وعدم شمولها قطاعات كبيرة من المجتمع. ونتيجة لذلك واجه كثيرون انتشار الوباء وهم غير مشمولين بأي نوع من الرعاية الصحية، ومن لا يملك أموالاً كافية فليس أمامه سوى الموت في الشارع أو على عتبة باب بيته. التطبيق الصيني أظهر سلوكاً مغايراً، فكل إمكانات الدولة الصحية والعلمية والتكنولوجية سُخرت من أجل حماية حياة الصينيين عبر تقديم خدمة صحية كفؤة، استطاعت أن تحاصر الوباء في مدى زمني قصير، وتجتهد بحماس كبير لإنتاج لقاح يحمي الناس ويحافظ على حياتهم. في المقابل نجد تحبطاً في السلوك الأميركي وعدم قدرة النظام الصحي العام، الهش أصلاً، أو حتى الخاص مرتفع التكلفة على احتواء الوباء.

فضلاً عن تدخلات الرئيس الأميركي ترمب لدى كبريات الشركات الدوائية لحثها على العمل المشترك من أجل إنتاج لقاح يقي الأميركيين، بما يعكس اليأس من قدرة نظم الرعاية الصحية على مواجهة مخاطر كبرى كفيروس «كورونا». هكذا أثبتت فكرة الربحية عند تقديم الخدمة الصحية وهي السائدة في الغرب أنها نموذج مراهض لمبدأ الحق في الحياة، ما يعني أنها ليست تطبيقاً إنسانياً يصلح لأن يكون نهاية التاريخ.

الملاحظة الثانية تستند إلى ذلك البيان الشهير للرئيس الصيني الذي انتقد فيه دول الاتحاد الأوروبي التي امتنعت عن تقديم الدعم والمساندة لحكومته لمواجهة وباء «كورونا»، معتبراً أن المبادئ التي يتغنى بها الغرب عن التضامن الإنساني هي كلام فارغ لا يوجد إلا على الورق ولا أثر له في الواقع، حيث امتنعت تلك الدول عند تقديم المساعدة لبلاده، مشيراً إلى أن المساعدة ستأتي من الصين، فهي الصديق وليست دول أوروبا التي يشاركها منظومة إقليمية واحدة.

هذا الانكشاف الغربي إنسانياً يقابله سلوك صيني تضامني بدا جلياً في إرسال أطباء ومعاونين وأجهزة إلى إيطاليا لمعاونتها لمواجهة الوباء الذي قصم ظهرها على نحو غير متوقع.

الملاحظة الثالثة تتعلق بدور التكنولوجيا الحديثة المصحوبة بفكرة الدولة الفاعلة والمجتمع المنضبط في مواجهة وباء شرس وخطير يمكنه في حالة ضعف المواجهة أن يقضي على ملايين البشر. وهنا تبدو الدولة التي يراها الغرب مستبدة أو على الأقل مسيطرة على حركة المجتمع من خلال آليات غير ديمقراطية، أكثر فاعلية في حالات الخطر الوجودي. ففي حالي إسبانيا وإيطاليا وإلى حدٍ ما بريطانيا والولايات المتحدة، فإن أسلوب المواجهة في مرحلة احتواء الفيروس الذي يعتمد على إجراءات ذات طابع اختياري، أثبت فشله التام، وهي حالات رغم تقدمها الاقتصادي بوجه عام فقد ثبت أن أنظمتها التكنولوجية غير مؤهلة للمساعدة في تقديم خدمة طبية كفؤة على المستوى المجتمعي، إذ ليست لديها أنظمة التعرف على الوجه، ولا قدرة لها على التعامل مع «البيغ داتا»، التي هي أصل مجتمع المعلومات وبناء المعرفة، على الأقل في المجال الصحي العام، وذلك على عكس الحالة الصينية. مع الأخذ في الاعتبار أن تطبيقات التعرف على الوجه تشكل تحدياً لحرية الإنسان في ظل الظروف العادية، ولكنها أثبتت فعاليتها في ظل ظرف استثنائي تمر به البشرية كلها.

ولعل المرحلة المقبلة تشهد جدلاً فكرياً وفلسفياً حول كيفية توظيف تلك التقنيات لحماية الإنسان وفي الآن نفسه الحد من توظيفها لتقييد حريته. (١) في الوقت ذاته، تستفيد بعض الأنظمة الاستبدادية، مثل الصين، من تفشي بعض الأوبئة والجائحات. ويفاخر القادة الصينيون تاريخياً بقدرتهم على التغلب على الوباء كعلامة على القوة.

(١) حسن أبو طالب، عالم ما بعد «كورونا» ودورة جديدة للتاريخ <https://aawsat.com/home/article>

فقد عزز الرئيس شي جين بينغ صلاحياته وقوته، مما قد يجعله هدفًا أكثر عرضة للوم جماعي من شعب غاضب وخائف إذا فشلت التجربة. ولعل هذا هو السبب في تراجع عن أعين الجمهور مؤخرًا، مما سمح لضباطه بإدارة الوضع الراهن" (١). وأما بشأن تأثير كورونا على الداخل الأمريكي فبحلول السادس عشر من مارس/آذار، عانت أسواق المال العالمية، بما فيها وول ستريت في نيويورك، خسارات قياسية عقب انخفاض مؤشر داو جونز بنسبة ١٣ في المائة تقريبًا في أسوأ نسبة انتكاسة منذ الانهيار المالي يوم "الاثنين الأسود" عام ١٩٨٧. والمفارقة أن الرئيس ترامب الذي كان منشركًا في بدايات الأزمة، عندما أبلغ مواطنيه الأميركيين بأن "فيروس كورونا سيزول، لا تقلقوا، فقط حافظوا على هدوئكم"، هو نفسه الذي أصبح يقرُّ أنهم في مواجهة "عدو غير مرئي"، وأن هذا الفيروس يمكن أن يدفع الولايات المتحدة إلى حالة الركود، مضيفًا أنها "محنة سيئة، سيئة للغاية" (٢).

وتثير هذه التحولات السلبية التي تنتجها فيروسات كورونا أسئلة ملحة جديدة حول السياسة الاقتصادية التي تتبعها حكومة ترامب، والتي استرشدت بنظرية اقتصاديات الانتشار العمودي أو الاقتصاديات الريغانية، والتي تمَّ الاحتفاء بها كمنقذ للأزمة الاقتصادية الغربية من ركود بدايات الثمانينات خلال رئاسة ريغان في البيت الأبيض. فمن خلال اعتماد بعض الامتيازات، مثل: التخفيضات الضريبية على التزامات الشركات والأشخاص ذوي الدخل المرتفع ومكاسب الأسهم المستثمر والأرباح على المدخرات، لُوِّحت هذه السياسة بأن فوائد تلك الامتيازات بالنسبة للأثرياء ستتدفق نزولًا إلى بقية الفئات الوسطى والفقيرة في المجتمع. ويكمن جوهر هذا الإدعاء بإمكانية حركة عمودية من أعلى إلى أسفل في نمو الاقتصاد في الضبابية بين براغماتية العلم ومغالطة الأيديولوجية الرأسمالية. وقضت خطة ترامب الضريبية أيضًا بتخفيض معدلات الضريبة على الدخل الفردي، وضاعفت الخصم الاعتيادي، وألغت الإعفاءات الشخصية. وفي ضوء القرار بأن التخفيضات الضريبية بالنسبة للشركات ستظل دائمة، تنتهي التغييرات الضريبية بالنسبة للأفراد بنهاية عام ٢٠٢٥ (٣).

وإذا تكشفت مع أزمات صحية عالمية سابقة استعداد المجموعة الدولية لإدارة المخاطر التي تهدد الصحة العامة والاستقرار الاجتماعي والنمو الاقتصادي، فإن فيروس كورونا أظهر مدى انخفاض التعاون الدولي وأن القوى الكبرى على استعداد للتعاون فقط عندما تعاني دولٌ أخرى الأوبئة، أما عندما تُختبر كل دولة منها قصة لمحنة خاصة، فإنها تتشغل بالتنافس على الموارد، ومن ثم العودة إلى الاقتصاد الطبيعي والتحرك نحو الاكتفاء الذاتي ومنع تصدير الإمدادات الحيوية نتيجةً لاتباع سياسة الاعتماد على الذات، بل بلغ الأمر أحيانًا حد اندلاع صراع على هذه الموارد، حيث "فجرت أزمة كورونا حربًا وتحافًا غير مسبوقين بين دول غربية على استيراد الكمادات، وأجهزة التنفس الصناعي لمواجهة المرض، بل اتهمت دولٌ دولًا أخرى بالاستيلاء على شحنات معدات طبية كانت موجهة إليها" (٤). عادة ما تنتج الأمراض المعدية فرصًا للتعاون الدولي؛ إذ خلال حقبة الحرب الباردة، قام العلماء في الاتحاد

(1) Laura Spinney, "Coronavirus and the Geopolitics of Disease", The Statesman, February 19, 2020 <https://www.newstatesman.com/politics/health/2020/02/coronavirus-and-ge...>

(2) Ben White, "How ugly could it get? Trump faces echoes of 1929 in coronavirus crisis", POLITICO, March 16, 2020 <https://www.politico.com/news/2020/03/16/trump-faces-1929-save-economy>

(3) Kimberly Amadeo, "Why Trickle-Down Economics Works in Theory But Not in Fact", The Balance, October 27, 2019 <https://www.thebalance.com/trickle-down-economics-theory-effect-does-it-...>

(٤): بالكمادات وأجهزة تنفس.. كورونا تضع الدول الغربية وجها لوجه"، الجزيرة نت، ٤/٤/٢٠٢٠، شوهد في ٥/٤/٢٠٢٠، في <https://bit.ly/2UKagjr>

السوفيياتي السابق والولايات المتحدة بتطوير وتحسين لقاح شلل الأطفال، كما أدت روح التعاون نفسها إلى تنشيط الاستجابة الأمريكية - الصينية لتفشي فيروس "سارس" (١). أما أوروبا التي تركز في قبضة الوباء الفتاك وبدأت أضعف بكثير من وحدتها الظاهرة، فقد أخذ منها فيروس التفكك ما أبقاه فيروس المرض؛ ذلك أن "إغلاق الحدود الفاصلة بين الدول الأوروبية، وعدم تمكن الاتحاد من إنقاذ الدول الأكثر تضرراً بسبب تفشي كورونا، يثير انتقادات حادة حول جدوى وجود الاتحاد ذاته، والتضخم الحاد في البيروقراطية والمؤسسات التابعة له، والقيود المالية التي يفرضها على الدول الأعضاء" (2). وقد ظهر أن القوتين اللتين كان من الممكن التعويل عليهما لمواجهة أزمة الوباء العالمي الحالي، لم تدركا حجم المخاطر المشتركة ولم ترتقيا فوق خلافاتهما.

فقد "أدى افتقار بكين إلى الشفافية إلى تفاقم الأزمة الصحية العالمية والتعاون المحدود، في حين أن تركيز واشنطن على المنافسة قد زاد من عدم الثقة"، ولذلك فالتوترات بين الصين والولايات المتحدة تعرقل التقدم في البحث عن الدفاعات الدوائية المطلوبة لمكافحة الفيروس القاتل، خاصة أن التعاون العلمي بين البلدين قد خمد قبل سنوات في ظل مخاوف الولايات المتحدة بشأن التجسس الصيني ونقل التكنولوجيا. في ضوء هذه التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الكبرى والمتسارعة التي أحدثتها وباء كورونا، تشكل عالميا ظاهرتان مهمتان لهما أثر كبير على العالم النامي، وهما: تصاعد صراع القوى الكبرى على قيادة العالم، وانشغال تلك القوى بنفسها وانغلاقها، إلى حد كبير، نحو الداخل. تشير العديد من التقارير إلى أن صراع القوى الكبرى قد ازدادت حدته بعد هذا الوباء؛ نظرا للتفاوت الكبير في حجم الضرر المتوقع أن يلحق بهذه القوى، وفي مدى قدرة المجتمعات على تحمل تبعات هذه الأضرار، نظرا للتفاوت الكبير في طبيعة نظمها السياسية والاقتصادية. وترى تلك التقارير بأن من يخرج أولا من محنة كورونا سيتمكن من تحقيق نقاط هائلة على سلم السيطرة. وهو ما ستبدل معه الكثير من التحالفات وظهور كتلتا اقتصادية وسياسية جديدة. (BBC - ١ إبريل ٢٠٢٠). من ناحية ثانية، فقد جعل كورونا تلك القوى مشغولة بنفسها، إلى حد كبير. كما أنه قد قلص تطلعاتها وقدراتها الاستعمارية؛ فجانبا انشغال الجيوش في المشاركة في عمليات مجابهة الوباء داخليا، فإن انتشار الوباء داخل الجيوش، وخاصة على حاملات الطائرات، يحد بشكل كبير من سطوتها العسكرية الخارجية. ويكفي هنا الإشارة إلى ما قامت به العديد من هذه القوى من سحب قواتها من الخارج. وعليه، فمن المتوقع أن تقلص الأطماع الاستعمارية للقوى الكبرى لصعوبة تحقيقها. كما أنها قد صارت أكثر حاجة إلى التعاون لتحقيق نمو اقتصادي أفضل. كما أن الخيار العسكري في حل نزاعاتها، أو تحقيق أطماعها، قد صار أبعد مما كان عليه في أي وقت مضى. وإن الفجوة التنموية بين العالمين المتقدم والنامي، قد بدأت في التناقص نتيجة لانخفاض انتشار كورونا وانخفاض كلفته الاقتصادية في العالم النامي مقارنة بالعالم المتقدم. هذه المتغيرات توفر فرصة نادرة لصياغة نظام عالمي جديد أكثر عدلا؛ إذا إن التفاوض في هذه الحالة لن يكون بين منتصر ومهزوم، كما كانت الحال عند صياغة النظام العالمي الحالي، بل سيكون بين مهزوم ومهزوم جدا. هذا الوضع يوفر فرصة نادرة للعالم النامي للضغط لصياغة نظام دولي أكثر عدلا من الناحية الاقتصادية والاستراتيجية.

(1) Yanzhong Huang, "The U.S. and China Could Cooperate to Defeat the Pandemic, Instead, Their Antagonism Makes Matters Worse," Foreign Affairs, 24/3/2020, accessed on 5/4/2020, at: <https://fam.ag/3dW5siM>

(2) محمد عبد الله يونس، "كيف ترسم المفاهيم المتداولة ملامح 'عالم ما بعد كورونا؟"، دراسات خاصة (مركز المستقبل للدراسات المتقدمة - أبوظبي)، العدد ٢ (آذار/ مارس ٢٠٢٠)، ص ٩، شوهد في ٤/٥/٢٠٢٠، في: <https://bit.ly/2ReQgU1>

المبحث الثالث:- :- قراءة استشرافية لتطور العالم في مابعد كورونا.

على مرّ التاريخ، كانت الديمقراطية غير مفيدة في حقب انتشار الجائحات. وعلى غرار حالات انتشار الأوبئة السابقة، يتسبب فيروس كورونا في اضطراب كبير في الحياة العامة في جميع أنحاء العالم. ويؤكد (فرانك سنودن)، الأستاذ الفخري لتاريخ الطب في جامعة ييل الأميركية، أنه "ليس هناك مجال رئيسي من حياة الإنسان لم يتأثر بشكل عميق بانتشار الأوبئة؛ إذ أن لها آثارًا هائلة على الاستقرار الاجتماعي والسياسي. لقد حددت مآل الحروب، ومن المحتمل أيضًا أنها كانت من العوامل التي أدت إلى اندلاع الحروب في بعض الأحيان" (١). خلال العقدين الماضيين، تعرّض البشر لموجات سريعة ومكثفة من الأوبئة والجائحات مثل سارس، وميرس، وإيبولا، وأنفلونزا الخنازير، والآن فيروس كورونا. إنها طريقة مروّعة لإعادة صياغة "كيف نفكر في تاريخ البشرية، ليس كنتسلسل العصور والعهود، ولكن من نذير الموت المرعب والاختيارات المجتمعية" (٢). يقول (كورت كامبل)، مساعد وزير الخارجية الأميركي السابق لشؤون آسيا والمحيط الهادئ، و(توماس ورايت)، الباحث في معهد بروكجز، "لقد نما العالم خلال العقد الماضي أكثر استبدادية، وقومية، وكراهية للأجانب، وأحادية المنحى، ومعاداة للمؤسسة، ومناهضة لأهل المعرفة والخبرة. وتؤدي الحالة الراهنة للسياسة والجغرافيا السياسية إلى تفاقم الأزمة، وليس إلى استقرارها" (٣). وخلال العقود الثلاثة الماضية، كان للنظام النيوليبرالي كلمته في توجيه السياسات العامة في الدول، ولم يكن أمام العمال اليائسين أي خيار سوى "العمل لفترة أطول وأصعب، والوفاة في سن مبكر" (٤).

وإذا استمر الوباء الجديد حتى أواخر صيف ٢٠٢٠، فلن يتمكن العمال من تغطية نفقاتهم المعيشية، وقد لا يحصلون على فرص مواتية للتعويض عما خسروه من مصدر دخل. سيضطر عدد كبير من الشركات الصغيرة إلى إعلان الإفلاس. وسواء في الغرب أو في الدول النامية، تقلص دور الدولة إلى مجرد وكالة لتنظيم الخوف ومنع التجمعات العامة. وأصبحت منظمة الصحة العالمية مؤسسة عالمية لا تقدّم بحكم الواقع سوى إحصاءات عن حالات الإصابة والوفيات ونطاق انتشار فيروس كورونا. ومع ذلك، فإن مثل هذه الأوبئة والجائحات تكشف عما "يهمُّ حقًا المواطنين، وما هو على المحك، ولاسيما منْ وماذا تُقدّر هذه المجتمعات". (٥) لم يعد بمقدور معظم المنظمات الدولية أكثر من القيام بتدبير العلاقات العامة.

كعلم اقتصادي. في مقاله "الطاعون النيوليبرالي" (The Neoliberal Plague)، يلاحظ روب يوري أن الوحشية الجاهلة

(1)Ishaan Tharoor, "How epidemics have changed the world," The Washington Post, March 8, 2020 <https://www.washingtonpost.com/world/2020/03/06/how-epidemics-have-chan...>

(2)Ibid.

(3)Thomas Wright & Kurt M. Campbell, "The Coronavirus Is Exposing the Limits of Populism", The Atlantic, March 4, 2020 <https://www.theatlantic.com/ideas/archive/2020/03/geopolitics-coronavir>

(4)Rob Urie, "The Neoliberal Plague", March 6, 2020 Counterpunch, <https://www.counterpunch.org/2020/03/06/the-neoliberal-plague/>

(5)Ann Scott Tyson and Sara Miller Llana, "Containing coronavirus: Where democracy struggles – and thrives", The Christian Science Monitor, March 2, 2020 <https://www.csmonitor.com/World/2020/0302/Containing-coronavirus-Where...->

لهذا النظام تبدو في طريقها إلى "الكشف عن حقيقتها من خلال انتشار فيروس صغير" (١). وتلوح في الأفق أسئلة أخرى ذات صلة: ما الذي يجب أن يأتي في المقام الأول: المجتمع أم الاقتصاد، الصحة العامة أم الربح، رفاة المواطنين أم البلوتوقراطية (حكم الأثرياء)؟ هل حان الوقت أن تظهر قوة جديدة من حطام فيروس كورونا؟ من المؤكد أن عود الدولة الحديثة التي تأسست في ضوء فلسفة اتفاقية ويستفاليا عام ١٦٤٨ و"العقد الاجتماعي" الحديث كانت محيية للأمال بتغيير واحدة من الاحتياجات الإنسانية الأساسية: الصحة العامة. وقت لتغيير نموذجي في السياسات العامة؟ وما نوع الرؤية أو النسق النقدي الجديد الذي كان ولا يزال يتردد صدى أحد الأقوال الشهيرة لمارغريت تاتشر: "لا يوجد شيء اسمه المجتمع". ونتيجة لذلك، تمّ تحويل البشر إلى متنافسين اقتصاديين. وكما يلاحظ ويليام بيرس (William Pearce)، فإن "النيوليبرالية من خلال عقلانيتها الباردة التي لا ترحم قد أثارت البشر ضد بعضهم بعضاً، مهرولين نحو فكرة "المضي إلى الأمام". (٢).

ويقول إيان برمر (Ian Bremmer)، أستاذ الجيوسياسة التطبيقية في جامعة كولومبيا، "إن التحدي الذي يواجهنا اليوم هو انحلال النظام العالمي بقيادة الولايات المتحدة، وغياب القيادة العالمية للتدخل وتولي دورها. نحن نعيش في عالم فراغ الزعامة (Zero)، أي وجود فراغ للقوى في السياسة الدولية بسبب تراجع دور الولايات المتحدة وتركيز الدول النامية على أوضاعها الداخلية، وسط حالة جديدة من الركود الجيوسياسي واتساع نطاق تأثيرها. في حالة الركود الجيوسياسي هذه، يؤدي انكسار السياسات العالمية إلى تأجيج المخاطر العالمية بدلاً من المساعدة في حلها" (٣). وترسل لحظة فيروس كورونا إشارة أخرى حول الاختلال الوظيفي للسياسة العالمية التي تحركها الواقعية السياسية. ومن المؤكد أنه ستكون هناك نزعة قومية تكنولوجية وحمائية اقتصادية ضمن دائرة التنافس الأمريكي الأوروبي الصيني (٤). ويحدد برمر أربعة عوامل تساهم في ذلك التحول، والتي ينبغي معالجتها قبل أن يتمكن العالم من الخروج من حالة فراغ زعامة العالم:

- ١- عدم المساواة والاضطرابات الاقتصادية الأخرى الناتجة عن العولمة؛ إذ يتزامن صعود سياسة "بلدي أولاً" في الديمقراطيات الصناعية المتقدمة في العالم مع نزع الشرعية المحلية عن المؤسسات السياسية في الديمقراطيات وامتداده إلى المجال الدولي.
- ٢- ميل بعض الدول العظمى والقوى الإقليمية الناشئة نحو تفويض جهود أكثر الديمقراطيات تقدماً ونجاحاً اقتصادياً في القرن العشرين في التعامل مع أزماتها الوجودية الحقيقية للغاية هنا في القرن الحادي والعشرين. ويعتبر برمر روسيا من بين دول الفئة الأولى "التي تبحث، بعد ثلاثين عامًا من نهاية الحرب الباردة، عن طرق لزعزعة استقرار الغرب مع تعزيز ثروتها الجيوسياسية" (٥).
- ٣- تراجع كفاءة وفعالية النظام الدولي. وأصبحت المؤسسات متعددة الأطراف الموجودة في العالم حاليًا للمساعدة في إدارة السياسة العالمية والتنسيق بين الدول غير صالحة لهذا الغرض.

(1)Nicolas LePan, A visual history of pandemics", Word Economic Forum March 15, 2020

<https://www.weforum.org/agenda/2020/03/a-visual-history-of-pandemics>

(2)Rob Urie, "The Neoliberal Plague", March 6, 2020 Counterpunch,

[/https://www.counterpunch.org/2020/03/06/the-neoliberal-plague](https://www.counterpunch.org/2020/03/06/the-neoliberal-plague)

(3)William Pearce, "A Critique of Neoliberalism", ENOMICS, April 9, 2019

<https://inomics.com/insight/a-critique-of-neoliberalism-1379580>

(4)Patrick M. Cronin, Michael Doran & Peter Rough, "Geopolitical Implications of the Coronavirus",

March 13, 2020 <https://www.hudson.org/research/15816-geopolitical-implications-of-the...->

(5).Ian Bremmer, op.cit (٢)

لا يمكن المبالغة في قرار اللامبالاة لدى أميركا ترامب بالتراجع عن قيادة العالم. ويشعر الأميركيون بشكل متزايد أن الولايات المتحدة كانت تتحمل الكثير من الناحية العسكرية وغيرها من أجل الآخرين.

لقد اتضح أن القوة الأولى في العالم لم تكن رائدة في الاستجابة العالمية للفيروس التاجي الجديد، وتنازلت تحت ضغط قبضة الفيروس نفسه عن هذا الدور لغريمها. ففي مقابل التركيز الداخلي لسياسة الولايات المتحدة، الذي تعلق إلى حد بعيد بالإدارة المحلية لأزمة تفشي الفيروس بدلاً من منظور الجغرافيا السياسية، تريد الصين أن تبدو قادرة على إدارة تفشي الوباء من تلقاء نفسها، وبوصفها زعيماً عالمياً في الاستجابة للوباء، حيث تعمل على تقديم المساعدة للمدان الأخرى، خاصة أن الكثير مما يعتمد عليه العالم لمكافحة كورونا يُنتج في الصين. وهكذا، وفي الوقت الذي شرعت فيه الصين تتخلص من سوء إدارتها لأزمة اندلاع وتفشي الفيروس في البداية، وحيث أخذت تسيطر على الوضع الوبائي، فإنها تعمل على تحويل علامات هذا النجاح المبكر إلى رواية أكبر لبث الأمل إلى بقية العالم، وهي الرواية التي ستجعل الصين اللاعب الأساسي في الانتعاش العالمي القادم. الآن، ومع استشراف هذا التهديد الصحي الشامل والمدمر، وحيث بدأت حركة العولمة هشة، سيكون من الصعب إعادة تشغيل اقتصاد عالمي مترابط. ولن يبدأ هذا الاقتصاد في التعافي إلا عندما تتأكد لدى الناس حصانتهم ضد الفيروس بعد احتوائه على أيدي مسؤولي الصحة العامة. وفي الانتظار، مع ما تبقى من ديب في الحياة الاقتصادية في إطار ما يسمى اقتصاد الأزمة "ينبغي أن يكون الهدف الرئيس (وربما الوحيد) للسياسة الاقتصادية اليوم هو منع الانهيار الاجتماعي ... حيث أهم دور يمكن أن تؤديه السياسة الاقتصادية الآن هو الحفاظ على الروابط الاجتماعية قوية تحت هذا الضغط الاستثنائي"^(١)، لأن الخسائر البشرية المتواصلة سوف لن تكون، على فدايتها، سوى التكلفة التي قد تؤدي إلى ما هو أكثر فداحة منها في صورة تفكك مجتمعي؛ ذلك أن هاجس الإصابة بالمرض والخوف من الموت هما اللذان يفرضان توقف مجموعة من الناس عن العمل، على خلفية الحجر الصحي، وفقدانهم لدخولهم، ومن ثمّ عجزهم عن تأمين حاجاتهم.

وفي نهاية المطاف، يجدر التأكيد أن معركة كل دولة ضد عدوى سريعة الانتقال ترتبط بطبيعتها منذ البداية بمكافحة الفيروس بالتعاون مع جيرانها، سواء الأصدقاء أم الأعداء، ولذلك فالجميع يحتاج إلى كسب المعركة، حيث في ظل تمدد حالة الجائحة العالمية الراهنة، فإن أفق قيمة التعاون يظل مفتوحاً بوضوح. وهو ما يمكن فقط أن يبرّح، بخصوص توقعات مسار الأزمة، السيناريو "القائم على فرضية نجاح إجراءات الاحتواء في الحد من انتشار الفيروس خلال الربع الثاني من العام والبدء في الرفع من الحظر وإجراءات الاحتواء تدريجياً. لبدء النشاط الاقتصادي في استعادة عافيته تدريجياً في الربع الثالث من العام"^(٢).

في حين يلحظ الباحث الاقتصادي المصري، "مجدي عبد الهادي"، تضارب آراء الخبراء مختلفي التخصصات حول الآثار الهيكلية بعيدة المدى للأزمة مما يمس قواعد وآليات عمل النظم الأساسية بالأخص، ويرى أن أغلبها اتفق على بعض الآثار الاقتصادية والاجتماعية الإستراتيجية حال استطالت أزمة "كورونا" لما يصل لعام أو عام ونصف؛ كما ترى بعض التوقعات، من أهمها أولاً: تراجع كبير في الثقة العامة بالقطاع الخاص وتغليب منطق الربح في القطاعات الاجتماعية الأساسية.

(1) Branko Milanovic, "The Real Pandemic Danger Is Social Collapse: As the Global Economy Comes Apart, Societies May, Too," Foreign Affairs, 19/3/2020, accessed on 5/4/2020, at: <https://fam.ag/39KCwHd>

(٢) "وباء فيروس كورونا المستجد: نماذج من استجابات الدول للوباء وتداعياته على الاقتصاد العالمي"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تقارير، العدد ٢ (نيسان/ أبريل ٢٠٢٠)، ص ٣٤، شوهد في ٢٠٢٠/٤/٥، في: <https://bit.ly/3e68eSC>

ثانيًا: هزة قوية في الإيمان بنجاحة ومتانة نظام التجارة الدولية وسلاسل التوريد والقيمة العالمية الكبيرة والمعقدة. ثالثًا: إجهادات للإنغلاق وتعزيز الدول القومية، تدعمه خبرة الدول حاليًا مع ميل كلٍ منها للحلول الفردية وضعف التعاون الدولي. رابعًا: ستتغير أساليب الإنتاج الزراعي والحيواني الكبير، ومعها أنماط الاستهلاك الغذائي والاشتراطات الصحية، كما ستتغير برامج البحث العلمي المشتبكة مع جوانبها الاجتماعية والبيئية،... ستتغير أنماط العمل، ويزداد الإقبال للاستفادة من التقنيات الحديثة للعمل عن بُعد، خصوصًا بعد اتساعها وتجربتها عمليًا وإجباريًا في خضم الأزمة. خامسًا: ستزداد المخاوف من الهيمنة المالية والمصرفية الهائلة، بما يتصل بها من هشاشة اقتصادية تُهدد بالإغلاقات السريعة دومًا مع كل صدمة عرض أو طلب فعلية أو مجرد مخاوف استثمارية.

سادسًا: ربما تتراجع جزئيًا النزعة الاستهلاكية التي سادت منذ السبعينيات مع التجربة المؤلمة للركود وإنقطاع الدخول وفقدان الأمان الوظيفي، فتزداد الميل الإيداعية ونزعات "المينيماليزم" أو التقليل من الاستهلاك والشراء قدر الإمكان. وعليه؛ يحاول "عبدالهادي" استنتاج تفتح إمكانات لبعض التحولات النوعية في الوعي الاجتماعي، أي تحولات على مستوى الإيديولوجية تتماشى مع التحولات الاقتصادية والاجتماعية، بما يفتح أبوابًا لتغيرات حقيقية أوسع في كامل حياتنا، إنها الرؤية الجديدة للاقتصاد التي يمكن لـ"كورونا" أن يهبها للعالم، والتي ستشمل غالبًا تغييرات جذرية في المواقف تجاه "أبقار الرأسمالية المقدسة". (١)

ومع انتشار فيروس كورونا الراهن في ظل عدم وجود استراتيجية واضحة لاحتوائه أو العلاج منه، يحتاج العالم للعودة مجددًا إلى لوحة التخطيط والتصميم بعد أربعين عامًا من تيار العولمة والتجارة الحرة وغيرها من التركيبات الأيديولوجية التي لوحت بها النيوليبرالية. للتفكير في الأمر، هناك حاليًا فرصة لليسار، ودعاة الإنسانية، والمثقفين، ومجموعات الدعوة للصالح العام، والمجتمع المدني العالمي، لبدء نقاش حول مرحلة ما بعد فيروس كورونا، وفوق مرحلة النيوليبرالية لإعادة التنظيم السياسي والاقتصادي الجديد للمجتمع وبرغم اعتقاد وودز في عدم وجود خطر نشوب حرب "أميركية-صينية"، رغم كافة التناقضات السياسية والإستراتيجية الآنية، متنبئًا بإشتعال "حروب صغيرة طوال الوقت مثل تلك الحروب التي نراها في العراق وسوريا". تأتي جائحة (كوفيد-١٩) في الربع الأول من العام ٢٠٢٠، وتظهر آراء وتنظيرات عديدة تدور حول هذا التفوق البارز لـ"النموذج الصيني" وتبعاته من احتمالية التصاعد الدرامي لوتيرة الصراع "الأميركي-الصيني" لدرجة التدخل العسكري بينهما؛ وكذا تراجع الهيمنة الأمريكية ومدى فرص عودة الولايات المتحدة لحالة عزلتها الأولى، زمن ما قبل العالمية الأولى، ونهاية ما يُطلق عليه بـ"العصر الأميركي" (٢) في حين أصر بعض الاقتصاديون والمحللون التقدميون على أن تكون تكهناتهم أكثر واقعية وتركيزها على ملاحظة الخطوات البطيئة لـ"حرب العولمة والعولمة المضادة" داخل منظومة رأسمالية عالمية واحدة.. ويرصد الكاتب المصري، "إبراهيم نوار"، بأنه: في سياق حملة الهجوم الأميركي على الصين... تعتبر إمتدادًا لمدرسة الحرب الباردة السابقة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. وتسعى الولايات المتحدة من خلال استخدام أسلحة الحرب الباردة المعروفة، وإبتكار أسلحة جديدة، إلى تخريب الصين من الداخل، وتكوين رأي عام يُحاصر الصين علميًا. وفي سياق هذه الحرب الباردة، تقوم الولايات المتحدة بزيادة مجهودها العسكري في "المحيط الهادي"، وتحريك الكثير من قطع الأسطول السابع إلى بحر الصين الشرقي وبحر الصين الجنوبي و"مضيق تايوان" و"مضيق ملقا"، إضافة إلى تكثيف الطلعات الجوية،

(١) مجدي عبدالهادي - (أبقار الرأسمالية المقدسة.. هكذا سيغير "كوفيد-١٩" نظرنا للاقتصاد العالمي) - موقع الجزيرة نت - إصدار (الميدان) -

نيسان/أبريل ٢٠٢٠.

(٢) آلان وودز، مصدر سبق ذكره.

ونشر صواروخ "باليستية" متوسطة المدى في بلاد تحيط بالصين مثل، أستراليا وكوريا الجنوبية. (١)

التاريخ يعيد نفسه، هذا ما يريد أن ييوح به لنا هنري كيسنجر في مقاله الأخير المعنون بسيغير (كورونا العالم إلى الأبد)، عندما شبه صورة العالم هذه الأيام مع فيروس كورونا، بما حدث له خلال الحرب العالمية الثانية، وبالضبط سنة ١٩٤٤، حالة من اللاتيقين والشعور بالخطر الذي يتعذر الإمساك به تسود العالم، إلا أن هذه الإعادة، في نظره، ليست صورة مطابقة للأصل، فهناك أوجه تباين واختلاف بين اليوم وتلك الحقبة البعيدة، تتجلى في الأمس البعيد في «قدرة الأمريكيين على المقاومة عبر السعي نحو خلق هدف وطني رفيع» (٢)، أما اليوم، فالبلد يعيش حالة من الانقسام المجتمعي، وحتى يتم تجاوز هذه العائق، يجب أن يستند الفعل الحكومي إلى الفعالية والتبصر، و ينبغي «الحفاظ على ثقة الرأي العام» من أجل تعزيز «التضامن المجتمعي، والعلاقة بين المجتمعات، ثم السلام والاستقرار الدوليين»، وفيروس كورونا من المنعرجات الخطيرة في تاريخ البشرية، الذي قد يؤدي إلى تشكيل عالم جديد، بحسب الخبراء والساسة، الذين يكادون يجمعون على أنّ العالم بعد وباء كورونا لا يشبه، في أي حال من الأحوال، العالم قبله، ومن هؤلاء، بطبيعة الحال، كيسنجر الذي قرر، كما أشرنا سابقاً، أنّ كورونا «سيغير العالم إلى الأبد». (٢)

ويرى الباحث في الشؤون السياسية والثقافية الدكتور حازم نهار أن الارتكاسة الأولى تجاه التحدي الذي خلقه فيروس كورونا طبيعية، فالخوف أمر طبيعي تجاه الكوارث الصحية والطبيعية، ومثلهما الخوف في زمن الحروب. ويستطرد نهار في حديثه للجزيرة نت أنه "يمكن أيضاً أن نشهد انتعاشاً في الأصوات الدينية المتطرفة أو الأصوات الانعزالية والشوفينية"، لذلك يرى أنه من الطبيعي أيضاً أن تفكر الدول والجهات المعنية بالصحة الإنسانية في الطرق الإسعافية والسريعة أولاً لمواجهة المخاطر المترتبة على انتشار الفيروس. وبسؤاله إن كانت الدول الغربية، أو الدول التي حصلت فيها عموماً ثورات ثقافية كبرى عبر التاريخ، تستطيع أن تعيد ترتيب شكل مواجهتها للمخاطر بعد تجاوز اللحظة الإسعافية، أوضح الدكتور نهار أنها تستطيع ذلك، وأن مجتمعات هذه الدول ستعيد قراءة الأزمة وأسبابها وتحليلاتها بعد تجاوز الأخطار السريعة". وقال إنه ستترب على ذلك تغييرات في بعض المسائل، مثل الأنظمة الصحية، وطرق المواجهة الجماعية للكوارث على مستوى العالم، وأنظمة المطارات والسفر، ويمكن أن يفرض ذلك أيضاً إجراء تغييرات محدودة في سياسات عدد من الدول المتقدمة لمصلحة نظرة أكثر إنسانية، على اعتبار أن البشرية تعيش في عالم واحد، وأن أي خطر في أحد أجزائه يمكن أن يصيب بقية الأجزاء، إن كان على مستوى الصحة أو البيئة أو بؤر الصراع المنتشرة، لكنها لن تصل في الحصيصة إلى مرحلة هدم النظام الليبرالي، وهو الذي لا يحتزل فحسب بمظاهره الاقتصادية الجائرة". (٣)

حازم نهار يرى أن التغييرات في السياسات الأوروبية ستكون محدودة وأكثر إنسانية. أما الباحثة السورية سارة العظمة تجد أن جائحة كورونا فرضت معطيات جديدة على العالم بأسره، "ستكون بدون شك نقطة انطلاق لنقاشات عديدة في المستقبل عند انحسار الطوفان". وتستشرف ذلك منذ الآن من خلال ضروب التراشق الكلامي الذي يصل مستوى الحرب الإعلامية بين دول تمثل منظومات سياسية مختلفة وتبين ربطها ذلك من خلال حادثة تناقلتها الصحف مفادها أنه "مرت عدة أسابيع بين تحذير الطبيب الذي اكتشف ظهور الفيروس الجديد لي وين ليانغ، وقرار القيادة الصينية في بكين اتخاذ أي إجراءات وقائية.. ما حدث أن السلطات اعتقلت الطبيب المذكور ومنعت ما وصفته بإشاعات تضعف الروح الوطنية وتضر بسمعة البلاد. أن السيناريو نفسه حدث في أزمة وباء سارس ٢٠٠٣ التي انطلقت أيضاً من الصين إلى الخارج عن طريق السفر". (٤)

(١) إبراهيم نوار - (لمن ستكون الغلبة في الصراع على النفوذ في العالم بعد وباء كورونا؟) - صحيفة (القدس العربي) - ٣١ آذار/مارس ٢٠٢٠

(٢) سعدون بخلف، كيسنجر والوباء: كورونا سيغير العالم إلى الأبد، صحيفة القدس العربي، الأربعاء ٢٤ يونيو، ٢٠٢٠: البريد الإلكتروني <https://www.alquds.ro.uk/category>

(٣) سعدون بخلف، مصدر سبق ذكره. (١) سعدون بخلف، مصدر سبق ذكره.

(٤) عارف حمزة، الليبرالية والفردانية في زمن كورونا، مصدر سبق ذكره.

على الطرف المقابل، وفي القارة الأوروبية التي تحولت الآن إلى بؤرة للوباء، تعتمد الحكومات على مبدأ الشفافية التامة، ويقوم الإعلام الحر بمهمته في نشر المعلومات ونقل الأخبار المستجدة وتجد سارة أنه رغم الأجواء الاستثنائية من حجر عام وتوقف جزئي لحركة المجتمع وانتشار تنبؤات بأزمة اقتصادية عارمة، "إلا أن النظام الديمقراطي الليبرالي يبقى متفوقاً من الناحية العملية والأخلاقية". (١)

من جهته، يعتقد نهار أن الليبرالية نظام كوني يخص العالم كله، "لأن تأثيراته السياسية والاقتصادية والاجتماعية تطال كل بقعة في العالم حتى لو حاولت أن تكون بمنأى عنه". ويقول إن هذا النظام قدم للبشرية خدمات جليلة في العلم والحريات والثقافة والاقتصاد ونظم الحكم، "وإلى اليوم لا يوجد نظام آخر تجاوزه بصورة جدلية إلى نظام أكثر تطوراً وأقل ظلماً". ويجد صاحب كتاب "مسارات السلطة والمعارضة في سوريا" أن في النظام الليبرالي كثيراً من الظلم، لكن "لا يوجد نظام عبر التاريخ لم يكن الظلم إحدى ركائزه أو تجلياته، لكن تختلف درجة الظلم هذا ومستواه ونوعيته، مثلما تختلف الفئات التي يقع عليها هذا الظلم اجتماعياً وجغرافياً". ويستطرد نهار في حديثه للجزيرة نت أن في هذا النظام مراكز وأطرافاً، منتجين ومستهلكين، أغنياء وفقراء، "وهذا كله انعكس في الحقل السياسي ظلماً وتحكما في الدول والشعوب إلى أن غابت حقوق الإنسان الجماعية". دفاع الدكتور نهار هذا يستند إلى الرؤية التي كان ينبغي العمل في ضوءها بعد انهيار المنظومة الاشتراكية، بالأنا تكون تلك التي تصب في خانة الوقوف ضد النظام الليبرالي، بل الرؤية التي تنطلق من هدف تحسين وتفعيل حقوق الإنسان الفرد، وحقوق الإنسان الجماعية، أي حقوق الجماعات والشعوب، "فالتغيير المحتمل والممكن والمأمول هو الذي يبني من داخل النظام هذا، لا التغيير الذي يبني على أنقاضه أو بالتضاد الكلي معه، على شاكلة التجارب الاشتراكية السابقة، فهذا النمط الأخير لا يصب إلا في إطار الوهم والأيدولوجيات المضللة". (٢)

من جانبها، ترى سارة أن منع الحريات الفردية بشكل مؤقت ولسبب معن "ليس إثباتاً على وهن في النظام الليبرالي، بل على مرونته وقدرته على التكيف". وتبرر ذلك بأن لكل قاعدة استثناءات، والاستثناءات التي نشهدها اليوم في القارة الأوروبية لا تدعو إلى "إعادة النظر في منظومة سياسية فلسفية يكمن نجاحها في أنها لا تضحي بالفرد وتمنح كل إنسان الإحساس بالأمان". تتحدث سارة وتدافع عن الليبرالية الاجتماعية، فالليبرالية التي لا تعني الأنانية، "بل كانت الأساس التي قامت عليه مؤسسات التعليم والصحة المجانية أو شبه المجانية في دول أوروبا". وبالتالي هي الإطار السياسي الذي يمتلئ بمضامين مختلفة بين فترة وأخرى، وحسب تطورات المجتمع وحاجاته وخيارات العدد الأكبر من أفراد.

من جهته، يؤكد نهار أن حقوق الإنسان منظومة عالمية، وإذا قامت في البدايات على ركيزة الفرد، فإنها أيضاً طورت نفسها على مستوى الاعتراف بالحقوق الجماعية للبشر، "وما ينقصها فعلاً في الحالتين، هو الآليات الإلزامية بعيداً عن مصالح الدول، وهذا يحتاج من جانب أول إلى العمل - من داخل النظام الليبرالي وخارجه - على تطوير نظام عمل الأمم المتحدة ليخدم مصالح الشعوب عموماً، لا المتحكمين سياسياً واقتصادياً وعسكرياً في العالم". ويرى - من جانب آخر - ضرورة إعادة النظر أيضاً في مبدأ سيادة الدول، "فليس من الحكمة الإقرار مثلاً بعدم التدخل في شؤون الدول المحكومة بأنظمة استبدادية أو بأنظمة لا تكثر لصحة مواطنيها، وغيرها، بل لا بد للأمم المتحدة أن تتدخل استناداً إلى معايير حقوق الإنسان، لا إلى معايير مصالح وصراعات الدول الكبرى، وربما يكون ذلك عبر إعطاء الجمعية العامة للأمم المتحدة دوراً أكبر على حساب مجلس الأمن" (٣). كلام كثير سيقال عن

(١) عارف حمزة، الليبرالية والفردانية في زمن كورونا، مصدر سبق ذكره.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

منع الحريات الفردية من أجل مصلحة عموم البشر، في الطريق إلى إعادة التفكير في ثقافة واحدة، هي ثقافة الحفاظ على الإنسانية وكوكب الأرض.

أن تفكير كيسنجر متمركز، في الأساس، على بقاء أمريكا قوة عظمى تقود العالم، وأطروحته ترفع من أجل بقاء القيم الأمريكية متسيدة ومهيمنة على العالم، ومن ثم، فإنه عند أي أمر خطير، من شأنه أن يعيد ترتيب القوى العالمية من جديد، يخرج لكي يدق ناقوس الخطر، مدلياً برأيه، ناصحاً تارةً، ومحدراً تارةً أخرى، لأنه لا يستطيع أن يتصور عالماً آخر تقوده دولة أخرى غير أمريكا.

لا يعطي كيسنجر اللحظة، على الرغم من مأساويتها وعشيتها، أي أهمية، فتفكيره منصب «هناك» على ما تفرزه اللحظة من آثار في المستقبل، إذ أن ما يفرزه هذا الوباء من ضحايا ومصائب، لا يدخل في دائرة اهتماماته، بل قد ينظر إليه على أنه من الآثار الجانبية المفيدة، لتجديد النظام العالمي، أو هو ضرورة في التطور التاريخي للبشرية، لذلك فهو يطلب من قادة الدول التفكير في المستقبل، ولا يبقى تفكيرهم لصيق هذه اللحظة، وينبغي على قادة العالم المنخرطين بقوة في مجاهدة نفشي وباء كورونا، العمل على إطلاق «مبادرة موازية تركز اهتمامها على ضمان الانتقال إلى النظام الجديد لما بعد كورونا» (١).

وبحذر، في هذا الصدد، الدول من مغبة التعاطي مع هذه الأزمة بجهد وطني محض، بما في ذلك الولايات المتحدة، فهذا الاعتقاد حتى لو استطاع أن يحقق نتائج مثمرة في المدى القريب، فإنه قد تترتب عنه آثار وخيمة في المستقبل القريب، فمن أجل التخلص من إكراهات لحظة كورونا، «يلزم أن ترافق ذلك رؤية ومخطط مشتركين على المستوى العالمي».

للخروج من هذه الأزمة بأقل الخسائر يقترح كيسنجر على الإدارة الأمريكية الاشتغال على ثلاثة مستويات رئيسية. يتمثل المستوى الأول في ضرورة تعزيز الكفاءة العالمية للتصدي للأمراض المعدية، وذلك بالاستعانة بالتقنيات والتكنولوجيات الجديدة. أما المستوى الثاني، فيدعو من خلاله إلى ضرورة تضميد جروح الاقتصاد العالمي، الذي تعرض لضربات قوية، بسبب فيروس كورونا، نتيجة إجراءات الحجر الكلي والإغلاق العام. بينما يطالب في المستوى الأخير، وهذا هو الأهم، الولايات المتحدة بضرورة الحفاظ على مبادئ النظام الليبرالي العالمي، لأن هدف كيسنجر، في نهاية المطاف، هو تجديد النظام القديم حتى يتماشى ومتطلبات المرحلة الجديدة.

يوجه كيسنجر، في الأخير، في ما يشبه رسالة تحذير إلى زعماء العالم الأقوياء، عندما يستحضر في مقاله «الأسطورة المؤسسة للدولة الحديثة» التي كانت ثمرة «عصر الأنوار»، بحيث نقلت البشرية من حالة الطبيعة «حرب الكل ضد الكل»، بحسب تعبير توماس هوبز، إلى عالم يسوده الأمن والاستقرار والنظام. إن هذه الأزمة التي يعيشها العالم اليوم، قد تعصف بهذه المكتسبات، وتجعلها على المحك، لاسيما مفهوم الدولة والنظام العالمي، بعبارة أخرى، إن أي تغيير يمس بنية النظام العالمي في هذه اللحظة، قد يؤدي، في الأخير، إلى اشتعال العالم بالحروب والفوضى الهدامة، وعليه، كما يقول، «ينبغي للديمقراطيات العالم الدفاع والحفاظ على القيم التي ورثناها من فترة الأنوار» (٢). يبدو أن توجس كيسنجر من العودة إلى حالة الطبيعة في محله، فأحداث التاريخ تدل على أن الأوبئة لطالما ساهمت، بشكل أو بآخر، في نشوب الحروب والكوارث الاقتصادية المدمرة، كالمجاعات والصراع على الغذاء، وما يؤكد هذا الرأي أكثر هو انتهاج الدول الإغلاق العام، كإجراء وقائي، بحيث باتت دول العالم، بين عشية وضحاها، قرى منفصلة، بعد أن كانت قرية صغيرة.

لا قانون يحكمها إلا قانون الغاب، حيث الصراع على الكمادات وأجهزة التنفس الاصطناعي في عرض البحر، قد تكون هذه الرسالة موجهة، في الأساس، إلى الصين، التي تزاحم الولايات المتحدة على زعامة العالم، من ثم، فهو يريد أن يقول لها، إما الانفاق

(١) سعدون يخلف، مصدر سبق ذكره.

(٢) المصدر نفسه.

والرضا بقيادة أمريكا، وإما السقوط في وحل الفوضى والحروب المدمرة، التي من خلالها ستخسر الصين أكثر مما تريح، وستفقد كل ما بنته طيلة سنوات في لحظات معدودة. من ناحية أخرى، يدعو ثعلب الدبلوماسية الدولية الديمقراطية إلى التحالف من أجل المحافظة على القيم الموروثة من عصر الأنوار، في التأسيس لأي نظام علمي جديد، بمعنى آخر أن يكون الغرب جبهة موحدة في حالة إذا ما اندلعت حرب مع الصين.

ومن هنا يبدو أن مستقبل النموذج الليبرالي وهيمنته على العالم مرهون بثلاثة سيناريوهات أساسية تكاد تكون هي المتحكمة بمصيره . وفيما يلي أهم هذه السيناريوهات :

١ - استمرار النموذج الليبرالي الغربي بإعتباره المهيمن على العالم منذ نهاية الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي :
وتقوم فكرة هذا السيناريو أن نفهم و ندرك تمام الإدراك أن تفوق الليبرالية الرأسمالية الغربية على النموذج الاشتراكي الشرقي ليس لقوتها الفكرية و التنظيرية و إنما قدرتها على تجاوز المشاكل و تكيفها معها و تعمل على إعادة تعريفها للواقع ، فيوجد داخل الليبرالية آلية نقدية مع الاستفادة من النقد الموجه لها و تعمل على تحسين و تجاوز الإشكاليات الدولية و هذا ما سيحدث لما بعد الكورونا فإن الدول الليبرالية القوية القدرة على المناورة وإعادة تأهيل اقتصادياتها والرجوع إلى ساحة الصراع و المنافسة والقيادة . (١)

٢ - القدرة على التطور ومواكبة المتغيرات : ووفقا لهذا السيناريو فإن قدرة الليبرالية على الاستمرار تتوقف على قدرتها على تطوير نفسها نحو مرحلة أكثر تقدما تجاه ما يمكن تسميته رأسمالية الناس حيث يتم توزيع الدخل بطريقة أكثر عدالة وهو الأمر الذي يتطلب توسيع نطاق ملكية رأس المال في المجتمع بما يتجاوز القيمة الحالية التي تبلغ ١٠% في يد الأثرياء ، كما يجب على الدول إعادة توجيه ميزانيتها الى الرعاية الصحية لمواطنيها وكذلك الأبحاث الطبية واعلاء المبادئ الإنسانية فوق كل المصالح السياسية والعسكرية .

(١) قميتي بدر الدين ، كورونا جلد أفعى جديد لنظام دولي قديم ، المركز الديمقراطي العربي:

<https://democraticac.de/?p=66155>

(٢) إسرائ أحمد إسماعيل، مخاوف "البلوتوقراطية" مستقبل الرأسمالية العالمية بين النموذجين الأمريكي والصيني مركز المستقبل، مرجع سبق ذكره .

٤- سقوط الليبرالية : والتحول إلى نظام غير ليبرالي يقوم على أساس الدول القومية السيادية القوية والمنفصلة التي لكل واحدة منها هوية مميزة وفي النظام غير الليبرالي ستحترم كل دولة هوية وسيادة جيرانها وبالتالي قد تعيش بسلام بل وتتاجر الواحدة مع الأخرى ولكن هذا النظام يتنكر لفكرة حقوق الفرد والمواطن الكونية التي تتجاوز الحدود والثقافات ويفضل الدول القومية على المؤسسات الدولية

يبدو أنه لم تعد هناك حاجة للهيمنة في كل أشكالها وتلوناتها، إن البشرية ليست بحاجة إلى الكونية الأيديولوجية (العولمة) التي تُسَيِّد العقل الأداة (المصلحة)، من أجل فرض هيمنة على جميع الأصعدة القانونية، واقتصادية، وثقافية، وسياسية، وأخلاقية؛ وتقدم نفسها كمنظومة قيم متعالية تنبئ بأزمة تواصل وتبشر بالصدام، مما يقحم العالم ضمن معادلة حضارية: «بقدر ما تشتد أساليب الهيمنة بقدر ما تشتد مقاومة الخصوصيات ومبررات انغلاقها»، وهذا ما يرر حتمية الصدام بين الأصوليات كما بشر به «صامويل

هاننتغتن». إن الكونية الأيديولوجية (الكومونوليتانية) تبحث عن التناقضات بدل البحث عن التجانس، أي بالبحث عن أوجه الاختلاف وما يفرق بين الثقافات، بدل البحث عن أوجه الالتقاء والبحث في إمكانية التواصل والتعارف. ولكن الرأي الأكثر منطقية بما سيؤول اليه النظام العالمي بعد طوفان كورونا أن النظام الليبرالي سوف يعيد ترتيبه من الداخل ويقضي على كل التناقضات التي تحتاحه ويعيد توازنه وستبقى القيادة العالمية بيد الولايات المتحدة الأمريكية على الرغم مما سببه وباء كورونا من ارباك في الداخل الأمريكي، لأن العالم لا يمكن أن يسلم القيادة العالمية بيد الصين وداعميها مثل روسيا لأن سبب انتشار الفايروس هو الصين سواء كان الفايروس طبيعي او مصنع في أحد المختبرات الصينية فأن سبب أنتشاره هو التهاون الصيني في احتواء الفايروس سواء هذا التهاون متعمدا أم لا، والتعمد في اخفاء المعلومات حول ظهور الفايروس هذا سبب، والسبب الاخر ان هذه الأنظمة شوفينية لاتسعى الى تحقيق السلم العالمي ولا ترقى لقيادة العالم .

الخاتمة

لا نستطيع الجزم بطبيعة النظام العالمي الجديد بعد انتهاء جائحة كورونا حيث لا يزال مصير الحرب مع الوباء ومصير العالم نتيجته غير واضحة وتتوقف على المدى الزمني الخاص بانتشار الوباء والتعامل معه ولكن ما نستطيع قوله ان الأفكار الليبرالية لها فضائل سياسية واجتماعية ساعدت في اكتسابها سمعة ايجابية على مدى عقود ولكن السياقات التي عايشتها الدول الغربية خلال السنوات الأخيرة انطوت على ضغوط حادة على الليبرالية وأثيرت الكثير من الشكوك حيال قدرتها على الاستمرار فقد ظهرت فجوات هائلة داخل المجتمعات الغربية في ظل بزوغ مجموعة من النخب لا تهتم سوى بمصالحها الضيقة على حساب مساحات واسعة من المجتمع فضلا عن ظاهرة الشعبوية واليمين والتخبط داخل أروقة الاتحاد الأوروبي وصعود قوى دولية غير ليبرالية مثل الصين وروسيا كلها معطيات تعقد من مستقبل الليبرالية وان كان البعض يراهن على قدرتها على التصحيح الذاتي وتجربتها التاريخية في معالجة أخطائها .

الاستنتاجات:

- ١- إن هذه الأزمة ستشهد تحولاً جيو - سياسياً عميقاً، سيعيدنا إلى أطروحة سينغلر «Oswald Spengler» المباشرة بأزمة المركزية الأوروبية وأقول الحضارة الغربية، ليس كقوة تَهْدِيدِيَّة عسكرية أو اقتصادياً، بل كصورة تسويقية للقيم الإنسانية، قيم الحدائة، والديمقراطية، وحقوق الإنسان.
- ٢- لقد عرّت الأزمة عورة هذه الأيديولوجية، وأبانت عن حقيقتها التي عبّر عنها «باسكال بروكتر» ببؤس الرفاهية وديانة السوق، التي قد تحدد معنى الإنسانية والإنسان فيما قد يصلح كقوة احتياطية، ولا تتوانى عن التضحية بالكائنات غير المنتجة.
- ٣- أن ما أنتضح من أزمة كورونا هو أفعال الإنسانية على حد تعبير «كوت بينتوس»، وهم القيم الكونية، وتحطّم تمثال الحرية. أن تصبح الإنسانية مختزلة في صورة مناعة القطيع، كما عبّرت عنها المستشارة الألمانية، وأن تتم التضحية بالشيوخ والعجزة كقربان لسياسات الموازنات العامة والحوكمة. كل هذا يعيدنا إلى تفاهة الشر الذي وصفت به «حنا أرندت» (Hannah Arendt) محاكمات النازية، فهذا الشر الذي أبانت عنه الأيديولوجية النيوليبرالية أكثر فتكاً؛ لأنه لا يستهدف مجرد البشر، إنه شر ضد كل شيء ومن أجل لا شيء، إنه شر مطلق، متعيّن في نمط الإنسانية المأزومة. إ
- ٤- العالم بحاجة إلى أن تتعافي البشرية والطبيعة من هذا الشر، بمناعة من كل العقائد الفاسدة، وكل الأيديولوجيات الشمولية مهما ادعت من براءة وإنسانية. إن الدعوة إلى استبدال قيادة العالم من الهيمنة الغربية إلى الهيمنة الصينية، هو استبدال شر معلوم بشر مجهول ليس إلا. لسنا بحاجة إلى هيمنة أي قوة، ما نحن بحاجة إليه كشعوب، هو بناء كونية إيتيقية «Éthique»، بدل الكونية الأيديولوجية التي أعلنت نهاية التاريخ بانتصار الليبرالية

قائمة المصادر:

المصادر العربية

١-الكتب

(١) د. محمد دوير - (ماركس ضد نيتشه.. الطريق إلى ما بعد الحداثة) - روافد للنشر والتوزيع - القاهرة ٢٠٢٠.

ب- المواقع الاخبارية

(١) آلان وودز - (فوكو ياما يُعيد النظر في أفكاره: "الاشتراكية يجب أن تعود") - موقع ماركسي - ٢٤ تشرين أول/أكتوبر ٢٠١٨.

(٢) مجدي عبدالهادي - (أبقار الرأسمالية المقدسة.. هكذا سيغير "كوفيد-١٩" نظرتنا للاقتصاد العالمي) - موقع (الجزيرة نت) - إصدار (الميدان) - نيسان/أبريل ٢٠٢٠.

ج- الصحف

(١) جان دومينيك ميشال - ("كوفيد-١٩" .. هل هي نهاية اللعبة؟) - صحيفة (الأخبار) اللبنانية - الخميس ٩ نيسان/أبريل ٢٠٢٠

(٢) إبراهيم نوار - (لمن ستكون الغلبة في الصراع على النفوذ في العالم بعد وباء كورونا؟) - صحيفة (القدس العربي) - ٣١ آذار/مارس ٢٠٢٠.

د-القنوات الاخبارية

(١) "مشعل يسار" ترجمة بعنوان: (لا حاجة للأقنعة ولا للقفاضات ولا للإنحباس في المنزل، ولن يكون هناك لقاح)، وهي ترجمة لحوار متلفز أجري مع البروفسور الإيطالي، "ستيفانو مونتانايري"، مع قناة (byoblu24)، يوم ٢ نيسان/أبريل ٢٠٢٠.
(٢) مقابلة أجرتها قناة (روسيا اليوم) "RT"؛ ضمن برنامج "رحلة في الذاكرة"، مع البروفسور، "فالنتين كاتاسونوف" - نيسان/أبريل ٢٠٢٠.

المواقع الإلكترونية

(١) إسرائ أحمد إسماعيل، مخاوف "البلوتوقراطية" مستقبل الرأسمالية العالمية بين النموذجين الأمريكي والصيني مركز المستقبل: <https://futureuae.com/ar>(٢) د. بول سالم: التحولات الجيوسياسية المحتملة في منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا ما بعد كورونا، مركز الدراسات الاستراتيجية، جامعة كربلاء، مايو، ٢٠٢٠. البريد الإلكتروني: <http://kerbalacss.uokerbala.edu.iq>(٣) حسن فاضل ، النظام المريض: أزمة النظام العالمي في ظل جائحة كورونا ، مركز أوراسيا للدراسات السياسية: <https://katehon.com/ar>(٤) د. روبرت ساتلوف: التحولات الجيوسياسية المحتملة في منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا ما بعد كورونا، مركز الدراسات الاستراتيجية، جامعة كربلاء، مايو، ٢٠٢٠. البريد الإلكتروني: <http://kerbalacss.uokerbala.edu.iq>(٥) سعدون يخلف، كيسنجر والوباء: كورونا سيغير العالم الى الأبد، صحيفة القدس العربي ،الأربعاء ٢٤ يونيو، ٢٠٢٠: البريد الإلكتروني <https://www.alquds.ro.uk/category>

(٦) عارف حمزة ، الليبرالية والفردانية في زمن كورونا، الجزيرة، ٢٣/٣/٢٠٢٠

<https://www.aljazeera.net/news/cultureandart>

(٧) د. عبد الرحمن الخزرجي: المتغيرات العالمية الجديدة بعد جائحة كورونا، ٢٥، أبريل، ٢٠٢٠

البريد الإلكتروني: <https://albasbernewspaper.com>

(٨) عنتر عبد العال ابوقرين، عالم ما بعد كورونا: رؤية استشرافية، جريدة الشروق، ١٣ يونيو ٢٠٢٠، الموقع

الإلكتروني: <http://shorouknews.com>

(٩) قميتي بدر الدين، كورونا جلد أفعى جديد لنظام دولي قديم، المركز الديمقراطي العربي:

<https://democraticac.de/?p=66155>

(١٠) محمد الشرقاوي، "التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتأكل النيوليبرالية (الجزء ٢)"، مركز الجزيرة للدراسات،

<https://bit.ly/3bVbez0>، في: ٢٠٢٠/٣/٣٠، ص ٨، شوهد في ٢٠٢٠/٤/٥، في: <https://bit.ly/3bVbez0>

(١١) محمد عبد الله يونس، "كيف ترسم المفاهيم المتداولة ملامح عالم ما بعد كورونا؟"، دراسات خاصة (مركز المستقبل للدراسات

المتقدمة - أبوظبي)، العدد ٢ (آذار/ مارس ٢٠٢٠)، ص ٩، شوهد في ٢٠٢٠/٤/٥، في: <https://bit.ly/2ReQgU1>

(١٢) بلاكمات وأجهزة تنفس.. كورونا تضع الدول الغربية وجها لوجه"، الجزيرة نت، ٢٠٢٠/٤/٤، شوهد في ٢٠٢٠/٤/٥،

في: <https://bit.ly/2UKagjr>

(١٣) (عن الأوبئة والرأسمالية الفائقة وصراعات المستقبل.. حوار مع مايك ديفيس) - (مدى مصر) - شريف عبدالقدوس -

ترجمة نصر عبدالرحمن - ٣ نيسان/أبريل ٢٠٢٠.

(١٤) "فيروس كورونا: اتهامات بشن حملات تشويه بين واشنطن وبكين وترامب يدافع عن عبارة 'الفيروس الصيني'"، فرانس ٢٤،

٢٠٢٠/٣/١٧، شوهد في ٢٠٢٠/٤/٥، في: <https://bit.ly/2V33p3F>

(١٥) هل هرب فيروس كورونا القاتل من مختبر بيولوجي صيني؟"، الجزيرة نت، ٢٠٢٠/١/٢٥، شوهد في ٢٠٢٠/٤/٥، في:

<https://bit.ly/2x3JlpS>

(١٦) "وباء فيروس كورونا المستجد: نماذج من استجابات الدول للوباء وتداعياته على الاقتصاد العالمي"، المركز العربي للأبحاث

ودراسة السياسات، تقارير، العدد ٢ (نيسان/ أبريل ٢٠٢٠)، ص ٣٤، شوهد في ٢٠٢٠/٤/٥، في:

<https://bit.ly/3e68eSC>

(١٧) (عن الأوبئة والرأسمالية الفائقة وصراعات المستقبل.. حوار مع مايك ديفيس) - (مدى مصر) - شريف عبدالقدوس -

ترجمة نصر عبدالرحمن - ٣ نيسان/أبريل ٢٠٢٠.

المصادر الأجنبية

١-الصحف

(1) Jeffrey D. Sachs, "Will America Create a Cold War With China?", Horizons, Journal of International Relations and Sustainable Development, No.13, Winter 2019, p. 28-39/

(2) Philip Mirowski, Dieter Plehwe, The road from Mont Pèlerin: the making of the neoliberal thought collective, Harvard University Press, 2009 .

ب-المواقع الإلكترونية

- (1) Ann Scott Tyson and Sara Miller Liana, "Containing coronavirus: Where democracy struggles – and thrives", The Christian Science Monitor, March 2, 2020 <https://www.csmonitor.com/World/2020/0302/Containing-coronavirus-Where-...>
- (2) Anthea Roberts and Nicolas Lamp, "Is the Virus Killing Globalization? There's No One Answer", Barron's, March 15, 2020 <https://www.barrons.com/articles/is-the-virus-killing-globalization-the-...>
- (3) Ben White, "How ugly could it get? Trump faces echoes of 1929 in coronavirus crisis", POLITICO, March 16, 2020 <https://www.politico.com/news/2020/03/16/trump-faces-1929-save-economy-...;->
- (4) Branko Milanovic, "The Real Pandemic Danger Is Social Collapse: As the Global(1) Economy Comes Apart, Societies May, Too," Foreign Affairs, 19/3/2020, accessed on 5/4/2020, at: <https://fam.ag/39KCwHd>
- (5) Bjarke Skærlund Risager, "Neoliberalism Is a Political Project: An Interview with David Harvey", Jacobin, <https://www.jacobinmag.com/2016/07/david-harvey-neoliberalism-capitalis>
- (6) Branko Milanovic, "The Real Pandemic Danger Is Social Collapse: As the Global(1) Economy Comes Apart, Societies May, Too," Foreign Affairs, 19/3/2020, accessed on 5/4/2020, at: <https://fam.ag/39KCwHd>
- (7) Charles Peters, "A Neo-Liberal's Manifesto", The Washington Post, September 5, 1982 <https://www.washingtonpost.com/archive/opinions/1982/09/05/a-neo-libera>
- (8) Elizabeth Braw, "The EU Is Abandoning Italy in Its Hour of Need", Foreign Policy, March 14, 2020 <https://foreignpolicy.com/2020/03/14/coronavirus-eu-abandoning-italy-china-aid/>
- (9) Ishaan Tharoor, "How epidemics have changed the world," The Washington Post, March 8, 2020 <https://www.washingtonpost.com/world/2020/03/06/how-epidemics-have-chan...>
- (10) John Detrixhe, "Nobel prize winning economist Robert Shiller says this economic disruption is different", Quartz, March 13, 2020 <https://qz.com/1818061/robert-shiller-says-the-coronavirus-disruptio>
- (11) Kimberly Amadeo, "Why Trickle-Down Economics Works in Theory But Not in Fact", The Balance, October 27, 2019 <https://www.thebalance.com/trickle-down-economics-theory-effect-does-it-...;>
- (12) Laura Spinney, "Coronavirus and the Geopolitics of Disease", The Statesman, February 19, 2020 <https://www.newstatesman.com/politics/health/2020/02/coronavirus-and-ge>
- (13) Lionel Laurent, "Salvini and Le Pen Don't Have a Coronavirus Cure, Bloomberg, February 25, 2020, <https://www.bloomberg.com/opinion/articles/2020-02-25/salvini-and-le-pe>
- (14) Milton Friedman "Neo-Liberalism and its Prospects", Farmand, 17 February 1951, pp. 89-93
<https://inomics.com/insight/a-critique-of-neoliberalism>
- (15) Nicolas LePan, "A visual history of pandemics", World Economic Forum March 15, 2020 <https://www.weforum.org/agenda/2020/03/a-visual-history-of-pandemics>
- (16) Patrick M. Cronin, Michael Doran & Peter Rough, "Geopolitical Implications of the Coronavirus", March 13, 2020 <https://www.hudson.org/research/15816-geopolitical-implications-of-the>
- (17) Rob Urie, "The Neoliberal Plague", March 6, 2020 Counterpunch, <https://www.counterpunch.org/2020/03/06/the-neoliberal-plague>
- (18) Robert Reich: "Coronavirus won't respond to trickle-down economics", Salon, March 11, 2020 <https://www.salon.com/2020/03/11/robert-reich-coronavirus-wont-respond>
- (19) Thomas Wright & Kurt M. Campbell, "The Coronavirus Is Exposing the Limits of Populism", The Atlantic, March 4, 2020 <https://www.theatlantic.com/ideas/archive/2020/03/geopolitics-coronavir>
- (20) William Pearse, "A Critique of Neoliberalism", ENOMICS, April 9, 2019, <https://inomics.com/insight/a-critique-of-neoliberalism-1379580>

(21) WHO, "ICC-WHO Joint Statement: An unprecedented private sector call to action to tackle COVID-19", March 16, 2020 <https://www.who.int/news-room/detail/16-03-2020-icc-who-joint-statement...>

(22) William Pearse, "A Critique of Neoliberalism", ENOMICS, April 9, 2019 <https://inomics.com/insight/a-critique-of-neoliberalism-1379580>

(23) Yanzhong Huang, "U.S.-Chinese Distrust is Inviting Dangerous Coronavirus Conspiracy Theories," Foreign Affairs, 5/3/2020, accessed on 5/4/2020, at: <https://fam.ag/2UHd9lg>

(24) Yanzhong Huang, "The U.S. and China Could Cooperate to Defeat the Pandemic, Instead, Their Antagonism Makes Matters Worse," Foreign Affairs, 24/3/2020, accessed on 5/4/2020, at: <https://fam.ag/3dW5siM>

(25) Zack Beauchamp, "The deep ideological roots of Trump's botched coronavirus response", VOX, Mar 17, 2020 <https://www.vox.com/policy-and-politics/2020/3/17/21176737/coronavirus>

شرعية الجزاءات الإدارية الجنائية المترتبة على مخالفة الحظر الصحي الوقائي في ظل وباء Covid – 19

أ.م. د. مازن خلف ناصر

الجامعة المستنصرية – كلية القانون

Dr.mazin.khalaf@gmail.com

الملخص

إن التدابير الوقائية التي تتخذها العضو الإداري بشأن الحظر الصحي الوقائي من وباء كورونا تضمن الوقاية والحماية للمجتمع والأفراد، إذ أن حق المجتمع له أولوية قصوى لا يتهاون القانون بشأنها، وعليه فإن مخالفة الحظر الصحي الوقائي وما اقترفه البعض من عدم الالتزام به أو التهاون في تطبيقه يعد مخالفة لما تصدره العضو الإداري من لوائح تعد الوسيلة الأساسية لقيامها بمباشرة نشاطها الإداري، وتمثل في ذات الوقت مصدرا لقواعد القانون في مختلف المجالات، ومن ثم فإن التجاوز عليها يقتضي فرض الجزاءات الإدارية الجنائية بحق من يخالفها سواء كان متعمدا أم نتيجة خطأ، وهذا يتطلب ونحن في هذا الطرف الوبائي الكبير أن تكون لدى الجهات المنفذة لتلك اللوائح أو القرارات سلطة فرض الجزاءات المذكورة، وإلا فلن يكون لإجراءاتها أي تأثير رادع ما لم تكن متمتعة بمثل هكذا سلطة، لذلك لجأت العديد من الدول في ظل أزمة وباء كورونا الى اعلان حالة الطوارئ وتحويل العضو الإداري فرض عقوبات عاجلة، دونما حاجة لتوقيعها من القضاء، وذلك لكي تتمكن من مواجهة بعض المشاكل والأزمات التي تحتاج الى حلول سريعة وحاسمة والتي لا تناسبها تلك الإجراءات الطويلة والمتبعة عادة عند سن القوانين.

الكلمات المفتاحية: الجزاء ، كوفيد ، المخالفة ، العضو الإداري ، التنفيذ

Abstract

The preventive measures taken by the administration regarding the preventive health prohibition from the Corona epidemic guarantee prevention and protection for society and individuals, as the community's right has the highest priority and they do not neglect the law in this regard. The regulations issued by the administration are considered the primary means of carrying out its administrative activity, and at the same time they are a source of the rules of law in various fields, and thus overcoming them requires the imposition of administrative criminal penalties against those who violate them, whether deliberate or as a result of a mistake, and this requires a grant In this great epidemiological circumstance, the authorities implementing those regulations or decisions have the power to impose the aforementioned sanctions, otherwise their actions will not have any deterrent effect unless they have such authority, so many countries in the shadow of the Corona pandemic crisis resorted to declaring a state of emergency and authorizing the administration to impose Urgent sanctions, without the need to sign them from the judiciary, in order to be able to face some problems and crises that need quick and decisive solutions that are not appropriate for those long and usually followed procedures when enacting laws.

المقدمة Keywords: Penalty, Covid, Violation, Administrative member, Execution.

إن التدابير الوقائية التي يتخذها العضو الإداري في مواجهة الأزمة الحالية تصب في مصلحة الجميع، ومن ثم فإن خروج المخالطين عن القواعد والتعليمات التي أقرتها الدولة يعد خرقاً للقانون، وعليه فإن استهتار المصابين بوباء - COVID 19 ومخالطتهم لآخرين سيؤدي إلى إلحاق الضرر بشرية كبيرة من الأفراد.

لذلك فإن من الضروري التوعية والتوجيه للأفراد باتباع الإجراءات الصحية اللازمة التي تضمن السلامة للجميع، مع مقابلة ذلك بتشديد العقوبة على المخالفين لإجراءات العضو الإداري، وأن الصرامة في تطبيق القانون سيعمل على ضمان الصحة للجميع.

عليه فإن الجميع من مؤسسات وأفراد مسؤولون عن تطبيق القانون، وهذه المسؤولية مجتمعية ولا تقتصر على الدولة فحسب، وحسن فعلت الجهات الصحية واعضاء الضبط القضائي في العراق بشأن ضبط عدد من المخالفين للتدابير الوقائية، وذلك ضماناً للسيطرة على الوضع وحتى لا تتعرض الأمور للأسوأ كما حدث في دول عديدة كإيران وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية وتركيا وغيرها.

أولاً- أهمية البحث

إن للتدابير الوقائية التي اعتمدها الدول في مقاومة التأثيرات السلبية لوباء كورونا أهمية كبيرة في التقليل من نسب الإصابة بوباء كورونا في العراق تحديداً، ولكنها لم تقضي بشكل نهائي على الوباء، ولكي لا تبقى هذه التدابير مجرد توصيات وإعامات بحتة، ينبغي أن يتم تقرير جزاءات إدارية جنائية على الأعمال المخالفة للوائح والأنظمة والتعليمات، إذ لازال التهاون والاستهتار بشأن الوقاية من هذا الوباء كبيرين مما عرض حياة الآخرين للخطر، فلم تُجدي حملات التنبيه والحث للأفراد باتباع الإرشادات الصحية والمجتمعية والإبلاغ الفوري عن المخالفين أو كل من يختلط بغيره من الأصحاء حماية للمجتمع ووقاية لهم. ولأجل ذلك فرضت الغرامات المالية على كل من يتهاون في حقوق المجتمع وينشر عمداً أو إهمالاً المرض أو الوباء، ذلك لأنه يتسبب في الضرر لأكبر قدر من الأشخاص، ومن ثم يعرض الجهود الوطنية للإخفاق.

لذلك فإن من حق العضو الإداري فرض جزاءات إدارية جنائية بحق المخالفين لإجراءات الحظر الصحي الوقائي على المصابين وغيرهم بوباء كورونا، والحكمة أو العلة من هذه الجزاءات تكمن في حماية الصحة العامة، وإنزال العقاب المقرر على كل من يرتكب الجرائم المتعلقة بالصحة العامة أو التسبب خطأ في نشر مرض معد أو وباء، ذلك لأن حماية المجتمع هدف أسعى إليه الدساتير والقوانين كافة، لأجل ذلك لجأت العديد من الدول إلى فرض حظر التجوال لتلزم الأشخاص بالبقاء في منازلهم بقوة القانون واعطاء الحق للإدارة باتخاذ إجراءات عقابية بحق المخالفين.

ثانياً- اشكالية البحث

تكمن اشكالية البحث أساساً في عدم وجود رؤية قانونية محددة لتنظيم أحكام الجزاءات الإدارية الجنائية المترتبة على انتهاك الحظر الصحي الوقائي وعدم معرفة طبيعتها ونطاقها والآثار المترتبة عليها، لما تتمتع به هذه الجزاءات من ذاتية تجعلها مستقلة عن مثلتها في قانون العقوبات وتخويل العضو الإداري في تجريم ما يراه من أفعال تخالف اللوائح والأنظمة والتعليمات وفرض الجزاءات الإدارية الجنائية عنها، وتطرح الدراسة العديد من التساؤلات منها:

أ- إذا كانت الغاية من وجود الجزاءات الإدارية الجنائية هي الحد من التجريم والعقاب واعتماد معايير حديثة لذلك، فما مدى شرعيتها ودستوريتها في ظل وباء **COVID - 19**، وهل يمكن اعتبار هذه الأزمة ظرفاً استثنائياً يحتم على الحكومة العراقية إعلان حالة الطوارئ؟

ب- هل وردت المخالفات التي تعد انتهاكاً للحظر الصحي الوقائي في ظل وباء **COVID - 19** على سبيل الحصر؟

ج- من هي الجهة المختصة في العراق بفرض الجزاءات الإدارية الجنائية على المخالفين لإجراءات الحظر الصحي الوقائي؟

د- من هي الجهة المختصة في العراق بمراقبة مشروعية فرض الجزاءات الإدارية الجنائية على المخالفين لإجراءات الحظر الصحي الوقائي؟

هـ- هل يمكن الطعن بالجزاءات الإدارية الجنائية المفروضة على منتهكي الحظر الصحي الوقائي وأمام أي جهة يمكن القيام بذلك؟

ثالثاً- نطاق البحث

يتحدد نطاق البحث في موضوع الجزاءات الإدارية الجنائية المترتبة على انتهاك الحظر الصحي الوقائي في ظل وباء **COVID - 19**، ومن ثم يستبعد من نطاق البحث ما عداها من جزاءات يفرضها العضو الإداري في مجالات أخرى سيما الجزاءات المفروضة على الموظفين العموميين والجزاءات التعاقدية على المتعاقدين مع العضو الإداري، ومعيار تحديد النطاق المذكور يتمثل في نوع المخالفات الموجبة لتوقيع هذه الجزاءات وليست بصفة مرتكبيها.

رابعاً- منهجية البحث

يقتضي البحث في موضوع الجزاءات الإدارية الجنائية المترتبة على انتهاك الحظر الصحي الوقائي في ظل وباء **COVID 19** - اعتماد المنهج الوصفي والمقارن للنصوص التي نظمت المسائل المتعلقة بهذا النوع من الجزاءات في كل من الإمارات والعراق ومصر وروسيا الاتحادية في مواضع معينة بحسب ما يتطلبه موضوع الدراسة، لما في المنهج الوصفي والمقارن من تمهيد لتحليل النصوص القانونية وترجيح الأفضل من بينها بما يخدم موضوع البحث واستخلاص النتائج للوصول إلى الحلول المناسبة بصدده الموضوع.

خامساً- هيكلية البحث

لقد اقتضى موضوع البحث تنظيمه وفق خطة تتكون من مبحثين، يسبقها مقدمة وتنتهي بالخاتمة، فخصصنا المبحث الأول والثاني لبحث الجزاءات الإدارية الجنائية من حيث الموضوع والجزاء المترتبة على مخالفة الحظر الصحي الوقائي في ظل وباء **COVID - 19**.

أما الخاتمة فقد تضمنت أهم ما تم التوصل إليه من الاستنتاجات والمقترحات من خلال هذا البحث المتواضع.

المبحث الأول- الجزاءات الإدارية الجنائية لمخالف الحظر الصحي الوقائي من حيث الموضوع

المطلب الأول- التعريف بالجزاءات الإدارية الجنائية

الفرع الأول- معنى الجزاءات الإدارية الجنائية

أولاً- التعريف الاصطلاحي للجزاءات الإدارية الجنائية

ثانياً- خصائص الجزاءات الإدارية الجنائية

الفرع الثاني- مبررات الأخذ بالجزاءات الإدارية الجنائية

أولاً- الحد من العقاب

ثانياً- الحد من التجريم

ثالثاً- التحول عن الإجراءات الجنائية

المطلب الثاني- أساس شرعية الجزاءات الإدارية الجنائية لمخالفة الحظر الصحي الوقائي

الفرع الأول- الأساس الدستوري والقانوني لشرعية الجزاءات الجنائية الإدارية

الفرع الثاني- المخالفات للحظر الصحي الوقائي في ظل وباء **COVID - 19**

المبحث الثاني- الجزاءات الإدارية الجنائية لمخالفة الحظر الصحي الوقائي من حيث الإجراءات

المطلب الأول- ضبط المخالفات وتوقيع الجزاءات الجنائية الإدارية

الفرع الأول- ضبط المخالفات لتدابير الحظر الصحي الوقائي

الفرع الثاني- توقيع الجزاءات الجنائية الإدارية

المطلب الثاني- الرقابة على شرعية فرض الجزاءات الإدارية الجنائية

الفرع الأول- الطعن بشرعية فرض الجزاءات الإدارية الجنائية

الفرع الثاني- صلاحية الجهة المختصة بنظر الطعن في شرعية فرض الجزاءات الإدارية الجنائية

المبحث الأول

الجزاءات الإدارية الجنائية لمخالفة الحظر الصحي الوقائي من حيث الموضوع

لا شك بأن من الأهداف المشروعة والسائغة لعمل اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية في ظل وباء **COVID - 19** هي المحافظة على الصحة العامة وحمايتها التي تعد المصلحة المعتبرة محل الحماية الجنائية، وذلك باتخاذ ما يلزم من إجراءات لمكافحة هذا الوباء والحيلولة دون انتشاره وهو التزام على الدولة لا يقتصر أثره على إقليمها فحسب، إذ أنه ذو طبيعة عابرة للحدود، وللحيلولة دون مخالفة هذه الإجراءات تفرض جملة من الجزاءات ذات الطابع الإداري الجنائي العام، توقع على كل من يخالف الأنظمة والتعليمات الصحية المفروضة في ظل انتشار وباء **COVID - 19** دون تطلب توافر رابطة خاصة بينه وبين العضو الإداري، لمواجهة ظرف استثنائي بالغ الأهمية، ولأجل ذلك سوف نبين التعريف بالجزاءات الإدارية الجنائية وأساس مشروعيتها في مطلبين مستقلين وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول

التعريف بالجزاءات الجنائية الإدارية

إن رد الجزاءات الإدارية الجنائية إلى نظام قانوني محدد يتطلب الوقوف على مفهومها القانوني باعتبارها جزاءات تحمل الصفة الجنائية من جهة والصفة الإدارية من جهة أخرى، الأمر يستلزم بيان المعنى الاصطلاحي لهذه الجزاءات وخصائصها في فرع، ومن ثم تحديد الجهة التي تتولى فرضها والرقابة على مشروعيتها فرضها في فرع آخر وذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول

معنى الجزاءات الجنائية الإدارية

للعضو الإداري الحق في إصدار جزاءات ذات طابع جنائي إداري من خلال قرارات إدارية فردية دون حاجة للجوء للقضاء، ولا تعد هذه الجزاءات تعدياً أو انتهاكاً على عمل السلطة القضائية، حيث يبقى لها الحق في الرقابة على الجزاءات الإدارية الجنائية وتقرير مشروعيتها^(١)، لذلك سوف نبين المعنى الاصطلاحي للجزاءات الجنائية الإدارية وخصائصها وعلى النحو الآتي:

أولاً- المعنى الاصطلاحي للجزاءات الجنائية الإدارية

ليس هناك تعريف واضح في التشريع والقضاء للجزاءات الجنائية الإدارية، ومع ذلك وضع لنا الفقه تعريفات متعددة، إذ تتمثل بالجزاءات التي تختص بتقريرها سلطة إدارية من خلال إجراءات إدارية محددة قانوناً بهدف ردع بعض الأفعال المخالفة للأنظمة والتعليمات المعمول بها^(٢)، إذ يرى البعض من الفقه بأن الجزاء الإداري الجنائي هو الجزاء الذي يوقعه العضو الإداري على الأفراد دون تدخل القضاء بهدف حماية النظام العام^(٣)، وذهب رأي آخر إلى أن الجزاءات الإدارية الجنائية هي الجزاءات ذات الخاصية العقابية الذي توقعه سلطات إدارية مستقلة أو غير مستقلة بصدد ممارستها لسلطتها تجاه الأفراد بغض النظر عن هويتهم الوظيفية وذلك كطريق أصلي لردع المخالفين عن خرق القوانين واللوائح^(٤).

وفي رأي آخر هي ما تملكه السلطة الإدارية من توقيع عقوبات على من يأتهم بالسكينة العامة جزاء لمخالفة نص من نصوص القوانين واللوائح الضبطية التي تهدف إلى حماية النظام العام البيئي^(٥).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الجزاءات الإدارية الجنائية لا تنطوي على دور وقائي فحسب، بل هي ذو طبيعة زجرية على مخالفة التزام بعمل أو الامتناع عنه أيضاً مع إعطاء الفرد جميع الضمانات القانونية التي يوفرها القانون.

وعليه فإن العضو الإداري يملك سلطة توقيع جزاءات ذات طابع إداري جنائي على جمهور المواطنين، الأمر الذي يتماثل فيه القانون الإداري الجنائي مع القانون الجنائي التقليدي، على ألا تشمل الجزاءات الإدارية الجنائية العقوبات السالبة للحرية.

مما تقدم يمكننا تعريف الجزاءات الإدارية الجنائية بأنها الجزاءات ذات الطابع الإداري التي توقعها العضو الإداري بمناسبة اقتراف سلوك رفع عنه صفة التجريم الجنائي وأخضع لنظام قانوني آخر كالقانون الإداري بإجراءات إدارية وتحت سلطة رقابة القضاء الإداري.

ثانياً- خصائص الجزاءات الجنائية الإدارية

(١) د. محمد باهي أبو يونس، الرقابة القضائية على شرعية الجزاءات الإدارية العامة، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٠، ص ٢٥، د. خليفة سالم الجهمي، الرقابة القضائية على التناسب بين العقوبة و الجريمة في مجال التأديب، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٩، ص ٩٥-٩٦.

(٢) د. أمين مصطفى محمد، النظرية العامة لقانون العقوبات الإداري - ظاهرة الحد من العقاب، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص ٢٢٥.

(٣) د. محمد سعد فودة، النظرية العامة للعقوبات الإدارية دراسة فقهية قضائية مقارنة، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠١٠، ص ١٣، د. غنام محمد غنام، القانون الإداري الجنائي، دار الفكر والقانون للنشر والتوزيع، المنصورة، ٢٠١٩، ص ٢٩٥.

(٤) د. عبد العليم عبد المجيد مشرف، دور سلطات الضبط الإداري في تحقيق النظام العام وأثره على الحريات العامة - دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٧٩.

(٥) د. داوود الباز، حماية السكينة العامة معالجة لمشكلة العصر في فرنسا ومصر الضوضاء، دراسة تأصيلية مقارنة في القانون الإداري البيئي والشريعة الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٣٣.

تتسم الجزاءات الإدارية الجنائية بشكل عام بخصائص تميزها وتضفي عليها طابع خاص مزيج بين الجنائي والإداري ومن أهمها^(١):

- أ- إنها جزاءات ليست بدنية ولا مقيدة للحرية وإنما تكون في الغالب عقوبات مالية أو وقائية.
- ب- إنها تخضع لمبدأ الشرعية الجزائية بشكل مباشر أو بناء على تفويض تشريعي للسلطة التنفيذية.
- ج- إنها جزاءات خصصت لسلوكيات مجرمة تقع على مصالح لا تخذل الضمير العام و مصالح حديثة اقتضتها تطورات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية و السياسية ونعني بها مصالح هامة، إلا إنها غير جوهرية أساسية ولا تقوض كيان المجتمع الأساسية.
- د- إنها جزاءات تفرض من العضو الإداري وبرقابة القضاء.
- هـ- إنها تنظم إما بقانون خاص بها، يخضع الجرائم الجنائية المندرجة بعنوان المخالفات كما هو الحال في ألمانيا أو يتاح للإدارة أن تمارس هذا النشاط الجزائي، ولكن بدون وجود نظام قانوني خاص بالمخالفات على غرار فرنسا و مصر والعراق وغيرها.
- و- إنها جزاءات ردعية وعامة، أي بمعنى إنها رادعة لكل سلوك إيجابي أو سلبي يمس بمصلحة معينة سواء مست العضو الإداري نفسه أو كان العضو الإداري مسؤولاً عن تنظيمها، وهي جزاءات عامة تطل كل شرائح المجتمع سواء أكانوا موظفون أو أشخاص عاديون ولا يشترط أن توجد علاقة قانونية أو تعاقدية بين مقترف الجريمة و العضو الإداري .

الفرع الثاني

مبررات الأخذ بالجزاءات الإدارية الجنائية

إن المخالفات التي توقع عليها الجزاءات الإدارية الجنائية هي جرائم تنظيمية تقع على الأنظمة الإدارية^(٢)، ولا يقتصر إعمالها على الدول التي تأخذ بنظام قانون العقوبات الإداري كنظام قانوني مستقل مقنن، كما هو الحال عليه في ألمانيا وإيطاليا، وإنما أيضا الدول الأخرى التي لها سلطة تقدير جزاءات إدارية جنائية دون الحاجة الى اللجوء الى القضاء^(٣)، لا سيما ونحن في ظرف وبائي جسيم استهدف أرواح أعداد كبيرة من البشر في أغلب دول العالم وهو وباء **COVID - 19** دون أن يكون لديها نظام متكامل للمخالفات الإدارية كما هو الحال في فرنسا والجزائر والعراق.

ولا يعد القانون الجنائي الوسيلة الوحيدة لتوفير الحماية اللازمة للمصالح الاجتماعية المختلفة، ولا يستعان به لمواجهة سلوك غير مشروع إلا إذا ثبت فشل وعجز الحلول القانونية الأخرى في مواجهته، حيث تبين في بعض الحالات أن الاستعانة بالقانون الجنائي قد لا يتناسب مع الهدف الذي يصبو اليه المشرع من معاقبة الشخص المخالف، ولهذا يسعى المشرع للتخفيف من حدة تدخل القانون الجنائي في بعض المجالات، ألا وهي الحد من التجريم والحد من العقاب وذلك على النحو الآتي:

(١) د. محمد سامي الشوا، القانون الإداري الجنائي (ظاهرة الحد من العقاب)، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٤٢، د. محمد سعد فودة، النظرية العامة للعقوبات الادارية - دراسة فقهية قضائية مقارنة، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠١٠، ص ٧٩-٨٣.

(٢) د. غنام محمد غنام، القانون الإداري الجنائي والصعوبات التي تحول دون تطوره، القسم الأول والثاني، مجلة الحقوق، جامعة الكويت، العدد ١، مارس ١٩٩٤، ص ٢٩٦.

(٣) د. أمين مصطفى محمد، النظرية العامة لقانون العقوبات الإداري (ظاهرة الحد من العقاب)، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، ١٩٩٦، ص ٩.

أولاً- الحد من العقاب

ويراد به العزوف تماما عن القانون الجنائي لصالح نظام قانوني آخر، إذ يتم رفع صفة التجريم عن فعل ما غير مشروع طبقا لقانون العقوبات ليظل غير مشروع طبقا لقانون آخر، يقرر له جزاءات قانونية أخرى غير جنائية، وتتمثل في جزاءات إدارية محضة توقع من طرف العضو الإداري بإجراءات إدارية، ولكنها تبقى تحت رقابة قضائية طبقا لما يعرف بقانون العقوبات الإداري^(١).

ثانياً- الحد من التجريم

وهي إلغاء تجريم سلوك معين والاعتراف بمشروعيتها من الناحية القانونية على نحو لا يخضع معه لأي نوع من أنواع الجزاء، بيد أن إلغاء تجريم سلوك ما لا يستتبعه حتمية عدم استهجانه اجتماعيا أو قبوله أو عدم رفض الضمير العام له عند مجموعة أو طائفة أو عموم المجتمع، سيما بعض السلوكيات التي الغي تجريمها في العقود الأخيرة لدى بعض المجتمعات الغربية كفعل الاجهاض المتعمد أو ممارسة الانحراف الجنسي، إذ أنه على الرغم من كونها غير مجرمة في مجتمعات معينة، إلا أنها غير مقبولة اجتماعيا عند فئات مجتمعية واسعة، وبالعكس الحال هناك بعض الأفعال المجرمة قانونا، إلا أنها غير مستهجنة ولا تجرح الضمير العام ومنها تجريم التهرب الضريبي أو الكمركي وغيرها^(٢).

ثالثاً- التحول عن الإجراء الجنائي

وهو كل وسيلة يستبعد بها الإجراء الجنائي العادي وتتوقف بها التعقيبات الجنائية وذلك لتجنب صدور حكم بالإدانة، حيث يخضع فيه المخالف بعد موافقته لحل غير جنائي يساعده على الاندماج مرة أخرى في المجتمع وتجنب الخضوع لجزاء جنائي كالصلح أو الوساطة^(٣).

وهنا يتشابه التحول عن الإجراء الجنائي مع الحد من العقاب، في أن كليهما يعد مخالفة غير مشروعة قانونا، وأن هدفهما هو عدم تعرض المخالف للجزاء الجنائي، وعليه وطبقا لظاهرة التحول عن الإجراء الجنائي، يبقى الفعل مجرما جنائيا لكن يبحث له عن إجراءات غير جنائية ودون المساس بطبيعته الجنائية^(٤)، وتكون عدم مشروعيتها بالاستناد الى قانون آخر إداري وهو ما يطلق عليه بقانون العقوبات الإداري أو القانون الإداري العقابي.

(١) د. محمد سعد فودة، النظرية العامة للعقوبات الإدارية، دراسة فقهية قضائية مقارنة، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠١٠، ص ٣٨.

(٢) لم يعترض فقه القانون الجنائي المعاصر لتحديد فكري التجريم والعقاب إلا حديثا، وهذا بطبيعته يعود الى حداثة تداول المصطلحين في الفقه وذلك منذ أن تناولهما بالبحث المؤتمر السادس لوزراء العدل في أوروبا عام ١٩٧٠ في مدينة لاهاي، ومن مظاهر الفكرتين الظروف المخففة والتي تعد من الأفكار التي النظام الجنائي منذ فترة إذ يعدها كثير من الفقه باعتبارها إحدى وسائل التخفيف داخل النظام الجنائي إحدى المظاهر الهامة لفكرة الحد من العقاب والتجريم، ينظر مظاهر بو جلال صلاح الدين، الجزاءات الإدارية بين ضرورات الفعالية الإدارية وقيود حماية الحقوق والحريات الأساسية - دراسة مقارنة، مجلة للعلوم الاجتماعية، جامعة محمد ملين دباغين، العدد ١٩، ديسمبر، ٢٠١٤، ص ١٨٥.

(٣) عبد العزيز عبد المنعم خليفة، ضوابط العقوبة الإدارية العامة - تدرج العقوبة من الغرامة الى الغلق الإداري، دار الكتب الحديثة، الاسكندرية، ٢٠٠٨، ص ٨٧.

(٤) عبد العزيز عبد المنعم خليفة، ضمانات مشروعية العقوبات الإدارية العامة، مطابع جامعة المنوفية، ٢٠٠٧، ص ٢٧.

المطلب الثاني

أساس شرعية الجزاءات الإدارية الجنائية لمخالفة الحظر الصحي الوقائي

مما لا شك فيه إن تمتع العضو الإداري بسلطة فرض جزاءات جنائية إدارية يعد خروج عن الإطار التقليدي لسلطاته في مجال الجزاءات التأديبية والجزاءات التي تفرضها على المتعاقدين معها كالمورددين مثلاً^(١). وقد أثبتت اعتراضات بشأن مدى دستورية الجزاءات الإدارية الجنائية، وكان من بينها المخالفة الصريحة لمبدأ شرعية الجرائم والعقوبات والتجاوز على مبدأ الفصل بين السلطات وانتهاك للحق في التقاضي الطبيعي، حيث نكون أمام عدالة بدون قاضٍ وحيث يلعب العضو الإداري دور الخصم ودور الحكم في آن واحد. وهذا يقتضي البحث في الأساس الدستوري والقانوني لمشروعية الجزاءات الإدارية الجنائية وبيان المخالفات التي تعد انتهاكاً للحظر الصحي الوقائي في ظل وباء COVID - 19 في فرعين مستقلين وعلى النحو الآتي:

الفرع الأول

الأساس الدستوري والقانوني لشرعية فرض الجزاءات الإدارية الجنائية

تتسم السياسة الجنائية بأنها غائية ونسبية وسياسة متطورة، وهذا التطور يكون بناء على تأثر السياسة الجنائية بعدة عوامل تتحكم في تحديدها وتوجيهها، وفي مقدمة العوامل طبيعة النظام السياسي للدولة والمشكلات التي تواجه المجتمع فضلاً عن التغيرات التي تعترضه والتي تدفع به إلى التطور^(٢).

والتساؤل الذي يطرح في هذا المقام هل أن الظرف الاستثنائي الذي يمر به العراق في ظل وباء COVID - 19 يستلزم منح العضو الإداري سلطة فرض الجزاءات الإدارية الجنائية على منتهكي الحظر الصحي الوقائي؟

تعد جائحة كورونا وباء عالمي يقتضي بالدول الإسراع باتخاذ التدابير اللازمة للحد من مخاطرها ومنها اعلان حالة الطوارئ لحماية صحة الافراد أولاً وللوقوف بحزم أمام الانتهاكات التي لربما تقع في ظلها ثانياً ، إلا أن الملفت للنظر هو أن الحكومة العراقية لم تبادر إلى الإعلان عن حالة الطوارئ إنما سارعت إلى تشكيل لجنة عليا للصحة والسلامة الوطنية بموجب الأمر الديواني المرقم (٥٥) لسنة ٢٠٢٠ والتي حولت صلاحية اتخاذ الإجراءات والتدابير الوقائية بهدف مواجهة هذا الوباء.

وقد اتخذت اللجنة المذكورة العديد من التدابير ومنها على سبيل المثال لا الحصر منع الزيارات الدينية ذات التجمعات الكبيرة ومنع التنقل بين المحافظات وإيقاف دخول الوافدين (غير العراقيين) ومنع الوزارات والمؤسسات الحكومية إيفاد موظفيها إلى الدول التي شهدت حالات الإصابة بمرض كورونا ومنع التجمعات بكافة أشكالها بما في ذلك مجالس العزاء والأفراح والمناسبات الاجتماعية.

ولو بحثنا في الأساس الدستوري والقانوني لإجراءات اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية لوجدنا أنها مستمدة من ضرورة تدخل الحكومة لحماية النظام العام، إلا أنه لم ينص عليها الدستور العراقي الحالي بنص صريح، لا نريد التساؤل عن اسباب عدم اعلان الحكومة لحالة الطوارئ لأن ذلك ليس من صميم موضوعنا، ولكن الشيء الملفت للنظر إن الوزارات والجهات ذات العلاقة

(١) د. ماهر صالح علاوي، حدود السلطة التقديرية، ملتقى تطوير العلاقة بين القانونيين والإداريين، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، أيام ١٩-٢٣ مارس ٢٠٠٦، القاهرة، ص ٨، د. عبد العزيز عبد المنعم خليفة، مصدر سابق، ص ٦٠.

(٢) د. أحمد فتحي سرور، المشكلات المعاصرة للسياسة الجنائية، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧٣، ص ٣.

المنضوية ضمن اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية مارست صلاحيات لا تملكها إلا إذا كانت حالة طوارئ قد اعلنت فعلا ومن ضمن الحالات الواردة حصرا التي يفترض وجودها لكي تتخذ مثل هذه الإجراءات ومنها فرض الجزاءات الإدارية الجنائية على منتهكي الحظر الصحي الوقائي.

فكيف يمكن للجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية أن تقر فرض جزاءات ذات طابع إداري جنائي وهي لا تملك مثل هذه الصلاحية لثلاثة اسباب: أولهما عدم ورود وباء كورونا المستجد في القسم الثالث من قائمة الأمراض السارية الواردة في قانون مكافحة الأمراض السارية العراقي رقم (١٢١) لسنة ١٩٦٣ وتانيهما عدم إعلان حالة الطوارئ في العراق لتعطي للعضو الإداري الحق في فرض الجزاءات المذكورة ، وثالثهما لم يكن وباء **COVID - 19** من ضمن الحالات التي حددها المشرع العراقي في المادة (١) من قانون السلامة الوطنية العراقي.

أي بمعنى إن الوباء الذي تعرض له أغلب أفراد الشعب العراقي ليس من الأسباب التي تحتم اعلان حالة الطوارئ لخطر حال جسيم يهدد الأفراد في حياتهم وناشئ من حملة مستمرة للعنف من أي عدد من الأشخاص لمنع تشكيل حكومة واسعة التمثيل في العراق أو تعطيل المشاركة السياسية السلمية لكل العراقيين أو أي غرض آخر، والذي يمثل اعتداء على العملية السياسية والنظام السياسي في العراق، ولم يكن من بين الأسباب اعلان حالة الطوارئ وجود الأمراض والأوبئة، ومن ثم نجد أن نص المادة (١) من قانون السلامة الوطنية لا يعطي سندا للحكومة لإعلان حالة الطوارئ، ومن ثم تقرير فرض الجزاءات الإدارية الجنائية على المخالفين.

إذا في ظل الدستور العراقي الحالي وقانون السلامة الوطنية العراقي لا يمكن الاستناد عليهما لتبرير إعلان حالة الطوارئ، ومن ثم تقرير فرض الجزاءات الإدارية الجنائية على مخالفتي الحظر الصحي الوقائي في العراق.

وحتى قانون وزارة الصحة رقم (١٠) لسنة ١٩٨٣ الذي أشار في المادة (٢) الى مكافحة الأمراض وسعي الوزارة الى الحد من انتشارها باستخدام وسائل التقنية الصحية والطبية ولم يشير الى فرض جزاءات جنائية إدارية على المتسببين بتفشي الأوبئة في المجتمع.

ومع انتهاء مبررات اعلان حالة الطوارئ كظرف استثنائي تتساءل ما هو الوصف القانوني لجائحة **COVID - 19** الذي يبرر اتخاذ مثل هكذا جزاءات؟ أن أقرب ما يكون إليه الوصف القانوني لوباء **COVID - 19** هو القوة القاهرة التي تتطلب اتخاذ إجراءات آنية وسريعة ومنها فرض الجزاءات على منتهكي الحظر الصحي الوقائي كالعقوبات والمصادرة والحجز وغيرها التي لا تقتضي انتظار تفويضا أو تدخلا تشريعيا لتنظيم أحكامها، ولأجل ذلك ولحين إجراء تعديل للدستور وإضافة الأوبئة من ضمن الحالات التي تبرر اعلان حالة الطوارئ أو حتى تعديل المادة (١) من قانون السلامة الوطنية العراقي، وذلك بإضافة حالة انتشار الأوبئة مع حالات اعلان الطوارئ في العراق الى جانب العنف المستمر.

الفرع الثاني

المخالفات للحظر الصحي الوقائي في ظل وباء **COVID - 19**

إن التهاون والاستهتار بشأن الوقاية من وباء كورونا لازال متفشيا مما عرض حياة الآخرين للخطر، فلم تُجدي حملات التنبيه والحث للأفراد باتباع الإرشادات الصحية والاجتماعية والإبلاغ

الفوري عن المخالفين أو كل من يختلط بغيره من الأصحاء حماية للمجتمع ووقاية لهم، الأمر الذي يقتضي تحديد أهم المخالفات للحظر الصحي الوقائي في ظل وباء COVID - 19، فماهي هذه المخالفات وهل وردت على سبيل الحصر؟ هذا ما سوف نسعى لتوضيحه في ثنايا هذا الفرع.

في الواقع تضمنت قرارات لجنة الأمر الديواني رقم (٥٥) لسنة ٢٠٢٠ مجموعة توصيات للجهات المعنية بتطبيق الحظر الصحي الوقائي وهي لا ترقى الى مستوى النص الذي يحدد الأفعال الجرمية وما يترتب عليه من جزاءات إدارية جنائية، كونها لم تصدر عن تفويض أو تدخل تشريعي، وإنما تقتضيها ضرورات المصلحة العامة للبلاد، فمن أبرز ما ذكر في قرارات هذه اللجنة هي:

- ١- منع الزيارات الدينية ذات التجمعات الكبيرة في شهر رجب وحسب الموقف الوبائي.
- ٢- منع التنقل بين المحافظات باستثناء الحالات الطارئة والتبادل التجاري وتنقل الموظفين.
- ٣- إيقاف دخول الوافدين (غير العراقيين) من دولة قطر وجمهورية المانيا الاتحادية ويستثنى من ذلك الوفود الرسمية والهيئات الدبلوماسية بالإضافة الى الدول التي منع السفر اليها في القرارات السابقة.
- ٤- على كافة الوزارات والمؤسسات الحكومية منع ايفاد موظفيها بالوقت الحاضر وخاصة الدول التي شهدت حالات الإصابة بمرض كورونا.

٥- منع التجمعات بكافة اشكالها بما في ذلك مجالس العزاء والأفراح والمناسبات الاجتماعية.

والسؤال هنا هل ما ذكر يعد تحديدا للمخالفات المترتبة على انتهاك الحظر الصحي الوقائي؟

في الحقيقة إن لجنة الأمر الديواني رقم (٥٥) لسنة ٢٠٢٠ وهي اللجنة العلية للصحة والسلامة الوطنية ((مكافحة جائحة فيروس كورونا)) قد حددت المخالفات بخمسة حالات دون تحديد الجزاءات الإدارية الجنائية المترتبة عليها، وهذا لا ينسجم مع حجم المخاطر والتحديات الكبيرة لهذا الوباء.

فمثلا ألا تعد مخالفة من يلزم قانونا بالإخبار إذا علم بوجود إصابة بفايروس كورونا أو اشتبه بوجوده أو وجود وفاة بسبب هذا الفايروس وامتنع عن الإخبار؟ ومن هم الأشخاص الملزمون بالإخبار؟ أيضا ألا تعد مخالفة من يرفض إجراء الفحص الطبي عند الطلب من الجهات المختصة؟ وهل تعد مخالفة الخروج من محال الإقامة الدائمة أو المؤقتة في أوقات الحظر المعلن عنها من الجهات المختصة عدا حالات الخروج لدواعي الضرورة لشراء الاحتياجات الغذائية والدوائية أو الخروج للطوارئ الصحية وفتات القطاعات الحيوية التي يصدر قرار باستثنائها من الحظر؟ ألا تعد مخالفة، كذلك عدم التقيد بإغلاق مؤسسة تعليمية أو دار من دور السينما والرياضة والملاهي أو المراكز التجارية أو الأسواق المفتوحة أو الحدائق أو المتنزهات أو المقاهي أو مراكز التسوق أو المطاعم أو ما في حكمها أو استقبال مرتادين في أي منها بالمخالفة للتعليمات، وعدم التقيد بالتدابير الخاصة بفتح الحدائق العامة والشواطئ ومراكز التدريب الرياضي والمساح العامة ومساح الفنادق دون القيام بالإجراءات التي تقررها الجهات المختصة، وعدم التقيد بإيقاف جميع الرحلات السياحية مؤقتا؟ وهل تعد مخالفة ايضا عدم منع أو تقييد التجمعات أو الاجتماعات أو إقامة الاحتفالات الخاصة والعامة أو التجمع أو التواجد في الأماكن العامة أو الخاصة؟ أليس من الواجب اعتبارها مخالفة عدم التقيد بالتدابير الصادرة من وزارة الصحة ووقاية المجتمع تجاه القادمين للدولة من الدول الموبوءة بفايروس كورونا؟ ألا تعد مخالفة دفن أو نقل جثة أي شخص

متوفى اصيب بفيروس كورونا؟ فما حكمها بحسب الأمر الديواني رقم (٥٥) لسنة ٢٠٢٠ الخاص بتشكيل اللجنة العلية للصحة والسلامة الوطنية ((مكافحة جائحة فيروس كورونا)) أو قرارها المرقم (٤٠) لسنة ٢٠٢٠؟

حقيقة لم نجد ما يتضمن المخالفات المشار إليها اعلاه في قرار اللجنة اعلاه رغم خطورتها على الفرد والمجتمع، وكنا نأمل أن يشملها وعدم تركها دون تحديد عقاب لها ونقترح أن يصار الى دمجها مع احكام البند (ثالثا) من القرار المرقم (٤٠) لسنة ٢٠٢٠.

المبحث الثاني

الجزاءات الإدارية الجنائية لمخالفي الحظر الصحي الوقائي من حيث الإجراء

إن الجزاءات الإدارية الجنائية حق تملك العضو الإداري استعماله حيال كل من يخالف نص قانوني أو قرار إداري من المخاطبين به، فهي تتسم بالعمومية لا يقتصر توقيعها على فئة تربطها بالعضو الإداري رابطة تعاقدية. ومن ثم فإن^(١) العلاقة ما بين القاعدتين الجنائية الموضوعية والإجرائية وثيقة تصل إلى حد التلازم، تظهر منذ لحظة مخالفة القاعدة الجنائية الموضوعية، ومن تلك اللحظة ينشأ للدولة حق في العقاب تقتضيه من خلال تطبيق القاعدة الجنائية الإجرائية المستلزم إتباعها للوصول لهذه الغاية^(٢)، ولغرض الإحاطة بهذا الموضوع سوف نتناول ضبط المخالفات وتوقيع الجزاءات الإدارية الجنائية والضمانات المتعلقة بتوقيعها في مطلبين مستقلين، وذلك وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول

ضبط المخالفات وتوقيع الجزاءات الإدارية

تتميز الجزاءات الإدارية الجنائية بقواعد تختلف فيها عن قواعد تنفيذ الجزاءات الجنائية العادية، كما أنها تختلف أيضا عن قواعد تنفيذ الجزاءات الإدارية التي لا تنتمي الى القانون الإداري الجنائي، هذا التميز يظهر من خلال ضبط المخالفات، كما يظهر من خلال فرض الجزاءات الإدارية الجنائية وهذا ما سوف نبينه تباعا:

الفرع الأول

ضبط المخالفات لتدابير الحظر الصحي الوقائي

يعد الضبط الجنائي أحد العناصر المهمة في السلامة من الأوبئة في المجتمع، وهو النشاط الذي يقوم به رجال السلطة العامة لضبط المخالفين لتعليمات الصحة والسلامة سواء كان ذلك عن طريق القوى البشرية أو عن طريق الوسائل الآلية^(٣)، حيث يرتبط وقوع المخالفات لتدابير الحظر الصحي الوقائي بارتكاب سائق المركبة أو أحد الركاب، حتى أن العلاقة بين عدد الإصابات بفيروس كورونا وعدد المخالفات المرورية يمكن وصفها بأنها علاقة طردية. ويعد الضبط الآلي أحد ابتكارات التقنية الحديثة في تطبيق أنظمة وقوانين المرور عن طريق رصد المخالفين ملاحقتهم وتعقبهم وجمع الأدلة اللازمة للإثبات ضدهم، ومن ثم إيقاع الجزاءات المقررة بحقهم من أجل الحفاظ على انسياب الحركة والسلامة المرورية^(٤).

(١) علي محمد مظفر، سلطة الإدارة في توقيع الجزاءات في العقود الإدارية في اليمن، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الحقوق - جامعة القاهرة، ٢٠١٢، ص ٦.

(٢) د. مأمون محمد سلامة، قانون العقوبات (القسم العام)، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٠، ص ٢١.

(٣) صالح المالك، الضبط الجنائي وتشعب المهام، المؤتمر الوطني الثاني للصحة والسلامة الوطنية، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض، ٢٠١٥، ص ٢٢٨.

(٤) ينظر المادة (٢٨/أولا) من قانون المرور العراقي النافذ.

وقد يتعدى الأمر حدود الجريمة المرورية، حينما ينتشر الوباء أو يحدث الشك بوجوده في الأماكن العامة أو منشآت العمل نتيجة المخالطة وانعدام التباعد الاجتماعي بين الأفراد، عندئذ تتجسد واجبات رجال السلطة العامة على سبيل المثال في المخالفات لتدابير الحظر الصحي الوقائي بوظيفتين أساسيتين: الأولى وظيفة الضبط الإداري وذلك بمنع المخالفات المذكورة قبل وقوعها، ومراقبة واتخاذ التدابير الوقائية المنصوص عليها في قرارات اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية العراقية، والثانية تتمثل في ملاحقة المخالفين وتعقبهم وجمع الأدلة اللازمة للإثبات ضدهم^(١).

ولرجال السلطة العامة دور هام في مجال مكافحة المخالفات لتدابير الحظر الصحي الوقائي، وذلك للطبيعة الخاصة لهذه المخالفات مما يتطلب تدخل المشرع العراقي لإيجاد آليات وأساليب جديدة للمتابعة وكشف وحفظ الأدلة على خلاف الطرق العادية، إذ تتسم هذه المخالفات بعدة خصائص أهمها^(٢):

– أنها جريمة مستمرة، حيث يبقى الوباء لفترات طويلة نتيجة تأثيره بالعوامل المساعدة على انتشاره كالرياح والتلامس والتنفس وغيرها من العوامل الأخرى.

– أنها جريمة واسعة النطاق، وهذا من شأنه أن يقلل من السيطرة والتحكم بالوباء مما يترتب عليه زيادة في آثاره وأضراره في وقت قصير.

– أنها جريمة عابرة للحدود، وهذا نتيجة لطابعها الانتشاري الذي لا يعرف حدود جغرافية أو سياسية.

– أنها جريمة متزاخية، أي لا تظهر آثارها في الحين بل قد تبقى لفترات بعيدة ولا يشعر بها الإنسان.

ومما تجدر الإشارة إليه إن المخالفات الحظر الصحي الوقائي طبيعة خاصة، ومن ثم فإن الاخبار عنها أمر غير متصور بل مستبعد في كثير من الأحيان، فقد تقع هذه المخالفات وتسبب ضرراً ولا يمكن العلم بها والكشف عنها، إلا من قبل بعض المتخصصين بشؤون الأوبئة وذلك بالإستعانة ببعض الأجهزة والمعدات التي تساعد على الكشف عنها^(٣).

ووفقاً لأحكام المادة (٤٧ و ٤٨) من الأصول الجزائية^(٤)، فإنه يمكن لكل شخص الإخبار عن أي مخالفة لتدابير الحظر الصحي الوقائي، ولم يحدد القانون شكلاً للإخبار، فقد يكون شفاهاً أو كتابة الغاية منه الكشف المبكر عن المصابين من خلال حالات التلبس أو الآثار المادية التي يتركها المصاب في مسرح الجريمة سواء ارتكبها عمداً أو اهمالاً، كما يساهم في عملية الاحتواء والتقليل من أثر الاضرار المحتملة التي يتركها الوباء بين أفراد المجتمع.

ويمكن لأعضاء الضبط القضائي إجراء التحريات في الأماكن العامة كالمقاهي مثلاً أو أماكن العمل للتحقق من وجود بيئة حاضنة لوباء كورونا، وهذا الاختصاص يكون فقط للأشخاص من منتسبي وزارة الصحة أو وزارة البيئة أو وزارة الداخلية، للتأكد من مدى الالتزام بشروط الصحة والسلامة لتفادي أي خطر محتمل.

(١) د. سليمان عبد المنعم، أصول الإجراءات الجزائية في التشريع والقضاء والفقهاء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩، ص ٤٢٩.

(٢) د. محمد حسان محمود، الحماية القانونية للبيئة – دراسة ناقدة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٣٢.

(٣) د. أمين مصطفى محمد، الحماية الإجرائية للبيئة، الدار الجامعية للنشر، مصر، ٢٠٠١، ص ٣٩.

(٤) نصت المادة (٤٧) من الأصول الجزائية على انه " لمن وقعت عليه جريمة ولكل من علم بوقوع جريمة تحرك الدعوى فيها بلا شكوى أو علم بوقوع موت مشتبه به أن يجيز قاضي التحقيق أو المحقق أو الادعاء العام أو أحد مراكز الشرطة "، كما ونصت مادة (٤٨) منه على أنه " كل مكلف بخدمة عامة علم اثناء تأدية عمله أو بسبب تأديته بوقوع جريمة أو اشبهت في وقوع جريمة تحرك الدعوى فيها بلا شكوى وكل من قدم مساعدة بحكم مهنته الطبية في حالة يشتهب معها بوقوع جريمة وكل شخص كان حاضراً ارتكاب جنابة عليهم أن يخبروا فوراً أحداً ممن ذكروا في المادة (٤٧) ".

وأن يلتزموا بحدود الإجراء وفي حدود الغرض منه دون المساس بالحقوق والحريات الشخصية، كما يمكن للموظفين المختصين أخذ عينات من المشكوك بإصابتهم أو من الأماكن التي يتواجدون فيها كالهواء أو الماء أو الوسط الطبيعي وغيرها، للتأكد من صحة المعلومات والبيانات المعطاة لهم عن الأماكن التي يحصل الشك بوجود وباء كورونا.

وتعد **المعاينة** من أهم الوسائل وأفضلها للوصول والتحقق من الدليل المادي للمخالفة، وهي الفحص الدقيق للأشياء واستخلاص النتائج من مسرح الجريمة، ونقل عينة أو مسحة كاملة وواضحة عن الوباء وحجم الاضرار الناتجة عنها وكيفية معالجتها في وقت لاحق، تأييدا لنص المادة (٤٢) من الأصول الجزائية التي نصت بأنه "على أعضاء الضبط القضائي أن يتخذوا جميع الوسائل التي تكفل المحافظة على ادلة الجريمة"، كما ويؤكدون أن يطلبوا عند الضرورة مساعدة الشرطة وفقا لأحكام المادة (٤٥) من الأصول الجزائية.

ولم تحدد اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية في قرارها المرقم (٤٠) لسنة ٢٠٢٠ ما هي الجزاءات المترتبة على عدم تقديم المساعدة لأعضاء الضبط القضائي اثناء تأديته واجباتهم مما يتوجب الرجوع الى القواعد العام في قانون العقوبات وقانون أصول المحاكمات الجزائية في هذا المجال.

الفرع الثاني

توقيع الجزاءات الجنائية الإدارية

للجزاءات الإدارية الجنائية التي توقع على مخالفي الحظر الصحي الوقائي أنواع متعددة أهمها الغرامة الفورية وحجز المركبات، وهذا ما سوف نبينه في هذا الفرع:

أولاً- الغرامة الإدارية

رغم أن الغرامة الإدارية تعد كالعقوبة الجنائية جزاءً مالياً يتمثل في دفع مبلغ من النقود لصالح خزينة الدولة، إلا أن بينهما فارق جوهري وهو أن الغرامة الجنائية لا تقرر إلا بواسطة محاكم الجزاء، بينما الغرامة الإدارية يقرها العضو الإداري بناء على إجراءات إدارية، حيث تأخذ بها بعض التشريعات الإدارية كالقانون العراقي والمصري في جرائم المرور، حيث يقوم رجال المرور بتحديد مبلغ الغرامة عندما يقرر أن هناك مخالفة مرورية منسوبة الى شخص المخالف.

وفي إطار التصدي لمخالفات إجراءات الحظر الصحي الوقائي في العراق حددت اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية ((مكافحة جائحة فيروس كورونا)) بشكل صريح ماهية الجزاء الإداري الجنائي المترتب على انتهاك الحظر الصحي الوقائي في قرارها المرقم (٤٠) لسنة ٢٠٢٠، دون تحديد للجهة التي يقع على عاتقها فرض هذه الجزاءات، وذلك نظراً لخطورة جائحة COVID - 19 وعدم التزام بعض المواطنين بشروط الوقاية الصحية.

فص البند (أولاً) منه على التشديد في تطبيق قرار اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية رقم (٣٥) لسنة ٢٠٢٠ بشأن حظر التجوال وعلى الاجهزة المعنية كافة تنفيذ القرار بشكل صارم وتطبيق العقوبات اللازمة في حال المخالفة.

كما وعدل البند (ثانياً) الوقت المثبت في الفقرة (١) من قرار اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية رقم (٣٥) لسنة ٢٠٢٠ بحيث يبدأ حظر التجوال من الساعة السادسة مساءً بدلا من الساعة السابعة مساءً، فص البند (ثالثاً) منه على أنه تفرض العقوبات ضد المخالفين وفقا للآتي:

- ١- حجز المركبة وفرض غرامة مالية مقدارها (٥٠٠٠٠) خمسون الف دينار على مركبات النقل الجماعي التي تتجاوز سعتها (٤) أربعة ركاب المخالفة للفقرة (٨) من قرار اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية رقم (٣٥) لسنة ٢٠٢٠.
- ٢- فرض غرامة مالية قدرها (٥٠٠٠٠) خمسون الف دينار على سائق المركبة الصالون الذي يحمل أكثر من (٣) ثلاثة ركاب أو يسمح بركوب أشخاص لا يرتدون كمامة وجه ، وحجز المركبة في حالة تكرار المخالفة.
- ٣- فرض غرامة مالية قدرها (١٠٠٠٠) عشرة آلاف دينار على كل فرد لا يرتدي كمامة واقية خارج المنزل، ويسمح بارتداء قماش يوفر غطاء كاملاً للأنف والفم وبشكل مستمر في حالة عدم توفر الكمامة الطبية مؤقتاً.
- ٤- يكون الحد الأقصى المسموح به هو زبون واحد لكل (٥) خمسة أمتار مربعة من المساحة المخصصة لزبائن المحلات التجارية والمخازن ومنع دخول من لا يرتدي كمامة وجه، وفرض غرامة مالية قدرها (١٠٠٠٠٠) مائة الف دينار واغلاقها في حالة مخالفتها.

بيد أن ما يؤخذ على سياسة واضعي البند (ثالثاً) من القرار المرقم (٤٠) لسنة ٢٠٢٠ أنه لم يحدد نوع الغرامة هل هي غرامة فورية أم غرامة محددة المهلة دون أن تكون فورية أم غرامة غير محددة المهلة.

ولأن أغلب هذه المخالفات تشخص من رجال المرور في الطرق العامة لمدن محافظات العراق كافة، نرى أنها تعد من قبيل الغرامة الفورية، فقد نص عليها المشرع العراقي في المادة (٢٨) الفقرة (ثانياً) من قانون المرور النافذ جاء فيها: " يكون دفع مبلغ الغرامة إلى ضابط الحسابات مباشرة خلال (٣٠) ثلاثين يوماً من تأريخ التبليغ بالمخالفة وتحرير وصل بالاستلام على أن تنشر الغرامات على الموقع الرسمي للمديرية خلال (٧٢) ساعة ".

ونص في الفقرة (ثالثاً) منها على أنه " في حالة عدم دفع الغرامة المفروضة خلال (٣٠) ثلاثين يوماً من تأريخ فرضها يضاعف مبلغ الغرامة لمرة واحدة ويجري تأشير ذلك على قيد المركبة في الحاسبة، وفي حالة تسديد مبلغ الغرامة مباشرة أو خلال (٧٢) ساعة من تأريخ فرض الغرامة يخفض مبلغها بنسبة ٥٠ % ".

والتساؤل الذي يطرح في هذا المقام أيضاً ليس في قانون العقوبات العراقي من نصوص يمكن أن تكون فاعلة وكفيلة لمواجهة المخالفات التي تحدث أثناء الحظر الصحي الوقائي بعقوبات جنائية أصلية أو تدابير احترازية أو وقائية^(١) هي أشد من الجزاءات المفروضة في البند (ثالثاً) من قرار اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية المرقم (٤٠) لسنة ٢٠٢٠ ، إلا أن الفارق بينهما هو أن فرضها لا يكون بالطريق الجنائي بالاستناد إلى قانون العقوبات، وإنما يكون بناء على سلطة العضو الإداري المباشرة وبإجراءات إدارية محضة ؟ للإجابة على هذا التساؤل نود أن نوضح ما يأتي:

١- إن المادة التي تنطبق على مخالفة إجراءات حظر التجوال هي المادة (٢٤٠) من قانون العقوبات لسنة ١٩٦٩ وعقوبتها الحبس مدة لا تزيد على ستة اشهر أو الغرامة التي تتراوح بين خمسين ألف ومئتي الف دينار استناداً الى أحكام القانون رقم (٦) لسنة

(١) ينظر المواد (٢٤٠ و ٣٦٨ و ٣٦٩) من قانون العقوبات العراقي وأحكام القانون رقم (٦) لسنة ٢٠٠٨ المعدل لقانون العقوبات بشأن زيادة مقدار الغرامة المفروضة في المخالفات والجنح والجنايات.

٢٠٠٨ المعدل لقانون العقوبات^(١)، علماً إن الجريمة المذكورة تعد مخالفة حسب جدول تصنيف الجرائم من حيث جسامتها والذي نص عليه القانون الأخير.

٢- إن الجهة المختصة بفرض الغرامة المنصوص عليها في المادة (٢٤٠) اعلاه هي القضاء طالما لا يوجد نص قانوني ينتزع منه الاختصاص المذكور ويهبه لجهة أخرى، مما يترتب عليه أنه لا يجوز قطعاً لمنتسبي الأجهزة الأمنية المتواجدة في الطرق العامة فرض الغرامة المذكورة لأن فاقد الاختصاص لا يمارسه.

٣- يضاف الى ذلك إن هناك مادتين في قانون العقوبات وردتا تحت عنوان (الجرائم المضرة بالصحة العامة) وهما المادتان (٣٦٨) و (٣٦٩) والمتعلقين بمن يرتكب فعلاً من شأنه نشر مرض خطير مضر بحياة الأفراد عمداً أو اهمالاً وعقوبة الأولى الحبس مدة لا تزيد على ثلاث سنوات وعقوبة الثانية الحبس مدة لا تزيد على سنة أو بغرامة تتراوح بين خمسين ألف ومئتي الف دينار هذا إذا لم ينشأ عن الفعل موت انسان أو اصابته بعاهة مستديمة، إلا إننا لم نشهد لهما تطبيقاً في الحوادث التي وقعت في بعض المحافظات وأدت الى انتشار وباء كورونا.

غير أن السبب في اللجوء الى هذا الطريق الاستثنائي وترك الملاحقة قضائياً وفق المواد آنفه الذكر الى ما تضمنه البند (ثالثاً) من قرار اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية من التزام عام وآني على جميع المواطنين يتجسد باحترام الحظر الصحي الوقائي بشتى صورته والذي يعد مخالفته جريمة لا تحتمل التأخير في إجراءات التحقيق والمحاكمة فيها كما هو الحال في الظروف العادية، وإنما يقتضي الإسراع بفرض جزاءات رادعة محددة بالغرامة أو بحجز المركبات بمختلف أنواعها في حالة تكرار الجريمة دونما حاجة لإصدار قرار إداري فردي بحق المخالف، ومن ثم تجنيد الأجهزة الصحية والأمنية كافة للعمل على فرض سلطة القانون في المجتمع، ولا يشكل ذلك تجاوزاً على اختصاص السلطتين التشريعية أو القضائية، طالما أن الظرف الاستثنائي الوبائي يقتضي السرعة في محاسبة المخالفين وفرض الجزاءات بحقهم دونما حاجة لإحالتهم الى القضاء.

ثانياً- الحجز الإداري للمركبات

لم يوضح قرار اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية المرقم (٤٠) لسنة ٢٠٢٠ البند (ثالثاً) آليات حجز المركبات وبالرجوع الى التعليمات الصادرة وفقاً لأحكام المادة (رابعا) من قانون التصرف بالمركبات المحجوزة والمتروكة رقم (٨) لسنة ١٩٨٧ يقصد بالمركبة المحجوزة هي المركبة التي تودع في المكان المخصص للحجز الذي تقرره مديرية مرور المحافظة وفق الصلاحيات القانونية المخولة لضابط المرور بسبب مخالفة أحكام قانون المرور والأنظمة والتعليمات والبيانات الصادرة استناداً الى القانون المذكور^(٢).

ووفقاً للمادة (٩) من قانون التصرف بالمركبات المحجوزة والمتروكة يخول مدير المرور العام ومدير مرور المحافظة صلاحية بيع المركبات المحجوزة في دوائر المرور بسبب مخالفة أحكام قانون المرور أو الأنظمة أو البيانات الصادرة بموجبه ووفق الصلاحيات القانونية المخولة لضابط المرور، وذلك بعد انتهاء المدة المقررة لحجزها وعدم مراجعة مالكيها أو حائزيها الشرعيين واستنفاد جميع الطرق الاصولية في التبليغ على أن تحجز تلك الاجراءات خلال مدة أقصاها ستة أشهر من تاريخ انتهاء مدة الحجز.

^(١) نصت المادة (٢٤٠) من قانون العقوبات بأنه " يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ستة اشهر أو بغرامة لا تزيد على مائة دينار كل من خالف الأوامر الصادرة من موظف أو مكلف بمخدمة عامة أو من مجالس البلدية أو هيئة رسمية أو شبه رسمية ضمن سلطاتهم القانونية أو لم يمثل لأوامر أية جهة من الجهات المذكورة الصادرة ضمن تلك السلطات وذلك دون الاخلال بأية عقوبة أشد ينص عليها القانون ".

^(٢) نصت المادة (١/أولاً) من قانون المرور العراقي النافذ على أن المركبة تعني " الآلة الميكانيكية او الدراجة العادية أو النارية أو العربة أو أي جهاز آخر يسير على الطريق بقوة ميكانيكية أو بأية وسيلة أخرى ويشمل ذلك الجرار ".

ويعد الحجز جزءاً عيني يقع على المركبات بمختلف أنواعها، ويجوز للإدارة ممثلة برجل المرور أن تقرر الحجز كجزء إداري أصلي أو تكميلي لمواجهة بعض الجرائم المرورية، وفضلاً عن ذلك فقد يتقرر الحجز كجزء أصلي أي دون أن يتقرر معه أية غرامة إدارية مالية.

وقد ثار بشأن الطبيعة القانونية للحجز الذي يقرره رجل المرور وما إذا كان يعد جزءاً جنائياً كالحجز الذي يقضي به قاضي التحقيق أو المحكمة أم مجرد جزء إداري، فيرى البعض^(١) أن التمييز بين الحجز الجنائي والحجز الإداري لا يرجع إلى السلطة التي تصدر كلا منهما، وإنما إلى طبيعة الجزء في ذاته، ومن ثم يعد - هذا الرأي - الحجز إجراءً جنائياً ولو صدر من رجل المرور. ومع ذلك، فالحجز الذي يقرره رجل المرور طبقاً لأحكام قانون المرور لا يخرج عن كونه جزءاً إدارياً له سمة عقابية، ولا يمكن أن يعد بأي حال من الأحوال جزءاً جنائياً، فالجزء الجنائي لا يقضى به إلا بواسطة حكم قضائي.

ونحن نتفق مع من يرى^(٢) أن البحث في طبيعة الجزء ذاته لا يكفي للاستدلال على ما إذا كان جزءاً جنائياً أم غير جنائياً، إذ إن الحجز قد يكون عقوبة أو تدبير وقائي أو تعويض، ومع ذلك فلا يتغير مفهومه شأنه في ذلك شأن الغرامة، فقد تكون جنائية أو إدارية أو تأديبية، ومن ثم فإن الجزء الجنائي ينبغي أن يصدر به حكم قضائي بناء على دعوى وإجراءات جنائية.

أما الحجز الذي يقرره رجل المرور أو من يندبه فلا يعد إلا مجرد جزء إداري، يفرض كقاعدة عامة على كل شخص يصدر منه خطأ ما أثناء حظر التجوال الصحي يتمثل غالباً في إهماله لضوابط وإجراءات الوقاية من وباء COVID - 19.

فقد يهمل الشخص في عدم الإخبار إذا علم بوجود إصابة بفايروس كورونا أو اشتبه بوجوده أو وجود وفاة بسبب هذا الفايروس وامتنع عن الإخبار أو خرج من محل إقامته الدائمة أو المؤقتة في أوقات الحظر المعلن عنها من الجهات المختصة عدا حالات الخروج لدواعي الضرورة وغيرها من المخالفات التي تشكل خطراً على حياة الأفراد والمجتمع بشكل عام، فهنا يكون للإدارة ممثلة بشخص رجل السلطة العامة أن يقرر لمثل تلك الانتهاكات جزاءات جنائية إدارية.

المطلب الثاني

الرقابة على شرعية فرض الجزاءات الإدارية الجنائية

يعد الطابع الاجرائي لتوقيع الجزاءات الإدارية الجنائية بحد ذاته ضماناً أكيدة بالنسبة للمخاطبين بها، حيث تتمثل فيما يتطلبه توقيعها من رقابة قضائية على تنفيذ تلك الجزاءات، كالطعن بمشروعية فرض هذه الجزاءات، ومن ثم بيان الخيارات الممنوحة للعضو الإداري إزاء هذا الطعن، وهذا ما سوف نتناوله في فرعين مستقلين وعلى النحو الآتي:

(١) د. عبد الرؤوف مهدي، المسؤولية الجنائية عن الجرائم الاقتصادية، ط٢، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٧٦، د. محمود مصطفى، الجرائم الاقتصادية في القانون المقارن، ط٢، ج٢، جرائم الصرف، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٩، ص٩٧،

(٢) د. سمير الجنزوري، الغرامة الإدارية - دراسة مقارنة في الطبيعة القانونية للغرامة وقيمتها العقابية، دار العهد الجديد للطباعة، القاهرة، ١٩٦٧، ص١٥٦، د. حلمي الدقوقي، رقابة القضاء على المشروعية الداخلية لأعمال الضبط الإداري - دراسة مقارنة، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩، ص١٧٠.

الفرع الأول

الطعن بشرعية فرض الجزاءات الإدارية الجنائية

الأصل أن يختص العضو الإداري ومن خلال إجراءات إدارية محددة قانوناً بتقرير الجزاءات الإدارية الجنائية بهدف ردع بعض الأفعال المخالفة للأنظمة والتعليمات المعمول بها^(١)، على أن يسبب الجزاء الصادر عنه والذي يعد من أهم الضمانات الشكلية لصحة الجزاء الإداري الجنائي^(٢)، والتحقق من غلو العضو الإداري أحياناً ومبالغته في فرض الجزاء سواء أكان بالتخفيف أو التشديد، وعدم الملائمة بين المخالفة المرتكبة والجزاء المفروض.

وهذا يقتضي التعرف أولاً على الجهة التي تختص بفرض هذا النوع من الجزاء في العراق على المخالفين لإجراءات الحظر الصحي الوقائي والتي يقتضي أن يكون لها وجود قانوني وسلطة للتعبير عن إرادتها ومن ثم تحديد الجهة المختصة بنظر الطعون بشأن شرعية الجزاءات الصادرة عنها ثانياً، هذا ما سوف نبينه تباعاً:

أولاً- الجهة المعنية بفرض الجزاءات الإدارية الجنائية

الأصل إن القضاء هو من يفرض الجزاءات ضمن إجراءات قضائية محددة ، يبدأ أن مجلس الدولة الفرنسي قد حسم الخلاف الذي نشب في هذا الشأن عندما أقر بأن مبدأ الفصل بين السلطات لا يعد عقبة أمام العضو الإداري بفرض جزاءات إدارية جنائية بحكم القانون سواء من حيث ممارسة الاختصاص القانوني المتمثل بفرض العقوبة أو من حيث فرض الجزاء وإيقاعه وتنفيذه، وذلك لأن الجزاءات التي يفرضها العضو الإداري لا تتعلق بسلب الحرية^(٣).

غير أن بالرجوع الى قرار اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية رقم (٤٠) لسنة ٢٠٢٠ لم نرى فيه تحديد للجهة المختصة بفرض الجزاءات الإدارية الجنائية على منتهكي الحظر الصحي هل هي قضائية أم إدارية، ولأن أكثر المخالفات تقع أثناء حظر التجوال، نتساءل هنا هل يمكن الرجوع لأحكام قانون واجبات رجل الشرطة في مكافحة الجريمة رقم ١٧٦ لسنة ١٩٨٠ لفرض الجزاءات المذكورة ؟

في الواقع إن هذا القانون أناط بقوى الأمن اختصاص فرض الأمن الداخلي والمحافظة على النظام ومنح رجال الشرطة صلاحية استعمال القوة لإداء واجباته وصلاحية استعمال السلاح الناري في حالة الدفاع الشرعي وليس من واجباتهم فرض الجزاءات في حالة وقوع مخالفات مشهودة^(٤).

ويظهر تساؤل آخر هنا هل يمكن الرجوع الى قانون المرور العامة العراقي الجديد رقم (٨) لسنة ٢٠١٩ فيما يخص تحديد الجهة المختصة بفرض الجزاءات الإدارية الجنائية على منتهكي الحظر الصحي الوقائي سيما وأن اغلب المخالفات تقع في نطاق الجريمة المرورية التي نص عليها القانون المذكور؟

(١) د. موسى مصطفى شحادة، الجزاءات الإدارية في مواجهة مخالفات الإعلام المرئي والسمعي ورقابة القضاء الإداري في فرنسا عليها، مجلة الشريعة والقانون، كلية القانون جامعة الإمارات العربية المتحدة، العدد ٦٠، أكتوبر، ٢٠١٤، ص ٨٧، فيصل نسيعة، الرقابة على الجزاءات الإدارية العامة في النظام القانوني الجزائري، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الحقوق ، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر، ٢٠١٢، ص ٢٥.

(٢) يراد بالتسبب ذكر العضو الإداري في صلب قراره المتضمن للجزاءات الإدارية الجنائية مبررات إصداره ليحاط المخاطب به بالدوافع التي لأجلها تم عقابه، ينظر عوايدي عمار، دروس في القانون الإداري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٠، ص ١٩١، د. علي جمعة محارب، التأديب الإداري في الوظيفة العامة - دراسة مقارنة، دار الثقافة، ٢٠٠٤، ص ٣٠٦.

(٣) د. يس عمر يوسف ، استقلال السلطة القضائية في النظامين الوضعي والاسلامي، دار ومكتبة الهلال، لبنان، ١٩٩٥، ص ١٦٣.

(٤) ينظر المادة (١) من قانون واجبات رجل الشرطة النافذ.

في الواقع لا يمكن الجزم بهذه السهولة بإمكانية سريان أحكام قانون المرور النافذ على كل ما لم يرد بشأن تحديد جهات فرض الجزاءات الإدارية الجنائية فيه نص خاص، حيث نصت المادة (٢٨/أولاً) على أنه « أ- لضابط المرور بناء على مشاهدته أو المراقبة على أجهزة الرصد سلطة قاضي جنح في فرض الغرامات المنصوص عليها في المواد (٢٥، ٢٦، ٢٧) من هذا القانون عن المخالفات المرورية التي تقع أمامه أو التي تظهر على شاشات الرصد وتصدر العقوبة على وفق النموذج الحكم المرافق لهذا القانون. ب- لمفوض المرور المختص لحد الدرجة الرابعة بناء على مشاهدته أو المراقبة على أجهزة الرصد سلطة قاضي جنح في فرض الغرامات المنصوص عليها في المواد (٢٥/ ثالثاً) و(٢٦) من هذا القانون عن المخالفات المرورية التي تقع أمامه أو التي تظهر على شاشات الرصد وتصدر العقوبة على وفق النموذج الحكم المرافق لهذا القانون»، فما ورد في المواد أعلاه من مخالفات وجزاءات كان محمداً على سبيل الحصر.

وتلبية لمقتضيات المصلحة العامة العليا للبلاد، نرى أن الضرورة الإجرائية تستلزم امكانية تطبيق أحكام المادة (٢٨) من قانون المرور العراقي، ولحين تعديلها من المشرع وتحويل ضابط المرور ومفوض المرور بفرض الغرامات في الحالات الواردة في نص البند (رابعا) من قرار اللجنة العلية للصحة والسلامة الوطنية المرقم (٤٠) لسنة ٢٠٢٠ حفاظاً على ارواح الناس من هذا الوباء الخطير.

ثانياً- الجهة المعنية بالنظر في الطعون بشرعية فرض الجزاءات الإدارية الجنائية

لا تبدأ هذه المرحلة إلا بعد فرض الجزاء من رجل السلطة العامة ضد المخالف لإجراءات الحظر الصحي الوقائي، إذ يحق للشخص الموقع ضده أن يطعن برفضها إزاءه، ويلجأ الى الجهة المختصة كإحدى الضمانات المكفولة له لعدم قناعته كمقابل للمخالفة المرتكبة منه سواء بالاعتراض على الجزاء ذاته أو مدى صحته أو في مقداره^(١).

والغاية من الرقابة في مجال الجزاءات الإدارية الجنائية هي محاولة التوفيق بين أمرين الفاعلية والضمان، حيث يتمثلان في ضرورة^(٢):

أ- ضمان عدم تعسف رجل السلطة العامة في مواجهة الأفراد المتهمين بمخالفة إجراءات الحظر الصحي الوقائي.

ب- فعالية قيام رجل السلطة العامة بوظيفته التنفيذية المنوطة به قانوناً.

والحكمة من فرض الرقابة على شرعية الجزاءات الإدارية الجنائية يكمن في التأكد فيما إذا خالف رجل السلطة العامة القواعد الشكلية والإجرائية المحددة قانوناً لإصدار قرار بالجزاء الجنائي الإداري، سواء بإهمال تلك القواعد كلية أو بمخالفتها جزئياً، رغم أن رجل السلطة العامة غير ملزم بأن يعبر عن إرادته بشكل معين، إلا إذا نص القانون على خلاف ذلك، وفي هذه الحالة لا يكون الجزاء المفروض مشروعاً إلا بإتباع الشكليات المحددة باتخاذ الإجراءات المقررة والتي تعد بمثابة ضمانات لاحترام مشروعية القرارات الإدارية.

وبالرجوع إلى قرار اللجنة العلية للصحة والسلامة الوطنية رقم (٤٠) لسنة ٢٠٢٠ لم تر فيه أي إشارة للجهة التي تتولى الرقابة على مشروعية الجزاءات الإدارية الجنائية المفروضة على منتهكي الحظر الصحي ومن هي الجهة المختصة بمراقبة مشروعيتها، فما ورد في البند (رابعا) لا يعد من قبيل الرقابة على مشروعية تلك الجزاءات.

(١) د. عبد العزيز عبد المنعم خليفة، ضمانات مشروعية العقوبات الإدارية العامة، مطابع المنوفية، ٢٠٠٧، ص ٩٨

(٢) محمد سعد فودة، النظام القانوني للعقوبات الإدارية، ط ٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٨٧.

فقد نص على أنه « تقوم وزارة الصحة ووزارة الداخلية وجهاز الأمن الوطني بتقويم مدى الالتزام بالإجراءات ورفع التقارير بشأنها خلال (٧) سبعة أيام، ليتم بناءً على ذلك إعادة النظر بفرض حظر التجوال الشامل أو أخذ إجراءات إضافية بحسب تطور الموقف الوبائي».

وهنا نسأل هل يجوز الطعن في العراق بالجزاءات الإدارية الجنائية المفروضة على متهمي الحظر الصحي الوقائي؟ ومن هي الجهة المختصة بمراقبة مشروعيتها؟

مما لا شك فيه إن العضو الإداري لا يمارس أعماله لتحقيق أغراض ذاتية لحسابها، وإنما بقصد تحقيق هدف أساسي هو الصالح العام، ومن ثم كان من عناصر شرعية أعمال العضو الإداري أن تتجه هذه الأعمال دائماً إلى تحقيق المصالح العامة وألا تنحرف عنها، أما إذا انحرفت عن ذلك فبالإمكان الطعن بهذه الجزاءات.

وتلبية لمقتضيات المصلحة العامة العليا للبلاد، نرى أن الضرورة تستلزم امكانية تطبيق أحكام المادة (٣٠) من قانون المرور العراقي، ولحين تعديلها من المشرع وتحويل لجنة البت في الاعتراض للنظر في الاعتراضات المقدمة لها من سائقي المركبات بخصوص الغرامات المفروضة في الحالات الواردة في نص البند (رابعاً) من قرار اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية المرقم (٤٠) لسنة ٢٠٢٠ تحقيقاً للعدالة الاجتماعية.

عليه فإن العضو الإداري بعدها سلطة عامة تتمتع بصلاحيات استثنائية وامتيازات في تنفيذ قراراتها التي تسري بحق المخالف لإجراءات الحظر الصحي الوقائي وإن أبدى اعتراضاً بشأنها أو قدم تظلماً إدارياً، بل وحتى إن رفع دعوى قضائية، فيظل قرار فرض الجزاء الجنائي الإداري يسري بحقه مالم تقبل العضو الإداري أو جهة أعلى منها سحب القرار أو إلغائه^(١). وإذا كان المشرع قد كفل للمعنيين بالقرار أحقية الطعن فيه إدارياً أو قضائياً، فإن ذلك لا يعفيهم من الخضوع لمضمون القرار، باعتبار إن رجل السلطة العامة يملك في مثل هذا الظرف الاستثنائي سلطة التنفيذ المباشر لقراراته دون حاجة للجوء إلى سلطة أخرى^(٢).

والجزاءات الإدارية الجنائية بعدها قراراً إدارياً من جانب واحد وله طابع تنفيذي أي حائز لحجية الشيء المقضي فيه، ومن ثم ينبغي تنفيذها بمجرد النطق بها، فلا يجوز الطعن فيها أو قابليتها لذلك دون تنفيذها.

الفرع الثاني

صلاحية الجهة المختصة بنظر الطعن بشرعية فرض الجزاءات الإدارية الجنائية

عند تنفيذ الجزاء الإداري الجنائي عن مخالفة تدابير الحظر الصحي الوقائي يكون لصاحب الشأن أحد الموقعين: إما أن يقبل التنفيذ طائعا حتى ولو كان يجري جبرا، وفي هذه الحالة يزول أثر الجزاء بعدم تمام تنفيذه، وإما أن يعترض عليه وذلك من خلال الطعن بشرعية فرض الجزاء عليه أمام الجهة المختصة والتي قد تكون جهة قضائية أو إدارية، ويطلب من المعارض تقديم أدلة براءته التي قد تكون مجوزته، وبعد أن يكمل العضو الإداري تحقيقاته يكون له عدة خيارات بشأن هذه الجزاءات، وبمجرد أن تتلقى (الجنة البت في الاعتراض) يكون لها إما تعديل قرار فرض الجزاء أو إلغائه أو المصادقة عليه، وهذه الخيارات لم يشير لها قرار اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية، ولكنها مستقاة من القواعد العامة في قانون المرور وسوف نتناولها على النحو الآتي:

(١) د. محمد سامي الشوا، القانون الإداري الجزائري - ظاهرة الحد من العقاب، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٤٤.
(٢) د. ناصر حسين محسن أبو جمعة العجمي، الجزاءات الادارية العامة في القانون الكويتي والمقارن، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٤٢.

أولاً- تعديل قرار فرض الجزاء الإداري الجنائي

في الواقع لم نجد في قرار اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية أي إشارة صريحة لهذه الصلاحية ولمن تكون، وكما أسلفنا وبالرجوع الى قانون المرور العامة النافذ نستطيع القول بأن الضرورة الإجرائية تستلزم امكانية تطبيق أحكام (٣٠/أولاً/ثانياً) من قانون المرور العامة فيما يخص (لجنة البت في الاعتراض)، إذ يمكن أن تكون الجهة المختصة بتعديل قرار فرض الجزاء الإداري الجنائي، رغم عدم صراحة نص المادة المذكورة^(١)، كونها الأكثر تخصصاً في هذا المجال، لحين تعديل النص المذكور بغية شمول حالات مماثلة للحالات التي تقع من قبل المخالفين لإجراءات الحظر الصحي الوقائي.

ثانياً- إلغاء قرار فرض الجزاء الإداري الجنائي

يعد عدم الملائمة بين المخالفة المرتكبة في ظل وباء COVID - 19 والجزاء المفروض هو أحد صور الغلو، الذي يعد نقيض التناسب أو الملائمة وهو جوهر الأداة القانونية ممثلة بالقرار الإداري^(٢).

والإلغاء هنا يعد إدارياً وليس قضائياً^(٣)، يلجأ المتضرر من الجزاء الإداري الجنائي الى الإدارة ممثلة (بلجنة البت في الاعتراض)، ليقدم اعتراضه على القرار الإداري الصادر بالجزاء الإداري العقابي، وهنا يبحث أعضاء اللجنة في مدى صحة إجراءات توقيع الجزاء الإداري الجنائي، ويكون للجنة أن تلغي الجزاء الإداري إذا لم تجد وجهاً للتعديل، ومن ثم تستطيع أن تعيد فتح التحقيق في المخالفة الإدارية لتدابير الحظر الصحي الوقائي.

وتطلب من المعارض تقديم أدلة براءته التي قد تكون بحوزته، وبعد أن تكمل اللجنة تحقيقاتها يكون لها إما أن تقرر إلغاء قرار العقوبة الإدارية المفروضة بحق المخالف الصادرة بالغرامة الإدارية المالية أو بحجز المركبة العائدة له أو تقرر عدم وجود وجه للاعتراض على قرار العضو الإداري المختص، وتحفظ ملف العقوبة إذا قدرت اللجنة أن العضو الإداري لم يتجاوز حدود سلطته في ظل هذا الوفاء.

وإذا وجدت اللجنة إن عمل المعارض يشكل جريمة إدارية فيبإمكانها إحالة المخالف المعارض الى المحكمة المختصة وفقاً لأحكام قانون المرور العامة التي تنظر بالجرح والجنايات^(٤)

(١) نصت المادة (٣٠) من قانون المرور بأنه " أولاً- تشكل لجنة في مديرية المرور المختصة تسمى لجنة (البت في الاعتراض) تتألف من:

أ - مدير وحدة الشؤون القانونية في مديرية المرور المختصة رئيساً

ب - ضابط من أمن الأفراد عضواً

ج - ضابط من شعبة التدقيق عضواً

ثانياً- للسائق المخالف حق الاعتراض على قرار الحكم بالمخالفة المفروضة بحقه لدى لجنة البت في الاعتراض المنصوص عليها في البند(أولاً) من هذه المادة خلال (١٥) خمسة عشر يوماً من تأريخ قرار الحكم.

ثالثاً- للجنة تعديل أو إلغاء أو المصادقة على قرار الحكم المعارض عليه ويكون قرارها نهائياً .

(٢) محمد شاهين، القرار التأديبي ورقابته القضائية بين الفاعلية والضمان في نظم العاملين بالدولة والقطاع العام والخاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٦، ص ٥٥٤.

(٣) ونحن نتفق مع الرأي الذي يقول أن محور الاختلاف بين الإلغاء القضائي والإلغاء الإداري يتركز في ثلاث محاور أساسية وهي كما يأتي:

الأولى- إن الأصل في الإلغاء الإداري أنه لا يكون بأثر رجعي كما هو الحال في الإلغاء القضائي، فأثر الإلغاء الإداري ينصرف الى المستقبل فقط.

الثانية- إن الإلغاء الإداري يتم بقرار إداري يصدر من الإدارة نفسها وليس من القضاء.

الثالثة- إن الإلغاء الإداري لا يكون إلا للقرارات الإدارية التنظيمية والقرارات الفردية التي لا تولد حقوقاً للغير، ينظر الدكتور ابراهيم طه الفياض، أنواع القرارات الإدارية، محاضرات القيت على طلبة الماجستير في كلية الحقوق - جامعة النهدين، ٢٠٠١ - ٢٠٠٢.

(٤) نصت المادة (٣١/أولاً) بأنه " تشكل محاكم تحقيق وجنح مختصة بقضايا المرور في بغداد والمحافظات...."

ثالثاً- تصديق قرار فرض الجزاء الإداري الجنائي

قد لا تجد لجنة البت بالاعتراض المشككة وفقاً للمادة (٣٠/أولاً) من قانون المرور وجهاً للاعتراض من المخالف لإجراءات اللجنة العليا للصحة والسلامة العامة المتعلقة بوباء COVID - 19 فتقرر رد تظلم المعارض والمصادقة على قرار الحكم المعارض عليه ويكون قرارها نهائياً^(١)

وللسائق المخالف حق الاعتراض على قرار الحكم بالمخالفة المفروضة بحقه لدى لجنة البت في الاعتراض المنصوص عليها في البند (أولاً) من هذه المادة خلال (١٥) خمسة عشر يوماً من تأريخ قرار الحكم^(٢).

يتضح مما تقدم إن لجنة البت في الاعتراض آنفة الذكر لا تبسط رقابتها على القرار الإداري الصادر بالغرامة المالية والحجز الإداري، ولكنها تنظر الفعل غير المشروع من جديد، ويكون للجنة سلطتها في تقدير الأدلة المختلفة التي تم جمعها في المرحلة الإدارية، ولها في ضوء النتائج التي تتوصل لها اللجنة إما أن تعدل قرار فرض الجزاء الإداري الجنائي أو إلغائه أو المصادقة عليه ويكون قرارها نهائياً.

ويجوز للجنة تسهيلاً لعملية الإثبات أن تطلب من العضو الإداري المختص أن يقدم تقريراً بشأن الواقعة محل الجزاء الإداري الجنائي المعارض عليه، ولها أيضاً أن تطلب من المخالف أن يقدم تقريراً يذكر فيه ظروف الواقعة، وكل ما يمكن أن يكون دليلاً على براءته.

ولا يلزم المخالف بالحضور أمام اللجنة إلا إذا أمرته بالحضور شخصياً لسماعه، وإذا لم يحضر رغم تبليغه بذلك، تستطيع أن ترفض الاعتراض.

يتضح مما تقدم أن للطعن في القرارات الإدارية الصادرة بالجزاء الإدارية الجنائية سبيلان:

الأول- يتمثل في الطعن الخاص بشرعية القرارات الإدارية أمام القضاء الإداري وهذا يتعلق بالمخالفات المرتكبة من الموظف العام، إذ يسمح بالطعن في كل عمل إداري مع الأخذ في الاعتبار مراعاة بعض الإجراءات الخاصة الواجب توافرها بشأن إصدار قرارات إدارية بجزاءات ذات خصيصة عقابية، وذلك كوجوب مراعاة الضمانات الخاصة بحقوق الدفاع.

الثاني- يتمثل في طرق الطعن الخاصة التي ينص عليها في النصوص التي تسمح للعضو الإداري بإصدار قرارات إدارية بجزاءات إدارية جنائية، فمثلاً يكون لمن صدر ضده قرار من ضابط المرور بوقف رخصة قيادته لمة معينة، أن يلجأ إلى لجنة البت بالاعتراض والتي تستطيع

أن تعدل قرار وقف أو سحب الرخصة أو إلغائه أو حتى المصادقة على قرار الحكم بالعقوبة، ولا يترتب على تقديم الطعن المذكور وقف تنفيذ قرار فرض الجزاء الإداري الجنائي، ومن حق المخالف المعارض اللجوء إلى المحاكم المدنية ليطالب بحقه في التعويض عما أصابه من أضرار نتيجة تصرف العضو الإداري إزاءه.

(١) ينظر الفقرة (ثالثاً) من المادة (٣٠) من قانون المرور العامة النافذ.

(٢) ينظر الفقرة (ثانياً) من المادة (٣٠) من قانون المرور العامة النافذ.

الخاتمة

أولاً- النتائج

بعد أن انتهينا بتوفيق من الله عز وجل من بحث موضوع الجزاءات الإدارية الجنائية المترتبة على انتهاك الحظر الصحي الوقائي في ظل أزمة COVID - 19، فإني لا أدعي قد أوفيته حق البحث كاملاً، ولكنني بذلت غاية جهدي من أجل الوصول الى اهم النتائج من خلال هذا البحث الوجيه فيمكن تلخيصها على النحو الآتي:

١- إن ما حدث وما زال يحدث من خلال تفشي وباء كوفيد - ١٩ المستجد هو من المبررات الحقيقية لتدخل العضو الإداري في الحد من ظاهرة التجاوز على إجراءات الحظر الصحي الوقائي وعدم تطبيق بعض المواطنين لشروط الوقاية الصحية، ومن ثم فإن حماية النظام العام يعد من أهم أولويات العضو الإداري والتي تحتاج الى إجراءات آنية وسريعة لا تحتمل التأخير.

٢- إن عدم وجود نص على اعتبار الأوبئة إحدى اسباب اعلان حالة الطوارئ لا يعني عجز الحكومة عن تقرير حزمة من القرارات التي تحمي من خلالها النظام العام ومن بينها فرض الجزاءات على المصابين بوباء كورونا ومخالطتهم لآخرين وما يتولد عن ذلك من إلحاق الضرر بشريحة كبيرة من الأفراد.

٣- خلو قرارات اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية من جزاءات فاعلة لمواجهة المخاطر الحقيقية لوباء كورونا، مما اتاح الفرصة لذوي النفوس الضعيفة الى خرق تدابير الحظر الصحي الوقائي من دون رادع يحول دون تكرار هذا الخرق المتعمد أو غير المقصود.

٤- جاءت اغلب قرارات اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية خالية من الإشارة الى الجهات الممنوحة سلطة فرض الجزاءات، فما ورد في البند (رابعا) من القرار المرقم (٤٠) لسنة ٢٠٢٠ لا يعد من قبيل الجهات الممنوحة سلطة قاضي جنح كما هو التحديد الوارد في المادة (٢٨) من قانون المرور العامة النافذ.

٥- لم تحسم اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية في قرارها المرقم رقم (٤٠) لسنة ٢٠٢٠ مسألة امكانية الطعن بالجزاءات الإدارية الجنائية المفروضة على منتهي الحظر الصحي الوقائي وآلية الطعن فيها، ومن هي الجهة التي يقدم أمامها طلبات الطعن، فليس كل ما يتخذ من إجراءات في ظل الأزمة يعد انسجاماً مع متطلبات المصلحة العامة وفي مقدمتها حفظ النظام العام، فالبعض منها يثبت انحرافها وإساءتها لاستعمال السلطة فلا بد من إحقاق الحق ورد الظلم عن من تعرض لإجراءات العضو الإداري التعسفية التي لا تستهدف حتماً الصالح العام.

ثانياً- التوصيات

١- ندعو المشرع العراقي إلى حسم الجدل الفقهي بخصوص عدم وجود نص دستوري وقانوني صريح يقضي بإعلان حالة الطوارئ مع وجود حالة من حالات الأوبئة الخطيرة والتي تحتاج الى تدابير وقائية فاعلة لحماية أمن وسلامة واستقرار البلاد من الأوبئة والأمراض كافة من خلال النص صراحة على اعتبار الوباء إحدى مقتضيات اعلان حالة الطوارئ في البلاد.

٢- الدعوة الى النص على عقوبات شديدة لا تقتصر على الغرامات البسيطة التي لا تردع المواطن وتكف عن الاستمرار في خرق اجراءات الحظر الصحي الوقائي، ونرى بإمكان العضو الإداري تطبيق عقوبة المصادرة مباشرة دونما حاجة لصدور حكم قضائي، طالما تم إثبات المخالفة بناء على مشاهدتها أو مراقبتها من خلال أجهزة الرصد الحديثة.

- ٣- توحيد العقوبات الواردة في البند (ثالثا) من قرار اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية المرقم (٤٠) لسنة ٢٠٢٠ مع العقوبات ذات الصلة الواردة في المواد (٢٥ و ٢٦ و ٢٧) من قانون المرور العامة، بما يتناسب مع الغاية من تطبيقها من حيث جهة تطبيقها والرقابة على مشروعيتها فرضها على المخالفين للتدابير الوقائية في ظل تفشي الأمراض والأوبئة في البلاد.
- ٤- دعوة المشرع العراقي الى النص على اختصاص لجنة البت في الاعتراض المنصوص عليها في قانون المرور العامة العراقي بالنظر في الطعون المتعلقة بالجزاءات التي تفرض في ظل الأزمات الصحية والأوبئة بالغة الخطورة على المجتمع.

المصادر

أولاً: الكتب القانونية

- (١) د. إبراهيم طه الفياض، أنواع القرارات الإدارية، محاضرات القيت على طلبة الماجستير في كلية الحقوق - جامعة النهدين، ٢٠٠١-٢٠٠٢.
- (٢) د. أحمد فتحي سرور، المشكلات المعاصرة للسياسة الجنائية، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧٣.
- (٣) د. أمين مصطفى محمد، الحماية الإجرائية للبيئة، الدار الجامعية للنشر، مصر، ٢٠٠١.
- (٤) د. أمين مصطفى محمد، النظرية العامة لقانون العقوبات الإداري - ظاهرة الحد من العقاب، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، ١٩٩٦.
- (٥) د. داوود الباز، حماية السكنية العامة معالجة لمشكلة العصر في فرنسا ومصر الضوضاء، دراسة تأصيلية مقارنة في القانون الإداري البيئي والشريعة الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨.
- (٦) د. حلمي الدقوقي، رقابة القضاء على المشروعية الداخلية لأعمال الضبط الإداري - دراسة مقارنة، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩.
- (٧) د. يس عمر يوسف، استقلال السلطة القضائية في النظامين الوضعي والاسلامي، دار ومكتبة الهلال، لبنان، ١٩٩٥.
- (٨) د. محمد باهي أبو يونس، الرقابة القضائية على شرعية الجزاءات الادارية العامة، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٠.
- (٩) د. محمد سامي الشوا، القانون الاداري الجنائي، ظاهرة الحد من العقاب، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦.
- (١٠) د. محمد سعد فودة، النظرية العامة للعقوبات الادارية - دراسة فقهية قضائية مقارنة، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠١٠.
- (١١) د. مأمون محمد سلامة، قانون العقوبات (القسم العام)، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٠.
- (١٢) د. ماهر صالح علاوي، حدود السلطة التقديرية، ملتقى تطوير العلاقة بين القانونيين والإداريين، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، أيام ١٩-٢٣ مارس ٢٠٠٦، القاهرة.
- (١٣) د. محمد حسان محمود، الحماية القانونية للبيئة - دراسة ناقدة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١.
- (١٤) د. محمد سامي الشوا، القانون الإداري الجزائي - ظاهرة الحد من العقاب، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧.
- (١٥) د. محمد سعد فودة، النظرية العامة للعقوبات الإدارية، دراسة فقهية قضائية مقارنة، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠١٠.
- (١٦) د. محمد سعد فودة، النظام القانوني للعقوبات الإدارية، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧.

- (١٧) محمد شاهين، القرار التأديبي ورقابته القضائية بين الفاعلية والضمان في نظم العاملين بالدولة والقطاع العام والخاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٦.
- (١٨) د. ناصر حسين محسن أبو جمعة العجمي، الإجراءات الإدارية العامة في القانون الكويتي والمقارن، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٠.
- (١٩) د. سليمان عبد المنعم، أصول الإجراءات الجزائية في التشريع والقضاء والفقهاء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩.
- (٢٠) د. سمير الجنزوري، الغرامة الإدارية - دراسة مقارنة في الطبيعة القانونية للغرامة وقيمتها العقابية، دار العهد الجديد للطباعة، القاهرة، ١٩٦٧.
- (٢١) د. عبد الرؤوف مهدي، المسؤولية الجنائية عن الجرائم الاقتصادية، ط٢، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٧٦، د. محمود مصطفى، الجرائم الاقتصادية في القانون المقارن، ط٢، ج٢، جرائم الصرف، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٩.
- (٢٢) د. عبد العزيز عبد المنعم خليفة، ضمانات مشروعية العقوبات الإدارية العامة، مطابع المنوفية، ٢٠٠٧.
- (٢٣) د. عبد العليم عبد المجيد مشرف، دور سلطات الضبط الإداري في تحقيق النظام العام وأثره على الحريات العامة - دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨.
- (٢٤) د. علي جمعة محارب، التأديب الإداري في الوظيفة العامة - دراسة مقارنة، دار الثقافة، ٢٠٠٤.
- (٢٥) د. غنام محمد غنام، القانون الإداري الجنائي، دار الفكر والقانون للنشر والتوزيع، المنصورة، ٢٠١٩.
- (٢٦) د. خليفة سالم الجهمي، الرقابة القضائية على التناسب بين العقوبة والجريمة في مجال التأديب، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٩.
- (٢٧) د. عبد العزيز عبد المنعم خليفة، ضمانات مشروعية العقوبات الإدارية العامة، مطابع جامعة المنوفية، ٢٠٠٧.
- (٢٨) د. عبد العزيز عبد المنعم خليفة، ضوابط العقوبة الإدارية العامة - تدرج العقوبة من الغرامة الى الغلق الإداري، دار الكتب الحديثة، الاسكندرية، ٢٠٠٨.
- (٢٩) عوايدي عمار، دروس في القانون الإداري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٠.
- (٣٠) صالح المالك، الضبط الجنائي وتشعب المهام، المؤتمر الوطني الثاني للصحة والسلامة الوطنية، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض، ٢٠١٥.
- ثانياً: الرسائل والأطاريح
- (١) علي محمد مظفر، سلطة الإدارة في توقيع الجزاءات في العقود الإدارية في اليمن، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الحقوق - جامعة القاهرة، ٢٠١٢.
- (٢) فيصل نسيعة، الرقابة على الجزاءات الإدارية العامة في النظام القانوني الجزائري، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الحقوق، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ٢٠١٢.
- ثالثاً: المجالات
- (١) مظهر بو جلال صلاح الدين، الجزاءات الإدارية بين ضرورات الفعالية الإدارية وقيود حماية الحقوق والحريات الأساسية - دراسة مقارنة، مجلة للعلوم الاجتماعية، جامعة محمد أمين، العدد ١٩، ديسمبر، ٢٠١٤.

(٢) د. موسى مصطفى شحادة، الجزاءات الإدارية في مواجهة مخالفات الإعلام المرئي والسمعي ورقابة القضاء الإداري في فرنسا عليها، مجلة الشريعة والقانون، كلية القانون جامعة الإمارات العربية المتحدة، العدد ٦٠، أكتوبر، ٢٠١٤.

(٣) د. غنام محمد غنام، القانون الإداري الجنائي والصعوبات التي تحول دون تطوره، القسم الأول والثاني، مجلة الحقوق، جامعة الكويت، العدد ١، مارس ١٩٩٤.

رابعاً: القوانين

(١) قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩.

(٢) قانون اصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١.

(٣) قانون واجبات رجل الشرطة رقم ١٧٦ لسنة ١٩٨٠.

(٤) القانون رقم (٦) لسنة ٢٠٠٨ المعدل لقانون العقوبات .

(٥) قانون المرور العراقي رقم (٨) لسنة ٢٠١٩.

تحديد مهارات مدرسي الفيزياء في التعلم الإلكتروني خلال جائحة كورونا Covid-19

نهلة عزيز فارس الفارس

مدرس (بكالوريوس) التخصص : الفيزياء

المديرية العامة لتربية البصرة – متوسطة فاطمة الصغرى للبنات

nahlaalfariss60@yahoo.com

الملخص

مشكلة الدراسة:

تأتي الدراسة إستكمالاً للإجراءات الوقائية والاحترازية للسيطرة على الأزمة التي ولدتها جائحة كورونا سنة ٢٠٢٠ ، فقد تم تعليق الحضور الفعلي للطلاب والمدرسين ، وتوجيه المدرسين حول أهمية التعلم الإلكتروني والإفادة من المنصات التعليمية من خلال شبكة الأنترنت .

تبرز أهمية مشكلة الدراسة من خلال الإهتمام بعلم الفيزياء وتوظيف المعرفة العلمية في ممارسات الحياة اليومية وتنمية تفكير الطلاب وغرس الإتجاهات الإيجابية نحو التعلم الإلكتروني .

تحددت مشكلة البحث بالإجابة على السؤال الآتي :

ما هي مهارات مدرسي الفيزياء في التعلم الإلكتروني خلال جائحة كورونا Covid – 19؟ .

أهداف الدراسة :

هدفت الدراسة إلى الكشف عن مهارات مدرسي الفيزياء في التعلم الإلكتروني خلال جائحة كورونا Covid – 19 ، وإعداد مقياس لتحديد مهارات مدرسي الفيزياء في التعلم الإلكتروني خلال جائحة كورونا Covid-19 .

أهمية الدراسة :

تجسدت أهمية الدراسة النظرية والتطبيقية من خلال تحديد المهارات التي تدعم التطور المهني لمدرسي الفيزياء في التعلم الإلكتروني وإثراء الميدان التربوي في مجال الكشف عن أحدث التقنيات الرقمية وتوجيه الأنظار الى أهمية نظرية التعلم الرقمي ، وتعد هذه الدراسة إستجابة للإتجاهات العالمية الحديثة في مجال تكنولوجيا التعليم وفي مواجهة أزمة كورونا ، مما يفتح آفاقاً متعددة للمعرفة وأن يطوعها لاحتياجات المتعلم وأتمات التعليم .

منهج الدراسة :

إستخدم الباحث منهج البحث الوصفي التحليلي .

إجراءات الدراسة :

أعد الباحث استبيان الكتروني على وفق مقياس ليكرت الثلاثي ، وتم التحقق من الصدق بعرضه على مجموعة من الخبراء والمحكمين في إختصاص الفيزياء وتم نشره عبر وسائل التواصل الاجتماعي ، تضمن قائمة بأبرز مهارات مدرسي الفيزياء في التعلم الإلكتروني خلال جائحة كورونا كآتي :

- ١- إستراتيجيات التعلم الإلكتروني
- ٢- إنشاء ملف الإنجاز الإلكتروني
- ٣- تصميم الإختبارات الإلكترونية
- ٤- إدارة المعرفة الشخصية
- ٥- مهارات التواصل الإلكتروني التعليمي

تم استخدام الوسائل الإحصائية لمعالجة البيانات : الوسط المرجح ، الوزن المنوي ، الإنحراف المعياري . والتوصل إلى النتائج وقد أوصى الباحث : عقد دورات تدريبية للمدرسين في التعلم الإلكتروني وإعداد دليل يوضح الإستراتيجيات الحديثة في التدريس وعقد ندوات للمجتمع حول أهمية التكنولوجيا والاتصالات .

الكلمات المفتاحية : المهارات ، التعلم الإلكتروني ، الإختبار الإلكتروني ، التواصل الإلكتروني ، الفيزياء .

Key words: skills, e-learning, e-test, e-communication, physics.

Abstract

The study comes as a complement to the preventive and precautionary measures to control the crisis generated by the Corona pandemic in 2020, the actual attendance of students and teachers has been suspended, and teachers have been instructed on the importance of e-learning and benefit from educational platforms through the Internet.

The importance of the study problem arises through the interest in physics, the use of scientific knowledge in daily life practices, the development of student thinking, and the cultivation of positive trends towards e-learning .

The research problem was determined by answering the following question:

What are the skills of physics teachers in e-learning during the Covid-19 Corona Covid-19 ?.

Objectives of the study :

The study aimed to reveal the skills of physics teachers in e-learning during the Corona Covid-19 pandemic and set a future vision after experimenting with social spacing and stone at home, legalizing the movement of students and teachers, and curfews, which encourages them access to the educational institution, and shows the extent of students' interaction with this reality that requires them Circumstances .

The importance of studying:

The importance of theoretical and applied study was embodied by identifying the skills that support the professional development of physics teachers in e-learning and enriching the educational field in the field of revealing the latest digital technologies and directing attention to the importance of digital learning theory, and this study is a response to modern global trends in the field of educational technology and in the face of a crisis Corona, which opens up multiple perspectives for knowledge and volunteers for the needs of the learner and patterns of education .

Study Approach :

The researcher used the descriptive analytical research method .

Study procedures :

The researcher prepared an electronic questionnaire according to the Likert triple scale, and honesty was verified by presenting it to a group of experts and arbitrators in the specialty of physics and was published via social media, the number of the participating sample reached (250), including a list of the most prominent skills of physics teachers in e-learning during the Corona pandemic As follows:

E- Learning strategy .

Create an electronic achievement file

Designing electronic tests

Personal knowledge management

Educational electronic communication skills

Statistical methods were used to process the data: weighted mean, percentage weight, and standard deviation. And come to the results.

The researcher recommended: holding training courses for teachers in e-learning, preparing a guide explaining modern teaching strategies and holding community seminars on the importance of technology and communication

Key words: skills, e-learning, e-test, e-communication, physics .

Curriculum Vitae :

Participation in the international conferences Ress 2 and Babir 3 organized by the University of Banderma and the Babir Center for Research and Studies in Turkey and attendance at the tenth international conference organized by the American Research Foundation in coordination with the Arab Conferences Network in Istanbul 2019 and obtain certificates of thanks and appreciation, and participate in the fourth Babir conference by presenting the tagged research (Effectiveness of using mind maps in physics teaching in developing visual thinking among middle school student) Open and attend the training workshops held in Turkey during the conferences. I also received thanks and appreciation from the Advanced Training Center in the south for the leadership of the Basra Governorate Police for my participation in the educational training course 2020. And a number of thanks from the General Directorate of Education for Basra Governorate to achieve a success rate of 90% or more in the ministerial exams in the physics course.

المقدمة : تعد الفيزياء أحد فروع العلوم ومن المناهج المهمة في حياة الطلاب وذلك لكون علم الفيزياء هو علم غني بالمعارف الدقيقة عن الكون والاشياء فهو يزودنا بفهم لأساس القوانين الطبيعية في الحياة بالاضافة إلى انه يعتبر أساس لمعظم التقنيات المتقدمة التي يسرت حياة البشر في العصر الحديث. و ظهرت حركات إصلاحية لتطوير تدريس العلوم والتربية العملية وضرورة التقويم باستخدام المعايير العالمية ، و تعد المعايير محركات أساسية لضمان الجودة في العملية التعليمية لتدريس العلوم ، وتمثل تلك الحركات في حركة العلم والتقنية والمجتمع ، والعلم لكل الأمريكيين (مشروع ٢٠٦١).

"AAAS"Americans Association for the Advancement of science

ومشروع المجال والتتابع والتناسق (٢٠٠٠) . وحركة المعايير القومية للتربية العلمية

.National Science Education Standards (NSES)

فضلا عن دراسة التوجهات الدولية للرياضيات والعلوم.

)TIMSS (Trends of the International Mathematics and science

الفصل الأول : الإطار العام للبحث

مشكلة البحث :

تأتي الدراسة إستكمالاً للإجراءات القانونية و الوقائية و الإحترازية للسيطرة على الأزمة التي ولدتها جائحة كورونا سنة ٢٠٢٠ ، فقد تم تعليق الحضور الفعلي للطلاب والمدرسين ، وتوجيه المدرسين حول أهمية التعلم الإلكتروني والإستفادة من المنصات التعليمية من خلال شبكة الانترنت ، فالمعلم يعد أحد أهم مدخلات العملية التعليمية والمحور الرئيسي فيها وبالتالي فإن تناول قضاياها وتحديد مهاراته وأدواره وتحديث أساليب إعداده وتدريبه يساهم بلا شك في إصلاح العملية التربوية و في تغيير الوضع الراهن التقليدي . حددت مشكلة البحث بالإجابة على السؤال الاتي : ماهي مهارات مدرسي الفيزياء في التعلم الإلكتروني خلال جائحة كورونا ؟Covid-19.

تبرز أهمية مشكلة الدراسة من خلال الاهتمام بعلم الفيزياء وهو علم غني بالمعارف الدقيقة عن الكون والأشياء فهو يزودنا بفهم لأساس القوانين الطبيعية في الحياة بالإضافة إلى أنه يعتبر أساس لمعظم التقنيات المتقدمة التي يسرت حياة البشر في العصر الحديث ، فإذا أرادت أمة أن تصبح غنية فلا بد لها من اكتساب درجة عالية من الخبرة في الفيزياء البحتة والتطبيقية.

- وقد أوصت بعض البحوث والدراسات بضرورة تطوير وتحسين مهارات أداء مدرس الفيزياء في ضوء التكامل بين العلوم والتقنية .
- توظيف المعرفة العلمية في ممارسات الحياة اليومية .
- تنمية التفكير النقدي والتفكير الإبداعي لدى الطلبة .
- غرس الاتجاهات الإيجابية لديهم نحو التعلم الإلكتروني .

أهمية الدراسة :

تجسدت أهمية الدراسة النظرية والتطبيقية من خلال تحديد المهارات التي تدعم التطور المهني لمدرسي الفيزياء في التعلم الإلكتروني وإثراء الميدان التربوي في مجال الكشف عن أحدث التقنيات الرقمية، وتوجيه الأنظار إلى أهمية نظرية التعلم الرقمي. وتعد هذه الدراسة استجابة للإتجاهات العالمية الحديثة في مجال تكنولوجيا التعليم وفي مواجهة أزمة كورونا ، مما يفتح آفاقاً متعددة للمعرفة وأن يطوعها لإحتياجات المتعلم و أنماط التعليم .

أهداف الدراسة :

- ١- هدفت الدراسة إلى الكشف عن مهارات مدرسي الفيزياء في التعلم الإلكتروني خلال جائحة كورونا Covid-19.
- ٢- إعداد مقياس لتحديد مهارات مدرسي الفيزياء في التعلم الإلكتروني خلال جائحة كورونا Covid-19 .

منهج البحث:

استخدم الباحث منهج البحث الوصفي التحليل في الدراسة النظرية ووصف وتحليل الدراسات السابقة و الأدب التربوي .

حدود البحث:

الحدود البشرية: مدرسي الفيزياء ضمن واقع محافظة البصرة.

الحدود الزمانية: الفصل الدراسي الاول ٢٠٢٠ .

الحدود المكانية: محافظة البصرة - المديرية العامة لتربية البصرة. متوسطة فاطمة الصغرى للبنات .

الحدود الموضوعية: بحث الباحث مهارات مدرسي الفيزياء في المجالات الأتية :

١ . استراتيجيات التعلم الإلكتروني .

٢ . مهارات انشاء ملف الانجاز الإلكتروني .

٣ . مهارات تصميم الاختبارات الإلكترونية.

٤. مهارات إدارة المعرفة الشخصية .

٥. مهارات التواصل الإلكتروني التعليمي.

المصطلحات :

١. **المهارات** : يعرفها الباحث بأنها القدرات التي يحتاجها مدرس الفيزياء لتحقيق مردود تعليمي في وحدات مقرر الفيزياء ، وتمثل بمعرفة (إستراتيجيات التعلم الإلكتروني ، تصميم الاختبارات الإلكترونية ، وإنشاء ملف الانجاز الإلكتروني ، و إدارة المعرفة ، والتواصل الإلكتروني .
٢. **التعلم الإلكتروني** : هو نظام تعليمي يتم تخطيطه وتنفيذه إلكترونياً عبر تقنية المعلومات والاتصالات داخل شبكة الانترنت ، أي هو نمط من أنماط التعليم تستخدم فيه الوسائط الإلكترونية من الحاسب الآلي وشبكات الانترنت والوسائط الإلكترونية الأخرى لإتمام عملية التفاعل التعليمي بين المعلم والمتعلم ومصادر التعلم .
٣. **الإختبار الإلكتروني** : هو وسيلة من وسائل التقويم التي يتم تصميمها وبنائها وتطبيقها وتصحيحها إلكترونياً بهدف قياس الجانب المعرفي للمتعلم . وهو أحد تقنيات الحاسب الآلي التي يمكن توظيفها للتغلب على بعض الصعوبات التي تعيق الإختبارات الورقية وتوظيفها لزيادة التحصيل العلمي لدى المتعلم وترسيخ المعلومات ، وتنمية مهارات التعلم الذاتي .
٤. **التواصل الإلكتروني**: هو عملية يتم فيها تبادل المعلومات باستخدام وسائل تكنولوجية حديثة : سكايب ، الفيس بوك ، اليوتيوب .
٥. **الفيزياء** : مجموعة الحقائق والمعارف والمهارات التي تختص بعلم الفيزياء الذي يهتم بدراسة سلوك وتفاعلات المادة في الإطار المادي الزمني .

ويعرفها الباحث إجرائياً : هي جميع مقررات الفيزياء التي تطبقها وزارة التربية على طلبة المرحلة المتوسطة في العراق .

الفصل الثاني : الإطار النظري

إن ظهور التعلم الإلكتروني يستند إلى مجموعة أسس ومبادئ تحدد ممارساته وفيما يلي أهم النظريات التي يقوم عليها التعلم الإلكتروني وهي:

١. نظرية الحوار : conversation theory

إن عالم النفس جوردن باسك Gordon pask ، قام بوضع نظرية الحوار كنظرية عامل للاتصال بين البشر وللتفاعل الاجتماعي بينهم، وقد تم تطوير هذه النظرية بوصفها نظرية للتعلم ، حيث تؤكد على أن الحوار بين المشاركين في المجموعة يمددهم بفائدة تختلف في النوع والدرجة من شخص لآخر ، و أن هذا الحوار يمر بثلاث مستويات تبدأ بمناقشة عامة ، ثم مناقشة الموضوع ، ثم التحدث عن التعلم الذي تم حدوثه ، وهذا الحوار له دور كبير في تصميم التفاعل بين المتعلمين ، وأكدت النظرية على أن هناك أربعة عناصر أساسية لأي حوار هي : مغزى المحادثة ، التبادل ، الكفاءة ، والتحكم .

٢. نظرية النشاط : Activity Theory

وهي من أهم النظريات التي قام بوضعها كل من فيجوتسكي ولوتشيف عام ١٩٧٨ لدعم التعلم الإلكتروني الاجتماعي وتقوم على سبعة عناصر رئيسة كالآتي :

١. الموضوع : subject

يتم تحديده من خلال الجهات المشاركة في النشاط .

٢. الأدوات: Instruments

تتضمن تحديد النظريات والأساليب والموارد والدعم والأدوات المستخدمة على شبكة الأنترنت وبيئات النشاط التشاركي .

٣. الكائن: Objective

هي المنتجات التعليمية المتوقع إنتاجها من الأنشطة.

٤. المجتمع : community

السياق الاجتماعي الثقافي الذي يحدث فيه النشاط .

٥. القواعد: Rules

القواعد والمعايير الضمنية الصريحة التي تقيد النشاط في المجتمع .

٦. تقسيم المهام: Division of Labor

تحديد الأدوار والعلاقات الأفقية والرأسية داخل المجتمع التي تؤثر على تقسيم المهمة .

٧. الناتج : outcome

هي نتيجة تحول الكائنات التعليمية إلى منتجات تعليمية تم إنتاجها.^(١)

النظرية التواصلية: Connectivism theory

وهي نظرية تربوية جديدة تستطيع أن تدرس النمو الاجتماعي للمعرفة عبر التكنولوجيات الحديثة وهو ما نطلق عليه، (المعرفة المجتمعية المستدامة) ، وتحمل هذه النظرية صفة التواصلية Connectivism وتتعامل مع الويب كشبكة معارف شخصية يتم إنشاؤها بغية اشراك الناس في التنشئة الاجتماعية والتفاعل على ويب ٢,٠ وهي تسعى جاهدة للتغلب على القيود المفروضة على كل من النظرية السلوكية Behaviorism والإدراكية Cognitivist والبنائية Constructivism وذلك بهدف استحداث نظرية جديدة في العصر الرقمي ، هذه النظرية تستخدم مفهوم الشبكة التي تتكون من عدة عقد تربط بينها وصلات ، تمثل العقد المعلومات والبيانات على شبكة الأنترنت وهي أما نصية أو صوت أو صورة ، اما الوصلات تمثل عملية التعلم ذاتها ، وهذا المفهوم متوافق مع المدونات والويكي والشبكات الاجتماعية .

(١) حمادة ، أمل إبراهيم إبراهيم ، آية طلعت اسماعيل، أثر تصميم بيئة للتعليم الإلكتروني التشاركي قائمة على بعض أدوات الويب ٢ وفقاً لمبادئ النظرية التواصلية على تنمية مهارات إدارة المعرفة الشخصية لدى طلاب الحاسب الآلي ، دراسات عربية في التربية وعلم النفس ASEF ، العدد ٥٦ ، ج٢، ديسمبر ٢٠١٤ . ص١٤٨-

مميزات التعلم الإلكتروني :

١. إنشاء بيئة تعلم نشطة، استكشافية، تعمل على تعزيز تفاعل وتواصل الطلاب من خلال أدوات الاتصال المتزامنة وغير المتزامنة، مما يعمل على تطوير مهارات التواصل الاجتماعي والعلاقات الشخصية بين أعضاء الفريق. (١)
٢. تعزيز عادات الدراسة المستقلة في الزمان والمكان من خلال الأنشطة التربوية .
٣. استخدام استراتيجيات منهجية في عملية التشارك والتفاعل بين الطلاب على شبكة الإنترنت .
٤. الحصول على نتائج تعليمية أفضل في وقت أقصر .
٥. البقاء على ذهن الطالب (تركيزه) حاضراً .

استراتيجيات التعلم التعاوني الإلكتروني :

١. استراتيجية مصفوفة الذاكرة : وهي استراتيجية تعتمد على إعطاء المعلمين مصفوفة تعليمية تحتوي على فراغات في بنية المحتوى التعليمي ، وتعمل مجموعة الطلاب على تكامله للوصول إلى محتوى متكامل في بنيتها ، ويمكن للمتعلمين الرجوع إلى المصادر للوصول لحل المصفوفة . وتنفذ هذه الاستراتيجية إلكترونياً من خلال صفحات الويب والمدونات .
٢. إستراتيجية التفكير الثنائي : يطرح المعلم سؤال ، ويمنح الوقت الكافي لكل طالب في مجموعة ثنائية للتفكير للإجابة ، وفي حال كانت فرق التعلم أكثر من اثنين يتم تكامل إجابات الطلاب في المجموعة فيما بينهم وتنفذ الاستراتيجية باستخدام لوحات النقاش أو الويكي . (٢)
٣. إستراتيجية الأسئلة الموجهة : يقوم المعلمين بتوجيه سؤال لبعضهم حول موضوع فيزيائي معين لتنمية مهارات التفكير الناقد لديهم ، تنفذ الاستراتيجية من خلال الشبكات الاجتماعية و المنتديات . (٣)
٤. إستراتيجية تكامل المعلومات : يتم تقسيم الطلاب إلى مجموعات تتكون من (٤-٦) طلاب ، ويقسم الموضوع إلى مهام، لكل طالب مهمة ، ويحدد وقت للإنجاز ، ويقوم كل طالب بشرح موضوع المهمة للطلاب الآخرين لغرض المناقشة ومساعدة بعضهم البعض الآخر ، لتحقيق أهداف معينة .
٥. إستراتيجية التعلم معاً : يتم تقسيم الطلاب على مجموعات من ٣-٧ أعضاء غير متجانسين في المستوى التحصيلي ويعملون معاً في مهام مشتركة وفي النهاية يقدمون تقريراً عن نتائج العمل ويتم التقويم خلال المنتج النهائي للمجموعة. تعد هذه الاستراتيجية من أكثر استراتيجيات التعلم التعاوني إنتشاراً في البحوث والدراسات التربوية والنفسية ، وتؤيد التوجه نحو استخدام استراتيجية التعلم معاً نظرية الحمل المعرفي cognitive load theory ، و تشير توجهات

(١) . Jones, R.G. Emerging Technologies, Blogs and wiki: Environments for on –line collaboration, p:6.Virginia Commonwealth University, Language Learning & Technology, Vol.7. , No.2, May, 2003 .
(٢) Smith, M.C & wining – Diaz, A. (2004) . Increasing student's Interactivity in an online course. The Journal of Interactive online learning 2 (3) PP: 1-25.

²⁾Slavin, R.E Cooperative Learning: Theory, research, and practice (7nd ed.) Boston: Allyn & (Bacon. (2006

هذه النظرية إلى أن جماعة الأداء في جميع خطوات هذه الإستراتيجية قد يعمل على تخفيف الحمل المعرفي على ذاكرة الطلاب.

مهارات التواصل الإلكتروني التعليمي :

لقد تضاءلت طرق التواصل التقليدية في المدة الأخيرة خاصة مع زيادة استخدام الرسائل الإلكترونية والتخاطب الكتابي الأني واستخدام الهواتف المتنقلة وغيرها من أدوات الاتصال الإلكتروني ، مما أدى إلى خلق لغة جديدة لتأكيد التواصل الحي بين الأفراد . وتعد مهارات التواصل الإلكتروني التعليمي أحد أهم المهارات التعليمية الحديثة التي ينبغي تلمتها لدى المتعلمين لارتباطها الوثيق بطبيعة العصر المعلوماتي الحالي وتأثيرها على العملية التعليمية ، حيث يمكن من خلالها أن يكتسب المتعلم القدرة على التواصل مع المحتوى التعليمي والمعلم وزملائه بطريقة إيجابية بالإضافة إلى مهارات التعلم التشاركي والتعلم النشط . ولكي يستطيع المتعلم التعامل مع مقرراته الإلكترونية والقيام بأنشطة التعلم المتنوعة عبر الإنترنت لابد أن يكتسب مهارات التواصل الإلكتروني . وقد أشار الفقي إلى الاتصال الإلكتروني التعليمي باعتباره عملية حيوية تهدف إلى إثراء الخبرات التعليمية ونقلها بين الأفراد عبر أنظمة اتصالات محلية ودولية على درجة عالية من التقنية والدقة والسرعة ، وعرفه عبدالجليل : بأنه عملية تفاعلية بين أطراف العملية التعليمية لنقل الخبرات التعليمية بينهم عبر أنظمة / شبكات اتصال بطريقة متزامنة أو غير متزامنة ، ويرى الخير أن التواصل الإلكتروني عبر شبكة الإنترنت هو استخدام الوسائط الإلكترونية لمشاركة المعلومات وتطوير قدرات الأفراد عند الاتصال بالزملاء . وفي نفس السياق أوضح كلا من أبو درب ، أن مهارات التواصل الإلكتروني تتضمن مجموعة الأداءات العقلية والحركية المرتبطة بالتفاعل بين المتعلمين بعضهم البعض بهدف إنتاج ونقل وتبادل المعلومات باستخدام بعض الوسائط التقنية ، مثل مهارات البحث عن المعلومات ، وتكوين المجموعات وإدارة الصفحات التعليمية ، والتعامل مع الواقع الافتراضي .

ويشمل التواصل الإلكتروني استخدام كافة وسائل الاتصال الحديثة من خلال شبكة الإنترنت والشبكات الرقمية والألياف الضوئية والإشارات اللاسلكية وغيرها ، التي توفر خدمات للمستخدمين مثل المحادثة الفورية والرسائل الخاصة والبريد الإلكتروني والفيديو والتدوين الصوتي والمرئي وبرامج مشاركة الملفات ، وتشمل أيضاً شبكات التواصل الاجتماعي التي تجمع الملايين من المستخدمين ومنها Facebook، Google plus، My space ، Twitter . وتمثل أهم إيجابيات الاتصال الإلكتروني في تقليص المسافات وربط الأفراد عن بعد ومعرفة معلومات جديدة عن الثقافات الأخرى والتعرف على الأحداث في مختلف أنحاء العالم ، ولا تتوقف أهمية وسائل التواصل الإلكتروني وفوائدها عند التواصل بين الأصدقاء وفي الخدمات الشخصية ، بل هناك شبكات تستخدم في تكوين بيئات تعلم إلكترونية تجمع المعلمين والخبراء والمتعلمين لتبادل الأفكار والموضوعات (١).

معوقات استخدام التعليم الإلكتروني :

المعوقات التي تواجه المدرسين في استخدامهم للتعليم الإلكتروني:

- ضعف شبكة الإنترنت داخل بعض القاعات الدراسية .
- قلة المعامل الخاصة بالتعليم الإلكتروني .
- غموض القواعد المنظمة لإستخدام التعليم الإلكتروني .

(١) . شاهيناز محمود أحمد علي . أثر بيئات التعلم الإلكتروني الاجتماعي القائمة على منصات التواصل الاجتماعي على تنمية مهارات التواصل الإلكتروني التعليمي

لدى طالبات كلية التربية . مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس . العدد ٦٨ ج ٢٠١٦ . ٢٠٢٠

- عدم وجود فنيين مختصين بالقسم لدعم أعضاء هيئة التدريس في مجال التعليم الإلكتروني.
- قلة البرامج التدريسية الخاصة بالتعليم الإلكتروني .
- قلة التجهيزات التقنية داخل القاعات الدراسية.

وهناك معوقات تعيق الطالب في استخدامه التعليم الإلكتروني.

- ضعف قدرة الطالب على أداء الأعمال المطلوبة من خلال وسائل التعليم الالكترونية بسرعة وجودة عالية.
- انشغال المتعلمين بالدخول إلى مواقع غير مرتبطة بعملية التعليم.
- قلة الحوافز التشجيعية التي تدفع الطلاب لاستخدام التعلم الإلكتروني.
- قلة امتلاك المتعلمين لأجهزة الحاسب الآلي .
- عدم إلمام المتعلمين بكيفية الاتصال بالمعلم والمتعلمين الآخرين إلكترونياً .
- لا توجد الرغبة والدافعية المستمرة في التعليم من خلال التعلم الإلكتروني. (١)

دراسات سابقة:

دراسة الشكري والسلمي (٢٠١٨):

- هدفت الدراسة إلى التعرف على المهارات التدريسية لدى مدرسي الفيزياء والرياضيات وعلاقتها بآمنات التعلم عند طلبة المرحلة المتوسطة والتحقق من أهداف الدراسة وضعت الأسئلة الآتية :
١. ما المهارات التدريسية التي يمارسها مدرسي مادتي الفيزياء والرياضيات .
 ٢. ما أنماط التعلم التي يمتلكها طلبة المرحلة المتوسطة في مادتي الفيزياء والرياضيات .
 ٣. هل هناك علاقة ارتباطية بين المهارات التدريسية و أنماط تعلم الطلبة .

تكونت عينة الدراسة من ٢٢٩ مدرس ومدرسة لمادتي الفيزياء والرياضيات اعتماد نسبة ٥٠% من مجتمع المدرسين ، أما عينة البحث في الطلبة فكانت ١٢٤٩ طالباً وطالبة باعتماد نسبة ٢٥% من مجتمع الطلبة ، اختيرت عشوائياً من المدارس ، وتم تحديد المهارات التدريسية ب ١٠ عشرة مهارات . وتم اعتماد تصنيف هيرمان ، كما وقام الباحثان ببناء أدوات البحث وهي : مقياس المهارات التدريسية المكون من ٥٠ فقرة وإختيار أنماط التعلم المكون من ٦٨ فقرة موضوعية من نوع الإختيار من متعدد ، توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية : أن الطلبة يمتلكون مستوى جيد من أنماط التعلم في حين أن المهارات التدريسية لدى المدرسين في بعض مجالاتها لم تبلغ الحد المطلوب ، أما فيما يتعلق بالعلاقة الإرتباطية فأن هناك علاقة طردية قوية بين مهارات التدريس التي يمارسها المدرسين وأنماط تعلم طلبتهم . (٢)

دراسة : تاج السر وإبراهيم (٢٠١٤) :

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مدى توافر كفايات التعلم الإلكتروني لدى معلمي مادة الفيزياء بالمرحلة الثانوية بمحلة أمدرمان الكبرى ، من خلال الإجابة عن : مدى توافر كفايات التعلم الإلكتروني لدى معلمي مادة الفيزياء بالمرحلة الثانوية

(١) .العربي ، عبداللطيف بن محسن . معوقات إستخدام التعلم الإلكتروني لدى أعضاء هيئة التدريس بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة من وجهة نظرهم . مجلة

دراسات عربية في التربية وعلم النفس ASEP . العدد ٦٥ ، ٢٠١٥ ، ص ٢٦٩-٢٩٢ .

(٢) . الشكري ، حامد خير الله ، السعيد ، حنان عباس صاحب (المهارات التدريسية لدى مدرسي الفيزياء والرياضيات وعلاقتها بآمنات التعلم عند طلبة المرحلة

المتوسطة).مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية الإنسانية /جامعة بابل كانون أول /٢٠١٨/ ص١٩٠٦-١٩٠٧ .

، ومدى إسهام تطبيقات الأنترنت في تسهيل تدريس مادة الفيزياء بالمرحلة الثانوية ، والعلاقة ما بين استخدام تطبيقات التعلم الإلكتروني في تدريس مادة الفيزياء وتحسين أداء الطلاب بالمرحلة الثانوية ، والمعوقات التي تحد من توظيف التعلم الإلكتروني في تدريس مادة الفيزياء بالمرحلة الثانوية. طبقت هذه الدراسة على عينة من المعلمين والمعلمات موزعين على المدارس الثانوية بمحلية أمدرمان الكبرى . ومن أهم النتائج التي وصلت إليها الباحثة:

تتوافر كفايات الثقافة الحاسوبية والإنترنت بدرجة متوسطة لدى معلمي مادة الفيزياء بالمرحلة الثانوية وإسهام التعلم الإلكتروني الكبير في تسهيل تدريس مادة الفيزياء بالمرحلة الثانوية والمعوقات التي تحول دون توظيف التعلم الإلكتروني في تدريس مادة الفيزياء تتمثل في :عدم وجود برامج تدريبية على تطبيقات التعلم الإلكتروني ، وعدم إلمام المعلمين بأساليب استخدام تطبيقات التعلم الإلكتروني وعدم توافر بيئة تعليمية ملائمة وضعف الوعي العام بأهمية الاستخدام للتعلم الإلكتروني وتفضيل الطريقة التقليدية على الحديثة في تدريس مادة الفيزياء .^(١)

التعقيب على الدراسات السابقة :

تباينت الدراسات السابقة في تحديد الأهداف ، وإتفقت الدراسة الحالية مع دراسة الشكري (٢٠١٨) في تحديد مهارات مدرسي الفيزياء ، وإعتمدت الدراسة الحالية على المنهج الوصفي التحليلي ، فيما إعتمدت دراسة الشكري والسميري على منهج الدراسات الإرتباطية . كما وتباينت الدراسات السابقة في تحديد حجم العينة بين (٥٠) كحد أدنى و (٢٢٩) كحد أعلى من المدرسين ، وإستفاد الباحث من الدراسات السابقة والأدب التربوي في بناء المقياس والتعرف على المهارات الأساسية لمدرسي الفيزياء في التعليم الإلكتروني ، وفي إغناء الدراسة بالمصادر المهمة .

إجراءات البحث :

تتضمن وصفاً للإجراءات المتبعة من حيث تحديد مجتمع البحث وعينته وطريقة اختيارها ، فضلاً عن خطوات بناء مقياس للتعرف على إتجاهات العينة لمهارات مدرس الفيزياء في التعلم الإلكتروني خلال جائحة كورونا covid -19 ، و إجراءات تنفيذها و الأساليب الإحصائية المتبعة في معالجة البيانات وتحليلها إحصائياً .

١ . مجتمع البحث: يشمل مجتمع البحث على جميع مدرسي الفيزياء ضمن ملاك المديرية العامة لتربية البصرة، للعام الدراسي ٢٠١٩-٢٠٢٠، كما مبينة في جدول (١) أدناه:

جدول (١)

توزيع المجتمع حسب الجنس

النوع	العدد
ذكور	١٠٢
إناث	١٤٨
المجموع	٢٥٠

^(٢) عباس ، إيناس تاج السر ، إبراهيم عزالدين ، كفايات التعلم الإلكتروني ومدى توافرها لدى معلمي الفيزياء للمرحلة الثانية ، إطرحة دكتوراه ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، كلية التربية ، ٢٠١٤ .

٢. عينة البحث : هي عبارة عن مجموعة من الأفراد التي يتم سحبها من المجتمع الأصلي الذي يراد بجنه (١) ويتميز استخدام أسلوب العينات بسهولة جمع البيانات وتبويبها ، وتخفيض النفقات وتوفير الجهد والزمن (٢)

تم إختيار عينة البحث بالطريقة العشوائية كما موضح في الجدول أدناه :

جدول (٢)

توزيع العينة الأساسية حسب الجنس

النوع	العدد
ذكور	١٣
إناث	٣٧
المجموع	٥٠

٣. أداة البحث : قام الباحث ببناء مقياس لتحديد مهارات مدرسي الفيزياء في التعليم الإلكتروني خلال جائحة كورونا ، وتم بناؤه على وفق الخطوات الآتية :

- تحديد الهدف من المقياس : يهدف المقياس إلى تحديد إمتلاك مدرسي الفيزياء للمهارات التدريسية ونسبة ممارستها عن بُعد .
- تحديد المهارات التدريسية : عن طريق إستبيان استطلاعي مفتوح تم توزيعه على الخبراء والمحكمين تخصص الفيزياء وطرائق تدريس الفيزياء .
- صياغة فقرات المقياس : من خلال الاطلاع على الأدب التربوي والابحاث السابقة ، بما يتلائم مع تلك المهارات ، وبلغ عددها (٢٩) فقرة ، بما يغطي المجالات الرئيسية كآآتي :

جدول رقم (٣)

مجالات مقياس ليكرت وعدد فقراته

المجال	عدد الفقرات
إستراتيجيات حديثة في التعلم الإلكتروني	٥
مهارات إنشاء ملف الإنجاز الإلكتروني	٧
مهارات تصميم الإختبارات الإلكترونية	٦

(١) عبدالرحمن ، أنور حسين ، وزنكة ، عدنان حقي ، (٢٠٠٨) . الأسس التصورية والنظرية في مناهج العلوم الانسانية والتطبيقية ط ١ ، دار الكتب والوثائق . بغداد ، ص٣٠٩ .

(٢) . الأسدي ، سعيد جاسم ، سندس عزيز فارس الأساليب الإحصائية في البحوث للعلوم التربوية والنفسية والاجتماعية والإدارية والعلمية ، ط١ ، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان (٢٠١٥) ، ص١١٨ .

٦	مهارات إدارة المعرفة الشخصية
٥	مهارات التواصل الإلكتروني
٢٩	المجموع

تم بناء المقياس على وفق مقياس ليكرت الثلاثي^(١) (موافق ، محايد ، غير موافق) للتعرف على إتجاهات العينة الأساسية حول المهارات وفقاً للأوزان (١،٢،٣) على التوالي ،^(٢) وفيما يأتي فقرات المقياس الأساسية و الفرعية:

أولاً :المهارات التي يمتلكها مدرس الفيزياء حول الاستراتيجيات الحديثة في التعلم الالكتروني وتشمل :

١. استراتيجية مصفوفة الذاكرة .
٢. استراتيجية الاسئلة الموجهة.
٣. استراتيجية التفكير الثنائي.
٤. استراتيجية البحث الجماعي.
٥. استراتيجية التعلم معاً.

ثانياً : مهارات إنشاء ملف الإنجاز الإلكتروني وتشمل :

١. تحليل محتوى الفيزياء وتحديد الأهداف المعرفية والمهارية والوجدانية .
٢. إعداد الأنشطة والتدريبات.
٣. المقررات الالكترونية (إضافة المحتوى التعليمي).
٤. خلق عناصر تفاعلية .
٥. إضافة ملفات (فيديو ، ميديا ، فلاش) .
٦. إنشاء المشاريع (ملفات الميديا ، الفيديو ، المشغلات).
٧. مهارات تتعلق بالجانب الفني (إعداد الشرائح ، إضافة المحتوى).

ثالثاً : تصميم الإختبارات الالكترونية وتشمل المهارات الاتية :

١. مهارات تصميم الأسئلة (اختبار من متعدد ، الصواب والخطأ ، المطابقة والمزاوجة ، ملئ الفراغات والتكملة)
٢. مهارة تصميم الوسائط المتعددة (الوسيط الصوتي ،الوسيط النصي ، الرسوم المتحركة ، الفيديو).
٣. مهارة زمن الاختبار .
٤. مهارة تأمين الإختبار (حماية قاعدة البيانات ، ومنع الغش ، وحماية البرنامج من الإختراق).

^١. الأسدي ، سعيد جاسم ، سندس عزيز فارس . مناهج البحث العلمي في العلوم التربوية والنفسية و الاجتماعية و الإدارية والفنون الجميلة عروض تحليلية تطبيقية . دار الوضاح للنشر ، المملكة الأردنية الهاشمية ،عمان ، (٢٠١٥) .

^٢ . زهران . حامد عبد السلام علم النفس الاجتماعي ، ط٤. القاهرة ،عالم الكتب .

٥. مهارة تصحيح الإختبار (التصحيح الفوري والإعلان عنها).
٦. مهارة تصميم التغذية الراجعة .

رابعاً: مهارات إدارة المعرفة الشخصية وتشمل :

١. مهارة إنشاء المعلومات الرقمية في أشكال ووسائط متعددة.
٢. مهارة التكامل وتقديم شروحات رقمية وتلخيص تلقائي .
٣. مهارة إعداد الخرائط الذهنية ورسم المخططات.
٤. مهارة إدارة قضايا أمن المحتوى.
٥. مهارة تخزين وحفظ و أرشفة الوثائق.
٦. مهارة التقييم والتقويم.

خامساً : مهارات التواصل الإلكتروني وتشمل :

١. مهارة إدارة الصفحات التعليمية والتعامل مع الواقع الافتراضي .
٢. مهارة ربط الأفراد عن بعد والتعرف على معلومات جديدة عن الثقافات الأخرى.
٣. استخدام الوسائط الإلكترونية لمشاركة المعلومات وتطوير قدرات الأفراد .
٤. استخدام الشبكات الرقمية والاليف الضوئية والإشارات اللاسلكية .
٥. استخدام شبكات التواصل الاجتماعي .

التحقق من صدق المقياس:

تم التحقق من الصدق الظاهري للمقياس بعرضه على مجموعة من الأساتذة الخبراء تخصص الفيزياء وحصلت فقرات المقياس على نسبة أعلى من ٨٠% وتم تعديل بعض الفقرات بضوء آراء المحكمين وبذلك تحقق صدق المحتوى^(١).

تم توزيع المقياس الإلكتروني على مواقع التواصل الاجتماعي وعبر البريد الإلكتروني والفيسبوك والواتساب وتمت الاستجابة على فقراته بلغ عدد المستجيبين (٥٠) مدرس خضعت للتحليل الإحصائي .

التحليل الإحصائي :

(١). الأسدي ، سعيد جاسم ، سندس عزيز فارس مناهج البحث العلمي في العلوم التربوية والنفسية و الاجتماعية و الإدارية والفنون الجميلة عروض تحليلية تطبيقية . دار الوضاح للنشر ، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان (٢٠١٥) .

تم استخراج النسب المئوية للإستجابات ووفقاً للبيانات الواردة في مقياس ليكرت الثلاثي وتمثيلها بطريقة الدائرة، واستخدام الباحث الوسائل الاحصائية الاتية لغرض تحليل النتائج تمهيداً لتفسيرها وهي: الوسط المرجح^(١)، والوزن المئوي^(٢)، والانحراف المعياري^(٣).

نتائج البحث وتفسيرها :

فيما يأتي عرضاً لنتائج البحث على وفق المعالجات الإحصائية مع بيان الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات المستقبلية، وقد تم تصنيف النتائج تبعاً لإهداف البحث :

الهدف الأول:

"الكشف عن مهارات مدرسي الفيزياء في التعلم الإلكتروني خلال جائحة كورونا Covid-19". تم الإطلاع على الأدبيات التربوية فيما يخص مهارات التدريس لمادة الفيزياء والإطلاع على البحوث والدراسات المتعلقة بالتعلم الإلكتروني وفي ضوء الدراسة الاستطلاعية التي وجهها الباحث إلى مدرس الفيزياء وتمكن من الكشف عن المهارات التي يتمتع بها مدرسي الفيزياء في التعلم الإلكتروني كالاتي :

مهارات معرفة استراتيجيات التعلم الحديثة في مجال التعلم الإلكتروني .

مهارات تتعلق بإنشاء ملف الإنجاز الإلكتروني .

مهارات تصميم الاختبارات الإلكترونية .

مهارات إدارة المعرفة الشخصية .

مهارات التواصل الإلكتروني .

الهدف الثاني:

" بناء مقياس لتحديد مهارات مدرسي الفيزياء في التعلم الإلكتروني خلال جائحة كورونا covid -19 "

بعد تحديد المهارات الأساسية استطاع الباحث تحديد فقرات كل مهارة في ضوء الإطلاع النظري والدراسة الاستطلاعية، وتم تحقيق التحقق من الخصائص السيكمومترية (الصدق، والثبات) ، وتم التعرف على درجة أهمية كل فقرة من فقرات المقياس وفقاً

(١). البطش ، أبو زينة ، محمد وليد، فريد كامل . مناهج البحث العلمي تصميم البحث والتحليل الإحصائي ، اشراف سعيد التل، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة (٢٠٠٧)

(٢). الجادري ، عدنان حسين ، الاحصاء الوصفي في العلوم التربوية ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة . ط٢، عمان ،الأردن(٢٠٠٧) ،ص١٢٠ .

(٤) . أبو صالح ،محمد صبحي . الطرق الاحصائية ، الطبعة العربية دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع (٢٠٠٩).

للمهارات المحددة من وجهة نظر عينة البحث الأساسية وعددها (٥٠) ، ويتضح من الجدول () أن الفقرة (خلق عناصر تفاعلية) التي تقع ضمن مهارات إنشاء ملف الإنجاز الإلكتروني ، احتلت المرتبة الأولى بوسط مرجح (٢,٩٦) ووزن محتوى (٩٤,٦٦) . أما الفقرة (استراتيجية التفكير الثنائي) التي تقع ضمن مهارات معرفة الاستراتيجيات الحديثة الخاصة في التعلم الإلكتروني ، احتلت المرتبة الأخيرة قياساً ببقية الفقرات بوسط مرجح (٢,٦٤) ووزن مئوي (٨٨) ، كما يظهر في الجدول الآتي :

جدول رقم (٤)

استجابة أفراد العينة والوسط المرجح والوزن المئوي والانحراف المعياري وترتيب الفقرات

المرتبة	الفقرات	المقياس			الوزن المثوي	الانحراف المعياري
		١	٢	٣		
١	خلق عناصر تفاعلية	٤٨	٢	-	٩٤,٦٦	٠,١٩٧
٢	تصميم الوسائط المتعددة	٤٧	٣	-	٩٨	٠,٢٣٩
٢	ربط الأفراد عن بعد	٤٧	٣	-	٩٨	٠,٢٣٩
٢	استخدام الوسائط الالكترونية لمشاركة المعلومات	٤٧	٣	-	٩٨	٠,٢٣٩
٣	إنشاء ملف إنجاز الكتروني (إضافة ملفات)	٤٦	٤	١	٩٧,٣٣	٠,٢٧٤
٤	إستراتيجية التعلم معاً.	٤٧	٢	١	٩٧,٣٣	٠,٣٤٠
٥	تخزين وحفظ الوسائط	٤٦	٣	١	٩٦,٦٦	٠,٣٦٤
٦	إعداد الأنشطة والتدريبات	٤٤	٦	-	٩٦	٠,٣٢٨
٦	مهارة زمن الاختبار	٤٤	٦	-	٩٦	٠,٣٢٨
٦	التكامل وتقديم شروحات رقمية	٤٤	٦	-	٩٦	٠,٣٢٨
٧	التقويم	٤٦	٢	٢	٩٦	٠,٤٣٥
٨	إنجاز المشاريع	٤٣	٧	-	٩٥,٣٣	٠,٣٥٠
٨	الجانب الفني (إعداد الشرائح)	٤٣	٧	-	٩٥,٣٣	٠,٣٥٠
٨	اختيار من متعدد	٤٣	٧	-	٩٥,٣٣	٠,٣٥٠
٩	تحليل محتوى الفيزياء	٤٤	٥	١	٩٥,٣٣	٠,٤٠٤
٩	مهارة تصحيح الاختيار	٤٤	٥	١	٩٥,٣٣	٠,٤٠٤
١٠	المعلومات الرقمية	٤٤	٥	١	٩٥,٣٣	٠,٤٠٤
١٠	إقامة روابط	٤٤	٥	١	٩٥,٣٣	٠,٤٠٤
١١	إستخدام التواصل الإجتماعي	٤٥	٣	٢	٩٥,٣٣	٠,٤٥٢
١٢	المقررات الإلكترونية	٤٢	٨	-	٩٤,٦٦	٠,٣٧٠
١٢	إستخدام الشبكات الرقمية	٤٢	٨	-	٩٤,٦٦	٠,٣٧٠
١٣	مهارة تأمين الإختبار	٤٦	-	٤	٩٤,٦٦	٠,٥٤٨
١٤	إدارة قضايا أمن المحتوى	٤١	٩	-	٩٤	٠,٣٨٨
١٥	البحث الجماعي	٤٢	٧	١	٩٤	٠,٤٣٨
١٥	التغذية الراجعة	٤٢	٧	١	٩٤	٠,٤٣٨
١٦	إدارة الصفحات التعليمية	٤٤	٣	٣	٩٤	٠,٥٢٥
١٧	الأسئلة الموجهة	٤٠	٩	١	٩٢,٦٦	٠,٤٦٤
١٨	مصفوفة الذاكرة	٣٩	١٠	١	٩٢	٠,٦١٠
١٩	إستراتيجية التفكير الثنائي	٣٥	١٢	٣	٨٨	٠,٥٩٧

ويتفق الباحث مع النتيجة فيما يتعلق بالفقرة (خلق عناصر تفاعلية) إذ كانت استجابة عينة البحث الأساسية بمستوى عال جداً، وهذا يدل على أن لمدرس الفيزياء دور فاعل في عملية التفاعل من خلال تقديم الأفكار الرئيسية والمعلومات لتحفيز الطلاب لأداء مهام التعلم المطلوبة ، وعملية مستمرة بين المدرسين وبين المتعلمين عبر منصات معينة وتتفق النتيجة ما أشره شاهينياز (٢٠١٦) ^(١) والحرص على تكوين علاقات وثيقة بين المتعلمين في سياق العملية التعليمية ^(١) ، و إن عملية التعلم الإلكتروني تتم من خلال وسائط إلكترونية تتيح للطلاب إمكانية التواصل والتفاعل لتبادل الخبرات والمعارف كما جاءت بقية الفقرات بمتوسطات مرجحة متقاربة ، وأن شدة الاستجابة عالية جداً تراوحت ما بين (٢,٩٤ - ٢,٨٢) وأوزان مئوية متقاربة ما بين (٩٨ - ٩٤) مما يدل على إيمانهم بتوظيف التقنية لتحسين وتعميق التعلم مما نفتقد إليه في عملية التدريس قبل جائحة كورونا COVID-19 ، وتمتعهم بقدر مناسب من الثقافة الحاسوبية كما أن جائحة كورونا ولدت لديهم الدافعية والرغبة في التعلم الإلكتروني .

فيما احتلت الفقرتين (الاسئلة الموجهة) و(مصفوفة الذاكرة) بأوساط مرجحة متقاربة (٢,٧٨، ٢,٧٦) ، و أوزان مئوية (٩٢,٦٦) ، (٩٢) على الترتيب .

يفسر الباحث هذه النتائج لقلة إطلاع مدرس الفيزياء على إستراتيجيات التعلم الإلكتروني الحديثة والتي يمكن تنفيذها من خلال المدونات والشبكات الاجتماعية والمنتديات ، فضلاً عن أن استراتيجيات مصفوفة الذاكرة يتطلب تنفيذها من خلال صفحات الويب والمدونات والإيميل والويكي . وهي تجربة جديدة بالنسبة للمدرسين لاعتمادهم سابقاً على الطريقة التقليدية في التدريس .

أما الفقرة (إستراتيجية التفكير الثنائي) فقد جاءت بالمرتبة الأخيرة قياساً ببقية الفقرات بوسط مرجح (٢,٦٤) ووزن مئوية (٨٨) . ويتفق الباحث مع هذه النتيجة ، كون الاستراتيجية تنفذ من خلال التعلم القائم على الويب وباستخدام أدوات التعلم مثل لوحات النقاش ، أو الويكي ، مما لم تتاح للمدرسين تنفيذها قبل جائحة كورونا .

في الختام يقدم الباحث التوصيات الآتية :

عقد دورات تدريبية للمدرسين حول استراتيجيات التعلم الإلكتروني الحديثة .

إعداد دليل لمدرسي الفيزياء يوضح الاستراتيجيات الحديثة للتعلم الإلكتروني في مقر الفيزياء والمواد الدراسية الأخرى .

بناء بطاقة ملاحظة لتقويم أداء المدرسين في التعلم الإلكتروني على وفق المهارات الواردة في البحث .

إنشاء وحدات المؤسسات التربوية تتولى نشر الثقافة بين أفراد المؤسسة لتذليل التحديات والصعوبات .

المقترحات :

واستكمالاً للبحث الحالي يقترح الباحث :

إجراء دراسة لتحديد مهارات المدرسين في التعلم الإلكتروني في مقرات دراسية أخرى .

إجراء دراسة أثر استراتيجيتي مصفوفة الذاكرة والتعلم معاً على تنمية التحصيل في مقرر الفيزياء وتنمية التفكير الناقد لدى طلاب المرحلة الثانوية .

المصادر العربية :

الكتب :

أبو صالح، محمد صبحي، الطرق الإحصائية، الطبعة العربية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع . (٢٠٠٩).

الأسدي، سعيد جاسم، سندس عزيز فارس، مناهج البحث العلمي في العلوم التربوية والنفسية و الاجتماعية و الإدارية والفنون الجميلة عروض تحليلية تطبيقية . دار الوضاح للنشر، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان (٢٠١٥).

الأسدي، سعيد جاسم، سندس عزيز فارس، الأساليب الإحصائية في البحوث للعلوم التربوية والنفسية والاجتماعية والإدارية والعلمية، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان. (٢٠١٥) .

أنور، حسين عبد الرحمن، زنكنة، عدنان حقي . الأسس التصورية والنظرية في مناهج العلوم الإنسانية والتطبيقية . ط١. دار الكتب والوثائق ٢٠١٨ .

البطش، أبو زينة، محمد وليد، فريد كامل. مناهج البحث العلمي، تصميم البحث والتحليل الإحصائي إشراف سعيد التل، ط، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان، الأردن، (٢٠٠٧)

الجداري، عدنان حسين . الإحصاء الوصفي في العلوم التربوية، ط٢، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان الأردن، (٢٠٠٧) ، ص١٢٠.

العربي، عبداللطيف بن محسن . معوقات استخدام التعلم الإلكتروني لدى أعضاء هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من وجهة نظرهم . مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس ASEP . العدد ٦٥ ، ٢٠١٥ ص ٢٦٩-٢٩٢ .

العمودي، غادة بنت عبدالله، (٢٠٠١). البرمجيات الاجتماعية في منظومة التعلم المعتمد على الويب : الشبكات الاجتماعية نموذجاً، ورقة عمل مشاركة في المؤتمر الدولي للتعلم الإلكتروني والتعليم عن بُعد، صناعة التعلم للمستقبل، المملكة العربية السعودية، الرياض في ١٧ مارس ٢٠٠٩ العدد ٥٦ ج٢ / ٢٠١٤ .

الفار، إبراهيم عبدالوكيل (٢٠١٢) . تربويات تكنولوجيا القرن الحادي والعشرين تكنولوجيا (ويب، ٢٠٠) ط١، الدلتا لتكنولوجيا الحاسبات العدد ٥٦ ج٢ / ٢٠١٤ .

محمد عطية خميس، النظرية والبحث التربوي في تكنولوجيا التعليم، القاهرة دار السحاب للطباعة والنشر والتوزيع . (٢٠١٣) .

المجلات :

آل فيصل، حنان حسين عبدالله. تقويم مهارات الفيزياء للمرحلة الثانوية في ضوء مسابقات أولمبياد الفيزياء الدولي . دراسات عربية في التربية وعلم النفس، ASEP، رابطة التربويين العرب، العدد ٧٩، ٢٠١٦.

حمادة ، أمل إبراهيم إبراهيم ، آية طلعت اسماعيل ، أثر تصميم بيئة للتعليم الإلكتروني التشاركي قائمة على بعض أدوات الويب ٢ وفقاً لمبادئ النظرية التواصلية على تنمية مهارات إدارة المعرفة الشخصية لدى طلاب الحاسب الآلي ، دراسات عربية في التربية وعلم النفس ASEP ، العدد ٥٦ ، ج٢ ، ديسمبر ٢٠١٤ . ص ٨١-١٤٨ .

شاهيناز محمود أحمد علي . أثر بيئات التعلم الإلكتروني الاجتماعي القائمة على منصات التواصل الاجتماعي على تنمية مهارات التواصل الإلكتروني التعليمي لدى طالبات كلية التربية . مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس . العدد ٦٨ . ج ٢ . ٢٠١٦ .

الشكري ، حامد خير الله ، السميري ، حنان عباس صاحب . المهارات التدريسية لدى مدرسي الفيزياء والرياضيات وعلاقتها بأنماط التعلم عند طلبة المرحلة المتوسطة . مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية الإنسانية / جامعة بابل كانون أول / ٢٠١٨ ص ١٩٠٦-١٩٠٧ .

وليد يوسف محمد ، أثر استراتيجيتين للتعلم التعاوني في تنفيذ مهام الويب على تنمية مهارات طلاب طلبة التربية منخفضي ومرتفعي الدافعية للإنجاز في إنتاج تطبيقات جوجل التشاركية واستخدامها ومهاراتهم في التعلم المنظم ذاتياً . دراسات عربية في التربية وعلم النفس ASEP ، العدد ٦٤ ، أغسطس ٢٠١٥ ، ص ١٧-١١٢ . (٢٠١٥) .

English References:

Books :

1. Kagen, S. Kagen, M. Pairs compare .A co-op structure for all classes. Cooperative Learning and college Teaching, 5 (3),(1995) pp: 4-7.
2. Slavin .R.E Cooperative Learning: Theory, research, and practice (7nd ed.) Boston: Allyn & Bacon. (2006).
3. Smith, M.C & wining – Diaz, A.. Increasing student's Interactivity in an online course. The Journal of Interactive online learning 2 (3) (2004) PP: 1-25.

Magazine:

1. Jones, R.G. Emerging Technologies, Blogs and wiki: Environments for on –line collaboration, Virginia Commonwealth University, Language Learning & Technology, Vol.7. , No.2, May. . (2003)
2. Slemens, G., Connectivism: A learning theory for the Digital Age, Instructional Technology & Distance Learning, Vol. 2; No.(1). (2006d).

Website:

1. Eduink blog – word press .com/ 2015 /01/ 09/ etests .

المسؤولية القانونية عن حوادث التعليم عن بعد في زمن جائحة كوفيد ١٩

يونس الأنصاري

باحث دكتوراه، مسلك القانون الخاص، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية عين الشق، جامعة الحسن

الثاني، الدار البيضاء، المملكة المغربية

elansari.yoness15@gmail.com

الملخص:

أدت جائحة كوفيد ١٩ التي ضربت العالم أواخر ٢٠١٩، إلى اتخاذ العديد من البلدان لقرار توقيف الدروس الحضورية بالمؤسسات التعليمية، وتعويضها بدروس عن بعد لتفادي ضياع الموسم الدراسي. إلا أن مواصلة التعليم عن بعد يقتضي من التلاميذ والمعلمين استعمال الوسائل التكنولوجية، التي قد تؤدي إلى إلحاق أضرار بمستخدميها مما يجعلنا نتساءل عن الحماية القانونية المقررة للمضروب عن الضرر الناتج عن مواصلة دروسه عن بعد؟ إن محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات اقتضت منا التطرق في فقرة أولى لتعريف الحوادث المدرسية وتحديد نطاقها، حيث سنبرز بعض التعريفات الفقهية والتشريعية ثم نحاول إعطاء تعريف لحوادث التعليم عن بعد، ثم نبين نطاق الحوادث المدرسية من حيث المكان الذي تسع هذه الحوادث وكذلك الأشخاص الذين يتضمنهم وذلك من خلال اتفاقية الضمان المدرسي المبرمة بين مؤسسة للتأمين والوزارة الوصية على القطاع، لنبين من خلال هذا النطاق هل يمكنه أن يحتوي حوادث التعليم عن بعد أم لا؛ خاصة في الظروف الاستثنائية مثل الظرفية الطارئة بسبب أزمة كورونا. أما الفقرة الثانية فإننا سنحاول فيها إعطاء أساس قانوني لحوادث التعليم عن بعد، حيث سنستحضر مسؤولية المعلم المنظمة في قانون الالتزامات والعقود، والتي نؤكد على أنها مستبعدة لانعدام رقابة المعلم على التلميذ. ثم نتناول مسؤولية الإدارة عن هذه الحوادث التي تبدو جلية بالنظر لكونها هي من اتخذت قرار مواصلة التعليم عن بعد، وسنبرز الأسس التي تتحمل الدولة من خلالها هذه المسؤولية، كما نتطرق لمسؤولية الآباء عن مثل هذه الحوادث والتي تكون مستبعدة في التعليم الحضوري، نظرا لكون رقابة الآباء على أبنائهم محققة في التعليم عن بعد، كما أنه يمكن استحضار مسؤولية أخرى لا تقل أهمية عن هذه المسؤولية وهي مسؤولية المنتج للوسائل التكنولوجية عن العيوب التي قد توجد بهذه الوسائل. لنخلص في الأخير إلا أن المسؤولية عن الحوادث المدرسية في إطار التعليم عن بعد يعترضها نقص في كيفية تدبير وضبط الدول لعملية التعليم عن بعد، حيث يجب على القطاعات الوصية أن تقوم على الأقل في هذه الظرفية إعداد دلائل أو منشورات توضح كيفية تدبير هذه العملية، من خلال تعريفها وتحديد أوقات الدروس، وتحديد التزامات كل طرف من الأطراف المتدخلة في هذه العملية ليسهل تحديد المسؤوليات في حالة حدوث حوادث من هذا النوع، ويكون المضروب على بينة من الطرق التي يسلكها وتحقق له الحماية.

Abstract

Due to the COVID 19 pandemic which has emerged in the world since the late 2019, many countries have decided to suspend in-person learning and shift to a distant one. This decision has come out as a procedure to save the academic season.

However, continuing with distant learning requires students and teachers to use technological facilities which may cause harm to its users. This has raised an important question which is: What are the legal protective procedures that have been set for those who have been negatively affected by distant learning?

To answer this question, the first paragraph will be devoted to define the school accidents as well as their scope by highlighting some jurisprudential and Legislative definition. After, we move to defining what is meant by distant learning incidents and their scope in terms of the place where these accidents take place, as well as the people who are concerned by the school guarantee agreement endorsed between the insurance institution and (the trusteeship ministry) on the sector. Based on this, we can see whether it is possible to contain online learning accidents or not; especially in exceptional circumstances such as the emergency conditions taken to against the COVID-19.

Concerning the second paragraph, we will try to provide a legal basis for online learning through evoking the responsibility of the teacher regulated in the Commitment and Contractual Act which

We emphasize its excludedness because the absence of teacher's surveillance over their students.

Further, we move to considering the administration responsibility for such seemingly obvious incidents since it is the one behind distant learning decision, and then highlight the foundations that the state bears from this responsibility. After, we also talk about the responsibility of parents in such incidents which are often absent in the attendance learning because of parent's monitoring of their children during the online learning. Also, we can bring another significant responsibility which is the responsibility of the technology's producer for the deficits of their technological means.

Finally, we conclude with the fact that the responsibility behind school accidents within the context of distant learning mainly lacks the methodology of how countries are to monitor and manage the process of distant learning. As the commandment sectors should at least in this circumstance prepare evidence or publications describing how to this process is to be managed. This can be done by defining and setting lessons schedules, and identifying the requirements of each member involved in this process in order to determine the responsibilities in case any of such accidents occurred. This way, the affected person would become fully aware of his or her own protective rights.

keywords: The legal responsibility, Distant learning, Legal protection, School accident, COVID-19 pandemic

الكلمات المفتاحية:

المسؤولية القانونية، التعليم عن بعد، الحماية القانونية، الحوادث المدرسية، جائحة كوفيد ١٩

مقدمة:

شهد العالم أواخر ٢٠١٩ جائحة مازالت مستمرة، تسمى فايروس كورونا كوفيد١٩، أدت إلى خسائر بشرية ومادية كبيرة، وقد ظهرت لأول مرة بالصين؛ لتنتقل بعدها إلى باقي دول العالم، الأمر الذي دفع كل الدول المهتدة بها إلى اتخاذ العديد من الإجراءات الاحترازية لمنع تفشي الوباء بين المواطنين، وقد كان المغرب من بين الدول السبابة إلى اتخاذ إجراءات حازمة لاقت تنويرها كبيرا من عدة جهات.

ومن بين الإجراءات التي اتخذتها بلادنا إلى جانب الحجر الصحي المنزلي توقيف الدراسة في المدارس والجامعات من غير إقرار لعطلة مدرسية؛ بل مواصلة الدراسة عن بعد، عبر اعتماد مجموعة من المواقع الإلكترونية إلى جانب القنوات التلفزيونية التي تقدم الدروس، والأكد أن الغاية من الإجراءات التي اعتمدها وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والبحث العلمي في ظل الظروف الراهنة، هو إكمال الموسم الدراسي وتجنب سنة دراسية بيضاء كأقل الأضرار.

لكن الذي لم يكن في الحسبان هو الحوادث التي قد تقع نتيجة استعمال الآليات التكنولوجية للاستفادة من الدروس المقدمة، من بين ذلك ما تعرض له تلميذ في السنة الثانية باكوريا يدرس بثانوية العرفان التابعة للمديرية الإقليمية تازة؛ حيث إنه أثناء تتبعه لدروسه عبر الهاتف تعرض لحادث انفجار بطاريته، أدت إلى حدوث أضرار له على مستوى الوجه والعينين، وهذا يجعلنا نتساءل: عن الحماية القانونية للتلميذ المضرور بسبب حوادث التعليم عن بعد؟ وهل النصوص القانونية المنظمة للمسؤولية عن الحوادث المدرسية، يمكن أن تحتوي حوادث التعليم عن بعد؟

أولاً: تعريف الحادثة المدرسية وتحديد نطاقها :

إن معرفة الأضرار التي تعدّ حوادث مدرسية في إطار التشريعات التي تنظم المسؤولية عن الحوادث المدرسية، ومن خلاله معرفة هل الحوادث الطارئة بسبب التعليم عن بعد؛ حوادث مدرسية بالمعنى المحدد في هذه التشريعات يقتضي منا الحديث عن تعريف الحادثة المدرسية (١)، وكذلك تحديد نطاقها (٢).

١- تعريف الحادثة المدرسية

توجد صعوبة كبيرة في تحديد المقصود بالحادثة المدرسية، وهذه الصعوبة ناتجة عن تحديد المسؤول عنها (الحادثة)، وعموما تعني كل الإصابات الجسدية التي تلحق التلميذ بفعل غير إرادي من طرفه، أو الناتجة عن فعل فجائي وبسبب خارجي، أثناء وجوده في عهدة الأطر التربوية للمؤسسة التعليمية من رجال التعليم وغيرهم^١.

فهذا التعريف شبيه بالتعريف الذي أعطته اتفاقية الضمان المدرسي في بندها العاشر الذي جاء فيه: "الحادثة هي كل الإصابات الجسدية التي تلحق بالمؤمن له بفعل غير إرادي أو الناتجة عن فعل فجائي وبسبب خارجي"^٢.

لكن الملاحظ عن التعريف الأول أنه اشترط لاعتبار الحادثة مدرسية وجود التلميذ تحت عهدة الأطر التربوية للمؤسسة التعليمية وهو ما لا يمكن تصوره بالنسبة للحادثة الواقعة أثناء تلقي التلميذ لدروسه عن بعد؛ إذ إنه في هذه اللحظة يكون التلميذ في منزله أو مكان إقامته، عكس التعريف الثاني الذي لم يشترط تواجد التلميذ تحت رقابة الأطر التربوية، وهو ما يمكننا من الوصول عن طريق التوسع في تفسير هذا التعريف بإمكانية احتوائه للحوادث الواقعة للتلاميذ أثناء تلقيهم لدروسهم عن بعد.

١- وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، مديرية الشؤون القانونية والمنازعات، جوانب المسؤولية في مجال الحوادث المدرسية، يناير ٢٠٠٨، دون ذكر الطبعة والمطبعة. ص ٤.

٢- اتفاقية الضمان المدرسي المبرمة بين وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي - قطاع التربية الوطنية - وشركة الشمال الإفريقي وفيما بين القارات للتأمين "سينيا السعادة" الموقع عليها بتاريخ ٢٩/٠٥/٢٠٠٧.

ومن خلال ما سبق يمكن تعريف الحادثة المدرسية في ظل التعليم عن بعد: هي الإصابات الجسدية التي تلحق بالتلميذ أثناء متابعته لدروسه عن بعد وذلك باستعمال وسائل التكنولوجيا التي تمكنه من المتابعة، وتتسبب هذه الوسائل المستعملة في ضرر للتلميذ نتيجة عطب يلحق بها، في وقت يكون فيه التلميذ خارج رقابة وإشراف الأطر التربوية، لكنه يخضع لرقابة أبويه.

٢- نطاق الحادثة المدرسية من خلال اتفاقية الضمان المدرسي

سنحدد هذا النطاق من خلال المكان الذي تقع فيه الحادثة، وكذلك الأشخاص المصابون بالحادثة.

أ- المكان الذي تقع فيه الحادثة: بالرجوع إلى البند العاشر من اتفاقية الضمان المدرسي نجد بأن هذا الضمان يشمل

الحوادث التي تلحق بالمؤمن له في إحدى الظروف التالية:

- داخل مراكز التربية والتعليم العمومي ومراكز التكوين التابعة للوزارة.
- أثناء الخرجات والرحلات والأنشطة الرياضية والتربوية والتثقيفية والترفيهية المنظمة من طرف مؤسسة التربية والتعليم العمومي ومراكز التكوين التابعة للوزارة أو جمعية آباء وأولياء التلاميذ أو كل جمعية لها الصفة لتنظيم هذه الأنشطة.
- أثناء المخيمات الصيفية التي تنظمها الوزارة لفائدة التلاميذ المؤمن لهم؛
- خلال خط تنقل التلاميذ المؤمن لهم بين مقر سكنهم و مؤسسة التربية و التعليم العمومي ومراكز التكوين التابعة للوزارة ذهابا وإيابا، مع مراعاة المدة التي قد يستغرقها هذا التنقل.

الملاحظ أن الأمكنة التي يشملها الضمان لا تدخل ضمنها الحوادث التي تقع للتلميذ أثناء متابعته لدروسه عن بعد في مكان إقامته، ويؤكد هذا كذلك البند ١٧ من اتفاقية الضمان المدرسي الذي يربط استفادة التلميذ من التأمين بشرط تواجد التلميذ تحت حراسة مؤسسة التربية والتعليم، وهذا الشرط لا يتحقق في هذه الحالة إذ إن التلميذ يوجد تحت حراسة أبويه؛ إلا أنه يمكننا التساؤل في ظل لجوء الوزارة الوصية على القطاع إلى هذا الإجراء الاستثنائي (التعليم عن بعد)، ألا يمكن تحميلها تبعاته، وعليه إمكانية اعتبار مكان إقامة التلميذ من الأمكنة التي يشملها تأمين الضمان المدرسي، خاصة وأن الوزارة ألزمت التلاميذ بمتابعة الدراسة عن بعد كما ألزمت الأساتذة بمواكبة التلاميذ بمختلف الوسائل المتاحة، إضافة إلى أنها لم تعتبر التلميذ في عطلة طيلة فترة الحجر الصحي، وهو ما يجعل مكان متابعة الدراسة ينتقل من حجرات الدراسة بالمؤسسات التعليمية إلى منازل التلاميذ أو مكان إقامتهم، وبهذه الطريقة يمكن توفير الحماية للتلميذ أثناء متابعته لدروسه عن بعد وكأنه داخل المؤسسة التعليمية.

ب- الأشخاص المصابون بالحادثة: بحسب البند ١١ من اتفاقية الضمان المدرسي فإن الأشخاص المستفيدون من الضمان

يتمثلون في:

- التلاميذ المسجلون بمؤسسات التربية والتعليم العمومي بجميع أسلاك التعليم والمنخرطون في تأمين "الضمان المدرسي".
- التلاميذ المنخرطون في تأمين "الضمان المدرسي" المسجلون بأقسام التعليم الأولي الواقعة داخل مؤسسات التربية والتعليم العمومي؛
- التلاميذ المنخرطون في تأمين "الضمان المدرسي"، المسجلون بمراكز التكوين أو بالأقسام التحضيرية لولوج المعاهد والمدارس العليا أو أقسام تحضير شهادة التقني العالي، التابعة للوزارة أو الموضوعة تحت وصايتها.
- أساتذة التربية البدنية المنخرطون في تأمين الضمان المدرسي؛
- المؤطرون، المنخرطون في تأمين "الضمان المدرسي"، المشاركون في الخرجات والرحلات والأنشطة الرياضية والتربوية والتثقيفية والترفيهية والمخيمات الصيفية المنظمة من طرف مؤسسات التربية والتعليم العمومي أو مراكز التكوين التابعة للوزارة أو جمعية آباء وأولياء التلاميذ أو كل جمعية مؤهلة لتنظيم هذه الأنشطة.

من خلال هذا النص يتضح بأن كل تلميذ مسجل بمؤسسة تعليمية تابعة للقطاع العام ومنخرط في تأمين الضمان المدرسي يستفيد من التعويض الجزافي الذي يمنحه هذا الظهير في حالة وقوع حادثة مدرسية، وبالتالي فالتلميذ الذي تقع له حادثة مدرسية في ظل التعليم عن بعد يدخل في نطاق البند ١١ من اتفاقية الضمان المدرسي، ما دام أنه يخضع لإحدى هذه المؤسسات ويتابع دراسته عن بعد تبعا لمواكبتها له.

ثانيا: الأساس القانوني للمسؤولية عن الحوادث المدرسية في ظل التعليم عن بعد

إن بيان الأساس القانوني للمسؤولية عن الحوادث المدرسية في ظل التعليم عن بعد، يستدعي منا التطرق إلى بيان كل مسؤولية المعلم (١) ومسؤولية الإدارة (٢) ومسؤولية آباء وأولياء أمور التلاميذ (٣) دون أن ننسى مسؤولية المنتج عن المنتجات المعيبة (٤)، لكي يتضح لنا الأساس الصحيح الذي تقوم عليه هذه المسؤولية، والتي يمكن أن تشترك بين جميع هذه الجهات أو بعضهما الأمر الذي يؤدي بالقاضي في حالة ثبوتها إلى القيام بعملية تشطير المسؤولية (٥).

١- مسؤولية المعلم عن الحوادث المدرسية

بالرجوع إلى الفصل ٨٥ مكرر من قانون الالتزامات والعقود يتضح لنا بأنه ينظم مسؤولية المعلم المدنية عن الحوادث التي يكون مصدر الضرر فيها من الطفل أو أن هذا الأخير هو الذي يلحقه الضرر؛ سواء صدر هذا الضرر من زملاء أو الغير، وذلك نتيجة خطأ أو عدم الحيطه أو الإهمال في الوقت الذي يوجد فيه هؤلاء الأطفال تحت رقابة ومسؤولية رجال التعليم. وحسب هذا الفصل فإن المحاكم الابتدائية هي المختصة بالبث في دعوى مسؤولية المعلم .

لكن ما ينبغي الإشارة إليه في إطار دراستنا للمسؤولية عن الحوادث المدرسية المترتبة عن التعليم عن بعد هو أن مسؤولية المعلم مستبعدة في هذه الحالة؛ لكون رقابة هذا الأخير غير متوفرة في هذه الوضعية كما أنه لم يصدر عنه أي خطأ أو عدم حيطه أو إهمال، وبالتالي لا مجال لإعمال الفصل ٨٥ مكرر من قانون الالتزامات والعقود لإقرار المسؤولية عن الحوادث المدرسية الناتجة بسبب التعليم عن بعد.

٢- مسؤولية الإدارة عن الحوادث المدرسية

إن المسؤولية عن الحوادث المدرسية يمكن أن تنتج عن خطأ المعلم ، ويمكن كذلك أن تنتج عن سوء تنظيم وتسيير المرفق العمومي، أو انعدام الصيانة العادية للمنشأة العمومية أو الأشغال العمومية أو وجود عيب في تصورها، وهذه الحالات يؤطرها

١- ينص الفصل ٨٥ مكرر من قانون الالتزامات والعقود على أنه: " (ظهير ٤ مايو ١٩٤٢) يسأل المعلمون وموظفو الشبيبة والرياضة عن الضرر الحاصل من الأطفال والشبان خلال الوقت الذي يوجدون فيه تحت رقابتهم.

والخطأ أو عدم الحيطه أو الإهمال الذي يحتج به عليهم، باعتباره السبب في حصول الفعل الضار، يلزم المدعي إثباته وفقا للقواعد القانونية العامة. وفي جميع الحالات التي تقوم فيها مسؤولية رجال التعليم العام وموظفي إدارة الشبيبة نتيجة ارتكاب فعل ضار أو بمناسبة إما من الأطفال أو من الشبان الذين عهد بهم إليهم بسبب وظائفهم وإما ضدهم في نفس الأحوال، تحمل مسؤولية الدولة محل مسؤولية الموظفين السابقين، الذين لا تجوز مقاضاتهم أبدا أمام المحاكم المدنية من المتضرر أو من ممثله.

ويتطبق هذا الحكم في كل حالة يعهد فيها بالأطفال أو الشبان إلى الموظفين السابق ذكرهم قصد التهذيب الخلقي أو الجسدي الذي لا يخالف الضوابط، ويوجدون بذلك تحت رقابتهم، دون اعتبار لما إذا وقع الفعل الضار في أوقات الدراسة أم خارجها.

ويجوز للدولة أن تبشر دعوى الاسترداد، إما على رجال التعليم وموظفي إدارة الشبيبة وإما على الغير، وفقا للقواعد العامة. ولا يسوغ، في الدعوى الأصلية، أن تسمع شهادة الموظفين الذين يمكن أن تبشر الدولة ضدهم دعوى الاسترداد. وترفع دعوى المسؤولية التي يقيمها المتضرر أو أقاربه أو خلفاؤه ضد الدولة باعتبارها مسؤولة عن الضرر وفقا لما تقدم، أمام المحكمة الابتدائية أو محكمة "قاضي الصلح" الموجود في دائرتها المكان الذي وقع فيه الضرر.

وتم التقادم، بالنسبة إلى تعويض الأضرار المنصوص عليها في هذا الفصل بمضي ثلاث سنوات، تبدأ من يوم ارتكاب الفعل الضار".

الفصل ٧٩ من قانون الالتزامات والعقود الذي ينص على أنه: " الدولة والبلديات مسؤولة عن الأضرار الناتجة مباشرة عن تسيير إدارتها وعن الأخطاء المصلحية لمستخدميها".

وكذلك المادة ٨ من القانون ٤١,٩٠ المحدث للمحاكم الإدارية الذي جاء فيه: " تختص المحاكم الإدارية بالبت في دعاوي التعويض عن الأضرار التي تسببها أعمال ونشاطات أشخاص القانون العام، ماعدا الأضرار التي تسببها في الطريق العام مركبات أيا كان نوعها يملكها شخص من أشخاص القانون العام".

ويعود الاختصاص للبت في القضايا المذكورة أعلاه للمحاكم الإدارية.

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن الحوادث المترتبة عن التعليم عن بعد يمكن إسناد مسؤوليتها للإدارة، نظرا لكون هذه الحوادث تقع في وقت يكون في التلاميذ خارج رقابة الأطر التربوية وبالتالي استبعاد مسؤولية المعلم، كما أن الإدارة في شخص وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والبحث العلمي هي التي اتخذت قرار مواصلة التعليم عن بعد و توقيف الدراسة بسبب الجائحة وذلك لتفادي ضياع السنة الدراسية وعليها أن تتحمل تبعات ذلك، ويمكن إدخال هذه الحوادث في إطار سوء تنظيم المرفق العمومي للتعليم واختلال تسييره، أو بتعبير دقيق يمكن اعتبارها المسؤولية عن ما ينتج عن استعمال الوسائل التكنولوجية من أضرار في إطار مسؤولية المرافق الإدارية

في هذا الصدد نشير إلى أن الإدارة أقرت ضمينا بمسؤوليتها عن مثل هذه الحوادث إذ إنه بالنسبة للحادثة التي كان ضحيتها التلميذ الذي يتابع دراسته بثانوية العرفان بتازة والذي انفجرت عليه بطارية الهاتف أدت إلى حدوث أضرار له على مستوى الوجه والعينين، مما حدا بالأكاديمية الجهوية بمجهة فاس مكناس إلى مباشرة إجراءات المواكبة الصحية للتلميذ وذلك بالتنسيق مع إدارة المركب الاستشفائي بفاس، كما أن الوزير الوصي على القطاع أمر باتخاذ الإجراءات الضرورية لضمان سلامة صحة التلميذ، كما وافقت شركة التأمين المدرسي على اعتبار النازلة حادثة مدرسية، نظرا لكونها جاءت في ظروف خاصة، وبالتالي فإنه يمكن القول بأن كل الحوادث التي تقع في مثل هذه الظروف سيجري عليها ما جرى بالنسبة لهذه الحادثة.

إلا أنه وكما هو معروف فالتأمين المدرسي لا يغطي كافة الأضرار المترتبة عن الحوادث المدرسية، فبالإضافة إلى مصاريف الاستشفاء والتطبيب و لوازم الأجهزة الخاصة بتبديل أعضاء الجسم الناقصة يمنح معاش في حالة الوفاة أو عند حدوث عجز^١، إلا أن هذا الأخير يشترط لحصول التعويض عنه أن يكون دائما وأن تكون نسبته محددة في ١٠ في المائة على الأقل لكي يستفيد المضرور من تعويض ممنوح في شكل إيراد^٢، والذي يكون جزافيا إلا أنه لا يحول دون حقه (المضرور) في المطالبة بالتعويض التكميلي^٣، في إطار دعوى المسؤولية؛ رغم أن المشرع يشير إلى المسؤولية المدنية، والأمر يتعلق في هذه الحالة بمسؤولية إدارية حيث إن العمل القضائي سار في اتجاه تطبيق مقتضيات هذا الظهير ولو تعلق الأمر بهذه المسؤولية، نظرا لأنها لم تقرر بالنسبة للحوادث المدرسية إلا بعد إحداث المحاكم الإدارية وبالتالي فهي لاحقة لصدور الظهير.

^١ ينص الفصل الثاني من ظهير ٢٦ أكتوبر ١٩٤٢ المتعلق بالتعويض عن الحوادث التي يتعرض لها تلاميذ المؤسسات المدرسية العمومية على أنه: " تتحمل

الدولة في الحالات المنصوص عليها في الفصل الأول، حسب الكيفيات المحددة في الفصول الآتية من هذا الظهير الشريف مصاريف الاستشفاء والتعويض عن المصاريف الطبية والصيدلية وشراء اللوازم والأجهزة الخاصة بتبديل أعضاء الجسم الناقصة وكذا المعاش في حالة الوفاة أو عند حدوث عجز، وكذا المصاريف التأبينية في حالة الوفاة".

^٢ ينص الظهير المذكور في الفقرة الأولى من الفصل الرابع على ما يلي: " إن الحوادث التي ينشأ عنها عجز دائم يحد في نسبة ١٠ في المائة على الأقل تعطي المصاب بالحادثة الحق في الاستفادة من تعويض ممنوح في شكل إيراد يحدد مبلغه بصفة مؤقتة من طرف اللجنة الخاصة لمدة سنة".

^٣ ينص الفصل الثامن من نفس الظهير على ما يلي: " إن مقتضيات هذا الظهير الشريف لا تحول دون دعوى المسؤولية المدنية من طرف آباء وأولياء التلاميذ المصابين والمنصوص عليها في الفصلين ٨٥ و ٨٥ مكرر من الظهير الشريف المؤرخ في ٩ رمضان ١٣٣١ (١٢ غشت ١٩١٣) من قانون الالتزامات والعقود. في حالة إدانة الدولة نتيجة مباشرة هذه الدعوى، فإن المبالغ المؤداة بمقتضى هذا الظهير الشريف تخصم من مبلغ التعويض الممنوح من طرف المحاكم".

وبالنسبة لكيفية إثبات المسؤولية الإدارية فإن هذه المسؤولية تكون مفترضة وبالتالي فهي تعفي التلميذ من الإثبات لكون الخطأ مفترض في حق الإدارة، وعلى هذه الأخيرة أن تدفع مسؤوليتها بإثباتها أن قامت باتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع حدوث الضرر أو أن هذا الأخير يرجع إلى حادث فجائي أو قوة قاهرة.

٣- مسؤولية آباء وأولياء أمور التلاميذ

إن الوضعية التي تفرضها حالة الطوارئ الصحية تستدعي انتقال واجب الرقابة أثناء تلقي الدروس من المعلم إلى آباء وأولياء أمور التلاميذ، نظرا لكون تلقي هذه الدروس لم يعد في المؤسسة التعليمية وإنما في مكان إقامة التلاميذ، والتي تكون فيها المسؤولية عن أي ضرر يتسبب فيه الطفل أو يلحق به على عاتق أولياء أمره، وسند هذه المسؤولية يوجد في الفقرات الأولى والثانية والخامسة من الفصل ٨٥ من قانون الالتزامات والعقود الذي جاء فيه: "لا يكون الشخص مسؤولا عن الضرر الذي يحدثه بفعله فحسب، لكن يكون مسؤولا أيضا عن الضرر الذي يحدثه الأشخاص الذين هم في عهده.

الأب فالأم بعد موته، يسألان عن الضرر الذي يحدثه أبنائهما القاصرون الساكنون معهما.

وتقوم المسؤولية المشار إليها أعلاه، إلا إذا أثبت الأب أو الأم... أنهم لم يتمكنوا من منع وقوع الفعل الذي أدى إليها".

ورغم أن المشرع في هذا الفصل لم ينص إلا على الأضرار التي يتسبب فيها الطفل، أي للغير، إلا أن هذه الرقابة تشمل حتى الأضرار التي تلحق الطفل باستعمال أشياء توجد بالمنزل من قبيل الوسائل التكنولوجية، حيث إن الأب أو الأم في حالة عدم وجود الأب مسؤولان عن كل ما يلحق التلميذ نظرا لواجب الرقابة الملقى على عاتقهم، حيث يجب عليهم مراقبة أبنائهم في الاستعمال الأمثل للوسائل التكنولوجية ولو في إطار مواكبة الأبناء لعملية التعليم عن بعد، ولن يكونا بإمكانهم دفع المسؤولية إلا بإثبات أنهم قاموا بواجب الرقابة وأنهم لا يتمكنوا من منع وقوع الفعل المسبب للضرر.

٤- مسؤولية المنتج عن عيوب منتجاته

قد يحدث أن تكون الوسائل التكنولوجية التي يستعملها التلميذ لتتبع دروسه عن بعد بما عيب قد يؤدي إلى إلحاق ضرر به، مما يستدعي البحث عن المسؤول عن الضرر، وفي هذا الصدد نستحضر مسؤولية المنتج عن منتجاته المعيبة المنظمة بمقتضى الظهير الشريف رقم ١٤٠،١١،١ الصادر في ١٧ غشت ٢٠١١ بتنفيذ القانون ٢٤،٠٩ المتعلق بسلامة المنتجات والخدمات وبتتيم الظهير الشريف الصادر في ٩ غشت ١٩١٣ بمثابة قانون الالتزامات والعقود.

ونشير هنا إلى أنه قبل وصول المنتجات المعروضة في الأسواق إلى المستعملين باعتبارهم آخر حلقة في منظومة الإنتاج فإنها تمر عبر العديد من المحطات والقنوات وتتوالها الكثير من الأيدي بدءا بالصانع المنتج مرورا بمن يساهم في استيرادها وتوزيعها لتصل إلى البائع بالجملة ثم البائع بالتقسيط لتوضع في النهاية رهن إشارة من يرغب في استعمالها وفقا للطبيعة والغاية التي صنعت من أجلها؛ وقد حدد المشرع المغربي قائمة الأشخاص المسؤولين عن هذه المخاطر في المنتج أو الصانع الحقيقيين^٢، ثم المنتج الظاهري^٣، وكذلك المستورد المهني للمنتج^٤ وأخيرا الموزع كمتسول احتياطي^٥.

١- عبد القادر العراري، المسؤولية المدنية، الطبعة الثالثة ٢٠١٤، مطبعة الأمانة الرباط، منشورات مكتبة دار الأمان ٤ ساحة المأمونية، الرباط، ص ٣٧٧.

٢- ينص الفصل ١٠٦-١ من قانون الالتزامات والعقود على أنه: "يعتبر المنتج مسؤولا عن الضرر الناتج عن عيب في منتوجه".^٢

٣- المنتج الظاهري هو الذي يستعمل علامة تحفي العلامة الحقيقية للمنتج، وفي هذا الصدد ينص الفصل ١٠٦-٥ من قانون الالتزامات والعقود على أنه:

يعد منتجا... كل شخص يتصرف بصفة مهنية: ١- ويتقدم كمنتج بوضعه على المنتج اسمه أو علامته التجارية أو أي علامة مميزة أخرى".^٢

٤- ينص الفصل ١٠٦-٥ من قانون الالتزامات والعقود على أنه: "يعد منتجا... كل شخص يتصرف بصفة مهنية: ٢- أو يستورد منتجا إلى التراب الوطني

من أجل البيع أو الكراء، مع وعد بالبيع أو بدونه أو أي شكل آخر من أشكال التوزيع".^٤

٥- ينص الفصل ١٠٦-٦ من قانون الالتزامات والعقود على أنه: "إذا استحال تحديد هوية المنتج، يعتبر كل موزع منتجا إلا إذا أعلم هذا الأخير الضحية أو

كل من له الحق، داخل أجل ١٥ يوما، من هوية المنتج أو هوية الشخص الذي زوده بالمنتج".^٥

إذن ففي إطار هذه المسؤولية يمكن مساءلة أي واحد من هؤلاء لجبر ضرر المضرور، وتتحقق هذه المسؤولية باستجماع مجموعة من الشروط تنحصر في:

- أن يتعلق الأمر بمنتج معيب.
 - ارتباط العيب بفترة وضع المنتج في التداول^١.
 - أن يتسبب عيب المنتج في إلحاق ضرر بالغير^٢.
- وبالنسبة لأساس هذه المسؤولية فهي مبنية في إطار القانون المغربي على أساس نظرية تحمل المخاطر نظرا لكون القانون ٢٤,٠٩ يلزم المنتجين والمهنيين بضمان سلامة المستهلكين والمستعملين لمنتجاتهم^٣.

٥- تشطير المسؤولية

إن الحادث المدرسي الذي يقع نتيجة مواصلة التلميذ لعملية التعليم عن بعد قد تقع مسؤوليته بين عدة أطراف، الأمر الذي يستدعي من القاضي أثناء البت في القضية المعروضة عليه تحديد مسؤولية كل طرف ساهم في الحادث في حدود النسبة التي ساهم فيها وذلك عن طريق تشطير المسؤولية، إذ قد يسأل كل من آباء وأولياء التلاميذ وإدارة المؤسسة التعليمية التي اتخذت قرار مواصلة التعليم عن بعد وكذلك المنتج للوسيلة التكنولوجية التي تسببت في الحادث وذلك بنسبة مساهمة كل طرف في وقوع الحادث.

خاتمة:

إن المسؤولية عن الحوادث المدرسية في إطار التعليم عن بعد يعترتها نقص في كيفية تدبير وضبط الدولة لهذه العملية، حيث كان من الواجب عليها في شخص القطاع الوصي إصدار منشور أو دليل على الأقل؛ يوضح كيفية تدبير عملية التعليم عن بعد؛ من خلال تعريف هذه العملية (التعليم عن بعد)، وأوقاتها، إضافة إلى تحديد التزامات كل طرف من الأطراف المتدخلة في هذه العملية (الأطر التربوية - الإدارة - آباء وأولياء التلاميذ)، وذلك ليسهل حصر المسؤولية وتحديد نطاقها، سواء من حيث الزمن أو الجهة المسؤولة. وفي هذا الصدد يمكن إثارة مسؤولية الدولة عن تشريعها، حيث إن المشرع لم ينص على أي مقتضى قانوني ينظم مسؤولية الدولة عن القوانين أو الأضرار التي تسبب فيها هذه القوانين أو عدم استصدارها كما هو الشأن بالنسبة لحوادث التعليم عن بعد.

المراجع

الكتب:

- مديرية الشؤون القانونية والمنازعات، جوانب المسؤولية في مجال الحوادث المدرسية، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، المغرب، يناير ٢٠٠٨.
- عبد القادر العرعاري، المسؤولية المدنية، الطبعة الثالثة، مطبعة الأمنية الرباط منشورات مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب، ٢٠١٤.

القوانين:

- الظهير ٢٦ الشريف المتعلق بالتعويض عن الحوادث التي يتعرض لها تلاميذ المؤسسات المدرسية العمومية المغربية المؤرخ في ١٣ شوال ١٣٦١ (٢٦ أكتوبر ١٩٤٢) حسبما وقع تغييره وتتميمه.

١- أي وضعه في السوق وجعله رهن إشارة العموم

٢- هذا الضرر قد يكون ماديا أو معنويا أو بدنيا حيث نص ١٠٦-١٠ من قانون الالتزامات والعقود على أنه: "يجب على الشخص المسؤول إصلاح كل الأضرار التي تعرضت لها الضحية".

٣- تنص المادة ٤ من القانون ٢٤,٠٩ المتعلق بسلامة المنتجات والخدمات وتنظيم قانون الالتزامات والعقود على أنه: "يلزم منتج ومستورد المنتجات .. بالأضرار التي تعرضت لها المنتجات... السلمية كما هي معرفة طبقا لأحكام هذا الباب".

- قانون الالتزامات والعقود المغربي، ظهير ٩ رمضان ١٣٣١ (١٢ أغسطس ١٩١٣).
- ظهير شريف رقم ١١١١٤٠ صادر في ١٦ من رمضان ١٤٣٢ (١٧ أغسطس ٢٠١١) بتنفيذ القانون رقم ٢٤,٠٩ المتعلق بسلامة المنتوجات و الخدمات وبتميم الظهير الشريف الصادر في ٩ رمضان ١٣٣١ (١٢ أغسطس ١٩١٣) بمثابة قانون الالتزامات والعقود المغربي.

الاتفاقيات

- اتفاقية الضمان المدرسي المبرمة بين وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي المغربية- قطاع التربية الوطنية - وشركة الشمال الإفريقي وفيما بين القارات للتأمين "سينيا السعادة" الموقع عليها بتاريخ ٢٩/٠٥/٢٠٠٧، بالمغرب.

Coronavirus Pandemic: A New Challenge to the Field of Education**Dr. Aline El Jurdi**

PhD in Educational Sciences

Notre Dame University

Faculty of Humanities

alinejurdi@yahoo.com

(00961) 70 90 55 73

Beirut, Lebanon

Abstract

The 2019-2020 Coronavirus (COVID-19) pandemic has impacted humanity on different aspects and threatened major sectors. Education is among the most influenced sectors as students, educators, child-care centers, and educational institutions have been resorting to diverse measures to cope with this new reality. In response to this pandemic, the education sector all over the world has witnessed institutional closure, distance and digital learning transformation, and many other measures. This research addresses the education state in light of the current pandemic. Hence, the purpose of this paper is to discuss the multiple effects of Coronavirus on the education sector and explore the different measures that have been implemented by educational institutions to mediate the effects of this virus. It attempts to present a comprehensive review of related literature and body of research on the matter and explores effects, challenges, and measures. The paper ends with recommendations and practical implications for schools and educational institutions to help them overcome the challenges imposed by this pandemic while still following a student-centered approach to education.

Keywords: Coronavirus, education, distance learning, digital learning

المستخلص

أثر وباء فيروس كورونا على البشرية في جوانب مختلفة وهدد القطاعات الرئيسية في المجتمع. يعد التعليم من بين القطاعات الأكثر تأثراً حيث يلجأ الطلاب والمعلمون ومراكز رعاية الأطفال والمؤسسات التعليمية إلى تدابير متنوعة للتعامل مع هذا الواقع الجديد. استجابة لهذا الوباء، شهد قطاع التعليم في جميع أنحاء العالم إغلاقاً مؤسسياً، والتحول إلى التعليم عن بُعد والتعليم الرقمي، والعديد من التدابير الأخرى. يتناول هذا البحث حالة التعليم في ضوء الوباء الحالي ويناقش الآثار المتعددة للفيروس على قطاع التعليم ويستكشف التدابير المختلفة التي تم تنفيذها من قبل المؤسسات التعليمية للتعامل مع آثار هذا الفيروس. كما ويقدم البحث مراجعة شاملة للأدبيات والمراجع ذات الصلة ويستكشف الآثار والتحديات والإجراءات المتبعة. يهتم البحث بتوصيات ومقترحات عملية للمدارس والمؤسسات التعليمية لمساعدتها على التغلب على التحديات التي يفرضها هذا الوباء مع الاستمرار في اتباع نهج يركز على الطالب في التعليم.

الكلمات الدلالية: وباء الكورونا، التربية والتعليم، التعلم عن بعد، التعلم الرقمي

The 2019-2020 Coronavirus (COVID-19) pandemic has invaded a big number of countries and cities all over the world, impacting diverse fields and sectors and leaving governments and people to suffer the consequences. COVID-19 is a type of Coronaviruses that are single-stranded RNA viruses generally causing respiratory related diseases (Repici et

al., 2020). Following other fatal Coronaviruses of the last decade such as SARS-COV in 2002 and the MERS-COV in 2012, COVID-19 is an infectious disease that started in Wuhan, China in December 2019 and spread rapidly among people (Cascella, Rajnik, Cuomo, Dulebohn, & Napoli, 2020; Repici et al., 2020). The threat level of the disease was rated as “very high” by the World Health Organization (WHO) which identified it as a pandemic with worldwide involvement (Cascella et al., 2020; Repici et al., 2020).

The Coronavirus pandemic has imposed new realities on different fields and sectors, drastically changing aspects of life and well-being. As a result, this pandemic has not only had a profound impact on health and science, but has also affected the society as a whole. One of the fields that have witnessed evident and rapid challenges due to this pandemic is the field of education. COVID-19 has enforced sudden changes on education, influencing the educational sector worldwide and shaping academia and learning. With more than 1.57 billion learners affected by school closures worldwide and 193 countries employing nationwide school closures, 90% of the world’s student population and educational status are suffering (“COVID-19 Educational Disruption and Response,” 2020; UNESCO, 2020). As a result, examining and studying the impacts of this pandemic on the field of education is highly significant as addressing this matter does not only help in understanding the current educational status, but it also validates the discussion on the multiple measures and strategies that have been taken to battle the devastating effects of this danger. This research also adds value to the body of research on COVID-19, which is still progressing. Hence, this paper addresses the impact of Coronavirus pandemic on the educational field, reviews the literature on the matter, and discusses the new reality facing education systems worldwide. It attempts to discuss the effects, challenges, and risks caused by this pandemic, and it, as well, reviews the key measures and strategies implemented worldwide. The paper ends with practical implications and recommendations for schools and educational institutions to help them cope with this pandemic and achieve proper educational goals.

Literature Review

COVID-19 and Education: Challenges and Outcomes

Since its emergence in China in December 2019, COVID-19 has been rapidly spreading across different continents and areas resulting in drastic consequences and damages (Cascella et al., 2020; Repici et al., 2020). As reported by the WHO (2020), more than 12, 964 809 cases worldwide have been reported, including 570, 288 deaths as of July 14, 2020. These alarming figures come to light with devastating consequences. The education sector is among the multiple sectors that have been influenced by this pandemic. This sector has witnessed rapid changes, challenges, and risks that have been experienced by educational institutions globally.

In an attempt to contain and control the spread of Coronavirus, most governments all over the world have temporarily closed schools, universities, child-care centers, and other educational institutions (“COVID-19 Educational Disruption and Response,” 2020). As a result, millions of learners and educators have been impacted and left to deal with the enforced situation. School and institutional closures helped in mitigating the spread of the virus; however, this came with myriad consequences on students, teachers, and families resulting in many societal, educational, and economic challenges (“Adverse Consequences of School Closures,” 2020). School closure measures have been taken based on evidence from previous influenza outbreaks that they help contain and reduce, to a certain extent, the social contacts and interactions, leading to the interruption of the virus (Viner et al., 2020). In their article Viner et al. (2020), a systematic review of research regarding the impact of school

closures has been presented. The authors note that school and institutional closures help in reducing social contacts; however, such closures would prevent only 2-4 % of deaths (Viner et al., 2020).

Multiple challenges accompany school closures and inflict stress over learners and educators who have been experiencing new educational realities. Delays, curricular modifications, and extensions have been encountered by many educational institutions as the academic program and schedule witnessed many modifications such as cancellation of exams and standardized tests, delay in admissions, and extensions of academic year (Sahu, 2020). These modifications put learners and educators under pressure and force them to face and deal with different difficulties. In fact, in some countries, especially those that lack technological advancements, students' performance has been negatively associated with closure measures ("Adverse Consequences of School Closures," 2020; Sintema, 2020). In a study conducted by Sintema (2020) on schools in Zambia, teachers from a public secondary school were interviewed to share their views on the effects of COVID-19 pandemic on students' performance in STEM subject matters. Results of this study indicated that a drop in students' performance and pass percentage in national examinations is highly expected if the pandemic was not rapidly contained and school closures continued (Sintema, 2020).

In consequence, schools, colleges, and educational institutions worldwide resorted to distance and remote learning methodologies to cope with the Coronavirus pandemic and cater to students' academic and educational needs. This shift from face-to-face classrooms to virtual classrooms transformed the overall educational experience and brought learners and educators in direct contact with new encounters. However, despite the fact that this fact can help in preventing learners from encountering the drawbacks of this pandemic, schools and educational institutions that do not have adequate resources and technological facilities might suffer to cope with the new situation and achieve intended outcomes (Morgan, 2020). Hence, the shift to digital education holds within it different challenges.

The Shift to Remote and Online Learning

Positive Outcomes

In light of the Coronavirus pandemic and the closure of educational institutions in different countries across the world, a considerable number of schools, universities, and colleges have shifted to distance or remote learning along with the use of online platforms. In addition, the UNESCO (2020) recommended that schools and educational institutions use the remote learning approach as well as open educational resources and digital platforms to offer education. By definition, remote or distance education is a form of education that occurs when the learner and teacher are separated by distance and time and, hence, cannot meet in a traditional classroom setting (Simonson, Smaldino, Albright, & Zvacek, 2019). In their book, Simonson et al. (2019) distinguish between two kinds of distance learning, Synchronous and Asynchronous distance learning. While the first terms denotes instruction that occurs in different places but at the same time, the latter describes instruction that occurs in different places and at different times (Simonson et al., 2019). What is important to note is that both approaches require the use of technology, media, and online platforms (Simonson et al., 2019).

In this respect, it is important to note that distance learning offers a wide range of benefits and services to teachers and students and many educators consider it to be an effective and convenient approach to deliver instruction when traditional face-to-face education is disturbed. In fact many studies have noted the effectiveness of distance learning and the benefits it provides for students and teachers (Allen, Mabry, Mattrey, Bourhis,

Titsworth, & Burrell, 2020; Basilaia & Kvavadze, 2020; Mulenga & Marban, 2020; Simonson et al., 2019). In two meta-analyses conducted by Russel in 2000 and Allen et al. in 2004, a number of research studies were examined. Both analyses showed that the approach of distance learning is as effective as that of face-to-face learning and that the difference between the two approaches is insignificant (Allen et al., 2004; Simonson et al., 2019).

In addition, a recent study conducted on the use of distance and digital learning during COVID-19 pandemic showed positive outcomes on Mathematics implying that such approach to education during school closures tends to be an effective alternative (Mulenga & Marban, 2020). Another study conducted in Georgia examined the effectiveness of digital learning platforms used in the COVID-19 pandemic, which include Zoom, Google Meet, and EduPage. The study showed positive outcomes and confirmed the success of online transition (Basilaia & Kvavadze, 2020). These studies show that if used properly under clear educational goals and with proper resources and content, distance and digital learning can be a convenient alternative.

In the figure below, Simonson et al. (2019) outline the major components of distance education. These components focus on the role of teachers, technology, and students in achieving the intended learning outcomes.

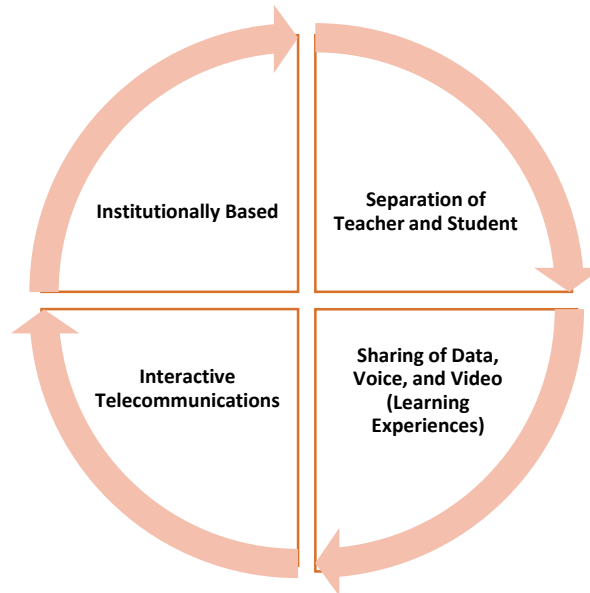


Figure 1. *Components of Distance Education (Simonson et al., 2019)*

Challenges and Risks

The effectiveness and convenience of distance learning have not concealed the challenges and difficulties encountered by educators and students during the Coronavirus pandemic. The shift to remote and online learning has lead educators to work more to develop conducive learning material and explore the different media platforms and has, as well, put students and parents under pressure, especially those that come from low income backgrounds (Sahu, 2020). In addition, since this transition in education requires the heavy reliance on technology and media outlets, technical problems and available resources can affect the overall educational process (Sahu, 2020). In this respect, it is important to note that lack of access to media platforms, technology, and other resources in disadvantaged or rural areas might prevent many learners from getting proper education that caters to their needs (“Adverse Consequences of School Closures,” 2020; Morgan, 2020). As a result, this leads to

unequal and unfair access to education among learners, a drawback experienced in different countries all over the world during this pandemic (Morgan, 2020).

Another challenge resulting from the use of distance and digital learning is related to educators' work responsibilities. The new reality imposed by the COVID-19 pandemic has obliged teachers and faculty members to prepare new teaching materials, content, and resources that are convenient to the current situation (Sahu, 2020). In order to cope with such situation and provide a student-centered approach to education, which centers around learners' needs and interests, teachers had to utilize new methods of instruction and assessment (Morgan, 2020). These include the use of different software programs and platforms such as PowerPoint presentations, Zoom, WebEx, and recorded sessions. In this respect, it is important to note that in the absence of face-to face interactions, educators and students should work on establishing a conducive learning environment where they both work actively and collaboratively to achieve intended learning outcomes. Active participation and involvement is a main asset of the student-centered approach where the student transforms from being a passive learner to an active participant in the educational process (Morgan, 2020). In her article Rose (2020) discusses the academic changes and online transition for medical students in times of the Coronavirus pandemic. The author argues that this transition to digital learning has prevented medical students to get in contact with patients and health environments and they suggest that educators should make use of digital platforms to work with students on virtual cases and involvement in telehealth environments (Rose, 2020).

Assessment has also been impacted as many schools and universities have suspended and cancelled term examinations and relied more on formative types of assessments such as projects and papers (Sahu, 2020). These new academic measures have been integrated in different disciplines and across all levels.

The shift to online learning during the Coronavirus pandemic has also placed a burden on parents and families who have been suffering from the diverse social, health, and economic impacts of this pandemic. In fact parents have been highly engaged in the online educational process through offering continuous support to their children (Morgan, 2020). A quantitative study conducted in Czech Republic shows that parents and families have been putting efforts to cope well with the current educational situation and that they have been helping their children through giving them necessary feedback and academic support (Brom, Lukavsky, Greger, Hannemann, Strakova, & Svaricek, 2020). The parents that participated in this study considered the current educational situation as being effective; however, they also noted some difficulties encountered through digital learning and these include technical and content knowledge difficulties (Brom et al., 2020). Though parental involvement might be a pressuring aspect to some parents who are also performing their job tasks from home and dealing with different challenges daily, it is a positive outcome as it makes parents more knowledgeable about their children's academic performance and educational needs.

Initiatives and Measures to Battle COVID-19

The educational transformation that resulted from COVID-19 pandemic has lead schools, universities, and other educational institutions to employ varied measures and apply notable initiatives to battle this pandemic and provide quality education. In fact, educational institutions have played a remarkable role in mitigating the effects and risks of this pandemic. School closures have helped in reducing and limiting social contact and the shift to remote and digital learning has given the student population myriad chances to pursue their educational aims (Viner et al., 2020).

As discussed earlier, the major measure that has been implemented by educational institutions worldwide in response to COVID-19 is the shift to online learning. This shift has enabled educators to resume teaching and allowed learners to achieve their educational aims (Stanger, 2020; UNESCO, 2020). Countries all over the world have been adopting varied guidelines to implement this shift based on their contexts and available resources and facilities. Open resources, online libraries, learning systems, TV broadcasts, recordings, virtual lectures, and other alternatives have been utilized by educational institutions globally (Basilaia & Kvavadze, 2020). In addition, public schools have also received support from global companies such as Microsoft, Zoom, and Google to facilitate the learning process (Basilaia & Kvavadze, 2020).

Moreover, to increase the effectiveness of distance and digital education, many institutions insisted that such education should maintain the element of interaction between faculty and learners. This element is highly important as it engages learners in the educational process and allows instructors to pinpoint any weaknesses or gaps (Simonson et al., 2019). The literature on distance and remote learning confirm that interaction is a vital and primary constituent of this approach (Mahle, 2007; Simonson et al., 2019).

Another important measure taken by schools and universities is that related to assessment. Many institutions have cancelled term and final examinations and have also modified entrance tests (Sahu, 2020; Stanger 2020). In fact, tests and exams are not highly recommended forms of assessment when using remote learning as although the use of technology has facilitated education and distance learning, the assessment aspect is yet to be developed, holding within it many uncertainties and difficulties (Sahu, 2020; Stanger 2020). These include technical-related issues, literacy skills, and teachers' ability to monitor students' cheating attempts. In addition, some courses and subject matters cannot be tested in online settings, such as lab and other practical courses (Sahu, 2020).

The grading criteria has also changed due to the prevailing shift. In many universities across the world, the traditional grading criteria has shifted to pass/fail criteria where the student has the freedom to choose a traditional letter grade or a pass/fail grade that does not affect his/her GPA or academic status (Stanger, 2020). This measure has been a universal policy implemented by different universities globally such as Harvard, Middlebury, and others (Stanger, 2020).

Despite the challenges, difficulties, and transformative measures that have been implemented by the education sector globally, the role that educational institutions played during this pandemic remains to be remarkable. Aside from transforming their educational approaches, schools and universities have been offering important initiatives to support learners in specific and people in general. Educational resources and online platforms have been opened for students and educators to facilitate the educational process (Basilaia & Kvavadze, 2020). Also, educational institutions have had a pivotal participation in raising awareness regarding the COVID-19 pandemic through university staff and librarians who have been providing awareness campaigns on health and safety measures, support to medical staff, and guidance to faculty members and research teams (Ali & Gatiti, 2020).

Implications and Recommendations for Educational Institutions

The above discussion suggests that the shift to remote and digital learning during COVID-19 pandemic is inevitable and educational institutions are still using this learning approach to achieve their mission and outcomes. As a result, schools and universities should take into consideration several guidelines and recommendations to ensure an effective delivery of educational content.

First, education should be delivered to all students and students should be given equal opportunities to benefit from instruction. In his article, Morgan (2020) outlines major practices and guidelines that should be incorporated into the educational plan of any educational institution. The author emphasizes the need to cater to students' needs and to ensure equity for all students, which involves equal access to online material, resources, and technology (Morgan, 2020).

Moreover, continuous interaction and communication between staff, faculty, and students is very important. As a result, academic concerns, expectations, missions, and outcomes should be clearly communicated with students, teachers, and other concerned parties (Morgan, 2020; Sahu, 2020). Proper services such as technology support services, counseling practices, and safety-related services should also be provided by educational institutions (Sahu, 2020). Also, educational institutions should continue to offer necessary guidance to students and teachers on the effective use of remote and digital learning.

Another crucial implication that should be very well noted by educators is providing learners with student-centered education (Morgan, 2020). The burdens and challenges caused by the COVID-19 pandemic should not deviate educators' attention from offering student-centered education that caters to students' needs and involves them in the learning process. As a result, teachers should adjust learning methodologies and contents to fit students' diverse needs and should seek to actively engage them in the educational process. Hence, this entails modifying assessment, content, platforms, and resources to make students more active and involved (Chen, 2010). Consequently, while students should be responsible learners empowering themselves with skills and attitudes to benefit from the new digital experience, teachers should be able to design appropriate educational content, facilitate the learning process, and analyze and evaluate students' performance (Morgan, 2020).

Finally, teachers and students should make use of the experiences learnt and the skills acquired during this pandemic and employ them in other situations in the future (Basilaia & Kvavadze, 2020). Technical literacy, educational knowledge, and other learnt lessons from this remote approach should be viewed as learning opportunities that can be effectively used in difficult times.

Conclusion

In conclusion, despite the current challenging times and the myriad risks that the world is encountering, life continues to be the most important aspect that people globally are trying to protect. With COVID-19 pandemic, new encounters and realities come to light. However, persistence, knowledge, and awareness seem to be key skills capable of battling this pandemic. The education sector worldwide has been widely addressing the outcomes and challenges of this pandemic and education has successfully resumed through alternative and remote measures. This paper attempted to discuss the new reality encountered by the education sector during COVID-19 pandemic and explored different measures, initiatives, and guidelines. Future research should investigate the effects of remote and digital learning during this pandemic on students' performance and should as well explore teachers' and students' perception regarding this educational shift.

Works cited

“Adverse consequences of school closures”. UNESCO. 2020-03-10. Retrieved 2020-03-15.
Ali, M. U. & Gatiti, P. (2020). International perspectives and initiatives. *Health Information and Libraries Journal*, 1-5. DOI: 10.1111/hir.12307

- Allen, M., Mabry, E., Mattrey, M., Bourhis, J., Titsworth, S., & Burrell, N. (2004). Evaluating the effectiveness of distance learning: A comparison using meta-analysis. *Journal of Communication*, 54, 402 - 420. DOI: 10.1111/j.1460-2466.2004.tb02636.x.
- Basilaia, G., & Kvavadze, D. (2020). Transition to Online Education in Schools during a SARS-CoV-2 Coronavirus (COVID-19) Pandemic in Georgia. *Pedagogical Research*, 5(4). Retrieved from <https://doi.org/10.29333/pr/7937>
- Brom, C., Lukavsky, J., Greger, D., Hannemann, T., Straková, J., & Švaříček, R. (2020, April 18). Mandatory Home Education during the COVID-19 Lockdown in the Czech Republic: A Rapid Survey of 1st-9th Graders' Parents. Retrieved from osf.io/u7a2e
- Cascella, M., Rajnik, M., Cuomo, A., Dulebohn, S. C., Napoli, R. D. (2020). Features, Evaluation and Treatment Coronavirus (COVID-19). In: StatPearls [Internet]. Treasure Island (FL): StatPearls Publishing.
- Chen, R. J. (2010). Investigating models for preservice teachers' use of technology to support student-centered learning. *Computers & Education*, 55(1), 32-42. DOI: 10.1016/j.compedu.2009.11.015.
- “COVID-19 Educational Disruption and Response”. UNESCO. 4 March 2020. Retrieved 28 March 2020.
- Mahle, M. (2007). Interactivity in distance education. *Distance Learning*, 4(1), 47-51.
- Morgan, H. (2020). Best Practices for Implementing Remote Learning during a Pandemic. *The Clearing House: A Journal of Educational Strategies, Issues and Ideas*, 93(3), 134-140. DOI: 10.1080/00098655.2020.1751480
- Mulenga, E. M. & Marban, J. M. (2020). Is COVID-19 the gateway for digital learning in mathematic education? *Contemporary Educational Technology*, 12(2). <https://doi.org/10.30935/cedtech/7949>
- Repici, A., Maselli, R., Colombo, M., Gabbiadini, R., Spadaccini, M., Anderloni, A., Carrara, S., Fugazza, A., Di Leo, M., Galtieri, P. A., Pellegatta, G., Ferrara, E. C., Azzolini, E., & Lagioia, M. (2020). Coronavirus (COVID-19) outbreak: what the department of endoscopy should know. *Gastrointestinal Endoscopy Journal*, 1-6. Retrieved from <https://doi.org/10.1016/j.gie.2020.03.019>
- Rose, S. (2020). Medical student education in the time of COVID-19. *Journal of the American Medical Association*. DOI: 1001/jama.2020.5227
- Sahu, P. (2020). Closure of universities due to Coronavirus disease 2019 (COVID-19): Impact on education and mental health of students and academic staff. *Cureus*, 12(4), 1-6. DOI:10.7759/cureus.7541
- Simonson, M., Smaldino, M., & Zvacek, S. (2015). Teaching and learning at a distance: Foundations of distance education (6th ed.). USA: Information Age Publishing, Inc.
- Sintema, E. J. (2020). Effect of COVID-19 on performance of grade 12 students: Implications for STEM education. *Journal of Mathematics, Science and Technology Education*, 16(7), 1-6. Retrieved from <https://doi.org/10.29333/ejmste/7893>
- Stanger, A. (2020, March 19). Make all courses pass/fail now. *Chronicle of Higher Education*. Retrieved from <https://www-chronicle-com.ezproxy.lau.edu.lb:2443/article/Make-All-Courses-Pass-Fail-Now/248281>
- UNESCO (2020). Data from: COVID-19 Educational Disruption and Response. [accessed 17 April 2020] <https://en.unesco.org/covid19/educationresponse>
- UNESCO (2020, March 4). 290 million students out of school due to COVID-19: UNESCO releases first global numbers and mobilizes response. Retrieved April 17, 2020, from UNESCO: <https://en.unesco.org/news/290-million-students-out-school-due-covid-19-unesco-releases-first-global-numbers-and-mobilizes>
- UNESCO (2020, April 17). COVID-19 Educational Disruption and Response. Retrieved April 17, 2020, from UNESCO: <https://en.unesco.org/covid19/educationresponse>

- Viner, R. M., Russell, S., Croker, H., Packer, J., Ward, J., Stansfield, C., Mytton, O., Bonell, C., & Booy, R. (2020). School closure and management practices during coronavirus outbreaks including COVID-19: A rapid systematic review. *Lancet Child Adolescent Health*, 4, 397–404. Retrieved from [https://doi.org/10.1016/S2352-4642\(20\)30095-X](https://doi.org/10.1016/S2352-4642(20)30095-X)
- WHO (2020, July 14). *Coronavirus disease (COVID-19) pandemic*. Retrieved from https://www.who.int/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019?gclid=CjwKCAjwr7X4BRA4EiwAUXjbt9LptFghvkZ2S_3ya3_kidq-VAo8xZ1sZeEbOXA2-AAPELp6yvIjPhoCRhEQAvD_BwE

Teaching the Pragmatic Perception of Request for EFL Students after Coronavirus**Pandemic Lect. Muthana Mohammed Badie (M.A.)**

تدريس الإدراك الواقعي للالتماس ما بعد جائحة كورونا للطلبة الدارسين اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية

م. مثنى محمد بدع

جامعة تكريت - كلية التربية للبنات - قسم اللغة الإنجليزية

mmbsaleh1981@yahoo.com

Tikrit University-college of Education for Women

Abstract

The world witnessed variables of an international standard due to the spread of Covid-19, which helped the development of ideas that call for a rearrangement of behavior and teaching in the pragmatic perception of request, due to psychological regressions and mental disturbances effective on societies and their various languages and human races, which constitute a cultural extension in dealing and communication in the language of conversation and dialogue. The current circumstances helped by the rapid spread of Covid-19, as we infer from the course of events that the language of request and psychological emotions will have reflections on the current reality and what may be reflected on the future of these social relations, which are determined by the form of request among the English language students and its variables help to develop ideas and behaviors that have social and economic dimensions that may affect educational behavior in the near future. Requests are directly related to "politeness" since people use polite behavior to minimize the potential threat of a person's face. People communicate in the community they know who to communicate in their society but they may have no ability to communicate with other cultures correctly so, politeness expression are very important in order to make them contact correctly. Politeness has been the focus of several studies of the speech of non-native speakers of English; the results indicate striking differences in the politeness strategies used by each group.

Key Words: Requests, Polite behavior, Politeness

الملخص ...

شهد العالم متغيرات ذات معيار دولي بفعل انتشار فايروس كورونا ساعدت على تنامي أفكار تستدعي الى إعادة ترتيب السلوك والتدريس في الادراك الواقعي للالتماس وذلك بفعل الارتدادات النفسية والاضطرابات العقلية الفاعلة على المجتمعات وبمختلف لغاتها وأجناسها البشرية والتي تشكل امتداد حضاري في التعامل والتواصل في لغة الحديث والحوار. اذ ساعدت الظروف الراهنة بفعل انتشار كوفيد-19 بشكل سريع، حيث نستدل من مجرى الاحداث بأن لغة الطلب والانفعالات النفسية سوف تكون لها انعكاسات على الواقع الحالي وما قد ينعكس على مستقبل تلك العلاقات الاجتماعية والتي تحدد بصيغة الالتماس بين طلاب دارسي اللغة الإنجليزية وما له من متغيرات تساعد على تنامي أفكار وسلوكيات لها ابعاد اجتماعية واقتصادية قد تؤثر على السلوك التعليمي في المستقبل القريب.

ان الالتماس مرتبط مباشرة "بالأدب" لأن الناس يستخدمون السلوك المهذب لتقليل التهديد المحتمل بوجه الشخص. يتواصل الناس في المجتمع ولكن قد لا يكون لديهم القدرة على التواصل مع الثقافات الأخرى بشكل صحيح، لذا فإن التعبير المؤدب

مهم جدا لجعلهم يتصلون بشكل صحيح، وحيث كان الادب محط تركيز العديد من الدراسات لخطاب المتحدثين غير الناطقين باللغة الإنجليزية وتشير النتائج الى اختلافات واضحة في استراتيجيات الادب التي تستخدمها كل مجموعة.

Section 1

1.1 problem of the study.

Polite expressions are very important topics in English language learning and teaching with both skills of writing and speaking. Students may exchange the communication by using polite requests. As English learners have to deal with the emerging of Corona pandemic circumstances, they may find difficulty in controlling all types of polite strategies in applying requests.

1.2 aims of the study.

This study aims at finding the way of performing polite expressions after Coronavirus pandemic emerged, when the students be in contact with students from different cultures, and the rearrangement of behavior and teaching in the pragmatic perception of request.

1.3 value of the study.

This study is a valuable for specialists in teaching and learning English as a foreign language, and to students who study English as a foreign language it is also has a value in specifying the polite expressions including request across culture and the suitable polite expression in specific context.

Section 2

2_1 politeness:

The speaker to the interlocutor should consider Polite since it is difficult. The reason why being polite is difficult for the speaker is it that needs understanding of the language the social and cultural of community. Besides that, politeness is not only viewed from the speaker but it also viewed by the interlocutor. It makes many experts has different perceptions about politeness. Leech (1983) stated that politeness is one of pragmatic perspective. Politeness could be defined as means of expressing that are used in conversation that has specific roles depending on the participant. Fraser and Nolene (1990:18) define politeness as a conversational contract that has a set of rights and obligation that participants must follow, can be negotiated, and rearranged during a conversation.

2_2 The concept of request:

"Requests are directive acts and they are attempts on the part of a speaker to get the hearer to perform or stop performing some kind of action. Thus, they are beneficial to the former and costly to letter. According to Brown and Levinson's (1978 and 1987:85) politeness theory, requests are face threatening acts because "the speaker impinges on the hearer's claims to freedom of action and freedom from imposition "[Blum_ Kulka and Olshtain 1984:20]" in order to minimize the potential threat of a person's face in interactions, people vary their requests between direct and indirect strategies depending on different factors such as power relations, social distance, rate of imposition, and values". The desired act is to occur after

utterance, either in the immediate future or at some later stage (Edmondson-house, 1918:99). A request is a speech act where by a requester conveys to request that he/she wants the request to perform an act which is for the benefit of the requester (Trosbory, 1995:187). The act may be a request for an object, an action or some kind of service there are some factors that affect such types of requests. First intonation, the marks of which are already placed to show where the contour changes. Second, the social situational contexts in which these utterances are produced and the status of the speaker and his request. These two factors make the imperative sentence types realized as the act of requesting (Hussein, 1984:64).

2_3 Theories of politeness:

According to the speech act theory, speakers produce utterances to perform illocutionary acts (Austin, 1962:58) or speech acts (Searl, 1969:58) such as requests, apologies, offers, complaints, and some others. The illocutionary force of language surpasses the purely declarative function of communication; in fact, it consists of the pragmatic use of language to convey intentions .By performing these acts, speakers do things with words and communicate their needs through language. Thus, linguistic form is linked with communicative intent either in an explicit or implicit way. Brown and Levinson (1978 and 1987:86) expanded Goffman's theory of face in their politeness theory. According to them, face is a set of wants, roughly "the want to be unimpeded" and a person's desire to act without imposition, and "the want to be approved in certain respect" (ibid.63); the former refers to negative face, in every day communications, there are considerably a very large number of acts such as requests that threaten face intrinsically(FTAS). Face threatening Acts (FTAS) are acts that violate the hearers' need to maintain his/her self-esteem, and be respected. Therefore, people do face work in order to offset FTAS (Brown and Levinson 1978:68). Brown and Levinson identified five types of politeness strategies that people resort to in their politeness behavior to manage face[Act baldy, Going off _ record_ indirect ,Do not perform the act, positive politeness, Negative politeness].

The potential to allow speakers and hearers' to do things with words makes language a powerful tool that needs to be used effectively and appropriately in order to achieve the goal of communication and avoid misunderstandings. In the case of requests, the need expressed by the speaker is imposed on the listener, which makes a request a face threatening act (Brown and Levinson,1987:58) that calls for modifications and strategies in order to reduce the possible face damage. These modifications depend on the nature of the request and the power and distance relationships between speaker and listener (Scollon and Scollon, 2001:58), which vary from culture to culture and are determined by the values, beliefs, and social norms of speech community. This is why learners of a second language may differ with native speakers in their pragmatic ability, even though their linguistic competence is highly developed.

2.4 Pragmatics:

Is concerned with the study of meaning as communicated by a speaker (or writer) and interpreted by a listener (or reader). Pragmatics is the study of speaker meaning. Pragmatics is the study of contextual meaning. Pragmatics is the study of the relationships between linguistics forms and users of those forms. The advantage of studying language via pragmatics is that one can talk about people's intended meanings, their assumptions, their purposes or goals, and the kinds of actions that they are performing when they speak. Pragmatics is appealing because it is about how people make sense of each other

linguistically, but it can be a frustrating area of study because it requires us to make sense of people and what they have in mind. (Net1)

2.5 Euphemism vs Taboo:

2.5.1 Euphemism:

In is generally a word or expression used in place of one that may be found offensive or suggest something unpleasant.

Some euphemisms are intended to amuse, while others use bland, inoffensive terms for things the user wishes to downplay. Euphemisms are terms used to refer to things or actions, which soften the name they are usually, called. Usually it is a positive word to cover some harsh, unpleasant reality, for example, when someone dies. These are euphemisms, when they work, euphemisms may change the way we think about or set the things named.(Net2)

Beckman and callow (1974:119) cited in Larson, 1984:116) define a euphemism as "a figurative expression which is in some ways like a metonymy. It is used to avoid an offensive expression or one that is socially unacceptable or unpleasant. Pyles and Algeo (1982:248_249) claim that euphemism is the substituted term for a taboo one.

2.5.2 Taboo:

Is a word which refers to bodily function, certain part of our anatomy and sex have usually been considered" taboo" to a greater or lesser degree at various time in our history. Some Taboos of the past seem amusing to use today. (Net2)

Taboo words differ from culture to culture, form society to society and from generation to another, but there are common areas of taboo words among cultures and societies as death, religious and sexual areas. The word taboo was borrowed from the Tang language, originally used in Polynesia with religious connotations. Now in sociolinguistics it refers to a prohibition on the use of, mention of, or association with particular objects, actions, or persons. Euphemism is the avoidance of words, which may be seen as offensive or disturbing to the addressee. Euphemism and taboo are actually two sides of the same coin, but the first is used positively to avoid uttering the second, which refers to bad utterances.

2.6 Constative:

In describes some state of affairs truly or falsely according to its identification to the outside world, for example:

"Nada has succeeded". The trueness and falsehood of this sentence are related to its correspondence to the outside world in which it is uttered. In addition to the real meanings that have gotten of the constative sentence, the metaphorical and implicit meanings are also gotten of such sentences. Constative express the speaker's belief and his intention or desire that the hearer have or from a like belief. They include assertive, predictive, informative, confirmative, disputative, suggestive, suppositives, etc.

2.6.1. Imperative:

The imperative tense in English is used to give an order, a warning, an appeal, a suggestion, an instruction and in some cases a request to another person. Levinson (1983:21) stated that the imperative sentence is very rarely used to issue request in English. Palmer (1986) request can be expressed by imperative. Simply take the verbs' infinitive form (without the "to" infinitive indicator). Moreover, some time people use word "please" to make imperative sentence more polite. According to Sifianou in Martinez (2009) the word "please" has been

regarded as one of the most transparent politeness markers that servers to soften the imposition carried out by request being uttered.

For examples: _

- 1_ Give me your book.
- 2_ Don't open the window
- 3_ Clam down.

2.6.2 Interrogative:

Requests can be marked by using interrogative besides that, leech (1983:21_22) stated that interrogative sentence has the meaning of questioning in request. They are Yes/No either questions or wh-questions. Yes /No interrogatives are questions that can be answered with a yes or a no response and wh_interrogatives begin with A-wh-word and call for an open-ended answer.

A yes or no answer is not appropriate for these questions.

The following examples are _

- 1_ Have you got a car? (Yes/No, question).
- 2_ Why don't you cook for dinner? (wh_question).
- 3_ Do you have some money? (Yes/No, question).

Section 3

Data Analysis

3.1 Sample of the study:

The sample consisted of thirty undergraduate students who are chosen randomly from English department – college of education for women through the approved E-learning during the current period as a means of distance learning in the current circumstances of Corona pandemic and its effect on the subject to explore their perception for request patterns and their usage by answering certain conversational situations.

3.2 procedure of the study:

To better account for the structure of requests, this current study uses Blum- kulka and et al.(1989) in classifying request strategies into three main types[Direct, conventionally indirect, non-conventionally indirect]. As heads acts. Then these main heads classified into subcategories as explained bellow with examples: _

1_ The most Directive strategies (called performatives or impositives). This most explicit level realized by requests marked as imperatives or by other verbal means that name the act as a request. e.g.: Give me your notebook please.

This strategy includes the following patterns:

A_ Mood Derivable/Imperative: _

Utterances in which the grammatical mood of the verb signals illocutionary force as "please leave me alone"

B_ Explicit performatives: _

Utterances in which the illocutionary force is explicitly named as "I am asking you to clean up that mess"

C_ Hedged performatives: _

Utterances in which the naming of the illocutionary force is modified by hedging expressions as "I would like to ask you to give your presentation a week earlier than scheduled"

D_ Obligation statement:_

Utterances, which state the obligation of the hearer to carry out the act as. "You will have to move that car"

E_ Want statements:_

Utterances, which state the speakers, desire that the hearer carries out the act as:
"I really want you to stop bothering me"

2_The conventionally indirect strategies that realize the act by reference to contextual preconditions necessary for its performance as conventionalized in a given language as:
"Could you please give me your notebook" The sub-strategies of this level are as follows:

A_ Suggestionary formulae: _

Utterances, which contain a suggestion to dox, e.g.: "How about cleaning up tonight"?

B_ Query preparatory:_

Utterances which contain reference to preparatory conditions .e.g. : "could you clean up the kitchen, please"?

3_ The non-conventionally. In direct strategies (called hints). They are realized either by the request by partial reference to the object or element need or by reliance on contextual clues. as: "will be using your notebook tonight" it has the following categories:

A- Strong hints:_

Utterances containing partial reference to object or element needed for the implementation of the act as: "you have left the kitchen in a right mess"

B- Mild hints:_

Utterances that do not refer to the request proper but can be interpreted as request by context as "I am a nun" (Blum-kulka et al. 1989:18_44).

3.3 The questionnaire: _

In order to attain the objectives of this research Discourse Completion Test (DCT) is used as a method of test. It is a form of questionnaire representing some natural situations to which the respondents are expected to react and respond making requests. This test was originally constructed by

Blum-kulka in 1982 and has been used widely since then in gathering data on speech acts realization. The questionnaire used is involved five written context- enriched situations. Each situation could only be answered by a request after presenting them to the students. Then, the research has counted the frequent use of polite requests distributed to the three major classifications and their categories. Such test is made to measure the perception and production of polite request by the fourth class of English students depending on what they have been taught through the previous years.

Table 1: The frequent use of polite requests strategies

	Descriptive category	First situation	Second situation	Third situation	Fourth situation	Fifth situation	Collection

Direct strategies	Imperative	2	2	6	0	6	16
	Performative	0	2	2	4	2	10
	Hedged Performative	0	0	0	0	0	0
	Obligation Statement	0	0	2	0	0	2
	Want Statement	0	0	0	0	0	0
Convention-ally Indirect strategies	Suggestionry Formula	2	0	0	0	0	2
	Query Preparatory	16	16	10	10	10	62
Non-Convention-ally Indirect strategies	Strong Hints	0	0	0	2	0	2
	Mild Hints	0	0	0	4	2	6
Total		20	20	20	20	20	100

3.4 Discussion: _

Table (1) illustrates the categories students included in their requests. Some of the categories had a high percentage of usage whereas others were hardly included or completely absent in the data. Conventionally indirect strategies was the most recurrent components of the student's requests with an occurrence of (%64), them direct categories of requests are a mounted(%28), whereas the lowest degree is belonging to Non-conventionally indirect strategies amounted (%8).

Thus, conventional indirectness was the most preferable strategy and the rate of politeness is high as they direct their requests to the more respectable status like (an instructor, the manager, neighbor and a friend). It is also obvious that the strategy used in the requests was the query preparatory, which is a mounted (1.62). This strategy includes the use of modals represented by the use (can, could, would) and they are used in terms of formality. The students thought that the models are the most formal styles and they are appropriate for the situations. The results also reveal the ignorance of students with the pragmatic perception for

addressing their requests, which are used by mentioning hints or non-conventionally indirect strategy.

3.5 Conclusions: _

the present study reaches the following results:

1_The students' awareness of using polite requests through the conditions of covid-19 pandemic is too limited.

2_Students have shortage in perception the pragmatic hints according to the situations given for them.

3_They ignore the influence of certain factors like closeness, power, social status on addressing polite requests directly and indirectly

4_ Indirect requests are highly recorded by the production of students, also the students tend to use frequently the formal styles represented by the modals (can, could, would...).

3.6 Recommendations

1_ Students after the covid-19 pandemic conditions should be taught everything related to the pragmatic conception and perception of polite request and to make the process of teaching and communicating with other cultures polite and correct.

2_They should take intensive lectures about pragmatics: speech acts, performance, the power, social status concerning conversations, and should be taught the classification of request strategies.

3- Activating the role of educational guidance in educational institutions as real motive to build student behaviors while writing and formulating polite request so that the educational reality is accurately embodied in a future vision after Covid-19.

References

- Aubed, Maan, M. (2012).polite requests in English and Arabic: A comparative study. Theory and practice in language studies.
- Magister, La. (2008). Polite requests in the classroom. Mixing grammar and pragmatics instruction.
- Tawalbeh, A. & Al-Oqaily, E.(2012). Indirectness and politeness in American English and Saudi Arabic Requests: Across- comparison.
- Pyles, T. & Algeo, J. (1982). The origins and developments of the English language. United States of America.
- LESTARI, DWI, P. (2014).English education study program Department of language and art faculty of teacher's training and education university of Bengkulu.
- [https://abudila.files.wordpress.com/2010///pragmatics-oxford-introductions-to language study-2.pdf](https://abudila.files.wordpress.com/2010///pragmatics-oxford-introductions-to-language-study-2.pdf).
- [www.nipissingn.ca/departments/student-development-and-services/academic-skills/resources/pages/Euphemism and -Taboo.aspx](http://www.nipissingn.ca/departments/student-development-and-services/academic-skills/resources/pages/Euphemism-and-Taboo.aspx).



The First issue - July 2020 - the First Year

Refereed Quarterly Scientific Journal

American International Journal of Humanities and Social Sciences

ISSUED BY AMERICAN INTERNATIONAL ACADEMY
FOR HIGHER EDUCATION AND TRAINING

QUARTERLY JOURNAL ON HUMANITARIAN
AND SOCIAL AFFAIRS

